محرري التجويد والموافق • وما الذي رسم في المصاحف

من كل مقطوع وموصول بها • وتاء انثى لم تكن تكتب بها

باب في بيان مخارج الحروف

مخارج الحروف سبعة عشر • على الذي يختاره من اختبر

فألف الجوف واختاها وهي • حروف مد للهواء تنتهي

ثم لاقصى الحلق هز هاء • ثم لوسطه فعين جاء

أدناه غين خاؤها والقاف • أقصى اللسان فوق ثم الكاف

أَسْفَلُ وَالْوَسْطُ فِجَيْمِ الشِّينِ بَا • وَالضَّادُ مِنْ حَافَتِهِ إِذْ وَلِيَا

لِأَضْرَاسٍ مِنْ أَيْسَرَ أَوْ يُمْنَاهَا • وَاللَّامُ أَدْنَاهَا لِمُنْتَهَاهَا

وَالنُّونُ مِنْ طَرَفِهِ تَحْتَ اجْعَلُوا • وَالرَّا يَدَانِيهِ لِظَهْرٍ أَدْخَلُوا

وَالطَّاءُ وَالدَّالُ وَتَا مِنْهُ وَمِنْ • عُلْيَا الثَّنَايَا وَالصَّفِيرُ مُسْتَكِنْ

مِنْهُ وَمِنْ فَوْقِ الثَّنَايَا السُّفْلَى • وَالطَّاءُ وَالدَّالُ وَتَا لِلْعُلْيَا

مِنْ طَرَفَيْهِمَا وَمِنْ بَطْنِ الشَّفَهْ • فَالْفَا مَعَ أَطْرَافِ الثَّنَايَا الْمُشْرِفَهْ

لِلشَّفَتَيْنِ الْوَاوُ بَاءٌ مِيمُ • وَغُنَّةٌ مَخْرَجُهَا الْخَيْشُومُ

بَابُ صِفَاتِ الْحُرُوفِ

صِفَاتُهَا جَهْرٌ وَرِخْوٌ مُسْتَفِلْ • مُنْفَتِحٌ مُصْمَتَةٌ وَالضِّدُّ قِلْ

مَهْمُوسُهَا خُثَّهُ شَخْصٌ سَكَتْ • شَدِيدُهَا لَفْظُ أَجِدْ قَطٍ بَكَتْ

وَبَيْنَ رِخْوٍ وَالشَّدِيدِ لَنْ عُمَرْ • وَسَبْعُ عُلُوٍّ خُصَّ ضَغْطٍ قِظْ حَصَرْ

وَصَادُ ضَادٍ طَاءُ ظَاءٍ مُطْبَقَهْ • وَفُرَّ مِنْ لُبِّ الْحُرُوفِ الْمُذْلَقَهْ

صَفِيرُهَا صَادٌ وَزَايٌ سِينُ • وَالْقَلْقَلَهْ قُطْبُ جَدٍّ وَالْلِّينُ

وَاوٌ وَيَاءٌ سُكِنَا وَانْفُتِحَا • قَبْلَهُمَا وَالِانْحِرَافُ صُحِّحَا

ايا طالب القرآن حلا موافقا اذا كنت ماست العلوم بدقة
تراه على كل النفاسة فائقا تراه على كل النفاسة فائقا

باب معرفة التجويد

والأخذ بالتجويد حتم لازم من لم يجود القرآن آثم

اى العمل بالتجويد ومراعات وقواعده فى قراءته وفى سمع

لأنه به الإله أنزلا وهكذا منه إلينا وصلا

اى القرآن اى التجويد من الله

وهو أيضا حلية التلاوة وزينة الأداء والقراءة

وهو إعطاء الحروف حقها من صفة لها ومستحقها

ورد كل واحد لأصله واللفظ فى نظيره كمثله

اى بعضه من بعض

مكملا

قال المفسرون ان الملائكة رأوا ما يصعد الى السماء من اعمال بني آدم وفيها من الكبائر ذكر في زمن ادريس عم فعيروهم بذلك ودعوا عليهم فقالوا هؤلاء الذين جعلتهم في الارض واخترتهم يعصونك فقال الله تعالى لو انزلتكم اليهم وركبت فيكم ما ركبت فيهم لفعلتم مثل ما فعلوا قالوا سبحانك ربنا ما ينبغي لنا ان نعصيك فقال اختاروا ملكين من خياركم اهبطهما الى الارض فاختاروا هاروت وماروت وكانا من اصلح الملائكة واعبدهم وقال الكلبي قال الله تعالى اختاروا اثنين منكم فاختاروا عزا وعزيا وعزازيل فهبطهما الى الارض وركب فيهما الشهوة التي ركبها في بني آدم وامرهم ان يحكموا بين الناس فكانا يقضيان طرفي النهار والزنا والقتل وشرب الخمر فاما عزازيل فلما وقعت الشهوة في قلبه استقاله وسأل ان يرفعه الى السماء فاقاله ورفعه اليها فمسخه الله شيطانا رجيما وكانا يقضيان حكم بين الناس يومهما فاذا امسى ذكر اسم الله الاعظم وصعدا الى السماء وكان بين الملكين وبين ادريس ستة آلاف سنة لم يرفع رأسه حياء من الله تعالى واما الكواكب فما طلعت عليهما شهر حتى افتتنا قالوا وذلك انه اختصمت اليهما ذات يوم امرأة من اجمل النساء من اهل فارس وكانت ملوكهم من اهل بلدها اضرت بقلوبها فراودتهما عن نفسها فابتا وانصرفت ثم عادت اليهما اليوم الثاني فعلا كذلك فابت وخافت ان تعذب الآن بعذاب الآخرة وتعلما الكلمة التي يتكلم بها السماء وتشرب الخمر فقالا لا سبيل اليها في هذه الاشياء وانصرفت ثم عادت اليهما اليوم الثالث وقد وضع الخمر وفي انفسهما ان يميلا اليها فراوداها عن نفسها فوضعت قبلها بالصنم وقتلا النفس وشربا الخمر فقالا لا سبيل اليها في هذه الاشياء وانصرفت ثم عادت اليهما اليوم الرابع فلما خرجا رأيا انسانا حتى تخبر بالذي تصعدان اليه بايا السماء فقالا هاروت ماروت ما دعوت بهما الا تكلمت به فصعدتا بالسماء فمسخ الله الزهرة كوكبا وكان النبي عليه السلام اذا رأى سهيلا وكذلك اذا رأى الزهرة من الكواكب فقالت كان عشارا باليمن وزهرة كانت امرأة والكثر الاخرون على هذا القول فقالوا ان الزهرة من الكواكب السيارة التي اقسم الله بها فقال فلا اقسم بالخنس الآية واما كانت هذه التي فتنت هاروت وماروت امرأة تسمى زهرة من جمالها فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم الزهرة ذكر هذه المرأة فلعنهما فكذلك الشهيل كان رجلا فلما رأى النبي عم النجم لعنه كذلك روى عن ابن عباس رضي الله عنه فلما امسيا هاروت وماروت بعد ما راودتهما بالصعود الى السماء فلم تطيقا وعلما ما حل بهما فقصدا الى ادريس عم فاخبراه بامرهما وسألاه ان يشفع لهما الى الله تعالى ففعل ادريس عم ثم قال لهما كيف اعلم ان الله يستجيب في حقكما اذا رأيتما بعد ما رفعت رأسك عن السجود فذلك في ليل الاجابة والا فلا فلما رفع رأسه ادريس عم لم ير هما فخير الله تعالى لهما عذاب الدنيا وعذاب الآخرة فاختارا عذاب الدنيا لأنه منقطع فيها لبابل تعذبان واختلف العلماء في كيفية عذابهما قال ابن مسعود رض لم يزالا يعذبان بها الى يوم القيمة وقال مجاهد ملئت الجب نارا فجعلا فيه وروي ان رجلا اراد ان يتعلم السحر فرأى هاروت وماروت معلقين بارجلهما مزرقة اعينهما مسودة جلودهما ليس بينهما وبين الماء الا قدر اربع اصبع وهما

ايا طالب القرآن حلا موافقا اذا كنت ماست العلوم بدقة
تراه على كل النفاسة فائقا تراه على كل الحقائق

للحمد معنيان مشهوران احدهما لغوي والآخر عرفي وكلّ واحد منهما محتمل ههنا اذ تقدير اما ان يراد المنع للفاعل
او المنع للمفعول او الحاصل بالمصدر ويجوز ان يراد ما يطلق عليه لفظ الحمد ثم ان الكلّ ولام التعريف يحتمل ان يكون
للاستغراق وان يكون للجنس وان يكون للعهد الخارجي اشارة الى الفرد الكامل ولام الملك ايضا يحتمل
ان يكون لاختصاص الصفة بالموصوف وان يكون لاختصاص المتعلق بالمتعلق فهناك اثنان واربعون احتمالا
حاصلا من ضرب الثلثة في اثنين اولا وضرب الثلثة في سبعة ثانيا وضرب الاثنين في احدى وعشرين ثالثا فلينامل

فصار ستة المشار اليه بقوله ويجوز الخ كونه سبعة بضم المعنى الرابع لمولانا مير ابو الفتح حاشية الحقيقة من الاداب

ثم ان الاحتمالات الاربعة وستون حاصلة من ضرب الاربعة في الاثنين اولا ثم ضرب الثمانية فصار اثنين وثلثين
ثم ضرب الاثنين وثلثين في اثنين ناملم

فصارت اربعة وستين احتمالا فيكل مجموع الاحتمالات اثنان وثلثون الوفا وسبعمائة واربعون احتمالا

لام التعريف في الحمد لله قيد انها للاستغراق الجنس وقيل لتعريف الماهية وقيل للعهد فالاول يناسب قاعدة السنة في ان
الله تعالى خالق افعال العباد وهو المستحق للحامد والثاني يناسب اعتقاد المعتزلة في ايجاد العباد لافعال انفسهم فيستحق
كل شيئا من الحامد والثالث قيل اذ اشارة الى الحمد الازلي ودفع ان الله تعالى علم عجز خلقه عن القيام بحق حمده
فعرفه اذ لا حمد ايليق بجلاله وصفات كماله فينبغي لمن يقول الحمد لله ان يقصد به ذلك الحمد المعهود وهو الذي يوافق
لاحمد غيره من اكتاب المسمع بحسن التصرف في شرح التوفق من علم التصوف ثم

الالف واللام [illegible] طريق الكناية [illegible] على
على [illegible] الاشراق اه
الا عيان والافعال [illegible] فيكون

وصرف التوفيق في الحمد للجنس عندنا وعند المعتزلة للعهد واصل الخلاف ان الافعال التي تصدر من العباد خلقها يضاف
الله تعالى ولا صنع لهم فيها سوى الكسب عندنا فيكون المستحق للحمد هو الله تعالى دون العباد فمنع قوله الحمد لله اي جميع الحامد
الخ يتعلق بالاعيان والاعراض لله تعالى وعندهم لما كان مضافا اليهم فيكونوا هم المستحقين للحمد فيصير معنى قوله الحمد لله
اي الحامد الخ يتعلق في اللفظ بالاعيان دون الاعراض وهو موجود ذاهب كقولك ضرب ودخل المدينة على حين غفلة
اي دخل موسى مدينة مصر الن لم تسبق في اللفظ بل هي مقترنة في الذهن ولا يصلح ان يكون للجنس لان موسى لم
لم يدخل في جميع ما في الاعيان من الانبياء من شرح فرائض

فتقول الالف واللام في الحمد للاستغراق عندنا وللعهد الذهني عند المعتزلة ومرجع الخلاف الى افعال العباد اضافة خلقها الى
الله تعالى وقال لا صنع للعبد سوى الكسب بل كله من الله تعالى فكان المستحق للحمد عنده هو الله تعالى فيكون للاستغراق ومن
اضاف الافعال الى انفسهم فكان يستحق العبد بصيغة الحمد فيكون للعهد الذهني خلق الاسرار

[illegible] ان الله تعالى [illegible] ان [illegible] ان [illegible] ان

الله اسم للذات الواجب الوجود المراد بالاسم ههنا ما يقابل الصفة او الكنية او اللقب فان قلت وضع العلم بازاء
فرع تعقله وحين لم يعلم حقيقته فكيف يتصور ذلك قلت لا نزاع في وقوع تعقله بصفاته الحقيقية والاضافية
والسلبية والفعلية على قدر ناظر منها بالفكر الانسانية وانما المنتفي تعقله بكنه حقيقته وذا غير لازم في وضع العلم
كما في الوضع العام للمعنى الخاص على انه آت يتم ذلك اذا لم يكن الواضع مطلقا او واضع هذا الاسم هو الحق جل و
علا اما اذا كان وضعه فعل غيره بالالهام او الوحي فلا وذات الشيء قد يقال على حقيقته وقد يقال على هويته
الخارجية وقد يقال على ما يقابل الوصف والمراد ههنا هو الثاني وهو مستعمل استعمال النفي والسلب والذي الجوز
تذكيره وتانيثه وحقق بالذكر في تعيين الذات من صفاته الفعل الوجوب الذاتي الذي يتصرف اليه مطلق الوجوب
لاختصاصه به ولانظوائه على سايره صفاته لانه معدن للكمال ومبعد عن كل نقصان حسن جليل

ثم انه قد صرح بعض النحاة ايعاء الى اصول ما يحتاج واصول ما يحتاج اليه اربعة البيان وعلم الشرايع و
والصلوة الخ والرابع بقوله وفضل الخ الخطاب بنا اشار الحمد على الشكر لان الحمد عم الفضائل والفواضل الى
والشكر يختص بالاخير ولانه موجب للعمل بالحديث وانه ورد بلفظ ولانه لموافقة كتابه بكتاب المجيد وانه ورد
بلفظ التحميد وعلى المدح لانه يقع على ما
يكون قبل الاحسان وبعده والحمد يختص بالاختياري وقد
وجه التجاء الى الله لجميع صفات الكمال
بهذا تلج الشهر بهذه الصفات في ضمن اطلاق
الاسم فيفهم بهذه الصفات منه كما ان الشهر حاتم
بالجود في ضمن اطلاق هذا الاسم فيفهم بهذه الصفة
ليس معنى الاستجاع الاستلزام ايا ما منه خط
ان المتجع الشهر في ضمن ذلك ساير الاعلام بل المراد
بالشهرة فالمراد هو الاستجماع في الدلالة او يراد باستجماعه
علته لها بخلاف ساير المشتقات فان صفاتها لذاتها معلولة
بالغير وهو بوسطة ذاتها صلح الدين صلح الدين

والثالث
عليه والثالث جميل اخر ليكون محمودا به
الرابع حتى متكلم ليكون حامدا
الخامس فعل لساني له مخصوص وهو
الحمد نقه

مسئلة

فاذا وضعت جنازة الرجل والمرأة والصبي
يوضع جنازة المرأة مما يلي القبلة والرجل
مما يلي الامام وجنازة الصبي في وسطها

مسئلة

راجب امنه سنار

ايا طالب القرآن حلا موافقا اذا كنت ماست العلوم بدقة
لتقرء بها تريك الحقائق تراه على كالانة ابسة فائق

وختم بتقييمون الصلوة وجوها اربعة الاول انه من قبيل الاستعارة التبعية حيث استعيرت
الاقامة من تسوية القد وجعل فعلا اعوجاج فيه لتسوية الصلوة وتعديلا اركانها على ما ينبغي
ثم اشتق منها الفعل والثاني من هذا القبيل ايضا شرح قاضي والثالث انه مجاز مرسل من باب
الاداء من باب ذكر الملزوم وارادة اللازم لان القيام
الشبه مفاير ملتبسا بالامر مجتهدا في تحصيله يدل على الاعتناء
وهو المداومة بشانه ويلزم التجلد فيه والتشمر له فاطلق
القيام على لازمه والرابع انه مجاز مرسل
من قبيل ذكر الجزء واراده الكل اذ القيام جزء من الصلوة
فعتبر بالاقامة لاشتمالها على القيام
قيل ذكر القيام
واراد الاداء على
طريق الكناية حقه

وعلى آله اصله اهل بدليل اهيل تصغير الشعالة في الاشراف اه

تصغير الاشراف

والاشبال آل الكاكبر وان قيل آل في غير العقلاء
والاهل على غير مقياس ومنه يستعمل الاهلة
والاهلون في العقلاء
قلب الهاء بالهمزة لاتحاد

اي طالب القرآن حلا موافقا اذا كنت ماست العلوم بدقة

قال النبي صلعم الجيران ثلثة جار له حق واحد وجار له حقان وجار له ثلثة حقوق فالجار الذي له ثلثة
حقوق الجار المسلم والرحم والمجاور والجار الذي له حقان الجار المسلم واما الجار الذي له حق واحد فالجار
الكوكر فانا نه الحق للمشرك بسبب الجوار دل على ان اهل الجوار وقال النبي صلعم ما زال جبرئيل يوصيني بالجار
حتى ظننت انه سيورثه وقال النبي صلعم من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره احيام العلوم
حقوق الاقارب والرحم قال النبي صلعم يقول الله تعالى انا الله وانا الرحمن وهذا الرحم شققت لها اسما من اسمي فمن
وصلها وصلته ومن قطعها بتته وقال الله عز وجل للموءدة يا موءدة بأي ذنب قتلت فمن بر والديه وعفى كتبته بارا ومن
عق والديه وبتر في كتبته عاقا احياء العلوم حقوق المملوك وقد كان من آخر ما وصى به رسول الله صلعم
قال اتقوا الله فيما ملكت ايمانكم اطعموهم مما تاكلون واكسوهم مما تلبسون ولا تكلفوهم من العمل ما لا
يطيقون فما احببتم فامسكوا وما كرهتم فبيعوا ولا تعذبوا خلق الله تعالى فان الله تعالى ملككم اياهم
ولو شاء ملكهم اياكم احياء العلوم وقال النبي صلى الله عليه وسلم ان المستهزئين بالناس يفتح لاحدهم
في اقصاء الشر وهو منهي عنه ما فيه من باب الجنة فيقال هلم فيجئ بكربه وغمه فاذا اتاه اغلق دونه
الايذاء والنهاون بحق الاحد جاء ثم يفتح له باب آخر فيقال له هلم فيجئ بكربه وغمه فاذا اتاه
قال النبي صلى الله عليه وسلم الحديث بتمامه من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه احياء العلوم
اماته احياء العلوم قال النبي صلى
الله عليه وسلم اياكم والغيبة فانه
اشد من الزنا وان الرجل يزني ويتوب
فيتوب الله عليه وان صاحب الغيبة
لا يغفر له حتى يغفر له صاحبه وقال انس
رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم
مررت ليلة اسري بي على قوم
يخمشون وجوههم باظافيرهم
فقلت يا جبرئيل من هؤلاء فقال
هؤلاء الذين يغتابون الناس
ويقعون في اعراضهم احياء العلوم
له عن عدو فغاب صديق وقال
افتى القرون التي كانت منيعة

فال النبي صلعم الجيران ثلثة جار له حق واحد وجار له حقان وجار له ثلثة حقوق فالجار الذي له ثلثة
حقوق الجار المسلم والرحم والمجاور والجار الذي له حقان الجار المسلم واما الجار الذي له حق واحد فالجار
الكوكر فانا نه الحق للمشرك بسبب الجوار دل على ان اهل الجوار وقال النبي صلعم ما زال جبرئيل يوصيني بالجار
حتى ظننت انه سيورثه وقال النبي صلعم من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره احيام العلوم
حقوق الاقارب والرحم قال النبي صلعم يقول الله تعالى انا الله وانا الرحمن وهذا الرحم شققت لها اسما من اسمي فمن
وصلها وصلته ومن قطعها بتته وقال الله عز وجل للموءدة يا موءدة بأي ذنب قتلت فمن بر والديه وعفى كتبته بارا ومن
عق والديه وبتر في كتبته عاقا احياء العلوم حقوق المملوك وقد كان من آخر ما وصى به رسول الله صلعم
قال اتقوا الله فيما ملكت ايمانكم اطعموهم مما تاكلون واكسوهم مما تلبسون ولا تكلفوهم من العمل ما لا
يطيقون فما احببتم فامسكوا وما كرهتم فبيعوا ولا تعذبوا خلق الله تعالى فان الله تعالى ملككم اياهم
ولو شاء ملكهم اياكم احياء العلوم وقال النبي صلى الله عليه وسلم ان المستهزئين بالناس يفتح لاحدهم
في اقصاء الشر وهو منهي عنه ما فيه من باب الجنة فيقال هلم فيجئ بكربه وغمه فاذا اتاه اغلق دونه
الايذاء والنهاون بحق الاحد جاء ثم يفتح له باب آخر فيقال له هلم فيجئ بكربه وغمه فاذا اتاه
اغلق دونه فما يزال كذلك حتى ان الرجل ليفتح له الباب فيقال
هلم فما ياتيه احياء العلوم قال النبي صلى الله عليه وسلم
الحسد يأكل الحسنات كما يأكل النار الحطب وحقيقته
ان يكره نعمة الله على اخيه فيحب زوالها عنه فان كان لا
يكره ذلك لاخيه ولا يريد زوالها ولكن يريد لنفسه مثل
ذلك فيسمى هذا غبطة قال النبي صلى الله عليه وسلم يغبط
المؤمن ويحسد المنافق يحد احياء العلوم
قال النبي صلى الله عليه وسلم طوبى لمن امسك الفضل من لسانه
وانفق الفضل من ماله قال النبي عليه السلام من صحت نجا صدق رسول الله
يا خاطب الدنيا الى نفسها تنح عن خطبتها تسلم ان الذي تخطب غدارة
قربت الوس من الخاتم قال اذا امتحن الدنيا كبت وكسفت
باد اقد الليل مرورا ياوله ان الحوادث قد يطرقن اسحارا
كر الليال اقبالا و ادبارا

احياء العلوم

ایا طالب القرآن حلا موافقا اذا کنت ماست العلوم بدقة
لتفهمه هذا یریک الحقایقا تراه علی کل النفاسة فائقا

رحیب اسد بیلا

کتاب تفسیر القاضی البیضاوی
رحمه الله رحمة واسعة

ذکر صاحب الکتاب تاج القراء ابو القاسم الکرمانی روح الله روحه فی تفسیره فی بیان قوله تعالی ان البقرة تشابه علینا وجهًا غریبًا وحاصله ان الفعل ذکر حملًا علی الجنس وقری فی الشواذ تشابهت بالتشدید وتاء التانیث واجمعوا علی خطائه وقال ابن مهران فی الشواذ ان العرب قد تزید علی تفعل وتفاعل فی الماضی تاء فتقول تتفعل وتتفاعل وانشد

تقطعت بی دونک الاسباب قال صاحب اللباب وهذا القول منه لیس بمرضی ولا البیت بمقبول وله عندی وجه غریب وهو ان یجعل التاء من البقرة والفعل اشابهت وکتب فی المصحف علی اللفظ کقراءة الکسائی الا یسجدوا والقیاس الا یا اسجدوا وکقوله

انی عبید ولا تخین مناص انتهی کلامه قلت قد ذکر المؤلف المفسر العلامة القاضی ناصر الدین عبد الله البیضاوی طیب الله ثراه فی آیة اخری من البقرة وهی تشابهت قلوبهم انهم قرؤها بتشدید الشین وقید به فلا مخلص ولا محیص فی توجیه صحتها الا ما ذهب الیه ابن مهران رحمه الله کما نقلنا اذ ذلک الاحتمال یمتنع هنا ولعل هذه القراءة الثابتة عند القاضی لم تثبت عند صاحب اللباب والا لکان ذاهبًا الی توجیه الآیة الاولی بحیث یتم الثانیة او صار ذاهلا عنها الذی توجیه الاولی وبالجملة الرجوع الی الحق اولی

فلیحه والله تعالی اعلم بالصواب بقره

ال عمران	نساء	مائده	انعام	اعراف	انفال
۱۰۱	۱۳۵	۱۷۰	۱۹۳	۲۱۸	۲۴۴

یونس	هود	یوسف	رعد	ابهم	حجر
۳۷۷	۲۹۰	۳۰۶	۳۲۲	۳۲۹	۳۳۷

نحل	بنی اسرائیل	کهف	
۳۴۳	۳۵۹	۳۷۳	

УНИВ. БИБЛИОТЕКА
К.И. Ер. 23662

قال النبی صلی الله علیه وسلم قال جعفر بن محمد اذا قعدتم مع الاخوان علی المائدة

قوموا اظفارکم بالسنة والادب فاطیبهم الطعوس فانها ساعة لا تحسب علیکم من اعمارکم

یمینًا اخوابس یادها او خشب وقال صلوا تنزل الملائکة تصلی علی احدکم مادامت

المائدة موضوعة بین حج تر قع

قال النبی صلی الله علیه وسلم وفی الخبر یقول الله عز وجل یوم القیامة یا ابن آدم جعت فلم

کل خلق مشتاق الی الجنة تطعمنی فیقول کیف اطعمک وانت رب العالمین فیقول جاع اخوک

والجنة مشتاق الی اربعة المسلم فلم تطعمه ولو اطعمته کنت قد اطعمتنی احیاء العلوم

اقوام اولها من الطعم خالیا

والثانی من کسی عریانا و وفی بعض الکتب المنزلة شر میلا عد مریضا وشر میلین

الثالث من یصوم شهر رمضان شیع جنازة شر ثلاثة امیال اجب دعوة احیاء العلوم

والرابع من یقراء القرآن صلی الله علی الرسول الله

صدق حبیب الله

التعریف علم باصول تعرف بها احوال البرهان وکل مستفاد الاداء

یوزن هنر موجود اولورسه هر قلکده فی المثل التی ات باعراب شافیه

اولسه دولت مساعد فائده قلمز هنر

قال السید الشریف ره

هفتاد دو سال علم تحصیل کردم آخر معلوم شد که هیچ معلوم نشد

هفتاد دو سال علم تحصیل کردم آخر معلوم شد که هیچ معلوم نشد

الباب فی اللغة عالم الملاء فلان الخط

وفی الزبیدیة عبارة عن اسم اشتق بعولة

منها خرج بها بیان العلم الحدیث اعنی علم اللغة

فلوقوله انه علم البنی بما هو هو بقیة

فی الحصص

کم عاقل عاقل تلقاه مرزوقا وجاهل جاهل تلقاه مرزوقا

کم عاقل عاقل اعیت مذاهبه وجاهل جاهل تلقاه مرزوقا

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا فتحدى باقصر سورة
من سور مصاقع الخطباء من العرب العرباء فلم يجد به قديرا وافحم من تصدى لمعارضته
من فصحاء عدنان وبلغاء قحطان حتى حسبوا انهم سحروا تسحيرا ثم بين للناس ما نزل اليهم
حسبما عن لهم من مصالحهم ليدبروا آياته وليتذكر اولوا الالباب تذكيرا فكشف
قناع الانغلاق عن آيات محكمات هن ام الكتاب واخر متشابهات هن رموز الخطاب
تأويلا وتفسيرا وابرز غوامض الحقايق ولطايف الدقايق ليتجلى لهم خفايا الملك والملكوت
وخبايا قدس الجبروت ليتفكروا فيها تفكيرا ومهد لهم قواعد الاحكام واوضاعها
من نصوص الآيات والماعها ليذهب عنهم الرجس ويطهرهم تطهيرا فمن كان له
قلب او القى السمع وهو شهيد فهو في الدارين حميد وسعيد ومن لم يرفع اليه راسه واطفى
نبراسه يعش ذميما وسيصلى سعيرا فيا واجب الوجود ويا فائض الجود ويا غاية كل مقصود
صل عليه صلوة توازي غناءه وعلى من اعانه وقرر بنيانه تقريرا وافض علينا من بركاتهم
واسلك بنا مسالك كراماتهم وسلم عليهم وعلينا تسليما كثيرا وبعد فان اعظم العلوم
مقدارا وارفعها شرفا ومنارا علم التفسير الذي هو رئيس العلوم الدينية وراسها ومبنى
قواعد الشرع واساسها لا يليق لتعاطيه والتصدي للتكلم فيه الا من برع في العلوم الدينية
كلها اصولها وفروعها وفاق في الصناعات العربية والفنون الادبية بانواعها ولطالما احدث
نفسي بان اصنف في هذا الفن كتابا يحتوي على صفوة ما بلغني من عظماء الصحابة وعلماء التابعين
ومن دونهم من السلف الصالحين وينطوي على نكت بارعة ولطائف رائعة استنبطتها انا
ومن قبلي من افاضل المتاخرين واماثل المحققين ويعرب عن القراءات المعزية الى الائمة
الثمانية المشهورين والشواذ المروية عن القراء المعتبرين الا ان قصور بضاعتي يثبطني عن الا
قدام ويمنعني عن الانتصاب في هذا المقام حتى سنح لي بعد الاستخارة ما صمم به عزمي على الشروع

فيما اردته والاتيان بما قصدته ناويا ان اسميه بعد ان اتممه بانوار التنزيل واسرار
التاويل فها انا الآن اشرع وبحسن توفيقه اقول وهو الموفق لكل خير ومعطي
كل سؤل **سورة فاتحة الكتاب** وتسمى ام القرآن لانها مفتتحه ومبداه فكانها اصله
ومنشاه ولذلك تسمى اساسا او لانها تشتمل على ما فيه من الثناء على الله تعالى والتعبد بامره
ونهيه وبيان وعده ووعيده او على جملة معانيه من الحكم النظرية والاحكام العملية
التي هي سلوك الطريق المستقيم والاطلاع على مراتب السعداء ومنازل الاشقياء وسورة
الكنز والوافية والكافية لذلك وسورة الحمد والشكر والدعاء وتعليم المسئلة
لاشتمالها عليها والصلوة لوجوب قراءتها او استحبابها فيها والشافية والشفاء لقوله
عليه السلام هي شفاء لكل داء والسبع المثاني لانها سبع آيات بالاتفاق الا ان منهم
من عد التسمية دون انعمت عليهم ومنهم من عكس وتثنى في الصلوة او الانزال ان صح
انها نزلت بمكة حين فرضت الصلوة وبالمدينة لما حولت القبلة وقد صح انها مكية لقوله تع
ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم وهو مكي **بسم الله الرحمن الرحيم**
من الفاتحة وعليه قراء مكة والكوفة وفقهاؤهما وابن المبارك والشافعي وخالفهم
قراء البصرة والمدينة والشام وفقهاؤها ومالك والاوزاعي ولم ينص ابو حنيفة
فيه بشيء فظن انها ليست من السورة عنده وسئل محمد بن الحسن عنها فقال ما بين الدفتين
كلام الله تعالى لنا احاديث كثيرة منها ما روى ابو هريرة انه عليه السلام قال فاتحة
الكتاب سبع آيات اوليهن بسم الله الرحمن الرحيم وقول ام سلمة قراء رسول الله صلى
الله عليه وسلم الفاتحة وعد بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله رب العالمين آية ومن اجلهما اختلف
في انها آية براسها او بما بعدها والاجماع على ان ما بين الدفتين كلام الله تعالى والوفاق
على اثباتها في المصاحف مع المبالغة في تجريد القرآن حتى لم يكتب آمين والباء متعلقة
بمحذوف تقديره بسم الله اقرا لان الذي يتلوه مقروء وكذلك يضمر كل فاعل ما يجعل

التسمية مبدأ له وذلك اولى من ان يضمر ابدؤ لعدم ما يطابقه ولعدم ما يدل عليه او ابتدائي
لزيادة اضمار فيه وتقديم المعمول ههنا اوقع كما في قوله تع بسم الله مجراها وقوله تعالى اياك
نعبد لانه اهم وادل على الاختصاص وادخل في التعظيم واوفق للوجود فان اسمه تع مقدم
على القراءة كيف وقد جعل آلة لها من حيث ان الفعل لا يتم ولا يعتد به شرعا ما لم يصدر باسمه
لقوله عليه السلام كل امر ذي بال لم يبدأ فيه ببسم الله فهو ابتر وقيل الباء للمصاحبة
والمعنى متبركا باسم الله اقرأ وهذا وما بعده مقول على السنة العباد ليعلموا كيف يتبرك
باسمه ويحمد على نعمه ويسأل من فضله وانما كسرت ومن حق الحروف المفردة ان تفتح
لاختصاصها بلزوم الحرفية والجر كما كسرت لام الامر ولام الاضافة داخلة على المظهر للفصل
بينها وبين لام الابتداء والاسم عند اصحابنا البصريين من الاسماء التي حذفت اعجازها
لكثرة الاستعمال وبنيت اوائلها على السكون وادخل عليها مبتدأ بها همزة الوصل لان من
دابهم ان يبتدؤا بالمتحرك ويقفوا على السكون ويشهد له تصريفه على اسماء واسامي وسمي وسميت
ومجيء سمى كهدى لغة فيه قال والله اسماك سمى مباركا آثرك الله به ايثاركا والقلب بعيد غير
مطرد واشتقاقه من السمو لانه رفعة للمسمى وشعار له ومن السمة عند الكوفيين واصله وسم
حذفت الواو وعوضت عنها همزة الوصل ليقل اعلاله ورد بان الهمزة لم تعهد داخلة على ما حذف
صدره في كلامهم ومن لغاته سم وسم قال بسم الذي في كل سورة سمه والاسم ان اريد به اللفظ
فغير المسمى لانه يتألف من اصوات مقطعة غير قارة ويختلف باختلاف الامم والاعصار ويتعدد
تارة ويتحد اخرى والمسمى لا يكون كذلك وان اريد به ذات الشيء فهو المسمى لكنه لم يشتهر بهذا المعنى
وقوله تعالى سبح اسم ربك المراد به اللفظ لانه كما يجب تنزيه ذاته وصفاته عن النقائص يجب
تنزيه الالفاظ الموضوعة لها عن الرفث وسوء الادب او الاسم فيه مقحم كما في قول
الشاعر الى الحول ثم اسم السلام عليكما وان اريد به الصفة عنده الى ما هو نفس المسمى والى ما هو غيره
والى ما ليس هو ولا غيره وانما قال بسم الله ولم يقل بالله لان التبرك والاستعانة بذكر اسمه

او للفرق بين اليمين والتيمن ولم يكتب الالف على ما هو وضع الخط لكثرة الاستعمال وطولت
الباء عوضا عنها والله اصله اله فحذفت الهمزة وعوض عنها الالف واللام ولذلك قيل
يا الله بالقطع الا انه مختص بالمعبود بالحق والاله في الاصل يقع على كل معبود ثم غلب على
المعبود بحق واشتقاقه من اله الاهة والوهة والوهية بمعنى عبد ومنه تأله
واستأله وقيل من اله اذا تحير لان العقول تتحير في معرفته او من الهت الى فلان اي
سكنت اليه لان القلوب تطمئن بذكره والارواح تسكن الى معرفته او من اله اذا فزع
من امر نزل عليه والهه غيره اجاره اذ العائذ يفزع اليه او هو يجيره حقيقة او بزعمه
او من اله الفصيل اذا ولع بامه اذ العباد مولعون بالتضرع اليه في الشدائد او من
وله اذا تحير وتخبط عقله وكان اصله ولاه فقلبت الواو همزة لاستثقال الكسرة
عليها استثقال الضم في وجوه فقيل آله كاعاء واشاح ويرده الجمع على آلهة دون
اولهة وقيل اصله لاه مصدر لاه يليه ليها ولاها اذا احتجب وارتفع لانه محجوب
عن ادراك الابصار ومرتفع على كل شيء وعما لا يليق به ويشهد له قول الشاعر كحلفة
من ابي رباح يسمعها لاهه الكبار وقيل علم لذاته المخصوصة لانه يوصف ولا
يوصف به ولانه لا بد من اسم يجري عليه صفاته ولا يصلح له مما يطلق عليه سواه ولانه
لو كان وصفا لم يكن قوله لا اله الا الله توحيدا مثل لا اله الا الرحمن فانه لا يمنع الشركة
والحق انه وصف في اصله لكنه لما غلب عليه بحيث لا يستعمل في غيره فصار كالعلم مثل
الثريا والصعق اجري مجراه في اجراء الاوصاف عليه وامتناع الوصف به وعدم تطرق
احتمال الشركة اليه لان ذاته من حيث هو بلا اعتبار امر آخر حقيقي او غيره غير معقول للبشر
فلا يمكن ان يدل عليه بلفظ ولانه لو دل على مجرد ذاته المخصوص لما افاد ظاهر قوله تع وهو الله
في السموات معنى صحيحا ولان معنى الاشتقاق هو كون احد اللفظين مشاركا للآخر
في المعنى والتركيب وهو حاصل بينه وبين الاصول المذكورة وقيل اصله لاها بالسريانية

فعرب بحذف الالف الاخيرة وادخال اللام عليه وتفخيم لامه اذا انفتح ما قبله او انضم سنة
وقيل مطلقا وحذف الفه لحن يفسد به الصلوة ولا ينعقد به صريح اليمين وقد جاء لضرورة
الشعر الا لا بارك الله في سهيل اذا ما الله بارك في الرجال **الرحمن الرحيم** اسمان بنيا للمبالغة
من رحم كالغضبان من غضب والعليم من علم والرحمة في اللغة رقة القلب وانعطاف
يقتضي التفضل والاحسان ومنه الرحم لانعطافها على ما فيها واسماء الله تعالى انما تؤخذ باعتبار
الغايات التي هي افعال دون المبادي التي تكون انفعالات والرحمن ابلغ من الرحيم لان زيادة
البناء تدل على زيادة المعنى كما في قطع وقطع وكبار وكبار وذلك انما يؤخذ تارة باعتبار
الكمية واخرى باعتبار الكيفية فعلى الاول قيل يا رحمن الدنيا لانه يعم المؤمن والكافر
ورحيم الآخرة لانه يخص المؤمن وعلى الثاني قيل يا رحمن الدنيا والآخرة ورحيم الدنيا لان
النعم الاخروية كلها جسام واما النعم الدنيوية فجليلة وحقيرة وانما قدم والقياس يقتضي
الترقي من الادنى الى الاعلى لتقدم رحمة الدنيا ولانه صار كالعلم من حيث انه لا يوصف به
غيره لان معناه المنعم الحقيقي البالغ في الرحمة غايتها وذلك لا يصدق على غيره لان من عداه
فهو مستفيض بلطفه وانعامه يريد به جزيل ثواب او جميل ثناء او مزيل رقة الجنسية
او حب المال عن القلب ثم انه كالواسطة في ذلك لان ذات النعم ووجودها والقدرة
على ايصالها والداعية الباعثة عليه والتمكن من الانتفاع بها والقوى التي بها يحصل
الانتفاع الى غير ذلك من خلقه لا يقدر عليها احد غيره او لان الرحمن لما دل على جلايل النعم
واصولها ذكر الرحيم ليتناول ما خرج منها فيكون كالتتمة والرديف له او للمحافظة على
رؤس الآي والاظهر انه غير منصرف وان حظر اختصاصه بالله ان يكون له مؤنث على فعلى او
فعلانة الحاقا له بما هو الغالب في بابه وانما خص التسمية بهذه الاسماء ليعلم العارف ان المستحق
لان يستعان به في مجامع الامور هو المعبود الحقيقي الذي هو مولى النعم كلها وآجلها جليلها
وحقيرها فيتوجه بسر اسره الى جناب القدس ويتمسك بحبل التوفيق ويشغل سره بذكره والا

ستمداد به

ستمداد به عن غيره **الحمد لله** الحمد هو الثناء على الجميل الاختياري من نعمة او غيرها والمدح
هو الثناء على الجميل مطلقا تقول حمدت زيدا على علمه وكرمه ولا تقول حمدته على حسنه
بل مدحته وقيل هما اخوان والشكر مقابلة النعمة قولا وعملا واعتقادا قال
افادتكم النعماء مني ثلثة يدي ولساني والضمير المحجبا فهو اعم منهما من وجه واخص من آخر
ولما كان الحمد من شعب الشكر اشيع للنعمة وادل على مكانها لخفاء الاعتقاد وما في
اداب الجوارح من الاحتمال جعل راس الشكر والعمدة فيه فقال عليه السلام الحمد
راس الشكر ما شكر الله من لم يحمده والذم نقيض الحمد والكفران نقيض الشكر
ورفعه بالابتداء وخبره لله واصله النصب وقد قرئ به وانما عدل عنه الى الرفع
ليدل على عموم الحمد وثباته له دون تجدده وحدوثه وهو من المصادر التي تنصب بافعال
مضمرة لا تكاد تستعمل معها والتعريف فيه للجنس ومعناه الاشارة الى ما يعرفه كل احد
ان الحمد ما هو او للاستغراق اذ الحمد في الحقيقة كله له اذ ما من خير الا وهو موليه
بوسط او غير وسط كما قال وما بكم من نعمة فمن الله وفيه اشعار بانه تع حي قادر مريد
عالم اذ الحمد لا يستحقه الا من كان هذا شانه وقرئ الحمد لله باتباع الدال اللام
وبالعكس تنزيلا لهما من حيث انهما يستعملان معا منزلة كلمة واحدة **رب**
العالمين الرب في الاصل بمعنى التربية وهو تبليغ الشيء الى كماله شيئا فشيئا ثم وصف به
للمبالغة كالصوم والعدل وقيل هو نعت من ربه يربه فهو رب كقولك نم ينم فهو
نم سمي به المالك لانه يحفظ ما يملكه ويربيه ولا يطلق على غيره تعالى الا مقيدا كقوله ارجع
الى ربك والعالم اسم لما يعلم به كالخاتم والقالب غلب فيما يعلم به الصانع وهو كل ما سواه
من الجواهر والاعراض لامكانها وافتقارها الى مؤثر واجب لذاته تدل على وجوده وانما
جمعه ليشمل ما تحته من الاجناس المختلفة وغلب العقلاء منهم فجمعه بالياء والنون كسائر
اوصافهم وقيل اسم لذوي العلم من الملائكة والثقلين وتناوله لغيرهم على سبيل الاستتباع

وقيل عني به الناس ههنا فان كل واحد منهم عالم من حيث انه يشتمل على نظائر ما في العالم
الكبير من الجواهر والاعراض يعلم بها الصانع كما يعلم بما ابدعه في العالم فلذلك سوى بين
النظر فيهما وقال تعالى وفي انفسكم افلا تبصرون وقرئ رب العالمين بالنصب على المدح
او النداء او بالفعل الذي دل عليه الحمد وفيه دليل على ان الممكنات كما هي مفتقرة الى المحدث
حال حدوثها فهي مفتقرة الى المبقي حال بقائها الرحمن الرحيم كرر للتعليل على ما سنذكره
مالك يوم الدين قراءة عاصم والكسائي ويعقوب ويعضده قوله تعالى يوم لا تملك نفس
لنفس شيئا والامر يومئذ لله والباقون ملك وهو المختار لانه قراءة اهل الحرمين ولقوله
لمن الملك اليوم ولما فيه من التعظيم والمالك هو المتصرف في الاعيان المملوكة كيف شاء
من الملك والملك هو المتصرف بالامر والنهي في المامورين من الملك وقرئ ملك
بالتخفيف وملك بلفظ الفعل ومالكا بالنصب على المدح او الحال ومالك بالرفع منونا
ومضافا على انه خبر مبتداء محذوف وملك مضافا بالرفع والنصب ويوم الدين يوم الجزاء
ومنه كما تدين تدان وبيت الحماسة ولم يبق سوى العدوان دناهم كما دانوا اضاف اسم
الفاعل الى الظرف اجراء له مجرى المفعول به على الاتساع كقولهم يا سارق الليلة اهل الدار ومعناه
ملك الامور يوم الدين على طريقة ونادى اصحاب الجنة اوله الملك في هذا اليوم على وجه
الاستمرار لتكون الاضافة حقيقية معدة لوقوعه صفة للمعرفة وقيل الدين الشريعة
وقيل الطاعة والمعنى يوم جزاء الدين وتخصيص اليوم بالاضافة اما لتعظيمه او لتفرده
بنفوذ الامر فيه واجراء هذه الاوصاف على الله تعالى من كونه موجدا للعالمين ربا لهم منعما
عليهم بالنعم كلها ظاهرها وباطنها عاجلها واجلها مالكا لامورهم يوم الثواب والعقاب
للدلالة على انه الحقيق بالحمد لا احد احق به منه بل لا يستحقه على الحقيقة سواه فان ترتب
الحكم على الوصف يشعر بعليته له وللاشعار من طريق المفهوم على ان من لم يتصف بتلك
الصفات لا يستاهل لان يحمد فضلا عن ان يعبد لتكون دليلا على ما بعده فالوصف الاول

لبيان ما هو الموجب للحمد وهو الايجاد والتربية والثاني والثالث للدلالة على انه متفضل
بذلك مختار فيه ليس يصدر منه لايجاب بالذات او وجوب عليه قضية لسوابق الاعمال
حتى يستحق به الحمد والرابع لتحقيق الاختصاص فانه مما لا يقبل الشركة فيه وتضمين الوعد للحامدين
والوعيد للمعرضين اياك نعبد واياك نستعين ثم انه لما ذكر الحقيق بالحمد ووصف بصفات
عظام تميز بها عن سائر الذوات وتعلق العلم بمعلوم معين فخوطب بذلك اي يا من هذا شانه
نخصك بالعبادة والاستعانة ليكون ادل على الاختصاص وكان المعلوم صار عيانا والمعقول
مشاهدا والغيبة حضورا بنى اول الكلام على ما هو مبادي حال العارف من الذكر والفكر
والتامل في اسمائه والنظر في الائه والاستدلال بصنايعه على عظيم شانه وباهر سلطانه ثم قفى
بما هو منتهى امره وهو ان يخوض لجة الوصول ويصير من اهل المشاهدة فيراه عيانا ويناجيه
شفاها اللهم اجعلنا من الواصلين الى العين دون السامعين للاثر ومن عادة العرب التفنن
في الكلام والعدول من اسلوب الى آخر تطرية له وتنشيطا للسامع فيعدل من الخطاب الى الغيبة
ومن الغيبة الى التكلم وبالعكس كقوله تع حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح وقوله تع والله
الذي ارسل الرياح فتثير سحابا فسقناه وقول تطاول ليلك بالاثمد ونام الخلي ولم ترقد وبات
وباتت له ليلة كليلة ذي العائر الارمد وذلك من نبا جاءني وخبرته عن ابي الاسود وايا
ضمير منصوب منفصل وما يلحقه من الياء والكاف والهاء حروف زيدت لبيان التكلم والخطاب
والغيبة لا محل لها من الاعراب كالتاء في انت والكاف في ارايتك وقال الخليل ايا مضاف
اليها واحتج بما حكاه عن بعض العرب اذا بلغ الرجل الستين فاياه وايا الشواب وهو شاذ لا يعتمد
عليه وقيل هي الضماير وايا عمدة فانها لما فصلت عن العوامل تعذر النطق بها مفردة فضم اليها
ايا لتستقل به وقيل الضمير المجموع وقرئ اياك بفتح الهمزة وهياك بقلبها هاء اقصى غاية
الخضوع والتذلل ومنه طريق معبد اي مذلل وثوب ذو عبدة اذا كان في غاية الصفاقة
ولذلك لا تستعمل الا في الخضوع لله تع والاستعانة طلب المعونة وهي اما ضرورية او غير ضرورية

والترقي من البرهان الى العيان
والانتقال من الغيبة الى
الشهود

قوله للقارئ ومن معه من الحفظة الا ان كان في الصلوة ومنفردا بناء على ما ورد
في الحديث ان الرجل اذا حضر وقت الصلوة فليتوضأ فان لم يجد ماء فليتيمم
فان اتم صلى معه ملكاه وان اذن واقام صلى خلفه من جنود لا يرى طرفاه وان كان مع الجماعة فالتصريح له مع حاضري صلوة
الجماعة اي للقارئ وسائر الموحدين ان كان خارج الصلوة

والضرورية ما لا يتأتى الفعل دونه كاقتدار الفاعل وتصوره وحصول آلة ومادة يفعل
بها فيها وعند سجاعها توصف الرجل بالاستطاعة ويصح ان يكلف بالفعل وغير الضرورة
تحصيل ما يتيسر به الفعل ويسهل كالراحلة في السفر للقادر على المشي او تقريب الفاعل الى الفعل
ويحثه عليه وهذا القسم لا يتوقف عليه صحة التكليف والمراد طلب المعونة في المهمات
كلها اعني في اداء العبادات والضمير المستكن في الفعلين للقارئ ومن معه من الحفظة
وحاضري صلوة الجماعة او له ولسائر الموحدين ادرج عبادته في تضاعيف عبادتهم
وخلط حاجته بحاجتهم لعلها تقبل بسببهم وتجاب اليها ولهذا شرعت الجماعة وقدم
المفعول للتعظيم والاهتمام به والدلالة على الحصر ولذلك قال ابن عباس معناه ولا نعبد
غيرك وتقديم ما هو مقدم في الوجود والتنبيه على ان العابد ينبغي ان يكون نظره الى المعبود
اولا بالذات ومنه الى العبادة لا من حيث انها عبادة صدرت عنه بل من حيث انها منسبة
شريفة اليه ووصلة بينه وبين الحق فان العارف انما يحق وصوله اذا استغرق في ملاحظة
جناب القدس وغاب عما عداه حتى انه لا يلاحظ نفسه ولا حالا من احوالها الا من حيث
انها ملاحظة له ومنتسبة اليه ولذلك فضل ما حكي الله عن حبيبه حين قال انه تعالى
ان الله معنا على ملحكاه عن كليمه قال ان معي ربي سيهدين وكرر الضمير للتنصيص على ان
المستعان لا غير وقدمت العبادة على الاستعانة ليوافق رؤس الآي ويعلم منه ان
تقديم الوسيلة على طلب الحاجة ادعى الى الاجابة واقرب لما ناسب لتكلم العبادة الى نفسه
او هم ذلك تحجا واعتدادا منه لما يصدر عنه فعقبه بقوله واياك نستعين ليدل
على ان العبادة ايضا معونة الا تتم ولا يستحق له الا بمعونة منه وتوفيق وقيل الواو
للحال والمعنى نعبدك مستعينين بك وقرئ بكسر النون فيهما وهي لغة بني تميم فانهم يكسرون
حروف المضارعة سوى الياء اذا لم ينضم ما بعدها اهدنا الصراط المستقيم بيان للمعونة
المطلوبة فكانه قال كيف اعينكم فقالوا اهدنا او افراد لما هو المقصود الاعظم والهداية

دلالة

قوله وصوب الوصول اي وصب الله الوصول حين يتوفى
اي عفو بذله بنسبة مقدم ذو

دلالة بلطف ولذلك تستعمل في الخير وقوله تع فاهدوهم الى صراط الجحيم على التهكم
ومنه الهدية وهوادي الوحش لمقدمتها والفعل منه هدى واصله ان يعدى باللام
او الى فعومل معاملة اختار في قوله تعالى واختار موسى قومه وهداية الله تعالى تتنوع
انواعا لا تحصيها عد لكنها تنحصر في اجناس مترتبة الاول افاضة القوى التي بها يتمكن المرء
من الاهتداء الى مصالحه كالقوة العقلية والحواس الباطنة والمشاعر الظاهرة والثاني
نصب الدلائل الفارقة بين الحق والباطل والصلاح والفساد واليه اشار حيث قال
وهديناه النجدين وقال فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى والثالث الهداية بارسال
الرسل وانزال الكتب واياها عنى بقوله وجعلنا ثم ائمة يهدون بامرنا وقوله
ان هذا القرآن يهدي للتي هي اقوم والرابع ان يكشف على قلوبهم السرائر ويريهم الاشياء
كما هي بالوحي والالهام والمنامات الصادقة وهذا قسم يختص بنيله الانبياء والاولياء
واياه عنى بقوله اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده وقوله والذين جاهدوا
فينا لنهدينهم سبلنا فالمطلوب اما زيادة ما منحوهم من الهدى والثبات عليه فاذا قاله
العارف الواصل عنى به ارشدنا طريق السير فيك لنتخلص عن ظلمات احوالنا ونتمطى عوالي
ابدا بتا لنستضئ بنور قدسك فزاك بنورك والامر والدعاء يتشاركان لفظا ومعنى
وتيقا وتان بالاستعلاء والتسفل وقيل بالرتبة والسراط من شرط الطعام اذا ابتلعه
فكانه يبتلع السابلة ولذلك سمي لقما لانه يلتقمهم والصراط من قلب السين صادا ليطابق الطاء
في الاطباق وقد تشم الصاد صوت الزاء ليكون اقرب الى المستدل عنه وقرا ابن كثير ورويس
عن يعقوب بالاصل وحمزة بالاشمام والباقون بالصاد وهو لغة قريش والثابت في الامام
وجمعه سرط كذئب وهو كالطريق في التذكير والتانيث والمستقيم المستوي والمراد
به طريق الحق وهو كل ملة الاسلام صراط الذين انعمت عليهم
بدل من الاول ولا بد للكلام من ذلك وهو في حكم تكرير العامل من حيث انه المقصود بالنسبة وفائدة التاكيد والتنصيص على ان

برواية قبل ح

فان قيل السالك انما يتبين وصوله بعد
قوله بحجوه وسبط قلنا والا ان المهم هو الظفر بالمطلوب
العارضة ذا السير الماسة به والمطلوب محو ظلمات
غرض في السير اصح والعلة الاولى اتم والمراد بالمنعم
الرسل وما دون السبيل عليه افضل الصلوات واكمل
التحيات ما اخرجه المسلم في صحيحه من حديث
انه ليغان على قلبي واني لاستغفر الله في كل يوم
مائة مرة وفائدة ان الوصول لا ينقطع الدوام عليه
اضف اعمالك

12

طريق المسلمين هو المشهود عليه بالاستقامة على اكد وجه وابلغه لانه جعل كالتفسير والبيان
له فكانه من البين لا خفاء فيه ان الطريق المستقيم ما يكون طريق المؤمنين وقيل الذين
انعمت عليهم الانبياء وقيل اصحاب موسى وعيسى عليهما السلام قبل التحريف والنسخ
وقرئ صراط من انعمت عليهم والانعام ايصال النعمة وهي في الاصل الحالة التي يستلذها
الانسان فاطلقت لما يستلذه من النعمة وهي اللين ونعم الله وان كانت لا تحصى كما قال
وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها تنحصر في جنسين دنيوي واخروي والاول قسمان موهبي
وكسبي والموهبي قسمان روحاني كنفخ الروح فيه واشراقه بالعقل وما يتبعه من القوى
كالفهم والفكر والنطق وجسماني كتخليق البدن والقوى الحالة فيه والهيئات العارضة
له من الصحة وكمال الاعضاء والكسبي تزكية النفس عن الرذائل وتحليتها بالاخلاق
والملكات الفاضلة وتزيين البدن بالهيئات المطبوعة والحلي المستحسنة وحصول الجاه
والمال والثاني ان يغفر ما فرط منه ويرضى عنه ويبوئه في اعلى عليين مع الملائكة المقربين
ابد الآبدين والمراد هو القسم الاخير وما يكون وصلة الى نيله من القسم الآخر فان ما عدا ذلك
يشترك فيه المؤمن والكافر غير المغضوب عليهم ولا الضالين بدل من الذين على ان المنعم
عليهم هم الذين سلموا من الغضب والضلال او صفة له مبينة او مقيدة على معنى ان المنعم عليهم
هم الذين سلموا من الغضب والضلال وذلك انما يصح باحد تاويلين اجراء الموصول مجرى
النكرة اذ لم يقصد به معهود كالمحلى في قوله ولقد امر على اللئيم يسبني وقولهم اني لامر على
الرجل مثلك فيكرمني او جعل غير معرفة بالاضافة لانه اضيف الى ما له ضد واحد وهو المنعم
عليه فيتعين تعين الحركة من غير السكون وعن ابن كثير نصبه على الحال عن الضمير المجرور والعامل
انعمت او باضمار اعني او بالاستثناء ان فسر النعم بما يعم القبيلين والغضب ثوران النفس
ارادة الانتقام فاذا اسند الى الله تعالى اريد به المنتهى والغاية على ما مر وعليهم في محل الرفع
لانه نائب مناب الفاعل بخلاف الاول ولا مزيدة لتاكيد ما في غير من معنى النفي فكانه قال

لا المغضوب عليهم ولا الضالين ولذلك جاز انا زيدا غير ضارب كما جاز انا زيدا لا ضارب وان امتنع
انا زيدا مثل ضارب وقرئ وغير الضالين والضلال العدول عن الطريق السوي عمدا او خطاء
وله عرض عريض والتفاوت ما بين ادناه واقصاه كثير قيل المغضوب عليهم اليهود لقوله تعالى
منهم من لعنه الله وغضب عليه والضالين النصارى لقوله تعالى قد ضلوا من قبل واضلوا
كثيرا وقد روي مرفوعا ويتجه ان يقال المغضوب عليهم العصاة والضالون الجاهلون بالله لان
المنعم عليه من وفق للجمع بين معرفة الحق لذاته والخير للعمل به وكان المقابل له من اختل احدى
قوتيه العاقلة والعاملة والمخل بالعمل فاسق مغضوب عليه لقوله تعالى في القاتل عمدا وغضب الله
عليه والمخل بالعلم جاهل ضال لقوله تعالى فماذا بعد الحق الا الضلال وقرئ ولا الضالين بالهمزة
على لغة من جد في الهرب من التقاء الساكنين آمين اسم الفعل الذي هو استجب وعن ابن عباس
سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن معناه قال افعل بني على الفتح كاين لالتقاء الساكنين
وجاء مد الفه وقصرها قال ويرحم الله عبدا قال آمينا وقال آمين فزاد الله ما بيننا بعدا
وليس من القرآن وفاقا لكن يسن ختم السورة به لقوله عليه السلام علمني جبرئيل آمين عند فراغي من
قراءة الفاتحة وقال انه كالختم على الكتاب وفي معناه قول علي رضي الله عنه آمين خاتم رب
العالمين يختم به دعاء عبده يقوله الامام ويجهر به في الجهرية لما روي عن وائل بن حجر انه عليه السلام
كان اذا قرأ ولا الضالين قال آمين ورفع بها صوته وعن ابي حنيفة رحمه الله انه لا يقوله والمشهور
عنه انه يخفيه كما رواه عبد الله بن مغفل وانس والماموم يؤمن معه لقوله عليه السلام
اذا قال الامام ولا الضالين قولوا آمين فان الملائكة تقول آمين وان الامام يقول آمين فمن
وافق تامينه تامين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه وعن ابي هريرة ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال لابي الا اخبرك بسورة لم تنزل في التورية والانجيل والقرآن مثلها
قلت بلى يا رسول الله قال فاتحة الكتاب انها السبع المثاني والقرآن العظيم الذي اوتيته وعن
ابن عباس رضي الله عنهما قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ اتاه ملك فقال ابشر بنورين

اوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة لن تقرأ حرفا منهما الا اعطيته
وعن حذيفة بن اليمان ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان القوم ليبعث الله عليهم العذاب
حتما مقضيا فيقرأ صبي من صبيانهم في الكتاب الحمد لله رب العالمين فيسمعه الله تعالى فيرفع عنهم
بذلك العذاب اربعين سنة

سورة البقرة مدنية وآيها مائتان وسبع وثمانون

بسم الله الرحمن الرحيم الم وسائر الالفاظ التي تتهجى
بها اسماء مسمياتها الحروف التي ركبت منها الكلم لدخولها في حد الاسم واعتوار ما يخص به
من التعريف والتنكير والجمع والتصغير ونحو ذلك عليها وبه صرح الخليل وابو علي وما روى
ابن مسعود انه عليه السلام قال من قرأ حرفا من كتاب الله فله حسنة والحسنة بعشر
امثالها لا اقول الم حرف بل الف حرف ولام حرف وميم حرف فالمراد به غير المعنى الذي اصطلح
عليه فان تخصيصه به عرف مجدد بل المعنى اللغوي ولعله سماه باسم مدلوله ولما كانت مسمياتها
حروفا وحدانا وهي مركبة صدرت بها ليكون تاديتها بالمسمى اول ما يقرع السمع واستعيرت
الهمزة مكان الالف لتعذر الابتداء بها وهي ما لم تلها العوامل موقوفة خالية عن الاعراب لفقد
موجبه ومقتضيه لكنها قابلة اياه معرضة له اذ لم تناسب مبنى الاصل ولذلك قيل ص
وق مجموعا فيهما بين ساكنين ولم تعامل معاملة اين وهؤلاء ثم ان مسمياتها لما كانت
عنصر الكلام وبسائطه التي تركب منها افتتحت السور بطائفة منها ايقاظا لمن تحدى بالقرآن
وتنبيها على ان المتلو عليهم كلام منظوم مما ينظمون منه كلامهم فلو كان من عند غير الله لما عجزوا
عن آخرهم مع تظاهرهم وقوة فصاحتهم عن الاتيان بما يدانيه وليكون اول ما يقرع مستقلا
بنوع من الاعجاز فان النطق باسماء الحروف مختص بمن خط ودرس فاما من الامي الذي لم يخالط
الكتاب فمستبعد مستغرب خارق للعادة كالكتابة والتلاوة سيما وقد راعى في ذلك ما يعجز عنه
الاديب الاريب الفائق في فنه وهو انه اورد في هذه الفواتح اربعة عشر اسما هي نصف اسامي
حروف المعجم ان لم يعد الالف فيها حرفا برأسها في تسع وعشرين سورة بعددها اذا عد فيها

الالف مشتملة على انصاف انواعها فذكر من المهموسة وهي ما يضعف الاعتماد على مخرجه
ويجمعها ستشحثك خصفه نصفها الحاء والهاء والصاد والسين والكاف ومن
البواقي المجهورة نصفها يجمعه لن يقطع امر ومن الشديدة الثمانية المجموعة في اجدت طبقك
اربعة يجمعها اقطك ومن البواقي الرخوة عشرة يجمعها حمس على نصره ومن المطبقة
التي هي الصاد والطاء والضاد والظاء نصفها ومن البواقي المنفتحة نصفها ومن القلقلة
وهي حروف تضطرب عند خروجها ويجمعها قد طبج نصفها الاقل لقلتها ومن اللينين
الياء لانها اقل ثقلا ومن المستعلية وهي التي يتصعد الصوت بها في الحنك الاعلى وهي سبعة
القاف والصاد والطاء والخاء والغين والضاد والظاء نصفها الاكثر ومن البواقي
المنخفضة نصفها ومن حروف البدل وهي احد عشر على ما ذكره سيبويه واختاره ابن جني
ويجمعها اجد طويت منها الستة الشائعة المشهورة التي يجمعها اهطمين وقد زاد بعضهم
سبعة اخرى وهي اللام في اصيلال والصاد والزاء في صراط وزراط والفاء في جدف
والعين في اعن والثاء في ثروغ الدلو والباء في باسمك حتى صارت ثمانية عشر وقد ذكر
منها تسعة الستة المذكورة واللام والصاد والعين ومما يدغم في مثله ولا يدغم في المقارب
وهي خمسة عشر الهمزة والهاء والعين والصاد والطاء والميم والياء والخاء والغين والضاد
والظاء والشين والزاء والواو والفاء نصفها الاقل ومما يدغم فيهما وهي الثلثة عشر الباقية
نصفها الاكثر الحاء والقاف والكاف والراء والسين واللام والنون لما في الادغام
من الخفة والفصاحة ومن الاربعة التي لا تدغم فيما قاربها ويدغم فيها مقاربها وهي الميم والراء
والشين والفاء نصفها ولما كانت الحروف الذلقية التي يعتمد عليها بذلق اللسان وهي ستة
يجمعها رب منفل والحلقية التي هي الحاء والخاء والعين والغين والهاء والهمزة كثيرة الوقوع
في الكلام ذكر ثلثيها ولما كانت ابنية المزيد لا تتجاوز عن السباعية ذكر من الزوائد العشرة
التي يجمعها اليوم تنساه سبعة احرف منها تنبيها على ذلك ولو استقريت الكلم وتراكيبها

وجدت الحروف المتروكة من كل جنس مكثورة بالمذكورة ثم انه ذكرها مفردة وثنائية وثلاثية
ورباعية وخماسية ايذانا بان المتحدى به مركب من كلماتهم التي اصولها كلمات مفردة ومركبة
من حرفين فصاعدا الى الخمسة وذكر ثلث مفردات في ثلث سور لانها توجد في الاقسام الثلثة
الاسم والفعل والحرف واربع ثنائيات لانها تكون في الحرف بلا حذف كبل وفي الفعل بحذف
كقل وفي الاسم بغير حذف كمن وبه كدم في تسع سور لوقوعه في كل واحد من الاقسام الثلثة
على ثلثة اوجه ففي الاسماء من واذ وذو وفي الافعال قل وبع وخف وفي الحروف ان ومن
ومذ على لغة من جر بها وثلث ثلاثيات لمجيئها في الاقسام الثلثة على ثلثة في ثلث عشرة سورة
تنبيها على ان اصول الابنية المستعملة ثلثة عشر عشرة منها للاسماء وثلثة للافعال ورباعيتين
وخماسيتين تنبيها على ان لكل منها اصلا كجعفر وسفرجل وملحقا كقردد وجحنفل ولعلها
فرقت على السور ولم تعد باجمعها في اول القرآن لهذه الفائدة مع ما فيه من اعادة التحدي
وتكرير التنبيه والمبالغة فيه والمعنى هذا المتحدى به مؤلف من جنس هذه الحروف او المؤلف
منها كذا وقيل هي اسماء السور وعليه اطباق الاكثر سميت بها اشعارا بانها
كلمات معروفة التركيب فلو لم تكن وحيا من الله لم يتساقط مقدرتهم دون معارضتها
واستدل عليه بانها لو لم تكن مفهمة كان الخطاب بها كالخطاب بالمهمل والتكلم بالزنجي
مع العربي ولم يكن القرآن باسره بيانا وهدى ولما امكن التحدي به وان كانت مفهمة
فاما ان يراد بها السور التي هي مستهلها على انها القابها او غير ذلك والثاني باطل لانه اما ان
يكون المراد ما وضعت له في لغة العرب وظاهر انه ليس كذلك او غيره وهو باطل لان القرآن
نزل على لغتهم لقوله تعالى بلسان عربي مبين فلا يحمل على ما ليس في لغتهم لا يقال لم لا يجوز
ان تكون مزيدة للتنبيه والدلالة على انقطاع كلام واستيناف آخر كما قاله قطرب او اشارة
الى كلمات هي منها اقتصرت عليها اقتصار الشاعر في قوله قلت لها قفي فقالت قاف
كما روي عن ابن عباس رض انه قال الالف آلاء الله واللام لطفه والميم ملكه وعنه

ان

ان الروحم ون مجموعها الرحمن وعنه ان الم معناه انا الله اعلم ونحو ذلك في سائر الفواتح
وعنه ان الالف من الله واللام من جبرئيل والميم من محمد اي القرآن منزل من الله
بلسان جبرئيل على محمد عليهما السلام او الى مدد اقوام وآجال بحساب الجمل كما قاله ابو العالية
متمسكا بما روي انه عليه السلام لما اتاه اليهود تلا عليهم الم البقرة فحسبوه وقالوا كيف
ندخل في دين مدته احدى وسبعون سنة فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا
فهل غيره فقال المص والر والمر فقالوا خلطت علينا فلا نرى بايها ناخذ فان تلاوته
اياها بهذا الترتيب عليهم وتقريرهم على استنباطهم دليل على ذلك وهذه الدلالة وان لم تكن
عربية لكنها لاشتهارها فيما بين الناس حتى العرب تلحقها بالمعربات كالمشكاة والسجيل والقسطاس
او دالة على الحروف المبسوطة مقسما بها لشرفها من حيث انها بسائط اسماء الله تعالى ومادة
خطابه هذا وان القول بانها اسماء السور يخرجها الى ما ليس في لغة العرب لان التسمية بثلثة
اسماء فصاعدا مستنكرة عندهم ويؤدي الى اتحاد الاسم والمسمى ويستدعي تاخر الجزء عن الكل
من حيث ان الاسم يتاخر عن المسمى بالرتبة لانا نقول هذه الالفاظ لم تعهد مزيدة للتنبيه
والدلالة على الانقطاع والاستيناف يلزمها وغيرها من حيث انها فواتح السور ولا تقتضي
ذلك ان لا يكون لها معنى في حيزها ولم تستعمل للاختصار من كلمات معينة في لغتهم
اما الشعر فشاذ واما قول ابن عباس فتنبيه على ان هذه الحروف منبع الاسماء ومبادي
الخطاب وتمثيل بامثلة حسنة الا ترى انه عد كل حرف من كلمات متباينة لا تفسير وتخصيص
بهذه المعاني دون غيرها اذ لا مخصص لفظا ومعنى ولا لحساب الجمل فيلحق بالمعربات والحديث
لا دليل فيه لجواز انه تبسم تعجبا من جهلهم وجعلها مقسما بها وان كان غير ممتنع لكنه يحوج الى
اضمار اشياء لا دليل عليها والتسمية بثلثة اسماء انما يمتنع اذا ركبت وجعلت اسما واحدا على طريقة
بعلبك فاما اذا نثرت نثر اسماء العدد فلا وناهيك بتسوية سيبويه بين التسمية بالجملة والبيت
من الشعر وطائفة من اسماء حروف المعجم والمسمى هو مجموع السورة والاسم جزؤها

فلا اتحاد وهو مقدم من حيث ذاته ومؤخر باعتبار كونه اسما فلا دور والوجه الاول اقرب
الى التحقيق واوفق للطايف التنزيل واسلم من لزوم النقل ووقوع الاشتراك في الاعلام
من واضع واحد فانه يعود بالنقض على ما هو مقصود العلية وقيل انها اسماء القرآن ولذلك
اخبر عنها بالكتاب والقرآن وقيل انها اسماء الله تعالى ويدل عليه ان عليا رض كان يقول يا
كهيعص يا حمعسق ولعله اراد بالمشرفها وقيل الالف من اقصى الحلق وهو مبدأ المخارج واللام
من طرف اللسان وهو وسطها والميم من الشفة وهي آخرها جمع بينها ايماء الى ان العبد ينبغي ان
يكون اول كلامه واوسطه واخره ذكر الله تعالى وقيل انه سر استأثر الله تعالى بعلمه وقد روى
عن الخلفاء الاربعة وغيرهم من الصحابة ما يقرب منه ولعلهم اراد وا انها اسرار بين الله تعالى
ورسوله وزمور لم يقصد بها افهام غيره اذ يبعد الخطاب بما لا يفيد فان جعلتها اسماء الله ع
او القرآن او السورة كان لها حظ من الاعراب اما الرفع على الابتداء او الخبر والنصب بتقدير فعل القسم
على طريقة آلله لافعلن بالنصب او غيره كاذكروا والجر على اضمار حرف القسم ويتأتى الاعراب لفظا
والحكاية فيما كانت مفردة او موازنة لمفردهم فانها كهابيل ولكنها ليس الا فيما عدا ذلك وسيجيء
الك ذكره مفصلا ان شاء الله تعالى واتفقها على معانيها فان قدرت بالمؤلف من هذه الحروف
كان في حين الرفع بالابتداء او الخبر على ما مر وان جعلتها مقسما بها يكون كل كلمة منها
منصوبا او مجرورا على اللغتين في الله لافعلن وتكون جملة قسمية بالفعل المقدر له وان جعلتها
اسماء كلمات او اصواتا منزلة منزلة حروف التهجي لم يكن لها محل من الاعراب كالجمل
المبتدأة والمفردات المعدودة ويوقف عليها وقف التمام اذا قدرت بحيث لا تحتاج الى ما بعدها
وليس شيء منها آية عند غير الكوفيين واما عندهم فالمر في مواقعها والمص وكهيعص وطه وطسم
وحم آية وحم عسق آيتان والبواقي ليست بآيات وهنا توقف لا مجال للقياس فيه
ذلك الكتاب ذلك اشارة الى الم ان اولنا بالمؤلف عن هذه الحروف او فسرنا بالسورة او القرآن فانه
لما تكلم به وتقضى ووصل من المرسل الى المرسل اليه صار متباعدا وتذكيره متى اريد بالم السورة
او بالقرآن لتذكير الخبر كقوله
لمياء في شفتيها حوة لعس
وفاتر الطرف قلاه كالسنن
او لتأويل المشار اليه بالمذكور او لان الكتاب في الاصل مصدر كالحساب والبلاغ بمعنى الكتابة
والمكتوب ثم غلب على المدون بين الدفتين من الصحف ثم على الصحف المشتملة على الاحكام
الشرعية والقصص والمواعظ التي انزلت على الانبياء ع ثم على القرآن خاصة كما غلب النجم
على الثريا والسفر على التوراة والكتاب على كتاب سيبويه وقد يطلق على الجنس كقوله
ولقد امر على اللئيم يسبني
فمضيت ثمة قلت لا يعنيني
وقيل هو علم للقرآن في اللوح المحفوظ كالفرقان وقيل هو اسم سماوي للقرآن كالتوراة والانجيل
وقيل هو اسم للسورة المقتطعة من القرآن كالسورة والآية والكلمة
لا ريب فيه الريب الشك الذي لا يستند الى امر يقتضي التهمة وانما سمي به الشك لانه يقلق النفس
ويزيل الطمانينة وفي الحديث دع ما يريبك الى ما لا يريبك فان الشك ريبة والصدق طمانينة ومنه ريب
الزمان لنوايبه هدى للمتقين يهديهم الى الحق والهدى في الاصل مصدر كالسرى والتقى
ومعناه الدلالة وقيل الدلالة الموصلة الى البغية لانه جعل مقابل الضلالة قال الله تعالى
هدى او في ضلال مبين ولانه لا يقال مهدي الا لمن اهتدى كالواختصاصه بالمتقين لانهم المهتدون
به والمنتفعون بهديه وان كانت دلالته عامة لكل ناظر من مسلم وكافر وهذا الاعتبار قالوا
هدى للناس او لانه لا ينتفع بالتأمل فيه الا من صقل العقل واستعمله في تدبر الدلايل والآيات
والنظر في المعجزات وتعرف النبوات لانه كالغذاء الصالح لحفظ الصحة فانه لا يجلب نفعا
لمن لم تكن الصحة حاصلة وعلى هذا قوله تعالى وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين
ولا يزيد الظالمين الا خسارا ولا يقدح ما فيه من المجمل والمتشابه في كونه هدى لما لم تنفك
عن بيان تعين المراد منه والمتقي اسم فاعل من فعلهم وقاه فاتقى والوقاية فرط الصيانة

وهو في عرف الشرع اسم لمن يقي نفسه عما يضره في الآخرة وله ثلث مراتب الاولى التوقي عن
العذاب المخلد بالتبرء عن الشرك وعليه قوله تعالى والزمهم كلمة التقوى والثانية التجنب عن كل
ما يؤثم من فعل او ترك حتى الصغائر عند قوم وهو المتعارف باسم التقوى في الشرع والمعني بقوله
ولو ان اهل القرى آمنوا واتقوا والثالثة ان يتنزه عما يشغل سره عن الحق ويتبتل اليه بشراشره
وهو التقوى الحقيقي المطلوب بقوله واتقوا الله حق تقاته وقد فسروا قوله هدى للمتقين
على الاوجه الثلثة والآية تحتمل اوجها من الاعراب ان يكون الم مبتدأ على انه اسم القرآن
او السورة او مقدرة بالمؤلف منها وذلك خبره وان كان اخص من المؤلف مطلقا والاصل
ان الاخص لا يحمل على الاعم لان المراد به المؤلف الكامل في تاليفه البالغ اقصى درجات
الفصاحة ومراتب البلاغة والكتاب صفة ذلك وان يكون الم خبر مبتدأ محذوف وذلك
خبرا ثانيا او بدلا والكتاب صفته وريب في المشهورة مبني لتضمنه معنى من منصوب المحل بلا النافية
للجنس العاملة عمل ان لانها نقيضتها ولازمة للاسماء لزومها وفي قراءة ابي الشعثاء مرفوع
بلا التي بمعنى ليس وفيه خبره ولم يقدم كما قدم في قوله تعالى لا فيها غول لانه لم يقصد تخصيص
نفي الريب به من بين سائر الكتب كما قصد ثم او صفته وللمتقين خبره وهدى نصب على الحال
او الخبر محذوف كما في لا ضير ولذلك وقف على لا ريب على ان فيه خبر هدى قدم عليه
لتنكيره والتقدير فيه لا ريب فيه فيه هدى وان يكون ذلك مبتدأ والكتاب خبره على معنى
انه الكتاب الكامل الذي يستاهل ان يسمى كتابا او صفته وما بعده خبره والجملة خبر
الم والاولى ان يقال انها اربع جمل متناسقة يقرر اللاحقة منها السابقة ولذلك لم يدخل
العاطف بينها فالم جملة دلت على ان المتحدى به هو المؤلف من جنس ما يركبون منه كلامهم
وذلك الكتاب جملة ثانية مقررة لجهة التحدي بانه الكتاب المنعوت بغاية الكمال ثم سجل على
كماله بنفي الريب فيه لانه لا كمال اعلى مما للحق واليقين ثم اكد كونه حقا لا يحوم حوله الشك
بانه هدى للمتقين او يستتبع كل واحدة منها ما يليها استتباع الدليل للمدلول بيانه انه لما نبه

اولا على اعجاز المتحدى به من حيث انه من جنس كلامهم وقد عجزوا عن معارضته استنتج منه
انه الكتاب البالغ حد الكمال واستلزم ذلك ان لا يتشبث الريب باطرافه اذ لا
انقص مما يعتريه الشك والشبهة وما كان كذلك كان لا محالة هدى للمتقين وفي كل واحدة
منها نكتة ذات جزالة ففي الاولى الحذف والرمز الى المقصود مع التعليل وفي الثانية فخامة
التعريف وفي الثالثة تاخير الظرف حذرا عن ايهام الباطل وفي الرابعة الحذف والتوصيف
بالمصدر للمبالغة وايراده منكرا للتعظيم وتخصيص الهدى بالمتقين باعتبار الغاية
وتسمية المشارف للتقوى متقيا ايجازا وتفخيما لشانه **الذين يؤمنون بالغيب** اما
موصول بالمتقين على انه صفة مجرورة مقيدة له ان فسر التقوى بترك ما لا ينبغي مترتبة عليه
ترتب التحلية على التخلية والتصوير على التصقيل او موضحة ان فسر التقوى بما يعم فعل
الحسنات وترك السيئات لاشتماله على ما هو اصل الاعمال واساس الحسنات من الايمان
والصلوة والصدقة فانها امهات الاعمال النفسانية والعبادات البدنية والما
لية المستتبعة لسائر الطاعات والتجنب عن المعاصي غالبا الا ترى الى قوله ان الصلوة
تنهى عن الفحشاء والمنكر وقوله عليه السلام الصلوة عماد الدين والزكوة قنطرة الاسلام
او مادحة بما تضمنه وتخصيص الايمان بالغيب واقام الصلوة وايتاء الزكوة بالذكر
اظهار لفضلها على سائر ما يدخل تحت اسم التقوى او على انه مدح منصوب او مرفوع
بتقدير اعني او هم الذين واما مفصول عنه مرفوع بالابتداء وخبره اولئك على هدى فيكون
الوقف على المتقين تاما والايمان في اللغة عبارة عن التصديق ماخوذ من الامن كانه
آمن المصدق من التكذيب والمخالفة وتعديته بالباء لتضمنه معنى الاعتراف وقد يطلق
بمعنى الوثوق من حيث ان الواثق صار ذا امن ومنه ما آمنت ان اجد صحابة وكلا الوجهين
حسن في يؤمنون بالغيب واما في الشرع فالتصديق بما علم بالضرورة انه من دين محمد عليه السلام
كالتوحيد والنبوة والبعث والجزاء ومجموع ثلثة امور اعتقاد الحق والاقرار به والعمل

بمقتضاه عند جمهور المحدثين والمعتزلة والخوارج فمن اخل بالاعتقاد وحده فهو منافق
ومن اخل بالاقرار فكافر ومن اخل بالعمل ففاسق وفاقا وكافر عند الخوارج خارج عن
الايمان غير داخل في الكفر عند المعتزلة والذي يدل عليه انه للتصديق وحده انه تعالى اضاف الايمان الى القلب فقال كتب في قلوبهم الايمان وقلبه مطمئن بالايمان
ولم تؤمن قلوبهم ولما يدخل الايمان في قلوبكم وعطف عليه العمل الصالح في مواضع
لا تحصى وقرنه بالمعاصي فقال وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا يا ايها الذين آمنوا
كتب عليكم القصاص في القتلى الذين امنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم مع ما فيه من قلة
التغير لانا نقرب الى الاصل وهو معين الارادة في الآية اذا المعدى بالباء هو التصديق
وفاقا ثم اختلف في ان مجرد التصديق بالقلب هل هو كاف لانه المقصود ام لا بد
من اقتران الاقرار به للتمكن منه ولعل الحق هو الثاني لانه تعالى ذم المعاند اكثر من ذم
الجاهل المقصر ولما لم يكن الذم للانكار لعدم الاقرار والغيب مصدر
وصف به للمبالغة كالشهادة في قوله تعالى عالم الغيب والشهادة والعرب تسمي
المطمئن من الارض والخصية التي لا كلية غيبا وفعل خفف كفخذ والمراد به الخفي
الذي لا يدركه الحس ولا يقتضيه بديهة العقل وهو قسمان قسم لا دليل عليه وهو المعني
بقوله تعالى وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو وقسم نصب عليه دليل كالصانع وصفاته
واليوم الآخر واحواله وهو المراد به في الآية هذا اذا جعلته صلة للايمان واوقعته موقع
المفعول به وان جعلته حالا على تقدير ملتبسين بالغيب كان بمعنى الغيبة والخفاء
والمعنى انهم يؤمنون غائبين عنكم لا كالمنافقين الذين اذا لقوا الذين امنوا قالوا
آمنا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم او عن المؤمن به كما روي ان ابن مسعود
قال والذي لا اله غيره ما آمن احد افضل من ايمان بغيب ثم قرأ هذه الآية وقيل
المراد بالغيب القلب لانه مستور والمعنى يؤمنون بقلوبهم لكن يقولون بافواههم

مالیس في قلوبهم فالباء على الاول للتعدية وعلى الثاني للمصاحبة وعلى الثالث
للآلة ويقيمون الصلوة اي يعدلون اركانها ويحفظونها من ان يقع زيغ في افعالها
من اقام العود اذا قومه او يواظبون عليها من قامت السوق اذا نفقت واقمتها
اذا جعلتها نافقة قال * اقامت غزالة سوق الضراب لاهل العراقين حولا *
قميئا فانه اذا حوفظ عليها كان كالنافق الذي يرغب فيه واذا ضيعت كانت
كالكاسد المرغوب عنه او يتشمرون لادائها من غير فتور ولا توان من قولهم قام
بالامر واقامه اذا جد فيه وتجلد وضده قعد عن الامر وتقاعد او بودوا بها عن
الاداء بالاقامة لانشائها على القيام كما عبر عنها بالقنوت والركوع والسجود والتسبيح
والاول اظهر لانه اشهر وابلى الحقيقة اقرب وافيد للتضمنه التنبيه على ان الحقيق بالمدح
من راعى حدودها الظاهرة من الفرائض والسنن وحقوقها الباطنة من الخشوع
والاقبال بقلبه على الله تعالى لا المصلون الذين هم عن صلوتهم ساهون ولذلك ذكر
في سياق المدح والمقيمين الصلوة وفي معرض الذم فويل للمصلين والصلوة فعلة
من صلى اذا دعا كالزكوة من زكى كتبتا بالواو وعلى لفظ المفخم وانما سمي الفعل المخصوص
بها لاشتماله على الدعاء وقيل اصل صلى حرك الصلا لان المصلي يفعله في ركوعه
وسجوده واشتهار هذا اللفظ في المعنى الثاني مع عدم اشتهاره في الاول لا يقدح في نقله
عنه وانما سمي الداعي مصليا تشبيها له في تخشعه بالراكع والساجد ومما رزقناهم ينفقون والرزق في اللغة الحظ قال تعالى وتجعلون رزقكم انكم تكذبون
والعرف خصصه تخصيص الشيء بالحيوان للانتفاع به وتمكينه منه والمعتزلة لما استحالة
من الله ان يمكن من الحرام لانه منع من الانتفاع به وامر بالزجر عنه قالوا الحرام ليس
برزق الا ترى انه اسند الرزق ههنا الى نفسه ايذانا بانهم ينفقون الحلال
الطلق فان انفاق الحرام لا يوجب المدح وذم المشركين على تحريم بعض ما رزقهم الله

بقوله قل رايتم ما انزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا واصحابنا
جعلوا الاسناد للتعظيم والتحريض على الانفاق والذم لتحريم ما لم يحرم واختصاص ما رزقنا
هم بالحلال للقرينة ويتسكون بالشمول الرزق له بقوله عليه السلام في حديث عمرو بن قرة
لقد رزقك الله طيبا فاخترت ما حرم الله عليك من رزقه مكان ما احل الله لك من
حلاله وبانه لو لم يكن رزقا لم يكن المغتذى به طول عمره مرزوقا وليس كذلك لقوله
تعالى وما من دابة في الارض الا على الله رزقها واتفق الشيخان واتباعهما على ان الرزق
الا لفاظ وجدت كل ما فاء دون وعينه فاء دالا على معنى الذهاب والخروج والظاهر
من انفاق ما رزقهم الله صرف المال في سبيل الخير من الفرض والنفل ومن ثم فسر بالزكوة
ذكرا فضل انواعه والاصل فيه او خصصه بها لاقترانها بما هو شقيقها او تقديم
المفعول للاهتمام به والمحافظة على رؤس الاى وادخال من التبعيضية عليه للكف عن
الاسراف المنهى عنه ويحمل ان يراد به الانفاق من جميع المعاون التي آتاهم الله
من النعم الظاهرة والباطنة ويؤيده قوله عليه السلام ان علما لا يقال به ككنز لا
ينفق منه واليه ذهب من قال ومما خصصناهم به من انوار المعرفة يفيضون

والذين يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك هم مؤمنوا اهل الكتاب
كعبد الله بن سلام واضرابه معطوفون على الذين يؤمنون بالغيب داخلون معهم في جملة
المتقين دخول الخصين تحت اعم اذ المراد بالذين آمنوا عن شرك وانكار وبهؤلاء
مقابلوهم فكانت الايتان تفصيلا للمتقين وهو قول ابن عباس او على المتقين فكانه قال
هدى للمتقين عن الشرك والذين آمنوا من اهل الملل ويحتمل ان يراد بهم الاولون باعيانهم
ووسط العاطف كما وسط في قوله الى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتيبة والمرجم
وقوله يا لهف زيابة للحارث الصابح فالغانم فالآب على معنى انهم الجامعون بين الايمان
بما يدركه العقل جملة والايتان بما يصدقه من العبادات البدنية والمالية وبين

الحاصل ان المعطوف اما ان يكون مقابلا للمعطوف عليه مباينا له
اولا وعلى الاول اما ان يكون المعطوف عليه الذين يؤمنون بالغيب
او المتقين وعلى الثاني اما ان يكون المعطوف متحدا بالمعطوف عليه
بالذات او طائفة منهم فيكون اربعة اوجه بتين كلامنها

الايمان بما لا طريق له غير السمع وكرر الموصول تنبيها على تباين السبيلين وطائفة منهم وهو
مؤمنوا اهل الكتاب ذكرهم مخصصين عن الجملة كذكر جبريل وميكائل بعد الملائكة تعظيما لشانهم
وترغيبا لامثالهم والاتيان بالمقل الشيء من اعلى الى اسفل وهو انما يلحق المعاني بتوسط
الذوات الحاملة لها ولعل نزول الكتب الالهية على الرسل بان يتلقفه الملك من الله
تع تلقفا روحانيا ويحفظه من اللوح المحفوظ وينزل به فيلقيه على الرسول والمراد بما
انزل اليك القرآن باسره والشريعة عن اخرها وانما عبر عنه بلفظ المضي وان كان
بعضه مترقبا تغليبا للموجود على ما لم يوجد وتنزيلا للمنتظر منزلة الواقع ونظيره قوله
تع انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى فان الجن لم يسمعوا جميعه ولم يكن الكتاب
كله منزلا حينئذ وبما انزل من قبلك الكتب السابقة والايمان بها جملة فرض عين
وبالاولين التفصيلي من حيث انا متعبدون بتفاصيله فرض ولكن على الكفاية
لان وجوبه على كل احد يوجب الحرج وفساد المعاش وبالآخرة هم يوقنون اى يوقنون
ايقانا زائدا على ايقان سائر المؤمنين بالغيب فان كل من آمن بالله واليوم الآخر
ايقانا زائدا على ايقان سائر المؤمنين بالغيب فان كل من آمن بالله واليوم الآخر
النار لم تمسهم الا اياما معدودة واختلافهم في نعيم الجنة اهو من جنس نعيم الدنيا او غيره
وفي دوامه وانقطاعه وفي تقديم الصلة وتاخيرها يوقنون على هم يعرض عن علم
من اهل الكتاب وبيان اعتقادهم في امر الآخرة غير مطابق ولا صادر عن ايقان
واليقين اتقان العلم بنفي الشك والشبهة عنه بالاستدلال ولذلك لا يوصف به
علم الباري تع ولا العلوم الضرورية والآخرة تانيث الآخر صفة الدار بدليل قوله تعالى
تلك الدار الآخرة فعلبت كالدنيا وعن نافع انه خففها بحذف الهمزة والقاء حركتها
على اللام وقرئ يوقنون بقلب الواو همزة لضم ما قبلها اجراها مجرى المضمومة في وجوه وقد
ونظيره احب المؤقدان الى موسى وجعدة اذا اضاء بما الوقدا اولئك على هدى من ربهم
الجملة في محل الرفع ان جعل احد الموصولين مفصولا عن المتقين خبرا له وكانه لما قيل

هدى للمتقين قيل ما بالهم خصوا بذلك فاجيب بقوله الذين يؤمنون الى آخر الآ
يات والا فاستيناف لا محل لها وكانه نتيجة الاحكام والصفات المتقدمة او جواب سائل
قال ما للموصوفين بهذه الصفات اختصوا بالهدى ونظيره احسنت الى زيد صديقك صديقك
القديم حقيق بالاحسان فان اسم الاشارة ههنا كاعادة الموصوف بصفاته المذكورة
وهو ابلغ من ان يستانف باعادة الاسم وحده لما فيه من بيان المقتضي وتلخيصه
فان ترتب الحكم على الوصف ايذان بانه الموجب له ومعنى الاستعلاء في على هدى تمثيل تمكنهم
من الهدى واستقرارهم عليه بحال من اعتلى الشيء وركبه وقد صرحوا به في قولهم امتطى
الجهل والغوى واقتعد غارب الهوى وذلك انما يحصل باستفراغ الفكر وادامة النظر
فيما نصب من الحجج والمواظبة على محاسبة النفس في العمل ونكر هدى للتعظيم فكانه اريد به
ضرب لا يبالغ كنهه ولا يقادر قدره ونظيره قول الهذلي فلا وابي الطير المربة بالضحى على خالد
لقد وقعت على لحم واكد تعظيمه بان الله مانحه والموفق له وقد ادغمت النون في الراء
بغنة وبغير غنة • واولئك هم المفلحون كرر فيه اسم الاشارة تنبيها على مفهوم الجملتين
ان اتصافهم بتلك الصفات يقتضي كل واحدة من الاثرتين وان كلا منهما كاف
في تميزهم بها عن غيرهم ووسط العاطف لاختلاف مفهوم الجملتين ههنا بخلاف قوله
اولئك كالانعام بل هم اضل اولئك هم الغافلون فان التسجيل بالغفلة والتشبيه
بالبهائم شيء واحد فكانت الجملة الثانية مقررة للاولى فلا يناسب العطف وهم فصل يفصل
الخبر عن الصفة ويؤكد النسبة ويفيد اختصاص المسند بالمسند اليه او مبتدأ والمفلحون
خبره والجملة خبر اولئك والمفلح بالحاء والجيم الفائز بالمطلوب كانه الذي انفتحت له وجوه
الظفر وهذا التركيب وما يشاركه في الفاء والعين نحو فلق وفلذ وفلى يدل على الشق وتعريف
المفلحين للدلالة على ان المتقين هم الناس الذين بلغك انهم المفلحون في الآخرة او
الاشارة الى ما يعرفه كل احد من حقيقة المفلحين وخصوصياتهم تنبيه تامل كيف

نبه سبحانه وتعالى على اختصاص المتقين بنيل ما لا يناله احد من وجوه شتى بناء الكلام
على اسم الاشارة للتعليل مع الايجاز وتكريره وتعريف الخبر وتوسيط الفصل لاظهار قدرهم
والترغيب في اقتفاء اثرهم وقد تشبث به الوعيدية في خلود الفساق من اهل القبلة في العذاب
ورد بان المراد بالمفلحين الكاملون في الفلاح ويلزمه عدم كمال الفلاح لمن ليس على صفتهم
لا عدم الفلاح له راسا ان الذين كفروا لما ذكر خاصة عباده وخلاصة اوليائه
بصفاتهم التي اهلتهم للهدى والفلاح عقبهم اضدادهم العتاة المردة من الكفار الذين
لا ينفع فيهم الهدى ولا يغني عنهم الآيات والنذر ولم تعطف قصتهم على قصة المؤمنين
كما عطف في قوله ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم لتباينهما في الغرض فان الاولى
سيقت لذكر الكتاب وبيان شانه والاخرى مسوقة لشرح تمردهم وانهماكهم في الضلال
وان من الحروف التي شابهت الفعل في عدد الحروف والبناء على الفتح ولزوم الاسماء
واعطاء معانيه والمتعدي خاصة في دخولها على اسمين ولذلك اعملت عمله الفرعي
وهو نصب الجزء الاول ورفع الثاني ايذانا بانه فرع في العمل دخيل فيه وقال الكوفيون
الخبر قبل دخولها كان مرفوعا بالخبرية وهي بعد باقية مقتضية للرفع قضية
للاستصحاب فلا يرفعه الحرف واجيب بان اقتضاء الخبرية الرفع مشروط بالتجرد لتخلفه
عنها في خبر كان وقد زال بدخولها فتعين اعمال الحرف وفائدتها تاكيد النسبة وتحقيقها
ولذلك يتلقى بها القسم ويصدر بها الاجوبة وتذكر في معرض الشك مثل ويسئلونك
عن ذي القرنين قل ساتلو عليكم منه ذكرا انا مكنا له في الارض وقال موسى يا فرعون
اني رسول من رب العالمين قال المبرد قولك عبد الله قائم اخبار عن قيامه وان عبد
الله قائم جواب سائل عن قيامه وان عبد الله لقائم جواب منكر لقيامه وتعريف الموصول
اما للعهد والمراد به ناس باعيانهم كابي لهب وابي جهل والوليد بن المغيرة واحبار اليهود
او للجنس متناولا من صمم على الكفر وغيرهم فخص عنهم غير المصرين بما اسند اليه والكفر

لغة ستر النعمة واصله الكفر بالفتح وهو السترة ومنه قيل للزارع والليل
كافر ولكمام الثمرة كافور وفي الشرع انكار ما علم بالضرورة مجيء الرسول به وانما عد لبس
الغيار وشد الزنار ونحوهما كفرا لانها يدل على التكذيب فان من صدق الرسول عليه السلام
لا يجترئ عليها ظاهرا الا لانها كفر في انفسها واحتجت المعتزلة بما جاء في القرآن بلفظ المضي
على حدوثه لاستدعائه سابقة مخبر عنه واجيب بانه مقتضى التعلق وحدوثه لا يستلزم
حدوث الكلام كما في العلم سواء عليهم ءانذرتهم ام لم تنذرهم خبر ان وسواء اسم بمعنى
الاستواء نعت به كما نعت بالمصادر قال تعالى تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم رفع سواء
بانه خبر ان وما بعده مرتفع به على الفاعلية كانه قيل ان الذين كفروا مستو عليهم
انذارك وعدمه او بانه خبر لما بعده بمعنى انذارك وعدمه سيان عليهم والفعل
انما يمتنع الاخبار عنه اذا اريد به تمام ما وضع له اما لو اطلق واريد به اللفظ او مطلق
الحدث المدلول عليه ضمنا على الاتساع فهو كالاسم في الاضافة والاسناد اليه كقوله تع
واذا قيل لهم آمنوا يوم ينفع الصادقين صدقهم وقولهم تسمع بالمعيدي خير من ان
تراه وانما عدل ههنا عن المصدر الى الفعل لما فيه من ايهام التجدد وحسن دخول الهمزة
وام عليه لتقرير معنى الاستواء وتاكيده فانهما جردتا عن معنى الاستفهام لمجرد الاستواء
كما جردت حرف النداء عن الطلب لمجرد التخصيص في قولهم اللهم اغفر لنا ايتها العصابة
والانذار التخويف اريد به التخويف من عقاب الله وانما اقتصر عليه دون البشارة
لانه اوقع في القلب واشد تاثيرا في النفس من حيث ان دفع الضر اهم من جلب النفع
فاذا لم ينفع فيهم كانت البشارة بعدم النفع اولى وقرئ ءانذرتهم بتحقيق الهمزتين
وتخفيف الثانية بين بين وقلبها الفا وهو لحن لان المتحركة لا تقلب ولانه يؤدي الى
جمع الساكنين على غير حده وبتوسيط الف بينهما محققتين وبتوسيطها والثانية بين بين
وبحذف الاستفهامية وبحذفها والقاء حركتها على الساكن قبلها لا يؤمنون جملة مفسرة

لاجمال

لاجمال ما قبلها فيما فيه الاستواء فلا محل لها او حال مؤكدة او بدل عنه او خبر ان والجملة
قبلها اعتراض بما هو علة الحكم والآية مما احتج به من جوز تكليف ما لا يطاق فانه سبحانه
اخبر عنهم بانهم لا يؤمنون وامرهم بالايمان فلو آمنوا انقلب خبره كذبا وشمل ايمانهم الايمان
بانهم لا يؤمنون فيجتمع الضدان والحق ان التكليف بالممتنع لذاته وان جاز عقلا من حيث ان
الاحكام لا تستدعي غرضا سيما الامتثال لكنه غير واقع للاستقراء والاخبار بوقوع الشيء
او عدمه لا ينفي القدرة عليه كاخباره تعالى عما يفعله هو او العبد باختياره وفائدة الانذار
بعد العلم بانه لا ينجع الزام الحجة وحيازة الرسول فضل الابلاغ ولذلك قال سواء عليهم
ولم يقل سواء عليك كما قال لعبدة الاصنام سواء عليكم ادعوتموهم ام انتم صامتون
وفي الآية اخبار بالغيب على ما هو به ان اريد بالموصول اشخاص باعيانهم فهي من المعجزات
ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى ابصارهم غشاوة تعليل للحكم السابق وبيان
ما يقتضيه والختم الكتم سمي به الاستيثاق من الشيء بضرب الخاتم عليه لانه كتم له
والبلوغ آخره نظرا الى انه آخر فعل يفعل في احرازه والغشاوة فعالة من غشاه اذا غطاه
بنيت لما يشتمل على الشيء كالعصابة والعمامة ولا ختم ولا تغشية على الحقيقة وانما المراد
بهما ان يحدث في نفوسهم هيئة تمرنهم على استحباب الكفر والمعاصي واستقباح
الايمان والطاعات بسبب غيهم وانهماكهم في التقليد واعراضهم عن النظر الصحيح
فتجعل قلوبهم بحيث لا ينفذ فيها الحق واسماعهم تعاف استماعه فتصير كانها مستوثق
منها بالختم وابصارهم لا تجتلي الآيات المنصوبة في الانفس والآفاق كما تجتليها اعين
المستبصرين وتصير كانها غطي عليها وحيل بينها وبين الابصار وسماها على الاستعارة ختما
وتغشية او تمثل قلوبهم ومشاعرهم المؤفة بها باشياء ضرب حجاب بينها وبين الا
ستنفاع بها ختما وتغطية وقد عبر عن احداث هذه الهيئة بالطبع في قوله تعالى اولئك
الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وابصارهم وبالاغفال في قوله ولا تطع من اغفلنا قلبه

عن ذكرنا وبالاقساء في قوله وجعلنا قلوبهم قاسية وهي من حيث ان الممكنات باسرها
مستندة الى الله تعالى واقعة بقدرته اسندت اليه ومن حيث انها مسببة مما
اقترفوه بدليل قوله بل طبع الله عليها بكفرهم وقوله ذلك بانهم آمنوا ثم كفروا فطبع على
قلوبهم وردت الآية ناعية عليهم شناعة صفتهم ووخامة عاقبتهم واضطربت المعتزلة
فيه فذكروا وجوها من التأويل الاول ان القوم لما اعرضوا عن الحق وتمكن ذلك في قلوبهم
حتى صار كالطبيعة لهم شبه بالوصف الخلقي المجبول عليه الثاني ان المراد به تمثيل حال قلوبهم
بقلوب البهائم التي خلقها الله خالية عن الفطن او قلوب مقدر ختم الله عليها ونظيره سال به الوادي
اذا هلك وطارت به العنقاء اذا طالت غيبته الثالث ان ذلك في الحقيقة فعل
الشيطان او الكافر لكن لما كان صدوره عنه باقداره تعالى اياه اسنده اليه
اسناد الفعل الى المسبب الرابع ان اعراقهم لما رسخت في الكفر واستحكمت بحيث
لم يبق طريق الى تحصيل ايمانهم سوى الالجاء والقسر ثم لم يقسرهم ابقاء على غرض التكليف
عبر عن تركه بالختم فانه سد لايمانهم وفيه اشعار على ترامي امرهم في الغي وتناهي انهماكهم
في الضلال والبغي الخامس ان يكون حكاية لما كانت الكفرة يقولون مثل قلوبنا
في اكنة مما تدعونا اليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب تهكما واستهزاء بهم
كقوله تعالى لم يكن الذين كفروا الآية السادس ان ذلك في الآخرة وانما اخبر عنه
بالماضي لتحققه وتيقن وقوعه ويشهد له قوله ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا
وبكما وصما السابع ان المراد بالختم وسم قلوبهم بسمة تعرفها الملائكة فيبغضونهم ويتنفرون
عنهم وعلى المنهاج كلامنا وكلامهم فيما يضاف الى الله تعالى من طبع واضلال ونحوهما وعلى
سمعهم معطوف على قلوبهم لقوله وختم على سمعه وقلبه والوفاق على الوقف عليه ولانهما
لما اشتركا في الادراك من جميع الجوانب جعل ما يمنعهما من خاص فعلهما الختم الذي يمنع من
جميع الجهات وادراك الابصار لما اختص بجهة المقابلة جعل المانع لها عن فعلها الغشاوة

المختصة

المختصة بتلك الجهة وكرر الجار ليكون ادل على شدة الختم في الموضعين واستقلال كل
منهما بالحكم ووحد السمع للامن عن اللبس واعتبار الاصل فانه مصدر في اصله والمصادر
لا تجمع او على تقدير مضاف مثل وعلى حواس سمعهم والابصار جمع بصر وهو ادراك
العين وقد يطلق مجازا على القوة الباصرة وعلى العضو وكذا السمع ولعل المراد بهما في الآية
العضو لانه اشد مناسبة للختم والتغطية وبالقلب ما هو محل العلم وقد يطلق ويراد به
العقل والمعرفة كما في قوله ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب وانما جاز امالتها مع الصاد
لان الراء المكسورة تغلب المستعلية لما فيها من التكرير وغشاوة رفع بالابتداء عند سيبويه
وبالجار والمجرور عند الاخفش ويؤيده العطف على الجملة الفعلية وقرئ بالنصب على تقدير
وجعل على ابصارهم غشاوة او على حذف الجار وايصال الختم بنفسها اليه والمعنى وختم
على ابصارهم بغشاوة وقرئ بالضم والرفع وبالفتح والنصب وهما لغتان فيها وغشوة
بالكسر مرفوعة والفتح مرفوعة ومنصوبة وعشاوة بالعين الغير المعجمة ولهم عذاب عظيم
وعيد وبيان لما يستحقونه والعذاب كالنكال بناء ومعنى تقول عذب عن الشيء ونكل عنه
اذا امسك لانه يقمع العطش ويردعه ولذلك سمي نقاخا وفراتا ثم اتسع فاطلق على كل الم
فادح وان لم يكن نكالا اي عقابا يردع الجاني عن المعاودة فهو اعم منهما وقيل اشتقاقه
من التعذيب الذي هو ازالة العذب كالتقذية والتمريض والعظيم نقيض الحقير والكبير نقيض
الصغير وكما ان الحقير دون الصغير فالعظيم فوق الكبير ومعنى التوصيف به انه اذا قيس بسائر
ما يجانسه قصر عنه جميعه وحقر بالاضافة اليه ومعنى التنكير في الآية ان على ابصارهم غشاء
ليس مما يتعارفه الناس وهو التعامي عن الآيات ولهم من الآلام العظام نوع عظيم لا يعلم
كنهه الا الله ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر لما افتتح سبحانه وتعالى
بشرح حال الكتاب وساق لبيانه ذكر المؤمنين الذين اخلصوا دينهم لله وواطأت
فيه قلوبهم السنتهم وثنى باضدادهم الذين محضوا الكفر ظاهرا وباطنا ولم يلتفتوا لفته

راسا ثلث بالقسم الثالث المذبذب بين القسمين وهم الذين آمنوا بافواههم
ولم تؤمن قلوبهم تكميلا للتقسيم وهم اخبث الكفرة وابغضهم الى الله لانهم موهوا الكفر
وخلطوا به خداعا واستهزاء طول في بيان خبثهم وجهلهم واستهزاء بهم وتهكم بافعالهم وسجل
على غيهم وطغيانهم وضرب لهم الامثال ونزل فيهم ان المنافقين في الدرك الاسفل من
النار وقصتهم عن آخرها معطوفة على قصة المصرين والناس اصله اناس لقولهم انسان
وانس واناسي فحذفت الهمزة حذفها في لوقة وعوض عنها حرف التعريف ولذلك لا يكاد يجمع
بينهما وقوله ان المنايا يطلعن على الاناس الآمنينا شاذ وهو اسم جمع كرخال اذ لم يثبت
فعال في ابنية الجمع ماخوذ من انس لانهم يستانسون بامثالهم او آنس لانهم ظاهرون
مبصرون ولذلك سموا بشرا كما سمي الجن جنا لاجتنانهم واللام فيه للجنس ومن موصوفة
اذ لا عهد وكانه قال ومن الناس ناس يقولون او للعهد والمعهود هم الذين كفروا ومن
موصولة مراد بها ابن ابي واصحابه ونظراؤه فانهم من حيث صمموا على النفاق دخلوا في عداد
الكفار المختوم على قلوبهم واختصاصهم بزيادة زادوها على الكفر لا يابى دخولهم تحت
هذا الجنس فان الاجناس انما تتنوع بزيادات تختلف فيها ابعاضها فعلى هذا تكون الآية
تقسيما للقسم الثاني واختصاص الايمان بالله وباليوم الآخر بالذكر تخصيص لما هو المقصود
الاعظم من الايمان وادعاء بانهم احتازوا الايمان من جانبيه واحاطوا بقطريه
وايذان بانهم منافقون فيما يظنون انهم مخلصون فيه فكيف بما يقصدون به النفاق لان
القوم كانوا يهودا وكانوا يؤمنون بالله واليوم الآخر ايمانا كلا ايمان لاعتقادهم
التشبيه واتخاذ الولد وان الجنة لا يدخلها غيرهم وان النار لن تمسهم الا اياما معدودة
ويرون المؤمنين انهم آمنوا مثل ايمانهم وبيان لتضاعف خبثهم وافراطهم في كفرهم
لان ما قالوه لو صدر عنهم لا على وجه الخداع والنفاق وعقيدتهم عقيدتهم لم يكن ايمانا
كيف وقد قالوه تمويها على المسلمين وتهكما بهم وفي تكرير الباء ادعاء الايمان بكل

واحد

واحد على الاصالة والاستحكام والقول هو التلفظ بما يفيد ويقال بمعنى المقول وللمعنى
المتصور في النفس المعبر عنه باللفظ وللرأي والمذهب مجازا والمراد باليوم الآخر من وقت
الحشر الى ما لا ينتهي او الى ان يدخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار لانه آخر الاوقات
المحدودة وما هم بمؤمنين انكار ما ادعوه ونفي ما انتحلوا اثباته وكان اصله وما آمنوا
ليطابق قولهم في التصريح بشان الفعل دون الفاعل لكنه عكس تاكيدا ومبالغة في التكذيب
لان اخراج ذواتهم من عداد المؤمنين ابلغ من نفي الايمان عنهم في ماضي الزمان ولذلك
اكد النفي بالباء واطلق الايمان على معنى انهم ليسوا من الايمان في شيء ويحتمل ان يقيد
بما قيدوا به لانه جوابه والآية تدل على ان من ادعى الايمان وخالف قلبه لسانه بالا
عتقاد لم يكن مؤمنا لا ان من تفوه بالشهادتين فارغ القلب عما يوافقه او ينافيه لم
يكن مؤمنا والخلاف مع الكرامية في الثاني فلا تنتهض حجة عليهم يخادعون الله والذين
آمنوا الخدع ان توهم غيرك خلاف ما تخفيه من المكروه لتنزله عما هو بصدده من قولهم
خدع الضب اذا توارى في جحره وضب خادع وخدع اذا اوهم الحارش اقباله عليه ثم خرج
من باب آخر واصله الاخفاء ومنه المخدع للخزانة والاخدعان لعرقين خفيين في العنق والمخادعة
تكون بين اثنين وخداعهم مع الله ليس على ظاهره لانه لا يخفى عليه خافية ولانهم لم يقصدوا
خديعته بل المراد اما مخادعة رسوله على حذف المضاف او على ان معاملة الرسول
معاملة الله من حيث انه خليفته كما قال الله تعالى ومن يطع الرسول فقد اطاع الله ان
الذين يبايعونك انما يبايعون الله واما ان صورة صنعهم مع الله من اظهار الايمان و
استبطان الكفر وصنع الله معهم باجراء احكام المسلمين عليهم وهم عنده اخبث الكفار
واهل الدرك الاسفل من النار استدراجا لهم وامتثال الرسول والمؤمنين امر الله في
اخفاء حالهم واجراء حكم الاسلام عليهم مجازاة لهم بمثل صنيعهم صورة صنع المخادعين
ويحتمل ان يراد بيخادعون يخدعون لانه بيان ليقول او استيناف بذكر ما هو الغرض منه

المباراة ازيكديكر بيزار شدن وجدا شدن

الا انه اخرج في زنة فاعل للمبالغة فان الزنة لما كانت للمبالغة والفعل متى غولب
فيه كان ابلغ منه اذا جاء بلا مقابلة معارض ومبار استصحبت ذلك ويعضده قراءة
من قرا يخدعون وكان غرضهم في ذلك ان يدفعوا عن انفسهم ما يطرق به من سواهم من الكفرة
وان يفعل بهم ما يفعل بالمؤمنين من الاكرام والاعطاء وان يختلطوا بالمسلمين فيطلعوا على
اسرارهم ويذيعوها الى منابذيهم الى غير ذلك من الاغراض والمقاصد **وما يخدعون الا**
انفسهم وما يخادعون قراءة نافع وابن كثير وابو عمرو والمعنى ان دائرة الخداع راجعة اليهم
وضررها يحيق بهم او انهم في ذلك خدعوا انفسهم لما غروها بذلك وخدعتهم انفسهم حيث
حدثتهم بالاماني الفارغة وحملتهم على مخادعة من لا يخفى عليه خافية وقراء الباقون وما
يخدعون لان المخادعة لا تتصور الا بين اثنين وقرئ ويخدعون بمعنى يختدعون
ويخدعون ويخادعون على البناء للمفعول ونصب انفسهم بنزع الخافض والنفس ذات
الشيء وحقيقته ثم قيل للروح لان نفس الحي به وللقلب لانه محل الروح او متعلقه وللدم
لان قوامها به وللماء لفرط حاجتها اليه وللرأي في قولهم فلان يؤامر نفسه لانه ينبعث عنها
او يشبه ذاتا يأمره ويشير اليه والمراد بالانفس ههنا ذواتهم ويحتمل حملها على ارواحهم
وآرائهم **وما يشعرون** لا يحسون ذلك لتمادي غفلتهم جعل لحوق وبال الخداع ورجوع ضرره
اليهم في الظهور كالمحسوس الذي لا يخفى الا على مؤف الحواس والشعور الاحساس ومشاعر الانسان
حواسه واصله الشعر ومنه الشعار **في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا** المرض
حقيقة فيما يعرض البدن فيخرجه عن الاعتدال الخاص به ويوجب الخلل في افعاله ومجاز
في الاعراض النفسانية التي تخل بكمالها كالجهل وسوء العقيدة والحسد والضغينة
وحب المعاصي لانها مانعة عن نيل الفضائل او مؤدية الى زوال الحيوة الحقيقية الابدية
والآية يحتملهما فان قلوبهم كانت متألمة تحرقا على ما فات عنهم من الرياسة وحسدا على
ما يرون من ثبات امر الرسول واستعلاء شانه يوما فيوما وزاد الله غمهم بما زاد في اعلاء

امره واشادة ذكره ونفوسهم كانت مؤفة بالكفر وسوء الاعتقاد ومعاداة النبي عليه السلام
ونحوها فزاد الله ذلك بالطبع او بازدياد التكاليف وتكرير الوحي وتضاعف النصر وكان
اسناد الزيادة الى الله تعالى من حيث انه مسبب من فعله واسنادها الى السورة في قوله
فزادتهم رجسا لكونها سببا ويحتمل ان يراد بالمرض ما تداخل قلوبهم من الجبن والخور حين شاهدوا
شوكة المسلمين وامداد الله لهم بالملائكة وقذف الرعب في قلوبهم وبزيادته تضعيفه بما
زاد لرسوله نصرة على الاعداء وتبسطا في البلاد **ولهم عذاب اليم** جده **بما كانوا يكذبون**
قراءة عاصم وحمزة والكسائي والمعنى بسبب كذبهم او بدله جزاء له وهو قولهم آمنا وقراء الباقون
يكذبون من كذبه لانهم كانوا يكذبون الرسول بقلوبهم واذا خلوا الى شطار دينهم او من
كذب الذي هو للمبالغة او التكثير مثل بين الشيء وموتت البهائم او من كذب الوحشي اذا جرى
شوطا ووقف لينظر ما وراءه فان المنافق متحير متردد والكذب هو الخبر عن الشيء على خلاف
ما هو به وهو حرام كله لانه علل به استحقاق العذاب حيث رتب عليه وما روي
ان ابرهيم عليه السلام كذب ثلث كذبات فالمراد التعريض ولكن لما يشبه
الكذب في صورته سمي به **واذا قيل لهم لا تفسدوا في الارض** عطف على يكذبون او
يقول وما روي عن سلمان ان اهل هذه الآية لم يأتوا بعد فلعله اراد به ان اهله ليس
الذين كانوا فقط بل وسيكون من بعد من حاله حالهم لان الآية متصلة بما قبلها بالضمير الذي
فيها والفساد خروج الشيء عن الاعتدال والصلاح ضده وكلاهما يعمان كل نافع
وضار وكان من فسادهم في الارض هيج الحروب والفتن لمخادعة المسلمين و
ممالاة الكفار عليهم وافشاء الاسرار اليهم فان ذلك يؤدي الى فساد ما في الارض من
الناس والدواب والحرث ومنه اظهار المعاصي والاهانة بالدين فان الاخلال بالشرايع
والاعراض عنها مما يوجب الهرج والمرج ويخل بنظام العالم والقائل هو الله تعالى او
الرسول او بعض المؤمنين **قالوا انما نحن مصلحون** جواب لاذا ورد للناصح على سبيل المبالغة

والمعنى انه لا يصح مخاطبتنا بذلك فان شأننا ليس الا الاصلاح وان حالنا متمحضة عن
شوايب الفساد لان انما يفيد قصر ما دخله على ما بعده مثل انما زيد منطلق وانما ينطلق زيد
وانما قالوا ذلك لانهم تصوروا الفساد بصورة الصلاح لما في قلوبهم من المرض كما قال
الله تعالى افمن زين له سوء عمله فراه حسنا **الا انهم هم المفسدون ولكن لا**
يشعرون رد لما ادعوه ابلغ رد للاستيناف به وتصديره بحرف التاكيد الا المنبهة على تحقيق
ما بعدها فان همزة الاستفهام التي للانكار اذا دخلت على النفي افادت تحقيقا ونظيره
اليس ذلك بقادر ولذلك لا يكاد تقع الجملة بعدها الا مصدرة بما يتلقى بها القسم
واختها اما التي هي من طلايع القسم وان المقررة للنسبة وتعريف الخبر وتوسيط الفصل
لرد ما في قولهم انما نحن مصلحون من التعريض للمؤمنين والاستدراك بلا يشعرون **واذا**
قيل لهم آمنوا من تمام النصح والارشاد فان كمال الايمان بمجموع امرين الاعراض عما
لا ينبغي وهو المقصود بقوله لا تفسدوا والاتيان بما ينبغي وهو المطلوب بقوله آمنوا **كما**
آمن الناس في حيز النصب على المصدر وما مصدرية او كافة مثلها في ربما واللام في الناس
للجنس والمراد به الكاملون في الانسانية العاملون بقضية العقل فان اسم الجنس كما
يستعمل لمسماه مطلقا يستعمل لما يستجمع المعاني المخصوصة به والمقصودة منه ولذلك
يسلب عن غيره فيقال زيد ليس بانسان ومن هذا الباب قوله تعالى صم بكم ونحوه وقد جمعهما
الشاعر في قوله اذ الناس ناس والزمان زمان او للعهد والمراد به الرسول ومن معه او من آمن
من اهل جلدتهم كابن سلام واصحابه والمعنى آمنوا ايمانا مقرونا بالاخلاص متمحضا عن شوايب
النفاق مماثلا لايمانهم واستدل به على قبول توبة الزنديق وان الاقرار باللسان ايمان
والا لم يفد التقييد **قالوا انؤمن كما آمن السفهاء** الهمزة فيه للانكار واللام مشار
بها الى الناس والجنس باسره وهم مندرجون فيه على زعمهم وانما سفهوهم لاعتقادهم فساد
رايهم او لتحقير شانهم فان اكثر المؤمنين كانوا فقراء ومنهم موال كصهيب وبلال او للتجلد

وعدم

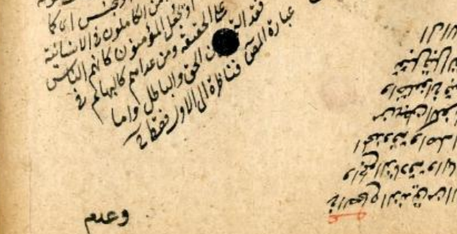

وعدم المبالاة بمن آمن منهم ان فسر الناس بعبد الله بن سلام واشياعه والسفه
خفة وسخافة راي يقتضيهما نقصان العقل والحلم يقابله **الا انهم هم السفهاء ولكن**
لا يعلمون رد ومبالغة في تجهيلهم فان الجاهل بجهله الجازم اعظم ضلالة واتم جهالة من
المتوقف المعترف بجهله فانه ربما يعذر وينفعه الآيات والنذر وانما فصلت الآية بلا يعلمون
والتي قبلها بلا يشعرون لانه اكثر طباقا لذكر السفه ولان الوقوف على امر الدين والتمييز بين الحق
والباطل مما يفتقر الى نظر وتفكر واما النفاق وما فيه من الفتن والفساد فانما يدرك بادنى
تفطن وتامل فيما يشاهد من اقوالهم وافعالهم **واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا** بيان
لمعاملتهم مع المؤمنين والكفار وما صدرت به القصة فمساقه لبيان مذهبهم وتمهيد نفاقهم
فليس بتكرير روي ان ابن ابي واصحابه استقبلهم نفر من الصحابة فقال لقومه انظروا كيف ارد
هؤلاء السفهاء عنكم فاخذ بيد ابي بكر وقال مرحبا بالصديق سيد بني تيم وشيخ الاسلام
وثاني رسول الله في دينه الباذل نفسه وماله لرسول الله صلعم ثم اخذ بيد عمر فقال مرحبا
بسيد بني عدي الفاروق القوي في دينه الباذل نفسه وماله لرسول الله ثم اخذ بيد علي
فقال مرحبا بابن عم رسول الله وختنه سيد بني هاشم ما خلا رسول الله صلعم فنزلت
واللقاء المصادفة يقال لقيته ولاقيته اذا صادفته واستقبلته ومنه القيته اذا طرحته
فانك بطرحه جعلته بحيث يلقى **واذا خلوا الى شياطينهم** من خلوت بفلان واليه اذا انفردت
معه او من خلاك ذم اي عداك ومضى عنك ومنه القرون الخالية او من خلوت به اذا سخرت
منه وعدي بالى لتضمين معنى الانهاء والمراد بشياطينهم الذين ماثلوا الشياطين في تمردهم
وهم المظهرون كفرهم واضافتهم اليهم للمشاركة في الكفر او كبار المنافقين والقائلون
وجعل سيبويه نونه تارة اصلية على انه من شطن اذا بعد فانه بعيد عن الصلاح ويشهد
له قولهم تشيطن واخرى زائدة على انه من شاط اذا بطل ومن اسمائه الباطل **قالوا انا معكم**
اي في الدين والاعتقاد خاطبوا المؤمنين بالجملة الفعلية والشياطين بالجملة الاسمية المؤكدة

بان لانهم قصدوا بالاولى دعوى احداث الايمان وبالثانية تحقيق ثباتهم على ما كانوا
عليه ولانه لم يكن لهم باعث من عقيدة وصدق رغبة فيما خاطبوا به المؤمنين ولا توقع
رواج ادعاء الكمال في الايمان على المؤمنين من المهاجرين والانصار بخلاف ما قالوه مع الكفار
انما نحن مستهزؤن تاكيد لما قبله لان المستهزئ بالشيء المستخف به مصر على خلافه او بدل
منه لان من حقر الاسلام فقد عظم الكفر او استيناف وكان الشياطين قالوا لهم لما
قالوا انا معكم ان صح ذلك فما لكم توافقون المؤمنين وتدعون الايمان فاجابوا بذلك
والاستهزاء السخرية والاستخفاف يقال هزأت واستهزأت بمعنى كاجبت واستجبت
واصله الخفة من الهزء وهو القتل السريع يقال هزأ فلان اذا مات على مكانه وناقته
تهزأ به اي تسرع وتخف الله يستهزئ بهم يجازيهم على استهزائهم سمي جزاء الاستهزاء
باسمه كما سمي جزاء السيئة سيئة اما لمقابلة اللفظ باللفظ او لكونه مماثلا له في القدر
او يرجع وبال الاستهزاء عليهم فيكون كالمستهزئ بهم او ينزل بهم الحقارة والهوان
الذي هو لازم الاستهزاء والغرض منه او يعاملهم معاملة المستهزئ اما في الدنيا
فباجراء احكام المسلمين عليهم واستدراجهم بالامهال والزيادة في النعمة على التمادي
في الطغيان واما في الآخرة فبان يفتح لهم وهم في النار بابا الى الجنة فيسرعون نحوه
واذا صاروا اليه سد عليهم الباب وذلك قوله تعالى فاليوم الذين آمنوا من الكفار
يضحكون وانما استونف به ولم يعطف ليدل على ان الله تعالى تولى مجازاتهم ولم يحوج
المؤمنين ان يعارضوهم وان استهزاءهم لا يؤبه به في مقابلة ما يفعل الله بهم ولعله
لم يقل الله مستهزئ بهم ليطابق قولهم ايماء بان الاستهزاء يحدث فحالا ويتجدد حينا
بعد حين وهكذا كانت نكايات الله فيهم كما قال اولا يرون انهم يفتنون في كل عام مرة
او مرتين ويمدهم في طغيانهم يعمهون من مد الجيش وامده اذا زاده وقواه ومنه
مددت السراج والارض اذا استصلحتهما بالزيت والسماد لا من المد في العمر فانه يعدى

باللام

باللام كاملي له ويدل عليه قراءة ابن كثير ويمدهم والمعتزلة لما تعذر عليهم اجراء الكلام على
ظاهره قالوا لما منعهم الله تعالى الطافه التي يمنحها المؤمنين وخذلهم بسبب كفرهم واصرارهم
وسدهم طرق التوفيق على انفسهم فتزايدت بسببه قلوبهم رينا وظلمة تزايد قلوب المؤمنين
انشراحا ونورا او مكن الشيطان من اغوائهم فزادهم طغيانا اسند ذلك الى الله تعالى اسناد
الفعل الى المسبب واضاف الطغيان اليهم لئلا يتوهم ان اسناد الفعل اليه على الحقيقة ومصداق
ذلك انه لما اسند المد الى الشياطين اطلق الغي وقال واخوانهم يمدونهم في الغي او اصله يمد
لهم بمعنى يملي لهم ويمد في اعمارهم كي يتنبهوا ويطيعوا فما زادوا الا طغيانا وعمها فحذفت
اللام وعدي الفعل بنفسه كما في قوله واختار موسى قومه او التقدير يمدهم استصلاحا وهم
مع ذلك يعمهون في طغيانهم والطغيان بالضم والكسر كلقيان ولقيان تجاوز الحد في العصيان
والغلو في الكفر واصله تجاوز الشيء عن مكانه قال تعالى انا لما طغى الماء حملناكم والعمه في البصيرة
كالعمى في البصر وهو التحير في الامر يقال رجل عامه وعمه وارض عمهاء لا منار بها قال اعمى الهدى
بالجاهلين العمه اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى اختاروها عليه واستبدلوها
به واصله بذل الثمن لتحصيل ما يطلب من الاعيان فان كان احد العوضين ناضا تعين من حيث
انه لا يطلب لعينه ان يكون ثمنا وبذله اشتراء والا فاي العوضين تصورته بصورة الثمن فباذله
مشتر واخذه بائع ولذلك عدت الكلمتان من الاضداد ثم استعير للاعراض عما في يده محصلا به
غيره سواء كان من المعاني او الاعيان ومنه اخذت بالجمة راسا ازعرا وبالثنايا الواضحات
الدردرا وبالطويل العمر عمرا جيذرا كما اشترى المسلم اذ تنصرا ثم اتسع فيه فاستعمل للرغبة
عن الشيء طمعا في غيره والمعنى انهم اخلوا بالهدى الذي جعل الله لهم بالفطرة التي فطر الناس عليها
محصلين الضلالة التي ذهبوا اليها او اختاروا الضلالة واستحبوها على الهدى فما ربحت تجا
رتهم ترشيح للمجاز لما استعمل الاشتراء في معاملتهم اتبعه ما يشاكله تمثيلا لخسارهم ونحوه ولما
رايت النسر عز ابن داية وعشش في وكريه جاش له صدري والتجارة طلب الربح بالبيع

والثرى والربح الفضل على راس المال ولذلك سمى ربحا واسنادة الى التجارة وهو لاربابها على
الاتساع لتلبسها بالفاعل والمشاهتها اياه من حيث انها سبب الربح والخسران وما كانوا
مهتدين لطرق التجارة فان المقصود منها سلامة راس المال والربح وهو ما اضاعوا الطلبين
لان راس مالهم كان الفطرة السليمة والعقل الصرف فلما اعتقدوا هذه الضلالات بطل استعدادهم
وهم واختل عقلهم ولم يبق لهم راس مال يتوسلون به الى درك الحق ونيل الكمال فبقوا خاسرين
حالهم بحال مستوقد نار ضعف تمثيل الذي استوقد نارا لما مر تحقيقه
لانه عقبها بضرب المثل زيادة في التوضيح والتقرير فانه اوقع في القلب واقمع للخصم الالد
كلام الانبياء والحكماء والمثل في الاصل بمعنى النظير يقال مثل ومثل ومثيل كشبه
وشبه وشبيه ثم استعير لكل حال او قصة او صفة لها شان وفيها غرابة مثل
قوله عز وعلا مثل الجنة التي وعد المتقون وقوله ولله المثل الاعلى والمعنى حالهم العجيبة الشان
كما لم استوقد نارا والذي بمعنى الذين كما في قوله وخضتم كالذي خاضوا ان جعل رجع الضمير
في نورهم وانما جاز ذلك ولم يجز وضع القائم موضع القائمين لانه غير مقصود بالوصف
بل الجملة التي هي صلته وهو وصلة الى وصف المعرفة ولانه ليس باسم تام بل هو كالجزء منه
فحقه ان لا يجمع كما لم يجمع اخواته ويستوي فيه الواحد والجمع وليس الذين جمعه
المصحح بل ذو زيادة زيدت لزيادة المعنى ولذلك جاء بالياء ابدا ناعلى اللغة الفصيحة التي عليها
التنزيل ولكونه مستطالا استحق التخفيف ولذلك يوقف فيه فتحذف ياؤه ثم كسرته ثم
اقتصر على اللام في اسماء الفاعلين والمفعولين او قصد به جنس المستوقدين والفوج
الذي استوقد لا استيقاظ طلب الوقود والسعي في تحصيله وهو سطوع النار وارتفاع لهبها
واشتقاق النار من نار ينور نورا اذا نفر لان فيها حركة واضطرابا فلما اضاءت ما حوله
حول المستوقد قد صح تصورا اضاءتها فيه
فان قلت اذا كان الفعل لازما
فالمتناول للنار سناءها لا هي
قلت النار وان لم توجد فقد وجد مكانها كما في بنى ان يكون
ذهب الله بنورهم جوابا لما قيل

قوله بان يطوى ذكر المستعار له بان لا يكون مذكورا ولا مقدرا ولا منويا بل يكون معناه مرادا بلفظ المستعار منه فقد استعيرت لفظ المشبه به للمشبه ويدخل في هذا الاستعارة التصريحية نحو رايت اسدا يرمي والمكنية نحو انشبت المنية اظفارها فان ذكر المشبه ههنا عند المحققين ذكر للمشبه بطريق الكناية اذ المعتبر فيها سواء كانت عنادية او لا المكنية فالمستعار لفظ السبع وهو متروك بطريق الكناية والمستعار له وهو الموت مطوى كما اخاف اظفار السبع وارد ت المنية

فانهم اضاعوا ما نطقت به السنتهم من الحق باستبطان الكفر واظهار حين خلوا الى شياطينهم ومن ثم الضلالة على الهدى المجعول له بالفطرة او ارتد عن دينه بعد ما آمن ومن صح له احوال الارادة فادى احوال المحبة فاذهب الله عنه ما اشرق عليه من نور الارادة او مثل لاسماعهم من حيث انه يعود عليهم بحفظ الدماء وسلامة الاموال والاولاد ومشاركة المسلمين في المغانم والاحكام بالنار الموقدة للاستضاءة واذهاب اثره وانظامهم نور باهلاكهم وافنائهم حالهم باطفاء الله تعالى اياها واذهاب نورها صم بكم عمي لما سدوا مسامعهم عن الاصاخة الى الحق وابوا ان ينطقوا به السنتهم وبتروا الايمان بابصارهم جعلوا كانما ايفت مشاعرهم واتلفت قواهم كقوله صم اذا سمعوا خيرا ذكرت به وان ذكرت بسوء عندهم اذيعوا وكقوله اصم عن الشئ الذي لا اريده واسمع خلق الله حين اريد واطلقها عليهم على طريقة التمثيل لا الاستعارة اذ من شرطها ان يطوى ذكر المستعار له بحيث يمكن حمل الكلام على المستعار منه لولا القرينة كقولهم رعينا في اسد شاكي السلاح مقذف له لبد اظفاره لم تقلم ومن ثم ترى المفلقين السحرة يعبرون عن توهم الشبه صفيا كما قالوا ابو تمام ويصعد حتى نظن الجهول بان له حاجة في السماء وان طوى ذكر المشبه كما في الاعراض نحو شجاع يفترس اقرانه ويطأ صماخه كما في الطائي تنفر من صيغ الصاد وهذا اذا جعلت الضمير للمنافقين على ان الآية فذلكة التمثيل وتتمته وان جعلته للمستوقدين اي على حقيقتها والمعنى انهم لما اوقدوا نارا اذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات ثلاثة اذهشتهم بحيث اختلت حواسهم وانتقصت قواهم وثلثها قربت بالنصب على الحال من مفعول تركهم والصم اصله صلابة من اكتناز الاجزاء ومنه قيل حجر اصم وقناة صماء وصمام القارورة سمي به ففقدان حاسة السمع لان سببه ان يكون باطن الصماخ مكتنزا لا تجويف فيه يشتمل على هواء يسمع الصوت بتموجه والبكم الخرس والعمى عدم البصر عما من شانه ان يبصر وقد يقال لعدم البصيرة فهم لا يرجعون لا يعودون الى الهدى الذي باعوه وضيعوه او عن الضلالة التي استروها او فهم محيرون لا يدرون ايتقدمون او يتاخرون والى حيث ابتدأوا منه كيف يرجعون

اي لا استفهام قد تقدم ونه تاخر دمه

والفاء

والتقصت

والفاء للدلالة على ان اتصافهم بالاحكام السابقة سبب لتحيرهم واحتباسهم او كصيب من السماء عطف على الذي استوقدا وكل ذوي صيب لقوله يجعلون اصابعهم واوثر الاصل للتساوي في الشك ثم اتسع فيها فاطلق للتساوي من غير شك مثل جالس الحسن او ابن سيرين وقوله تعالى ولا تطع منهم آثما او كفورا فانها تفيد التساوي في حسن الجالسة ووجوب العصيان ومن ذلك قولك اوكصيب ومعناه ان قصة المنافقين مشتبهة بهاتين القصتين وانهما سواء في صحة التشبيه بهما وانت مخير في التمثيل بهما او باحدهما شئت واوكصيب فيعل من الصوب وهو النزول يقال للمطر وللسحاب قال النمر

اذا صوب الرعد صئبت وفي الآية تحتملهما وتشكيره لانه اريد به نوع من المطر الشديد وتعريف السماء للدلالة على ان الغمام مطبق آخذ بافاق السماء كلها فان كل افق منها يسمى سماء كما ان كل طبقة منها سماء قال وطبق بعد ارض بينا وسماء امد به ما فيه من المبالغة مرجعه الاصل والبناء والتنكير وقيل المراد بالسماء السحاب فاللام للتعريف الماهية فيه ظلمات ورعد وبرق ان اريد بالصيب المطر فظلماته ظلمة تكاثفه بتتابع القطر وظلمة غمامه مع ظلمة الليل وجعله مكانا للرعد والبرق لانهما في علاه ومتحدر ملتبسين به السحاب فظلماته سمحته وتطبيقه مع ظلمة الليل وارتفاعها بالظرف وفاقا لانه معتمد على موصوف والرعد صوت يسمع من السحاب فالمشهور ان سببه اضطراب اجرام السحاب واصطكاكها اذا حدثها الريح من الارتعاد والبرق ما يلمع من السحاب من برق الشئ بريقا وكلاهما مصدر في الاصل ولذلك لم يجمعا يجعلون اصابعهم في اذانهم الضمير لاصحاب الصيب وهو وان حذف لفظه واقيم الصيب مقامه لكن معناه باق فجوز ان يعود عليه كما عاد حسنا في قوله يسقون من ورد البريص عليهم بردى يصفق بالرحيق السلسل حيث ذكر الضمير لان المعنى ماء بردى والجملة استيناف فكانه لما ذكر ما يوذن بالشدة والهول قيل فكيف حالهم مع ذلك فاجيب بانها وانما اطلق الاصابع موضع الانامل للمبالغة من الصواعق متعلق بجعلون اي من اجلها يجعلون كقولهم سقاه من العمة والصاعقة قصفة رعد هائل معها نار تمر بشئ الا اتت عليه من الصعق وهو

والصاعقة قطعة نار في غاية الحدة تمر بشئ الا احرقته ولذلك اشتق لها هذا الاسم من الصعق وسواء هلاك كهول وخر موسى صعقا وكورا

شدة الصوت وقد تطلق على كل هائل مسموع او مشاهد ويقال صعقته الصاعقة اذا اهلكته
بالاحراق او شدة الصوت وقرئ من الصواقع وهو ليس بقلب من الصواعق لاستواء كلا
البنائين في التصرف فيقال صقع الديك وخطيب مصقع وصقعته الصاعقة وهي في الاصل
اما صفة لقصفة الرعد او للرعد والتاء للمبالغة كما في الراوية او مصدر كالعافية والكاذبة
حذر الموت نصب على العلة كقوله واغفر عوراء الكريم ادخاره والموت زوال الحيوة وقيل
عرض يضادها لقوله خلق الموت والحيوة ورد بان الخلق بمعنى التقدير والاعدام مقدرة
والله محيط بالكافرين لا يفوتونه كما لا يفوت المحاط به المحيط لا يخلصهم الخداع والحيل والجملة
اعتراضية لا محل لها يكاد البرق يخطف ابصارهم استيناف ثان كانه جواب لمن يقول ما حالهم
مع تلك الصواعق وكاد من افعال المقاربة وضعت لمقاربة الخبر من الوجود لعروض سببه
لكنه لم يوجد اما لفقد شرط او لعروض مانع وعسى موضوعة لرجائه فهي خبر محض ولذلك جاءت
بخلاف عسى وخبرها مشروط فيه ان يكون فعلا مضارعا تنبيها على انه المقصود بالقرب من غير ان
يؤكد القرب بالدلالة على الحال وقد تدخل عليه حملا لها على عسى كما تحمل عليها بالحذف عن خبرها
لمشاركتهما في اصل معنى المقاربة والخطف الاخذ بالسرعة وقرئ يخطف بكسر الطاء ويخطف
على انه يختطف فنقلت فتحة التاء الى الخاء ثم ادغمت في الطاء ويخطف بكسر الخاء لالتقاء
الساكنين واتباع الياء لها ويتخطف كلما اضاء لهم مشوا فيه واذا اظلم عليهم قاموا استيناف
ثالث كانه قيل ما يفعلون في تارتي خفوق البرق وخفيته فاجيب بذلك واضاء اما متعد
والمفعول محذوف بمعنى كلما نور لهم ممشى اخذوه او لازم بمعنى كلما لمع لهم مشوا في مطرح نوره
وكذلك اظلم فانه جاء متعديا منقولا من ظلم الليل ويشهد له قراءة اظلم على البناء للمفعول
وقول ابي تمام هما اظلما حالي ثمت اجليا ظلاميهما عن وجه امرد اشيب فانه وان كان
من المحدثين لكنه من علماء العربية فلا يبعد ان يجعل ما يقوله بمنزلة ما يرويه وانما قال مع
الاضاءة كلما ومع الاظلام اذا لانهم حراص على المشي فكلما صادفوا منه فرصة انتهزوها

ولا كذلك التوقف ومعنى قاموا وقفوا ومنه قامت السوق اذا ركدت وقام الماء جمد ولو
شاء الله لذهب بسمعهم وابصارهم اي لو شاء ان يذهب بسمعهم بقصيف الرعد وابصارهم
بوميض البرق لذهب بهما فحذف المفعول لدلالة الجواب عليه ولقد تكاثر حذفه في شاء واراد
حتى لا يكاد يذكر الا في الشيء المستغرب كقوله فلو شئت ان ابكي دما لبكيته ولو من حروف الشرط
وظاهرها الدلالة على انتفاء الاول لانتفاء الثاني ضرورة انتفاء الملزوم عند انتفاء لازمه
وقرئ لاذهب باسماعهم وابصارهم بزيادة الباء كقوله ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة وفائدة
هذه الشرطية ابداء المانع لذهاب سمعهم وابصارهم مع قيام ما يقتضيه والتنبيه على ان تاثير
الاسباب في مسبباتها مشروط بمشيته تعالى وان وجودها مرتبطا باسبابها واقع بقدرته
وقوله ان الله على كل شيء قدير كالتصريح به والتقرير له والشيء يختص بالموجود لانه في الاصل
مصدر شاء اطلق بمعنى شاء تارة وح يتناول الباري تع كما قال قل اي شيء اكبر شهادة قل الله
وبمعنى مشيء اخرى اي مشيء وجوده وما شاء الله وجوده فهو موجود في الجملة وعليه قوله ان الله
على كل شيء قدير الله خالق كل شيء فهما على عمومهما بلا مثنوية والمعتزلة لما قالوا
الشيء ما يصح ان يعلم ويخبر عنه فيعم الممتنع ايضا لزمهم التخصيص بالممكن في الموضعين بدليل العقل
والقدرة هو التمكن من ايجاد الشيء وقيل صفة تقتضي التمكن وقيل قدرة الانسان هيئة
بها يتمكن من الفعل وقدرة الله عبارة عن نفي العجز عنه والقادر هو الذي ان شاء فعل وان شاء
لم يفعل والقدير الفعال لما يشاء على ما يشاء ولذلك قلما يوصف به غير الباري تعالى واشتقاق
القدرة من القدر لان القادر يوقع الفعل على مقدار قوته او على مقدار ما يقتضيه مشيته وفيه
دليل على ان الحادث حال حدوثه والممكن حال بقائه مقدوران وان مقدور العبد مقدور الله
تعالى لانه شيء وكل شيء مقدور والظاهر ان التمثيلين من جملة التمثيلات المؤلفة وهو ان تشبه كيفية
منتزعة من مجموع تضامت اجزاؤه وتلاصقت حتى صارت شيئا واحدا باخرى مثلها كقوله تعالى
مثل الذين حملوا التورية ثم لم يحملوها الاية فانه تشبيه حال اليهود في جهلهم بما معهم من التورية

بحال الحمار في جهله بما يحمل من اسفار الحكمة والغرض منهما تمثيل حال المنافقين من الحيرة والشدة
بما يكابد من انطفت ناره بعد ايقاده في ظلمة او بحال من اخذته السماء في ليلة مظلمة مع رعد
قاصف وبرق خاطف وخوف من الصواعق ويمكن جعلهما من قبيل التمثيل المفرد وهو ان تاخذ
اشياء فرادى فتشبهها بامثالها كقوله وما يستوي الاعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور
ولا الظل ولا الحرور وقول امرء القيس كان قلوب الطير رطبا ويابسا لدى وكرها العناب
والحشف البالي بان تشبه في الاول ذوات المنافقين بالمستوقدين واظهارهم الايمان
باستيقاد النار وما انتفعوا به من حقن الدماء وسلامة الاموال والاولاد وغير ذلك
باضاءة النار ما حول المستوقدين وزوال ذلك عنهم على القرب باهلاكهم وافشاء حالهم
وابقاءهم في الخسار الدائم والعذاب السرمد باطفاء نارهم والذهاب بنورهم
وفي الثاني انفسهم باصحاب الصيب وايمانهم المخالط بالكفر والخداع بصيب فيه ظلمات
ورعد وبرق من حيث انه وان كان نافعا في نفسه لكنه لما وجد في هذه الصورة عاد نفعه
ضرا ونفاقهم حذرا عن نكايات المؤمنين وما يطرقون به من سواهم من الكفرة بجعل الاصابع
في الاذان من الصواعق حذر الموت من حيث انه لا يرد من قدر الله شيئا ولا يخلص مما يريد
بهم من المضار وتحيرهم لشدة الامر وجهلهم بما ياتون ويذرون بانهم كلما صادفوا من البرق
خفقة انتهزوها فرصة مع خوف ان يخطف ابصارهم فخطوا خطى يسيرة ثم اذا خفي وفتر
لمعانه بقوا متقيدين لا حراك لهم وقيل شبه الايمان والقرآن وسائر ما اوتي الانسان
من المعارف التي هي سبب الحيوة الابدية بالصيب الذي به حيوة الارض وما ارتبكت بها
من شبه المبطلة واعترضت دونها من الاعتراضات المشكلة بالظلمات وما فيها من الوعد
والوعيد بالرعد وما فيها من الآيات الباهرة بالبرق وتصامهم عما يسمعون من الوعيد
بحال من يهوله الرعد فيخاف صواعقه فيسد اذنه عنها مع انه لا خلاص لهم منها وهو معنى
قوله والله محيط بالكافرين واهتزازهم لما يلمع لهم من رشد يدركونه او رفد يطمح اليه ابصارهم

بمشيهم في مطرح ضوء البرق كلما اضاء لهم وتحيرهم وتوقفهم في الامر حين تعرض لهم شبهة او تعن لهم
مصيبة بتوقفهم اذا اظلم عليهم ونبه بقوله تعالى ولو شاء الله لذهب بسمعهم وابصارهم على انه تع
جعل لهم السمع والابصار ليتوسلوا بها الى الهدى والفلاح ثم انهم صرفوها الى الحظوظ العاجلة وسدوها
عن الفوايد الآجلة ولو شاء الله لجعلهم بالحالة التي يجعلونها فانه على ما يشاء قدير يا ايها الناس
اعبدوا ربكم لما عدد فرق المكلفين وذكر خواصهم ومصارف امورهم اقبل عليهم بالخطاب على
سبيل الالتفات هزا للسامع وتنشيطا له واهتماما بامر العبادة وتفخيما لشانها وجبرا لكلفة
العبادة بلذة المخاطبة ويا حرف لنداء البعيد وقد ينادى به القريب تنزيلا له منزلة البعيد
اما لعظمته كقول الداعي يا رب ويا الله وهو اقرب اليه من حبل الوريد او لغفلته وسوء فهمه
او للاعتناء بالمدعو له وزيادة الحث عليه وهو مع المنادى جملة مفيدة لانه نائب مناب فعل
واي جعل وصلة الى نداء المعرف باللام فان ادخال يا عليه متعذر لتعذر الجمع بين حرفي التعريف
فانهما كمثلين واعطي حكم المنادى واجري عليه المقصود بالنداء وصفا موضحا له والتزم رفعه اشعارا
بانه المقصود واقحمت بينهما هاء التنبيه تاكيدا وتعويضا عما يستحقه اي من المضاف اليه
وانما كثر النداء على هذه الطريقة في القرآن لاستقلاله باوجه من التاكيد وكل ما نادى الله له عباده
من حيث انها امور عظام من حقها ان يتفطنوا لها ويقبلوا بقلوبهم عليها واكثرهم عنها
غافلون حقيق بان ينادى له بالآكد الابلغ والجموع واسماؤها المحلاة باللام للعموم حيث لا عهد
ويدل عليه صحة الاستثناء منها والتوكيد بما يفيد العموم كقوله تعالى فسجد الملائكة كلهم اجمعون
واستدلال الصحابة بعمومها شائعا ذائعا فالناس يعم الموجودين وقت النزول لفظا ومن سيوجد
لما تواتر من دينه عليه السلام ان مقتضى خطابه واحكامه شامل للقبيلتين ثابت الى قيام الساعة
الا ما خصه الدليل وما روي عن علقمة والحسن ان كل شيء نزل فيه يا ايها الناس فمكي ويا ايها
الذين آمنوا فمدني ان صح رفعه فلا يوجب تخصيصه بالكفار ولا امرهم بالعبادة فان المامور به
هو المشترك بين بدو العبادة والزيادة فيها والمواظبة عليها فالمطلوب من الكفار هو الشروع فيها

بعد الاتيان بما يجب تقديمه من المعرفة والاقرار بالصانع فان من لوازم وجوب الشيء وجوب
ما لا يتم الا به فكما ان الحدث لا يمنع وجوب الصلوة فالكفر لا يمنع وجوب العبادة بل يجب رفعه والا
شتغال بها عقيبه ومن المؤمنين ازديادهم وثباتهم عليها وانما قال ربكم تنبيها على ان الموجب للعبادة
هي الربوبية الذي خلقكم صفة جرت عليه للتعظيم والتعليل ويحتمل التقييد ان خص الخطاب
بالمشركين واريد بالرب اعم من الرب الحقيقي والالهة التي يسمونها اربابا والخلق ايجاد الشيء على
تقدير واستواء واصله التقدير يقال خلق النعل اذا قدرها وسواها بالمقياس والذين من قبلكم
متناول كل ما يتقدم الانسان بالذات او الزمان منصوب معطوف على الضمير المنصوب في
خلقكم والجملة اخرجت مخرج المقرر عندهم اما لاعترافهم به كما قال ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن
الله ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله او لتمكنهم من العلم به بادنى نظر وقرئ
من قبلكم على اقحام الموصول الثاني بين الاول وصلته تاكيدا كما اقحم جرير في قوله يا تيم تيم عدي
لا ابا لكم تيما الثاني بين الاول وما اضيف اليه لعلكم تتقون حال عن الضمير في اعبدوا
كانه قال اعبدوا ربكم راجين ان تنخرطوا في سلك المتقين الفائزين بالهدى والفلاح المستوجبين
لجوار الله تعالى نبه به على ان التقوى منتهى درجات السالكين وهو التبرؤ من كل شيء سوى الله الى
الله وان العابد ينبغي ان لا يغتر بعبادته ويكون ذا خوف ورجاء كما قال تع يدعون ربهم
خوفا وطمعا يرجون رحمته ويخافون عذابه او من مفعول خلقكم والمعطوف عليه على معنى انه
خلقكم ومن قبلكم في صورة من يرجى منه التقوى لترجح امره باجتماع اسبابه وكثرة الدواعي
اليه وغلب المخاطبين على الغائبين في اللفظ والمعنى على ارادتهم جميعا وقيل تعليل للخلق
اي خلقكم لكي تتقوا كما قال وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وهو ضعيف اذ لم يثبت في اللغة
مثله والآية تدل على ان الطريق الى معرفة الله والعلم بوحدانيته واستحقاقه للعبادة النظر
في صنعه والاستدلال بافعاله وان العبد لا يستحق بعبادته عليه ثوابا فانها لما وجبت عليه
شكرا لما عدد عليه من النعم السابقة فهو كاجير اخذ الاجر قبل العمل الذي جعل لكم الارض

فراشا

فراشا صفة ثانية او مدح منصوب او مرفوع او مبتدأ خبره فلا تجعلوا وجعل من الافعال
العامة يجيء على ثلثة اوجه بمعنى صار وطفق فلا يتعدى كقوله فقد جعلت قلوص ابي سهيل من
الاكوار مرتعها قريب وبمعنى اوجد فيتعدى الى مفعول واحد كقوله تعالى وجعل الظلمات والنور
وبمعنى صير ويتعدى الى مفعولين كقوله جعل لكم الارض فراشا والتصيير يكون بالفعل تارة
وبالقول او العقد اخرى ومعنى جعلها فراشا ان جعل بعض جوانبها بارزا عن الماء مع ما في
طبعه من الاحاطة بها وصيرها متوسطة بين الصلابة واللطافة حتى صارت مهيأة لان تقعدوا
وتناموا عليها كالفراش المبسوط وذلك لا يستدعي كونها مسطحة لان كرية شكلها مع عظم حجمها
واتساع جرمها لا تأبى الافتراش عليها والسماء بناء قبة مضروبة عليكم والسماء اسم جنس يقع
على الواحد والمتعدد كالدينار والدرهم وقيل جمع سماءة والبناء مصدر سمي به المبني بيتا كان
او قبة او خباء ومنه بنى على امرأته لانهم كانوا اذا تزوجوا ضربوا عليها خباء جديدا وانزل من
السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم عطف على جعل وخروج الثمار بقدرة الله ومشيته
ولكن جعل الماء الممزوج بالتراب سببا في اخراجها ومادة لها كالنطفة للحيوان بان اجرى عادته بافاضة
صورها وكيفياتها على المادة الممتزجة منهما او ابدع في الماء قوة فاعلة وفي الارض قوة قابلة يتولد
من اجتماعهما انواع الثمار وهو قادر على ان يوجد الاشياء كلها بلا اسباب ومواد كما ابدع نفوس
الاسباب والمواد ولكن له في انشائها مدرجا من حال الى حال صنعا وحكما يحدد فيها لاولي الابصار
عبرا وسكونا الى عظيم قدرته ليس في ايجادها دفعة ومن الاولى للابتداء سواء اريد بالسماء السحاب
فان ما علاك السماء او الفلك فان المطر يبتدأ من السماء الى السحاب ومنه الى الارض على ما دلت
عليه الظواهر او من اسباب سماوية تثير الاجزاء الرطبة من اعماق الارض الى جو الهواء فتنعقد
سحابا ماطرا ومن الثانية للتبعيض بدليل قوله تع واخرجنا به ثمرات واكتناف المنكرين له اعني
ماء ورزقا كانه قال وانزلنا من السماء بعض الماء فاخرجنا به بعض الثمرات ليكون بعض رزقكم
وهكذا الواقع اذ لم ينزل من السماء الماء كله ولا اخرج بالمطر كل الثمار ولا جعل كل المرزوق ثمارا وللتبيين

والجواب مذكور في الحاشية المكتوبة عليه للعلامة خسرو

ورزقا مفعول بمعنى المرزوق كقولك انفقت من الدراهم الفا وانما ساغ الثمرات والموضع موضع
الكثرة لانه اراد بالثمر جماعة الثمرة التي في قولك اذا ادركت ثمرة بستانه ويؤيده قراءة من الثمرة
على التوحيد او لان الجموع يتعاور بعضها موقع بعض كقوله كم تركوا من جنات وقوله ثلثة قروء
او لانها لما كانت محلاة باللام خرجت عن حد القلة ولكم صفة رزقا ان اريد به المرزوق ومفعوله
ان اريد به المصدر كانه قال رزقا اياكم **فلا تجعلوا لله اندادا** متعلق باعبدوا على انه نهي
معطوف عليه او نفي منصوب باضمار ان جواب له او بلعل على ان نصب تجعلوا نصب فاطلع في قوله
تعالى لعلي ابلغ اسباب السموات فاطلع الحاقا لها بالاشياء الستة لاشتراكها في انها غير موجبة
والمعنى ان تتقوا لا تجعلوا له ندا او بالذي جعل ان استانفت به على انه نهي وقع خبرا على تاويل مقول
فيه فلا تجعلوا والفاء للسببية ادخلت عليه لتضمن المبتدا معنى الشرط والمعنى من حفكم بهذه
النعم الجسام والآيات العظام ينبغي ان لا يشرك به والند المثل المناوي قال جرير اتيما تجعلون
الي ندا وما تيم لذي حسب نديد من ند ندودا اذا نفر وناددت الرجل خالفته خص بالمخالف
المماثل في الذات كما خص المساوي للمماثل في القدر وتسمية ما يعبده المشركون من دون الله اندادا
وما زعموا انها يساويه في ذاته وصفاته ولا انها تخالفه في افعاله لانهم لما تركوا عبادته الى عبادتها
وسموها آلهة شابهت حالهم حال من يعتقد انها ذوات واجبة بالذات قادرة على ان تدفع
عنهم باس الله وتمنحهم ما لم يرد الله بهم من خير فتهكم بهم وشنع عليهم بان جعلوا اندادا لمن يمتنع
ان يكون له ند ولهذا قال موحد الجاهلية زيد بن عمرو بن نفيل اربا واحدا او الف رب ادين
اذا تقسمت الامور تركت اللات والعزى جميعا كذلك يفعل الرجل البصير **وانتم تعلمون** حال
من ضمير فلا تجعلوا ومفعول تعلمون مطروح اي وحالكم انكم من اهل العلم والنظر والراي فلو تاملتم
ادنى تامل اضطر عقلكم الى اثبات موجد للممكنات متفرد بوجوب الذات متعال عن مشابهة
المخلوقات او منوي وهو انها لا تماثله ولا تقدر على مثل ما يفعله كقوله هل من شركائكم من يفعل
من ذلكم من شيء وعلى هذا فالمقصود منه التوبيخ والتثريب لا تقييد الحكم وقصره عليه فان العالم

والجاهل

والجاهل المتمكن من العلم سواء في التكليف واعلم ان مضمون الآيتين هو الامر بعبادة الله والنهي
عن الاشراك به والاشارة الى ما هو العلة والمقتضي وبيانه انه رتب الامر بالعبادة على
صفة الربوبية اشعارا بانها العلة لوجوبها ثم بين ربوبيته بانه خالقهم وخالق اصولهم
وما يحتاجون اليه في معاشهم من المقلة والمظلة والمطاعم والملابس فان الثمرة اعم من المطعوم
والرزق اعم من الماكول والمشروب ثم لما كانت هذه امورا لا يقدر عليها غيره شهدت على
وحدانيته رتب عليها النهي عن الاشراك به ولعله سبحانه اراد من الآية الاخيرة مع ما دل
عليه الظاهر وسيق فيه الكلام الاشارة الى تفصيل خلق الانسان وما افاض عليه من المعاني
والصفات على طريقة التمثيل فمثل البدن بالارض والنفس بالسماء والعقل بالماء وما افاض
عليه من الفضائل العملية والنظرية المحصلة بوساطة استعمال العقل للحواس وازدواج
القوى النفسانية والبدنية بالثمرات المتولدة من ازدواج القوى السماوية الفاعلة و
الارضية المنفعلة بقدرة الفاعل المختار فان لكل آية ظهرا وبطنا ولكل حد مطلعا **وان كنتم في**
ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة لما قرر وحدانيته وبين الطريق الموصل الى العلم بها
ذكر عقيبه ما هو الحجة على نبوة محمد عليه السلام وهو القرآن المعجز بفصاحته التي بذت
فصاحة كل منطيق وافحامه من طولب بمعارضته من مصاقع الخطباء من العرب العرباء
مع كثرتهم وافراطهم في المضادة والمضارة وتهالكهم على المعازة والمعارة وعرف ما يتعرف به
اعجازه ويتيقن انه من عند الله كما يدعيه وانما قال مما نزلنا لان نزوله نجما فنجما بحسب
الوقايع على ما يرى عليه اهل الشعر والخطابة مما يريبهم كما حكى الله عنهم وقال الذين
كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة فكان الواجب تحديهم على هذا الوجه ازاحة للشبهة
والزاما للحجة واضاف العبد الى نفسه تنويها بذكره وتنبيها على انه مختص به منقاد لحكمه
وقرئ عبادنا يريد محمدا وامته والسورة الطائفة من القرآن المترجمة التي اقلها ثلث
آيات وهي ان جعلت واوها اصلية منقولة من سور المدينة لانها محيطة بطائفة

استعير للرتب فقيل يريدون عمر وابن في الشرف ومنه الشئ الدون ثم اتسع فيه فاستعمل
في كل تجاوز وحد الى حد ونحطى مر الى اخر قال تعالى لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء من دون المؤمنين
اى لا تجاوزوا ولاية المؤمنين الى ولاية الكافرين وقال الا تية يا نفس مالك دون الله من واق
اى اذا تجاوزت وقاية الله فلا يقيك غيره ومن متعلقة بادعوا او المعنى وادعوا الى المعارضة
من حضركم او رجوتم معونته من انسكم وجنكم والهتكم غير الله فانه لا يقدر على ان يأتى بمثله
الا الله او ادعوا من دون الله شهداء كم فيشهدون لكم بان ما اتيتم به مثله ولا تستشهدوا بأ
لله فانه من ديدن العاجز المبهوت عن اقامة الحجة او شهداءكم الذين اتخذتموهم من دون الله
اولياء او آلهة وزعمتم انها تشهد لكم يوم القيامة او الذين يشهدون لكم بين يدى الله على
زعمكم من قولك لاعطينك ثمرك القدرى من دونها وهى دونه لبعيدكم وفى ارهم ان يستغيروا
بالجماد فى معارضة القرآن غاية التبكيت والتهكم بهم وقل من دون الله اى من دون اوليائه يعنى فصحاء العرب ووجوه المناهد ليشهدوا لكم ان ما اتيتم به مثله فان العاقل لا يرضى
لنفسه ان تشهد بصحة ما ثبت فساده وبان احتلاله ان كنتم صادقين انه من كلام البشر
وجوابه محذوف دل عليه ما قبله والصدق الاخبار المطابق وقيل مع اعتقاد المخبر انه كذلك
عن دلالة او اما ان لانه تعالى كذب المنافقين فى قولهم انك لرسول الله لما لم يعتقدوا
مطابقته ورد بصرف التكذيب الى قولهم نشهد لان الشهادة اخبار عما علم وهم ما كانوا عالمين
به فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التى وقودها الناس والحجارة تامتين لهم ما يترقون
به امر الرسول وما جاء به وتحيرهم الحق عن الباطل رتب عليه ما هو كالعلة لذلك وهو انهم اذا جهدوا
فى معارضته وعجزوا جميعا عن الاتيان بما يسامى ويدانيه ظهر انه معجز والتصديق به واجب فامنوا
به واتقوا العذاب المخلد لمن كذب فعجز عن الاتيان المكلف بالفعل الذى يعم الاتيان وغيره اجمالا
وترك لازم الجزاء تفخيرا لشأنه على سبيل الكناية وقيل عبر عنه بالوقود تهويلا للشان العناد وتصريحا بالوعيد
مع الايجاز وصدر الشرطية بان الذى للشك والحال يقتضى اذا الذى للوجوب فان العاقل يجتنب

من القرآن مفرزة محوزة على حيالها او محتوية على انواع من العلم احتواء سور المدينة
على ما فيها او من السورة التى هى الرتبة قال ولرهط حرث قد سورن فى المجد ليس غرابها
بطار ولان السور كالمنازل والمراتب يترقى فيها القارئ او لها مراتب فى الطول والقصر والفضل
والشرف وثواب القراءة وان جعلت واوها مبدلة من الهمزة فمن السؤرة التى هى البقية
والقطعة من الشئ والحكمة فى تقطيع القرآن سورا افراد الانواع وتلاحق الاشكال والتجانب
النظم وتنشيط القارئ وتسهيل الحفظ والترغيب فيه فانه اذا ختم سورة تقيض ذلك ضمنه
كما المسافر اذا علم انه قطع ميلا او طوى بريدا والحافظ متى حدقها اعتقد انه اخذ من القرآن حظا
تاما وفاز بطائفة محدودة مستقلة بنفسها فعظم ذلك عنده وابتهج به الى غير ها من الفواصل
من مثله صفة سورة اى بسورة كائنة من مثله والضمير لما نزلنا ومن للتبعيض او للتبيين وزائدة
عند الاخفش اى بسورة مماثلة للقرآن فى البلاغة وحسن النظم او لعبدنا ومن للابتداء اى بسورة
كائنة ممن هو على حاله من كونه بشرا اميا لم يقرأ الكتب ولم يتعلم العلوم او صلة فأتوا والضمير
للعبد والرد الى المنزل اوجه لانه المطابق لقولنا فأتوا بسورة مثله ولسائر آيات التحدى ولان
الكلام فيه لا فى المنزل عليه فحقه ان لا يتفكك عنه ليتسق الترتيب والنظم ولان مخاطبة
الحج الغفير بان يأتوا بمثل ما اتى به واحد من آحاد جملتهم ابلغ فى التحدى من ان يقال لهم لبنات
نحو ما اتى به هذا آخر مثله ولانه معجز فى نفسه لا بالنسبة اليه لقوله تعالى قل لئن اجتمعت الانس
والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولان رده الى عبدنا يوهم امكان صدور
ممن لم يكن على صفته ولا يلائمه قوله وادعوا شهداءكم من دون الله فانه امر بان يستعينوا
بكل من يصرهم ويعينهم والشهداء جمع شهيد بمعنى الحاضر او القائم بالشهادة او الناصر او الامام
وكانه سمى به لانه يحضر النوادى ويقوم بحضرة الامور او من الركيب للحضور اما بالذات وبالنصر ومنه قتل
للقتول فى سبيل الله لانه حضر ما كان يرجوه او الملائكة حضروه ومعنى دون ادنى مكان من الشئ
ومنه تدوين الكتب لانه ادناة البعض من البعض ودونك هذا اى خذه من ادنى مكان منك ثم

استعير

على المضادة لم يتصد والمعارضته والتحدّي الى جلاء الوطن وبذل المهج والثاني تضمنها الاخبار عن
الغيب على ما هو به فانهم لو عارضوه بشيء لا شتهر حفاؤه وعاشوا والطاعون فيه اكشف من
الذابين عنه في عصره والثالث انه عليه السلام لو شك في امر لمادعاهم الى المعارضة بهذه
المبالغة مخافة ان يعارض فيدحض حجته وقوله اعدت للكافرين دليل على ان النار مخلوقة
معدة لهم الآن وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات ان لهم جنات عطف على الجملة السابقة
والمقصود عطف حال من آمن بالقرآن ووصف ثوابه على حال من كفر به وكيفية عقابه على
ما جرت به العادة الالهية من ان يشفع الترغيب بالترهيب تنشيطا لاكتساب ما ينجي وتثبيطا
عن اقتراف ما يردي لا عطف الفعل نفسه حتى يجب ان يطلب له ما يناسبه كله من امر او نهي فيعطف
عليه او على فاتقوا لانهم اذا لم يأتوا بما يعارضه بعد التحدي ظهر عجزهم واذا ظهر ذلك فمن كفر به
استوجب العقاب ومن آمن به استحق الثواب وذلك يستدعي ان يخوف هؤلاء ويبشر هؤلاء
وشوا ما الرسول عليه السلام وعالم كل عصر وكل احد يقدر على البشارة بان يبشرهم ولم يخاطبهم
بالبشارة كما خاطب الكفرة تحقيرا لشانهم وايذانا بانهم احقاء بان يبشروا وينهوا وبما اعد لهم
وقرئ وبشر على البناء للمفعول عطفا على قيل او على عدت فيكون استينافا والبشارة الخبر السار فانه
يظهر اثر السرور في البشرة ولذلك قالت الفقهاء البشارة هو الخبر الاول حتى لو قال لعبده من بشرني بقدوم فلان فهو حر فاخبره فرادى عتقوا جميعا واما قوله تعالى فبشرهم بعذاب اليم فعلى التهكم او على طريقة قولهم تحيتهم بينهم ضرب وجيع
والصالحات جمع صالحة وهي من الصفات الغالبة التي تجري مجرى الاسماء كالحسنة قال الخطيئة
كيف الهجاء وما تنفك صالحة من آل لا ئم بظهر الغيب تأتيني وهي من الاعمال ما يستوعبه الشرع
وحسنه وتانيثها على تاويل الخصلة او الخلة واللام فيها للجنس وعطف العمل على الايمان مرتبا للحكم
عليها اشعار بان السبب في استحقاق هذه البشارة مجموع الامرين والجمع بين الوصفين فان الايمان
الذي هو عبارة عن التحقيق والتصديق اس والعمل الصالح كالبناء عليه ولا غناء باس لا بناء عليه

لم يكن شاكا في عزمهم ولذلك نفى اياتيانهم معترضا بين الشرط والجزاء تهكما بهم او خطابا لمعهم على حسب
ظنهم فان العجز قبل التامل لم يكن محققا عندهم وتفعلوا اجزم بلم لانها واجبة الاعمال منقطعة
بالمضارع متصلة بالمعدول عنها الماضية ما صارت كالجزء منه وحرف الشرط كالداخل على المجموع
وكانه قال فان تركتم الفعل ولذلك ساغ اجتماعهما ولن كلا في نفي المستقبل عزانه ابلغ وهو حرف
مقتضب عند سيبويه والخليل في احدى الروايتين عنه وفي الرواية الاخرى اصله لا ان وعند الفراء
لا قابدلت الفها نونا والوقود بالفتح ما يوقد به النار وبالضم المصدر وقد جاء المصدر بالفتح قال سيبويه
وسمعنا من يقول قدت النار وقودا عاليا والاسم بالضم ولعله مصدر سمي به كما قيل فلان فخر قومه
وزين بلده وقد قرئ به والظاهر ان المراد به الاسم وان ابريد به المصدر فعلى حذف مضاف اي وقودها
احتراق الناس والحجارة وهي جمع حجر كجمالة جمع جمل وهو قليل غير مقيس والمراد بها الاصنام
التي نحتوها وقرنوها بانفسهم وعبدوها طمعا في شفاعتها والانتفاع بها واستدفاع المضار بكاتهم ويدل عليه قوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم عذبوا بما هو منشأ
جرمهم كما عذب الكانزون بما كنزوه او بنقيض ما كانوا يتوقعون زيادة في تحسرهم وقيل الذهب
والفضة التي كانوا يكنزونها ويتجرون بها وعلى هذا لم يكن لتخصيص اعداد هذا النوع من العذاب
بالكفار وجه وقيل حجارة الكبريت وهو تخصيص بغير دليل وابطال للمقصود اذ الغرض تهويل
شانها وتفاقم امرها بحيث تتقد بما لا يتقد لسائر النيران ولما كانت الآية مدنية نزلت بعد
ما نزلت بمكة قوله تعالى في سورة التحريم نارا وقودها الناس والحجارة وسمعوه صح تعريف النار
ووقوع الجملة صلة فانها يجب ان تكون قصة معلومة اعدت للكافرين هيئات لهم وجعلت
عدة لعذابهم وقرئ اعتدت من العتاد بمعنى العدة والجملة استينافا وحالا باضمار قد من النار
لا الضمير الذي في وقودها وان جعلته مصدرا للفصل بينهما بالخبر وفي الآيتين ما يدل على النبوة من وجوه
الاول ما فيها من التحدي والتعريض على الجد وبذل الوسع في المعارضة بالتقريع والتهديد وتعليق الامر
على عدم الاتيان بما يعارض قصر سورة من سور القرآن ثم انهم مع كثرتهم واشتهارهم بالفصاحة وتهالكهم

ولذلك قلما ذكرا مقرونين وفيه دليل على انها خارجة عن مسمى الايمان اذ الاصل ان الشئ لا
يعطف على نفسه وما هو داخل فيه ان لهم منصوب بنزع الخافض وافضاء الفعل اليه او
مجرورا باضمار من مثل لله لا نعلن والجنة المرة من الجن وهو مصدر جنه اذا ستره ومدار التركيب
على الستر سمي بها الشجر المظلل لالتفاف اغصانه للمبالغة كانه يستر ما تحته سترة واحدة قال
كان عيني في غربي مقتلة من النواضح تسقي جنة سحقا اى نخلا طوالا وانما البستان لما فيه من الاشجار
المكاثفة المظللة ثم دار الثواب لما فيها من الجنان وقيل سميت بذلك لانه ستر في الدنيا
ما اعد فيها للبشر من افنان النعم كما قال تعالى فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين وجمعها
وتنكيرها لان الجنان على ما ذكر ابن عباس سبع جنة الفردوس وجنة عدن وجنة النعيم
ودار الخلد وجنة المأوى ودار السلام وعليون وفي كل واحدة منها مراتب ودرجات متفاوتة
على حسب تفاوت الاعمال والعمال واللام يدل على استحقاقهم اياها لاجل ما ترتب عليه
من الايمان والعمل الصالح لا لذاتيه فانه لا يكافي النعم السابقة فضلا من ان يقتضي توابا
وجزاء فيما يستقبل بل بحكم الشارع ومقتضى وعده ولا على الاطلاق بل بشرط ان يستمر عليه
حتى يموت وهو مؤمن لقوله تعالى ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فاولئك حبطت
اعمالهم وقوله تعالى لنبيه عليه السلام لئن اشركت ليحبطن عملك واشباه ذلك ولعله
سبحانه لم يقيدها هنا استغناء بما تجري من تحتها الانهار اى من تحت اشجارها كما ترى
هاجارية تحت الاشجار النابتة على شواطئها وعن سيبويه انها الجنة تجري في غير اخدود والنهر
في الانهار للجنس كما في قولك لفلان بستان فيه الماء الجاري او للعهد والمعهود هي الانهار المذكورة
في قوله تعالى انهار من ماء غير آسن الآية والنهر بالفتح والسكون المجرى الواسع فوق الجدول والودي
البحر كالنيل والفرات والتركيب للسعة والمراد بها ماؤها على الاضمار او المجاري نفسها واسناد
الجري اليها مجازا كما في قوله تعالى واخرجت الارض اثقالها كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا
هذا الذي رزقنا صفة ثانية لجنات او خبر مبتدا محذوف او جملة مستانفة كانه لما قيل

ان لهم جنات وقع في خلد السامع انها ثمارها مثل ثمار الدنيا او اجناس اخر فاريح بذلك
وكلما نصب على الظرف ورزقا مفعول به ومن الاولى والثانية للابتداء واقعتان موقع الحال
وتقديم الكلام ومعناه كلما حين رزقوا ثمرا مرزوقا مبتدأ من الجنات مبتدأ من ثمرة قيد الرزق
بكونه مبتدأ من الجنات وابتداءه منها بابتدائه من ثمرة فصاحب الحال الاولى رزقا وصاحب
الحال الثانية ضمير المستكن في الحال ويحتمل ان يكون من ثمرة بيانا تقدم كما في قولك رأيت
منك اسدا وهذا اشارة الى النوع ما رزقوا كقولك مشيرا الى نهر حاره هذا الماء لا ينقطع فانك لا
تعني به العين المشاهدة بل النوع المعلوم المستمر بتعاقب جرايانه وان كانت الاشارة
الى عينه فالمعنى هذا مثل الذي وكان لما استحكم الشبه بينهما جعل ذاته ذاته كقولك ابو يوسف
ابو حنيفة من قبل اى من قبل هذا في الدنيا جعل ثمر الجنة من جنس ثمر الدنيا لتميل النفس
اول ما راته فان الطباع مائلة الى المألوف متنفرة عن غيره ويتبين لها مزيته وكنه النعمة
فيه اذ لو كان جنسا لم يتعهد ظن انه لا يكون الا كذلك او في الجنة لان طعامها متشابه الصور
كما حكي عن الحسن ان احدهم يؤتى بالصحفة فيأكل منها ثم تؤتى باخرى فيراها مثل الاولى فيقول
ذلك فيقول الملك كل فاللون واحد والطعم مختلف او لما روي انه عليه السلام قال والذي نفس
محمد بيده ان الرجل من اهل الجنة ليتناول الثمرة ليأكلها فما هي واصلة الى فيه حتى يبدل
الله مكانها مثلها فلعلهم اذا راوها على الهيئة الاولى قالوا ذلك والاولى اظهر لمحافظته على
عموم كلما فانه يدل على تردد هم هذا القول كل مرة رزقوا والداعي لهم الى ذلك فرط استغرابهم
وتعجبهم بما وجدوا من التفاوت العظيم في اللذة والتشابه البليغ في الصورة واتوا به متشابها
اعتراض يقرر ذلك والضمير على الاول راجع الى ما رزقوا في الدارين فانه مدلول عليه بقوله
هذا الذي رزقنا من قبل ويظهر قوله تعالى ان يكن غنيا او فقيرا فالله اولى بهما اى بجنسي الغني والفقير
وعلى الثاني الى الرزق فان قيل التشابه هو التماثل في الصفة وهو مفقود بين ثمرات الدنيا والآخرة
كما قال ابن عباس ليس في الجنة من اطعمة الدنيا الا الاسماء قلت التشابه بينهما حاصل في الهيئة التي

يعتورها الاستحالة بان يجعل اجزاءها مثلاً متفاوتة في الكيفية متساوية في القوة لا يقوى بعضها
شيء على حالة الامتناعية ملازمة لا ينفك بعضها عن بعض كما نشاهد في بعض المعادن
هذا وان قياس ذلك العالم واحواله على ما نجده ونشاهد من نقص العقل وضعف البصيرة واعلم
انه لما كان معظم اللذات الحسية مقصورا على المساكن والمطاعم والمناكح على ما دل عليه الاستقراء
وكان مدلول ذلك كله الثبات والدوام فان كل نعم جليلة اذا قارنها خوف الزوال كانت منغصة
غير صافية من شوايب الالم بتقرير المؤمنين بها ومثل ما اعدلهم في الآخرة بأبهى ما يستلذ به منها
وازال عنهم خوف الفوات بوعد الخلود ليدل على كمالهم في النعم والسرور **ان الله لا يستحيي**
يضرب مثلا ما بعوضة لما كانت الآيات السابقة متضمنة لانواع من التمثيل عقب ذلك ببيان
حسنه وما هو الحق له والشرط فيه وهو ان يكون على وفق الممثل له من الجهة التي يتعلق بها التمثيل
في العظم والصغر والحسنة والشرف دون الممثل فان التمثيل انما يصار اليه لكشف المعنى الممثل له
ورفع الحجاب عنه وابرازه في صورة المشاهد المحسوس ليساعد فيه الوهم العقل ويصالحه عليه فان
المعنى الصرف انما يدركه العقل مع منازعة من الوهم لان من طبعه ميل الحس وحب المحاكاة ولذلك
شاعت الامثال في الكتب الالهية وفشت في عبارات البلغاء واشارات الحكماء فيمثل الحقير الحقير بما
يمثل العظيم بالعظيم وان كان الممثل اعظم من كل عظيم كما مثل في الانجيل غل الصدر بالنخالة والقلوب
القاسية بالحصاة وبمخاطبة السفهاء بإنارة الزنابير وجاء في كلام العرب اسمع من قراد واطيش
من فراشة واعز من مخ البعوض لما قالت الجهلة من الكفار لما مثل الله حال المنافقين بحال
المستوقدين واصحاب الصيب وعبادة الاصنام في الوهن والضعف ببيت العنكبوت وجعلها
اقل من الذباب واحتقر قدرا منه انه اعلى واجل من ان يضرب له امثال ويذكر الذباب والعنكبوت
وايضا لما ارشدهم الى ما يدل على ان المتحدى به وحي منزل وعيب عليه وعيد من كفر به ووعد من آمن
بعد ظهور امره شرع في جواب ما طعنوا به فيه فقال ان الله لا يستحيي ان يضرب اي لا يترك ضرب المثل
بالبعوضة ترك من يستحي ان يمثل بها لحقارتها والحياء انقباض النفس عن القبيح مخافة الذم وهو

ي مناط الاسم واللون دون المقدار والطعم وهو كاف في اطلاق التشابه هذا وان للآية
محملا آخر وهو ان مستلذات اهل الجنة في مقابلة ما رزقوا في الدنيا من المعارف والطاعات
متفاوتة في اللذة بحسب تفاوتها فيحتمل ان يكون المراد من هذا الذي رزقنا انه ثوابه ومن تشابه
بعضهما تماثلهما في الشرف والمزية وعلو الطبقة فيكون هذا في الوعد نظير قوله دوقواما كنتم تعملون في
الوعيد **ولهم فيها ازواج مطهرة** مما يستقذر من النساء ويلحق من احوالهن كالحيض والدرن
ودنس الطبع وسوء الخلق فان التطهير يستعمل في الاجسام والاخلاق والافعال وقرئ مطهرات
وهما لغتان فصيحتان يقال للنساء فعلت وفعلن وهن فاعلة وفواعل قال واذا العذارى
بالدخان نقنعت واستعجلت نصب القدور فملت فالجمع على اللفظ والافراد على تاويل الجماعة
ومطهرة بتشديد الطاء وكسر الهاء بمعنى متطهرة ومطهرة ابلغ من طاهرة ومتطهرة للاشعار
بان مطهرا اطهرهن وليس هو الا الله عز وجل والزوج يقال للذكر والانثى وهو في الاصل لما هو له
قرين من جنسه كزوج الخف فان قيل فائدة المطعوم هو التغذي ودفع ضرر الجوع وفائدة
المنكوح التوالد وحفظ النوع وهي مستغنى عنها في الجنة قلت مطاعم الجنة ومناكحها وسائر
احوالها انما تشارك نظائرها الدنيوية في بعض الصفات والاعتبارات وتسمى باسمائها على سبيل
الاستعارة والتمثيل ولا تشاركها في تمام حقيقتها حتى يستلزم جميع ما بين بها ويفيد عين فائدتها
وهم فيها خالدون دائمون والخلد والخلود في الاصل البقاء المديد دام او لم يدم ولذلك
قيل في الاثافي والاحجار خوالد للحجر الذي يبقى من الانسان على حاله ما دام حيا خالدة ولو كان
وضعه للدوام كان التقييد بالتابيد في قوله خالدين فيها ابدا لغوا واستعماله حيث لا دوام كقوله
وقف مخلد يوجب اشتراكا او مجازا والاصل ينفيهما خلافا لما الوضع للاعم منه فاستعمل ذلك
الاعتبار كاطلاق الجسم على الانسان لكن المراد به الدوام ههنا عند الجمهور لما يشهد له من الايات
والسنن فان قيل الابدان مركبة من اجزاء متضادة الكيفية معرضة للاستحالات الموذية
الى الانفكاك والاضمحلال فكيف يعقل خلودها في الجنان قلنا انه تعالى يعيدها بحيث لا

بين الوقاحة التي هي الجراءة على القبايح وعدم المبالاة والخجل الذي هو انحصار النفس عن الفعل
مطلقا واشتقاقه من الحيوة فانه انكسار يعتري القوة الحيوانية فيردها عن افعالها فقيل حيي
الرجل كما قيل نسي وحشي اذا اعتلت نساه وحشاه واذا وصف به الباري تع كما جاء في الحديث
ان الله يستحي من ذي الشيبة المسلم ان يعذبه ان الله حيي كريم يستحي اذا رفع العبد يديه
ان يردهما صفرا حتى يضع فيهما خيرا فالمراد به الترك اللازم للانقباض كما ان المراد من رحمته
وغضبه اصابة المعروف والمكروه اللازمين لعنيهما ونظير قوله يصف ابلا اذا ما استحين الماء
يعرض نفسه كرها عن لبيت في اناء من الورد وانما عدل به عن الترك لما فيه من الثقيل والمبالغة
ويحتمل الآية خاصة ان يكون مجيئه على المقابلة لما وقع في كلام الكفرة وضرب المثل اعتماله من ضرب
الخاتم واصله وقع الشيء على آخر وان بصلتها مخفوض المحل عند الخليل اضمار من مضوب
بافضاء الفعل اليه بعد حذف فيها عند سيبويه وما ابهامية تزيد النكرة ابهاما وشياعا
وتسد عنها طرق التقييد كقولك اعطني كتابا ما اي اي كتاب كان او مزيد للتاكيد كما التي
في قوله تعالى فبما رحمة ولا تعني المزيد للغو الضايع فان القران كله هدى وبيان بل ما لم يوضع
لمعنى يراد منه وانما وضعت لان تذكر مع غيرها فيفيدله وثاقة وهو زيادة في الهدى غير قادح فيه
وبعوضة عطف بيان لمثلا او مفعول ليضرب ومثلا حال تقدمت عليه لانه نكرة
او تميم مفعولا لتضمنه معنى الجعل وقرئت بالرفع على انه خبر مبتداء وعلى هذا يحتمل ما وجوها
احدها ان يكون موصولة حذف صدر صلتها كما حذف في قوله تعالى تماما على الذي احسن وهو
صوفة بصفة كذلك ومحلها النصب بالبدلية على الوجهين واستفهامية على المبتدا كانه لما رد
استبعادهم ضرب الله الامثال قال بعده ما البعوضة فما فوقها حتى لا يضرب به المثل بل الله
ان يمثل بما هو احقر من ذلك ونظيره فلان لا يبالي بما يهب ما دينارا ودينارين والبعوض فعول
من البعض وهو القطع كالبضع والعضب غلب على هذا النوع كالخموش فما فوقها عطف على بعوضة
او ما ان جعل اسما ومعناه ما زاد عليها في الجثة كالذباب والعنكبوت كانه قصد به رد ما

استنكروه

استنكروه والمعنى انه لا يستحي ضرب المثل بالبعوض فضلا عما هو اكبر منه او في المعنى الذي
جعلت فيه مثلا وهو الصغر والحقارة كجناحها فانه عليه السلام ضربه مثلا للدنيا ونظيره
في الاحتمالين ما روي ان رجلا مر على طنب فسطاط فقالت عايشة سمعت رسول الله صلعم
قال ما من مسلم يشاك شوكة فما فوقها الا كتبت له بها درجة ومحيت عنه بها خطيئة فانه
يحتمل ما تجاوز الشوكة في الالم كالحمى وما زاد عليها في القلة كنخبة النملة كقوله عليه السلام
ما اصاب المؤمن من مكروه فهو كفارة لخطاياه حتى نخبة النملة فاما الذين آمنوا فيعلمون
انه الحق من ربهم اما حرف يفصل ما اجمل ويؤكد ما فيه صدر ويتضمن معنى الشرط ولذلك دخلت
الفاء قال سيبويه اما زيد فذاهب معناه مهما يكن من شيء فزيد ذاهب اي هو ذاهب
لا محالة وانه منه عزيمة وكان الاصل دخول الفاء على الجملة لانها الجزاء لكن كرهوا ايلاءها
حرف الشرط فادخلوا الخبر وعوضوا المبتدا عن الشرط لفظا وفي تصدير الجملتين به اجماد لامر
المؤمنين واعتداد بعلمهم وذم بليغ للكافرين على قولهم والضمير في انه للمثل او لان يضرب
والحق الثابت الذي لا يسوغ انكاره يعم الاعيان الثابتة والافعال الصائبة ومن قولهم
حق الامر اذا ثبت ومنه توحقق محكم النسخ واما الذين كفروا فيقولون كان من حقه
واما الذين كفروا فلا يعلمون ليطابق قرينه ويقابل قسيمه لكن لما كان قولهم هذا دليلا
واضحا على كمال اجهلهم عدل اليه على سبيل الكناية ليكون كالبرهان عليه ماذا اراد
الله بهذا مثلا يحتمل وجهين ان يكون ما استفهامية وذا بمعنى الذي وما بعده صلته والمجموع
خبرها وان يكون ما مع ذا اسما واحدا بمعنى اي شيء منصوب المحل على المفعولية مثل ما اراد الله
والاحسن في جوابه الرفع على الاول والنصب على الثاني ليطابق الجواب السؤال والا الارادة تزوع
النفس وميلها الى الفعل بحيث يحملها عليه ويقال للقوة التي هي مبدأ النزوع والاول مع
الفعل والثاني قبله وكلا المعنيين غير متصور باتصاف الباري تعالى به ولذلك اختلفت في
معنى ارادته فقيل ارادته لافعاله انه غير ساه ولا مكره ولا فاعل غيره امر بها فعلى هذا لم يكن

المعاصي بارادته وقيل عليه باشتمال الامر على النظام الاكمل والوجه الاصلح فانه يدعو
القادر الى تحصيله والحق انه ترجيح احد مقدوريه على الآخر وتخصيصه بوجه دون
وجه او معنى وجب هذا الترجيح وهي اعم من الاختيار فانه ميل مع تفضيل وفي هذا التحقيق
واستزاد الوصف منتصب على التمييز او الحال كقوله هذه ناقة الله لكم آية يضل به كثيرا
ويهدي به كثيرا جواب عما ذا اي ضلال كثير وهدا كثير ووضع الفعل موضع المصدر للاشعار
بالحدوث والتجدد او بيان للجملتين المصدرتين بإما وتسجيل بان العلم بكونه حقا هدى وبيان
وان الجهل بوجه ايراده والانكار بحسن مورده ضلال وفسوق وكثرة كل واحد من القبيلين
بالنظر الى انفسهم لا بالقياس الى مقابليهم فان المهديين قليلون بالاضافة الى اهل الضلال
كما قال تعالى وقليل من عبادي الشكور ويحتمل ان يكون كثرة الضالين من حيث العدد
وكثرة المهديين باعتبار الفضل والشرف كما قال قليل اذا عدوا كثير اذا شدوا وقال ان
الكرام كثير في البلاد وان قلوا كما غيرهم قل وان كثروا وما يضل به الا الفاسقين
اي الخارجين عن حد الايمان كقوله تعالى ان المنافقين هم الفاسقون من قولهم فسقت
الرطبة عن قشرها اذا خرجت واصل الفسق الخروج عن القصد قال رؤبة فواسقا
عن قصدها جوائرا والفاسق في الشرع الخارج من امر الله بارتكاب الكبيرة وله درجات ثلث
الاولى التغابي وهو ان يرتكبها احيانا مستقبحا اياها والثانية الانهماك وهو ان يعتاد
ارتكابها غير مبالبها والثالثة الجحود وهو ان يرتكبها مستصوبا اياها فاذا شارف هذا
المقام وتخطى خطته خلع ربقة الايمان من عنقه ولابس الكفر وما دام هو في درجة
التغابي او الانهماك فلا يسلب عنه اسم المؤمن لاتصافه بالتصديق الذي هو مسمى الايمان
ولقوله تعالى وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا والمعتزلة لما قالوا الايمان عبارة
عن مجموع التصديق والاقرار والعمل والكفر تكذيب الحق وجحوده جعلوه قسما ثالثا نازلا
بين منزلتي المؤمن والكافر فلم يشاركه كل واحد منهما في بعض الاحكام وتخصيص الاضلال بهم

مرتبا على صفة الفسق يدل على انه الذي اعدهم للاضلال الى حقارة الممثل به حتى رسخت به
جهالتهم وازدادت به ضلالتهم فانكروه واستهزؤا به وقرئ يضل على البناء للفعول والفاسقون
بالرفع الذين ينقضون عهد الله صفة الفاسقين للذم وتقرير الفسق والنقض فسخ التركيب
واصله في طاقات الحبل واستعماله في ابطال العهد من حيث ان العهد يستعار له الحبل لما فيه من
ربط احد المتعاهدين بالآخر فان اطلق مع لفظ الحبل كان ترشيحا للمجاز وان ذكر مع العهد
كان رمزا الى ما هو من روادفه وقوله من بعد ميثاقه اي بعد توثيقه وتاكيده والميثاق
فعال من الوثاقة وهي الاحكام والمراد به ما وثق الله به عهده من الآيات والكتب او ما وثقوه به من الالتزام والقبول ويحتمل ان يكون بمعنى المصدر
ومن للابتداء فان ابتداء النقض بعد الميثاق ويقطعون ما امر الله به ان يوصل يحتمل
كل قطيعة لا يرضى الله تعالى كقطع الرحم والاعراض عن موالاة المؤمنين والتفرقة بين الانبياء عليهم السلام والكتب في التصديق وترك الجماعات المفروضة وسائر ما فيه رفض حق او
تعالى شانه فانه يقطع الوصلة بين الله وبين العبد المقصودة بالذات من كل وصل وفصل والامر
بالوصل اما على ظاهره او على ان المراد به التمكن من الايمان بجميع الانبياء والكتب
والتوصل الى كل خير او صلة الارحام او مواساة المؤمنين او الكل
وهو الاظهر لعموم اللفظ وشمول الذم لكل قطيعة
وعيد شديد للفاسقين

هو القول الطالب للفعل وقيل مع العلو وقيل مع الاستعلاء وبه سمي الامر الذي هو احد الامور تسمية للمفعول به بالمصدر فانه متأثر منه كما قيل له شأن وهو الطلب والقصد يقال شأنت شأنه اذا قصدت قصده وان يوصل بحرف النصب والخفض على انه بدل من ما اوضمير والثاني احسن لفظا ومعنى ويفسدون في الارض بالمنع عن الايمان والاستهزاء بالحق وقطع الوصل التي بها نظام العالم وصلاحه اولئك هم الخاسرون الذين خسروا باهمال العقل عن النظر واقتناص ما يفيدهم الحيوة الابدية واستبدال الانكار والطعن في الآيات بالايمان بها والنظر في حقايقها والاقتباس من انوارها واشتراء النقض بالوفاء والفساد بالصلاح والعقاب بالثواب كيف تكفرون بالله استخبار رفيه انكار وتعجيب لكفرهم بانكار الحال التي يقع عليها الكفر بعد قيام البرهان على امتناع صدوره لا ينفك عن حال وصفة فاذا انكر ان يكون كفر بها حال يوجد عليها استلزم ذلك انكار وجوده فهو ابلغ واقوى في انكار الكفر من انكفرون واوفق لما بعده من الحال والخطاب مع الذين كفروا بما وصفهم بالكفر وسوء المقال وحبث الفعال خاطبهم على طريقة الالتفات ووبخهم على كفرهم مع علمهم بحالهم المقتضية خلاف ذلك والمعنى اخبروني على اي حال تكفرون وكنتم امواتا اي احساما لا حيوة لها عناصر واغذية واخلاطا ونطفا ومضغا مخلقة وغير مخلقة فاحياكم بخلق الارواح ونفخها فيكم وانما عطف بالفاء لانه متصل بما عطف عليه غير متراخ عنه بخلاف الواو ثم يميتكم عند تقضي آجالكم ثم يحييكم بالنشور يوم نفخ الصور او في السؤال في القبور ثم اليه ترجعون بعد الحشر فيجازيكم باعمالكم او تنشرون اليه من قبوركم للحساب فما اعجب كفركم مع علمكم بحالكم هذه فان قيل ان علموا انهم كانوا امواتا فاحياهم ثم يميتهم لم يعلموا انه يحييهم ثم اليه يرجعون قلت تمكنهم من العلم بها لما نصب لهم من الدلائل منزلة علمهم في ان احدى الحالتين هستيا وفي الآية تنبيه على ما يدل على صحتها وهو انه تعالى لما قدر ان احياهم اولا قدر ان يحييهم ثانيا

فان بدو الخلق ليس باهون عليه من اعادته او مع القبيلين فانه سبحانه لما بين دلايل التوحيد والنبوة ووعدهم على الايمان واوعد على الكفر اكد ذلك بان عدد عليهم النعم العامة والخاصة واستقبح صدور الكفر منهم واستبعده عنهم مع تلك النعم الجليلة فان عظم النعمة يوجب عظم معصية المنعم فان قيل كيف يعد الامانة من النعم المقتضية للشكر قلت لما كانت وصلة الى الحيوة الثانية التي هي الحيوة الحقيقية كما قال تعالى وان الدار الآخرة لهي الحيوان كانت من النعم العظيمة مع ان المعدود عليهم نعمة هو المعنى المنتزع من القصة باسرها كما ان الواقع حالا هو العلم بها لا كل واحدة من الجمل فان بعضها ماض وبعضها مستقبل وكلاهما لا يصح ان يقع حالا او مع المؤمنين حاضة لتقرير الكتة عليهم وتبعيد الكفر عنهم على معنى كيف يتصور منكم الكفر وكنتم امواتا اجنة فاحياكم بما افاد كم من العلم والايمان ثم يميتكم الموت المعروف ثم يحييكم الحيوة الحقيقية ثم اليه ترجعون فيثيبكم بما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر والحيوة حقيقة في القوة الحساسة او ما يقتضيها وبها سمي الحيوان حيوانا مجازا في القوة النباتية لانها من طلايعها ومقدماتها وفيما يخص الانسان من الفضايل كالعقل والعلم والايمان من حيث انها كمالها وغايتها والموت بازائها يقال على ما يقابلها في كل مرتبة قال تعالى قل الله يحييكم ثم يميتكم وقال اعلموا ان الله يحيي الارض بعد موتها وقال او من كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس واذا وصف الله تعالى به فالمراد به كونه بحيث يصح ان يعلم ويقدر على ما يشاء والحي في اسمائه تعالى من يدوم علمه وقدرته اللازمة لذاته القوة فينا او معنى قائم بنا تقتضي ذلك على الاستعارة وقرأ يعقوب ترجعون بفتح التاء في جميع القرآن هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا بيان نعمة اخرى مرتبة على الاولى فانها خلقهم احياء قادرين مرة بعد اخرى وهذه خلق ما يتوقف عليه بقاءهم ويتم به معاشهم ومعنى لكم لاجلكم وانتفاعكم في دنياكم باستنفاعكم بها في مصالح ابدانكم بوسط او غيره

Arabic commentary in the margins and between the lines

اودينكم بالاستدلال والاعتبار والتعرف بمائلتها من لذات الآخرة وآلامها على وجهه
الغرض فان الفاعل الغرض مستكمل به بل على انه كالغرض من حيث انه عاقبة الفعل ومؤداه وهو
يقتضي اباحة الاشياء النافعة ولا يمنع اختصاص بعضها ببعض لاسباب تعرض فانه
بدل على ان الكل للكل الا ان كل واحد لكل واحد وما يتعم كل ما في الارض لا الارض الا اذا اريد جهة
السفل كما يراد بالسماء جهة العلو وجميعا حال عن الموصول الثاني ثم استوى الى السماء قصد اليها
باراداته من فوقهم استوى اليه كما تسم المرسل اذا قصد قصدا مستويا من غير ان يلوي على شيء و
الاستواء طلب التسوية واطلاقه على الاعتدال المنافي من تسوية وضع الاجزاء ولا يمكن حمله
عليها لانه من خواص الاجسام وقيل استوى استولى وملك قالوا فما استوى بشر على العراق
من غير سيف ودم مهراق والاول اوفق للاصل والصلة المعدى بها والتسوية المترتبة عليه
بالقضاء والمراد بالسماء هذه الاجرام العلوية او جهات العلو ثم لعله لتفاوت ما بين الخلقين
وفصل خلق السماء على خلق الارض كقوله ثم كان من الذين آمنوا للتراخي في الوقت فانه مخالف
ظاهر قوله تعالى والارض بعد ذلك دحيها فانه يدل على تاخير دحو الارض المتقدم على خلق
ما فيها عن خلق السماء وتسويتها الا ان تستأنف بدحيها مقدرا النصب الارض فعلا آخر
دل عليه ائتم اشد خلقا مثل تعرف الارض وتدبر امرها بعد ذلك لكنه خلاف الظاهر فسواهن
عدلهن خلقهن مصونة من العوج والفطور وهن ضمير السماء ان فسرت بالاجرام كانه جمع في
معنى الجمع والا فمبهم يفسرهم ما بعد كقولهم ربه رجلا سبع سموات بدل او تفسير فان قيل ليس
في الآية ما يحاب الارصاد انبنوا تسعة افلاك قلت فيما ذكروه شكوك وان صح فليس في الآية
نفي الزايد مع انه ان ضم اليها العرش والكرسي لم يبق خلاف وهو بكل شيء عليم فيه تعليل
كانه قال ولكونه عالما بكنه الاشياء كلها خلق ما خلق على هذا النظم الاكمل والوجه الا
نفع وأستدلالا باتن من كان فعله على هذا النسق العجيب والترتيب الانيق كان عليما فان اتقان
الافعال واحكامها وتخصيصها بالوجه الاحسن الانفع لا يتصور الا من عالم حكيم رحيم وازاحة

لما يختلج في صدورهم من ان الابدان لما تفتت وتبددت اجزاؤها واتصلت بما يشاكلها كيف
يجمع اجزاء كل بدن مرة ثانية بحيث لا يشذ شيء منها ولا ينضم اليها ما لم يكن معها فيعاد منها
كما كان ونظيره قوله تعالى وهو بكل خلق عليم واعلم ان صحة الحشر مبنية على ثلث مقدمات
وقد برهن عليها في هاتين الآيتين اما الاولى فهي ان مواد الابدان قابلة للجمع والحيوة واشار الى
هان عليها بقوله كنتم امواتا فاحياكم ثم يميتكم فان تعاقب الافتراق والاجتماع والموت والحيوة
عليها يدل على انها قابلة لها بذاتها وما بالذات يأبى ان يزول ويتغير واما الثانية والثالثة
فانه عالم بها وبمواقعها قادر على جمعها واحيائها واشار الى وجه اتيانهما بانه تعالى قادر على
ابدائهم وابداء ما هو اعظم خلقا واعجب صنعا فكان اقدر على اعادتهم واحيائهم وانه خلق
ما خلق خلقا مستويا محكما من غير تفاوت واختلال مراعا فيه مصالحهم وسد حاجاتهم
وذلك دليل على تناهي علمه وكمال حكمته جلت قدرته ودقت حكمته وتقدست نافع وابو عمرو
والكسائي الهاء من نحو فهو وهو تشبيها له بعضد واذ قال ربك للملائكة اني جاعل
في الارض خليفة تعداد لنعمة ثالثة تعم الناس كلهم فان خلق آدم والزامه وتفضيله على ملكوته
بان امرهم بالتجود انعام يعم ذريته واذ ظرف وضع لزمان نسبة ماضية وقع فيه اخرى
لزمان نسبة مستقبلة تقع فيه اخرى ولذلك يجاب اضافتها الى الجمل كحيث في المكان
كما وضع اذا وبنيتا تشبيها بالموصولات واستعملتا للتعليل والمجازاة ومحلهما النصب ابدا بالظرفية
فانهما من الظروف الغير المتصرفة لما ذكرناه واما قوله واذكروا اذ انتم قومه ونحو فعلى
تاويل اذكر الحادث اذ كان كذا فحذف الحادث واقيم الظرف مقامه وعامله في الآية قالوا
او اذكر على التاويل المذكور لانه جاء معمولا له صريحا في القرآن كثيرا او مضمر دل عليه مضمون الآية
المتقدمة مثل وبدأ خلقكم اذ قال وعلى هذا فالجملة معطوفة على خلق لكم داخلة في حكم الصلة
وعن نحو انه مزيد والملائكة جمع ملأك على الاصل كالشمائل والتاء ولتانيث الجمع وهو مقلوب
مالك من الالوكة وهي الرسالة لانهم وسائط بين الله وبين الناس فهم رسل الله او كالرسل

اختلف فى حقيقة الملائكة

اليهم واختلف العقلاء فى حقيقتهم بعد اتفاقهم على انها ذوات موجودة قائمة بانفسها
فذهب اكثر المسلمين الى انها اجسام لطيفة قادرة على التشكل باشكال مختلفة مستدلين
بان الرسل كانوا يرونهم كذلك وقالت طائفة من النصارى هى النفوس الفاضلة البشرية المفارقة
للابدان وزعم الحكماء انها جواهر مجردة مخالفة للنفوس الناطقة فى الحقيقة منقسمة
الى قسمين قسم شأنهم الاستغراق فى معرفة الحق والتنزه عن الاشتغال بغيره كما وصفهم فى محكم
تنزيله فقال يسبحون الليل والنهار لا يفترون وهم العليون والملائكة المقربون وقسم يدبر
الامر من السماء الى الارض على ما سبق به القضاء وجرى به القلم الالهى لا يعصون الله ما امرهم
ويفعلون ما يؤمرون وهم المدبرات امرا فمنهم سماوية ومنهم ارضية على تفصيل اثبتّه
فى كتاب الطوالع والمقول له الملائكة كلهم لعموم اللفظ وعدم المخصص وقيل ملائكة الارض
وقيل ابليس ومن كان معه فى محاربة الجن فانه تعالى اسكنهم فى الارض ولا فافسدوا
فيها فبعث اليهم ابليس فى جند من الملائكة فدمرهم وفرقهم فى الجزاير والجبال وجاعل من جعل
الذى له مفعولان وهنا فى الارض خليفة اعمل فيها لانه بمعنى الاستقبال ومعتمد على مسند
اليه ويجوز ان يكون بمعنى خالق والخليفة من يخلف غيره وينوب منابه والهاء للمبالغة
والمراد به آدم عليه السلام فانه كان خليفة الله فى ارضه وكذلك كل نبى استخلفهم الله فى عماة
الارض وسياسة الناس وتكميل نفوسهم وتنفيذ امره فيهم لا لحاجة به تعالى الى من ينوبه
بل لقصور المستخلف عليه عن قبول فيضه وتلقى امره بغير وسط ولذلك لم يستنبئ ملكا كما
قال الله تعالى ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا الا ترى ان الانبياء لما فاقت قوتهم واشتعلت
قوتهم بحيث يكاد زيتها يضئ ولو لم تمسسه نار ارسل اليهم الملائكة ومن كان منهم اعلى
رتبة كلمه بلا واسطة كما كلم موسى فى الميقات ومحمدا صلوات الله عليه ليلة المعراج ويقرب
ذلك فى الطبيعة ان العظم لما عجز عن قبول الغذاء عن الجم لما بينهما من التباعد جعل البارئ
بحكمته بينهما العضروف المناسب لهما ليأخذ من هذا ويعطى ذاك او خليفة من سكن

العليون والمقربون

المدبرات امرا

الطوالع تائب الملس

الارض

الارض قبله او هو وذريته لانهم يخلفون من قبلهم او يخلف بعضهم بعضا وافرادا للفظ
اما للاستغناء بذكر عن ذكر بنيه كما استغنى بذكر ابى القبيلة فى قولهم مضر وهاشم او
على تاويل من يخلفكم او خلقا يخلفكم وفائدة قوله هذا للملائكة تعليم المشاورة وتعظيم شأن
المجعول بان نبّه بوجوده شكان ملكوته ولقبه بالخليفة قبل خلقه واظهار فضله الراجح
على ما فيه من المفاسد بسؤالهم وجوابه وبيان ان الحكمة يقتضى احيانا ما يغلب خيره فان
ترك الخير الكثير لاجل الشر القليل شر كثير الى غير ذلك قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها
ويسفك الدماء تعجب من ان يستخلف لعمارة الارض واصلاحها من يفسد فيها او يتخالف
مكان اهل الطاعة اهل المعصية والاستكشاف عما خفى عليهم من الحكمة التى هى تلك
المفاسد والوقوف عليها واستجهارا عما يرد شبهتهم ويزيح شبههم كسؤال المتعلم معلمه عما يختلج فى صدره
وليس باعتراض على الله تعالى ولا طعن فى بنى آدم على وجه الغيبة فانهم اعلى من ان يظن بهم
ذلك لقوله تعالى بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون وانما عرفوا ذلك
باخبار من الله تعالى او تلقى من اللوح او استنباط اعتمادا على ان العصمة من خواصهم
او قياسا لاحد الثقلين على الآخر والسفك والسبك والسفح والشن انواع من الصب فالسفك
يقال فى الدم والدمع والسبك فى الجواهر المذابة والسفح فى الصب من اعلى والشن فى الصب
عن فم القربة ونحوها وكذلك السن وقرئ يسفك على البناء للمفعول فيكون الراجح الى من سواء
جعل موصولا او موصوفا محذوفا اى يسفك الدماء فيهم ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك حال
مقررة لجهة الاشكال كقولك اتحسن الى اعدائك وانا الصديق المحتاج والمعنى اتستخلف
عصاة ونحن معصومون احقاء بذلك والمقصود منه الاستفسار عما رجحهم مع ما هو متوقع
منهم على الملائكة المعصومين فى الاستخلاف المجبولين على التفاخر وكانهم علموا ان المجعول خليفته
ذو ثلث قوى عليها مدار امره شهوية وغضبية تؤديان به الى الفساد وسفك الدماء وعقلية
تدعوه الى المعرفة والطاعة ونظروا اليها مفردة وقالوا انما الحكمة فى استخلافه وهو اعتبار

قوله والشجاعة فانها اعتدال القوة الغضبية وافراطها تهور وتفريطها جبن وكلاهما مذموم

القوتين لا يقتضي الحكمة ايجاده فضلا عن استخلافه واما باعتبار القوة العقلية فنحن نقيم
ما يتوقع منها سليما عن معارضة تلك المفاسد وغفلوا عن فضيلة كل واحدة من القوتين
اذا صارت مهذبة مطواعة للعقل متمرنة على الخير كالعفة والشجاعة ومجاهدة الهوى و
الانصاف ولم يعلموا ان التركيب يفيد ما يقصر عنه الآحاد كالاحاطة بالجزئيات واستنباط
الصناعات واستخراج منافع الكائنات من القوة الى الفعل الذي هو المقصود من الاستخلاف
واليه اشار تعالى اجمالا بقوله قال اني اعلم ما لا تعلمون والتسبيح تبعيد الله عن السوء
وكذلك التقديس من سبح في الارض والماء وقدس في الارض اذا ذهب فيها وابعد ويقال
قدس اذا طهر لان مطهر الشيء مبعده عن الاقذار وبحمدك في موضع الحال اي ملتبسين بحمدك
على ما الهمتنا معرفتك ووفقتنا لتسبيحك تداركوا به ما اوهم اسناد التسبيح الى انفسهم
ونقدس لك نطهر نفوسنا عن الذنوب لاجلك كانهم قابلوا الفساد المفسر بالشرك عند قوم بالتسبيح
وسفك الدماء الذي هو اعظم الافعال الذميمة بتطهير النفس عن الآثام وقيل نقدسك
واللام مزيدة وعلم آدم الاسماء كلها اما بخلق علم ضروري بها فيه او القاء في روعه ولا
يفتقر الى سابقة اصطلاح ليتسلسل والتعليم فعل يترتب عليه العلم غالبا ولذلك يقال
علمته فلم يتعلم وآدم اسم اعجمي كآزر وشالخ واشتقاقه من الادمة او الادمة بالفتح بمعنى
الاسوة او من اديم الارض لما روي عنه عليه السلام انه تعالى قبض قبضة من جميع الارض سهلها
وحزنها فخلق منها آدم فلذلك يأتي بنوه اخيافا او من الادم او الادمة بمعنى الالفة تعسف
كاشتقاق ادريس من الدرس ويعقوب من العقب وابليس من الابلاس والاسم باعتبار
الاشتقاق ما يكون علامة للشيء ودليلا يرفعه الى الذهن من الالفاظ والصفات والافعال
واستعماله عرفا في اللفظ الموضوع لمعنى سواء كان مركبا او مفردا مخبرا عنه او خبرا او رابطة
بينهما واصطلاحا في المفرد الدال على معنى في نفسه غير مقترن باحد الازمنة الثلثة والمراد في
الآية اما الاول او الثاني وهو يستلزم الاول لان العلم بالالفاظ من حيث الدلالة متوقف

على العلم

على العلم بالمعاني والمعنى انه تعالى خلقه من اجزاء مختلفة وقوى متباينة مستعدا
لادراك انواع المدركات من المعقولات والمحسوسات والمتخيلات والموهومات والهمه
معرفة ذوات الاشياء وخواصها واسماءها واصول العلوم وقوانين الصناعات وكيفية
الاتها ثم عرضهم على الملائكة الضمير فيه للمسميات المدلول عليها ضمنا اذ التقدير اسماء
المسميات فحذف المضاف اليه لدلالة المضاف عليه وعوض عنه اللام كقوله واشتعل الراس
شيبا لان العرض للسؤال عن اسماء المعروضات فلا يكون المعروض نفس الاسماء سيما ان اريد
به الالفاظ والمراد به ذوات الاشياء او مدلولات الالفاظ وتذكيره لتغليب ما اشتمل عليه من
العقلاء وقرئ عرضهن وعرضها على معنى عرض مسمياتهن او مسمياتها فقال انبئوني باسماء
هؤلاء تبكيت لهم وتنبيه على عجزهم عن امر الخلافة فان التصرف والتدبير واقامة المعدلة
قبل تحقق المعرفة والوقوف على مراتب الاستعدادات وقدر الحقوق محال وليس بتكليف ليكون
من باب التكليف بالمحال والانباء اخبار فيه اعلام ولذلك يجري مجرى كل واحد منهما ان كنتم
صادقين في زعمكم انكم احقاء بالخلافة لعصمتكم او ان خلقهم واستخلافهم وهذه صفتهم
لا يليق بالحكيم وهو وان لم يصرحوا به لكنه لازم مقالهم والتصديق كما يتطرق الى الكلام
باعتبار منطوقه قد يتطرق اليه بفرض ما يلزم مدلوله من الاخبار وبهذا الاعتبار يعتري
الانشاءات قالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا اعتراف بالعجز والقصور واشعار بان سؤالهم
كان استفسارا ولم يكن اعتراضا وانه قد بان لهم ما خفي عليهم من فضل الانسان والحكمة
في خلقه واظهار لشكر نعمه بما عرفهم وكشف لهم ما اعتقل عليهم ومراعاة للادب بتفويض
العلم كله اليه وسبحان مصدر كغفران ولا يكاد يستعمل الا مضافا منصوبا باضمار فعله كمعاذ
الله وقد اجري علما للتسبيح بمعنى التنزيه على الشذوذ في قوله سبحان من علقمة الفاخر
وتصدير الكلام به اعتذار عن الاستفسار والجهل بحقيقة الحال ولذلك جعل مفتاح
التوبة فقال موسى صلوات الله عليه سبحانك تبت اليك وقال يونس عليه السلام سبحانك اني

كنت من الظالمين انك انت العليم الذي لا يخفى عليه خافية الحكيم المحكم لمبدعاته الذي
لا يفعل الا ما فيه حكمة بالغة وانت فصل وقيل تاكيد للكاف كما في قولك مررت بك انت
وان لم تجز مررت بانت اذ التابع يسوغ فيه ما لا يسوغ في المتبوع ولذلك جاز يا هذا الرجل
ولم يجز يا الرجل وقيل مبتدأ خبره ما بعده والجملة خبر ان قال يا آدم انبئهم باسمائهم
اي اعلمهم وقرئ بقلب الهمزة ياء وحذفها بكسر الهاء فيهما فلما انبأهم باسمائهم قال الم اقل لكم
اني اعلم غيب السموات والارض واعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون استحضار لقوله اعلم ما لا تعلمون
لكنه جاء به على وجه ابسط ليكون كالحجة عليه فانه تعالى لما علم ما خفي عليهم من امور السموات والارض
وما ظهر لهم من احوالهم الظاهرة والباطنة علم ما لا يعلمون وفيه تعريض بمعاتبتهم على ترك
الاولى وهو ان يتوقفوا مترصدين لان يبين لهم وقيل ما تبدون قولهم اتجعل فيها من يفسد فيها
وما تكتمون استبطانهم انهم احقاء بالخلافة وانه تعالى لا يخلق خلقا افضل منهم وقيل
ما اظهروا من الطاعة واسر منهم ابليس من المعصية والهمزة للانكار دخلت حرف الجحد فافادت الاثبات
والتقرير واعلم ان هذه الآيات تدل على شرف الانسان ومزية العلم وفضله على العبادة
وانه شرط في الخلافة بل العمدة فيها وان التعليم يصح اسناده الى الله تعالى وان لم يصح اطلاق المعلم
عليه لاختصاصه بمن يحترف به وان اللغات توقيفية فان الاسماء تدل على الالفاظ بخصوص
او عموم وتعليمها ظاهر في القائها على المتعلم مبينا له معانيها وذلك يستدعي سابقة وضع
والاصل ينفي ان يكون ذلك الوضع ممن كان قبل آدم فيكون من الله وان مفهوم الحكمة زائد على
مفهوم العلم والا لتكرر قوله انك انت العليم الحكيم وان علوم الملائكة وكمالاتهم تقبل الزيادة
والحكماء منعوا ذلك في الطبقة الاعلى منهم وحملوا عليه قوله تعالى وما منا الا له مقام معلوم
وان آدم افضل من هؤلاء الملائكة لانه اعلم منهم والاعلم افضل لقوله تعالى هل يستوي الذين
يعلمون والذين لا يعلمون وانه تعالى يعلم الاشياء قبل حدوثها واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم
لما انبأهم باسمائهم وعلمهم ما لم يعلموا امرهم بالسجود اعترافا بفضله واداء لحقه واعتذارا

لما قالوا

لما قالوا فيه وقيل امرهم به قبل ان يسوى خلقه لقوله تعالى فاذا سويته ونفخت فيه فقعوا
له ساجدين امتحانا لهم واظهارا لفضله والعاطف عطف الظرف على الظرف السابق ان نصبته
بمضمر والا عطفه بما يقدر عاملا فيه على الجملة المتقدمة بل القصة باسرها على القصة الاخرى
وهي نعمة رابعة عدها عليهم والسجود في الاصل تذلل مع تطامن قال الشاعر ترى
الاكم فيه سجدا للحوافر وقال وقلن له اسجد لليلى فاسجدا يعني البعير اذا طأطأ راسه
وفي الشرع وضع الجبهة على قصد العبادة والمامور به اما المعنى الشرعي فالمسجود له بالحقيقة هو
الله تعالى وجعل آدم قبلة سجودهم تفخيما لشانه او سببا لوجوبه وكانه تعالى لما خلقه بحيث
يكون انموذجا للمبدعات كلها بل الموجودات باسرها ونسخة لما في العالم الروحاني والجسماني
وذريعة للملائكة الى استيفاء ما قدر لهم من الكمالات ووصلة الى ظهور ما تباينوا فيه
من المراتب والدرجات امرهم بالسجود تذللا لما راوا فيه من عظم قدرته وباهر آياته
وشكرا لما انعم عليهم بوساطته فاللام فيه كاللام في قول حسان اليس اول من صلى لقبلتكم
واعرف الناس بالقرآن والسنن او في قوله تعالى اقم الصلوة لدلوك الشمس واما المعنى اللغوي
وهو التواضع لآدم تحية وتعظيما له كسجود اخوة يوسف له او التذلل والانقياد بالسعي في تحصيل
ما ينوط به معاشهم ويتم به كمالهم والكلام في ان المامورين بالسجود الملائكة كلهم او طائفة منهم
ما سبق فسجدوا الا ابليس ابى واستكبر امتنع عما امر استكبارا من ان يتخذه وصلة في عبادة
ربه او يعظمه ويتلقاه بالتحية او يخدمه ويسعى لما فيه خيره وصلاحه والاباء امتناع
باختيار والتكبر ان يرى الرجل نفسه اكبر من غيره والاستكبار طلب ذلك بالتشبع وكان من
الكافرين اي في علم الله او صار منهم باستقباحه امر الله اياه بالسجود لآدم اعتقادا بانه افضل
منه والافضل لا يحسن ان يؤمر بالتخضع للمفضول والتوسل به كما اشعر به قوله انا خير منه جوابا
لقوله ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي استكبرت ام كنت من العالين لا بترك الواجب وحده
والآية تدل على ان آدم افضل من الملائكة المامورين بالسجود له ولو من وجه وان ابليس

كان من الملائكة والا لم يتناوله امرهم ولم يصح استثناؤه منهم ولا يرد ذلك قوله
تعالى الا ابليس كان من الجن فعلا ومن الملائكة نوعا ولان ابن عباس روى ان من الملائكة
ضربا يتوالدون يقال لهم الجن ومنهم ابليس ولمن زعم انه لم يكن من الملائكة ان يقول انه
كان جنيا نشأ بين اظهر الملائكة وكان مغمورا بالالوف منهم فغلبوا عليه او الجن ايضا كانوا
مامورين مع الملائكة لكنه استغنى بذكر الملائكة عن ذكرهم فانه اذا علم ان الاكابر مامورون
بالتذلل لاحد والتوسل به علم ان الاصاغر ايضا مامورون به والضمير في فسجدوا راجع الى القبيلتين
وكانه قال فسجد المامورون بالسجود الا ابليس وان من الملائكة من ليس بمعصوم وان كان الغالب
فيهم العصمة كما ان من الانس معصومين والغالب فيهم عدم العصمة ولعل ضربا من الملائكة
لا يخالف الشياطين بالذات وانما يخالفهم بالعوارض والصفات كالبررة والفسقة من الا
نس والجن يشملهما وكان ابليس من هذا الصنف كما قال ابن عباس فلذلك صح عليه التغير
من حاله والهبوط عن محله كما اشار اليه بقوله عز وعلا الا ابليس كان من الجن ففسق عن امر ربه
لا يقال كيف يصح ذلك والملائكة خلقت من نور والجن من نار لما روت عايشة انه عليه
السلام قال خلقت الملائكة من النور وخلق الجن من مارج من نار لانه كالتمثيل لما ذكرت
فان المراد بالنور الجوهر المضيء والنار كذلك غير ان ضوءها مكدر مغمور بالدخان محذور عنه
بسبب ما يصحبه من فرط الحرارة والاحراق فاذا صارت مهذبة مصفاة كانت محض نور ومتى
نكصت عادت الحالة الاولى جذعة ولا يزال يتزايد حتى ينطفئ نورها ويبقى الدخان الصرف وهذا
اشبه بالصواب ووفق للجمع بين النصوص والعلم عند الله تعالى ومن فوايد الآية استقباح
الاستكبار وانه قد يفضي بصاحبه الى الكفر والحث على الايتمار لامره وترك الخوض في سره وان الامر
للوجوب وان الذي علم الله من حاله انه يتوفى على الكفر هو الكافر على الحقيقة اذ العبرة بالخواتيم وان
كان بحكم الحال مؤمنا وهو الموافاة المنسوبة الى شيخنا ابي الحسن الاشعري رحمه الله وقلنا يا آدم
اسكن انت وزوجك الجنة السكنى من السكون لانها استقرار ولبث وانت تاكيد اكد به المستكن



ليصح العطف عليه وانما لم يخاطبهما اولا تنبيها على انه المقصود بالحكم والمعطوف عليه تبع له
والجنة دار الثواب لان اللام للعهد ولا معهود غيرها ومن زعم انها لم تخلق بعد قال انه
كان بستان كان بارض فلسطين او بين فارس وكرمان خلقه الله تعالى امتحانا لآدم وحمل الا
هباط على الانتقال منه الى ارض الهند كما في قوله تعالى اهبطوا مصرا وكلا منها رغدا واسعا
رافها صفة مصدر محذوف حيث شئتما اي مكان من الجنة شئتما وسع الامر عليهما ازاحة للعلة
والعذر في التناول من الشجرة المنهي عنها من بين اشجارها الفائتة للحصر ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا
من الظالمين فيه مبالغات تعليق النهي بالقرب الذي هو من مقدمات التناول مبالغة
في تحريمه ووجوب الاجتناب عنه وتنبيها على ان القرب من الشيء يورث داعية وميلا تاخذ
بمجامع القلب وتلهيه عما هو مقتضى العقل والشرع كما روي حبك الشيء يعمي ويصم فينبغي ان لا يحوما
حول ما حرم عليهما مخافة ان يقعا فيه ويجعله سببا لان يكونا من الظالمين الذين ظلموا انفسهم
بارتكاب المعاصي وبنقص حظهما بالاتيان بما يخل بالكرامة والنعيم فان الفاء يفيد السببية سواء
جعلته للعطف على النهي او الجواب له والشجرة هي الحنطة او الكرمة او التينة او شجرة من اكل
منها احدث والاولى ان لا تعين من غير قاطع كما لم تعين في الآية لعدم توقف ما هو المقصود
عليه وقرئ بكسر الشين وتقربا بكسر التاء وهذي بالياء فازلهما الشيطان عنها اصدر زلتهما
عن الشجرة وحملهما على الزلة بسببها ونظيره عن هذه في قوله تعالى وما فعلته عن امري او ازلهما
عن الجنة بمعنى اذهبهما ويعضده قراءة حمزة فازالهما وهما يتقاربان في المعنى غير ان زل
يقتضي عثرة مع الزوال وازلاله قوله هل ادلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى وقوله ما نهاكما
ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين او تكونا من الخالدين ومقاسمته اياهما بقوله اني لكما لمن
الناصحين واختلف في انه تمثل لهما فقاولهما بذلك او القاه اليهما على طريق الوسوسة وانه كيف
توصل الى ازلالهما بعد ما قيل له اخرج منها فانك رجيم فقيل انه منع من الدخول على جهة
التكرمة كما كان يدخل مع الملائكة ولم يمنع ان يدخل للوسوسة ابتلاء لآدم وحوا وقيل قام

عند الباب فناداهما وقيل تمثل بصورة دابة فدخل ولم يعرفه الخزنة وقيل دخل
في فم الحية حتى دخلت به وقيل ارسل بعض اتباعه فازلهما والعلم عند الله تعالى
فاخرجهما مما كانا فيه اي من الكرامة والنعيم وقلنا اهبطوا خطاب لآدم وحوا لقوله
تعالى اهبطا منها جميعا وجمع الضمير لانهما اصلا الانس وكانهما الجنس كلهم او هما وابليس اخرج منها
ثانيا بعد ما كان يدخلها للوسوسة او دخلها مسارقة او من السماء بعضكم لبعض
عدو حال استغنى فيها عن الواو بالضمير والمعنى متعادين يبغي بعضكم على بعض بتضليله ولكم
في الارض مستقر موضع استقرار او استقرار ومتاع تمتع الى حين يريد به وقت الموت
او القيامة فتلقى آدم من ربه كلمات استقبلها بالاخذ والقبول والعمل بها حين علمها
وقرأ ابن كثير بنصب آدم ورفع كلمات على انها استقبلته وبلغته وهي قوله تعالى ربنا
ظلمنا انفسنا الآية وقيل سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك لا اله الا
انت ظلمت نفسي فاغفر لي انه لا يغفر الذنوب الا انت وعن ابن عباس قال يا رب الم تخلقني
بيدك قال بلى قال يا رب الم تنفخ في الروح من روحك قال بلى قال يا رب الم تسكني جنتك قال بلى
قال يا رب ان تبت واصلحت اراجعي انت الى الجنة قال نعم واصل الكلمة الكلم وهو التاثير المدرك
باحدى الحاستين السمع والبصر كالكلام والجراحة فتاب عليه رجع عليه بالرحمة وقبول التوبة
وانما رتبه بالفاء على تلقي الكلمات لتضمنه معنى التوبة وهو الاعتراف بالذنب والندم
عليه والعزم ان لا يعود اليه واكتفى بذكر آدم لان حوا كانت تبعا له في الحكم ولذلك طوى
ذكر النساء في اكثر القران والسنن انه هو التواب الرجاع على عباده بالمغفرة او الذي يكثر
اعانتهم على التوبة واصل التوبة الرجوع فاذا وصف به العبد كان رجوعا عن المعصية
واذا وصف بها الباري تعالى اريد بها الرجوع من العقوبة الى المغفرة الرحيم المبالغ في الرحمة
وفي الجمع بين الوصفين وعد للتائب بالاحسان مع العفو قلنا اهبطوا منها جميعا كرر للتا
كيد او لاختلاف المقصود فان الاول دل على ان هبوطهم الى دار بلية يتعادون فيها ولا يخلدون

اختلفوا في الكلمات التي تلقى آدم من ربه

التوبة اذا وصف بها العبد كان رجوعا عن المعصية واذا وصف بها الباري تعالى اريد بها الرجوع من العقوبة

والثاني

والثاني اشعر بانهم اهبطوا للتكليف فمن اهتدى الهدى نجا ومن ضله هلك والتنبيه على ان
مخافة الاهباط المقترن باحد هذين الامرين وحدها كافية للحازم ان تعوقه عن مخالفة
حكم الله تعالى فكيف بالمقترن بهما ولكنه نسي ولم يجد له عزما وان كل واحد منهما كفى به نكالا
لمن اراد ان يذكر وقيل الاول من الجنة الى السماء الدنيا والثاني منها الى الارض وهو كما ترى وجميعا
حال في اللفظ تاكيد في المعنى كانه قيل اهبطوا انتم اجمعون ولذلك لا يستدعي اجتماعهم على الهبوط
في زمان واحد كقوله جاؤا جميعا فاما ياتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم
ولا هم يحزنون الشرط الثاني مع جوابه جواب الشرط الاول وما مزيدة اكدت به ان ولذلك حسن
تاكيد الفعل بالنون وان لم يكن فيه معنى الطلب والمعنى ان ياتينكم مني هدى بانزال او ارسال
فمن تبعه منكم نجا وفاز وانما جيء بحرف الشك واتيان الهدى كائن لانه محتمل في نفسه غير واجب عقلا
وكرر لفظ الهدى ولم يضمر لانه اراد بالثاني اعم من الاول وهو ما اتى به الرسل واقتضاه العقل
اي فمن تبع ما اتاه مراعيا فيه ما يشهد به العقل فلا خوف عليهم فضلا من ان يحل بهم مكروه
ولا هم يفوت عنهم محبوب فيحزنوا عليه فالخوف على المتوقع والحزن على الواقع نفى عنهم العذاب
واثبت لهم الثواب على اكد وجه وابلغه وقرئ هدي على لغة هذيل ولا خوف بالفتح
والذين كفروا وكذبوا باياتنا اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون عطف على فمن تبع
الى آخره قسيم له كانه قال ومن لم يتبع بل كفروا بالله وكذبوا باياته او كفروا بالايات جنانا وكذ
بوا بها لسانا فيكون الفعلان متوجهين الى الجار والمجرور والآية في الاصل العلامة الظاهرة
ويقال للمصنوعات من حيث انها تدل على وجود الصانع وعلمه وقدرته ولكل طائفة من
كلمات القرآن المتميزة عن غيرها بفصل واشتقاقها من اي لانها تبين ايا من اي او من اوى
اليه واصلها اية او اوية كتمرة فابدلت عينها على غير قياس او ايية او اوية كرمكة
فاعلت او آيية كقائلة فحذفت الهمزة تخفيفا والمراد باياتنا الآيات المنزلة او ما يعمها
وقد تمسكت الحشوية بهذه القصة على عدم عصمة الانبياء عليهم السلام من وجوه الاول

الخوف على المتوقع والحزن على الواقع

العقاب

تمسكت الحشوية بهذه القصة على عدم عصمة الانبياء من وجوه

والمعقولة

ان آدم صلوات الله عليه كان نبيًّا وارتكب المنهي عنه والمرتكب له عاصٍ والثاني انه جعل
بارتكابه من الظالمين والظالم ملعون كقوله الا لعنة الله على الظالمين والثالث انه تعالى
اسند اليه العصيان والغي وقال وعصى آدم ربه فغوى والرابع انه تعالى لقنه التوبة
وهي الرجوع عن الذنب والندم عليه والخامس اعترافه بانه خاسر لولا مغفرة الله اياه بقوله
وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين والخاسر من يكون ذا كبيرة والسادس انه لو لم
يذنب لم يجر عليه ما جرى والجواب من وجوه الاول انه لم يكن نبيًّا ح والمدعي مطالب
بالبيان والثاني ان النهي للتنزيه وانما سمي ظالما وخاسرا لانه ظلم نفسه وخسر حظه بترك الاولى
له واما اسناد الغي والعصيان اليه فسيأتي الجواب عنه في موضعه ان شاء الله وانما امر
بالتوبة تلافيا لما فات عنه وجرى عليه ما جرى معاتبة له على ترك الاولى ووفاء بما قاله
للملائكة قبل خلقه والثالث انه فعله ناسيا لقوله تعالى فنسي ولم نجد له عزما ولكنه
عوتب بترك التحفظ عن اسباب النسيان فلعله وان حط عن الامة لم يحط عن الانبياء لعظم
قدرهم كما قال عليه السلام اشد الناس بلاء الانبياء ثم الاولياء ثم الامثل فالامثل
او ادى فعله الى ما جرى عليه على طريق السببية المقدرة دون المواخذة كتناول السم على الجهل
بشانه لا يقال انه باطل لقوله تعالى ما نهاكما ربكما وقاسمهما الآيتان لانهما ليس فيهما ما يدل
على انه تناوله حين ما قاله ابليس فلعل مقاله اورث فيه ميلا طبيعيا ثم انه كف نفسه عنه
مراعاة لحكم الله تعالى الى ان نسي ذلك وزال المانع فحمله الطبع عليه والرابع انه عليه السلام
اقدم عليه بسبب اجتهاد اخطاء فيه فانه ظن ان النهي للتنزيه او الاشارة الى عين تلك
الشجرة فتناول من غيرها من نوعها وكان المراد بها الاشارة الى النوع كما روي انه عليه السلام
اخذ حريرا وذهبا بيده وقال هذان حرامان على ذكور امتي حل لاناثها وانما جرى عليه ما جرى تفظيعا
لشان الخطيئة ليجتنبها اولاده وفيها الدلالة على ان الجنة مخلوقة وانها في جهة عالية وان
التوبة مقبولة وان متبع الهدى مامون العاقبة وان عذاب النار دائم والكافر فيه مخلد وان غيره

والجواب عن الحشوية من وجوه

الجنة مخلوقة وانها في جهة عالية

لا يخلد

لا يخلد فيه لمفهوم قوله تعالى هم فيها خالدون واعلم انه سبحانه لما ذكر دلايل التوحيد والنبوة
والمعاد وعقبها تعداد النعم العامة تقريرا لها وتاكيدا فانها من حيث انها حوادث محكمة
تدل على محدث حكيم له الخلق والامر وحده لا شريك له ومن حيث ان الاخبار بها على ما هو مثبت
في الكتب السابقة ممن لم يتعلمها ولم يمارس شيئا منها اخبار بالغيب معجز يدل على نبوة المخبر عنها
ومن حيث اشتمالها على خلق الانسان واصوله وما هو اعظم من ذلك يدل على انه قادر على
الاعادة كما كان قادرا على الابتداء خاطب اهل العلم والكتاب منهم وامرهم ان يذكروا نعم
الله عليهم ويوفوا بعهوده في اتباع الحق واقتفاء الحجج ليكونوا اول من آمن بمحمد وما انزل عليه فقال
يا بني اسرائيل يا اولاد يعقوب والابن من البناء لانه مبنى ابيه ولذلك ينسب المصنوع الى
صانعه فيقال ابو الحرب وبنت فكر واسرائيل لقب يعقوب عليه السلام ومعناه بالعبرية
صفوة الله وقيل عبد الله وقرئ اسرائل بحذف الياء واسرال بحذفهما واسرائيل بقلب
الهمزة ياء اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم بالتفكر فيها والقيام بشكرها وتقييد النعمة
بهم لان الانسان غيور حسود بالطبع فاذا نظر الى ما انعم الله على غيره حمله الغيرة والحسد على
الكفران والسخط وان نظر الى ما انعم الله به عليه حمله حب النعمة على الرضا والشكر وقيل
اراد بها ما انعم على آبائهم من الانجاء من فرعون والغرق ومن العفو عن اتخاذ العجل وعليهم
من ادراك زمن محمد صلوات الله عليه وقرئ اذكروا والاصل افتعلوا ونعمتي باسكان الياء
واسقاطها درجا وهو مذهب من لا يحرك الياء المكسور ما قبلها واوفوا بعهدي بالايمان
والطاعة اوف بعهدكم بحسن الاثابة والعهد يضاف الى المعاهد والمعاهد ولعل
الاول مضاف الى الفاعل والثاني الى المفعول فانه تعالى عهد اليهم بالايمان والعمل الصالح
بنصب الدلايل وانزال الكتب ووعدهم بالثواب على حسناتهم وللوفاء بهما عرض عريض
فاول مراتب الوفاء منا هو الاتيان بكلمتي الشهادة ومن الله تعالى حقن الدم والمال وآخرها
منا الاستغراق في بحر التوحيد بحيث يغفل عن نفسه فضلا عن غيره ومن الله تعالى الفوز باللقاء

اسرائيل لقب يعقوب عليه السلام ومعناه بالعبرية صفوة الله وقيل عبد الله

الدائم وما روى عن ابن عباس اوفوا بعهدى فى اتباع محمد اوف بعهدكم فى رفع الاصرار والاغلال وعن غيره اوفوا باداء الفرايض وترك الكبائر اوف بالمغفرة والثواب او اوفوا بالاستقامة على الطريق المستقيم اوف بالكرامة والنعيم المقيم فبالنظر الى الوسايط وقيل كلاهما مضاف الى المفعول والمعنى اوفوا بما عاهدتمونى من التزام الطاعة اوف بما عاهدتكم من حسن الاثابة وتفصيل العهدين قوله تعالى ولقد اخذ الله ميثاق بنى اسرائيل الى قوله ولادخلنكم جنات وقرئ اوف بالتشديد للمبالغة واياى فارهبون فيما تذرون وتاخذون وخصوصا فى نقض العهد وهو آكد فى افادة التخصيص من اياك نعبد لما فيه مع التقديم من تكرير المفعول والفاء الجزائية الدالة على تضمن الكلام معنى الشرط كانه قيل ان كنتم راهبين شيئا فارهبونى والرهبة خوف مع تحرز والآية متضمنة للوعد والوعيد دالة على وجوب الشكر والوفاء بالعهد وان المؤمن ينبغى ان لا يخاف احدا الا الله وآمنوا بما انزلت مصدقا لما معكم افراد للايمان بالامر به والحث عليه لانه المقصود والعمدة للوفاء بالعهود وتقييد المنزل بانه مصدق لما معهم من الكتب الالهية من حيث انه نازل حسب ما نعت فيها او مطابق لها فى القصص والمواعيد والدعاء الى التوحيد والامر بالعبادة والعدل بين الناس والنهى عن المعاصى والفواحش وفيما يخالفها من جزئيات الاحكام بسبب تفاوت الاعصار فى المصالح من حيث ان كل واحدة منها حق بالاضافة الى زمانها مراعى فيها صلاح من خوطب بها حتى لو نزل المتقدم فى ايام المتاخر لنزل على وفقه ولذلك قال عليه السلام لو كان موسى حيا لما وسعه الا اتباعى تنبيه على ان اتباعها لا ينافى الايمان به بل يوجبه ولذلك عرض بقوله ولا تكونوا اول كافر به بان الواجب ان تكونوا اول من آمن به ولانهم كانوا اهل النظر فى معجزاته والعلم بشانه والمستفتحين به والمبشرين بزمانه واول كافر به وقع خبرا عن ضمير الجمع بتقدير اول فريق او فوج او بتاويل لا يكن كل واحد منكم اول كافر به كقولك كسانا حلة فان قيل كيف نهوا عن التقديم فى الكفر وقد سبقهم مشركوا العرب قلت المراد به التعريض لا الدلالة على ما نطق به الظاهر كقولك اما انا فلست بجاهل او ولا تكونوا اول

كافر

كافر من اهل الكتاب او ممن كفر بما معه فان من كفر بالقرآن فقد كفر بما يصدقه او مثل من كفر من مشركى مكة واول افعل لا فعل له وقيل اصله اوأل من وأل فابدلت همزته واوا تخفيفا غير قياسى او أأول من آل فقلبت همزته واوا وادغمت ولا تشتروا باياتى ثمنا قليلا ولا تستبدلوا بالايمان بها والاتباع لها حظوظ الدنيا فانها وان جلت قليلة مسترذلة بالاضافة الى ما يفوت عنكم من حظوظ الآخرة بترك الايمان قيل كان لهم رياسة فى قومهم ورسوم وهدايا منهم فخافوا عليها لو اتبعوا رسول الله فاختاروها عليه وقيل كانوا ياخذون الرشى فيحرفون الحق ويكتمونه واياى فاتقون بالايمان واتباع الحق والاعراض عن الدنيا ولما كانت الآية السابقة مشتملة على ما هو كالمبادى لما فى الآية الثانية فصلت بالرهبة التى هى مقدمة التقوى ولان الخطاب بها لما عم العالم والمقلد امرهم بالرهبة التى هى مبدا السلوك والخطاب بالثانية لما خص اهل العلم امرهم بالتقوى الذى هو منتهاه ولا تلبسوا الحق بالباطل عطف على ما قبله واللبس الخلط وقد يلزمه جعل الشئ مشتبها بغيره والمعنى لا تخلطوا الحق المنزل بالباطل الذى تخترعونه وتكتبونه حتى لا يميز بينهما او لا تجعلوا الحق ملتبسا بسبب خلط الباطل الذى تكتبونه فى خلاله او تذكرونه فى تاويله وتكتموا الحق جزم داخل تحت حكم النهى كانهم امروا بالايمان وترك الضلال ونهوا عن الاضلال بالتلبيس على من سمع الحق والاخفاء على من لم يسمعه او نصب باضمار ان على ان الواو للجمع اى لا تجمعوا لبس الحق بالباطل وكتمانه ويعضده انه فى مصحف ابن مسعود وتكتمون اى وانتم تكتمون بمعنى كاتمين وفيه اشعار بان استقباح اللبس لما يصحبه من كتمان الحق وانتم تعلمون عالمين بانكم لابسون كاتمون فانه اقبح اذ الجاهل قد يعذر واقيموا الصلوة وآتوا الزكوة يعنى صلوة المسلمين وزكوتهم فان غيرهما كلا صلوة ولا زكوة امرهم بفروع الاسلام بعد ما امرهم باصولها وفيه دليل على ان الكفار مخاطبون بها والزكوة من زكا الزرع اذا نما فان اخراجها يستجلب بركة فى المال ويثمر للنفس فضيلة الكرم او من الزكا بمعنى الطهارة فانها

الكفار مخاطبون بفروع الاسلام

تطهر المال من الخبث والنفس من البخل **واركعوا مع الراكعين** اى فى جماعتهم فان صلوة الجماعة
تفضل صلوة الفذ بسبع وعشرين درجة لما فيها من تظاهر النفوس وعبر عن الصلوة بالركوع
احترازا عن صلوة اليهود وقيل الركوع الخضوع والانقياد لما يلزمهم الشارع قال الاضبط
السعدى لا تذل الضعيف علك ان تركع يوما والدهر قد رفعه **اتأمرون الناس بالبر** تقرير
مع توبيخ وتعجيب والبر التوسع فى الخير من البر وهو الفضاء الواسع يتناول كل خير ولذلك قيل
البر ثلثة بر فى عبادة الله تعالى وبر فى مراعاة الاقارب وبر فى معاملة الاجانب **وتنسون**
انفسكم وتتركونها من البر كالمنسيات وعن ابن عباس انها نزلت فى احبار المدينة كانوا يا
مرون سرا من نصحوه باتباع محمد ولا يتبعونه وقيل كانوا يامرون بالصدقة ولا يتصدقون
وانتم تتلون الكتاب تبكيت كقوله وانتم تعلمون اى تتلون التورية وفيها الوعيد على
العناد وترك البر ومخالفة القول العمل **افلا تعقلون** قبح صنيعكم فيصدكم عنه او
افلا عقل لكم يمنعكم عما تعلمون وخامة عاقبته والعقل فى الاصل الحبس سمى به الا
دراك الانسانى لانه يحبسه عما يقبح ويعقله على ما يحسن ثم القوة التى بها النفس تدرك
هذا الادراك والاية ناعية على من يعظ غيره ولا يتعظ نفسه سوء صنيعه وخبث نفسه
وان فعله فعل الجاهل بالشرع او الاحمق الخالى عن العقل فان الجامع بينهما يابى عنه شكيمته
والمراد بها حث الواعظ على تزكية النفس والاقبال عليها بالتكميل ليقوم فيقيم غيره لا منع
الفاسق عن الوعظ فان الاخلال باحد الامرين المامور بهما لا يوجب الاخلال بالاخر **واستعينوا**
بالصبر والصلوة متصل بما قبله كانهم لما امروا بما شق عليهم لما فيه من الكلفة وترك الرياسة
والاعراض عن المال عولجوا بذلك والمعنى استعينوا على حوائجكم بانتظار النجح والفرج توكلا على
الله تعالى او بالصوم الذى هو صبر عن المفطرات لما فيه من كسر الشهوة وتصفية النفس والتوسل
بالصلوة والالتجاء اليها فانها جامعة لانواع العبادات النفسانية والبدنية من الطهارة
وستر العورة وصرف المال فيهما والتوجه الى الكعبة والعكوف للعبادة واظهار الخشوع

الزكوة تطهر المال من الخبث والنفس من البخل

فضيلة الصلوة مع الجماعة

البر يتناول كل خير

العقل فى الاصل الحبس

الصلوة جامعة لانواع العبادات النفسانية والبدنية

بالجوارح

بالجوارح واخلاص النية بالقلب ومجاهدة الشيطان ومناجاة الحق وقراءة القرآن
والتكلم بالشهادتين وكف الانفس عن الاطيبين حتى تجابوا الى تحصيل المآرب وجبر المصائب
روى انه عليه السلام اذا حزبه امر فزع الى الصلوة ويجوز ان يراد بها الدعاء **وانها**
اى الاستعانة بهما او الصلوة وتخصيصها برد الضمير اليها لعظم شانها واستجماعها ضروبا من
الصبر او جملة ما امروا بها ونهوا عنها **لكبيرة** لثقيلة شاقة لقوله تعالى كبر على المشركين
ما تدعوهم اليه **الا على الخاشعين** اى المخبتين والخشوع الاخبات ومنه الخشعة للرملة
المتطامنة والخضوع اللين والانقياد ولذلك يقال الخشوع بالجوارح والخضوع بالقلب
الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم وانهم اليه راجعون اى يتوقعون لقاء الله ونيل
ما عنده او يتيقنون انهم يحشرون الى الله فيجازيهم ويؤيده ان فى مصحف ابن مسعود رض
يعلمون وكان الظن لما شابه العلم فى الرجحان اطلق عليه لتضمين معنى التوقع قال اوس
بن حجر فارسلته مستيقن الظن انه مخالط ما بين الشراسيف جائف وانما لم تثقل عليهم
ثقلها على غيرهم فان نفوسهم مرتاضة بامثالها متوقعة فى مقابلتها ما يستحقر لاجله مشاقها
ويستلذ بسببه متاعبها ومن ثم قال عليه السلام وجعلت قرة عينى فى الصلوة **يا بنى اسرائيل**
اذكروا نعمتى التى انعمت عليكم كرره للتاكيد وتذكير التفضيل الذى هو اجل النعم خصوصا
وربطه بالوعيد الشديد تخويفا لمن غفل عنها واخل بحقوقها **وانى فضلتكم** عطف على
نعمتى **على العالمين** اى عالمى زمانهم يريد به تفضيل آبائهم الذين كانوا فى عصر موسى وبعده
قبل ان يغيروا بما منحهم من العلم والايمان والعمل وجعلهم انبياء وملوكا مقسطين واستدل
به على تفضيل البشر على الملك وهو ضعيف **واتقوا يوما** اى ما فيه من الحساب والعذاب
لا تجزى نفس عن نفس شيئا لا تقضى عنها شيئا من الحقوق او شيئا من الجزاء فيكون نصبه
على المصدر وقرئ لا تجزئ من اجزأ عنه اذا اغنى وعلى هذا تعين ان يكون مصدرا وايراده
منكرا مع تنكير النفسين للتعميم والاقناط الكلى والجملة صفة ليوما والعائد منها محذوف

الخشوع بالجوارح والخضوع بالقلب

الشراسيف جمع شرسوف وهو الغضروف

اى قطع الكلى

تقدين لا تجزي فيه ومن لم يجوز حذف العائد المجرور قال اتسع فيه فحذف عنه الجار وأجرى
مجرى المفعول به ثم حذف كما حذف من قوله أو مما أصابوا ﴿ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ
منها عدل﴾ أي من النفس الثانية العاصية أو من الأولى وكأنه أريد بالآية نفي أن يدفع العذاب
أحد عن أحد من كل وجه محتمل فإنه إما أن يكون فعلها وغيره والأول النصرة والثاني أما أن
يكون مجانا أو غيره والأول أن يشفع له والثاني إما بأداء ما كان عليه وهو أن يجزي عنه أو غيره
وهو أن يعطى عنه عدلا والشفاعة من الشفع كأن المشفوع له كان فردا فجعله الشفيع شفعا
بضم نفسه إليه والعدل الفدية وقيل البدل وأصله التسوية سمي به الفدية لأنها
سويت بالمفدي وقراء ابن كثير وأبو عمرو ولا تقبل بالتاء ﴿ولا هم ينصرون﴾ يمنعون من عذاب
الله والضمير لما دلت عليه النفس الثانية المنكرة الواقعة في سياق النفي من النفوس الكثيرة
وتذكير بعض العباد والاناسي لتذكير الأنفس أو الرجال وتأنيث ﴿تمكت﴾ لتأنيث النفس بالتاء مع تأنيث النفس لما قيل الأنفس الأشخاص أو الرجالة
المعتزلة بهذه الآية على نفي الشفاعة لأهل الكبائر واجيب بأنها مخصوصة بالكفار للآ
يات والاحاديث الواردة في الشفاعة وبأنه خطاب معهم والآية نزلت رد لما كانوا
يزعمون أن آباءهم تشفع لهم ﴿وإذ نجيناكم من آل فرعون﴾ تفصيل لما أجمله في قوله اذكروا نعمتي
التي أنعمت عليكم وعطف على نعمتي عطف جبريل وميكائيل على الملائكة وقرئ أنجيتكم
وأصل آل أهل لأن تصغيره أهيل وخص بالاضافة إلى الأشراف ولذلك صح
لقب بن ملك الحالقة كلسرى وقيصر لملكي الفرس والروم ولعتقهم اشتق منه تفرعن الرجل
إذا عتى وكان فرعون موسى مصعب بن ريان وقيل ابنه وليد أمن بقابا عاد وفرعون يوسف
عليه السلام ريان وكان بينهما أكثر من أربعمائة سنة ﴿يسومونكم﴾ يعذبونكم من سامه خسفا
إذا أولاه ظلما وأصل السوم الذهاب في طلب الشيء ﴿سوء العذاب﴾ أفظعه فإنه قبح بالاضافة
إلى سائر والسوء مصدر ساء يسوء ونصبه على المفعول ليسومونكم والجملة حال من الضمير وآل
فرعون أو منهما جميعا لأن فيها ضمير كل واحد منهما ﴿يذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم﴾

بيان يسومونكم ولذلك لم يعطف وقرئ يذبحون بالتخفيف وإنما فعلوا بهم ذلك لأن فرعون
رأى في المنام أو قال له الكهنة سيولد منهم من يذهب بملكه فلم اجتهادهم من قدر الله شيئا
﴿وفي ذلكم بلاء﴾ محنة أن أشير بذلكم إلى الصنيع ونعمة أن أشير به إلى الإنجاء وأصله الاختبار ولكن
لما كان اختبار الله عباده تارة بالمحنة وتارة بالمنحة أطلق عليهما ويجوز أن يشار بذلكم إلى الجملة
أو يراد به الامتحان الشائع بينهما ﴿من ربكم﴾ تسليطهم عليكم أو سيف موسى وتوقف تخليصكم
أو بهما ﴿عظيم﴾ صفة بلاء وفي الآية تنبيه على أن ما يصيب العبد من خير أو شر اختبار من الله تع
فعليه أن يشكر على مسار ويصبر على مضار ليكون من خير المخبرين ﴿وإذ فرقنا بكم البحر فأنجيناكم﴾
وفصلنا بين بعضه وبعض حتى حصلت فيه مسالك بسلوكم فيه أو بسبب انجائكم أو ملتبسا
بكم كقوله تدوس بنا الجماجم والتربا وقرئ فرقنا على بناء التكثير لأن المسالك كانت اثني
عشر بعدد الأسباط ﴿فأنجيناكم وأغرقنا آل فرعون﴾ أريد به فرعون وقومه واقتصر على ذكرهم
للعلم بأنه كان أولى به وقيل شخصه كما روي أن الحسن كان يقول اللهم صل على آل محمد أي
شخصه واستغنى بذكره عن ذكر غيره اتباعه ﴿وأنتم تنظرون﴾ ذلك أو غرقهم أو أطباق البحر عليهم
وانقلاق البحر عن طرق يابسة مذللة أو جثثهم التي قذفها البحر إلى الساحل ويظهر بعضكم بعضا
روي أنه تعالى أمر موسى أن يسري ببني إسرائيل فخرج بهم فصبحهم فرعون وجنوده وصاد فوهم على
شاطئ البحر فأوحى الله إليه أن اضرب بعصاك البحر فضربه فظهر فيه اثنا عشر طريقا يابسا فسلكوها
فقالوا يا موسى نخاف أن يغرق بعضنا ولا نعلم ففوح الله فيها كوى فنراءوا وأوسعها حتى عبروا
البحر ثم لما وصل إليه فرعون ورآه منفلقا اقتحم فيه وجنوده فانطبق عليهم وأغرقهم أجمعين
واعلم أن هذه الواقعة من أعظم ما أنعم الله على بني إسرائيل ومن الآيات الملجئة إلى العلم بوجود
الصانع الحكيم وتصديق موسى عليه السلام ثم إنهم اتخذوا العجل وقالوا لن نؤمن لك حتى نرى
الله جهرة ونحو ذلك فصم بمرأى في الفطنة والذكاء وسلامة النفس وحسن الاتباع عن أمة
محمد صلوات الله عليه مع أن كما تواتر من معجزاته أمور نظرية دقيقة يدركها الأذكياء وأجاب

وعدنا

عليه السلام عنها من جملة معجزاته على ما مر تقريره واذ وعدنا موسى اربعين ليلة لما عادوا
الى مصر بعد هلاك فرعون وعد الله موسى ان يعطيه التورية وضرب له ميقاتا ذا القعدة
وعشر ذي الحجة وعبر عنها بالليالي لانها غرر الشهور وقرأ ابن كثير ونافع وعاصم وابن عامر وحمزة
والكسائي واعدنا لانه تعالى وعده الوحي ووعده موسى المجيء للميقات الى الطور ثم اتخذتم العجل
الها او معبودا من بعده من بعد موسى او مضيه وانتم ظالمون باشراككم ثم عفونا عنكم
حين تبتم والعفو محو الجريمة من عفى اذا درس من بعد ذلك اي الاتخاذ لعلكم تشكرون لكي
تشكروا عفوه واذ آتينا موسى الكتاب والفرقان يعني التورية الجامع بين كونه كتابا وحجة
تفرق بين الحق والباطل وقيل اراد بالفرقان معجزاته الفارقة بين المحق والمبطل في الدعوى او بين
الكفر والايمان وقيل الشرع الفارق بين الحلال والحرام او النصر الذي فرق بينه وبين
عدوه كقوله تعالى يوم الفرقان يريد يوم بدر لعلكم تهتدون لكي تهتدوا بتدبر الكتاب والتفكر
في الآيات واذ قال موسى لقومه يا قوم انكم ظلمتم انفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا الى
بارئكم فاعزموا على التوبة والرجوع الى من خلقكم بريا من التفاوت ومميزا بعضكم عن بعض
بصور وهيئات مختلفة واصل التركيب خلوص الشيء عن غيره اما على سبيل التفصي كقولهم
برئ المريض من مرضه والمديون من دينه او الانشاء كقولهم براء الله آدم من الطين او فتوبوا
فاقتلوا انفسكم تماما لتوبتكم بالبخع او قطع الشهوات كما قيل من لم يعذب نفسه لم ينعمها
ومن لم يقتلها لم يحيها وقيل امروا ان يقتل بعضهم بعضا وقيل امر من لم يعبد العجل
ان يقتل العبدة روي ان الرجل يرى بعضه وقريبه فلم يقدر المضي لامر الله فارسل ضبابة وسحابة
سوداء لا يتباصرون فاخذوا يقتلون من الغداة الى العشي حتى دعا موسى وهرون فكشفت السحابة
ونزلت التوبة وكانت القتلى سبعين الفا والفاء الاولى للتسبيب والثانية للتعقيب ذلكم خير
لكم عند بارئكم من حيث انه طهرة من الشرك ووصلة الى الحيوة الابدية والبهجة السرمدية
فتاب عليكم متعلق بمحذوف ان جعلته من كلام موسى عليه السلام لهم تقديره ان فعلتم

لما عادوا الى مصر بعد هلاك فرعون وعد الله موسى ان يعطيه التورية

البخع قتل النفس غما صحاح

ما امرتم فقد تاب عليكم وعطف على محذوف ان جعلته خطابا من الله لهم على طريق الالتفات
كانه قال ففعلتم ما امرتم فتاب عليكم بارئكم وذكر الباري وترتيب الامر عليه اشعار بانهم بلغوا
غاية الجهالة والغباوة حتى تركوا عبادة خالقهم الحكيم الى عبادة البقرة التي هي مثل في الغباوة وان
من لم يعرف حق منعمه حقيق بان يسترد منه ولذلك امروا بالقتل وفك التركيب انه هو التواب
الرحيم الذي يكثر توفيق التوبة او قبولها من المذنبين ويبالغ في الانعام عليهم واذ قلتم يا موسى
لن نؤمن لك لاجل قولك او لن نقر لك حتى نرى الله جهرة عيانا وهي في الاصل مصدر قولك
جهرت بالقراءة استعيرت للمعاينة ونصبها على المصدر لانها نوع من الرؤية او الحال من الفاعل
او المفعول وقرئ جهرة بالفتح على انها مصدر كالغلبة او جمع كالكتبة فيكون حالا والقائلون
هم السبعون الذين اختارهم موسى للميقات وقيل عشرة آلاف من قومه والمؤمن به ان
الله الذي اعطاك التورية وكلمك او انك نبي فاخذتكم الصاعقة لفرط العناد والتعنت
وطلب المستحيل فانهم ظنوا انه تعالى يشبه الاجسام وطلبوا رؤيته رؤية الاجسام في الجهات
والاحياز المقابلة للرائي وهو محال بل الممكن ان يرى رؤية منزهة عن الكيفية وذلك للمؤ
منين في الآخرة والافراد من الانبياء في بعض الاحوال في الدنيا قيل جاءت نار من السماء
فاحرقتهم وقيل صيحة وقيل جنود سمعوا بحسيسها فخروا صعقين ميتين يوما وليلة
وانتم تنظرون ما اصابكم بنفسه او اثره ثم بعثناكم من بعد موتكم بسبب الصاعقة وقيد
البعث لانه قد يكون عن اغماء او نوم كقوله تعالى ثم بعثناهم لعلكم تشكرون نعمة
البعث او ما كفرتموه لما رأيتم بأس الله بالصاعقة وظللنا عليكم الغمام سخر لهم السحاب
يظلهم من الشمس حين كانوا في التيه وانزلنا عليكم المن والسلوى الترنجبين والسماني قيل
كان ينزل عليهم المن مثل الثلج من الفجر الى الطلوع ويبعث الجنوب عليهم السماني وينزل بالليل
عمود نار يسيرون في ضوئه وكانت ثيابهم لا تتسخ ولا تبلى كلوا من طيبات ما رزقناكم
على ارادة القول وما ظلمونا فيه اختصار واصله فظلموا بان كفروا هذه النعم وما ظلمونا

عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلعم لولا بنو اسرائيل لم يخبث الطعام ولم يخنز اللحم ولولا حواء لم يخن انثى زوجها الدهر

وما ظلمونا ولكن كانوا انفسهم يظلمون بالكفران لانه لا يتخطاهم ضره واذ قلنا ادخلوا
هذه القرية يعني بيت المقدس وقيل اريحا امروا به بعد التيه فكلوا منها حيث شئتم رغدا
واسعا ونصبه على المصدر او الحال من الواو وادخلوا الباب اي باب القرية او القبة التي
كانوا يصلون اليها فانهم لم يدخلوا بيت المقدس في حيوة موسى عليه السلام سجدا
متطامنين مخبتين او ساجدين لله شكرا على اخراجهم من التيه وقولوا حطة اي مسئلتنا
او امرك حطة وهي فعلة من الحط كالجلسة وقرئ بالنصب على الاصل بمعنى حط عنا ذنوبنا
حطة او على انه مفعول قولوا اي قولوا هذه الكلمة وقيل معناه امرنا حطة اي ان نحط
في هذه القرية ونقيم بها نغفر لكم خطاياكم بسجودكم ودعائكم قرا نافع بالياء وابن
عامر بالتاء على البناء للمفعول وخطايا اصله خطايئ كخطائع فعند سيبويه ابدلت الياء الزائدة
همزة لوقوعها بعد الالف فاجتمعت همزتان فابدلت الثانية ياء ثم قلبت الفا وكانت الهمزة
بين الفين فابدلت ياء وعند الخليل قدمت الهمزة على الياء ثم فعل بهما ما ذكر وسنزيد المحسنين
ثوابا جعل الامتثال توبة للمسيء وسبب زيادة الثواب للمحسن واخرجه عن صورة الجواب الى
الوعد ايهاما بان المحسن بصدد ذلك وان لم يفعله فكيف اذا فعله وانه يفعل لا محالة فبدل
الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم بدلوا بما امروا به من التوبة والاستغفار طلب ما يشتهون
من اعراض الدنيا فانزلنا على الذين ظلموا كرره مبالغة في تقبيح امرهم واشعارا بان الانزال
عليهم لظلمهم بوضع غير المامور به موضعه او على انفسهم بان تركوا ما يوجب نجاتها الى ما يوجب
هلاكها رجزا من السماء بما كانوا يفسقون عذابا مقدرا من السماء بسبب فسقهم والرجز في الا
صل ما يعاف عنه وكذلك الرجس وقرئ بالضم وهو لغة فيه والمراد به الطاعون روي انه
مات به في ساعة اربعة وعشرون الفا واذ استسقى موسى لقومه لما عطشوا في التيه فقلنا
اضرب بعصاك الحجر اللام فيه للعهد على ما روي انه كان حجرا طوريا مكعبا حمله معه وكان ينبع
من كل وجه ثلث اعين يسيل كل عين في جدول الى سبط وكانوا ستمائة الف وسعة

المراد من الرجز الطاعون

روي انه مات في ساعة اربعة وعشرون الفا

الحجر كان مكعبا ينبع من كل وجه ثلث اعين وكانوا ستمائة الف وسعة العسكر اثنا عشر ميلا

المعسكر

في الحجر اقوال كثيرة

والمعسكر اثنا عشر ميلا او حجرا اهبطه آدم من الجنة ووقع الى شعيب فاعطاه مع العصا او
الحجر فر بثوبه لما وضعه عليه ليغتسل وبراه الله به عما رموه من الادرة فاشار اليه جبرئيل بحمله
او للجنس وهذا اظهر في الحجة قيل لم يامره ان يضرب حجرا بعينه ولكن لما قالوا كيف بنا لو افضينا
الى ارض لا حجارة بها حمل حجرا في مخلاته وكان يضربه بعصاه اذا نزل فينفجر ويضربه به اذا ارتحل
فيبس فقالوا ان فقد موسى عصاه متنا عطشا فاوحى اليه لا تقرع الحجارة وكلمها تطعك لعلهم
يعتبرون وقيل كان الحجر من رخام وكان ذراعا في ذراع والعصا عشرة اذرع على طول موسى
من آس الجنة وله شعبتان تتقدان في الظلمة فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا متعلق بمحذوف
تقديره فان ضربت فقد انفجرت او فضرب فانفجرت كما مر في قوله فتاب عليكم وقرئ بكسر
الشين وفتحها وهما لغتان فيه قد علم كل اناس كل سبط مشربهم عينهم التي يشربون منها
كلوا واشربوا على تقدير القول من رزق الله يريد به ما رزقهم الله من المن والسلوى وماء
العيون وقيل الماء وحده لانه يشرب ويوكل ما ينبت به ولا تعثوا في الارض مفسدين لا تعتدوا
حال افسادكم وانما قيده لانه وان غلب في الفساد قد يكون منه ما ليس بفساد كمقابلة الظالم
المعتدي بفعله ومنه ما يتضمن صلاحا راجحا كقتل الخضر الغلام وخرقه السفينة ويقرب منه
العيث غير انه يغلب فيما يدرك حسا ومن انكر امثال هذه المعجزات فلغاية جهله بالله وقلة
تدبره في عجايب صنعه فانه لما امكن ان يكون من الاحجار ما يحلق الشعر وينفر الخل ويجذب الحديد
لم يمتنع ان يخلق الله حجرا يسخره لجذب الماء من تحت الارض او لجذب الهواء من الجوانب وتصييره
ماء بقوة التبريد ونحو ذلك واذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد يريد به ما رزقوا في التيه
من المن والسلوى وبوحدته انها لا تختلف ولا تتبدل كقولهم طعام مائدة الامير واحد
يريدون انها لا يتغير الوانه ولذلك اجمعوا او ضرب واحد لانهما معا طعام اهل التلذذ وهم
كانوا فلاحة فنزعوا الى عكرهم واشتهوا ما الفوه فادع لنا ربك سله لنا بدعائك اياه يخرج لنا
يظهر لنا ويوجد وجزمه بانه جواب فادع فان دعوته سبب الاجابة مما تنبت الارض من الا

قيل كان الحجر من رخام وكان ذراعا في ذراع والعصا عشرة اذرع على طول موسى

العثو فساد كردن

سناد المجازي واقامة القابل مقام الفاعل ومن للتبعيض من بقلها وقثائها وفومها
وعدسها وبصلها تفسير وبيان وقع موقع الحال وقيل بدل باعادة الجار والبقل ما انبته
الارض من الخضر والمراد به اطايبه التي تؤكل والفوم الحنطة ويقال للخبز ومنه فوموا لنا
وقيل الثوم وقرئ قثائها بالضم وهو لغة فيه قال اي الله او موسى اتستبدلون الذي
هو ادنى اقرب منزلة وادون قدرا واصل الدنو القرب في المكان فاستعير للخسة كما استعير البعد
في الشرف والرفعة فقيل بعيد المحل بعيد الهمة وقرئ ادناء من الدناءة بالذي هو خير يريد به
المن والسلوى فانه خير في اللذة والنفع وعدم الحاجة الى السعي اهبطوا مصرا انحدروا اليه
من التيه يقال هبط الوادي اذا نزل به وقرئ بالضم والمصر البلد العظيم واصله الحد بين
الشيئين وقيل اراد به العلم وانما صرفه لسكون وسطه او على تاويل البلد ويؤيده انه غير
منون في مصحف ابن مسعود وقيل اصله مصرايم فعرب فان لكم ما سالتم وضربت
عليهم الذلة والمسكنة احيطت بهم احاطة القبة بمن ضربت عليه او الصقت بهم من ضرب
الطين على الحائط مجازاة لهم على كفران النعمة واليهود في غالب الامر اذلاء مساكين اما على
الحقيقة واما على التكلف مخافة ان يضاعف جزيتهم وباؤا بغضب من الله رجعوا به
او صاروا احقاء بغضبه من باء فلان بفلان اذا كان حقيقا بان يقتل به واصل البوء
المساواة ذلك اشارة الى ما سبق من ضرب الذلة والمسكنة والبوء بالغضب بانهم كانوا
يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق بسبب كفرهم بالمعجزات التي من جملتها ما عد
عليهم من فلق البحر واظلال الغمام وانزال المن والسلوى وانفجار العيون من الحجر او بالكتب
المنزلة كالانجيل والقرآن وآية الرجم والتي فيها نعت محمد عليه السلام من التورية وقتلهم
الانبياء فانهم قتلوا شعيا وزكريا ويحيى وغيرهم بغير الحق عندهم اذ لم يروا منهم ما يعتقدون
به جواز قتلهم وانما حملهم على ذلك اتباع الهوى وحب الدنيا كما اشار اليه بقوله ذلك بما عصوا
وكانوا يعتدون اي جرهم العصيان والتمادي والاعتداء فيه الى الكفر بالآيات وقتل

النبيين

النبيين فان صغار الذنوب سبب يؤدي الى ارتكاب كبارها كما ان صغار الطاعات اسباب
مؤدية الى تحري كبارها وقيل كرر الاشارة للدلالة على ان ما لحقهم كما هو بسبب الكفر والقتل
فهو بسبب ارتكابهم المعاصي واعتدائهم حدود الله وقيل الاشارة الى الكفر والقتل
والباء بمعنى مع وانما جوزت الاشارة بالمفرد الى شيئين فصاعدا على تاويل ما ذكر او تقدم للا
ختصار ونظيره في الضمير قول رؤبة فيها خطوط من سواد وبلق كانه في الجلد توليع البهق والذي
حسن ذلك ان تثنية المضمرات والمبهمات وجمعها وتانيثها ليست على الحقيقة ولذلك
جاء الذي بمعنى الجمع ان الذين آمنوا بالسنتهم يريد به المتدينين بدين محمد صلوات الله عليه
المخلصين منهم والمنافقين وقيل المنافقين لانخراطهم في سلك الكفرة والذين هادوا
تهودوا يقال هاد وتهود اذا دخل في اليهودية ويهودا ما عربي من هاد اذا تاب سموا بذلك
لما تابوا من عبادة العجل واما معرب يهوذا وكانهم سموا باسم اكبر اولاد يعقوب عليه السلام
والنصارى جمع نصران كالندامى والياء في نصراني للمبالغة كما في احمري سموا بذلك لانهم نصروا
المسيح او لانهم كانوا معه في قرية يقال لها نصران او ناصرة فسموا باسمها او من اسمها
والصابئين قوم بين النصارى والمجوس وقيل اصل دينهم دين نوح عليه السلام وقيل
هم عبدة الملائكة وقيل عبدة الكواكب وهو ان كان عربيا فمن صبا اذا خرج وقرا
نافع وحده بالياء اما لانه خفف الهمزة او لانه من صبا اذا مال لانهم مالوا من سائر الا
ديان الى دينهم او من الحق الى الباطل من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا من كان
منهم في دينه قبل ان نسخ مصدقا بقلبه بالمبدا والمعاد عاملا بمقتضى شرعه وقيل من
آمن من هؤلاء الكفرة ايمانا خالصا ودخل الاسلام دخولا صادقا فلهم اجرهم عند ربهم
الذي وعدهم على ايمانهم وعملهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون حين يخاف الكفار من العقاب
ويحزن المقصرون على تضييع العمر وتفويت الثواب ومن مبتدا خبره فلهم اجرهم والجملة
خبر ان او بدل من اسم ان وخبرها فلهم اجرهم والفاء لتضمن المسند اليه معنى الشرط وقد منع

سيبويه دخولها في خبر ان من حيث انها لا تدخل الشرطية وردّ بقوله تعالى ان الذين فتنوا
المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم واذ اخذنا ميثاقكم باتباع موسى عليه
والعمل بالتوراة ورفعنا فوقكم الطور حتى اعطيتم الميثاق وروى ان موسى عليه السلام لما
جاءهم بالتوراة فرأوا ما فيها من التكاليف الشاقة كبرت عليهم وابوا قبولها فامر جبريل
فقلع الطور فظلله فوقهم حتى قبلوا واخذوا على ارادة القبول ما آتيناكم من الكتاب بقوة
بجد وعزيمة واذكروا ما فيه ادرسوه ولا تنسوه او تفكروا فيه فانه ذكر بالقول واعملوا
به لعلكم تتقون لكي تتقوا المعاصي او رجاء منكم ان تكونوا متقين ويجوز عند المعتزلة
ان يتعلق بالقول المحذوف اي قلنا خذوا واذكروا ارادة ان تتقوا ثم توليتم من بعد ذلك اعرضتم
عن الوفاء بالميثاق بعد اخذه فلولا فضل الله عليكم ورحمته بتوفيقكم للتوبة او بمحمد صلوات الله
عليه يدعوكم الى الحق ويهديكم اليه لكنتم من الخاسرين المغبونين بالانهماك في المعاصي والخبط
والضلال في فترة من الرسل ولو في الاصل لامتناع الشيء لامتناع غيره فاذا دخل على لا افاد اثباتا
وهو امتناع الشيء لثبوت غيره والاسم الواقع بعده عند سيبويه مبتدأ خبره واجب الحذف
لدلالة الكلام عليه وسد الجواب مسده وعند الكوفيين فاعل فعل محذوف ولقد علمتم
الذين اعتدوا منكم في السبت اللام موطئة للقسم والسبت مصدر سبتت اليهود اذا عظمت
يوم السبت واصله القطع امروا بان يتجردوه للعبادة فاعتدى فيه ناس منهم في زمن داود
عليه السلام واشتغلوا بالصيد وذلك انهم كانوا يسكنون قرية على الساحل يقال لها
ايلة واذا كان يوم السبت لم يبق حوت في البحر الا حضر هناك واخرج خرطومه واذا مضى
تفرقت فحفروا حياضا وشرعوا اليها الجداول وكانت الحيتان تدخلها يوم السبت فيسطادونها
يوم الاحد فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين جامعين بين صورة القردة والخسوء وهو الصغار
والطرد وقال مجاهد مسخت صورتهم ولكن قلوبهم فمثلوا بالقرد كما مثلوا بالحمار في قوله كمثل
الحمار يحمل اسفارا وقوله كونوا ليس باخبار اذ لا قدرة لهم عليه وانما المراد به سرعة التكوين وانهم

صاروا

صاروا كذلك كما اراد بهم وقرئ قردة بفتح القاف وكسر الراء وخاسين بغير همزة فجعلنا
ها اي المسخة او العقوبة نكالا عبرة تنكل المعتبر بها اي تمنعه ومنه النكل للقيد لما بين يديها
وما خلفها لما قبلها وما بعدها من الامم اذ ذكرت حالهم في زمرة الاولين واشتهرت فصتهم
في الآخرين او لما حاضريهم ومن بعدهم او لما تحضرتها من القرى وما تباعد عنها او لاهل
تلك القرية وما حواليها او لاجل ما تقدم عليها من ذنوبهم وما تاخر منها وموعظة للمتقين
من قومهم او لكل متق سمعها واذ قال موسى لقومه ان الله يامركم ان تذبحوا بقرة اول هذه
القصة قوله تعالى واذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها واذا فك عنه وقدمت عليه لاستقلاله
بنوع آخر من مساويهم وهو الاستهزاء بالامر والاستقصاء في السؤال وترك المسارعة الى
الامتثال وقصته انه كان فيهم شيخ موسر وقتل ابنه ابن اخيه طمعا في ميراثه وطرحوه
على باب المدينة ثم جاءوا يطالبون بدمه فامرهم الله ان يذبحوا بقرة ويضربوه ببعضها ليحيى فيخبر بقاتله
قالوا اتتخذنا هزوا اي مكان هزو او اهله او مهزوا بنا او الهزء نفسه لفرط الاستهزاء
استبعادا لما قاله واستخفافا به وقرا حمزة واسمعيل عن نافع بالسكون وحفص عن عاصم بالضم
وقلب الهمزة واوا قال اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين لان الهزو في ذلك جهل وسفه نفي
عن نفسه ما رمي به على طريقة البرهان واخرج ذلك في صورة الاستعاذة استفظاعا له
قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي ما حالها وصفتها وكان حقه ان يقولوا اي بقرة هي او كيف
هي لان ما يسال به عن الجنس غالبا لكنهم لما رأوا ما امروا به على حال لم يوجد بها شيء من جنسه
اجروه مجرى ما لم يعرفوا حقيقته ولم يروا مثله قال انه يقول انها بقرة لا فارض ولا بكر لا مسنة
ولا فتية يقال فرضت البقرة فروضا من الفرض وهو القطع كانها فرضت سنها وتركيب البكر
للاولية ومنه البكرة والباكورة عوان نصف قال نوار بين انجاد وعون بين ذلك
اي ما ذكر من الفارض والبكر ولذلك اضيف اليه بين فانه لا يضاف الا الى متعدد وعود هذه الكنايات
واجراء تلك الصفات على بقرة يدل على ان المراد بها معينة ويلزمه تاخير البيان عن وقت الخطاب

الغافل بهذا

ومن انكر ذلك زعم ان المراد بها بقرة من شق البقرة غير مخصوصة ثم انقلبت مخصوصة
بسؤالهم ويلزمه النسخ قبل الفعل فان التخصيص ابطال للتخيير الثابت بالنص والحق
جوازهما ويؤيد الراى الثانى ظاهر اللفظ والمروى عنه عليه السلام لو ذبحوا اى بقرة
ارادوا لاجزأتهم ولكن شددوا على انفسهم فشدد الله عليهم وتقريعهم بالتمادى وزجرهم
عن المراجعة بقوله فافعلوا ما تؤمرون اى ما تؤمرونه بمعنى تؤمرون به من قوله امرتك
خيرا فافعل ما امرت به او امركم بمعنى مأموركم قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما
لونها قال انه يقول انها بقرة صفراء فاقع لونها الفقوع نصوع الصفرة ولذلك
تؤكد به فيقال اصفر فاقع كما يقال اسود حالك وفى اسناده الى اللون وهو صفة صفراء لملابسته
بها فضل تاكيد كانه قيل صفراء شديدة الصفرة صفرتها وعن الحسن سوداء شديدة
السواد وبه فسر قوله تعالى جمالات صفر قال الاعشى تلك خيلى منه وتلك ركابى
هن صفر اولادها كالزبيب ولعله عبر بالصفرة عن السواد لانها من مقدماته او لان
سواد الابل تعلوه صفرة وفيه نظر لان الصفرة بهذا المعنى لا تؤكد بالفقوع تسر الناظرين اى
تعجبهم والسرور اصله لذة فى القلب عند حصول نفع او توقعه من السر قالوا ادع لنا ربك
يبين لنا ما هى تكرير للسؤال الاول واستكشاف زائد ان البقر تشابه علينا اعتذار عنه
اى ان البقر الموصوف بالتعوين والصفرة كثير فاشتبه علينا وقرئ ان الباقر وهو اسم لجماعة
البقر والاباقر والبواقر وتتشابه بالياء والتاء ويشابه بطرح التاء وادغامها على التذكير
والتانيث وتشابهت مخففا ومشددا وتشبه بمعنى تتشبه ويشبه بالتذكير ومتشابه
ومتشابهة ومشتبه ومشتبهة وانا ان شاء الله لمهتدون الى المراد ذبحها او الى القاتل
وفى الحديث لو لم يستثنوا لما بينت آخر الابد واحتج به اصحابنا على ان الحوادث بارادة الله تع
وان الامر قد ينفك عن الارادة والا لم يكن للشرط بعد الامر معنى والمعتزلة والكرامية
على حدوث الارادة واجيب بان التعليق باعتبار التعلق قال انه يقول انها بقرة لا ذلول

تثير الارض

تثير الارض ولا تسقى الحرث اى لم تذلل للكراب وسقى الحروث ولا ذلول صفة
لبقرة بمعنى غير ذلول ولا الثانية مزيدة لتاكيد الاولى والفعلان صفتا ذلول كانه قيل
لا ذلول مثيرة ولا ساقية وقرئ لا ذلول بالفتح اى حيث هى كقولك مررت برجل لا بخيل
ولا جبان اى حيث هو وتسقى من اسقى مسلمة سلمها الله من العيوب او اهلها من العمل
او اخلص لونها من سلم له كذا اذا اخلص له لا شية فيها لا لون فيها يخالف لون جلدها وهى فى الا
صل مصدر وشاه وشيا وشية اذا خلط بلونه لونا آخر قالوا الآن جئت بالحق اى بحقيقة وصف
البقرة وحقيقتها لنا وقرئ آلآن بالمد على الاستفهام والآن بحذف الهمزة والقاء حركتها
على اللام فذبحوها فيه اختصار والتقدير فحصلوا البقرة المنعوتة فذبحوها وما كادوا
يفعلون لتطويلهم وكثرة مراجعاتهم او لخوف الفضيحة فى ظهور القاتل او لغلاء ثمنها اذ
روى ان شيخا صالحا منهم كان له عجلة فاتى بها الغيضة وقال اللهم انى استودعكها
لابنى حتى يكبر فشبت وكانت وحيدة بتلك الصفات فساوموها اليتيم وامه حتى اشتروها
بملء مسكها ذهبا وكانت البقرة اذ ذاك بثلثة دنانير وكاد من افعال المقاربة وضع
لدنو الخبر حصولا فاذا دخل عليه النفى قيل معناه الاثبات مطلقا وقيل ماضيا والصحيح
انه كسائر الافعال ولا ينافى وما كادوا يفعلون قوله فذبحوا الاختلاف وقتيهما اذ المعنى
انهم ما قاربوا ان يفعلوا حتى انتهت سؤالاتهم وانقطعت تعللاتهم ففعلوا كالمضطر
الملجئ الى الفعل واذ قتلتم نفسا خطاب الجمع لوجود القتل فيهم فادارأتم فيها اختصمتم فى شأ
نها اذ المتخاصمان يدفع بعضهم بعضا او تدافعتم بان طرح قتلها كل عن نفسه الى صاحبه واصله
تدارأتم فادغمت التاء فى الدال واجتلبت لها همزة الوصل والله مخرج ما كنتم تكتمون مظهره
لا محالة واعمل مخرج لانه حكاية مستقبل كما اعمل باسط ذراعيه لانه حكاية حال ماضية فقلنا
اضربوه عطف على ادارأتم وما بينهما اعتراض والضمير للنفس والتذكير على تاويل الشخص او
القتيل ببعضها اى بعض كان وقيل باصغريها وقيل بلسانها وقيل بفخذها اليمنى

اشتروا البقرة بملء مسكها ذهبا

اذا دخل على كاد النفى

ولا تسقى الحرث مسلمة

وقيل بالاذن وقيل بالعجب كذلك يحيى الله الموتى يدل على ما حذف وهو قضى بموتهم
فحيى والخطاب من حضر حيوة القتيل او نزول الآية ويريكم آياته دلائله على كمال قدرته لعلكم
تعقلون لكى بكمل عقلكم وتعلموا ان من قدر على احياء نفس قدر على احياء الانفس كلها او لكى تعلموا
على قضيته ولعله تعالى انما لم يحيه ابتداء وشرط فيه ما شرط لما فيه من التقرب واداء الواجب
ونفع اليتيم والتنبيه على بركة التوكل والشفقة على الاولاد وان من حق الطالب ان يقدم
قربة والمتقرب ان يتحرى الاحسن ويغالى بثمنه كما روى عن عمر انه ضحى بجمل
مائة دينار وان الموتى في الحقيقة هو الله تعالى والاسباب امارات لا اثر لها وان من اراد ان يعرف
اعدى عدوه الساعى في اماتته الموت الحقيقى فطريقه ان يذبح بقرة نفسه التى هى القوة الشهوية
حين زال عنها شرة الصبى ولم يلحقها ضعف الكبر وكانت سمينة رائقة المنظر غير مذللة في طلب
الدنيا مسلمة عن دنسها لا سمة بها من مقابحها بحيث يصل اثره الى نفسه فيحيى حيوة طيبة
ويتعرف عما به من الحال ويرتفع ما بين العقل والوهم من التنازع والتزاع ثم قست
قلوبكم القساوة عبارة عن الغلظ مع الصلابة كما في الحجر وقساوة القلب مثل في نبو عن الاد
عتبارو ثم لاستبعاد القسوة من بعد ذلك يعنى احياء القتيل وجميع ما عدد من الآيات فانها بعد
متا يوجب لين القلب فهى كالحجارة في قسوتها او اشد قسوة منها والمعنى انها في القساوة
مثل الحجارة او زائدة عليها او انها مثلها او مثل ما هو اشد منها قساوة كالحديد فحذف
المضاف واقيم المضاف اليه مقامه ويعضده قراءة الحجر بالفتح عطفا على الحجارة وانما لم يقل
اقسى لما في اشد من المبالغة والدلالة على استداد القسوتين واستمالهما المفضل على زيادة واو
للتخيير او للترديد بمعنى ان من عرف حالها شبهها بالحجارة او بما هو اقسى منها وان من الحجارة
لما يتفجر منه الانهار وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء وان منها لما يهبط من خشية
الله تعليل للتفضيل والمعنى ان الحجارة تتأثر وتفعل فان منها ما يتشقق فينبع منه الماء
وينفجر منه الانهار ومنها ما يتردى من اعلى الجبل انقيادا لما اراد الله به وقلوب هؤلاء لا تتأثر

يكشف عن الحال

احياء

كيفية تحريفهم كلام الله

ان لا تعقلوا

قالوا

من هم

ولا تفعل عن امره والتفجر اتفتح بسعة وكثرة والخشية مجاز عن الانقياد وقرئ ان على انها
المخففة من الثقيلة واسمها اللام الفارقة لها عن النافية ويهبط بالضم وما الله بغافل
عما يعملون وعيد على ذلك وقرأ ابن كثير ونافع ويعقوب وحفص وابو بكر وحماد بالتاء ضما
الى ما بعده والباقون بالياء افتطمعون الخطاب لرسول الله والمؤمنين ان يؤمنوا
لكم ان يحدثوا التصديق لكم او يؤمنوا لاجل دعوتكم يعنى اليهود وقد كان فريق منهم
طائفة من اسلافهم يسمعون كلام الله يعنى التورية ثم يحرفونه كنعت محمد صلوات
الله عليه وآية الرجم وتاويله فيفترونه بما يشتهون وقيل هؤلاء من السبعين المختارين
سمعوا كلام الله حين كلم موسى بالطور ثم قالوا سمعنا الله يقول في آخره ان استطعتم ان تفعلوا
هذه الاشياء فافعلوا وان شئتم فلا تفعلوا من بعد ما عقلوه اى فهموه يعقلونه لهم وهم يعلمون
لهم فيه ريبة وهم يعلمون انهم مفترون مبطلون ومعنى الآية ان اخبارهم كذا ومقد
مبيهم كانوا على هذه الحالة فما طمعك بسلفتهم وجهالهم وانتهم ان كفروا وحرفوا فالهم
سابقة في ذلك واذا لقوا الذين آمنوا يعنى منافقيهم قالوا آمنا بانكم على الحق ورسولكم
هو المبشر به في التورية واذا خلا بعضهم الى بعض اى الذين لم ينافقوا منهم عاتبين على من
نافق قالوا اتحدثونهم بما فتح الله عليكم بما بين لكم في التورية من نعت محمد عليه السلام
او الذين نافقوا لاعقابهم اظهار التصلب في اليهودية ومنعا لهم عن ابداء ما وجدوا في كتابهم
فينا فقون الفريقين فالاستفهام على الاول تقريع وعلى الثاني انكار ونهى ليحاجوكم به عند
ربكم ليحتجوا عليكم بما انزل ربكم في كتابه جعلوا محاجتهم كالمحاجة بالله وكأنه محاجة عنده كما يقال
عند الله كذا ويراد به في كتابه وحكمه وقيل عند ذكر ربكم او بما عند ربكم او بين يدى رسول
ربكم وقيل عند ربكم في القيامة وفيه نظر اذ الاحتفاء لا يدفعها افلا تعقلون انتم يا علماء
تبين وتقدين افلا تعقلون انهم يحاجونكم فيحتجونكم او خطاب من الله للمؤمنين متصل بقوله افتطمعون
والمعنى افلا تعقلون حالهم وانكم لا مطمع لكم في ايمانهم او لا يعلمون يعنى هؤلاء المنافقين او

قالوا

من هم

الامانى اوكليها اوآيام والمحرفين ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون ومن جملتها اسرارهم الكفر
واعلانهم الايمان واخفاء الله عليهم واظهار غيره وتحريف الكلم عن مواضعه ومعانيه ومنهم
اميون لا يعلمون الكتاب جملة لا يعرفون الكتابة فيطالعوا التوراة ويحققوا ما فيها او التوراة
الا امانى استثناء منقطع والامانى جمع امنية وهى فى الاصل ما يقدره الانسان فى نفسه من
منى اذا قدر ولذلك تطلق على الكذب وعلى ما يتمنى وما يقرأ والمعنى ولكن يعتقدون اكاذيب
اخذوها تقليدا من المحرفين او مواعيد فارغة سمعوها منهم من ان الجنة لا يدخلها الا من كان
هودا او ان النار لن تمسهم الا اياما معدودة وقيل الا ما يقرأون قراءة عارية عن معرفة المعنى
وتلتئم من قوله تمنى كتاب الله اول ليلة تمنى داود الزبور على رسل وهو لا يناسب وصفهم
بانهم اميون وان هم الا يظنون ما هم الا قوم يظنون لا علم لهم وقد يطلق الظن بازاء العلم
على كل رأى واعتقاد من غير قاطع وان جزم به صاحبه كاعتقاد المقلد والنازع عن الحق بشبهة
فويل اى تحسر وهلاك ومن قال انه واد او جبل فى جهنم فمعناه ان فيها موضعا يكبون فيها فيه
من جعل له الويل ولعله سماه بذلك مجازا وهو فى الاصل مصدر لا فعل له وانما ساغ الابتداء
به لانه دعاء للذين يكتبون الكتاب يعنى المحرف ولعله اراد به ما كتبوه من التاويلات
الزائغة بايديهم تاكيد كقولك كتبته بيمينى ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا
كى يحصلوا به عرضا من اعراض الدنيا فانه وان جل قليل بالنسبة الى ما استوجبوه من العقاب
الدائم فويل لهم مما كتبت ايديهم يعنى المحرف وويل لهم مما يكسبون بريد الرشى وقالوا لن تمسنا
النار المس اتصال الشئ بالبشرة بحيث يتاثر الحاسة به واللمس كالطلب له ولذلك يقال
المسه فلا اجده الا اياما معدودة محصورة قليلة روى ان بعضهم قالوا نعذب بعدد ايام
عبادة العجل اربعين يوما وبعضهم قالوا مدة الدنيا سبعة آلاف سنة وانما نعذب مكان
كل الف سنة يوما قل اتخذتم عند الله عهدا خبرا ووعدا بما تزعمون وقراء ابن كثير وحفص
باظهار الذال والباقون بادغامه فلن يخلف الله عهده جواب شرط مقدر اى ان اتخذتم

مانفتم

النزع المليح وصفهم بهذا

نكرة

عند الله

النقرير وهم

عند الله عهدا فلن يخلف الله عهده وفيه دليل على ان الخلف فى خبر محال ام تقولون
على الله ما لا تعلمون ام معادلة لهمزة الاستفهام بمعنى ان الامرين كائن على سبيل التقرير للعلم
بوقوع احدهما ومنقطعة بمعنى بل اتقولون على التقريع على اثبات ما نفوه من مساس النار
لهم زمانا مديدا ودهرا طويلا على وجه عام ليكون كالبرهان على بطلان قولهم وتخصيص جواب
النفى من كسب سيئة قبيحة والفرق بينها وبين الخطيئة انها قد تقال فيما يقصد بالذات
والخطيئة يغلب فيما يقصد بالعرض لانها من الخطاء والكسب استجلاب النفع وتخليقه بالسيئة
على طريقة قوله فبشرهم بعذاب اليم واحاطت به خطيئته اى استولت عليه وشملت جملة
احواله حتى صار كالمحاط بها لا يخلو عنها شئ من جوانبه وهذا انما يصح فى شان الكافر
ان غيره ان لم يكن له سوى تصديق قلبه واقرار لسانه فلم تحط الخطيئة به ولذلك فسرها
السلف بالكفر وتحقيق ذلك ان من اذنب ذنبا ولم يقلع عنه استجر الى معاودة مثله
والاستهانة به وارتكاب ما هو اكبر منه حتى يستولى عليه الذنوب وتاخذ بمجامع قلبه
فيصير بطبعه مائلا الى المعاصى مستحسنا اياها معتقدا ان لا لذة سواها مبغضا لمن ينهاه
عنها مكذبا لمن ينصحه فيها كما يقوله تعالى ثم كان عاقبة الذين اساءوا السوأى ان كذبوا بآيات
الله وقراءة نافع خطيئاته وقرئ خطيته وخطيآته على القلب والادغام فيهما فاولئك اصحاب
النار ملازموها فى الآخرة كما انهم ملازمون اسبابها فى الدنيا هم فيها خالدون دائمون
او لابثون لبثا طويلا والآية كما ترى لا حجة فيها على خلود صاحب الكبيرة وكذا التى قبلها
والذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون جرت عادته
وتعالى ان يشفع وعده بوعيده ليرجى رحمته ويخشى عذابه وعطف العمل على الايمان يدل
على خروجه عن مسماه واذ اخذنا ميثاق بنى اسرائيل لا تعبدون الا الله اخبار فى معنى النهى كقولك
لا يصارنى كاتب ولا شهيد وهو ابلغ من صريح النهى لما فيه من ايهام ان المنهى سارع الى الانتهاء
وهو يخبر عنه ويعضد قراءة لا تعبدوا وعطف قولوا عليه فيكون على ارادة القول وقيل

النوق بين السيئة والخطيئة

يحيط بها

لا حجة فى هذه الآية على خلود صاحب الكبيرة

جرت عادته سبحانه وتعالى ان يشفع وعده بوعيده

تقديره ان لا تعبدوا فلما حذف ان رفع كقوله الا ايهذا الزاجري احضر الوغا ويدل عليه قراءة
ان لا تعبدوا فيكون بدلا عن الميثاق او معمولا له بحذف الجار وقيل انه جواب قسم دل عليه المعنى
كانه قال حلفناهم لا تعبدون وقرا نافع وابن عامر وابو عمرو وعاصم ويعقوب بالتاء حكاية لما
خوطبوا به والباقون بالياء لانهم غيب وبالوالدين احسانا متعلق بمضمر تقديره وتحسنون
او احسنوا وذي القربى واليتامى والمساكين عطف على الوالدين ويتامى جمع يتيم كنديم وندامى وهو
قليل ومسكين مفعيل من السكون كان الفقر اسكنه وقولوا للناس حسنا اي قولا حسنا وسماه
حسنا للمبالغة وقرا حمزة والكسائي ويعقوب حسنا بفتحتين وقرئ حسنا بضمتين وهو لغة
اهل الحجاز وحسنى على المصدر كبشرى والمراد به ما فيه تخلق وارشاد واقيموا الصلوة
وآتوا الزكوة يريد بهما ما فرض عليهم في ملتهم ثم توليتم على طريقة الالتفات ولعل الخطاب مع
الموجودين منهم في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن قبلهم على التغليب اي اعرضتم عن
الميثاق ورفضتموه الا قليلا منكم يريد به من اقام اليهودية على وجهها قبل النسخ ومن
اسلم منهم وانتم معرضون قوم عادتكم الاعراض عن الوفاء والطاعة واصل الاعراض الذهاب
عن المواجهة الى جهة العرض واذ اخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون انفسكم من
دياركم على نحو ما سبق والمراد به ان لا يتعرض بعضهم بعضا بالقتل والاجلاء عن الوطن وانما
جعل قتل الرجل غيره قتل نفسه لاتصاله به نسبا او دينا او لانه يوجبه قصاصا وقيل معناه
لا ترتكبوا ما يبيح سفك دمائكم واخراجكم من دياركم او لا تفعلوا ما يرديكم ويصرفكم عن الحيوة
الابدية فانه القتل في الحقيقة ولا تقترفوا ما تمنعون به عن الجنة التي هي داركم فانه الجلاء الحقيقي
ثم اقررتم بالميثاق واعترفتم بلزومه وانتم تشهدون توكيد كقولك اقر فلان شاهدا على نفسه
وقيل وانتم ايها الموجودون تشهدون على اقرار اسلافكم فيكون اسناد الاقرار اليهم مجازا
ثم انتم هؤلاء استبعاد لما ارتكبوه بعد الميثاق والاقرار به والشهادة عليه وانتم مبتدا وهؤلاء
خبره على معنى انتم بعد ذلك هؤلاء الناقضون كقولك انت ذاك الرجل الذي فعل كذا نزل تغير الصفة

معنى مسكين

منزلة

منزلة تغير الذات وعدهم باعتبار ما اسند اليهم حضورا وباعتبار ما سيحكى عنهم غيبا
وقوله تقتلون انفسكم وتخرجون فريقا منكم من ديارهم اما حال والعامل فيها معنى الاشارة
او بيان لهذه الجملة وقيل هؤلاء تاكيد والخبر هو الجملة وقيل بمعنى الذين والجملة صلته
والمجموع هو الخبر وقرئ تقتلون على التكثير تظاهرون عليهم بالاثم والعدوان حال من فاعل
تخرجون او من مفعوله او كليهما والتظاهر التعاون من الظهر وقرا عاصم والكسائي وحمزة
بحذف احدى التائين وقرئ باظهارهما وتظهرون بمعنى تتظهرون وان ياتوكم اسارى تفا
دوهم روي ان قريظة كانوا حلفاء الاوس والنضير حلفاء الخزرج فاذا اقتتلا عاون كل فريق
حلفاءه في القتل وتخريب الديار واجلاء اهلها واذا اسر احد من الفريقين جمعوا له حتى يفدوه
وقيل معناه ان ياتوكم اسارى في ايدي الشياطين تتصدون لانقاذهم بالارشاد والو
عظ مع تضييعكم انفسكم كقوله اتامرون الناس بالبر وتنسون انفسكم وقرا حمزة اسرى
وهو جمع اسير كجريح وجرحى واسارى جمعه كسكرى وسكارى وقيل هو ايضا جمع اسير وكانه
شبه بالكسلان وجمع جمعه وقرا ابن كثير وابو عمرو وحمزة وابن عامر تفدوهم وهو محرم
عليكم اخراجهم متعلق بقوله وتخرجون فريقا منكم من ديارهم وما بينهما اعتراض والضمير
للشان او مبهم وتفسيره اخراجهم او راجع الى ما دل عليه تخرجون من المصدر واخراجهم
تاكيد وبيان افتؤمنون ببعض الكتاب يعني وتكفرون ببعض يعني حرمة المقاتلة والاجلاء فما جزاء
من يفعل ذلك منكم الا خزي في الحيوة الدنيا كقتل قريظة وسبيهم واجلاء النضير وضرب
الجزية على غيرهم واصل الخزي ذل يستحيى منه ولذلك يستعمل في كل منهما ويوم القيامة
يردون الى اشد العذاب لان عصيانهم اشد وما الله بغافل عما تعملون تاكيد للوعيد اي
الله سبحانه بالمرصاد لا يغفل عن افعالهم وقرا عاصم في رواية المفضل تردون على الخطاب
لقوله منكم وابن كثير ونافع ويعقوب يعملون على ان الضمير لمن اولئك الذين اشتروا الحيوة الدنيا
بالآخرة آثروا الحيوة الدنيا على الآخرة فلا يخفف عنهم العذاب بنقص الجزية في الدنيا

الفداء

والتعذيب في الآخرة ولا هم ينصرون بدفعها عنهم ولقد آتينا موسى الكتاب التورية وقفينا
من بعده بالرسل اى ارسلنا على اثره الرسل كقوله ثم ارسلنا رسلنا تترى يقال قفاه
اتبعه اياه من القفا نحو ذنبه من الذنب وآتينا عيسى ابن مريم البينات المعجزات
الواضحات كاحياء الموتى وابراء الاكمه والابرص بالمغيبات والانجيل وعيسى بالعبرية ايشوع
ومريم بمعنى الخادم وهو بالعربية من النساء كالزير من الرجال قال رؤبة قلت لزير لم
تصله مريمه ووزنه مفعل اذ لم يثبت فعيل وايدناه قويناه وقرئ آيدناه بروح
القدس بالروح المقدسة كقولك حاتم الجود ورجل صدق اراد به جبرئيل او روح
عيسى ووصفها به لطهارته عن مس الشيطان او لكرامته على الله ولذلك اضافها الى
نفسه او لانه لم يضمها الاصلاب ولا ارحام الطوامث او الانجيل او اسم الله الاعظم
الذى كان يحيى به الموتى وقرأ ابن كثير القدس بالاسكان فى جميع القرآن افكلما جاءكم
رسول بما لا تهوى انفسكم بما لا تحبه يقال هوى بالكسر هوى اذا احب وهوى بالفتح هويا
بالضم سقط ووسطت الهمزة بين الفاء وما تعلقت به توبيخا لهم على تعقيبهم ذاك بهذا
وتعجيبا من شانهم ويحتمل ان يكون استينافا والفاء للعطف على مقدر استكبرتم عن الايمان
واتباع الرسل ففريقا كذبتم كموسى وعيسى والفاء للسببية او التفصيل وفريقا تقتلون
كزكريا ويحيى وانما ذكر بلفظ المضارع على حكاية الحال الماضية استحضارا لها فى النفوس فان
الامر فظيع ومراعاة للفواصل او للدلالة على انكم بعد فيه فانكم حول قتل محمد لولا انى اعصمه
منكم ولذلك سحرتموه وسممتم له الشاة وقالوا قلوبنا غلف مغشاة باغطية خلقية لا
يصل اليها ما جئت به ولا تفقهه مستعار من الاغلف الذى لم يختن وقيل اصله
غلف جمع غلاف فخفف والمعنى انها اوعية العلم لا تسمع علما الا وعته ولا تعى ما تقول
او نحن مستغنون بما فيها من غيره بل لعنهم الله بكفرهم رد لما قالوا والمعنى انها خلقت
على الفطرة والتمكن من قبول الحق ولكن الله خذلهم بكفرهم فابطل استعدادهم او انها

لم تأب

لم تأب قبول ما تقوله لخلل فيه بل لان الله خذلهم بكفرهم كما قال تعالى فاصمهم واعمى
ابصارهم او هم كفرة ملعونون فمن اين لهم دعوى العلم والاستغناء عنك فقليلا
ما يؤمنون فايمانا قليلا يؤمنون وما مزيدة للمبالغة فى التقليل وهو ايمانهم ببعض الكتاب
وقيل اراد بالقلة العدم ولما جاءهم كتاب من عند الله يعنى القرآن مصدق لما معهم
من كتابهم وقرئ بالنصب على الحال من كتاب لتخصصه بالوصف وجواب لما محذوف دل
عليه جواب لما الثانية وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا اى يستنصرون على المشركين
ويقولون اللهم انصرنا بنبى آخر الزمان المنعوت فى التورية او يفتحون عليهم ويعرفونهم
ان نبيا يبعث منهم وقد قرب زمانه والسين للمبالغة والاشعار بان الفاعل يسأل
ذلك عن نفسه فلما جاءهم ما عرفوا من الحق كفروا به حسدا وخوفا على الرياسة فلعنة
الله على الكافرين اى عليهم واتى بالمظهر للدلالة على انهم لعنوا لكفرهم فيكون اللام للعهد
ويجوز ان يكون للجنس ويدخلون فيه دخولا اوليا لان الكلام فيهم بئس ما اشتروا به انفسهم
ما نكرة بمعنى شئ مميزة لفاعل بئس المستكن واشتروا صفته ومعناه باعوا او شروا بحسب
ظنهم فانهم ظنوا انهم خلصوا انفسهم من العقاب بما فعلوا ان يكفروا بما انزل الله هو
المخصوص بالذم بغيا طلبا لما ليس لهم وحسدا وهو علة يكفروا دون اشتروا للفصل
ان ينزل الله لان ينزل اى حسدوه على ان ينزل الله من فضله يعنى الوحى على من يشاء من
عباده على من اختاره للرسالة فباؤا بغضب على غضب للكفر والحسد على من هو افضل الخلق
وقيل لكفرهم بمحمد بعد عيسى او بعد قولهم عزير ابن الله وللكافرين عذاب مهين يراد به
اذلالهم بخلاف عذاب العاصى فانه طهرة لذنوبه واذا قيل لهم آمنوا بما انزل الله يعم الكتب
المنزلة باسرها قالوا نؤمن بما انزل علينا اى بالتورية ويكفرون بما وراءه حال عن الضمير فى
قالوا ووراء فى الاصل مصدر جعل ظرفا ويضاف الى الفاعل فيراد به ما يتوارى به وهو خلفه والى
المفعول فيراد به ما يواريه وهو قدامه ولذلك عد من الاضداد وهو الحق الضمير لما وراءه

لفظ وراء من الاضداد

والمراد به القرآن مصدقا لما معهم حال موكدة يتضمن رد مقالهم فانهم لما كفروا بما
يوافق التورية فقد كفروا بها قل فلم تقتلون انبياء الله من قبل ان كنتم مومنين اعتراض
عليهم بقتل الانبياء مع ادعاء الايمان بالتورية والتورية لا تسوغه وانما اسنده اليهم لانه
فعل آبائهم وانهم راضون به عازمون عليه وقرا نافع وحده انبياء الله مهموزا في جميع
في جميع القرآن ولقد جاءكم موسى بالبينات يعني الآيات التسع المذكورة في قوله ولقد آتينا
موسى تسع آيات بينات ثم اتخذتم العجل اي الها من بعده بعد مجيء موسى او ذهابه الى الطور
وانتم ظالمون حال بمعنى اتخذتم العجل ظالمين بعبادته او بالاخلال بآيات الله او اعتراض
بمعنى وانتم قوم عادتكم الظلم ومساق الآية ايضا لابطال قولهم نؤمن بما انزل علينا
والتنبيه على ان طريقتهم مع الرسول طريقة اسلافهم مع موسى عليهما السلام لا لتكرير القصة
وكذا ما بعدها واذ اخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واسمعوا
اي قلنا لهم خذوا ما امرتم به في التورية بجد واسمعوا سماع طاعة قالوا سمعنا قولك
وعصينا امرك واشربوا في قلوبهم العجل تداخلهم حبه ورسخ في قلوبهم صورته لفرط
شغفهم به كما يتداخل الصبغ الثوب والشراب اعماق البدن وفي قلوبهم بيان لمكان
الاشراب كقوله انما يأكلون في بطونهم نارا بكفرهم وذلك لانهم كانوا مجسمة او حلولية
ولم يروا جسما اعجب منه فتمكن في قلوبهم ما سول لهم السامري قل بئسما يأمركم به ايما
نكم اي بالتورية والمخصوص بالذم محذوف نحو هذا الامر او ما يعمه وغيره من قبائحهم المعدودة
في الآيات الثلث الزاما عليهم ان كنتم مومنين تقرير للقدح في دعويهم الايمان بالتورية
وتقديره ان كنتم مومنين بها ما آمركم بهذه القبائح وما رخص لكم فيها ايمانكم بها او ان كنتم
مومنين بها فبئسما امركم به ايمانكم بها لان المومن ينبغي ان لا يتعاطى الا ما يقتضيه ايمانه
لكن الايمان بها لا يأمر به فاذا لستم بمومنين قل ان كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة
خاصة بكم كما قلتم لن يدخل الجنة الا من كان هودا ونصبها على الحال من الدار من دون الناس

سائرهم

سائرهم او المسلمين واللام للعهد فتمنوا الموت ان كنتم صادقين لان من ايقن انه من
اهل الجنة اشتاقها واحب التخلص اليها من الدار ذات الشوائب كما قال علي رضي الله عنه
لا ابالي سقطت على الموت او سقط الموت علي وقال عمار بصفين الآن الاقي الاحبة
محمدا وحزبه وقال حذيفة حين احتضر جاء حبيب على فاقة لا افلح من ندم اي على التمني
سيما اذا علم انها سالمة له لا يشاركه فيها غيره ولن يتمنوه ابدا بما قدمت ايديهم من موجبات
النار كالكفر بمحمد والقرآن وتحريف التورية ولما كانت اليد العاملة مختصة بالانسان
آلة لقدرته بها عامة صنائعه ومنها اكثر منافعه عبر بها عن النفس تارة والقدرة
اخرى وهذه الجملة اخبار بالغيب وكان كما اخبر لانهم لو تمنوا لنقل واشتهر فان التمني ليس
من عمل القلب ليخفى بل هو ان يقول ليت كذا وان كان بالقلب لقالوا تمنينا وعن النبي
صلى الله عليه وسلم لو تمنوا الموت لغص كل انسان بريقه فمات مكانه وما بقي على
وجه الارض يهودي والله عليم بالظالمين تهديد لهم وتنبيه على انهم ظالمون في دعوى
ما ليس لهم ونفيه عمن هو لهم ولتجدنهم احرص الناس على حيوة من وجد بعقله
الجاري مجرى علم ومفعولاه هم واحرص وتنكير حيوة لانه اريد فرد من افرادها وهي الحيوة
المتطاولة وقرئ باللام ومن الذين اشركوا محمول على المعنى فكانه قال احرص من الناس
على الحيوة ومن الذين اشركوا وافرادهم بالذكر للمبالغة فان حرصهم شديد اذ لم يعرفوا
الا الحيوة العاجلة والزيادة في التوبيخ والتقريع فانه لما زاد حرصهم وهم مقرون بالجزاء على حرص
المنكرين دل ذلك على علمهم بانهم صائرون الى النار ويجوز ان يراد واحرص من الذين اشركوا
فحذف لدلالة الاول عليه وان يكون خبر مبتدأ محذوف صفته يود احدهم على انه اريد
بالذين اشركوا اليهود لانهم قالوا عزير ابن الله اي ومنهم ناس يود احدهم وهو على الا
ولين بيان لزيادة حرصهم على طريق الاستيناف لو يعمر الف سنة حكاية لودادتهم ولو
بمعنى ليت وكان اصله لو اعمر فاجري على الغيبة لقوله يود كقولك حلف بالله ليفعلن

وما هو بمزحزحه من العذاب ان يعمر الضمير لاحدهم وان يعمر فاعل مزحزحه اى وما احدهم
بمن يزحزحه من النار تعميره او لما دل عليه يعمر وان يعمر بدل منه او مبهم وان يعمر موضحه
واصل سنة سنوة لقولهم سنوات وقيل سنهة كجبهة لقولهم سانهته وتسنهت
النخلة اذا اتت عليها السنون والزحزحة التبعيد والله بصير بما يعملون فيجازيهم قل
من كان عدوا لجبريل نزل في عبد الله بن صوريا سال رسول الله صلى الله عليه وسلم
عمن ينزل عليه فقال جبريل فقال ذلك عدونا عادانا مرارا واشدها انه انزل على
نبينا ان بيت المقدس سيخربه بخت نصر فبعثنا من يقتله فراه ببابل فدفع عنه جبريل
وقال ان كان ربكم امره بهلاككم فلا يسلطكم عليه والا فبم تقتلونه وقيل دخل عمر
مدراس اليهود يوما فسالهم عن جبريل فقالوا ذاك عدونا يطلع محمدا على اسرارنا
وانه صاحب كل خسف وعذاب وميكائيل صاحب الخصب والسلام فقال وما منزلتهما
من الله قالوا جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره وبينهما عداوة فقال لئن كانا كما تقو
لون فليسا بعدوين ولانتم اكفر من الحمير ومن كان عدوا احدهما فهو عدو الله ثم رجع
فوجد جبريل قد سبقه بالوحي فقال عليه السلام لقد وافقك ربك يا عمر وفي جبريل
ثمان لغات قرئ بهن اربع في المشهورة جبريل كسلسبيل قراءة حمزة والكسائي وجبريل
بكسر الراء وحذف الهمزة قراءة ابن كثير وجبرئل كجحمرش قراءة عاصم برواية ابي بكر وجبريل
كقنديل قراءة الباقون واربع في الشواذ جبرائل وجبرائيل وجبرائل وجبرين ومنع صرفه
للعجمة والتعريف ومعناه عبد الله فانه نزله البارز الاول لجبريل والثاني للقران
واضماره غير مذكور يدل على فخامة شانه كانه لتعينه وفرط شهرته لم يحتج الى سبق ذكره
على قلبك فانه القابل الاول للوحي ومحل الفهم والحفظ وكان حقه على قلبي لكنه جاء
على حكاية كلام الله كانه قال قل ما تكلمت به باذن الله بامره او تيسيره حال من فاعل نزل مصدقا
لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين احوال من مفعوله والظاهر ان جواب الشرط فانه

نزله

نزله والمعنى من عادى منهم جبريل فقد خلع ربقة الانصاف او كفر بما معه من
الكتاب بمعاداته اياه لنزوله عليك بالوحي لانه نزل كتابا مصدقا للكتب المتقدمة فحذف
الجواب واقيم علته مقامه او من عاداه فالسبب في عداوته انه نزل عليك وقيل
محذوف مثل فليمت غيظا او فهو عدو لي وانا عدوه كما قال تعالى من كان عدوا لله
وملائكته ورسله وجبريل وميكائيل فان الله عدو للكافرين اراد بعداوة الله مخالفته
عنادا او معاداة المقربين من عباده وصدر الكلام بذكره تفخيما لشانهم كقوله والله
ورسوله احق ان يرضوه وافرد الملكان بالذكر لفضلهما كانهما من جنس آخر والتنبيه على ان
معاداة الواحد والكل سواء في الكفر واستجلاب العداوة من الله تعالى وان من عادى احد
هم فكانه عادى الجميع اذ الموجب لمحبتهم وعداوتهم على الحقيقة واحد ولان المحاجة
كانت فيهما ووضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على انه تعالى عاداهم لكفرهم وان
عداوة الملائكة والرسل كفر وقرا نافع ميكائل كميكاعل وابو عمرو ويعقوب وعاصم ميكال
كميعاد وقرئ ميكئل وميكئيل وميكائيل ولقد انزلنا اليك آيات بينات وما يكفر بها
الا الفاسقون اى المتمردون من الكفرة والفسق اذا استعمل في نوع من المعاصي دل على
اعظمه كانه متجاوز عن حده نزل في ابن صوريا حين قال لرسول الله صلعم ما جئتنا بشيء
نعرفه وما انزل عليك من آية فنتبعك او كلما عاهدوا عهدا الهمزة للانكار والواو للعطف
على محذوف تقديره اكفروا بالآيات وكلما عاهدوا وقرئ بسكون الواو على ان التقدير الا
الذين فسقوا او كلما عاهدوا وقرئ عوهدوا وعهدوا بل اكثرهم لا يؤمنون رد لما يتوهم
ان الفريق هم الاقلون او ان من لم ينبذ جهارا فهم يؤمنون به خفاء ولما جاءهم رسول
من عند الله مصدق لما معهم كعيسى ومحمد عليهما السلام نبذ فريق من الذين اوتوا الكتاب
كتاب الله يعني التورية لان كفرهم بالرسول المصدق لها كفر بها فيما يصدقه ونبذ لما فيها
من وجوب الايمان بالرسول المؤيدين بالآيات وقيل ما مع الرسول وهو القرآن

نبذه فريق منهم نقضه واصل النبذ الطرح لكنه يغلب فيما ينسى وانما قال فريق لان بعضهم لم ينقض

وراء ظهورهم مثل لاعراضهم عنه راسا بالاعراض عما يرمى به وراء الظهر لعدم الا
لتفات اليه كانهم لا يعلمون انه كتاب الله يعنى ان علمهم به رصين ولكن يتجاهلون
عنادا واعلم انه تعالى دل بالآيتين على ان جل اليهود اربع فرق فرقة آمنوا بالتورية وقاموا
بحقوقها كمؤمنى اهل الكتاب وهم الاقلون المدلول عليهم بقوله بل اكثرهم لا يؤمنون وفرقة
جاهروا بنبذ عهودها وتخطى حدودها تمردا وفسوقا وهم المعنيون بقوله نبذ فريق منهم
وفرقة لم يجاهروا بنبذها ولكن نبذوا لجهلهم بها وهم الاكثرون وفرقة تمسكوا بها
ظاهرا ونبذوها حقيقة عالمين بالحال بغيا وعنادا وهم المتجاهلون واتبعوا ما تتلو
الشياطين عطف على نبذ اى نبذوا كتاب الله واتبعوا كتب السحر التى يقرأها او يتبعها
الشياطين من الجن والانس او منهما على ملك سليمان اى عهده وتتلوا حكاية
حال ماضية قيل كانوا يسترقون السمع ويضمون الى ما سمعوا اكاذيب ويلقونها الى الكهنة
وهم يدونونها ويعلمون الناس وفشا ذلك فى عهد سليمان حتى قيل ان الجن يعلم الغيب
وان ملك سليمان تم بهذا العلم وانه يسخر به الانس والجن والريح له وما كفر سليمان
تكذيب لمن زعم ذلك وعبر عن السحر بالكفر ليدل على انه كفر وان من كان نبيا كان معصوما عنه ولكن الشيا
طين كفروا باستعماله وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائى ولكن بالتخفيف ورفع الشياطين
يعلمون الناس السحر اغواء واضلالا والجملة حال عن الضمير والمراد بالسحر ما يستعان فى تحصيله
بالتقرب الى الشيطان مما لا يستقل به الانسان وذلك لا يستتب الا لمن يناسبه فى الشرارة وخبث
النفس فان التناسب شرط فى التضام والتعاون وبهذا تميز الساحر عن النبى والولى واما ما يتعجب منه
كما يفعله اصحاب الحيل بمعونة الآلات والادوية او يريك صاحب خفة اليد فغير مذموم وتسميته
سحرا على التجوز ولما فيه من الدقة لانه فى الاصل لما خفى سببه وما انزل على الملكين عطف على السحر
والمراد بهما واحد والعطف لتغاير الاعتبار او به نوع اقوى منه او على ما تتلوا وهما ملكان انزلا
لتعليم السحر ابتلاء من الله للناس وتمييزا بينه وبين المعجزة وما روى انهما مثلا بشرين وركب

فيهما

فيهما الشهوة فتعرضا لامرأة يقال لها زهرة فحملتهما على المعاصى والشرك ثم صعدت الى السماء
بما تعلمت منهما فمحكى عن اليهود ولعله من رموز الاوائل وحله لا يخفى على ذوى البصائر وقيل
رجلان سميا ملكين باعتبار صلاحهما ويؤيده قراءة الملكين بالكسر وقيل ما انزل نفى عطف على
ما كفر تكذيب لليهود فى هذه القصة ببابل ظرف او حال من الملكين او الضمير فى انزل والمشهور انه
بلد من سواد الكوفة هاروت وماروت عطف بيان للملكين ومنع صرفهما للعجمة والعلمية
ولو كانا من الهرت والمرت بمعنى الكسر لانصرفا ومن جعل ما نافية ابدلهما من الشياطين بدل البعض
وما بينهما اعتراض وقرئ بالرفع على هما هاروت وماروت وما يعلمان من احد حتى يقولا انما نحن
فتنة فلا تكفر فمعناه على الاول ما يعلمان احدا حتى ينصحاه ويقولا له انما نحن ابتلاء من الله فمن تعلم
منا وعمل به كفر ومن تعلم وتوقى عمله ثبت على الايمان فلا تكفر باعتقاد جوازه والعمل به وفيه دليل
على ان تعلم السحر وما لا يجوز اتباعه غير محظور وانما المنع من اتباعه والعمل به وعلى الثانى ما يعلمانه
حتى يقولا انا مفتونان فلا تكن مثلنا فيتعلمون منهما الضمير لما دل عليه من احد ما يفرقون به بين
المرء وزوجه اى من السحر ما يكون سبب تفريقهما وما هم بضارين به من احد الا باذن الله لانه
وغيره من الاسباب غير مؤثرة بالذات بل بامره تعالى وجعله وقرئ بضارى على الاضافة الى احد وجعل
الجار جزءا منه والفصل بالظرف ويتعلمون ما يضرهم لانهم يقصدون به العمل او لان العلم
يجر الى العمل غالبا ولا ينفعهم اذ مجرد العلم به غير مقصود ولا نافع فى الدارين وفيه ان التحرز عنه
اولى ولقد علموا اى اليهود لمن اشتراه اى استبدل ما تتلو الشياطين بكتاب الله والاظهر ان اللام
لام الابتداء علقت علموا عن العمل ما له فى الآخرة من خلاق نصيب ولبئس ما شروا به انفسهم
يحتمل المعنيين على ما مر لو كانوا يعلمون يتفكرون فيه او يعلمون قبحه على التعيين او حقيقة ما يتبعه
من العذاب والمثبت لهم اولا على التوكيد القسمى العقل الغريزى او العلم الاجمالى بقبح الفعل
او ترتب العقاب من غير تحقيق وقيل معناه لو كانوا يعملون بعلمهم فان من لم يعمل بما علم فهو
كمن لا يعلم ولو انهم آمنوا بالرسول والكتاب واتقوا بترك المعاصى كنبذ كتاب الله واتباع السحر

لمثوبة من عند الله خير جواب لو واصله لاثيبوا مثوبة من الله خير اما شروا به انفسهم فحذف
الفعل وركب الباقي جملة اسمية ليدل على ثبات المثوبة والجزم بخيريتها وحذف المفضل عليه
اجلالا للمفضل من ان ينسب اليه وتنكير المثوبة لان المعنى لشيء من الثواب خير وقيل لو للتمني
ولمثوبة كلام مبتدا وقرئ لمثوبة كمشورة وانما سمي الجزاء ثوابا ومثوبة لان المحسن يثوب اليه
لو كانوا يعلمون ان ثواب الله خير جهلهم لترك التدبر والعمل بالعلم يا ايها الذين آمنوا لا تقولوا را
عنا وقولوا انظرنا الرعي حفظ الغير لمصلحته وكان المسلمون يقولون لرسول الله راعنا اي راقبنا
وتأن بنا فيما تلقننا حتى نفهمه وسمع اليهود فافترصوه وخاطبوه به مريدين نسبته الى الرعن او
سبه بالكلمة العبرانية التي كانوا يتسابون بها وهي راعينا فنهى المؤمنون عنها وامروا بما يفيد تلك
الفائدة ولا يقبل التلبيس وهو انظرنا بمعنى انظر الينا او انتظرنا من نظره اذا انتظره وقرئ انظرنا من الا
نظار اي امهلنا لنحفظ وقرئ راعونا على لفظ الجمع للتوقير وراعنا بالتنوين اي قولا ذا رعن نسبة الى
الرعن وهو الهوج لما شابه قولهم راعينا وتسبب للسب واسمعوا واحسنوا الاستماع حتى لا تفتقروا
الى طلب المراعاة او واسمعوا سماع قبول لا كسماع اليهود او اسمعوا ما امرتم به بجد حتى لا تعودوا الى
ما نهيتم عنه وللكافرين عذاب اليم يعني الذين تهاونوا بالرسول وسبوه ما يود الذين كفروا من اهل
الكتاب ولا المشركين نزلت تكذيبا لجمع من اليهود يظهرون مودة المؤمنين ويزعمون انهم يودون
لهم الخير والود محبة الشيء مع تمنيه ولذلك يستعمل في كل منهما ومن للتبيين كما في قوله لم يكن الذين
كفروا من اهل الكتاب والمشركين ان ينزل عليكم من خير من ربكم مفعول يود ومن الاولى مزيدة
للاستغراق والثانية للابتداء وفسر الخير بالوحي والمعنى انهم يحسدونكم به وما يحبون ان ينزل عليكم
شيء منه وبالعلم وبالنصرة ولعل المراد به ما يعم ذلك والله يختص برحمته من يشاء يستنبئه
ويعلمه الحكمة وينصره لا يجب عليه شيء وليس لاحد عليه حق والله ذو الفضل العظيم اشعار بان
النبوة من الفضل وان حرمان بعض عباده ليس لضيق فضله بل لمشيته وما عرف فيه من حكمته
ما ننسخ من آية او ننسها نزلت لما قال المشركون او اليهود الا ترون الى محمد يأمر اصحابه ثم ينهاهم

عنه

عنه ويأمر بخلافه والنسخ في اللغة ازالة الصورة عن الشيء واثباتها في غيره كنسخ الظل للشمس
ومنه التناسخ ثم استعمل لكل منهما كقولك نسخت الريح الاثر ونسخت الكتاب ونسخ الآية بيان
انتهاء العبادة بقراءتها او الحكم المستفاد منها او بهما جميعا وانساؤها اذهابها عن القلوب
وما شرطية جازمة لننسخ منتصبة به على المفعولية وقرأ ابن عامر ننسخ من انسخ اي نأمرك
او جبريل بنسخها او نجدها منسوخة وابن كثير وابو عمرو ننسأها اي نؤخرها من النساء
وقرئ ننسها اي ننس احدا اياها وننسها اي انت وننسها على البناء للمفعول وننسكها
باظهار المفعولين نأت بخير منها او مثلها اي بما هو خير للعباد في النفع والثواب وقرأ
ابو عمرو بقلب الهمزة الفا الم تعلم ان الله على كل شيء قدير فيقدر على النسخ والاتيان بمثل
المنسوخ وبما هو خير والآية دلت على جواز النسخ اذ الاصل اختصاص ان وما يتضمنها بالا
مور المحتملة وتأخير الانزال وذلك لان الاحكام شرعت والآيات نزلت لمصالح العباد وتكميل
نفوسهم فضلا من الله ورحمة وذلك يختلف باختلاف الاعصار والاشخاص كاسباب
المعاش فان النافع في عصر قد يضر في غيره واحتج بها من منع النسخ بلا بدل او ببدل اثقل ونسخ
الكتاب بالسنة فان الناسخ هو المأتي به بدلا والسنة ليست كذلك والكل ضعيف
اذ يكون عدم الحكم او الاثقل اصلح والنسخ قد يعرف بغيره والسنة مما اتى به الله وليس المراد
بالخير والمثل ما يكون كذلك في اللفظ والمعتزلة على حدوث القرآن فان التغير والتفاوت من لوازمه
واجيب بانهما من عوارض الامور المتعلقة بالمعنى القائم بالذات القديم الم تعلم
الخطاب للنبي والمراد هو وامته لقوله وما لكم وانما افرده لانه اعلمهم ومبدأ علمهم ان الله
له ملك السموات والارض يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد وهو كالدليل على قوله ان الله على كل
شيء قدير وعلى جواز النسخ ولذلك ترك العاطف وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير وانما
هو الذي يملك اموركم ويجريها على ما يصلحكم والفرق بين الولي والنصير ان الولي قد يضعف عن
النصرة والنصير قد يكون اجنبيا عن المنصور ام تريدون ان تسألوا رسولكم كما سئل

او مثلها في الثواب صح

الآية دلت على جواز النسخ

احتج المعتزلة بهذه الآية على حدوث القرآن

الفرق بين الولي والنصير

موسى من قبل ام معادلة للهمزة في الم تعلموا انه مالك الامور قادر على الاشياء
كلها يأمر وينهى كما اراد ام تعلمون وتقترحون بالسؤال كما اقترحت اليهود على موسى او منقطعة
والمراد ان يوصيهم بالثقة به وترك الاقتراح عليه قيل نزلت في اهل الكتاب حين ساءلوا
ان ينزل الله عليهم كتابا من السماء وقيل في المشركين لما قالوا لن نؤمن لرقيك حتى تنزل
علينا كتابا نقرأه ومن يتبدل الكفر بالايمان فقد ضل سواء السبيل ومن ترك الثقة بالآ
يات البينات وشك فيها واقترح غيرها فقد ضل الطريق المستقيم حتى وقع في الكفر بعد الايمان
ومعنى الآية لا تقترحوا فتضلوا وسط السبيل ويؤدي بكم الضلال الى البعد عن المقصد وتبدل الكفر
بالايمان وقرئ يبتدل ود كثير من اهل الكتاب يعني احبارهم لو يردونكم ان يردوكم
فان لو ينوب عن ان في المعنى دون اللفظ من بعد ايمانكم كفارا متعلق بودوا حسدا علة ودوا
طبعي حسدا من عند انفسهم يجوز ان يتعلق بودوا اي تمنوا ذلك من عند انفسهم وشهواتهم
لا من قبل الدين والميل مع الحق وبحسدا بالغا منبعثا من اصل نفوسهم من بعد ما تبين لهم
الحق بالمعجزات والنعوت المذكورة في التوراة فاعفوا واصفحوا العفو ترك عقوبة المذنب مع
ترك التثريب حتى يأتي الله بامره اي الذي هو الاذن في قتالهم وضرب الجزية عليهم او قتل قريظة
واجلاء بني النضير وعن ابن عباس انه منسوخ بآية السيف وفيه نظر اذ الامر غير مطلق ان الله
على كل شيء قدير فيقدر على الانتقام منهم واقيموا الصلوة وآتوا الزكوة عطف على فاعفوا
كأنه امرهم بالصبر والمخالقة والتجأ الى الله بالعبادة والبر وما تقدموا لانفسكم من خير
كصلاة او صدقة وقرئ تقدموا من اقدم تجدوه عند الله اي ثوابه ان الله بما تعملون بصير
لا يضيع عنده عمل وقرئ بالياء فيكون وعيدا وقالوا عطف على ودّ والضمير لاهل الكتاب
من اليهود والنصارى لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى لف بين قولي الفريقين كما
في قوله كونوا هودا او نصارى تقية بهم السامع وهود جمع هائد كعائذ وعوذ وتوحيد الآ
سم المضمر وجمع الخبر لاعتبار اللفظ والمعنى تلك امانيهم اشارة الى الاماني المذكورة وهي ان

نزلت في اهل الكتاب او المشركين

العتاب التعبير وان اقتضاء في العموم

والالتجاء

وقالوا ح

لا ينزل

لا ينزل على المومنين رجز من ربهم وان يردوهم كفارا وان لا يدخل الجنة غيرهم او الى ما في الآية على حذف المضاف
اي امثال تلك الامنية امانيهم والجملة اعتراض والامنية افعولة من التمني كالاضحوكة والاعجوبة
هاتوا برهانكم على اختصاصكم بدخول الجنة ان كنتم صادقين في دعويكم فان كل قول لا دليل عليه
غير ثابت بلى اثبات لما نفوه من دخول غيرهم الجنة من اسلم وجهه لله اخلص له نفسه او قصده
واصل الوجه وهو محسن في عمله فله اجره الذي وعده على عمله عند ربه ثابتا عند ربه لا يضيع
ولا ينقص والجملة جواب من ان كانت شرطية وخبرها ان كانت موصولة والفاء فيها لتضمنها
معنى الشرط فيكون الرد بقوله تعالى بلى وحده ويحسن الوقف عليه ويجوز ان يكون من اسلم فاعل
فعل محذوف مقدر مثل بلى يدخلها من اسلم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون في الآخرة وقالت
اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء اي امر يصح ويعتد به
نزلت لما قدم وفد نجران على رسول الله عليه السلام واتيهم احبار اليهود فتناظروا وتفاولوا
بذلك وهم يتلون الكتاب الواو للحال والكتاب للجنس اي قالوا ذلك وهم من اهل العلم والكتاب
كذلك مثل ذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم كعبدة الاصنام والمعطلة وبخهم على
المكابرة والتشبيه بالجهال فان جهل لم وبخهم وقد صدقوا بان كلا الدينين ليس بعد النسخ
ليس بشيء فلم يقصدوا ذلك وانما قصد به كل فريق ابطال دين الآخر من اصله والكفر بنبيه
وكتابه مع ان عالما ينسخ منهما حق واجب القبول والعمل به فالله يحكم بينهم بين الفريقين
يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون بما يفصل لكل فريق ما يليق به من العقاب وقيل حكمه
بينهم ان يكذبهم ويدخلهم النار ومن اظلم ممن منع مساجد الله من عام لكل من خرب مسجدا
او سعى في تعطيل مكان مرشح للصلوة وان نزل في الروم لما غزوا بيت المقدس وخربوه
وقتلوا اهله او المشركين لما منعوا رسول الله ان يدخل المسجد الحرام عام الحديبية
ان يذكر فيها اسمه ثاني مفعولي منع وسعى في خرابها بالهدم والتعطيل او لذلك
المانعون ما كان لهم ان يدخلوها الا خائفين ما كان ينبغي لهم ان يدخلوها الا
بخشية وخضوع فضلا ان يجترؤا على تخريبها او ما كان الحق ان يدخلوها الا خائفين
من المومنين ان يبطشوا بهم فضلا ان يمنعوهم منها او ما كان في علم الله وقضائه
لهم

الذين لا يعلمون هم اليهود والنصارى او المشركون والاعم اولى ليشمل كل من قال مثل قولهم

فيكون وعدا للمؤمنين بالنصرة واستخلاص المساجد منهم وقد انجز وعده وقيل معناه النهي عن
تمكينهم من الدخول في المسجد الحرام واختلف الائمة فيه فجوز ابو حنيفة رح ومنع مالك فرق الشافعي
بين المسجد الحرام وغيره لهم في الدنيا خزي قتل وسبي او ذلة بضرب الجزية ولهم في الاخرة عذاب
عظيم بكفرهم وظلمهم ولله المشرق والمغرب يريد بهما ناحيتي الارض اي له الارض كلها لا يختص به
مكان دون مكان فان منعتم ان تصلوا في المسجد الحرام او الاقصى فقد جعلت لكم الارض مسجدا
فاينما تولوا ففي اي مكان جعلتم التولية شطر القبلة فثم وجه الله اي جهته التي امر بها فان
التولية لا تختص بمكان او مسجد او فثم ذاته اي عالم مطلع بما يفعل فيه ان الله واسع باحاطته بالاشيا
او برحمته يريد التوسعة على عباده عليم بمصالحهم واعمالهم في الاماكن كلها وعن ابن عمر رضهما انها
نزلت في صلوة المسافر على الراحلة وقيل في قوم عميت عليهم القبلة فصلوا الى انحاء مختلفة فلما اصبحوا
تبينوا خطأهم وعلى هذا لو اخطأ المجتهد ثم تبين الخطأ لم يلزمه التدارك وقيل هي توطئة لنسخ القبلة
وتنزيه للمعبود ان يكون في حيز وجهة وقالوا اتخذ الله ولدا نزلت لما قالت اليهود عزير ابن الله و
النصارى المسيح ابن الله ومشركو العرب الملائكة بنات الله وعطفه على قالت اليهود او منع او مفهوم
قوله ومن اظلم وقرأ ابن عامر بغير واو سبحانه تنزيه له عن ذلك فانه يقتضي التشبيه والحاجة و
سرعة الفناء الا يرى ان الاجرام الفلكية مع امكانها وفناءها لما كانت باقية ما دام العالم لم تتخذ
عند المتكلمين ما يكون لها كالولد اتخاذ الحيوان والنبات اختيارا او طبعا بل له ما في السموات والارض
رد لما قالوه واستدلال على فساده والمعنى انه خالق ما في السموات والارض الذي من جملته الملائكة
وعزير والمسيح كل له قانتون منقادون ولا يمتنعون عن مشيته وتكوينه وكل ما كان بهذه الصفة
لم يجانس مكونه الواجب لذاته فلا يكون له ولد لان حق الولد ان يجانس والده وانما جاء بما الذي لغير
اولي العلم وقال قانتون على تغليب اولي العلم تحقيرا لشانهم وتنوين كل عوض عن المضاف اليه اي كل ما
فيهما ويجوز ان يراد كل من جعلوه ولدا له مطيعون مقرون بالعبودية فيكون الزاما بعد اقامة
الحجة والاية مشعرة على فساد ما قالوا من ثلثة اوجه فاحتج بها الفقهاء على ان من ملك ولده عتق
عليه لانه تعالى نفى الولد باثبات الملك وذلك يقتضي تنافيهما بديع السموات والارض مبدعهما
وهو نظير السميع في قوله امن ريحانة الراعي السميع يؤرقني واصحابي هجوع او بديع سمواته

وارضه

وارضه من بدع فهو بديع وهو حجة رابعة وتقريرها ان الوالد عنصر الولد المنفعل بانفصال مادته عنه والله
سبحانه وتعالى مبدع الاشياء كلها فاعل على الاطلاق ومنزه عن الانفعال فلا يكون ولدا والابداع اختراع
الشيء لا عن شيء دفعة وهو اليق بهذا الموضع من الصنع الذي هو تركيب الصورة بالعنصر والتكوين
الذي يكون بتغيير وفي زمان غالبا وقرئ بديع مجرورا على البدل من الضمير في له ومنصوبا على المدح
واذا قضى امرا اي اراد شيئا واصل القضاء اتمام الشيء قولا كقوله تعالى وقضى ربك او فعلا كقوله
تعالى وقضيهن سبع سموات واطلق على تعلق الارادة الالهية بوجود الشيء من حيث انه يوجبه فانما
يقول له كن فيكون من كان التامة اي احدث فيحدث وليس المراد به حقيقة امر وامتثال بل تمثيل
حصول ما تعلقت به ارادته بلا مهلة بطاعة المامور المطيع بلا توقف وفيه تقرير لمعنى الابداع وايماء
على حجة خامسة وهو ان اتخاذ الولد مما يكون باطوار ومهلة وفعله تعالى يستغني عن ذلك واعلم
ان السبب في هذه الضلالة ان ارباب الشرايع المتقدمة كانوا يطلقون الاب على الله تعالى باعتبار
انه السبب الاول حتى قالوا ان الاب هو الرب الاصغر والله سبحانه هو الرب الاكبر ثم ظنت الجهلة
منهم ان المراد به معنى الولادة فاعتقدوا ذلك تقليدا ولذلك كفر قائله ومنع منه مطلقا حسما لمادة
الفساد وقال الذين لا يعلمون اي جهلة المشركين او المتجاهلون من اهل الكتاب لولا يكلمنا الله
هلا يكلمنا الله كما يكلم الملائكة او يوحي الينا بانك رسوله او تاتينا اية حجة على صدقك والاول
استكبار والثاني جحود بان ما اتاهم ايات استهانة به وعنادا كذلك قال الذين من قبلهم من
الامم الماضية مثل قولهم فقالوا ارنا الله جهرة هل يستطيع ربك ان ينزل علينا مائدة من السما
تشابهت قلوبهم قلوب هؤلاء ومن قبلهم في العمى والعناد وقرئ بتشديد الشين قد بينا الايات
لقوم يوقنون اي يطلبون اليقين او يوقنون الحقائق لا يعتريهم شبهة ولا عناد وفيه اشارة
الى انهم ما قالوا ذلك لخفاء في الايات او لطلب مزيد اليقين وانما قالوه عتوا وعنادا انا ارسلناك
بالحق ملتبسا مؤيدا به بشيرا ونذيرا فلا عليك ان اصروا او كابروا ولا تسأل عن اصحاب الجحيم
ما لهم لا يؤمنون بعد ان بلغت وقرأ نافع ويعقوب لا تسأل على انه نهي للرسول عليه السلام عن السؤال
عن حال ابويه او تعظيم لعقوبة الكفار كانها لفظاعتها لا تقدر ان تخبر عنها او للسامع لا يصبر على
استماع خبرها فنهاه عن السؤال والجحيم المتأجج من النار ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى

اي متلهب

تتبع ملتهم مبالغة في اقناط الرسول عليه السلام عن اسلامهم فانهم اذا لم يرضوا منه حتى تتبع ملتهم فكيف
يتبعون ملته ولعلهم قالوا مثل ذلك فحكى الله تعالى عنهم ولذلك قال قل تعليما للجواب ان هدى الله هو
الهدى اى هدى الله الذى هو الاسلام هو الهدى الى الحق لا ما تدعون اليه ولئن اتبعت اهواءهم
ارائهم الزائغة والملة ما شرعه الله لعباده على لسان انبيائهم من املت الكتاب اذا امليته والهوى
رأى يتبع الشهوة بعد الذى جاءك من العلم اى من الوحى او الدين المعلوم صحته ما لك من الله من ولى
ولا نصير يدفع عنك عقابه وهو جواب لئن الذين آتيناهم الكتاب يريد مومنى اهل الكتاب يتلونه
حق تلاوته بمراعاة لفظه عن التحريف والتدبر فى معناه والعمل بمقتضاه وهو حال مقدرة والخبر ما بعد
او خبر على ان المراد بالموصول هو منوا اهل الكتاب اولئك يومنون به بكتابهم دون المحرفين ومن يكفر به
بالتحريف والكفر بما يصدقه فاولئك هم الخاسرون حيث اشتروا الكفر بالايمان يا بنى اسرائيل اذكروا
نعمتى التى انعمت عليكم وانى فضلتكم على العالمين واتقوا يوما لا تجزى نفس عن نفس شيئا ولا يقبل
منها عدل ولا تنفعها شفاعة ولا هم ينصرون لما صدر قصتهم بالامر بذكر النعم والقيام بحقوقها و
الحذر عن اضاعتها والخوف من الساعة واهوالها كرر ذلك وضم به الكلام معهم مبالغة فى النصح
وايذانا بانه فذلكة القصة والمقصود من القصة واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات كلفه باوامر و
نواهى والابتلاء فى الاصل التكليف بالامر الشاق من البلاء لكنه لما استلزم الاختبار بالنسبة الى
من يجهل العواقب ظن تراد فهما والضمير لابراهيم وحسن لتقدمه لفظا وان تاخرت رتبة لان الشرط
احد التقدمين والكلمات قد يطلق على المعانى ولذلك فسرت بالخصال الثلثين المحمودة المذكورة
فى قوله تعالى التائبون العابدون وقوله تعالى ان المسلمين والمسلمات الى آخر الآيتين وقوله قد افلح
المومنون الى قوله تعالى اولئك هم الوارثون كما فسرت بها فى قوله تعالى فتلقى آدم من ربه كلمات وبا
لعشر التى هى من السنة وبمناسك الحج وبالكواكب والقمرين وذبح الولد والنار والهجرة على انه تعالى عامله
معاملة المختبر بان وبما تضمنته الآيات التى بعدها وقرئ ابراهيم ربه على انه دعى ربه بكلمات فنزل
ارتى كيف يحيى الموتى اجعل هذا البلد آمنا يرى اهله بعجيبه وقرأ ابن عامر ابرهام بالالف فى هذه
السورة وفى النساء ثلثة احرف وهى الاخيرة وفى الانعام الحرف الاخير وفى التوبة الحرفان الاخيران
وفى ابراهيم حرف وفى النحل حرفان وفى مريم ثلثة احرف وفى العنكبوت حرف وفى الذاريات حرف

وفى النجم

الحصال الثلثون تسعة فى البقرة سورة البراءة و
عشر فى سورة الاحزاب واحدى عشر فى سورة
المومنين مع سورة سال سائل بعد اسقاط
المكرر منها فى السورتين فتكون المجموع
ثلثا وثلثين ١٢

العشر التى هى من السنة هى الدواعى للغرز وقص الشارب
والسواك والمضمضة والاستنشاق وحلق العانة والختان
البدن الختان والاستحداد والاستنجاء و
تقليم الاظفار ونتف الابط الغرق تفريق شعر
الراس فى الجانبين والاستحداد استعمال النحديد
لحلق العانة ونحوها والكعبة الى كالطواف والسعى
والرمل والاحرام والوقوف بعرفة
وغيرها ١٢

وفى النجم الاول حرف وفى الممتحنة الاول فذلك ثلثة وثلثون حرفا وقرأ ابن كثير فى البقرة خاصة بخلف
بالوجهين فاتمهن فاداهن كملا وقام بهن حق القيام لقوله وابراهيم الذى وفى وفى القراءة الاخيرة
بالالف الضمير لربه اى اعطاه جميع ما دعاه قال انى جاعلك للناس اماما استيناف ان اصرت ناصبه
اذ كانه قيل فماذا قال ربه حين اتمهن فاجيب بذلك او بيان لقوله اذ ابتلى فيكون الكلمات ما ذكره
من الامامة وتطهير البيت ورفع قواعده والاسلام وان نصبته بقال فالمجموع جملة معطوفة على ما
قبلها وجاعل من الجعل الذى له مفعولان والامام اسم من يؤتم به واما مته عامة مؤيدة اذ لم يجعل
بعده نبى الا كان من ذريته مامورا باتباعه قال ومن ذريتى عطف على الكاف اى وبعض ذريتى
كما تقول وزيدا فى جواب سالك ومك والذرية نسل الرجل فعلية او فعولة قلبت راؤها الثالثة ياء
كما فى تقضيت من الذر بمعنى التفريق او فعولة او فعلية قلبت همزتها من الذرء بمعنى الخلق وقرئ
ذريتى بالكسر وهى لغة قال لا ينال عهدى الظالمين اجابة الى ملتمسه وتنبيه على انه قد يكون من ذريته
ظلمة وانهم لا ينالون الامامة لان الامامة من الله وعهده والظالم لا يصلح لها وانما ينالها البررة
والاتقياء منهم وفيه دليل على عصمة الانبياء من الكبائر قبل البعثة وان الفاسق لا يصلح للامامة
وقرئ الظالمون والمعنى واحد اذ كل ما نالك فقد نلته واذ جعلنا البيت اى الكعبة غلب عليها كالنجم
على الثريا منابة للناس مرجعا ينوب اليه اعيان الزوار وامتالهم او موضع ثواب يثابون بحجه
واعتماره وقرئ مثابات لانه مثابة كل واحد وامنا او موضع امن لا يتعرض لاهله لقوله تعالى حرما امنا
او يامن حاجه من عذاب الآخرة من حيث ان الحج يجب ما قبله او لانه يواخذ الجانى الملتجى اليه حتى يخرج
وهو مذهب ابى حنيفة رحمه الله تعالى واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى على ارادة القول او
عطف على المقدر عاملا لاذ او اعتراض معطوف على مضمر تقديره ثوبوا اليه واتخذوا واعلى ان الخطاب
لامة محمد عليه الصلوة والسلام وهو امر استحباب ومقام ابراهيم الحجر الذى فيه اثر قدميه والموضع
الذى كان فيه حين قام ودعا الناس الى الحج او رفع بناء البيت وهو موضع اليوم وروى انه ع
اخذ بيد عمر رضى الله تعالى عنه فقال هذا مقام ابراهيم فقال عمر رضى الله تعالى عنه افلا نتخذه مصلى
فقال ع لم اومر بذلك فلم تغب الشمس حتى نزلت وقيل المراد به الامر بركعتى الطواف لما روى
جابر رضى الله تعالى عنه انه عليه السلام لما فرغ من طوافه عمد الى مقام ابراهيم فصلى خلفه ركعتين وقراء

ثم بقوله تعالى واتخذوا من مقام
ابراهيم مصلى ١٢

اى النبى عليه السلام ١٢

﴿ واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى ﴾ والكشاف في وجوبهما وجهان قولان وقيل مقام ابراهيم الحرم كله وقيل مواقف الحج واتخاذهما مصلى ان يدعى فيها ويتقرب الى الله تعالى وقرأ نافع وابن عامر واتخذوا بلفظ الماضي عطفا على جعلنا اى واتخذ الناس مقامه الموسوم به يعني الكعبة قبلة يصلون اليها وعهدنا الى ابراهيم واسمعيل امرناهما ان طهرا بيتي بان طهرا او يجوز ان يكون مفسرة لتضمن العهد معنى القول يريد طهراه من الاوثان والانجاس ومما لا يليق به او اخلصاه للطائفين حوله والعاكفين المقيمين عنده او المعتكفين فيه والركع السجود اى المصلين جمع راكع وساجد واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا يريد البلد او المكان بلدا آمنا اذ الامن كقوله تعالى عيشة راضية او آمنا اهله كقولك ليل نائم وارزق اهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر ابدل من امن من اهله بدل البعض للتخصيص قال ومن كفر عطف على من آمن والمعنى وارزق من كفر فاسلم ابراهيم عليه السلام الرزق على الامامة فنبه تعالى على ان الرزق نعمة دنيوية تعم المومن والكافر بخلاف الامامة والتقدم في الدين او مبتداء تضمن معنى الشرط فامتعه قليلا خبره والكفر وان لم يكن سبب التمتع لكنه سبب تقليله بان يجعله مقصورا بحظوظ الدنيا غير متوسل به الى نيل الثواب ولذلك عطف عليه ثم اضطره الى عذاب النار الزه اليه لزا المضطر بكفره وتضييعه ما متعته به من النعم وقليلا نصب على المصدر او الظرف وقرئ بلفظ الامر فيهما على انه دعاء ابراهيم عليه السلام وفي قال ضمير ربه وقرأ ابن عامر فامتعه من امتع وقرئ فنمتعه ثم نضطره واضطره بكسر الهمزة على لغة من يكسر حرف المضارعة واطره بادغام الضاد في الطاء وهو ضعيف لان حروف الضم شديد غم فيها ما يجاورها دون العكس وبئس المصير المخصوص بالذم محذوف وهو العذاب واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت حكاية حال ماضية والقواعد جمع قاعدة وهي الاساس صفة غالبة من القعود بمعنى الثبات ولعله مجاز من المقابل للقيام ومنه قعدك الله تعالى ورفعها البناء عليها فانه ينقلها عن هيئة الانخفاض الى هيئة الارتفاع ويحتمل ان يراد برفعها ساقات البناء فان كل ساق قاعدة ما يوضع فوقه وبرفعها ابناءها وقيل المراد رفعة مكانة واظهار شرفه بتعظيمه ودعاء الناس الى حجه وفي ابهام القواعد وتبيينها تفخيم لشانها واسمعيل كان ينقل الحجارة ولكنه لما كان له مدخل في البناء عطف عليه وقيل كانا يبنيان في طرفين او على التناوب ربنا تقبل منا اى يقولان ربنا وقد قرئ به الجملة حال من اذ او منهما انك انت السميع العليم لدعائنا العليم بنياتنا ربنا واجعلنا مسلمين لك مخلصين لك من اسلم وجهه او مستسلمين

اذ استسلم

حين خص الرزق بالمومنين كالاحاجة ؟؟

كان جواب عن دخل مقدر وهو انه عزم من الفاء كون ما قبلها وهو الكفران سببا للتمتع وليس كذلك فاجاب بقوله والكفر وان لم يكن سببا اه ؟؟

﴿ واذ استسلم وانقاد والمراد طلب الزيادة في الاخلاص والاذعان او الثبات عليه وقرئ مسلمين لك على ان المراد انفسهما وهاجر او ان التثنية من مراتب الجمع ومن ذريتنا امة مسلمة لك واخص بعضهم ذريتنا وانما خص الذرية بالدعاء لانهم احق بالشفقة ولانهم اذا صلحوا صلح بهم الاتباع وخص بعضهم لما اعلما ان في ذريتهما ظلمة وعلما ان الحكمة الالهية لا يقتضي الاتفاق على الاخلاص والاقبال الكلي على الله تعالى فانه مما يشوش المعاش ولذلك قيل لولا الحمقى لخربت الدنيا وقيل اراد بالامة امة محمد عليه السلام ويجوز ان يكون من للتبيين لقوله تعالى وعد الله الذين آمنوا منكم وقدم على المبين وفصل به بين العاطف والمعطوف كما في قوله تعالى خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن وارنا من رأى بمعنى ابصر او عرف ولذلك لم يتجاوز مفعولين مناسكنا متعبداتنا في الحج او مذابحنا والنسك في الاصل غاية العبادة وشاع في الحج لما فيه من الكلفة والبعد عن العادة وقرأ ابن كثير والسوسي عن ابي عمرو ويعقوب ارنا قياسا على فخذ من فخذ وفيه اجحاف لان الكسرة منقولة عن الهمزة الساقطة دليل عليها وقرأ الدوري عن ابي عمرو بالاختلاس وتب علينا استتابة لذريتهما او عما فرط منهما سهوا ولعلهما قالا هضما لانفسهما وارشادا لذريتهما انك انت التواب الرحيم لمن تاب ربنا وابعث فيهم اى في الامة المسلمة رسولا منهم ولم يبعث من ذريتهما غير محمد عليه السلام فهو المجاب بدعوتهما كما قال عليه الصلوة انا دعوة ابي ابراهيم وبشرى عيسى ورؤيا امي يتلو عليهم اياتك يقرأ عليهم ويبلغهم ما يوحى اليه من دلائل التوحيد والنبوة آياتك القرآن العزيز ويعلمهم الكتاب اى القرآن والحكمة اى ما يكمل به نفوسهم من المعارف والاحكام ويزكيهم عن الشرك والمعاصي انك انت العزيز الذي لا يقهر ولا يغلب على ما يريد الحكيم المحكم له ومن يرغب عن ملة ابراهيم استبعاد وانكار لان يكون احد يرغب عن ملته الواضحة الغراء اى لا يرغب احد عن ملته الا من سفه نفسه الا من اشتمها واذلها واستخفها واقال المرد وثعلب سفه بالكسر متعد وبالضم لازم ويشهد له ما جاء في الحديث الكبر ان تسفه الحق وتغمص الناس وقيل اصله سفه نفسه بالرفع فنصبه على التمييز نحو غبن رأيه وألم رأسه وقول جرير وناخذ بعده بذناب عيش اجب الظهر ليس له سنام او سفه في نفسه فنصب بنزع الخافض والمستثنى في محل الرفع على المختار بدلا من الضمير في يرغب لانه في معنى النفي ولقد اصطفيناه في الدنيا وانه في الاخرة لمن الصالحين حجة وبيان لذلك فان من كان

قال الله تعالى في سورة الانعام ومن ذريته داود وسليمان وايوب ويوسف وموسى وهرون وهم انبياء والضمير في ذريته لابراهيم عليه السلام ؟؟

هذا ينافي ظاهر ما سبق في تفسير قوله تعالى اني جاعلك للناس اماما من ان امامته مؤبدة ازلم يجعل بعده نبي ان كان هو معطوفا من ذريته ما تواعده فليتنبه في هذا المحل ؟؟

ط اشارة الى قوله تعالى وابعث فيهم رسولا منهم ؟؟

اي كون الاحاطة نصا عليه ؟؟

للمنع لتوهم ان الكسر قيام للاخبار ؟؟

من كان من صفوة العباد في الدنيا مشهود اله بالاستقامة والصلاح يوم القيمة كان حقيقا بالاتباع لا
لا يرغب عنه الا سفيه او متسفه اذل نفسه بالجهل والاعراض عن النظر اذ قال له ربه اسلم قال اسلمت
لرب العالمين ظرف لاصطفينا او تعليل له او منصوب باضمار اذكر كانه قيل اذكر ذلك الوقت لتعلم انه
المصطفى الصالح المستحق للامامة والتقدم وانه نال ما نال بالمبادرة الى الاذعان واخلاص السر
حين دعاه ربه واخطر بباله دلائله المودية الى المعرفة الداعية الى الاسلام روى انها نزلت لما دعى
عبد الله ابن سلام ابني اخيه الى الاسلام سلمة ومهاجرا الى الاسلام فاسلم سلمة وابى مهاجر ووصى
بها ابراهيم بنيه التوصية هو التقدم الى الغير بفعل فيه صلاح وقربة واصلها الوصلة يقال وصيه
اذا اوصله وقصاه اذا فصله كان الموصي يصل فعله بفعل الوصي والضمير في بها للملة او لقوله اسلمت
على تاويل الكلمة او الجملة وقرا نافع وابن عامر اوصى والاول ابلغ ويعقوب عطف على ابراهيم اي
وصى بها يعقوب هو ايضا بنيه وقرئ بالنصب على انه ممن وصاه ابراهيم عليهما السلام يا بني
على اضمار القول عند البصريين متعلق بوصى عند الكوفيين لانه نوع منه ومن نظيره رجلان من
صبية اخرانا انا رأينا رجلين عريانا بالكسر وبنو ابراهيم كانوا اربعة اسمعيل واسحق ومدين ومدانين
وقيل ثمانية وقيل اربعة وعشرون وبنو يعقوب اثنى عشر روبيل وشمعون ولاوى ويهوذا و
يشيوخور وذيولون وذوانا وتفتونا وكودا واوشير وبنيامين ويوسف ان الله اصطفى
لكم الدين دين الاسلام الذي هو صفوة الاديان لقوله تعالى فلا تموتن الا وانتم مسلمون ظاهره
النهي عن الموت على خلاف الاسلام والمقصود هو النهي عن ان يكونوا على تلك الحال اذا ماتوا او الامر
بالثبات على الاسلام كقولك لا تصل الا وانت خاشع وتغيير العبارة للدلالة على ان موتهم لا على
الاسلام موت لا خير فيه وان من حقه ان لا يحل فيهم ونظيره في الامر مت وانت شهيد روى ان اليهود
قالوا لرسول عليه السلام الست تعلم ان يعقوب عليه السلام اوصى بنيه باليهودية يوم الموت فنزلت
ام كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت ام منقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار اي ما كنتم حاضرين اذ
حضر يعقوب الموت وقال لبنيه ما قال فلم تدعون اليهودية عليه او متصلة بمحذوف تقديره اكنتم
غائبين ام كنتم شهداء وقيل الخطاب للمؤمنين والمعنى ما شاهدتم ذلك وانما علمتموه من الوحي
وقرئ حضر بالكسر اذ قال لبنيه بدل من اذ حضر ما تعبدون من بعدي اي شيء تعبدونه اراد به تقريرهم

على التوحيد

كانه قال الله تعالى اصطفيناه لقوله اسلمت لرب العالمين عقيب قولنا له اسلم

اي لا تكونوا على حال سوى الاسلام

على التوحيد والاسلام واخذ ميثاقهم على الثبات عليهما وما سأل به عن كل شيء ما لم يعرف فاذا عرف
خص العقلاء بمن اذا سئل عن تعيينه وان سئل عن صفته فقيل ما زيد افقيه ام طبيب قالوا نعبد الهك
واله اباءك ابراهيم واسمعيل واسحق المتفق على وجوده والوهيته ووجوب عبادته وعد اسمعيل
من ابائه تغليبا للاب والجد او لانه كالاب لقوله عليه السلام عم الرجل صنو ابيه وكما قال في العباس
هذا بقية آبائي وقرئ اله ابيك على انه جمع بالواو والنون كما قال فلما تبين اصواتنا بكين وفديننا
بالابينا او مفرد وابراهيم عطف بيان الها واحدا بدل من اله اباءك كقوله تعالى بالناصية ناصية كاذبة
وفائدته التصريح بالتوحيد ونفي التوهم الناشي من تكرير المضاف لتعذر العطف على المجرور بلا تاكيد
او نصب على الاختصاص ونحن له مسلمون حال من فاعل نعبد او مفعوله او منهما ويحتمل ان يكون
اعتراضا تلك امة قد خلت يعني ابراهيم ويعقوب وبنيهما والامة في الاصل المقصود ويسمى بها
الجماعة لان الفرق تامها لها ما كسبت ولكم ما كسبتم لكل اجر عمله والمعنى ان انتسابكم اليهم لا يوجب
انتفاعكم باعمالهم وانما تنتفعون بموافقتهم واتباعهم كما قال عليه السلام لا ياتيني الناس باعمالهم
وتاتوني بانسابكم ولا تسألون عما كانوا يعملون ولا تؤاخذون بسيئاتهم كما لا تثابون بحسناتهم
وقالوا كونوا هودا او نصارى الضمير الغائب لاهل الكتاب واو للتنويع والمعنى مقالتهم احد هذين
القولين قالت اليهود كونوا هودا وقالت النصارى كونوا نصارى تهتدوا جواب الامر قل بل
ملة ابراهيم اي بل نكون ملة ابراهيم اي اهل ملته او بل نتبع ملة ابراهيم وقرئت بالرفع اي ملته ملتنا
او عكسه او نحن ملته بمعنى نحن اهل ملته حنيفا مائلا عن الباطل الى الحق حال من المضاف او المضاف اليه
كقوله تعالى ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا وما كان من المشركين تعريض باهل الكتاب و
غيرهم فانهم يدعون اتباعه وهم مشركون قولوا امنا بالله الخطاب للمؤمنين لقوله تعالى فان امنوا
بمثل ما امنتم به فقد اهتدوا وما انزل الينا القرآن قدم ذكره لانه اولى بالاضافة الينا او سبب
الايمان بغيره وما انزل الى ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط الصحف وهي و
ان نزلت الى ابراهيم عليه السلام لكنهم ما كانوا متعبدين بتفاصيلها داخلون تحت احكامها
فهي ايضا منزلة اليهم كما ان القرآن منزل الينا والاسباط جمع سبط وهو الحافد يريد به حفدة
حفدة يعقوب عليه السلام او ابناءه وذراريهم فانهم حفدة ابراهيم واسحق عليهما السلام

وهو ان يكون اله يعقوب غير اله ابائه

قال الكسائي هو نصب على الاغراء كانه يقول اتبعوا ملة ابراهيم الآية

وما اوتي موسى وعيسى التوريه والانجيل اوردهما بحكم ابلغ لان امرهما بالاضافة الى موسى وعيسى
عليهما السلام معلوم لما سبق والنزاع وقع فيهما وما اوتي النبيون جملة المذكورين منهم وغيرهم المذكورين
من ربهم اي منزلا عليهم من ربهم لا نفرق بين احد منهم كاليهود فانهم يبعض ونكفر ببعض واحد لوقوعه
في سياق النفي عام فساغ ان يضاف اليه بين ونحن له اي لله تخلصون مسلمون مذعنون
مخلصون فان آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا من باب التعجيز والتبكيت كقوله فأتوا بسورة
من مثله او لا مثل لمن آمن به المسلمون فلا دين كدين الاسلام وقيل الباء للالة دون التعدية
والمعنى ان تحروا الايمان بطريق يهدى الى الحق مثل طريقكم فان وحدة المقصد لا تابى تعدد الطريق
او مزيدة للتاكيد كقوله جزاء سيئة بمثلها والمعنى فان امنوا بالله ايمانا مثل ايمانكم به او المثل مقحم
كما في قوله تعالى وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله اي عليه ويشهد له قراءة من قرأ بما آمنتم به
اي بالذي آمنتم به وان تولوا فانما هم في شقاق اي ان اعرضوا عن الايمان او عما يقولون لهم
فانما هم الآتي شقاق الحق وهو المنافاة والمخالفة فان كل واحد من المتخالفين في شق غير شق
الاخر فسيكفيكهم الله تسلية وتسكين للمؤمنين ووعد لهم بالحفظ والنصر على من باواهم وخالفهم
وهو السميع العليم اما من تمام الوعد بمعنى انه سيسمع اقوالكم ويعلم اخلاصكم وهو مجازيكم
لا محالة او وعيد للمعرضين بمعنى انه تعالى سيسمع ما يبدون ويعلم ما يخفون ومعاقبهم عليه
صبغة الله اي صبغنا الله تعالى صبغته وهي فطرة الله التي فطر الناس عليها فانها حلية الانسان
كما ان الصبغة حلية المصبوغ او هدانا هدايته وارشدنا لمحجته او طهر قلوبنا بالايمان
تطهيره وسماه صبغة لانه ظهر اثره عليهم ظهور الصبغ على المصبوغ وتداخل في قلوبهم
تداخل الصبغ الثوب او للمشاكلة فان النصارى كانوا يغمسون اولادهم في ماء اصفر
يسمونه المعمودية ويقولون هو تطهير لهم وبه يحق نصرانيتهم ونصبها على انها مصدر مؤكد
لقوله امنا وقيل على الاغراء وقيل على البدل من ملة ابراهيم ومن احسن من الله صبغة
لا صبغة احسن من صبغته ونحن له عابدون تعريض بهم اي لا نشرك به كشركهم وهو عطف
على امنا وذلك يقتضي دخوله قوله صبغة الله في مفعول قولوا ولمن نصبها على الاغراء او البدل
ان يضمر قولوا معطوفا على الزموا او ابتعوا ملة ابراهيم وقولوا امنا بدل من ابتعوا حتى

لا يلزم

في اليوم اس يع من الولادة كالجنان
لاولاد المسلمين ويقولونه الان ظهر هذا
وصار نصرانيا حقا اهـ صحيح

والمعنى تطهيرا لله تعالى لان الايمان تطهر
النفوس فتكون تاكيدا لنفسه اهـ

لما اوتي موسى وعيسى التوريه والانجيل اوردهما بحكم ابلغ لان امرهما بالاضافة الى موسى وعيسى عليهما السلام معلوم لما سبق والنزاع وقع فيهما وما اوتي النبيون جملة المذكورين منهم وغيرهم المذكورين من ربهم اي منزلا عليهم من ربهم لا نفرق بين احد منهم كاليهود فانهم يبعض ونكفر ببعض واحد لوقوعه في سياق النفي عام فساغ ان يضاف اليه بين ونحن له اي لله تخلصون مسلمون مذعنون مخلصون فان آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا من باب التعجيز والتبكيت كقوله فأتوا بسورة من مثله او لا مثل لمن آمن به المسلمون فلا دين كدين الاسلام وقيل الباء للالة دون التعدية والمعنى ان تحروا الايمان بطريق يهدى الى الحق مثل طريقكم فان وحدة المقصد لا تابى تعدد الطريق او مزيدة للتاكيد كقوله جزاء سيئة بمثلها والمعنى فان امنوا بالله ايمانا مثل ايمانكم به او المثل مقحم كما في قوله تعالى وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله اي عليه ويشهد له قراءة من قرأ بما آمنتم به اي بالذي آمنتم به وان تولوا فانما هم في شقاق اي ان اعرضوا عن الايمان او عما يقولون لهم فانما هم الآتي شقاق الحق وهو المنافاة والمخالفة فان كل واحد من المتخالفين في شق غير شق الاخر فسيكفيكهم الله تسلية وتسكين للمؤمنين ووعد لهم بالحفظ والنصر على من باواهم وخالفهم وهو السميع العليم اما من تمام الوعد بمعنى انه سيسمع اقوالكم ويعلم اخلاصكم وهو مجازيكم لا محالة او وعيد للمعرضين بمعنى انه تعالى سيسمع ما يبدون ويعلم ما يخفون ومعاقبهم عليه صبغة الله اي صبغنا الله تعالى صبغته وهي فطرة الله التي فطر الناس عليها فانها حلية الانسان كما ان الصبغة حلية المصبوغ او هدانا هدايته وارشدنا لمحجته او طهر قلوبنا بالايمان تطهيره وسماه صبغة لانه ظهر اثره عليهم ظهور الصبغ على المصبوغ وتداخل في قلوبهم تداخل الصبغ الثوب او للمشاكلة فان النصارى كانوا يغمسون اولادهم في ماء اصفر يسمونه المعمودية ويقولون هو تطهير لهم وبه يحق نصرانيتهم ونصبها على انها مصدر مؤكد لقوله امنا وقيل على الاغراء وقيل على البدل من ملة ابراهيم ومن احسن من الله صبغة لا صبغة احسن من صبغته ونحن له عابدون تعريض بهم اي لا نشرك به كشركهم وهو عطف على امنا وذلك يقتضي دخوله قوله صبغة الله في مفعول قولوا ولمن نصبها على الاغراء او البدل ان يضمر قولوا معطوفا على الزموا او ابتعوا ملة ابراهيم وقولوا امنا بدل من ابتعوا حتى

لا يلزم فلك النظم وسوء الترتيب قل اتحاجوننا اتجادلوننا في الله في شانه واصطفائه نبيا من العرب
دونكم روي ان احبار اليهود قالوا الانبياء كلهم منا فلو كنت نبيا لكنت منا فنزلت وهو ربنا و
ربكم لا اختصاص له بقوم دون قوم يصيب برحمته من يشاء من عباده ولنا اعمالنا ولكم اعمالكم
فلا يبعدان يكرمنا بعملنا كما انه الزمهم على كل مذهب يتحونه انحاما او تبكيتا فان كرامة النبوة
اما بتفضل الله على من يشاء فكل فيه سواء واما باقاصة حق على المستعدين لها بالمواظبة
على الطاعة والتحلي بالاخلاص وكما ان لكم اعمالا ربما يعتبرها الله في اعطاءها فلنا ايضا اعمال
ونحن له مخلصون موحدون تخلصه بالايمان والطاعة دونكم ام تقولون ان ابراهيم واسمعيل
واسحق ويعقوب والاسباط كانوا هودا او نصارى ام منقطعة والهمزة للانكار وعلى
قراءة ابن عامر وحمزة والكسائي بالتاء يحتمل ان تكون معادلة للهمزة في اتحاجوننا بمعنى اي
الامرين تاتونا المحاجة او ادعاء اليهودية او النصرانية على الانبياء قل ءانتم اعلم ام الله
وقد نفى الامرين عن ابراهيم بقوله تعالى ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا واحتج عليه بقوله تع
وما انزلت التوراة والانجيل الآية من بعده وهؤلاء المعطوفون عليه اتباعه وقفا ومن
اظلم ممن كتم شهادة عنده من الله يعني شهادة الله لابراهيم بالحنيفية والبراءة من اليهودية
والنصرانية والمعنى لا احد اظلم من اهل الكتاب لانهم كتموا هذه الشهادة او منا لو كتمنا هذه
الشهادة وفيه تعريض بكتمانهم شهادة الله تعالى لمحمد عليه السلام بالنبوة في كتبهم وغيرها
ومن للابتداء كما في قوله تعالى براءة من الله وما الله بغافل عما تعملون وعيد لهم وقرئ بالياء
تلك امة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون تكرير للمبالغة والتحذير
والزجر عما استحكم في الطباع من الافتخار بالآباء والاتكال عليهم وقيل الخطاب فيما سبق
لهم وفي الاية لنا تحذيرا عن الاقتداء بهم وقيل المراد بالامة في الاول الانبياء وفي الثاني
اليهود والنصارى سيقول السفهاء من الناس الذين خفت احلامهم واستمهنوها بالتقليد
والاعراض عن النظر يريد المنكرين لتغيير القبلة من المنافقين واليهود والمشركين وفائدة تقديم
الاخبار توطين النفس واعداد الجواب ما ولاهم ما صرفهم عن قبلتهم التي كانوا عليها يعني
بيت المقدس قل لله المشرق والمغرب لا يختص به مكان دون مكان لخاصية ذاتية بمنع

ما حاصله عنده الله واهل [illegible] ووجه كونها دينهم
لابراهيم عليه السلام باحنيفيته ومجيء عليه السلام
بالنبوة والله اشهد بهم على ذلك كله في
كتبهم وهم كتموها من الناس اهـ

الجزء الثاني

ورقة ٧٠

اقامة غيره مقامه وانما العبرة بارتسام امره لا بخصوص المكان يهدي من يشاء الى صراط
مستقيم وهو ما يرتضيه الحكمة ويقتضيه المصلحة من التوجه الى بيت المقدس تارة والى الكعبة اخرى
وكذلك اشارة الى مفهوم الآية المتقدمة اى كما جعلناكم مهتدين الى الصراط المستقيم اوجعلنا قبلتكم
افضل القبلة جعلناكم امة وسطا اى خيارا او عدولا امرتكم بالعلم والعمل وهو في الاصل اسم
للمكان الذي يستوي فيه المسافة من الجوانب ثم استعير للخصال المحمودة لوقوعها بين طرفي
الافراط والتفريط كالجود بين الاسراف والبخل والشجاعة بين التهور والجبن ثم اطلق على
المتصف بها مستويا فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث كسائر الاسماء التي يوصف بها او
استدل به على ان الاجماع حجة اذ لو كان فيما اتفقوا عليه باطلا لأثنى به عدالتهم لتكونوا شهداء
على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا علة للجعل اى لتعلموا بالتامل في ما نصب لكم من الحجج
وانزل عليكم من الكتاب انه تعالى ما بخل على احد وما ظلم بل اوضح السبل وارسل الرسل فبلغوا
ونصحوا ولكن الذين كفروا حملهم الشقاء على اتباع الشهوات والاعراض عن الآيات فتشهدون
بذلك على معاصريكم وعلى الذين ضلكم وبعدكم روى ان الامم يوم القيمة يجحدون تبليغ
الانبياء عليهم السلام فيطالبهم الله تعالى ببينة التبليغ وهو اعلم بهم اقامة للحجة على المنكرين
فيوتى بامة محمد عليه السلام فيشهدون فيقول الامم من اين عرفتم فيقولون علمنا ذلك باخبار
الله تعالى في كتابه الناطق على لسان نبيه الصادق فيوتى بمحمد عم فيسأل عن حال امته
فيشهد بعدالتهم وهذه الشهادة وان كانت لهم لكن لما كان الرسول كالرقيب المهيمن على امته
عدي بعلى وقدمت الصلة للدلالة على اختصاصهم بكون الرسول عليهم شهيدا وما جعلنا
القبلة التي كنت عليها اى الجهة التي كنت عليها وهي الكعبة فانه عليه السلام كان يصلي اليها بمكة
ثم لما هاجر امر بالصلوة الى الصخرة تالفا لليهود او الصخرة لقول ابن عباس رض كانت قبلته
عليه السلام بمكة بيت المقدس الا انه كان يجعل الكعبة بينه عليه السلام وبينه فالمخبر به
على الاول الجعل الناسخ وعلى الثاني المنسوخ والمعنى ان اصل امرك ان تستقبل القبلة الكعبة
وما جعلنا قبلتك بيت المقدس الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه الا
لنمتحن الناس ونعلم من يتبعك في الصلوة اليها ممن يرتد عن دينك الى قبلة آبائه

اولنعلم

اولنعلم الآية هو يتبع الرسول من لا يتبعه وما كان لعارض يزول بزواله وهو الاول او فعلنا ما هو ذلك الى ما
كنت عليها الا لنعلم الثابت على الاسلام ممن ينكص على عقبيه بقلبه وضعف ايمانه فان قيل كيف يكون
علة تعالى غاية الجعل وهو لم يزل عالما قلت هذا واشباهه باعتبار التعلق الحالي الذي هو مناط الجزاء والمعنى
للتعلق علمنا به موجودا او قيل لنعلم كالرسول والمنون لكنه اسند الى ذاته لانهم خواصه او لنميز الثابت
عن المتزلزل لقوله تعالى ليميز الله الخبيث من الطيب فوضع العلم موضع التمييز المستتبع عنه وشهد له
قراءة ليعلم على البناء للمفعول والعلم اما بمعنى المعرفة او معلق لما في من معنى الاستفهام او
مفعوله الثاني ممن ينقلب اى لنعلم الناس من يتبع الرسول متميزا ممن ينقلب وان كانت لكبيرة الا
ان هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة قال الكوفيون هي النافية واللام بمعنى الا والضمير للحول
قوله تعالى وما جعلنا القبلة التي كنت عليها من الجعلة او المرة او التحويل او القبلة وقرئ كبيرة بالرفع
فيكون كان زائدة الا على الذين هدى الله الى حكمة الاحكام الثابتين على الايمان والاتباع وما كان
الله ليضيع ايمانكم اى ثباتكم على الايمان وقيل ايمانكم بالقبلة المنسوخة او صلوتكم البها ما روي
انه عليه السلام لما وجه الى القبلة الكعبة قالوا كيف من مات يا رسول الله قبل التحويل من اخواننا
فنزلت ان الله بالناس لرؤف رحيم فلا يضيع اجورهم ولا يدع صلاتهم ولعله قدم الرؤف وهو ابلغ
محافظة على الفواصل وقرأ الحرميان وابن عامر وحفص لرؤف بالمد والباقون بالقصر قد نرى
ربما نرى تقلب وجهك في السماء رددوجهك في جهة السماء تطلعا للوحي وكان رسول الله م يقع
في روعه وتوقع من ربه ان يحوله الى الكعبة لانها قبلة ابراهيم عليه السلام واقدم القبلتين وادعى
للعرب الى الايمان ولمخالفة اليهود وذلك يدل على كمال ادبه حيث انتظر ولم يسأل فلنولينك قبلة
فلنمكنك من استقبالها من ولاك ولّيته كذا اذا اجبرته والبالا او فلنجعلنك تلي جهتها ترضيها
تحبها وتشتوق اليها لمقاصد دينية ووافقت مشية الله تعالى وحكمه فول وجهك اى اصرف
وجهك شطر المسجد الحرام نحوه وقيل الشطر في الاصل ما انفصل عن الشيء من شطرا اذا انفصل
ودار شطور منفصلة عن الدور ثم استعمل لجانبه وان لم ينفصل كالقطر والحرام المحرم اى
يحرم فيه القتال او ممنوع عن الظلمة ان يتعرضوه وانما ذكر المسجد دون الكعبة لانه عليه م
كان في المدينة والبعيد يكفيه مراعاة الجهة فان استقبال عينها حرج عليه بخلاف القريب لانه م

كان صلى الله عليه وسلم يصلي نحو بيت المقدس ستة عشر شهرا ثم وجه الى الكعبة في رجب بعد الزوال قبل قتال بدر بشهرين
وقد صلى باصحابه في مسجد بني سلمة ركعتين من الظهر فتحول في الصلوة واستقبل الميزاب وتبادل الرجال و
النساء صفوفهم فسمي المسجد مسجد القبلتين وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره خص الرسول عم بالخطاب
تعظيما له وايجابا لرغبته ثم عم تصريحا بعموم الحكم وتاكيدا لامر القبلة وتخصيصا للامة على المتابعة وان الذين
اوتوا الكتاب ليعلمون انه الحق من ربهم جملة لعلمهم بان عادته تعالى تخصيص كل شريعة بقبلة وتفصيلا لتضمن
كتبهم انه يصلي الى القبلتين والضمير في انه للتحويل او التوجه وما الله بغافل عما يعملون وعد ووعيد للفريقين
ولئن اتيت الذين اوتوا الكتاب بكل اية برهان وحجة على ان الكعبة قبلة واللام موطئة للقسم ما تبعوا قبلتك
جواب القسم المضمر وساد مسد جواب الشرط والمعنى ما تركوا قبلتك لشبهة تزيلها الحجة وانما خالفوك مكابرة
وعنادا وما انت بتابع قبلتهم قطع لاطماعهم فانهم قالوا لو ثبت على قبلتنا لكنا نرجوا ان يكون صاحبنا
الذي ننتظره تغريرا له وطمعا في رجوعه وقبلتهم وان تعددت لكنها متحدة في البطلان ومخالفة الحق وما
وما بعضهم بتابع قبلة بعض فان اليهود تستقبل الصخرة والنصارى مطلع الشمس لا ترجى توافقهم كما لا يرجى
موافقتهم كل لك لتصلب كل حزب بما هو فيه ولئن اتبعت اهواءهم من بعد ما جاءك من العلم على سبيل الفرض
والتقدير اي ولئن اتبعتهم مثلا بعد ما بان لك الحق وجاءك فيه الوحي انك اذا لمن الظالمين واكد تهديده وبالغ
فيه من سبعة اوجه تعظيما للحق المعلوم وتحريضا على اقتفائه وتحذيرا عن متابعة الهواء واستفضاعا
لصدور الذنب عن الانبياء عم الذين اتيناهم الكتاب يعني علماءهم يعرفونه الضمير لرسول الله عم وان لم يسبق
ذكره لدلالة الكلام عليه وقيل للعلم او القرآن او التحويل كما يعرفون ابناءهم يشهد للاول اي يعرفونه
كمعرفتهم ابناءهم لا يلتبسون عليهم بغيرهم عن عمر رضه انه سأل عبد الله بن سلام عن رسول الله عم فقال
انا اعلم به مني بابني قال ولم قال لاني لست اشك في محمد انه نبي واما ولدي فلعل والدته قد خانت وان
فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون تخصيص لمن عاند واستثناء لمن آمن الحق من ربك كلام مستأنف
والحق اما مبتدأ خبره محذوف من ربك واللام للعهد والاشارة الى ما عليه الرسول او الحق الذي يكتمونه
او للجنس والمعنى ان الحق ما ثبت انه من الله كالذي انت عليه لا ما لم يثبت كالذي عليه اهل الكتاب واما
خبر مبتدأ محذوف اي هو الحق ومن ربك حال او خبر بعد خبر وقرئ بالنصب على انه بدل من الاول او
مفعول يعلمون فلا تكونن من الممترين الشاكين في انه من ربك او في كتمانهم الحق عالمين به وليس المراد

به نهي

به نهي الرسول عم عن الشك فيه لانه غير متوقع منه عم وليس بقصد واختيار بل اما تحقيق الامر وانه بحيث
لا يشك فيه ناظر او امر الامة باكتساب المعارف المزيحة للشك على الوجه الابلغ ولكل وجهة ولكل امة
قبلة او لكل قوم من المسلمين جهة وجانب من الكعبة والتنوين بدل الاضافة هو موليها احد المفعولين
محذوف اي هو موليها وجهه او الله موليها اياه وقرئ لكل وجهة بالاضافة والمعنى ولكل وجهة الله
موليها اهلها واللام مزيدة للتاكيد وجبرا لضعف العامل وقرأ ابن عامر مولاها اي هو مولى تلك الجهة
قد وليها فاستبقوا الخيرات من امر القبلة وغيرها مما ينال به سعادة الدارين او الفاضلات من الجهات
وهي المسامتة للكعبة اينما تكونوا يات بكم الله جميعا في اي موضع تكونوا من موافق ومخالف مجتمع
الاجزاء ومفترقها يحشركم الله تع الى المحشر للجزاء او اينما تكونوا من اعماق الارض وقلل الجبال يقبض ارواحكم
او اينما تكونوا من الجهات المتقابلة يات بكم الله جميعا ويجعل صلوتكم كانها الى جهة واحدة ان الله
على كل شيء قدير فيقدر على الاماتة والاحياء والجمع ومن حيث خرجت اي ومن اي مكان خرجت للسفر
فول وجهك شطر المسجد الحرام اذا صليت وانه وان هذا الامر للحق من ربك وما الله بغافل عما
تعملون ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره
كرر هذا الحكم لتعدد علله وانه تع ذكر للتحويل ثلث علل تعظيم الرسول عم بابتغاء مرضاته وجري العادة الالهية
على ان يولي اهل كل ملة وصاحب دعوة وجهة يستقبلها ويتميز بها ودفع حجج المخالفين على ما يبينه
وقرن بكل علة مدلولها كما يقرن المدلول بكل واحد من دلائله تقريبا وتقريرا مع ان القبلة لها
شان والنسخ من مظان الفتنة والشبهة فبالحري ان يؤكد امرها ويعاد ذكرها مرة بعد اخرى لئلا يكون
للناس عليكم حجة علة لقوله فولوا والمعنى ان التولية عن الصخرة الى الكعبة لدفع احتجاج اليهود
بان المنعوت في التورية قبلته الكعبة وان محمدا يجحد ديننا ويتبعنا في قبلتنا والمشركين بانه يدعي
ملة ابراهيم ويخالف قبلته الا الذين ظلموا منهم استثناء من الناس اي لئلا يكون لاحد من الناس
حجة الا للمعاندين منهم فانهم يقولون ما تحول الى القبلة الا ميلا الى دين قومه وحبا لبلده او بدا
له فرجع الى قبلة آبائه ويوشك ان يرجع الى دينهم وسمي هذه حجة كقوله حجتهم داحضة لانهم
يسوقونها مساقها وقيل الحجة بمعنى الاحتجاج وقيل الاستثناء للمبالغة في نفي الحجة راسا كقوله
ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب للعلم بان الظالم لا حجة له وقرئ

الا الذين ظلموا على انه استيناف بحرف التنبيه فلا تخشوهم فلا تخافوهم فان مطاعنهم لا تضركم واخشوني
فلا تخالفوا ما امرتكم به ولاتم نعمتي عليكم ولعلكم تهتدون علة محذوف اي وامرتكم لاتمامي النعمة عليكم و
ارادتي هدايتكم او عطف على علة مقدرة ومثل واخشوني لاحفظكم عنهم ولاتم نعمتي عليكم او لئلا يكون وفي
الحديث تمام النعمة دخول الجنة وعن علي ابن ابي طالب رضه تمام النعمة الموت على الاسلام كما ارسلنا فيكم
رسولا منكم متصل بما قبله اي ولاتم نعمتي عليكم في امر القبلة او في الاخرة كما اتممتها بارسال الرسول منكم او بما
بعده اي كما ذكرتكم بالارسال فاذكروني يتلو عليكم اياتنا ويزكيكم يحملكم على ما يصيرون به ازكياء وقدمه باعتبار
القصد واخره في دعوة ابراهيم عم باعتبار الفعل ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون
بالفكر والنظر اذ لا طريق الى معرفته سوى الوحي وكرر الفعل ليدل على انه جنس اخر فاذكروني بالطاعة اذكركم
بالثواب واشكروا لي واشكروا ما انعمت عليكم ولا تكفرون بجحد النعم وعصيان الامر يا ايها الذين امنوا
استعينوا بالصبر عن المعاصي وحظوظ النفس والصلوة التي هي ام العبادات ومعراج المؤمنين ومناجات
رب العالمين ان الله مع الصابرين بالنصرة واجابة الدعوة ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله اموات
اي هم اموات بل احياء اي هم احياء ولكن لا تشعرون ما حالهم وهو تنبيه على ان حيوتهم ليس بالجسد ولا
من جنس ما يحس به من الحيوانات فانما هي امر لا يدرك بالعقل بل بالوحي وعن الحسن ان الشهداء احياء
عند الله يعرض ارزاقهم على ارواحهم فيصل اليهم الروح والفرح كما يعرض النار على ارواح آل فرعون
غدوا وعشيا فيصل اليهم الوجع والاية نزلت في شهداء بدر وكانوا اربعة عشر وفيها دلالة على ان
الارواح جواهر قائمة بانفسها مغايرة لما يحس من البدن تبقى بعد الموت دراكة وعليه جمهور الصحابة
والتابعين وبه نطقت الايات والسنن وعلى هذا فتخصيص الشهداء لاختصاصهم بالقرب من الله
ومزيد البهجة والكرامة ولنبلونكم ولنصيبنكم اصابة من يختبر احوالكم هل تصبرون البلاء وتستسلمون
القضاء بشيء من الخوف والجوع اي بقليل من ذلك وانما قلله بالاضافة الى ما وفيهم عنه ليخفف عليهم
ويريهم ان رحمته لا تفارقهم او بالنسبة الى ما يصيب به معانديهم في الاخرة وانما اخبرهم به قبل وقوعه
ليوطنوا عليه انفسهم ونقص من الاموال والانفس والثمرات عطف على شيء او الخوف وعن الشافعي
الخوف خوف الله والجوع صوم رمضان والنقص من الاموال الزكوة ومن الانفس الامراض و
الثمرات موت الاولاد وعن النبي عليه السلام اذا مات ولد العبد قال الله تعالى للملائكة اقبضتم

ولد عبدي

مهمات في حقيقة الارواح

ومزيد البهجة بيان

ولد عبدي فيقولون نعم اقبضتم ثمرة قلبه فيقولون نعم فيقول الله تعالى ماذا قال العبد فيقولون حمدك
واسترجع فيقول الله ابنوا لعبدي بيتا في الجنة وسموه بيت الحمد وبشر الصابرين الذين اذا اصابتهم
مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون الخطاب للرسول عم او لمن يتاتى منه البشارة والمصيبة تعم
ما يصيب الانسان من مكروه لقوله عم كل شيء يؤذي المؤمن فهو له مصيبة وليس الصبر بالاسترجاع
باللسان بل بالقلب بان يتصور ما خلق لاجله وانه راجع الى ربه ويتذكر نعم الله تع عليه ليرى ما ابقى عليه
اضعاف ما استرده منه فيهون على نفسه ويستسلم له والمبشر به محذوف دل عليه قوله تعالى
اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة الصلوة في الاصل الدعاء ومن الله التزكية والمغفرة وجمعها
للتنبيه على كثرتها وتنوعها والمراد بالرحمة اللطف والاحسان وعن النبي عم من استرجع عند المصيبة
جبر الله تعالى مصيبته واحسن عقباه وجعل له خلفا صالحا يرضاه واولئك هم المهتدون للحق و
الصواب حيث استرجعوا وسلموا لقضاء الله تع ان الصفا والمروة هما علما جبلين بمكة من شعائر الله
من اعلام مناسكه جمع شعيرة بمعنى وهي العلامة فمن حج البيت او اعتمر الحج لغة القصد والاعتمار
الزيارة نقلتا شرعا على قصد البيت وزيارته على الوجهين المخصوصين فلا جناح عليه ان يطوف
بهما كان اساف على الصفا ونائلة على المروة وكان اهل الجاهلية اذا مسحوهما فلما جاء الاسلام
وكسر الاصنام تحرج المسلمون ان يطوفوا بينهما لذلك فنزلت والاجماع على انه مشروع في الحج والعمرة
وانما الخلاف في وجوبه فعن احمد رح انه سنة وبه قال انس وابن عباس رضهما لقوله تع فلا جناح فانه
يفهم منه التخيير وهو ضعيف لان نفي الجناح يدل على الجواز الداخل في معنى الوجوب فلا يدفعه وعن
ابي حنيفة رح انه واجب يجبر بالدم وعن مالك والشافعي انه ركن لقوله تعالى اسعوا فان الله تع كتب
عليكم السعي ومن تطوع خيرا اي فعل طاعة فرضا كان او نفلا او زاد على ما فرض عليه من حج او عمرة
او طواف او تطوع بالسعي ان قلنا انه سنة وخيرا نصب على انه صفة مصدر محذوف او بحذف الجار
وايصال الفعل اليه او بتعدية الفعل لتضمنه معنى اتى او فعل وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب يطوع
واصله يتطوع فادغم مثل يطوف فان الله شاكر عليم مثيب على الطاعة لا يخفى عليه ان الذين
يكتمون كاحبار اليهود ما انزلنا من البينات كالايات الشاهدة على امر محمد عم والهدى وما يهدي
الى وجوب اتباعه والايمان به من بعد ما بيناه للناس لخصناه في الكتاب في التورية اولئك

لان اساف اسم رجل ونائلة اسم امرأة زنيا فمسخا حجرين فوضا في ذلك المكان فطال الزمان فعبدوهما في الجاهلية واذا سموهما فكره اهل الاسلام ان يسعوا بينهما لانه فعل الجاهلية فاذن الله تعالى بالطواف بينهما شيخ زاده

يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون اى الذين يتاتى منهم اللعن عليهم كالملئكة والثقلين الا الذين تابوا عن الكتمان
وسارعوا بالتوبة واصلحوا ما افسدوا بالتدارك وبينوا ما بينته في كتابهم ليتم توبتهم وقبل ما اخبر عنه
من التوبة يمحو اسمة الكفر عن انفسهم ويقيدي بهم اخريهم فاولئك اتوب عليهم بالقبول والمغفرة وانا التواب
الرحيم المبالغ في قبول التوبة وافاضة الرحمة ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار اى ومن لم يتب من الكافرين
حتى مات اولئك عليهم لعنة الله والملئكة والناس اجمعين استقر عليهم لعنة الله ومن يعتد بلعنته من خلقه وصل
الاول لعنهم احياء وهذا لعنهم امواتا وقرئ والملئكة والناس اجمعون عطفا على محل اسم الله لانه فاعل في
المعنى كقولك اعجبني ضرب زيد وعمرا وفاعل الفعل مقدر نحو ويلعنهم الملئكة خالدين فيها اى في اللعنة او النار
واضمارها قبل الذكر تفخيما لشانها ونهويلا او اكتفى بدلالة المعنى عليه لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون
لا يمهلون ولا ينتظرون ليعتذروا او لا ينظر اليهم نظر الرحمة والحكم الواحد خطاب عام اى المستحق منكم العبادة
واحد لا شريك له يصح ان يعبد او يقال الها لا الا هو تقرير للوحدانية وازاحة لان يتوهم ان في الوجود الها اوكن
لا يستحق منهم العبادة الرحمن الرحيم كالحجة عليها فانه لما كان مولى النعم كلها اصولها وفروعها وما سوى اما نافعة
او فعم علم يستحق العبادة احد غيره وهما خبران آخران لقوله تع الهكم او لمبتدا محذوف وقبل ما سمعه المشركون
تعجبوا وقالوا ان كنت صادقا فات بايته نعرف بها صدقك ان في خلق السموت والارض واختلاف الليل والنهار تعاقبهما
او قدرهما لانها طبقات منفاصلة بالذوات مختلفة بالحقيقة بخلاف الارض واختلاف الليل والنهار تعاقبهما
لقوله تع جعل الليل والنار خلفة والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس اى ينفعهم او بالذي ينفعهم والقصة
الى الاستدلال بالبحر واحواله وتخصيص الفلك لانه سبب الخوض فيه والاطلاع على عجائبه ولذلك قرنه على ذكر
المطر والسحاب لان منشأها البحر في غالب الامر وتانيث الفلك لانه بمعنى السفينة وقرئ بضمتين على الاصل او
الجمع وضمة الجمع غير ضمة الواحد عند المحققين وما انزل الله من السماء من ماء من الاولى للابتداء والثانية
للبيان والسماء تحتمل الفلك والسحاب وجهة العلو فاحيا به الارض بعد موتها بالنبات وبث فيها من كل دابة
عطف على انزل كانه استدل بنزول المطر وتكون النبات وبث الحيوانات في الارض وعلى احيا فان الحيوان
الدواب يتمون بالحب ويعيشون بالحيا وابث النشر والتفريق وتصريف الرياح في مهابها واحوالها
قرا حمزة والكسائي على الافراد والسحاب المسخر بين السماء والارض لا ينزل ولا ينقشع مع ان الطبع يقتضي
احدهما حتى ياتي امر الله وقيل مسخر للرياح تقلبه في الجو بمشيته الله تع واشتقاقه من السحب لانه يسحب بعضه بجر

بعضا

ط
اذ يجوز في تابع المضاف اليه
العطف على لفظ وعلى محله على ما
هو المقرر في النحو ،،

الله ،،

السحاب انقع كتاشد سحابه ،،

الاية فمجها اى لم يتفكر فيها واعلم ان دلالة هذه الايات على وجود الاله ووحدته من وجوه كثيرة
يطول شرحها مفصلا والكلام المجمل انها امور ممكنة وجد كل منها بوجه مخصوص من وجوه مختلفة
وانحاء مختلفة اذ كان من الجائز شلا ان لا يتحرك السموات او بعضها كالارض وان يتحرك بعكس
حركاتها وبحيث يصير المنطقة دائرة مارة بالقطبين وان لا يكون لها اوج وحضيض اصلا او على
هذا الوجه لبساطتها ونساوي اجزائها فلا بد لها من موجد قادر حكيم يوجدها على ما يستدعيه
حكمته وبوجه يقتضيه مشيته متعاليا عن معارضة غيره اذ لو كان معه اله يقدر على ما يقدر عليه فان
توافقت ارادتهما فالفعل ان كان لهما لزم اجتماع المؤثرين على اثر واحد وان كان لاحدهما لزم
ترجيح الفاعل بلا مرجح وعجز الاخر المنافي لالهيته وان اختلفت لزم التمانع والتطارد كما اشار
اليه بقوله تع لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا وفي الاية تنبيه على شرف علم الكلام واهله وحثه
على البحث والنظر فيه ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا من الاصنام وقيل من الرؤساء
الذين كانوا يطيعونهم لقوله تع اذ تبرا الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ولعل المراد اعم منهما وهو
ما شغله عن الله يحبونهم يعظمونهم ويطيعونهم كحب الله كتعظيمهم والميل الى طاعتهم اى سوين
بينه وبينهم في المحبة والطاعة والمحبة ميل القلب من الحب استعير لحبة القلب ثم اشتق منه الحب
لانه اصابها وربح فيها ومحبة العبد تتع ارادة طاعته والاعتناء بتحصيل مراضيه ومحبة الله تع للعبد
اكرامه واستعماله في الطاعة وصونه عن المعاصي والذين امنوا اشد حبا لله لانه لا ينقطع محبتهم لله
بخلاف محبة الانداد فانها لاغراض فاسدة مدخولة تزول بادنى سبب ولذلك كانوا يعدلون عنه
عن القهم الى الله عند الشدائد ويعبدون الصنم زمانا ثم يرفضون الى غيره ولو يرى الذين ظلموا
ولو يعلم هؤلاء الذين ظلموا باتخاذ الانداد اذ يرون العذاب اذ عاينوه يوم القيمة واجرى المستقبل
مجرى الماضي لتحققه كقوله تع ونادى اصحاب الجنة ان القوة لله جميعا سادت مسد مفعولي يرى
وجواب لو محذوف اى لو يعلمون ان القوة لله جميعا اذ عاينوا العذاب لندموا اشد الندم و
قيل هو متعلق الجواب والمفعولان محذوفان والتقدير لو يرى الذين ظلموا انداده لا ينفع لعلموا ان
القوة لله كلها لا ينفع ولا يضر غيره وقرا ابن كثير ونافع ويعقوب ولو ترى على انه خطاب للرسول ع

شغله عن كذا
مشغول وارش وباز دارش
از فلان چيزى ،،

في برهان التوحيد ،،

اى ولو ترى ذلك لرأيت امرا فظيعا عظيما وابن عامر ان يرون على البناء للمفعول ويعقوب بالتاء بالكسر
وكذا وان التهديد شديد العذاب على الاستيناف واضمار القول اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا
بدل من اذ يرون اى اذ تبرأ المتبعون من الاتباع وقرئ بالعكس اى اذ تبرأ الاتباع من الرؤساء او
العذاب اى رأين له والواو للحال وقد مضمرة وقيل عطف على تبرأ او تقطعت بهم الاسباب يحتمل العطف
على تبرأ او رأوا والحال والاول اظهر والاسباب الموصل التى كانت بينهم من الاتباع والانفاق
على الدين والاغراض الداعية الى ذلك واصل السبب الحبل الذى يرتقى به الشجر وقرئ تقطعت
على البناء للمفعول وقال الذين اتبعوا لو انا كرة فنتبرأ منهم كما تبرؤا منا لو للتمنى ولذلك
اجيب بالفاء اى ليت لنا كرة الى الدنيا فنتبرأ منهم كذلك مثل ذلك الاراء الفظيع يريهم الله اعمالهم
حسرات عليهم ندمات وهى ثالث مفاعيل يرى ان كان من رؤية القلب والا فحال وما هم بخارجين
من النار اصلا وما يخرجون عدل به الى هذه العبارة للمبالغة فى الخلود والاقناط عن الخلاص والدعوة
الى الدنيا يا ايها الناس كلوا مما فى الارض حلالا نزلت فى قوم حرموا على انفسهم رفيع الاطعمة والملابس
وحلالا مفعول كلوا او صفة مصدر محذوف او حال مما فى الارض ومن للتبعيض اذ لا يؤكل كل ما فى الارض
طيبا يستطيبه الشرع او الشهوة المستقيمة اذ الحلال دل على الاول ولا تتبعوا خطوات الشيطان
لا تقتدوا به فى اتباع الهوى فحرموا الحلال وحللوا الحرام وقرأ نافع وابو عمرو وحمزة والكسائى وابو بكر
حيث وقع بتسكين الطاء وهما لغتان فى جمع خطوة وهى ما بين قدمى الخاطى وقرئ بضمتين وهمزة
جعلت ضمة التاء كانها عليها وبفتحتين على انه جمع خطوة وهى المرة من الخطو انه لكم عدو مبين ظاهر
العداوة عند ذوى البصيرة وان كان يظهر الموالاة لمن يغويه ولذلك سماه وليا فى قوله اولياؤهم
الطاغوت انما يأمركم بالسوء والفحشاء بيان لعداوته ووجوب التحرز عن متابعته واستعير الامر
لتزيينه وبعثه لهم على الشر تسفيها لرأيهم وتحقيرا لشانهم والسوء والفحشاء ما انكره العقل واستقبحه
الشرع والعطف لاختلاف الوصفين فانه سوء لاغتنام العاقل فيه وفحشاء باستقباحه اياه وقيل
السوء يعم القبايح والفحشاء ما يجاوز الحد فى القبح من الكبائر وقيل الاول ما لا حد فيه والثانى ما شرع
فيه الحد وان تقولوا على الله ما لا تعلمون كاتخاذ الانداد وتحليل المحرمات وتحريم الطيبات وفيه دليل
على المنع من اتباع الظن رأسا واما اتباع المجتهد لما ادى اليه ظنه مستند الى مدرك شرعى فموجبه قطعى

والظن

والظن فى طريقة كما بيناه فى الكتب الاصولية واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله الضمير للناس على العموم او لمن
معهم للنداء على ضلالتهم بكمانة التفت الى العقلاء وقال لهم انظروا الى عقولا لحمقى ما اذا يجيبون قالوا بل نتبع
ما الفينا عليه اباءنا وجدنا هم عليه نزلت فى المشركين امروا باتباع القرآن وسائر ما انزل الله من الحج والاباء
يخرج الى التقليد وقيل فى طائفة من اليهود دعاهم رسول الله عليه السلام الى الاسلام فقالوا بل نتبع ما وجدنا
عليه اباءنا لانهم كانوا خيرا منا واعلم وعلى هذا فيتم ما انزل الله التورية لانها ايضا تدعوا الى الاسلام
اولو كان اباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون الواو للحال او العطف والهمزة للرد والتعجب وجواب لو
محذوف اى لو كان اباؤهم جهلة لا يتفكرون فى امر الدين ولا يهتدون الى الحق لاتبعوهم وهو دليل على
المنع من التقليد ممن قدر على النظر والاجتهاد واتباع الغير فى امر الدين اذا علم بدليل ما انه محق كالانبياء
والمجتهدين فى الاحكام فهو فى الحقيقة ليس بتقليد بل اتباع لما انزل الله ومثل الذين كفروا كمثل الذى
ينعق بما لا يسمع الا دعاء ونداء على حذف المضاف تقديره ومثل داعى الذين كفروا كمثل الذى ينعق
او مثل الذين كفروا كمثل البهائم الذى ينعق والمعنى ان الكفرة لانهماكهم فى التقليد لا يلقون اذهانهم
الى ما يتلى عليهم ولا يتأملون فيما تقرر معهم فهم فى ذلك كالبهائم التى ينعق عليها فتسمع الصوت و
لا تعرف مغزاه وتحس بالنداء ولا تفهم معناه وقيل هو تمثيل لاتباع آبائهم على ظاهر حالهم جاهلين
بحقيقتها بالبهائم التى تسمع الصوت ولا تفهم ما تحته او تمثيل فى دعائهم الاصنام بالناعق فى نعقه
وهو التصويت على البهائم وهذا يغنى عن الاضمار ولكن لا يساعده قوله الا دعاء ونداء لان الاصنام
لا تسمع الا ان يجعل من باب التمثيل المركب صم بكم عمى بالرفع على الذم فهم لا يعقلون اى بالعمر الاخلال
بالنظر يا ايها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم لما وسع الامر على الناس كافة واباح لهم
ما فى الارض سوى ما حرم عليهم امر المؤمنين ان يتحروا الطيبات ما رزقوا ويقوموا بحقوقها فقال
واشكروا لله على ما رزقكم واحذركم ان كنتم اياه تعبدون فان عبادته لا تتم الا بالشكر وعن النبى ع
يقول الله تع انى والانس والجن فى نبأ عظيم اخلق ويعبد غيرى وارزق ويشكر غيرى انما حرم عليكم
الميتة اكلها والانتفاع بها وهى التى ماتت غير مذكاة والحديث الحق بها ما ابين من حى والسمك والجراد
واخرجهما العرف عنها واستثنى الشرع والحرمة المضافة الى العين يقيد عرفا بحرمة التصرف فيها
مطلقا الا ما خصته الدليل كالتصرف فى المدبوغ والدم ولحم الخنزير انما اللحم بالذكر لانه معظم ما يؤكل

فى نعاء عليهم
اى نعاق شان عظيم وامر مكبر وفى قوله اشارة
الى ضعف وبيان لتذكر ان الغفلة عظيم ع

من ظهر زكوة خ

اعنتم عليكم خ اعنت

فى الوقيين السوء والفحشاء

من الحيوان وسائر اجزائه كالتابع له وما اهل به لغير الله اى رفع به الصوت عند ذبحه للصنم والاهلال
اصله رؤية الهلال يقال اهل الهلال واهللنا كرمى لما جرت العادة انه يرفع الصوت بالتكبير اذا رؤى سمى
ذلك اهلالا ثم قيل لرفع الصوت وان كان لغيره فمن اضطر غير باغ بالاستيثار على مضطر آخر وقرأ عاصم و
ابو عمرو وحمزة بكسر اللون ولا عاد سد الرمق والحوعة وقيل غير باغ على الوالى ولا عاد بقطع الطريق فلا
هذا يباح للعاصى بالسفر وهو ظاهر مذهب الشافعى وقول احمد فلا اثم عليه فى تناوله ان الله غفور لما فعل
رحيم بالرخصة فيه فان قيل انما يفيد قصر الحكم على ما ذكر وكم من حرام لم يذكر قلت المراد قصر الحرمة على ما ذكر
تماسكوه لا مطلقا او قصر حرمته على حال الاختيار كانه قيل انما حرم عليكم هذه الاشياء عالم تضطروا
اليها ان الذين يكتمون ما انزل الله من الكتاب ويشترون به ثمنا قليلا عوضا حقيرا اولئك ما يأكلون
فى بطونهم الا النار اما فى الحال لانهم اكلوا ما يتلبسن بالنار لكونه عقوبة عليه فكانه اكل النار كقوله انما يأكلون
النار ومعنى فى بطونهم ملأ بطونهم يقال اكل فى بطنه او فى بعض بطنه كقوله كلوا فى بعض بطونكم تعفوا ولا تكثروا
الله يوم القيمة عبارة عن غضبه عليهم وتعريض بحرمانهم حال مقابلتهم فى الكرامة والزلفى من الله ولا يزكيهم
لا يثنى عليهم ولهم عذاب اليم مؤلم اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فى الدنيا والعذاب بالمغفرة
فى الاخرة بكتمان الحق للمطامع والاغراض الدنيوية فما اصبرهم على النار تعجب من حالهم فى الاتساب
بموجبات النار من غير مبالاة فما نافية مرفوعة بالابتداء وتخصيصها بالتخصيص قولهم شر اهرا ذا ناب
او استفهامية وما بعدها الخبر او موصولة وما بعدها صلة والخبر محذوف ذلك بان الله نزل الكتاب
بالحق اى ذلك العذاب بسبب ان الله نزل الكتاب بالحق فوضعوا التكذيب والكتمان وان الذين اختلفوا
فى الكتاب اللام فيه اما للجنس واختلافهم ايمانهم ببعض الكتب وكفرهم ببعض او للعهد والاشارة اما
الى التوراة واختلفوا بمعنى تخلفوا عن الطريق المستقيم فى تأويلها او خلفوا اخلافهم فيما انزل الله مكانه اى اعرضوا
ما فيها واما الى القرآن واختلافهم فيه قولهم سحر وقول وكلام علم بشر واساطير الاولين فى شقاق بعيد
اى فى خلاف بعيد عن الحق ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب البر كل فعل مرضى والخطاب
لاهل الكتاب فانهم اكثروا الخوض فى امر القبلتين تحولت واد عى كل طائفة ان البر هو التوجه الى قبلة
فرد الله عليهم وقال ليس البر ما انتم عليه فانه منسوخ ولكن البر ما بينه وابتعه المومنون وقيل عام

لهم و

استاذ باشا

وسمى البيت كعبة الكاذية انم اخوك بصرة اتزوجها
عليك طويلة العنق طيبة الريح ووجه الحلف لذلك
ان اكل الدبة عار عندهم وانه يتضمن قتل
اعرته ،،،

اعلم انه خاطب امرأته وتعلق الكلام بقول ابى
لو انكم هو حسنة طويلة العنق طيبة الريح فانا
اكون عن يأكل الدبة ولا يعتقر وهو عادة لا يقدم
عليها فانهم يستنكفون عن اخذ الدية ويرى القصاص

حب

ليعم والمسلمين اى ليس البر مقصورا على امر القبلة او ليس البر الذى يحسن ان يذهب اشتغاله غير ما امر بها قراءة
حمزة وحفص ليس البر بالنصب ولكن البر من آمن بالله واليوم الاخر والملائكة والكتاب والنبيين اى ولكن
البر الذى ينبغى ان يهتم به بر من آمن وتؤيده قراءة ولكن البار والاول اوفق واحسن والمراد بالكتاب
الجنس او القرآن وقرأ نافع وابن عامر ولكن بالتخفيف ورفع البر وآتى المال على حبه اى على حب المال كما قال
عليه السلام لما سئل اى صدقة افضل قال ان تؤتيه وانت صحيح شحيح تأمل الغنى وتخشى الفقر وقيل الضمير
او للمصدر والجار والمجرور فى موضع الحال ذوى القربى واليتامى يريد المحاويج منهم ولم يقيد لعدم الالتباس
وقدم ذوى القربى لان ايتاءهم كما قال عليه السلام صدقة وصلة والمساكين جمع مسكين وهو الذى اسكنه الحاجة واصله دائم السكون كالمسكير لدائم السكر وابن السبيل
المسافر وسمى به للازمته السبيل كما سمى القاطع ابن الطريق وقيل الضيف لان السبيل يرفده والسائلين الذين
الجأتهم الحاجة الى السؤال وقال عليه السلام للسائل حق وان جاء على فرسه وفى الرقاب وفى تخليصها بمعاونة
المكاتبين او فك الاسارى او ابتياع الرقاب لعتقها واقام الصلوة المفروضة واتى الزكوة يحتمل ان يكون
المقصود منه ومن قوله وآتى المال الزكوة المفروضة ولكن الغرض من الاولى بيان مصارفها وبالثانى
اداءها والحث عليها ويحتمل ان يكون المراد بالاول نوافل الصدقات او حقوقا كانت فى المال سوى الزكوة
وفى الحديث نسخت الزكوة كل صدقة والموفون بعهدهم اذا عاهدوا وانتصب على المدح وقيل الضمير فى
البأساء والضراء نصبه على المدح ولم يعطف لفضل الصبر على سائر الاعمال وعن الازهرى البأساء فى الاموال
كالفقر والضراء فى الانفس كالمرض وحين البأس وقت مجاهدة العدو واولئك الذين صدقوا فى الدين
واتباع الحق وطلب البر واولئك هم المتقون عن الكفر وسائر الرذائل والآية كما ترى جامعة للكمالات الانسانية
باسرها دالة عليها صريحا او ضمنا فانها بكثرتها وتشعبها مستخرجة من ثنايا صحة الاعتقاد وحسن
المعاشرة وتهذيب النفس ولقد اشير الى الاول بقوله تع من اس الى والنبيين والى الثانى بقوله واتى المال
الى وفى الرقاب والى الثالث بقوله تع واقام الصلوة الى اخرها ولذلك وصف المستجمع لها بالصدق نظرا
الى ايمانه واعتقاده وبالتقوى اعتبارا بمعاشرته للخلق ومعاملته مع الحق والله اشار بقوله عليه السلام
من عمل بهذه الآية فقد استكمل الايمان يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص فى القتلى الحر بالحر
والعبد بالعبد والانثى بالانثى كان فى الجاهلية بين حيين من احياء العرب دماء وكان لاحدهما

اهتمام
تمام كشى حوشر طوقى

قوله ذوى القربى مفعول آتى
صح

تقديم الجار المجرور على فاعل عرف الباب
خلافا لمن يمنع ذلك كما يمنع عرف الناقة
يا لهفا طوالة الدهر ،،،

فى نصب الاسماء المعدودة على التمييز من العدد المركب من احد عشر الى تسعة عشر وفى بناء الجزءين على الفتح او بناء الاول على السكون وفى اعرابه اقوال ذكرها النحاة فى مغنى اللبيب وفى نصب الاسماء المعطوفة على المبنى من العدد المركب كخمسة عشر وخمسة عشر وفى نصب الاسماء المعطوفة على المبنى من العدد المركب كخمسة عشر وخمسة عشر وفى نصب الاسماء المعطوفة على المبنى من العدد المركب كخمسة عشر وخمسة عشر

طول على الآخر فاستحق القتل منكم الحر بالعبد والذكر بالانثى فلما جاء الاسلام تحاكموا الى رسول الله
فنزلت وامرهم ان يتبادوا اى يتساووا من البوء وهو التسوية والايذان على ان لا يقتل الحر بالعبد
والذكر بالانثى كما لا يدل على عكسه فان المفهوم حيث لم يظهر للتخصيص غرض سوى اختصاص الحكم
وقد بينا ما كان الغرض وانما منع مالك والشافعي قتل الحر بالعبد سواء كان عبده او عبد غيره
لما روى عن علي رضه ان رجلا قتل عبده فجلده الرسول ونفاه سنة ولم يقده به وروى عنه عليه السلام
انه قال من السنة ان لا يقتل مسلم بذي عهد ولا حر بعبد ولان ابا بكر وعمر رضهما كانا لا يقتلان
الحر بالعبد بين اظهر الصحابة رض من غير نكير ولا يقاس على الاطراف ومن سلم دلالة فليس له دعوى نسخه
بقوله ان النفس بالنفس لانه حكاية ما في التورية فلا ينسخ ما في القرآن واحتجت الحنفية به على ان مقتضى
العمد القود وحده وهو ضعيف اذ الواجب على التخيير يصدق عليه انه وجب وكتب ولذلك قيل التخيير
بين الواجب وغيره ليس نسخا بوجوه وقرئ كتب على البناء للمفعول للفاعل والقصاص بالنصب وكذلك
كل فعل جاء في القرآن فمن عفي له من اخيه شيء اى شيء من العفو لان عفا لازم وفائدة الاشعار بانه
بعض العفو كالعفو التام في اسقاط القصاص وقيل عفي بمعنى ترك وشيء مفعول به وهو ضعيف
اذ لم يثبت عفى الشيء بمعنى ترك بل عفاه وعفى عنه بعن الى الجاني والى الذنب قال الله تعالى عفا الله
عنك وقال عفى الله عنها فاذا عدي به الى الذنب عدي الى الجاني باللام وعليه ما في الاية
كانه قيل فمن عفي له عن جنايته من جهة اخيه يعني ولي الدم وذكره بلفظ الاخوة النابئة بينهما
من الجنسية والاسلام ليرقه له ويعطف عليه فاتباع بالمعروف واداء اليه باحسان اى فليكن
اتباع او فالامر اتباع والمراد به وصية العافي بان يطالب بالدية بالمعروف فلا يعنف والمعفو عنه
بان يعود بها باحسان وهو ان لا يمطل ولا يبخس وفيه دليل على ان الدية احد مقتضى العمد
والا لما رتب الامر باداءها على مطلق العفو وللشافعي رح في المسئلة قولان ذلك اى الحكم المذكور
في العفو والدية تخفيف من ربكم ورحمة لما فيه من التسهيل والنفع فيل كتب على اليهود القصاص
وحده وعلى النصارى العفو مطلقا وخير هذه الامة بينهما وبين الدية تيسيرا عليهم وتقرير الحكم
على حسب مراتبهم فمن اعتدى بعد ذلك اى قتل بعد اخذ العفو واخذ الدية فله عذاب اليم في
الاخرة وقيل في الدنيا بان يقتل لا محالة لقوله عم لا اعافي احدا قتل بعد اخذه الدية ولكم في

القصاص

فمن ينبط بتقضي العفو الخ
والجهة فاتباع

حيث لم يحتم العفو واخذ
الدية بل خيركم بين
القصاص واخذ
الدية

القصاص حيوة كلام في غاية الفصاحة والبلاغة من حيث جعل الشيء محل ضده وعرف القصاص
ونكر الحيوة ليدل على ان في هذا الجنس من الحكم نوعا من الحيوة عظيما وذلك لان العالم بهذا الحكم
من القتل فيكون سببا لحيوة نفسين وانهم كانوا يقتلون غير القاتل والجماعة بالواحد فتثور
الفتنة بينهم فاذا اقتص من القاتل سلم الباقون ويصير ذلك سببا لحيوتهم وعلى الاول ضده
اضمار وعلى الثاني تخصيص وقيل المراد بالحيوة الاخروية فان القاتل اذا اقتص في الدنيا لم يؤاخذ
به في الآخرة ولكم في القصاص يحتمل ان يكونا خبرين لحيوة وان يكون احدهما خبرا والآخر صلة
او حالا عن الضمير المستكن فيه وقرئ في القصص اى فيما قص عليكم من حكم القتل او في القرآن
حيوة للقلوب يا اولي الالباب ذوي العقول الكاملة نادبهم للتامل في حكمة القصاص من
استبقاء الارواح وحفظ النفوس لعلكم تتقون في المحافظة على القصاص والحكم به والاذعان
له او عن القصاص فتكفوا عن القتل كتب عليكم اذا حضر احدكم الموت اى حضر اسبابه وظهرت
امارته ان ترك خيرا مالا وقيل مالا كثيرا لما روى عن علي رضه ان مولى له اراد ان يوصي وله سبعمائة
درهم فمنعه وقال قال الله تعالى ان ترك خيرا والخير المال الكثير وعن عائشة رضها ان رجلا اراد
ان يوصي فسالتهم كم مالك فقال ثلثة آلاف فقالت فكم عيالك فقال اربعة فقالت انما قال الله تعالى
ان ترك خيرا وان هذا شيء يسير فاتركه لعيالك الوصية للوالدين والاقربين مرفوع بكتب وتذكير
الفعل او على تاويل ان يوصي او الايصاء ولذلك ذكر الراجع في قوله تعالى فمن بدله والعامل في اذا
فعلها
فكتب لا الوصية لتقدمه عليها وقيل مبتدا خبره للوالدين والجملة جواب الشرط باضمار الفاء كقوله
من يفعل الحسنات الله يشكرها ورد بانه يتخ فمن ضرورة الشعر وكان هذا الحكم في بدء الاسلام
فنسخ بآية المواريث وبقوله عليه السلام ان الله اعطى لكل ذي حق حقه الا لا وصية لوارث
وفيه نظر لان آية المواريث لا تعارضه بل تؤكده من حيث انها تدل على تقديم الوصية مطلقا
والحديث من الآحاد وتلقي الامة بالقبول لا يلحقه بالمتواتر ولعله احترز عنه من فسر الوصية
بما اوصى به الله تعالى من توريث الوالدين والاقربين بقوله يوصيكم الله او بايصاء المحتضر
لهم بتوفير ما اوصى الله تعالى عليهم بالمعروف بالعدل فلا يفضل الغني ولا يتجاوز الثلث
حقا على المتقين مصدر مؤكد اى حق ذلك حقا فمن بدله غيره من الاوصياء والشهود بعد ما

الحاق ٤

القصاص

بعد ما سمعه وصل اليه وتحقق عنده فانما اثمه على الذين يبدلونه فما اثم الايصاء المغير او التبديل
الا على مبدله لانه هو الذي خان وخالف الشرع ان الله سميع عليم وعيد للمبدل بغير حق فمن خاف
موص اي توقع وعلم من قولهم اخاف ان يرسل السماء وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب وابو بكر
موص جنفا ميلا بالخطأ في الوصية او اثما تعمدا للحيف فاصلح بينهم بين الموصى لهم باجرائهم
على نهج الشرع فلا اثم عليه في هذا التبديل لانه تبديل مائل الى حق بخلاف الاول ان الله غفور رحيم
وعد للمصلح وذكر المغفرة لمطابقة ذكر الاسم وكون الفعل من جنس ما يوثم يا ايها الذين امنوا كتب
عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم يعني الانبياء والامم من لدن آدم عليه السلام وفيه تأكيد
للحكم وترغيب على الفعل وتطييب على النفس والصوم في اللغة الامساك عما تنازع اليه النفس
وفي الشرع الامساك عن المفطرات فانه معظم ما تشتهيه الانفس لعلكم تتقون المعاصي فان
الصوم يكسر الشهوة التي هي مبدؤها كما قال عليه السلام فعليه بالصوم فانه له وجاء او الاخلال
بادائه لاصالته وقدمه اياما معدودات موقتات بعدد معلوم او قلائل فان القليل من المال يعد
عدا والكثير يهال هيلا ونصبها ليس بصيام لوقوع الفصل بينهما بل باضمار صوموا لدلالة الصيام
عليه والمراد بها رمضان او ما وجب صومه قبل وجوبه ونسخ به وهو عاشوراء وثلثة ايام
من كل شهر او بكما كتب على الظرفية او على انه مفعول ثان لكتب عليكم على السعة وقيل معناه صومكم
كصومهم في عدد الايام لما روي ان رمضان كتب على النصارى فوقع في برد او حر شديد فحولوه
الى الربيع وزادوا عليه عشرين كفارة لتحويله وقيل زادوا ذلك لموتان اصابهم فمن كان منكم مريضا
مريضا يضره الصوم ويعسر معه او على سفر او راكب سفر وفيه ايماء بان من سافر اثناء اليوم
لم يفطر فعدة من ايام اخر اي فعليه صوم عدد ايام المرض او السفر من ايام اخر ان افطر فحذف
الشرط والمضاف والمضاف اليه للعلم به وقرئ بالنصب اي فليصم عدة وهذا على سبيل الرخصة
وقيل على الوجوب واليه ذهب الظاهرية وبه قال ابو هريرة رضي الله عنه وعلى الذين يطيقونه وعلى المطيقين
للصيام ان افطروا فدية طعام مسكين نصف صاع من بر او صاع من غيره عند فقهاء العراق ومد عند فقهاء الحجاز
رخص لهم ذلك في اول الامر لما امروا بالصوم فاشتد عليهم لانهم لم يتعودوه ثم نسخ وقرأ نافع وابن عامر برواية ابن
ذكوان باضافة الفدية الى الطعام وجمع المسكين وقرئ يطوقونه اي يكلفونه او يقلدونه من الطوق بمعنى الطاقة او القلادة

وقرئ

الفرق بين الجنف والاثم ان الجنف هو الخطأ من حيث لا يعلم به والاثم هو العمد كبير

اقبل اليهم بالخطاب هتفا للسامع وتنشيطا له واهتماما لامر الصوم وتفخيما لشانه وجبرا لكلفة الصوم بلذة المخاطبة

من اطاق فلان اذا زال طاقته والهمزة للسلب صح

الفدية في معنى الجزاء وهو عبارة عن البدل القائم عن الشيء كبير

وقرئ ويتطوقونه اي يتكلفونه او يتقلدونه ويطوقونه بالادغام ويطيقونه ويطيقونه على ان اصلهما
يطيوقونه ويتطيوقونه من فيعل وتفيعل بمعنى يتطيقونه وعلى هذه القراءات يحتمل معنى ثانيا
وهو الرخصة لمن يتعبه الصوم ويجهده وهم الشيوخ والعجائز في الافطار والفدية فيكون
ثابتا وقد اول به القراءة المشهورة اي يصومونه جهدهم وطاقتهم فمن تطوع خيرا قرأ في الفدية
فهو فالتطوع او الخير خير له وان تصوموا ايها المطيقون او المطوقون وجهدتم طاقتكم او المر
خصون في الافطار ليندرج تحته المريض والمسافر خير لكم من الفدية وتطوع الخير او منهما ومن
التاخير للقضاء ان كنتم تعلمون ما في الصوم من الفضيلة وبراءة الذمة وجوابه محذوف دل
عليه ما قبله اي اخترتموه وقيل معناه ان كنتم من اهل العلم والتدبر علمتم ان الصوم خير من
ذلك شهر رمضان مبتدأ خبره ما بعده او خبر محذوف تقديره ذلكم شهر رمضان او بدل
من الصيام على حذف المضاف اي كتب عليكم الصيام صيام شهر رمضان وقرئ بالنصب على
اضمار صوموا او على انه مفعول وان تصوموا وفيه ضعف او بدل من ايام معدودات والشهر
من الشهرة ورمضان مصدر رمض اذا احترق فاضيف اليه الشهر وجعل علما ومنع من الصرف
للعلمية والالف والنون كما منع داية في ابن داية علما للغراب للعلمية والتانيث وقوله
عليه السلام من صام رمضان فعلى حذف المضاف لامن الالتباس وانما سموه بذلك
اما لارتماضهم فيه من حر الجوع والعطش او لارتماض الذنوب فيه او لوقوعه ايام رمض الحر
حين ما نقلوا اسماء الشهور عن اللغة القديمة الذي انزل فيه القرآن اي ابتدئ فيه
انزاله وكان ذلك ليلة القدر او انزل فيه جملة الى سماء الدنيا ثم نزل منجما الى الارض او انزل
في شانه القرآن وهو قوله كتب عليكم الصيام وعن النبي صلى الله عليه وسلم نزلت صحف ابرهيم
اول ليلة من رمضان وانزلت التورية لست مضين والانجيل لثلث عشرة والقرآن لاربع
وعشرين والموصول بصلته خبر المبتدأ او صفته والخبر فمن شهد والفاء لوصف المبتدأ
بما تضمن معنى الشرط وفيه اشعار بان الانزال فيه سبب اختصاصه بوجوب الصوم هدى

الرخصة للشيوخ والعجائز في الافطار والفدية

مبتدأ صح

وفيه اشعار بان الانزال فيه سبب اختصاصه
بوجوب الصوم فيه

للناس وبينات من الهدى والفرقان حالان من القرآن اى انزل وهو هداية الله للناس
باعجازه وآيات واضحات متاين هدى الحق ويفرق بينه وبين الباطل فمن شهد منكم الشهر فليصمه
فمن حضر في الشهر ولم يكن مسافرا فليصم فيه والاصل فمن شهد فيه فليصم فيه ولكن وضع
المظهر موضع المضمر الاول للتعظيم ونصب على الظرف وحذف الجار ونصب الضمير الباقي على الاتساع
وقيل فمن شهد منكم هلال الشهر فليصمه على انه مفعول به كقولك شهدت الجمعة
اى صلوتها فيكون ومن كان مريضا او على سفر فعدة من ايام أخر مخصصا له لان المسافر و
المريض ممن شهد الشهر ولعل تكريره لذلك او لئلا يتوهم نسخه لما نسخ قرينه يريد الله بكم
اليسر ولا يريد بكم العسر اى يريد ان ييسر عليكم ولا يعسر ولذلك اباح الفطر للسفر والمرض
ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هديكم ولعلكم تشكرون علل لفعل محذوف دل عليه ما سبق
اى وشرع جملة ما ذكر من امر الشاهد بصوم الشهر والمرخص بالقضاء ومراعاة عدة ما افطر فيه
والترخيص لتكملوا العدة الى آخرها على سبيل اللف فان قوله ولتكملوا علة الامر بمراعاة العدد
ولتكبروا الله علة الامر بالقضاء وبيان كيفيته ولعلكم تشكرون علة الترخيص والتيسير
او الافعال كلها لفعله او معطوفه على علة مقدرة مثل ليسهل عليكم او لتعلموا ما تعملون ولتكملوا
ويجوز ان يعطف على اليسر اى ويريد بكم لتكملوا كقوله يريدون ليطفئوا والمعنى تارة لتكبير تعظيم الله
بالحمد والثناء عليه ولذلك عدى بعلى وقيل تكبير يوم الفطر وقيل التكبير عند الاهلال وما يحتمل
المصدر والجزاء الذي هداكم اليه وعن عاصم ولتكملوا بالتشديد واذا سألك عبادي عني
فاني قريب اى فقل لهم اني قريب وهو تمثيل لكمال علمه بافعال العباد واقوالهم واطلاعه على
احوالهم بحال من قرب مكانه منهم روي ان اعرابيا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم
اقريب ربنا فنناجيه ام بعيد فنناديه فنزلت اجيب دعوة الداع اذا دعاني تقرير للقرب
ووعد للداعي بالاجابة فليستجيبوا لي اذا دعوتهم للايمان والطاعة كما اجبتهم اذا دعوني
لمهماتهم وليؤمنوا بي امرا بالثبات والمداومة عليه لعلهم يرشدون راجين اصابة الرشد

وهو

وهو اصابة الحق وقرئ بفتح الشين وكسرها واعلم انه تعالى لما امرهم بصوم الشهر ومراعاة
العدة وحثهم على القيام بوظايف التكبير والشكر عقبه بهذه الآية الدالة على انه خبير باحوالهم
سميع لاقوالهم مجيب لدعائهم مجازيهم على اعمالهم تاكيدا له وحثا عليه ثم بين احكام الصوم
احل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم روي ان المسلمين كانوا اذا امسوا حل لهم الاكل والشرب
والجماع الى ان يصلوا العشاء او ينيموا ثم ان عمر رضي الله عنه باشر بعد العشاء فندم بعد
العشاء واتى النبي صلى الله عليه وسلم واعتذر اليه فقام رجال واعترفوا بما صنعوا بعد العشاء فنزلت
وليلة الصيام الليلة التي يصح منها صائما والرفث كناية عن الجماع لانه لا يكاد يخلو من رفث
وهو الافصاح بما يجب ان يكنى عنه وعدي بالى لتضمنه معنى الافضاء وايثاره ههنا لتقبيح ما ارتكبوا
ولذلك سمي خيانة وقرئ الرفوث هن لباس لكم وانتم لباس لهن استيناف يبين سبب
حلال وهو قلة الصبر عنهن وصعوبة اجتنابهن لكثرة المخالطة وشدة الملابسة ولما كان الرجل
والمراة يعتنقان وينشمل كل منهما على صاحبه شبه بالملابس قال الجعدي اذا ما الضجيع ثنى عطفها
ثنت فكانت عليه لباسا او لان كل واحد منهما يستر حال صاحبه ويمنعه عن الفجور علم الله
انكم كنتم تختانون انفسكم تظلمونها بتعريضها للعقاب وتنقيص حظها من الثواب والاختيان
المبالغ من الخيانة كالاكتساب من الكسب فتاب عليكم لما تبتم مما اقترفتم وعفا عنكم
عنكم اثره فالآن باشروهن لما نسخ عنكم التحريم وفيه دليل على جواز نسخ السنة بالقرآن
والمباشرة الملاقاة من البشرة بالبشرة كني به عن الجماع وابتغوا ما كتب الله لكم واطلبوا ما قدر الله
لكم واثبته في اللوح من الولد وللمعنى ان المباشرة ينبغي ان يكون غرضه الولد فانه الحكمة من خلق
الشهوة ونزع لاقضاء الوطر وقيل النهي عن العزل وقيل عن عزل الماتي والتقدير وابتغوا
المحل الذي كتب الله لكم وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر
شبه اول ما يبدو من الفجر المعترض في الافق وما يمتد معه من غبش الليل بخيطين ابيض واسود
واكتفى ببيان الخيط الابيض بقوله من الفجر عن بيان الخيط الاسود لدلالته عليه وبذلك خرج عن

الاستعارة الى التمثيل ويجوز ان يكون من للتبعيض فان ما يبدو بعض الفجر وما روى انها نزلت
ولم ينزل من الفجر فعمد رجال الى خيطين اسود وابيض ولا يزالون ياكلون ويشربون حتى تبينا لهم فنزلت
ان صح فلعله كان قبل دخول رمضان وتاخير البيان الى وقت الحاجة جائز او اكتفى اولا باشتهارهما
في ذلك ثم صرح بالبيان لما التبس على بعضهم وفي تجويز المباشرة الى الصبح الدلالة على جواز تاخير الغسل
اليه وصحة صوم المصبح جنبا ثم اتموا الصيام الى الليل بيان آخر وقته ولا تباشروهن وانتم عا
كفون في المساجد معتكفون فيها والاعتكاف هو اللبث في المسجد بقصد القربة والمراد بالمباشرة
الوطي وعن قتادة كان الرجل يعتكف فيخرج الى امراته فيباشرها ثم يرجع فنهوا عن ذلك وفيه دليل
على ان الاعتكاف يكون في المسجد ولا يختص بمسجد دون مسجد وان الوطي يحرم فيه ويفسده لان
النهي في العبادات يوجب الفساد تلك حدود الله اي الاحكام التي ذكرت فلا تقربوها نهي ان يقرب
الحد الحاجز بين الحق والباطل لئلا يداني الباطل فضلا ان يتخطى عنه كما قال عليه السلام ان لكل ملك
حمى وان حمى الله محارمه ومن رتع حول الحمى يوشك ان يقع فيه وهو ابلغ من قوله فلا
تعتدوها ويجوز ان يريد بحدود الله محارمه ومناهيه كذلك مثل ذلك التبيين يبين
الله آياته للناس لعلهم يتقون مخالفة الاوامر والنواهي ولا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل
اي لا ياكل بعضكم مال البعض على الوجه الذي لم يبحه الله وبين نصب على الظرف او الحال
من الاموال وتدلوا بها الى الحكام عطف على المنهي او نصب باضمار ان والادلاء الالقاء
اي ولا تلقوا حكومتها الى الحكام لتاكلوا بالتحاكم فريقا طائفة من اموال الناس بالاثم بما يوجب
اثما كشهادة الزور واليمين الكاذبة او ملتبسين بالاثم وانتم تعلمون انكم مبطلون فان
ارتكاب المعصية مع العلم بها اقبح روي ان العبدان الحضرمي ادعى على امرء القيس الكندي قطعة
ارض ولم يكن له بينة فحكم رسول الله صلعم بان يحلف امرء القيس فهم به فقرا رسول الله
صلعم ان الذين يشترون بعهد الله وايمانهم ثمنا قليلا فارتدع عن اليمين وسلم الارض الى
عبدان فنزلت وهي دليل على ان حكم القاضي لا ينفذ باطنا ويؤيده قوله عليه السلام انما

انا بشر

انا بشر وانتم تختصمون الي ولعل بعضكم يكون الحن بحجته من بعض فاقضي له على نحو
ما اسمع منه فمن قضيت له بشيء من حق اخيه فانما اقطع له قطعة من نار يسئلونك
عن الاهلة سأله معاذ ابن جبل وثعلبة بن غنم فقالا ما بال الهلال يبدو دقيقا كا
لخيط ثم يزيد حتى يستوي ثم لا يزال ينقص حتى يعود كما بدا قل هي مواقيت للناس والحج انهم
سألوا عن الحكمة في اختلاف حال القمر وتبدل امره فامره الله بان يجيب بان الحكمة الظاهرة
في ذلك ان يكون معالم للناس يوقتون بها امورهم ومعالم للعبادات الموقتة كالحج يعرف
بها اوقاتها وخصوصا الحج فان الوقت مراعى فيه اداء وقضاء والمواقيت جمع ميقات
من الوقت والفرق بينه وبين المدة والزمان ان المدة المطلقة امتداد حركة الفلك من
مبدائها الى منتهاها والزمان مدة مقسومة والوقت الزمان المفروض لامر وليس البر بان تاتوا
البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى كان الانصار اذا احرموا لم يدخلوا دارا ولا
فسطاطا من بابه وانما يدخلون ويخرجون من نقب او فرجة وراءه ويعدون برا فبين لهم الله
انه ليس ببر وانما البر بر من اتقى المحارم والشهوات ووجه اتصاله بما قبله انهم سألوا عن
الامرين او انه لما ذكر انها مواقيت الحج وهذا ايضا من افعالهم في الحج ذكره للاستطراد او انهم
لما سألوا عما لا يعنونه ولا يتعلق بعلم النبوة وتركوا السؤال عما يعنونه ويختص بعلم النبوة
عقب بذكره جواب ما سألوه تنبيها على ان اللائق بهم ان يسألوا امثال ذلك ويهتموا بالعلم
بها او ان المراد به التنبيه على تعكيسهم السؤال بحال من ترك باب البيت ودخل من ورائه والمعنى
ليس البر ان تعكسوا في مسائلكم ولكن البر بر من اتقى ذلك ولم يجر على مثله واتوا البيوت من ابوا
بها اذ ليس في العدول بر او باشروا الامور من وجوهها واتقوا الله في تغيير احكامه والا
على افعاله لعلكم تفلحون لكي تظفروا بالهدى والبر وقاتلوا في سبيل الله جاهدوا لاعلاء كلمة الله
واعزاز دينه الذين يقاتلونكم قيل كان ذلك قبل ان امروا بقتال المشركين كافة المقا
تلين منهم والمحاجزين وقيل معناه الذين يناصبونكم القتال ويتوقع منهم ذلك دون غيرهم

من المشايخ والصبيان والرهبانية والنساء او الكفرة كلهم فانهم بصدد قتال المسلمين وعلى
قصده ويؤيد الاول ما روى ان المشركين صدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية وصالحوه
على ان يرجع من قابل فيخلوا له مكة ثلثة ايام فرجع لعمرة القضاء وخاف المسلمون ان لا يفوا لهم ويقا
تلوهم في الحرم او الشهر الحرام وكرهوا ذلك فنزلت ولا تعتدوا بابتداء القتال او بقتال المعاهد
والمفاجاة به من غير دعوة او المثلة وقتل من نهيتم عن قتله ان الله لا يحب المعتدين لا يريد بهم
الخير واقتلوهم حيث ثقفتموهم حيث وجدتموهم في حل او حرم واصل الثقف الحذق في
ادراك شيء علما كان او عملا وهو يتضمن الغلبة ولذلك استعمل فيها قال فاما تثقفوني فا
قتلوني فمن اثقف فليس الى خلود واخرجوهم من حيث اخرجوكم اي مكة وقد فعل ذلك بمن
لم يسلم يوم الفتح والفتنة اشد من القتل اي المحنة التي يفتتن بها الانسان كالاخراج من الوطن
اصعب من القتل لدوام تعبها وتالم النفس بها وقيل معناه شركهم في الحرم وصدهم اياكم
عنه اشد من قتلكم اياهم فيه ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه لا تفاتحوهم
بالقتال وهتك حرمة المسجد الحرام فان قاتلوكم فاقتلوهم فلا تبالوا بقتالهم ثم فانهم
الذين هتكوا حرمته وقرا حمزة والكسائي ولا تقتلوهم حتى يقتلوكم فان قتلوكم والمعنى حتى
يقتلوا بعضكم كقولهم قتلتنا بنو اسد كذلك جزاء الكافرين مثل ذلك جزاؤهم يفعل بهم
مثل ما فعلوا فان انتهوا عن القتال والكفر فان الله غفور رحيم يغفر لهم ما قد سلف وقاتلوهم
حتى لا تكون فتنة شرك ويكون الدين كله لله خالصا ليس للشيطان فيه نصيب فان انتهوا عن الشرك
فلا عدوان الا على الظالمين فلا تعتدوا على المنتهين اذ لا يحسن ان يظلم الا من ظلم فوضع
العلة موضع الحكم وسمي جزاء الظلم باسمه للمشاكلة كقوله فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه
او انكم ان تعرضتم للمنتهين صرتم ظالمين وينعكس الامر عليكم والفاء الاولى للتعقيب والثانية للجزاء
الشهر الحرام بالشهر الحرام قاتلهم المشركون عام الحديبية في ذي القعدة واتفق خروجهم
لعمرة القضاء فيه وكرهوا ان يقاتلوهم لحرمته فقيل لهم هذا الشهر بذاك وهتكه بهتكه فلا

تبالوا به

تبالوا به والحرمات قصاص احتجاج عليه اي كل حرمة وهو ما يجب ان يحافظ عليها تجري فيه
القصاص فلما هتكوا حرمة شهركم بالصد فافعلوا بهم وادخلوا عليهم عنوة واقتلوهم ان قاتلوكم
كما قال فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم وهو فذلكة التقرير
واتقوا الله في الانتصار ولا تعتدوا الى ما لم يرخص لكم واعلموا ان الله مع المتقين فيحرسهم
ويصلح شانهم وانفقوا في سبيل الله ولا تمسكوا كل الامساك ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة
بالاسراف وتضييع وجه المعاش او بالكف عن الغزو والانفاق فيه فانه يقوي العدو ويسلطهم
على اهلاككم ويؤيده ما روي عن ايوب الانصاري انه قال لما اعز الله الاسلام وكثر اهله
رجعنا الى اهلينا واموالنا نقيم فيها ونصلحها فنزلت او بالامساك وحب المال فانه يؤدي
الى الهلاك المؤبد ولذلك سمي البخل هلاكا وهو في الاصل انتهاء الشيء في الفساد والالقاء
طرح الشيء وعدي بالى لتضمن معنى الانتهاء والباء مزيدة والمراد بالايدي الانفس والتهلكة
والهلاك والهلك واحد فهي مصدر كالتضرة والنسرة اي لا توقعوا انفسكم في الهلاك وقيل
معناه لا تجعلوها آخذة بايديكم او لا تلقوا بايديكم انفسكم اليها فحذف المفعول واحسنوا اعما
لكم واخلاقكم او تفضلوا على المحاويج ان الله يحب المحسنين واتموا الحج والعمرة لله
ائتوا بهما تامين مستجمع المناسك لوجه الله وهو على هذا يدل على وجوبهما ويؤيده قراءة من قرا
واقيموا الحج والعمرة وما روى جابر انه قيل يا رسول الله العمرة واجبة مثل الحج فقال لا
ولكن ان تعتمر خير لك معارض بما روي ان رجلا قال لعمر اني وجدت الحج والعمرة مكتوبين علي
اهللت بهما جميعا فقال هديت لسنة نبيك ولا يقال انه فسر وجدانهما مكتوبين بقوله
اهللت بهما فجاز ان يكون الوجوب بسبب اهلاله بهما لانه رتب الاهلال على الوجدان وذلك
يدل على انه سبب الاهلال دون العكس وقيل اتمامهما ان تحرم بهما من دويرة اهلك او
ان تفرد لكل منهما سفرا او ان تجرده لهما لا يشوبهما بغرض دنيوي او ان تكون النفقة حلالا
فان احصرتم منعتم يقال حصره العدو واحصره اذا حبسه ومنعه عن المضي مثل صده

واصدّه والمراد حصر العدو عند مالك والشافعي لقوله فاذا امنتم ولنزوله في الحديبية ولقول
ابن عباس لا حصر الا حصر العدو وكل منع من عدو او مرض او غيرهما عند ابي حنيفة لما روي عنه
عليه السلام من كسر او عرج فعليه الحج من قابل وهو ضعيف مأول بما اذا شرط الاحلال به
لقوله عليه السلام لضباعة بنت الزبير حجي واشترطي وقولي اللهم محلي حيث حبستني فما
استيسر من الهدي فعليكم ما استيسر او فالواجب ما استيسر او فاهدوا ما استيسر والمعنى ان
احصر المحرم واراد ان يتحلل تحلل بذبح هدي يسر عليه من بدنة او بقرة او شاة حيث احصر عند الاكثر
لانه عليه السلام ذبح عام الحديبية بها وهي من الحل وعند ابي حنيفة يبعث به ويجعل للمبعوث
بيده يوم امار فاذا جاء اليوم وظن انه ذبح تحلل لقوله ولا تحلقوا رؤسكم حتى يبلغ الهدي محله
اي لا تحلوا حتى تعلموا ان الهدي المبعوث الى الحرم بلغ محله اي مكانه الذي يجب ان ينحر فيه وحمل
الاولون بلوغ الهدي محله على ذبحه حيث يحل ذبحه فيه حلا كان او حرما واقتصاره على الهدي
دليل على عدم القضاء وقال ابو حنيفة يجب القضاء والمحل بالكسر يطلق للمكان والزمان والهدي
جمع هدية كجدي وجدية وقرئ من الهدي جمع هدية كمطي ومطية فمن كان منكم مريضا مرضا
يحوجه الى الحلق او به اذى من رأسه كجراحة وقمل ففدية فعليه فدية ان حلق من صيام
او صدقة او نسك بيان لجنس الفدية واما قدرها فقد روي انه عليه السلام قال لكعب
بن عجرة لعلك آذاك هوامك قال نعم يا رسول الله قال احلق وصم ثلثة ايام او تصدق بفرق
على ستة مساكين او انسك شاة والفرق ثلثة آصع فاذا امنتم الاحصار او كنتم في حال سعة
وامن فمن تمتع بالعمرة الى الحج فمن استمتع وانتفع بالتقرب الى الله بالعمرة قبل الانتفاع
بتقربه بالحج في اشهره وقيل فمن استمتع بعد التحلل من عمرته باستباحة محظورات الاحرام الى ان
يحرم بالحج فما استيسر من الهدي فعليه دم استيسره بسبب التمتع فهو دم جبران يذبحه اذا
احرم بالحج ولا ياكل منه وقال ابو حنيفة انه دم نسك فهو كالاضحية فمن لم يجد اي الهدي فصيام
ثلثة ايام في الحج في ايام الاشتغال به بعد الاحرام وقبل التحلل وقال ابو حنيفة في اشهره

بين

بين الاحرامين والاحب ان يصوم سابع ذي الحجة وثامنه وتاسعه ولا يجوز يوم النحر وايام
التشريق عند الاكثرين وسبعة اذا رجعتم الى اهليكم وهو احد قولي الشافعي او نفرتم وفرغتم من
اعماله وهو قوله الثاني ومذهب ابي حنيفة وقرئ سبعة بالنصب عطفا على محل ثلثة ايام تلك عشرة
فذلكة الحساب وفائدتها ان لا يتوهم متوهم ان الواو بمعنى او كقولك جالس الحسن وابن سيرين
وان يعلم العدد جملة كما علم تفصيلا فان اكثر العرب لم يحسنوا الحساب وان المراد بالسبعة
دون الكثرة فانه يطلق لها كاملة صفة مؤكدة تفيد المبالغة في محافظة العدد او مبينة كمال
العشرة فانه اول عدد كامل اذ به ينتهي الآحاد ويتم مراتبها او مقيدة تفيد كمال بدليتها من الهدي
ذلك اشارة الى الحكم المذكور عندنا والتمتع عند ابي حنيفة لانه لا متعة ولا قران لحاضري المسجد الحرام
عنده فمن فعل ذلك منهم فعليه دم جناية لمن لم يكن اهله حاضري المسجد الحرام وهو من كان من الحرم
على مسافة القصر عندنا فانه مقيم الحرم او في حكمه ومن مسكنه وراء الميقات عنده واهل الحل
عند طاووس وغير المكي عند مالك واتقوا الله في المحافظة على اوامره ونواهيه وخصوصا في الحج
واعلموا ان الله شديد العقاب لمن لم يتقه كي يصدكم العلم به عن العصيان الحج اشهر اي وقته
كقولك البرد شهران معلومات معروفات وهي شوال وذو القعدة وتسع ذي الحجة بليلة
النحر عندنا والعشر عند ابي حنيفة وذو الحجة كله عند مالك وبناء الخلاف ان المراد بوقته وقت
احرامه او وقت اعماله ومناسكه او ما لا يحسن فيه غيره من المناسك مطلقا فان مالكا كره العمرة
في بقية ذي الحجة وابو حنيفة وان صح الاحرام به قبل شوال فقد استكرهه وانما سمي شهرين
وبعض شهر اشهرا اقامة للبعض مقام الكل او اطلاقا للجمع على ما فوق الواحد فمن فرض فيهن الحج
فمن اوجبه على نفسه بالاحرام فيهن عندنا وبالتلبية او سوق الهدي عند ابي حنيفة وهو دليل
على ما ذهب اليه الشافعي وان من احرم بالحج لزمه الاتمام فلا رفث فلا جماع او فلا فحش من الكلام
ولا فسوق ولا خروج عن حدود الشرع بالسباب وارتكاب المحظورات ولا جدال ولا مراء مع الخدم
والرفقة في الحج في ايامه نفي الثلثة على قصد النهي للمبالغة والدلالة على انها حقيقة بان لا تكون

ومنها ما كانت مستقبحة في نفسها ففي الحج افتح كلبس الحرير في الصلوة والتطريب بقراءة القرآن
لانه خروج عن مقتضى الطبع والعادة الى محض العبادة وقرا ابن كثير وابو عمرو ولا ولين بالرفع
على معنى لا يكونن رفث ولا فسوق والثالث بالفتح على معنى الاخبار بانتفاء الخلاف في الحج وذلك
ان قريشا كانت تخالف سائر العرب فتقف بالمشعر الحرام فارتفع الخلاف بان امروا بان يقفوا
ايضا بعرفة وما تفعلوا من خير يعلمه الله حث على الخير عقيب النهي عن الشر فيستبدل به
ويستعمل مكانه وتزودوا فان خير الزاد التقوى وتزودوا لمعادكم لتقوى فانه خير زاد
وقد كانوا في اليمن كانوا يحجون ولا يتزودون ويقولون نحن متوكلون فيكونون كلا على الناس
فامروا ان يتزودوا ويتقوا الابرام في السوال والتثقيل على الناس واتقون يا اولي الالباب
لباب فان قضية اللب خشية الله وتقواه حثهم على التقوى ثم امرهم بان المقصود
بها هو الله فبتوا عن كل شئ سوى الله وهو مقتضى العقل المعرى عن شوايب الهوى
ولذلك خص اولي الالباب بهذا الخطاب ليس عليكم جناح ان تبتغوا في ان تبتغوا
اي تطلبوا فضلا من ربكم عطاء ورزقا منه يريد الربح بالتجارة قبل كان عكاظ
ومجنة وذو المجاز اسواقهم في الجاهلية يقيمون بها مواسم الحج وكانت معايشهم منها
فلما جاء الاسلام تاثموا منه فنزلت فاذا افضتم من عرفات دفعتم منها بكثرة من
افضت الماء اذا صببته بكثرة واصله افضتم انفسكم فحذف المفعول كما حذف في
دفعت من البصرة وعرفات جمع سمي به كاذرعات وانما نون وكسر وفيها العلمية والتانيث
لان تنوين الجمع تنوين المقابلة لا تنوين التمكن وذهاب الكسرة تبع ذهاب التنوين من غير
عوض لعدم الصرف وههنا ليس كذلك الا ان التانيث اما ان يكون بالتاء المذكورة وهي
ليست تاء التانيث وانما هي مع الالف التي قبلها علامة جمع المؤنث او بتاء مقدرة كما
في سعاد ولا يصح تقديرها الان المذكورة تمنعه من حيث انها كالبدل لها لاختصاصها
بالمؤنث كتاء بنت وانما سمي الموقف عرفة لانه نعت لابراهيم عليه السلم فلما ابصر

عرفه

عرفه او لان جبريل كان يدور به في المشاعر فلما اراه قال قد عرفت او لان آدم وحوا التقيا فيه
فتعارفا او لان الناس يتعارفون فيه وعرفات للمبالغة في ذلك وهي من الاسماء المرتجلة الا
ان تجعل جمع عارف وفيه دليل وجوب الوقوف لان الافاضة لا تكون الا بعد وهي مامور بها بقوله ثم افيضوا ومقرمة للذكر المامور به وفيه نظر اذ الذكر غير واجب والامر به
غير مطلق فاذكروا الله بالتلبية والتهليل والدعاء وقيل بصلوة العشائين عند المشعر
الحرام جبل يقف عليه الامام ويسمى قزح وقيل ما بين مازمي عرفة ووادي محسر ويوتيد له
ولما روي عن جابر انه عليه السلام لما صلى الفجر بغلس بالمزدلفة ركب ناقته حتى اتى المشعر
الحرام فدعا وكبره وهلله ولم يزل واقفا حتى اسفر وانما سمي مشعرا لانه معلم العبادة ووصف
بالحرام لحرمته ومعنى عند المشعر الحرام متاخليه ويقرب منه فانها فضل والا فالمزدلفة
كلها موقف الا وادي محسر واذكروه كما هداكم كما علمكم واذكروه ذكرا حسنا كما هداكم هدايته
حسنة الى المناسك وغيرها وما مصدرية او كافة وان كنتم من قبله اي الهدى لمن
الضالين الجاهلين بالايمان والطاعة وان مخففة واللام هي الفارقة وقيل ان نافية
واللام بمعنى الا كقوله وان نظنك لمن الكاذبين ثم افيضوا من حيث افاض الناس اي من عرفة
لا من المزدلفة والخطاب مع قريش كانوا يقفون بجمع وسائر الناس بعرفة ويرون ذلك
ترفعا عليهم فامروا ان يسووهم وثم لتفاوت ما بين الافاضتين كما في قولك احسن الى الناس
ثم لا تحسن الى غيرهم وقيل من مزدلفة الى منى بعد الافاضة من عرفة اليها والخطاب عام وقرئ
الناس بالكسر اي الناسي يريد آدم من قوله تعالى فنسي والمعنى ان الافاضة من عرفة شرع قديم
فلا تغيروه واستغفروا الله من جاهليتكم في تغيير المناسك ونحوه ان الله غفور رحيم
يغفر ذنب المستغفر وينعم عليه فاذا قضيتم مناسككم فاذا قضيتم العبادات الحجية وفرغتم
منها فاذكروا الله كذكركم آباءكم فاكثروا ذكره وبالغوا فيه كما تفعلون بذكر آبائكم
في المفاخرة كانت العرب اذا قضوا مناسكهم وقفوا بين المسجد والجبل فيذكرون مفاخر آبائهم

ومحاسن ايامهم او اشد ذكرا اما مجرور معطوف على الذكر بجعل الذكر ذاكرا على المجاز
والمعنى واذكروا الله ذكرا كذكركم اباءكم او كذكر اشد منه وابلغ او على ما اضيف اليه
على ضعف بمعنى او كذكر قوم اشد منكم ذكرا واما منصوب بالعطف على ابائكم وذكرا من فعل
المذكور بمعنى او كذكركم اشد مذكورا من آبائكم او بمضمر دل عليه المعنى تقديره او كونوا اشد
ذكرا لله منكم لآبائكم فمن الناس من يقول تفصيل للذاكرين الى مقل لا يطلب بذكر الله الا
الدنيا ومكثر يطلب به خير الدارين والمراد به الحث على الاكثار والارشاد اليه ربنا آتنا في الدنيا
اجعل ايتاءنا ومنحتنا في الدنيا وما له في الآخرة من خلاق اى نصيب وحظ لان همه مقصور
بالدنيا او طلب خلاق ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة يعني الصحة والكفاف وتوفيق
الخير وفي الآخرة حسنة يعني الثواب والرحمة وقنا عذاب النار بالعفو والمغفرة وقول علي
رضي الله عنه الحسنة في الدنيا المرأة الصالحة وفي الآخرة الحوراء وعذاب النار امرأة السوء وقول
الحسن الحسنة في الدنيا العلم والعبادة وفي الآخرة الجنة وقنا عذاب النار احفظنا من الشهوات
والذنوب المؤدية الى النار امثلة للمراد بها اولئك اشارة الى الفريق الثاني وقيل اليهما لهم
نصيب مما كسبوا اى من جنسه وهو جزاؤه او من اجله كقوله مما خطيئاتهم اغرقوا او مما
دعوا به نعطيهم منه ما قدرناه فسمى الدعاء كسبا لانه من الاعمال والله سريع الحساب يحاسب
العباد على كثرتهم وكثرة اعمالهم في مقدار لمحة او يوشك ان يقيم القيامة ويحاسب الناس
فبادروا الى الطاعات واكتساب الحسنات واذكروا الله في ايام معدودات كبروه في
ادبار الصلوات وعند ذبح القرابين ورمي الجمار وغيرها في ايام التشريق فمن تعجل فمن استعجل
النفر في يومين يوم القر والذي بعده اى فمن نفر في ثاني ايام التشريق بعد رمي الجمار عندنا وقبل
طلوع الفجر عنده فلا اثم عليه باستعجاله ومن تأخر فلا اثم عليه فمن تأخر في النفر حتى رمى
اليوم الثالث بعد الزوال وقال ابو حنيفة يجوز تقديم رميه على الزوال ومعنى نفي الاثم بالتعجل
والتأخر التخيير بينهما والرد على اهل الجاهلية فان منهم من اثم المتعجل ومنهم من اثم المتأخر لمن

اتقى

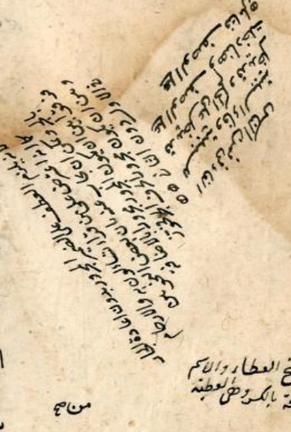

اتقى اى الذي ذكر من التخيير او من الاحكام لمن اتقى لانه الحاج على الحقيقة والمنتفع به او لا
جله حتى لا يتضرر بترك ما يهمه منهما واتقوا الله في مجامع اموركم ليعبأ بكم واعلموا انكم اليه
تحشرون للجزاء بعد الاحياء واصل الحشر الجمع وضم المتفرق ومن الناس من يعجبك قوله
يروقك ويعظم في نفسك والتعجب حيرة تعرض الانسان لجهله بسبب المتعجب منه في الحيوة
الدنيا متعلق بالقول اى ما يقوله في امور الدنيا واسباب المعاش او في معنى الدنيا فانها مراده من ادعاء
المحبة واظهار الايمان او بيعجبك اى يعجبك قوله في الدنيا حلاوة وفصاحة ولا يعجبك في الآ
خرة لما يعتريه من الدهشة والحبسة او لانه لا يؤذن له في الكلام ويشهد الله على ما في
قلبه يحلف ويستشهد الله على ان ما في قلبه موافق لكلامه وهو الد الخصام شديد
العداوة والجدال للمسلمين والخصام المخاصمة ويجوز ان يكون جمع خصم كصعب وصعاب
بمعنى اشد الخصوم خصومة قيل نزلت في الاخنس بن شريق الثقفي وكان حسن المنظر حلو
المنطق يوالي رسول الله صلعم ويدعي الاسلام وقيل في المنافقين كلهم واذا تولى ادبر وانصرف
عنك وقيل اذا غلب وصار واليا سعى في الارض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل
كما فعله الاخنس بثقيف اذ بيتهم واحرق زروعهم واهلك مواشيهم او كما يفعله ولاة
السوء بالقتل والاتلاف او بالظلم حتى يمنع الله بشومه القطر فيهلك الحرث والنسل والله لا
يحب الفساد لا يرتضيه فاحذروا غضبه عليه واذا قيل له اتق الله اخذته العزة بالاثم
حملته الانفة وحمية الجاهلية على الاثم الذي يؤمر باتقائه لجاجا من قولك اخذته بكذا
اذا حملته عليه والزمته اياه فحسبه جهنم كفته جزاء وعذابا وجهنم علم لدار العقاب
وهو في الاصل مرادف للنار وقيل معرب ولبئس المهاد جواب قسم مقدر والمخصوص بالذم محذوف
للعلم به والمهاد الفراش وقيل ما يوطأ للجنب ومن الناس من يشري نفسه يبيعها ببذلها
في الجهاد او يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر حتى يقتل ابتغاء مرضاة الله طلبا لرضاه وقيل
انها نزلت في صهيب بن سنان الرومي اخذه المشركون وعذبوه ليرتد فقال اني شيخ كبير



لا ينفعكم ان كنت معكم ولا يضركم ان كنت عليكم فخلوني وما انا عليه وخذوا مالي فقبلوه
منه واتى المدينة والله رؤف بالعباد حيث ارشدهم الى مثل هذا الشرى وكلفهم بالجهاد
فعرضهم لثواب الغزاة والشهداء يا ايها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة السلم
والفتح الاستسلام والطاعة ولذلك يطلق في الصلح والاسلام فتحه ابن كثير ونافع والكسائي
وكسره الباقون وكافة اسم للجملة لانها تكف الاجزاء من التفرق حال من الضمير او السلم لانها
تؤنث كالحرب قال السلم تاخذ منها ما رضيت به والحرب تكفيك من انفاسها جرع والمعنى
استسلموا لله واطيعوه جملة ظاهرا وباطنا والخطاب للمنافقين او ادخلوا في الاسلام بكليته
ولا تخلطوا به غيره والخطاب لمؤمني اهل الكتاب فانهم بعد اسلامهم عظموا السبت وحرموا
الابل والبانها او في شرايع الله كلها بالايمان بالانبياء والكتب جميعا والخطاب لاهل الكتاب
او في شعب الاسلام واحكامه كلها فلا تخلوا بشيء منها والخطاب للمسلمين ولا تتبعوا خطوات
الشيطان بالتفرق والتفريق انه لكم عدو مبين ظاهر العداوة فان زللتم عن الدخول في السلم
من بعد ما جاءتكم البينات الآيات والحجج الشاهدة على انه الحق فاعلموا ان الله عزيز لا يعجزه
الانتقام حكيم لا ينتقم الا بحق هل ينظرون استفهام في معنى النفي ولذلك جاء بعده الا ان
يأتيهم الله اي يأتيهم امره وبأسه كقوله او يأتي امر ربك فجاءهم بأسنا او يأتيهم الله ببأسه
فحذف المأتي به للدلالة عليه بقوله فان الله عزيز حكيم في ظلل جمع ظلة كقلة وقلل وهي ما اظلك
وقرئ ظلال كقلال من الغمام السحاب الابيض وانما يأتيهم العذاب فيه لانه مظنة الرحمة
فاذا جاء منه العذاب كان افظع لان الشر اذا جاء من حيث لا يحتسب كان اصعب فكيف اذا
جاء من حيث يحتسب الخير والملائكة فانهم الواسطة في اتيان امره او الآتون على الحقيقة
ببأسه وقرئ بالجر عطفا على ظلل او الغمام وقضي الامر اتم امر اهلاكهم وفرغ منه
وضع الماضي موضع المستقبل لدنوه وتيقن وقوعه وقرئ وقضاء الامر عطفا على الملائكة
والى الله ترجع الامور قراءة ابن كثير ونافع وابو عمرو وعاصم على البناء للمفعول على انه من

السلم بالكسر والفتح الاستسلام والطاعة

كافة

الشر اذا جاء من حيث لا يحتسب كان اصعب

من الرجع

من الرجع وقرأ الباقون على البناء للفاعل بالتأنيث غير يعقوب على انه من الرجوع وقرئ
ايضا بالتذكير وبناء المفعول سل بني اسرائيل امر للرسول عليه السلام او لكل احد والمراد
بهذا السؤال تقريعهم كم آتيناهم من آية بينة معجزة ظاهرة او آية في الكتب شا
هدة على الحق والصواب على ايدي الانبياء وكم خبرية او استفهامية مقررة ومحلها النصب
على المفعولية او الرفع بالابتداء على حذف العائد من الخبر وآية مميزها ومن للفصل ومن يبدل
نعمة الله اي آيات الله فانها سبب الهدى الذي هو اجل النعم بجعلها سبب الضلالة
وازدياد الرجس او بالتحريف والتأويل الزائغ من بعد ما جاءته بعد ما وصلت اليه وتمكن
من معرفتها وفيه تعريض بانهم بدلوها بعد ما عقلوها ولذلك قيل تقديره فبدلوها
ومن يبدل فان الله شديد العقاب فيعاقبه اشد عقوبة لانه ارتكب اشد جريمة
زين للذين كفروا الحيوة الدنيا حسنت في اعينهم واشربت محبتها في قلوبهم حتى تهالكوا
عليها واعرضوا عن غيرها والمزين على الحقيقة هو الله تع اذ ما من شيء الا وهو فاعله ويدل عليه
قراءة زين على البناء للفاعل وكل من الشيطان والقوة الحيوانية وما خلق الله فيها من الا
مور البهية والاشياء الشهية مزين بالعرض ويسخرون من الذين آمنوا يريد فقراء
المؤمنين كبلال وعمار وصهيب اي يسترذلونهم ويستهزؤن بهم على رفضهم الدنيا واقبا
لهم على العقبى ومن للابتداء كانهم جعلوا مبدأ السخرية والذين اتقوا فوقهم يوم القيامة
لانهم في عليين وهم في اسفل السافلين او لانهم في كرامة وهم في مذلة او لانهم يتطاولون
عليهم فيسخرون منهم كما سخروا منهم في الدنيا وانما قال والذين اتقوا بعد قوله من الذين
آمنوا ليدل على انهم متقون وان استعلاءهم للتقوى والله يرزق من يشاء
في الدارين بغير حساب بغير تقدير فيوسع في الدنيا استدراجا تارة وابتلاء اخرى كان
الناس امة واحدة متفقين على الحق فيما بين آدم وادريس او نوح او بعد الطوفان
او متفقين على الجهالة والكفر في فترة ادريس او نوح فبعث الله النبيين مبشرين

التوسيع في الدنيا استدراج وابتلاء

ومنذرين اى اختلفوا فبعث الله وانما حذف لدلالة قوله فيما اختلفوا فيه وعن كعب
الذى علمته من عدد الانبياء مائة واربعة وعشرون الفا والمرسل منهم ثلثمائة وثلثة
عشر والمذكور فى القران باسم العلم ثمانية وعشرون وانزل معهم الكتاب يريد به الجنس
ولا يريد به انه انزل مع كل واحد كتابا يخصه فان اكثرهم لم يكن لهم كتاب يخصهم وانما
كانوا ياخذون بكتب من قبلهم بالحق حال من الكتاب اى ملتبسا بالحق شاهدا به
ليحكم بين الناس اى الله او النبى المبعوث او كتابه فيما اختلفوا فيه فى الحق الذى اختلفوا
فيه او فيما التبس عليهم وما اختلف فيه فى الحق او الكتاب الا الذين اوتوه اى الكتاب
المنزل لازالة الخلاف اى عكسوا الامر فجعلوا ما انزل مزيحا للاختلاف سببا لاستحكامه
من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم حسدا بينهم وظلما لحرصهم على الدنيا فهدى
الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه اى للحق الذى اختلف فيه من اختلف من الحق بيان لما
اختلفوا فيه باذنه بامره او بارادته ولطفه والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم
لا يضل سالكه ام حسبتم ان تدخلوا الجنة خاطب به النبى صلى الله عليه وسلم والمؤمنين
بعد ما ذكر اختلاف الامم على الانبياء بعد مجئ الآيات تشجيعا لهم على الثبات مع مخالفتهم
وام منقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار ولما ياتكم ولم ياتكم واصل لما لم زيدت عليها
ما وفيها توقع ولذلك جعل مقابل قد مثل الذين خلوا من قبلكم حالهم التى هى مثل
فى الشدة حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه لتناهى الشدة واستطالة المدة بحيث
تقطعت حبال الصبر وقراء نافع يقول بالرفع على انها حكاية حال ماضية كقولك مرض حتى لا يرجونه
متى نصر الله استبطاء له لتاخره الا ان نصر الله قريب استيناف على ارادة القول اى فقيل
لهم ذلك اسعافا لهم الى طلبتهم من عاجل النصر وفيه اشارة الى ان الوصول الى الله والفوز
بالكرامة عنده برفض الهوى واللذات ومكابدة الشدايد والرياضات كما قال عليه السلام
حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات يسئلونك ماذا ينفقون عن ابن عباس

روى عن كعب ان عدد الانبياء مائة واربعة وعشرون الفا والمرسل منهم ثلثمائة وثلثة عشر والمذكور فى القران باسم العلم ثمانية وعشرون

مستهم البأساء والضراء بيان له على الاستيناف وزلزلوا وازعجوا ازعاجا شديدا بما اصابهم من الشدايد

قال عليه السلام حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات

ان عمرو

ان عمرو بن الجموح الانصارى كان هما ذا مال عظيم فقال يا رسول الله ماذا ننفق من اموالنا واين
نضعها فنزلت قل ما انفقتم من خير فللوالدين والاقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل
سئل عن المنفق فاجيب ببيان المصرف لانه اهم فان اعتداد النفقة باعتداده ولانه
كان فى سؤال عمرو وان لم يكن مذكورا فى الآية واقتصر فى بيان المنفق على ما تضمنه قوله
ما انفقتم من خير وما تفعلوا من خير فى معنى الشرط فان الله به عليم جوابه اى ان تفعلوا
خيرا فالله يعلم كنهه ويوفى ثوابه وليس فى الآية ما ينافيه فرض الزكوة لينسخ به كتب عليكم
القتال وهو كره لكم شاق عليكم مكروه طبعا وهو مصدر نعت به للمبالغة او فعل بمعنى مفعول
كالخبز وقرئ بالفتح على انه لغة فيه كالضعف والضعف او بمعنى الاكراه على المجاز كانهم اكرهوا
عليه لشدته وعظم مشقته كقوله حملته امه كرها ووضعته كرها وعسى ان تكرهوا
شيئا وهو خير لكم وهو جميع ما كلفوا به فان الطبع يكرهه وهو مناط صلاحهم
وسبب فلاحهم وعسى ان تحبوا شيئا وهو شر لكم وهو جميع ما نهوا عنه فان النفس
تحبه وتهواه وهو يفضى بها الى الردى وانما ذكر عسى لان النفس اذا تارضت ينعكس
الامر عليها والله يعلم ما هو خير لكم وانتم لا تعلمون ذلك وفيه دليل على ان الاحكام
تتبع المصالح الراجحة وان لم يعرف عينها يسئلونك عن الشهر الحرام روى انه عليه السلم
بعث عبد الله بن عمرو بن عبد الله الحضرمى وثلثة معه فقتلوه واسروا اثنين واستاقوا
العير وفيها تجارة الطائف وكان ذلك غرة رجب وهم يظنونه من جمادى الآخرة فقالت قريش
استحل محمد عليه السلم الشهر الحرام شهرا يامن فيه الخائف ويذعر فيه الناس على
معايشهم وشق على اصحاب السرية وقالوا ما نبرح حتى ينزل توبتنا ورد رسول الله صلعم
العير والاسارى وعن ابن عباس لما نزلت اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الغنيمة
وهو اول غنيمة فى الاسلام والسائلون هم المشركون كتبوا اليه فى ذلك تشنيعا وتعييرا
وقتل اصحاب السرية قتال فيه بدل الاشتمال عن الشهر وقرئ عن قتال فيه بتكرير

باعتباره

الآخرة

اى المسلمون

العامل قل قتال فيه كبير اى ذنب كبير والاكثر على انه منسوخ بقوله فاقتلوا المشركين
حيث وجدتموهم خلافا لعطاء وهو نسخ الخاص بالعام وفيه خلاف والاولى منع دلالة الآية
على حرمة القتال فيه مطلقا فان قتال فيه نكرة فى حيز مثبت فلا يعم وصد صرف ومنع
عن سبيل الله اى الاسلام او ما يوصل العبد الى الله من الطاعات وكفر به اى بالله والمسجد
الحرام على ارادة المضاف اى وصد المسجد كقول ابى دواد اكل امرء تحسبين امرءا توقد بالليل
نارا ولا يحسن عطفه على سبيل الله لان عطف قوله وكفر به على وصد مانع منه اذ لا يقدم
العطف على الموصول على العطف على الصلة ولا على الهاء فى به فان العطف على الضمير المجرور انما
يكون باعادة الجار واخراج اهله منه اهل المسجد وهم النبى عليه السلام والمؤمنون
اكبر عند الله مما فعلته السرية خطاء وبناء على الظن وهو خبر عن الاشياء الاربعة المعدودة
من كبائر قريش وافعل مما يستوى فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث والفتنة اكبر من
القتل اى ما ترتكبونه من الاخراج والشرك افظع مما ارتكبوا من قتل الحضرمى ولا يزالون
يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم اخبار عن دوام عداوة الكفار لهم وانهم لا ينفكون
عنها حتى يردوهم عن دينهم وحتى للتعليل كقولك اعبد الله حتى ادخل الجنة لقوله
ان استطاعوا وهو استبعاد لاستطاعتهم كقول الواثق بقوته على قرنه ان ظفرت بى
فلا تبق على وايذان بانهم لا يردونهم ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر
فاولئك حبطت اعمالهم قيد الردة بالموت عليها فى احباط الاعمال كما هو مذهب الشافعى
والمراد بها الاعمال النافعة وقرئ حبطت بالفتح وهى لغة فيه فى الدنيا لبطلان ما يخيلوه
وفوات ما للاسلام من الفوايد الدنيوية والآخرة بسقوط الثواب واولئك اصحاب
النار هم فيها خالدون كسائر الكفرة ان الذين آمنوا نزلت ايضا فى السرية لما ظن بهم
انهم ان سلموا من الاثم فليس لهم اجر والذين هاجروا وجاهدوا فى سبيل الله كرر الموصول
لتعظيم الهجرة والجهاد كانهما مستقلان فى تحقيق الرجاء اولئك يرجون رحمة الله

الاكثر على انه منسوخ بقوله فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم

ثوابه

ثوابه اثبت لهم الرجاء اشعارا بان العمل غير موجب ولا قاطع فى الدلالة سيما والعبرة بالخواتيم
والله غفور لما فعلوا خطاء وقلة احتياط رحيم باجزال الثواب والاجر يسألونك عن الخمر
والميسر روى انه نزل بمكة قوله ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا فاخذ
المسلمون يشربونها ثم ان عمر ومعاذا فى نفر من الصحابة قالوا افتنا يا رسول الله فى الخمر فانها
مذهبة العقل فنزلت هذه الآية فشربها قوم وتركها آخرون ثم دعا عبد الرحمن بن عوف
ناسا منهم فشربوا فسكروا فام احدهم فقرا اعبد ما تعبدون فنزلت لا تقربوا الصلوة
وانتم سكارى فقل من يشربها ثم دعا عتبان بن مالك سعد بن ابى وقاص فى نفر فلما سكروا
افتخروا وتناشدوا فانشد سعد شعرا فيه هجاء الانصار فضربه انصارى بلحيى بعير فشجه فشكا
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر اللهم بين لنا بيانا شافيا فى الخمر فنزلت انما الخمر
والميسر الى قوله فهل انتم منتهون فقال عمر انتهينا يا رب والخمر فى الاصل مصدر خمره اذا ستره
سمى بها عصير العنب والتمر اذا اشتد وغلا كانه يخمر العقل كما سمى سكرا لانه يسكره اى يحجزه
وهو حرام مطلقا وكذا كل ما اسكر عند اكثر العلماء وقال ابو حنيفة نقيع الزبيب والتمر
اذا طبخ حتى ذهب ثلثاه ثم اشتد حل شربه ما دون السكر والميسر ايضا مصدر كالموعد سمى
به القمار لانه اخذ مال الغير بيسر او سلب يساره والمعنى يسألونك عن تعاطيهما لقوله قل فيهما
اى فى تعاطيهما اثم كبير حيث انه يؤدى الى الانتكاب عن المأمور وارتكاب المحظور وقرا حمزة
والكسائى كثير بالثاء ومنافع للناس من كسب المال والطرب والالتذاذ ومصادقة الفتيان
وفى الخمر خصوصا تشجيع الجبان وتوفير المروة وتقوية الطبيعة واثمهما اكبر من نفعهما
اى المفاسد التى تنشاء منهما اعظم من المنافع المتوقعة منهما ولهذا قيل انها المحرمة للخمر
فان المفسدة اذا ترجحت على المصلحة اقتضت تحريم الفعل والاظهر انه ليس كذلك لما مر
ويسألونك ماذا ينفقون قيل سائله ايضا عمرو بن الجموح سال اولا عن المنفق والمصرف
ثم سال عن كيفية الانفاق قل العفو نقيض الجهد ومنه يقال للارض السهلة وهو

حكم المثلث

قيل المفسدة اذا ترجحت على المصلحة اقتضت تحريم الفعل

ان ينفق ما يتيسر له بذله ولا يبلغ منه الجهد قال خذ العفو متى تستدبي مودتي وروي ان رجلا

اتى النبي صلى الله عليه وسلم ببيضة من ذهب اصابها في بعض المغانم فقال خذها مني صدقة

فاعرض عنه حتى كرر مرارا فقال اتراني افقر اليها منك مغضبا فاخذها فخذفها فاحذفا لو اصابه لشجه

ثم قال بقي احكم ماله كله يتصدق به ويجلس يتكفف الناس انما الصدقة عن ظهر غنى وقرأ

ابو عمرو برفع الواو كذلك يبين الله لكم الآيات اي مثل ما بين ان العفو اصلح من الجهد اوما

ذكر من الاحكام والكاف في موضع النصب صفة لمصدر محذوف اي تبيينا مثل هذا التبيين

وانما وحد العلامة والمخاطب به جمع على تاويل القبيل والجمع لعلكم تتفكرون في الامثال

والاحكام في الدنيا والآخرة فتاخذون بالاصلح والانفع منهما ويسالونك عن اليتامى قل

تجنبون عما يضركم ولا ينفعكم او يضركم اكثرها ينفعكم ويسالونك عن اليتامى

لما نزلت ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما اعتزلوا اليتامى ومخالطتهم والاهتمام بامرهم

فشق ذلك عليهم فذكروا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت قل اصلاح لهم خير

اي مداخلتهم لاصلاحهم خير من مجانبتهم وان تخالطوهم فاخوانكم حث على المخالطة

اي انهم اخوانكم في الدين ومن حق الاخ ان يخالط الاخ وقيل المراد بالمخالطة المصاهرة

ولو شاء الله لاعنتكم اي ولو شاء الله اعنانكم لاعنتكم اي كلفكم ما يشق عليكم من العنت

وهي المشقة ولم يجوز لكم مداخلتهم ان الله عزيز غالب على الاعنات حكيم يحكم ما يقتضيه

الحكمة ويتسع له الطاقة ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن اي ولا تتزوجوهن وقرئ بالضم اي لا

تزوجوهن من المسلمين والمشركات تعم الكتابيات لان اهل الكتاب مشركون لقوله

تع وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله الى قوله سبحانه وتعالى

عما يشركون ولكنها خصت عنها بقوله والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب روي انه

بعث مرثد الغنوي الى مكة ليخرج منها اناسا من المسلمين فاتته عناق وكان يهويها في

الجاهلية فقالت الا تخلو فقال ان الاسلام حال بيننا فقالت هل لك ان تتزوج بي

فقال

فقال نعم ولكن استأمر رسول الله صلعم فنزلت ولامة مؤمنة خير من مشركة

اي ولاء مؤمنة حرة كانت او مملوكة فان الناس عباد الله وامناؤه ولو اعجبتكم بحسنها

وثمنها والواو للحال ولو لمحذوف وهو كيف وقد اعجبتكم ولا تزوجوا منهم

المؤمنات حتى يؤمنوا وهو على عمومه ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو اعجبكم تعليل للنهي

عن مواصلتهم وترغيب في مواصلة المؤمنين اولئك اشارة الى المذكورين من المشركين والمشركات

كانت يدعون الى النار اي الكفر المؤدي الى النار فلا يليق موالاتهم ومصاهرتهم والله يدعو

اي اوليائه يعني المؤمنين حذف المضاف واقام المضاف اليه مقامه تفخيما لشانهم الى

الجنة والمغفرة اي الاعتقاد والعمل الموصلين اليهما فهم الاحقاء بالمواصلة باذنه

بتوفيق الله وتيسيره او بقضائه وارادته ويبين آياته للناس لعلهم يتذكرون لكي يتذ

كروا او ليكونوا بحيث يرجى منهم التذكر لما ركز في العقول من ميل الخير ومخالفة الهوى

ويسالونك عن المحيض روي ان اهل الجاهلية كانوا لا يساكنوا الحيض ولم يواكلوها

كفعل اليهود والمجوس واستمر ذلك الى ان سأل ابو الدحداح في نفر من الصحابة عن ذلك فنزلت

والمحيض مصدر كالمجيء والمبيت ولعله سبحانه انما ذكر يسالونك بغير واو وثلثها بها لان السؤالات

الاولى كانت في اوقات متفرقة والثلث الاخير كانت في وقت واحد فلذلك ذكرها بحرف العطف

قل هو اذى اي الحيض مستقذر مؤذي من يقربه نفرة منه فاعتزلوا النساء في المحيض فاجتنبوا

مجامعتهن لقوله عليه السلام اصنعوا كل شيء الا النكاح او ذكرا

جماعهن لقوله عليه السلام اصنعوا كل شيء الا النكاح او ذكرا

وقرأ الحسن والمغيرة بالتشديد من تطهر

عبيد الله

يدعو

لاكثر الحيض جاز قربانها قبل الغسل من حيث امركم الله اى المأتى الذى امركم به وحلله لكم
ان الله يحب التوابين من الذنوب ويحب المتطهرين المتنزهين عن الفواحش والاوزار
كمجامعة الحائض والاتيان فى غير المأتى نساءكم حرث لكم مواضع حرث لكم شبهن بها تشبيها
لما يلقى فى ارحامهن من النطف بالبذور فأتوا حرثكم اى فأتوهن كما تأتون المحارث وهو كالبيان لقوله
فأتوهن من حيث امركم الله انى شئتم من اى جهة شئتم روى ان اليهود كانوا يقولون من جامع امرأته
من دبرها فى قبلها كان ولدها احول فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت وقدموا
لانفسكم ما يدخر لكم الثواب وقيل هو طلب الولد وقيل التسمية على الوطى واتقوا الله
بالاجتناب عن معاصيه واعلموا انكم ملاقوه فتزودوا ما لا تفتضحون به وبشر المؤمنين
الكاملين فى الايمان بالكرامة والنعيم الدائم امر الرسول صلوات الله عليه ان ينصحهم ويبشر
من صدقه وامتثل امره منهم ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم ان تبروا وتتقوا وتصلحوا
بين الناس نزلت فى الصديق لما حلف ان لا ينفق على مسطح لافترائه على عايشة او فى عبد الله
بن رواحة حلف ان لا يكلم ختنه بشير بن النعمان ولا يصلح بينه وبين اخته والعرضة فعلة
بمعنى المفعول كالقبضة يطلق لما يعرض دون الشئ وللمعرض للامر ومعنى الآية على الاول
لا تجعلوا الله حاجزا لما حلفتم عليه من انواع الخير فيكون المراد بالايمان الامور المحلوف عليها
كقوله عليه السلام لابن سمرة اذا حلفت على يمين فرايت غيرها خيرا منها فائت الذى هو خير
وكفر عن يمينك وان مع صلتها عطف بيان لها واللام صلة عرضة لما فيها من معنى الاعتراض
ويجوز ان تكون للتعليل ويتعلق ان بالفعل او بعرضة اى ولا تجعلوا الله عرضة لان تبروا لاجل
ايمانكم به وعلى الثانى ولا تجعلوه معرضا لايمانكم فتبتذلوه بكثرة الحلف به ولذلك ذم الحلاف
بقوله ولا تطع كل حلاف مهين وان تبروا علة النهى اى انهيكم عنه ارادة بركم وتقويكم واصلا
حكم بين الناس فان الحلاف مجترئ على الله والمجترئ عليه لا يكون برا متقيا ولا موثوقا به فى
اصلاح ذات البين والله سميع لايمانكم عليم بنياتكم لا يؤاخذكم الله باللغو فى ايمانكم

اللغو

لغو اليمين ما لا عقد معه

اللغو الساقط الذى لا يعتد به من كلام وغيره ولغو اليمين ما لا عقد معه كما سبق به اللسان
او تكلم به جاهلا لمعناه كقول العرب لا والله وبلى والله لمجرد التاكيد ولكن يؤاخذكم بما كسبت
قلوبكم والمعنى لا يؤاخذكم الله بعقوبة ولا كفارة بما لا قصد معه ولكن يؤاخذكم بهما او باحدهما
بما قصدتم من الايمان وواطأت فيها قلوبكم السنتكم وقال ابو حنيفة اللغو ان يحلف الرجل
بناء على ظنه الكاذب والمعنى لا يعاقبكم بما اخطأتم فيه من الايمان ولكن يعاقبكم بما تعمدتم
الكذب فيها والله غفور حيث لم يؤاخذ باللغو حليم حيث لم يعجل بالمؤاخذة على يمين الجد تربصا
للتوبة للذين يؤلون من نسائهم اى يحلفون على ان لا يجامعوهن والايلاء الحلف وتعديته بعلى
ولكن لما ضمن هذا القسم معنى البعد عدى بمن تربص اربعة اشهر مبتدأ ما قبله خبره او فاعل
الظرف على خلاف سبق والتربص الانتظار والتوقف اضيف الى الظرف على الاتساع اى للمولى حق
التلبث فى هذه المدة فلا يطالب بفئ ولا طلاق ولذلك قال الشافعى لا ايلاء الا فى اكثر من اربعة
اشهر ويؤيده فان فاءوا رجعوا عن اليمين بالحنث فان الله غفور رحيم للمولى اثم حنثه اذا كفر
او ما توخى بايلاء من ضرار المرأة ونحوه بالفيئة التى هى كالتوبة وان عزموا الطلاق وان صمموا
قصده فان الله سميع لطلاقهم عليم بغرضهم فيه وقال ابو حنيفة الايلاء فى اربعة اشهر
فما دونه وحكمه ان المولى ان فاء فى المدة بالوطى ان قدر والوعد ان عجز صح الفئ ولزم الواطى
ان يكفر والا بانت بعدها بطلقة وعندنا يطالب بعد المدة باحد الامرين فان ابى عنهما طلق
عليه الحاكم والمطلقات يريد به المدخول بهن من ذوات الاقراء لما دلت الآيات والا
خبار ان حكم غيرهن خلاف ما ذكر يتربصن خبر فى معنى الامر وتغير العبارة للتاكيد والاشعار
بانه مما يجب ان يسارع الى امتثاله وكان المخاطب قصد ان يمتثل الامر فيخبر عنه كقولك فى الدعاء
رحمك الله وبناؤه على المبتدأ يزيده فضل تاكيد بانفسهن تهييج وحث لهن على التربص
فان نفوس النساء طوامح الى الرجال فامرن بان يقمعنها ويحملنها على التربص ثلثة قروء نصب على
الظرف او المفعول به اى يتربصن مضيها وقروء جمع قرء وهو يطلق للحيض كقوله عليه السلم

دعي الصلوة ايام اقرائك والطهر الفاصل بين حيضتين كقوله الاعشى لما ضاع فيها من قروء
نسائكم واصله الانتقال من الطهر الى الحيض وهو المراد به في الآية لانه الدال على براءة الرحم
لا الحيض كما قاله الحنفية لقوله تعالى فطلقوهن لعدتهن اى وقت عدتهن والطلاق المشروع
لا يكون في الحيض واما قوله عليه السلام طلاق الامة تطليقتان وعدتها حيضتان فلا يقاوم
ما رواه الشيخان في قصة ابن عمر مره فليراجعها ثم ليمسكها حتى تطهر ثم ان شاء امسك بعد
وان شاء طلق قبل ان يمس فتلك العدة التي امر الله ان يطلق لها النساء وكان القياس
ان يذكر بصيغة القلة هي الاقراء ولكنهم يتسعون في ذلك فيستعملون كل واحد من البناءين
مكان الآخر ولعل الحكم لما عم المطلقات ذوات الاقراء تضمن معنى الكثرة فحسن بناها ولا يحل لهن
ان يكتمن ما خلق الله في ارحامهن من الولد والحيض استحالا في العدة وابطالا لحق الرجعة
وفيه دليل على ان قولها مقبول في ذلك ان كن يؤمن بالله واليوم الآخر ليس المراد منه تقييد
نفي الحل بايمانهن بل التنبيه على انه ينافي الايمان وان المؤمن لا يجترئ عليه ولا ينبغي له ان
يفعله وبعولتهن اى ازواج المطلقات احق بردهن الى النكاح والرجعة اليهن ولكن
اذا كان الطلاق رجعيا للآية التي تتلوها فالضمير اخص من المرجوع اليه ولا امتناع فيه
كما لو كرر الظاهر وخصصه والبعولة جمع بعل والتاء لتانيث الجمع كالعمومة والخؤولة
او مصدر من قولك بعل حسن البعولة نعت به او اقيم مقام المضاف المحذوف وافعل
ههنا بمعنى الفاعل في ذلك اى في زمان التربص ان ارادوا اصلاحا بالرجعة لا ضرارا للمراة
وليس المراد منه شريطة قصد الاصلاح للرجعة بل التحريض عليه والمنع من قصد الضرار
ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف اى ولهن حقوق على الرجال مثل حقوقهم عليهن في الوجوب
واستحقاق المطالبة عليها لا في الجنس وللرجال عليهن درجة زيادة في الحق وفضل فيه لان
حقوقهم في انفسهن وحقوقهن المهر والكفاف وترك الضرار ونحوها اوفر وشرف وفضيلة لانهم
قوام عليهن وحراس لهن يشاركونهن في غرض الازواج ويختصون بفضيلة الرعاية والانفاق

والله

والله عزيز يقدر على الانتقام ممن خالف الاحكام حكيم يشرعها لكم ومصالح الطلاق
مرتان اى التطليق الرجعي اثنتان لما روى انه عليه السلام سئل اين الثالثة فقال عليه السلام
او تسريح باحسان وقيل معناه التطليق الشرعي تطليقة بعد تطليقة على التفريق وذلك
قالت الحنفية الجمع بين الطلقتين والثلث بدعة فامساك بمعروف بالمراجعة وحسن المعاشرة
يؤيد المعنى الاول او تسريح باحسان بالطلقة الثالثة او بان لا يراجعها حتى تبين وعلى الثاني الاخير
حكم مبتدا وتخيير مطلق عقيب تعليمهم كيفية التطليق ولا يحل لكم ان تاخذوا مما آتيتموهن شيئا
اى من الصداقات روى ان جميلة بنت اخت عبد الله ابن ابي بن سلول كانت تبغض زوجها
ثابت بن قيس فاتت رسول الله صلعم وقالت لا انا ولا ثابت لا يجمع راسي وراسه شيء والله ما
اعيبه في دين ولا خلق ولكني اكره الكفر في الاسلام ما اطيقه بغضا الى رفعت جانب الخباء
فرايته اقبل في عدة فاذا هو اشدهم سوادا واقصرهم قامة وافبحهم وجها فنزلت واختلعت
بحديقة اصدقها وللخطاب مع الحكام واسناد الاخذ والاتيان اليهم لانهم المامورون بها عند التنازع
وقيل انه خطاب الازواج وما بعده خطاب الحكام وهو بيّن على القراءة المشهورة الا ان يخافا
الا ان يخافا اى الزوجان وقرئ يظنا وهو يؤيد تفسير الخوف بالظن الا يقيما حدود الله تركت اقامة
احكامه من مواجب الزوجية وقراءة حمزة ويعقوب يخافا على البناء للمفعول وابدال ان بصلته
عن الضمير بدل الاشتمال وقرئ تخافا وتقيما بتاء الخطاب فان خفتم ايها الحكام فان خفتم الا
يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به على الزوج في اخذ ما افتدت به نفسها واختلعت
وعلى المراة في اعطائه تلك حدود الله اشارة الى ما حد من الاحكام فلا تخطوها اى فلا
تتعدوها بالمخالفة ومن يتعد حدود الله فاولئك هم الظالمون تعقيب النهي بالوعيد مبالغة
في التهديد واعلم ان ظاهر الآية يدل على ان الخلع لا يجوز من غير كراهة وشقاق ولا بجميع ما ساق
الزوج اليها فضلا عن الزائد ويؤيد ذلك قوله عليه السلام ايما امراة سالت زوجها طلاقا
في غير باس فحرام عليها رائحة الجنة وما روى انه عليه السلام قال للجميلة اتردين عليه حديقته

فقالت اردها وازيد عليها فقال عليه السلام اما الزائد فلا والجمهور استكرهوه ولكن نفذوه
فان المنع عن العقد لا يدل على فساده وانه يصح بلفظ المفاداة فانه سماه افتداء واختلف في انه
اذا جرى بغير لفظ الطلاق هل هو فسخ او طلاق ومن جعله فسخا احتج بقوله فان طلقها فان تعقيبه
للخلع بعد ذكر الطلقتين يقتضي ان يكون طلقة رابعة لو كان الخلع طلاقا والاظهر انه طلاق لانه
فرقة باختيار الزوج فهو كالطلاق بالعوض وقوله فان طلقها متعلق بقوله الطلاق مرتان تفسير لقوله
او تسريح باحسان اعترض بينهما ذكر الخلع دلالة على ان الطلاق يقع مجانا تارة وبعوض اخرى والمعنى
فان طلقها بعد الثنتين فلا تحل له من بعد من بعد ذلك الطلاق حتى تنكح زوجا غيره حتى تتزوج
غيره والنكاح يسند الى كل منهما كالتزوج وتعلق بظاهره من اقتصر على العقد كابن المسيب واتفق
الجمهور على انه لا بد من الاصابة لما روى ان امراة رفاعة قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم
ان رفاعة طلقني فبت طلاقي وان عبد الرحمن بن الزبير تزوجني وانما معه مثل هدبة
الثوب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتريدين ان ترجعي الى رفاعة فقالت نعم فقال لا
حتى تذوقي عسيلته ويذوق عسيلتك فالاية مطلقة قيدتها السنة ويحتمل ان يفسر النكاح
بالاصابة ويكون العقد مستفادا من لفظ الزوج والحكمة في هذا الحكم الردع عن التسرع
الى الطلاق والعود الى المطلقة ثلثا والرغبة فيها والنكاح بشرط التحليل فاسد عند الاكثر
وجوزه ابو حنيفة مع الكراهة ولقد لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم المحلل والمحلل له
فان طلقها الزوج الثاني فلا جناح عليهما ان يتراجعا ان رجع كل من المراة والزوج الاول
الى الاخر بالزواج ان ظنا ان يقيما حدود الله ان كان في ظنهما انهما يقيمان ما حده الله وشرعه
من حقوق الزوجية وتفسير الظن بالعلم ههنا غير سديد لان عواقب الامور غيب تظن ولا
تعلم ولانه لا يقال علمت ان يقوم زيد لان الناصبة للتوقع وهو ينافي العلم وتلك حدود الله
اي الاحكام المذكورة يبينها لقوم يعلمون يفهمون ويعملون بمقتضى العلم واذا طلقتم النساء
فبلغن اجلهن اي اخر عدتهن والاجل يطلق للمدة ولمنتهاها فيقال لعمر الانسان وللموت

النكاح بشرط التحليل

ان الناصبة للتوقع

الاجل يطلق للمدة ولمنتهاها

الذي

الذي ينتهي قال كل حي مستكمل مدة العمر ومود اذا انتهى اجله والبلوغ هو الوصول الى الشيء
وقد يقال للدنو منه على الاتساع وهو المراد في الاية ليصح ان يرتب عليه فامسكوهن او
سرحوهن بمعروف اذ لا امساك بعد انقضاء الاجل والمعنى فراجعوهن من غير ضرار او خلوهن
حتى تنقضي عدتهن من غير تطويل وهو اعادة للحكم في بعض صوره للاهتمام به ولا تمسكوهن
ضرارا ولا ترجعوهن ارادة الاضرار بهن كان المطلق يترك المعتدة حتى تشارف الاجل ثم
يراجعها ليطول العدة عليها فنهى عنه بعد الامر بضده مبالغة ونصب ضرارا على العلة
او الحال بمعنى مضارين لتعتدوا لتظلموهن بالتطويل او الالجاء الى الافتداء واللام متعلقة
بالضرار اذ المراد تقييده ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه بتعريضها للعقاب ولا تتخذوا
آيات الله هزوا بالاعراض عنها والتهاون في العمل بما فيها من قولهم لمن لم يجد في الامر انما
انت هازئ كانه نهى عن الهزو واراد به الامر بضده وقيل كان الرجل يتزوج ويطلق
ويعتق ويقول كنت العب فنزلت وعنه عليه السلم ثلث جدهن جد وهزلهن جد
الطلاق والنكاح والعتاق واذكروا نعمة الله عليكم التي من جملتها الهداية وبعثة محمد
عليه السلم بالشكر والقيام بحقوقها وما انزل عليكم من الكتاب والحكمة القران والسنة
افردهما بالذكر اظهارا لشرفهما يعظكم به بما انزل عليكم واتقوا الله واعلموا ان الله
بكل شيء عليم تاكيد وتهديد واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن اي انقضت عدتهن وعن
الشافعي رح دل سياق الكلامين على افتراق البلوغين فلا تعضلوهن ان ينكحن ازواجهن
المحاول به الاولياء لما روى انها نزلت في معقل بن يسار حين عضل اخته جملا الى زوجها
الاول بالاستيناف فيكون ذلك دليلا على ان المراة لا تزوج نفسها اذ لو تمكنت منه
لم يكن لعضل الولي معنى ولا يعارض باسناد النكاح اليهن لانه بسبب توقفه على اذنهن
وقيل الازواج الذين يعضلون نساءهم بعد مضي العدة ولا يتركونهن يتزوجن عدوانا وقسرا لانه جواب قوله واذا طلقتم وقيل الاولياء والازواج وقيل الناس كلهم

البلوغ هو الوصول الى الشيء وقد يقال للدنو منه

بمعروف صح

والرجعة

المراد بالحكمة السنة

العضل الحبس والتضييق

ان ترجع

المخاطب

89

والمعنى لا يوجد فيما بينكم هذا الامر فانه اذا وجد بينهم وهم راضون به كانوا كالفاعلين
له والعضل الحبس والتضييق ومنه عضلت الدجاجة اذا نشبت بيضتها فلم تخرج اذا
تراضوا بينهم اى الخطاب والنساء وهو ظرف لان تنكحن او لا تعضلوهن بالمعروف بما
يعرفه الشرع ويستحسنه المروة حال عن الضمير المرفوع او صفة مصدر محذوف اى تراضيا
ضيا كائنا بالمعروف وفيه دلالة على ان العضل عن التزوج من غير كفو غير منهى ذلك اشارة
الى ما مضى ذكره والخطاب للجمع على تاويل القبيل او كل واحد او ان الكاف لمجرد الخطاب والفرق
بين الحاضر والمنقضى دون تعيين المخاطبين او للرسول على طريقة قوله يا ايها النبى اذا طلقتم
للدلالة على ان حقيقة المشار اليه امر لا يكاد يتصوره كل احد يوعظ به من كان منكم يؤمن
بالله واليوم الآخر لانه المنتفع به والمتضرر ذلكم اى العمل بمقتضى ما ذكر ازكى لكم انفع واطهر
من دنس الآثام والله يعلم ما فيه من النفع والصلاح وانتم لا تعلمون لقصور علمكم والوالدات
لفظ يرضعن اولادهن امر عبر عنه بالخبر للمبالغة ومعناه الندب او الوجوب فيخص
بما اذا لم يرتضع الصبى الا من امه او لم يوجد له ظئر او عجز الوالد عن الاستيجار والوالدات
عام المطلقات وغيرهن وقيل يختص بهن اذ الكلام فيهن حولين كاملين اكده بصفة
الكمال لانه مما يتسامح فيه لمن اراد ان يتم الرضاعة بيان للمتوجه اليه الحكم اى ذلك لمن
اراد اتمام الرضاعة او متعلق بيرضعن فان الاب يجب عليه الارضاع كالنفقة
والام ترضع له وهو دليل على ان اقصى مدة الرضاع حولان ولا عبرة به بعدهما وانه يجوز
ان ينقص عنه وعلى المولود له اى الذى يولد له يعنى الوالد فان الولد يولد له وينسب اليه
وتغيير العبارة للاشارة الى المعنى المقتضى لوجوب الارضاع ومؤن المرضعة عليه رزقهن
وكسوتهن اجرة لهن واختلف فى استيجار الام فجوزه الشافعى ومنعه ابو حنيفة مادامت
زوجة او معتدة النكاح بالمعروف حسب ما يراه الحاكم ويفى به وسعه لا تكلف نفس
الا وسعها تعليل لايجاب المؤن والتقييد بالمعروف ودليل على انه تعالى لا يكلف العبد

بما لا

بما لا يطيقه وذلك لا يمنع امكانه لا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده تفصيل له
وتقريب اى لا يكلف كل منهما الآخر ما ليس فى وسعه ولا يضاره بسبب الولد وقراءة ابن كثير
وابو عمرو ويعقوب لا يضار بالرفع بدلا عن قوله لا تكلف واصله على القراءتين تضارر بالكسر
على البناء للفاعل والفتح على البناء للمفعول وعلى الوجه الاول يجوز ان يكون بمعنى تضر والبا
من صلته اى لا يضر الوالد ابا الولد فيقصر فيما ينبغى له وقرئ لا تضار بالسكون
مع التشديد على نية الوقف وبه مع التخفيف على انه من ضار يضير واضافة الوالدة اليها
تارة والية اخرى استعطافهما عليه وتنبيه على انه حقيق بان تشفقا على استصلاحه
والاشفاق فلا ينبغى ان يضرانه او يضارا بسببه وعلى الوارث مثل ذلك عطف على
قوله وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن وما بينهما تعليل معترض والمراد بالوارث وارث
الاب وهو الصبى اى نماء مؤن المرضعة من ماله اذا مات الاب وقيل الباقى من الابوين
من قوله واجعله الوارث متا وكلا القولين يوافق مذهب الشافعى اذ لا نفقة عنده فيما
عدا الولاد وقيل وارث الطفل والبته ابناء ليلى وقيل وارثه المحرم منه وهو مذهب
ابى حنيفة وقيل عصباته وبه قال ابو يوسف وذلك اشارة الى ما وجب على الاب من الرزق
والكسوة فان ارادا فصالا عن تراض منهما وتشاور اى فصالا صادرا عن التراضى منهما
والتشاور بينهما قبل الحولين والتشاور والمشورة استخراج الرأى من شورت العسل
اذا استخرجته فلا جناح عليهما فى ذلك وانما اعتبر تراضيهما مراعاة لصلاح الطفل وحذارا
ان يقدم احدهما على ما يضر به لعرض وان اردتم ان تسترضعوا اولادكم اى تسترضعوا المراضع
اولادكم يقال ارضعت المرأة الصبى واسترضعتها اياه كقولك اخ الله حاجتى واستنجحته اياها
فحذف المفعول الاول للاستغناء عنه فلا جناح عليكم فيه واطلاقه يدل على ان للزوج
ان يسترضع للولد وتمنع الزوجة من الارضاع اذا سلمتم الى المراضع ما آتيتم ما اردتم ايتاءه كقوله
تعالى اذا قمتم الى الصلوة وقرأ ابن كثير ما آتيتم من اتى اليه احسانا اذا فعله وقرئ اوتيتم اى ما

آتاكم الله وأقدركم عليه من الاجر **بالمعروف** صلة سلّم اى بالوجه المتعارف المستحسن شرعًا وجواب الشرط محذوف دلّ عليه ما قبله وليس اشتراط التسليم لجواز الاسترضاع بل السكوت ما هو الاولى والاصلح للطفل **واتقوا الله** مبالغة فى المحافظة على ما شرع فى امر الاطفال والمراضع **واعلموا ان الله بما تعملون بصير** حث وتهديد **والذين يتوفون منكم** ويذرون ازواجا يتربصن بانفسهن اربعة اشهر وعشرا اى وازواج الذين يتوفون منكم او الذين يتوفون ويذرون ازواجا يتربصن بعدهم كقولهم الثمن منوان بدرهم وقرئ يتوفون بفتح الياء اى يستوفون آجالهم وتأنيث العشر باعتبار الليالى لانها غرر الشهور والايام ولذلك لا يستعملون التذكير فى مثله قط ذهابا الى الايام حتى انهم يقولون صمت عشرا ويشهد له قوله ان لبثتم الا عشرا ثم ان لبثتم الا يوما ولعل المقتضى لهذا التقدير ان الجنين فى غالب الامر يتحرك لثلثة اشهر ان كان ذكرا ولاربعة ان كان انثى فاعتبر اقصى الاجلين وزيد عليه العشر استظهارا اذ ربما يضعف حركته فى المبادى فلا يحس بها وعموم اللفظ يقتضى تساوى المسلمة والكتابية فيه كما قاله الشافعى والحرة والامة كما قاله الاصم والحامل وغيرها لكن القياس اقتضى تنصيف المدة للامة والاجماع خص الحامل عنه لقوله تعالى واولات الاحمال اجلهن ان يضعن حملهن وعن على وابن عباس انها تعتد باقصى الاجلين احتياطا **فاذا بلغن اجلهن** اى انقضت عدتهن **فلا جناح عليكم** ايتها الائمة والمسلمون جميعا **فيما فعلن فى انفسهن** من التعرض للخطاب وسائر ما حرم عليها للعدة **بالمعروف** بالوجه الذى لا ينكره الشرع ومفهومه انهن لو فعلن ما ينكر فعليهم ان ينكرهن فان قصروا فعليهم الجناح **والله بما تعملون خبير** فيجازيكم عليه **ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء** التعريض والتلويح ايهام المقصود بما لم يوضع له حقيقة ولا مجازا كقول السائل جئتكم لاسلم عليكم والكناية هى الدلالة على الشئ بذكر لوازمه وروادفه كقولك طويل النجاد للطويل وكثير الرماد للمضياف والخطبة بالضم والكسر اسم الحالة غير ان المضموم

الجنين فى غالب الامر يتحرك لثلثة اشهر ان كان ذكرا ولاربعة ان كان انثى

التقدير

جئتك لاسلم عليك ح

خصت

الخطبة بالضم الموعظة وبالكسر طلب المرأة

خصت بالموعظة والمكسور بطلب المرأة والمراد بالنساء المعتدات للوفاة وتعريض خطبتها ان تقول لها انك جميلة او ناقة ومن غرضى ان اتزوج ونحو ذلك **او اكننتم فى انفسكم** اوضمرتم فى قلوبكم فلم تذكروه تصريحا ولا تعريضا **علم الله انكم ستذكرونهن** فاى ذكروهن ح ولا تصبرون على السكوت عنهن وعن الرغبة فيهن وفيه نوع توبيخ **ولكن لا تواعدوهن سرا** استدراك عن محذوف دل عليه سنذكرونهن ولكن لا تواعدوهن نكاحا او جماعا عبر بالسر عن الوطء لانه مما يسر ثم عن العقد لانه سبب فيه وقيل معناه لا تواعدوهن فى السر على ان المعنى بالمواعدة فى السر المواعدة بما يستهجن **الا ان تقولوا قولا معروفا** وهو ان تعرضوا ولا تصرحوا والمستثنى منه محذوف اى لا تواعدوهن مواعدة الا مواعدة معروفة او الا مواعدة بقول معروف وقيل انه استثناء منقطع من سرا وهو ضعيف لاداته الى قولك لا تواعدوهن الا التعريض وهو غير موعود وفيه دليل حرمة تصريح خطبة المعتدة وجواز تعريضها ان كانت معتدة وفاة واختلف فى معتدة الرجعى والاظهر جوازه **ولا تعزموا عقدة النكاح** ذكر العزم مبالغة فى النهى عن العقد اى ولا تعزموا عقد عقدة النكاح وقيل معناه لا تقطعوا عقدة النكاح فان اصل العزم القطع **حتى يبلغ الكتاب اجله** حتى ينتهى ما كتب من العدة **واعلموا ان الله يعلم ما فى انفسكم** من العزم على ما لا يجوز **فاحذروه ولا تعزموه واعلموا ان الله غفور** لمن عزم ولم يفعل خشية من الله **حليم** لا يعاجلكم بالعقوبة **لا جناح عليكم** لا تبعة مهر وقيل نزد لانه لا بدعة فى الطلاق قبل المسيس وقيل كان النبى صلى الله عليه وسلم يكثر النهى عن الطلاق فظن ان فيه حرجا فنفى **ان طلقتم النساء ما لم تمسوهن** اى تجامعوهن وقرأ الكسائى تماسوهن بضم التاء ومد الميم فى جميع القرآن **او تفرضوا لهن فريضة** الا ان تفرضوا او حتى تفرضوا او وتفرضوا والفرض تسمية المهر وفريضة نصب على المفعول به فعيلة بمعنى مفعول والتاء لنقل اللفظ من الوصفية الى الاسمية ويحتمل المصدر والمعنى

عقدة

انه لا تبعة على المطلق من مطالبة المهر اذا كانت المطلقة غير ممسوسة ولم يسم لها
مهرا ذلو كانت ممسوسة فعليه المسمى او مهر المثل ولو كانت غير ممسوسة ولكن سمى
لها فلها نصف المسمى فمنطوق الآية ينفي الوجوب في الصور الاولى ومفهومها يقتضي الو
جوب على الجملة في الاخيرتين **ومتعوهن** عطف على مقدر اى فطلقوهن ومتعوهن والحكمة
في ايجاب المتعة جبرا يحاش الطلاق وتقديرها مفوض الى راى الحاكم ويؤيده قوله **على الموسع**
قدره وعلى المقتر قدره اى على كل من الذى له سعة والمقتر الضيق الحال ما يطيقه ويليق
به ويدل عليه قوله عليه السلام لانصاري طلق امراته المفوضة قبل ان يمسها متعها
بقلنسوتك وقال ابو حنيفة هي درع وملحفة وخمار على حسب الحال الا ان يقل مهر مثلها
من ذلك فلها نصف مهر المثل ومفهوم الآية يقتضي تخصيص ايجاب المتعة للمفوضة التي
لم يمسها الزوج والحق بها الشافعي احد قوليه الممسوسة المفوضة وغيرها قياسا
وهو مقدم على المفهوم وقرا حمزة وحفص وابن ذكوان بفتح الدال **متاعا** تمييز **بالمعروف**
بالوجه الذي يستحسنه الشرع والمروءة **حقا** صفة لمتاعا او مصدر مؤكد اى حق
ذلك حقا **على المحسنين** الذين يحسنون الى انفسهم بالمسارعة الى الامتثال او الى
المطلقات بالتمتيع وسماهم محسنين للمشارفة ترغيبا وتحريضا **وان طلقتموهن من قبل**
ان تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم لما ذكر حكم المفوضة اتبعه حكم
قسيمها اى فلهن او فالواجب نصف ما فرضتم لهن وهو دليل على ان الجناح المنفي تبعة
المهر وان لا متعة مع التسمية لانه قسيمها **الا ان يعفون** اى المطلقات فلا ياخذن شيئا و
الصيغة تحتمل التذكير والتانيث والفرق ان الواو في الاول ضمير والنون علامة الرفع
وفي الثاني لام الفعل والنون ضمير ولذلك لم يوثر فيه ان ههنا ونصب المعطوف عليه
او يعفو الذي بيده عقدة النكاح اى الزوج المالك لعقده وحله عنها يعود اليه
بالتشطير فيسوق المهر اليها كملا وهو مشعر بان الطلاق قبل المسيس مخير للزوج غير مشتط

الحكمة في ايجاب المتعة

والفعل مبني

بنفسه واليه ذهب بعض اصحابنا والحنفية وقيل الولي الذي يلي عقد نكاحهن
وذلك اذا كانت المراة صغيرة وهو قول قديم للشافعي **وان تعفوا اقرب للتقوى** يؤيد
الوجه الاول وعفوا الزوج على وجه التخيير ظاهر وعلى الوجه الآخر عبارة عن الزيادة على
الحق وتسميتها عفوا اما على المشاكلة واما لانهم يسومون المهر الى النساء عند التزوج فمن طلق
قبل المسيس استحق استرداد النصف فاذا لم يسترده فقد عفا عنه وعن جبير بن مطعم انه
تزوج امراة وطلقها قبل الدخول فاكمل لها الصداق وقال انا احق بالعفو **ولا تنسوا الفضل**
بينكم اى ولا تنسوا ان تتفضل بعضكم على بعض **ان الله بما تعملون بصير** لا يضيع تفضلكم واحسا
نكم **حافظوا على الصلوات** بالاداء لوقتها والمداومة عليها ولعل الامر بها في تضاعيف احكام
الاولاد والازواج ليدل على اهتمام الاشتغال ببيانهم عنها **والصلوة الوسطى** اى الوسطى بينها
او الفضلى منها خصوصا وهي صلوة العصر لقوله عليه السلام يوم الاحزاب شغلونا عن صلوة
الوسطى صلوة العصر ملا الله بيوتهم نارا وفضلها لكثرة اشتغال الناس في وقتها واجتماع
الملائكة وقيل صلوة الظهر لانها في وسط النهار وكانت اشق الصلوات عليهم فكانت
افضل لقوله عليه السلام افضل العبادات احمزها وقيل الفجر لانها بين صلوتي النهار
والليل والواقعة في الحد المشترك بينهما ولانها مشهودة وقيل المغرب لانها المتوسطة
بالعدد وتر النهار وقيل العشاء لانها بين جهريتين واقعتين طرفي الليل وعن عايشة
انه عليه السلام كان يقراء والصلوة الوسطى وصلوة العصر فتكون صلوة من الاربع خصت
بالذكر مع العصر لانفرادهما بالفضل وقرئ بالنصب على الاختصاص **وقوموا لله** في الصلوة
قانتين ذاكرين له في القيام والقنوت الذكر فيه وقيل خاشعين وقال ابن المسيب المراد به
القنوت في الصبح **فان خفتم** من عدو او غيره **فرجالا او ركبانا** فصلوا راجلين او راكبين ورجال
جمع راجل او رجل بمعناه كقائم وقيام وفيه دليل على وجوب الصلوة حال المسايفة والمشي
ذهب الشافعي وقال ابو حنيفة لا يصلي حال المشي والمسايفة ما لم يكن الوقوف **فاذا**

الصلوة الوسطى
صلوة العصر

وقيل صلوة الظهر
وقيل الفجر
وقيل المغرب
وقيل العشاء

امنتم وزال خوفكم فاذكروا الله صلوا لله صلوة الامن او اشكروه على الامن كما علمكم
ذكرا مثل ما علمكم من الشرايع وكيفية الصلوة حالتي الخوف والامن او شكرا يوازيه وما
مصدرية او موصولة ما لم تكونوا تعلمون مفعول علمكم والذين يتوفون منكم ويذرون
ازواجا وصية لازواجهم قراءها بالنصب ابو عمرو وابن عامر وحمزة وحفص عن
عاصم على تقدير والذين يتوفون منكم يوصون وصية او ليوصوا وصية او كتب الله عليهم وصية
او الزم الذين يتوفون وصية ويؤيد ذلك قراءة كتب عليكم الوصية لازواجكم متاعا
الى الحول مكانه وقراء الباقون بالرفع على تقدير ووصية الذين يتوفون او وحكمهم وصية
او والذين يتوفون اهل وصية او وعليهم وصية وقرئ متاع بدلها متاعا الى الحول نصب
بيوصون ان اضمرت والا فبالوصية او بمتاع على قراءة لانه بمعنى التمتيع غير اخراج بدل منه
او مصدر مؤكد كقولك هذا القول غير ما تقول او حال من ازواجهم اي غير مخرجات والمعنى
انه يجب على الذين يتوفون ان يوصوا قبل ان يحتضروا لازواجهم بان يمتعن بعدهم
حولا بالسكنى وكان ذلك اول الاسلام ثم نسخت المدة بقوله اربعة اشهر وعشرا وهو وان
كان متقدما في التلاوة فهو متاخر في النزول وسقطت النفقة بتوريثها الربع او الثمن
والسكنى لها بعد ثابتة عندنا خلافا لابي حنيفة فان خرجن عن منزل الازواج
فلا جناح عليكم ايها الائمة فيما فعلن في انفسهن كالتطيب وترك الحداد من معروف
مما لم ينكره الشرع وهذا يدل على انه لم يجب عليها ملازمة مسكن الزوج والحداد
وانما كانت مخيرة بين الملازمة واخذ النفقة وبين الخروج وتركها والله عزيز ينتقم ممن
خالفه منهم حكيم راعي مصالحهم وللمطلقات متاع بالمعروف حقا على المتقين اثبت
المتعة للمطلقات جميعا بعد ما اوجبها لواحدة منهن وافراد بعض العام بالحكم لا يخصصه
الا اذا جوزنا تخصيص المنطوق بالمفهوم وكذلك اوجبها ابن جبير لكل مطلقة واول غيره
بما يعم التمتيع الواجب والمستحب وقال قوم المراد بالمتاع نفقة العدة ويجوز ان يكون

اي مكان والذين يتوفون منكم

او كتب عليهم وصية

والنفقة

اللام

اللام للعهد والتكرير للتاكيد او لتكرر القصة كذلك اشارة الى ما سبق من احكام
الطلاق والعدة يبين الله لكم آياته وعد بانه سيبين لعباده من الدلائل والاحكام ما
يحتاجون اليه معاشا ومعادا لعلكم تعقلون لعلكم تفهمونها وتستعملون العقل فيها
الم تر تعجيب وتقرير لمن سمع بقصتهم من اهل الكتاب وارباب التواريخ وقد يخاطب به
من لم ير ولم يسمع فانه صار مثلا في التعجيب الى الذين خرجوا من ديارهم يريد اهل
داوردان قرية قبل واسط وقع فيهم طاعون فخرجوا هاربين فاماتهم الله ثم احيا
هم ليعتبروا ويتيقنوا ان لا مفر من قضاء الله وقدره او قوما من بني اسرائيل
دعاهم ملكهم الى الجهاد ففروا حذر الموت فاماتهم الله ثمانية ايام ثم احياهم
وهم الوف اي الوف كثيرة قيل عشرة وقيل ثلثون وقيل سبعون وقيل
متألفون جمع آلف او الف كقاعد وقعود والواو للحال حذر الموت مفعول له فقال لهم
الله موتوا اي قال لهم موتوا فماتوا كقوله كن فيكون والمعنى انهم ماتوا ميتة رجل
واحد من غير علة بامر الله ومشيته وقيل ناداهم به ملك وانما اسند الى الله
تعالى تخويفا وتهويلا ثم احياهم قيل مر حزقيل عليه السلام على اهل داوردان وقد عريت
عظامهم وتفرقت اوصالهم فتعجب من ذلك فاوحى الله اليه ناد فيهم ان قوموا
باذن الله فنادى يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لا اله الا انت وفائدة القصة
تشجيع المسلمين على الجهاد والتعرض للشهادة وحثهم على التوكل والاستسلام للقضاء
ان الله لذو فضل على الناس حيث احياهم ليعتبروا ويفوزوا وقص عليكم حالهم
لتستبصروا ولكن اكثر الناس لا يشكرون اي لا يشكرونه كما ينبغي ويجوز ان يراد
بالشكر الاعتبار والاستبصار وقاتلوا في سبيل الله لما بين ان الفرار عن الموت غير
مخلص وان المقدر لا محالة واقع امرهم بالقتال اذ لو جاء اجلهم ففي سبيل الله والا
فالنصر والثواب واعلموا ان الله سميع لما يقوله المتخلف والسابق عليم بما يضمرانه

فقاموا

وهو من وراء الجزاء **من ذا الذي يقرض الله** من استفهامية مرفوعة الموضع بالابتداء
او ذا خبره والذي صفة ذا او بدله واقراض الله مثل لتقديم العمل الذي يطلب به ثوابه
قرضا حسنا اقراضا مقرونا بالاخلاص وطيب النفس ومقرضا حلالا طيبا وقيل القرض
المجاهدة والانفاق في سبيل الله **فيضاعفه له** فيضاعف جزاءه اخرجه على صورة
المغالبة للمبالغة وقراءة عاصم بالنصب على جواب الاستفهام حملا على المعنى فان من ذا
الذي يقرض الله في معنى أيقرض الله احد وقراءة ابن كثير يضعفه بالرفع والتشديد وابن عامر
ويعقوب بالنصب **اضعافا كثيرة** لا يقدرها الا الله وقيل الواحد بسبعمائة واضعافا
جمع ضعف ونصبه على الحال من الضمير المنصوب او المفعول الثاني لتضمن المضاعفة
معنى التصيير او المصدر على ان الضعف اسم المصدر وجمعه للتنويع **والله يقبض ويبسط**
يقتر على بعض ويوسع على بعض حسبما اقتضت حكمته فلا تبخلوا عليه بما وسع عليكم
ليلا يسد الحال لكم **واليه ترجعون** فيجازيكم على ما قدمتم **ألم تر الى الملإ من بني إسرائيل**
الملأ جماعة يجتمعون للتشاور ولا واحد له كالقوم ومن للتبعيض **من بعد موسى** اي
من بعد وفاته ومن للابتداء **اذ قالوا لنبي لهم** هو يوشع او شمعون او اشمويل **ابعث لنا**
ملكا نقاتل في سبيل الله اقم لنا اميرا ننهض معه للقتال ندبر امره ونصدر فيه عن رأيه
وجزم نقاتل على الجواب وقرئ بالرفع على انه حال اي ابعثه لنا مقدرين القتال ويقاتل
بالياء مجزوما ومرفوعا على الجواب والوصف للملك **قال هل عسيتم** النبي **ان كتب عليكم**
القتال ألا تقاتلوا فصل بين عسى وخبرها بالشرط والمعنى توقع جبنكم عن القتال ان كتب
عليكم فادخل هل على فعل التوقع مستفهما عما هو المتوقع عنده تقريرا وتثبيتا **عسيتم**
بكسر السين **قالوا وما لنا ألا نقاتل في سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا**
اي اي غرض لنا في ترك القتال وقد عرض لنا ما يوجبه ويحث عليه من الاخراج عن الاوطان والافراد عن الاولاد وذلك ان جالوت ومن معه من العمالقة كانوا يسكنون ساحل

وقرأ نافع والكسائي والبزي وابو بكر بالصاد ومثله في الاعراف في مواضع

بحر الروم

بحر الروم بين مصر وفلسطين **فظهروا على بني إسرائيل فأخذوا ديارهم وسبوا الا**
قليلا منهم ثلثمائة وثلث عشر بعدد اهل بدر **والله عليم بالظالمين** وعيدهم على
ظلمهم في ترك الجهاد **وقال لهم نبيهم ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا** طالوت علم
عبري كداود وجعله فعلوتا من الطول تعسف يدفعه منع صرفه روي ان نبيهم صلى الله
عليه وسلم لما دعا الله ان يملكهم اتى بعصا يقاس بها من يملك عليهم فلم يساوها الا طالوت
قالوا أنى يكون له الملك علينا من اين يكون له ذلك ونحن اشراف وهو فقير
ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال والحال انا احق منه بالملك وراثة ومكنة وانه فقير لا مال له
يعتضد به وانما قالوا ذلك لان طالوت كان فقيرا راعيا او سقاء او دباغا من اولاد يامين
ولم يكن فيهم النبوة والملك وانما كانت النبوة في اولاد لاوى بن يعقوب والملك
في اولاد يهوذا وكان فيهم من السبطين خلق **قال ان الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة**
في العلم والجسم والله يؤتي ملكه من يشاء والله واسع عليم لما استبعدوا تملكه لفقره
وسقوط نسبه رد عليهم ذلك اولا بان العمدة فيه اصطفاء الله وقد اختاره عليكم
وهو اعلم بالمصالح منكم وثانيا بان الشرط فيه وفور العلم ليتمكن به من معرفة الامور
السياسية وجسامة البدن ليكون اعظم خطرا في القلوب واقوى على مقاومة العدو
ومكابدة الحروب لما ذكرتم وقد زاده الله فيهما وكان الرجل القائم يمد يده فينال رأسه
وثالثا بانه تعالى مالك الملك على الاطلاق فله ان يوتيه من يشاء ورابعا بانه واسع
الفضل يوسع على الفقير ويغنيه عليم بمن يليق بالملك من النسيب وغيره **وقال لهم**
نبيهم لما طلبوا منه حجة على انه سبحانه وتعالى اصطفاه طالوت وملكه عليهم **ان آية**
ملكه ان يأتيكم التابوت الصندوق فعلوت من التوب فانه لا يزال يرجع اليه
ما يخرج منه وليس بفاعول لقلة نحو سليس وقلق ومن قرأه بالهاء فلعله ابدل منه

بحر الروم

كما ابدل من تاء التانيث لاشتراكهما في الهمس والزيادة يريد به صندوق التورية وكان
من خشب الشمشار مموها بالذهب نحوا من ثلثة اذرع في ذراعين فيه سكينة من ربكم
الضمير للاتيان اي في اتيانه سكون لكم وطمانينة او للتابوت اي مودع فيه ما
تسكنون اليه وهو التورية وكان موسى عليه السلم اذا قاتل قدمه فتسكن نفوس بني
اسرائيل ولا يفرون وقيل صورة كانت فيه من زبرجد او ياقوت لها راس وذنب كراس
الهرة وذنبها وجناحان فتان فيزف التابوت نحو العدو وهم يتبعونه فاذا استقر
ثبتوا وسكنوا ونزل النصر وقيل صور الانبياء من آدم الى محمد عليه السلام وقيل
التابوت هو القلب والسكينة ما فيه من العلم والاخلاص واتيانه مصير قلبه مقر
العلم والوقار بعد ان لم يكن وبقية مما ترك آل موسى وآل هرون رضاض الالواح
وعصا موسى وثيابه وعمامة هرون وآلهما ابناءهما او انفسهما والآل مقحم لتفخيم شانهما
او انبياء بني اسرائيل لانهم ابناء عمهما تحمله الملائكة قيل رفعه الله بعد موسى فنزلت به
الملائكة وهم ينظرون اليه وقيل كان بعده مع انبياءهم يستفتحون به حتى افسدوا
فغلبهم الكفار عليه وكان في ارض جالوت الى ان ملك الطالوت فاصابهم ببلاء حتى
هلكت خمس مداين فتشاءموا بالتابوت فوضعوه على تورين فساقتهما الملائكة
الى طالوت ان في ذلك لآية لكم ان كنتم مؤمنين يحتمل ان يكون من تمام كلام النبي
وان يكون ابتداء خطاب من الله تعالى فلما فصل طالوت بالجنود اي انفصل بهم عن بلده
لقتال العمالقة واصله فصل نفسه عنه ولكن لما كثر حذف مفعوله صار كاللازم
روي انه قال لهم لا يخرج معي الا الشاب النشيط الفارغ فاجتمع اليه مما اختاره
ثمانون الفا وكان الوقت قيظا فسلكوا مفازة وسالوا ان يجري الله لهم نهرا قال ان
الله مبتليكم بنهر يعاملكم معاملة المختبر بما اقترحتموه فمن شرب منه فليس مني فليس
من اشياعي او ليس بمتحد معي ومن لم يطعمه فانه مني اي من لم يذقه من طعم الشيء

اذا

فان شئت حرمت النساء عليكم

اذا ذاقه ماكولا او مشروبا قال وان شئت لم اطعم نقاخا ولا بردا وانما علم ذلك
بالوحي ان كان نبيا كما قيل او باخبار النبي الا من اغترف غرفة بيده استثناء من قوله فمن
شرب وانما قدمت عليه الجملة الثانية للعناية بها كما قدم الصابئون على الخبر في قوله ان الذين
آمنوا والذين هادوا والمعنى الرخصة في القليل دون الكثير وقرا ابن عامر والكوفيون بضم
الغين فشربوا منه الا قليلا منهم اي فكرعوا فيه اذ الاصل في الشرب منه ان لا يكون
بوسط وتعميم الاول ليتصل الاستثناء او افرطوا في الشرب الا قليلا منهم وقرئ بالرفع
حملا على المعنى فان قوله فشربوا منه في معنى فلم يطيعوه والقليل كانوا ثلثمائة
وثلثة عشر رجلا وقيل ثلثة آلاف وقيل الف روي ان من اقتصر على
الغرفة كفته لشربه واداوته ومن لم يقتصر غلب عليه عطشه واسودت
شفته ولم يقدر ان يمضي وهكذا الدنيا لقاصد الآخرة فلما جاوزه هو
والذين آمنوا معه اي القليل الذين لم يخالفوه قالوا اي بعضهم لبعض لا طاقة
لنا اليوم بجالوت وجنوده لكثرتهم وقوتهم قال الذين يظنون انهم ملاقوا
الله اي قال الخلص منهم الذين تيقنوا لقاء الله وتوقعوا ثوابه او علموا انهم يستشهدون
عما قريب فيلقون الله وقيل هم القليل الذين ثبتوا معه والضمير في قالوا للكثير
المنخزلين عنه اعتذارا في التخلف وتحذيرا للقليل وكانهم تقاولوا به والنهر بينهما
كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله بحكمه وتيسيره وكم يحتمل الخبر
والاستفهام ومن مبينة او مزيدة والفئة الفرقة من الناس من فاوت راسه
اذا شققته او من فاء اذا رجع فوزنها فعة او فلة والله مع الصابرين بالنصر والا
ثابة ولما برزوا لجالوت وجنوده اي ظهروا لهم ودنوا منهم قالوا ربنا
افرغ علينا صبرا وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين التجاوا الى الله بالدعاء
وفيه ترتيب بليغ اذ سالوا اولا افراغ الصبر في قلوبهم الذي هو ملاك الامر ثم ثبات

القدم فى مماحض الحرب المستتب منه ثم النصر على العدو المترتب عليهما غالبا
فهزموهم باذن الله فكسروهم بضرب او مصاحبين لنصره اياهم اجابة لدعائهم
وقتل داود جالوت قيل كان ايشى فى عسكر طالوت مع ستة من بنيه وكان داود
سابعهم وكان صغيرا يرعى الغنم فاوحى الله الى نبيهم الذى يقتل جالوت فطلبه من ابيه
فجاء وقد كلمه فى الطريق ثلثة احجار وقالت له انك بنا تقتل جالوت فحملها فى مخلاته
ورماه بها فقتله ثم زوجه طالوت بنته وآتيه الله الملك اى ملك بنى اسرائيل وكلم
مجتمعوا قبل داود على ملك والحكمة النبوة وعلمه مما يشاء كالسرد وكلام الدواب
والطير ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض ولكن الله ذو فضل على
العالمين ولولا انه تعالى يدفع بعض الناس ببعض وينصر المسلمين على الكفار ويكف بهم
فسادهم لغلبوا وافسدوا فى الارض او لفسدت الارض بشؤمه وقرا نافع هنا وفى
الحج دفاع تلك آيات الله اشارة الى ما قص من حديث الالوف وتمليك طالوت واتيان
التابوت وانهزام الجبابرة وقتل داود جالوت نتلوها عليك بالحق بالوجه المطابق الذى
لا يشك فيه اهل الكتاب وارباب التواريخ وانك لمن المرسلين لما اخبرت بها
من غير تعرف واستماع تلك الرسل اشارة الى الجماعة المذكورة قصصها فى السورة
او المعلومة للرسولك وجماعة الرسل واللام للاستغراق فضلنا بعضهم على بعض
بان خصصناه بمنقبة ليست لغيره منهم من كلم الله تفصيل له وهو موسى
وقيل موسى ومحمد عليهما السلام كلم موسى ليلة الخيرة وفى الطور ومحمدا ليلة المعراج
حين كان قاب قوسين او ادنى وبينهما بون بعيد وقرئ كلم الله وكالم الله بالنصب
فانه كلم الله كما ان الله كلمه ولذلك قيل كليم الله بمعنى مكالمه ورفع بعضهم درجات
بان فضله على غيره من وجوه متعددة ومراتب متباعدة وهو محمد عليه السلم
فانه خص بالدعوة العامة والحج المتكاثرة والمعجزات المستمرة والآيات المتعاقبة بتعاقب

الدهر

الدهر والفضائل العلمية والعملية الفائتة للحصر والافهام لتفخيم شانه كانه العلم المتعين
لهذا الوصف المستغنى عن التعيين وقيل ابرهيم خصه بالخلة التى هى اعلى المراتب وقيل
ادريس لقوله تعالى ورفعناه مكانا عليا وقيل اولوا العزم من الرسل وآتينا عيسى ابن
مريم البينات وايدناه بروح القدس خصه بالتعيين لافراط اليهود والنصارى فى تحقيره
وتعظيمه وجعل معجزاته سبب تفضله لانها آيات واضحة ومعجزات عظيمة لم يستجمعها
غيره ولو شاء الله هدى الناس جميعا ما اقتتل الذين من بعدهم من بعد الرسل من بعد
ما جاءتهم البينات المعجزات الواضحة لاختلافهم فى الدين وتضليل بعضهم بعضا ولكن
اختلفوا فمنهم من آمن بتوفيقه التزام دين الانبياء ومنهم من كفر لاعراضه
عنه بخذلانه ولو شاء الله ما اقتتلوا كرره للتاكيد ولكن الله يفعل ما يريد فيوفق
من يشاء فضلا ويخذل من يشاء عدلا والآية دليل على ان الانبياء متفاوتة الاقدام
وانه يجوز تفضيل بعضهم على بعض ولكن بقاطع لان اعتبار الظن فيما يتعلق بالعمل
وان الحوادث بيد الله تابعة لمشيته خير الكان او شرا ايمانا وكفرا يا ايها الذين آمنوا انفقوا
مما رزقناكم ما اوجبت عليكم انفاقه من قبل ان يأتى يوم لا بيع فيه
ولا خلة ولا شفاعة من قبل ان يأتى يوم لا تقدرون على تدارك ما فرطتم والخلاص
من عذابه اذ لا بيع فيه فتحصلون ما تنفقونه او تفتدون به من العذاب ولا خلة حتى
يعينكم عليه اخلاؤكم ويسامحكم به ولا شفاعة الا لمن اذن له الرحمن ورضى له قولا
حتى تتكلوا على شفعاء تشفع لكم فى حط ما فى ذممكم وانما رفعت ثلثتها مع فتح التميم
لانها فى التقدير جواب هل فيه بيع او خلة او شفاعة وقد فتحها ابن كثير وابو عمرو
ويعقوب على الاصل والكافرون هم الظالمون يريد انهم تاركون للزكوة هم
الظالمون الذين ظلموا انفسهم او وضعوا المال فى غير موضعه وصرفوه على غير وجهه
فوضع الكافرون موضعه تغليظا وتهديدا كقوله ومن كفر فان من لم يحج وايذانا بان

ترك الزكوة من صفات الكفار كقوله وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكوة **الله لا اله**
الا هو مبتداء وخبر والمعنى انه المستحق للعبادة لا غير وللنحاة خلاف فى انه هل يضمر للاخبر
مثل فى الوجود او يصح ان يوجد **الحى** الذى يصح ان يعلم ويقدر وكل ما يصح له فهو واجب
لا يزول لامتناعه عن القوة والامكان **القيوم** القائم القيام بتدبير الخلق وحفظه فيعول
من قام بالامر اذا حفظه وقرئ القيام والقيم **لا تاخذه سنة ولا نوم** السنة فتور
يتقدم النوم فالابن الرقاع واسنان اقعدك النعاس فرنقت فى عينه سنة وليس
بنائم والنوم حال يعرض للحيوان من استرخاء اعصاب الدماغ من رطوبات الابخرة المتصاعدة
بحيث تقف الحواس الظاهرة عن الاحساس رأسا وتقديم السنة عليه وقياس
المبالغة عكسه على ترتيب الوجود والجملة نفى للتشبيه وتاكيد لكونه حيا قيوما
فان من اخذه نعاس او نوم كان ما فى الحيوة قاصرا فى الحفظ والتدبير ولذلك ترك
العاطف فيه وفى الجمل التى بعده **له ما فى السموات وما فى الارض** تقرير لقيوميته
واحتجاج على تفرده فى الالوهية والمراد بما فيهما ما وجد فيهما داخلا فى حقيقتهما او
خارجا عنهما متمكنا فيهما فهو ابلغ من قوله له السموات والارض وما فيهن **من ذا الذى**
يشفع عنده الا باذنه بيان لكبرياء شانه وانه لا احد يساويه او يدانيه يستقل ان يشفع
ما يريده شفاعة واستكانة فضلا ان يعاوقه عنادا ومناصبة **يعلم ما بين ايديهم**
وما خلفهم ما قبلهم وما بعدهم او بالعكس لانك مستقبل المستقبل ومستدبر الماضى
او امور الدنيا وامور الاخرة او عكسه او ما يحسونه وما يعقلونه او ما يدركونه وما لا يدركون
والضمير لما فى السموات والارض لان فيهم العقلاء او لما دل عليه من ذا من الملائكة والانبياء **ولا يحيطون بشىء من علمه** من معلوماته **الا بما شاء** ان يعلموا وعطفه على
ما قبله لان مجموعهما يدل على تفرده بالعلم الذاتى التام الدال على وحدانيته **وسع كرسيه**
السموات والارض تصوير لعظمته وتمثيل مجرد كقوله وما قدروا الله حق قدره والارض

جميعا

جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه ولا كرسى ولا قاعد وقيل
كرسيه مجاز عن علمه وملكه ماخوذ من كرسى العالم والملك وقيل جسم بين يدى العرش
ولذا سمى كرسيا محيطا بالسموات السبع لقوله عليه السلام ما السموات السبع
السبع مع الكرسى الا كحلقة فى فلاة وفضل العرش على الكرسى كفضل تلك الفلاة على تلك
الحلقة ولعله الفلك المشهور بفلك البروج وهو فى الاصل ما يقعد عليه ولا يفضل
عن مقعد القاعد وكانه منسوب الى الكرس وهو الملبد **ولا يؤوده** ولا يثقله ماخوذ
من الاود وهو الاعوجاج **حفظهما** اى حفظه السموات والارض فحذف الفاعل
واضاف المصدر الى المفعول **وهو العلى** المتعالى عن الانداد والاشباه **العظيم** المستحق
بالاضافة اليه كل ما سواه وهذه الآية مشتملة على انتهات المسائل الالهية فانها
دالة على انه تعالى موجود واحد فى الالهية متصف بالحيوة واجب الوجود لذاته موجد لغيره
اذ القيوم هو القائم بنفسه المقيم لغيره منزه عن التحيز والحلول مبرا عن التغير والفتور
لا يناسب الاشباح ولا يعتريه ما يعترى الارواح مالك الملك والملكوت مبدع الاصول والفروع ذو البطش الشديد الذى لا يشفع عنده الا من اذن له عالم الاشياء كلها
جليتها وخفيتها كليتها وجزئيتها واسع الملك والقدرة كل ما يصح ان يملك ويقدر عليه
لا يؤوده شاق ولا يشغله شان متعال عما يدركه وهم عظيم لا يحيط به فهم ولذلك
قال عليه السلام ان اعظم آية فى القران آية الكرسى من قراها بعث الله ملكا
يكتب من حسناته ويمحو من سيئاته الى الغد من تلك الساعة وقال من قراء آية الكرسى
فى دبر كل صلوة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة الا الموت ولا يواظب عليها الا صديق
او عابد ومن قراءها اذا اخذ مضجعه آمنه الله على نفسه وجاره وجار جاره والا
بيات حوله **لا اكراه فى الدين** اذ الاكراه فى الحقيقة الزام الغير فعلا لا يرى فيه خيرا لنفسه
عليه ولكن **قد تبين الرشد من الغى** تميز الايمان من الكفر بالآيات الواضحة ودلت الدلا

على ان الايمان رشد يوصل الى السعادة الابدية والكفر غي يودي الى الشقاوة
السرمدية والعاقل متى تبين له ذلك بادرت نفسه الى الايمان طلبا للفوز بالسعادة
والنجاة ولم يحتج الى الاكراه والالجاء وقيل اخبار في معنى النهي اي لا تكرهوا في الدين
وهو اما عام منسوخ بقوله جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم او خاص باهل الكتاب
لما روي ان انصاريا كان له ابنان تنصرا قبل المبعث ثم قدما المدينة فلزمهما ابوهما
وقال والله لا ادعكما حتى تسلما فابيا فاختصموا الى رسول الله فنزلت فمن يكفر بالطاغوت
بالشيطان او الاصنام او كل ما عبد من دون الله او صد من عبادة الله فعلوت من
الطغيان قلبت عينه ولامه ويؤمن بالله بالتوحيد وتصديق الرسل فقد استمسك
بالعروة الوثقى طلب الامساك من نفسه بالعروة الوثقى من الحبل الوثيق وهي مستعارة
لمتمسك المحق من النظر الصحيح والراي القويم لا انفصام لها لا انقطاع لها يقال فصمته
فانفصم والله سميع بالاقوال عليم بالنيات ولعله تهديد على النفاق الله ولي الذين امنوا
محبهم او متولي امرهم والمراد بهم من اراد ايمانه وثبت في علمه انه يؤمن يخرجهم بهدايته
وتوفيقه من الظلمات ظلمات الجهل واتباع الهوى وقبول الوساوس والشبه المؤدية
الى الكفر الى النور الى الهدى الموصل الى الايمان والجملة خبر او حال من المستكن في الخبر او من
الموصول او منهما او استيناف مبين او مقرر للولاية والذين كفروا اولياؤهم الطاغوت
اي الشياطين او المضلات من الهوى والشيطان وغيرهما يخرجونهم من النور الى الظلمات
من النور الذي منحوه بالفطرة الى الكفر وفساد الاستعداد والانهماك في الشهوات او من نور
البينات الى ظلمات الشكوك والشبهات وقيل نزلت في قوم ارتدوا عن الاسلام واسناد
الاخراج الى الطاغوت باعتبار التسبب لا يابى تعلق قدرته تعالى وارادته به اولئك
اصحاب النار هم فيها خالدون وعيد وتحذير ولعل عدم مقابلته بوعد المؤمنين تعظيم
لشانهم الم تر الى الذي حاج ابرهيم في ربه تعجيب من محاجة نمرود وحماقته ان آتاه

الله

اذا كسرته فانكسر

بعد خبره

اليقينيات

الله الملك لان آتاه اي ابطره ايتاء الملك وحمله على المحاجة او حاج لاجله شكرا له
على طريقة العكس كقولك عاديتني لاني احسنت اليك او وقت ان آتاه الملك وهو حجة
على من يمنع ايتاء الله الملك الكافر من المعتزلة اذ قال ابرهيم ظرف لحاج او بدل من
آتاه على الوجه الثاني ربي الذي يحيي ويميت يخلق الحيوة والموت في الاجسام وقرا حمزة
رب بحذف الياء قال انا احيي واميت بالعفو عن القتل والقتل وقرا نافع انا بالالف
قال ابرهيم فان الله ياتي بالشمس من المشرق فات بها من المغرب اعرض ابرهيم
عن الاعتراض على معارضته الفاسدة الى الاحتجاج بما لا يقدر فيه على نحو هذا التمويه
دفعا للمشاغبة وهو في الحقيقة عدول عن مثال خفي الى مثال جلي من مقدوراته التي
يعجز عن الاتيان بها غيره لا عن حجة الى اخرى ولعل نمرود زعم انه يقدر ان يفعل كل جنس
يفعله الله فنقضه ابرهيم بذلك وانما حمله عليه بطر الملك وحماقته او اعتقاد
الحلول وقيل لما كسر ابرهيم الاصنام سجنه اياما ثم اخرجه ليحرقه فقال له من ربك
الذي تدعوا اليه وحاجه فيه فبهت الذي كفر فصار مبهوتا وقرئ فبهت اي فغلب ابرهيم
الكافر والله لا يهدي القوم الظالمين الذين ظلموا انفسهم بالامتناع عن قبول الهداية
وقيل لا يهديهم محجة الاحتجاج او سبيل النجاة او طريق الجنة يوم القيامة او كالذي
مر على قرية تقديره او ارايت مثل الذي فحذف لدلالة الم تر عليه وتخصيصه بحرف التشبيه
لان المنكر للاحياء كثير والجاهل بكيفيته اكثر من ان يحصى بخلاف مدعي الربوبية
وقيل الكاف مزيدة وتقدير الكلام الم تر الى الذي حاج او الذي مر وقيل انه عطف
محمول على المعنى كانه قيل الم تر كالذي حاج او كالذي مر وقيل انه من كلام ابرهيم ذكره
جوابا لمعارضته وتقديره او ان كنت تحيي فاحي كاحياء الله الذي مر وهو عزير بن شرحيا
او الخضر او كافر بالبعث ويؤيده نظمه مع نمرود والقرية بيت المقدس حين خربه بخت نصر
وقيل القرية التي خرج منها الالوف وقيل غيرهما واشتقاقها من القري وهو الجمع وهي

شرحيا

شرحبيل

خاوية على عروشها خالية ساقطة حيطانها على سقوفها قال انى يحيى هذه الله
بعد موتها اعترافا بالقصور عن معرفة طريق الاحياء واستعظاما لقدرة المحيى ان كان
القائل مؤمنا واستبعادا ان كان كافرا واتى فى موضع نصب على الظرف بمعنى متى او على
الحال بمعنى كيف فاماته الله مائة عام فلبثه ميتا مائة عام او اماته فلبث ميتا
مائة عام ثم بعثه بالاحياء قال كم لبثت القائل هو الله وساغ ان يكلمه وان كان كافرا
لانه آمن بعد البعث او شارف الايمان وقيل ملك او نبى قال لبثت يوما او بعض يوم
كقول الظان وقيل انه مات ضحى وبعث بعد المائة قبيل الغروب فقال قبل النظر
الى الشمس يوما ثم التفت فرأى بقية منها فقال او بعض يوم على الاضراب قال بل لبثت
مائة عام فانظر الى طعامك وشرابك لم يتسنه لم يتغير بمرور الزمان واشتقاقه
من السنة والهاء اصلية ان قدر لام السنة هاء وهاء سكت ان قدرت واوا وقيل
اصله لم يتسنن من الحماء المسنون فابدلت النون الثالثة حرف علة كتقضى البازى
وانما افرد الضمير لان الطعام والشراب كالجنس الواحد قيل كان طعامه تينا او عنبا
وشرابه عصيرا او لبنا وكان الكل على حاله وقراء حمزة والكسائى لم يتسن بغير الهاء
فى الوصل وانظر الى حمارك كيف تفرقت عظامه وانظر اليه سالما فى مكانه كما ربطته
حفظناه بلا ماء وعلف كما حفظنا الطعام والشراب من التغير والاول ادل على الحال وافق
لما بعده ولنجعلك آية للناس اى وفعلنا ذلك لنجعلك آية روى انه اتى قومه على حمار
وقال انا عزير فكذبوه فقراء التورية من الحفظ ولم يحفظها احد قبله فعرفوه بذلك وقالوا
هو ابن الله وقيل لما رجع الى منزله كان شابا واولاده شيوخا فاذا حدثهم بحديث قالوا
حديث مائة سنة وانظر الى العظام يعنى عظام الحمار والاموات الذين تعجب من احيائهم كيف
ننشزها نحييها او نرفع بعضها على بعض ونركبه عليه وكيف منصوب بننشزها
والجملة حال من العظام اى انظر اليها محياة وقراء ابن كثير ونافع وابو عمرو ويعقوب ننشرها
بالراء المهملة

من انشر الله

من انشر الله الموتى وقرئ ننشرها من نشر بمعنى انشر ثم نكسوها لحما فلما تبين له ما على
تبين مضمر يفسره ما بعده تقديره فلما تبين له ان الله على كل شئ قدير قال اعلم ان الله على
كل شئ قدير بحذف الاول لدلالة الثانى عليه وما قبله فلما تبين له ما اشكل عليه وقراء حمزة
والكسائى قال اعلم على الامر لنفسه او للآمر مخاطبا به او هو نفسه خاطبها به على طريقة التبكيت واذ
قال ابرهيم رب ارنى كيف تحيى الموتى انما سأل ذلك ليصير علمه عيانا وقيل
لما قال نمرود انا احيى واميت قال له ان احياء الله برد الروح الى بدنها فقال نمرود هل عاينت
ذلك فلم يقدر ان يقول نعم وانتقل الى تقرير آخر ثم سأل ربه ان يريه ليطمئن قلبه على الجواز
ان سئل عنه مرة اخرى قال اولم تؤمن بانى قادر على الاحياء باعادة التركيب والحيوة
قال له ذلك وقد علم انه اعرف الناس فى الايمان ليجيب بما اجاب فيعلم السامعون غرضه
قال بلى ولكن ليطمئن قلبى اى بلى آمنت ولكن سألت لازيد بصيرة وسكون قلب بضم
العيان الى الوحى والاستدلال قال فخذ اربعة من الطير قيل طاووسا وديكا وغرابا
وحمامة ومنهم من ذكر النسر بدل الحمام وانما خص الطير لانه اقرب الى الانسان واجمع لخواص
الحيوان والطير مصدر سمى به او جمع كصحب فصرهن اليك فاملهن واضممهن اليك
لتتأملها وتعرف شأنها لئلا يلتبس عليك بعد الاحياء وقراء حمزة ويعقوب فصرهن
بالكسر وهما لغتان قال ولكن اطراف الطير تصورها وقال وفرع يصير الجيد وقف
كانه على الليت قنوان الكروم الدوالح وقرئ فصرهن بضم الصاد وكسرها مشددة الراء
من صرت يصرن ويصرن اذا جمعه وفصرهن من التصرية وهى الجمع ايضا ثم اجعل على كل جبل
منهن جزءا اى ثم جزئهن وقرئ اجزاءهن على الجبال التى بحضرتك قيل كانت اربعة وقيل
سبعة وقراء ابو بكر جزءا بضم الزاء حيث وقع ثم ادعهن قل لهن تعالين باذن الله
يأتينك سعيا سعيا ساعيات مسرعات طيرانا ومشيا روى انه امر ان يذبحها ويتفرق ريشها
ويقطعها فيمسك رؤسها ويخلط سائر اجزائها ويوزعها على الجبال ثم يناديهن فعل ذلك

فجعل كل جزء بطيرا الى الآخر حتى صارت جبالا ثم اقبلن فانضممن الى رؤسهن وفيه اشارة
الى ان من اراد احياء نفسه بالحيوة الابدية فعليه ان يقبل على القوى البدنية فيقتلها
ويمزج بعضها ببعض حتى ينكسر سورتها فيطاوعه ويعنه مسرعات حين دعاهن بداعية العقل
والشرع وكفى لك شاهدا على فضل ابرهيم عليه السلام ويمن اضراعه فى الدعاء وحسن الا
دب فى السؤال انه تعالى اراه ما اراد ان يريه فى الحال على ايسر الوجوه واراه عزيرا بعد ان اماته
مائة عام واعلم ان الله عزيز لا يعجز عما يريد حكيم ذو حكمة بالغة فى كل ما يفعله ويذره
مثل الذين ينفقون اموالهم فى سبيل الله كمثل حبة اى مثل نفقتهم كمثل حبة او مثلهم
كمثل باذر حبة على حذف مضاف اثبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة اسند
الانبات الى الحبة لما كانت من الاسباب كما يسند الى الارض والماء والمنبت على الحقيقة
هو الله والمعنى انه يخرج منها ساق تتشعب منها سبع شعب لكل منها سنبلة فيها مائة حبة
وهو تمثيل يقتضى وقوعه وقد يكون فى الذرة والدخن والبر فى الاراضى المعدة
تلك المضاعفة لمن يشاء بفضله على حسب حال المنفق من اخلاصه وتعبه ومن جملة
تفاوت الاعمال فى مقادير الثواب والله واسع لا يضيق عليه ما يتفضل به من الزيادة
عليم بنية المنفق وقدر انفاقه الذين ينفقون اموالهم فى سبيل الله ثم لا يتبعون ما
انفقوا منا ولا اذى نزلت فى عثمان فانه جهز جيش العسرة بالف بعير بأقتابها واحلاسها وعبد
الرحمن بن عوف فانه اتى النبى صلى الله عليه وسلم باربعة آلاف درهم صدقة والمن ان
يعتد باحسانه على من احسن اليه والاذى ان يتطاول عليه بسبب ما انعم عليه
وثم للتفاوت بين الانفاق وترك المن والاذى لهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم
ولا هم يحزنون لعله لم يدخل الفاء فيه وقد تضمن ما اسند اليه معنى الشرط ايهاما بانهم
اهل لذلك وان لم يفعلوا فكيف بهم اذا فعلوا قول معروف رد جميل ومغفرة تجاوز
عن السائل الحاحه او نيل مغفرة من الله بردّ الجميل او عفو من السائل بان يعذره ويغتفر

رده خير من صدقة يتبعها اذى خبر عنها وانما صح الابتداء بالنكرة لاختصاصها
بالصفة والله غنى عن انفاق ممن وايذاء حليم عن معاجلة من من ويؤذى بالعقوبة
يا ايها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى لا تحبطوا اجرها كل واحد
منهما كالذى ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر كابطال المنافق الذى
يراءى بانفاقه لا يريد به رضا الله ولا ثواب الآخرة ومثاله الذى ينفق رياء والكافى فى
محل النصب على المصدر او الحال ورئاء نصب على المفعول له او الحال بمعنى مرائيا والمصدر
اى انفاقا رياء مثله فمثل المرائى فى انفاقه كمثل صفوان كمثل حجر املس عليه تراب
فاصابه وابل مطر عظيم القطر فتركه صلدا املس نقيا من التراب لا يقدرون
على شىء مما كسبوا لا ينتفعون بما فعلوا ولا يجدون ثوابه والضمير للذى ينفق با
عتبار المعنى لان المراد به الجنس والجمع كما فى قوله ان الذى حانت بفلج دماؤهم
لا يهدى القوم الكافرين الى الخير والرشاد وفيه تعريض بان الرياء والمن والاذى على
الانفاق من صفة الكفار ولا بد للمؤمن ان يتجنب عنها ومثل الذين ينفقون
اموالهم ابتغاء مرضات الله وتثبيتا من انفسهم وتثبيتا بعض انفسهم على الايمان
فان المال شقيق الروح فمن بذل ماله لوجه الله ثبت بعض نفسه ومن بذل ماله ووجه
تثبتها كائنها او تصديقا للاسلام وتحقيقا للجزاء مبتدأ من اصل انفسهم وفيه تنبيه على
ان حكمة الانفاق للمنفق تزكية النفس عن الخل وحب المال كمثل جنة بربوة
اى ومثل نفقة هؤلاء فى الزكاء كمثل بستان بموضع مرتفع فان ثمره يكون احسن منظرا
وازكى ثمرا وقراء ابن عامر وعاصم بربوة بالفتح وقرئ بالكسر وثلثتها لغات فيها اصابها
وابل مطر عظيم القطر فآتت اكلها ثمرتها وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمر وبالتسكين للتخفيف
ضعفين مثلى ما كانت تثمر بسبب الوابل والمراد بالضعف المثل كما اريد بالزوج الواحد
فى قوله من كل زوجين اثنين وقيل اربعة امثاله ونصبه على الحال اى مضاعفا

فان لم يصبها وابل فطل اى فيصيبها او فالذى يصيبها طل او فطل يكفيها لكرم منبتها وبرودة
هوائها لارتفاع مكانها وهو المطر الصغير القطر والمعنى ان نفقات هولاء زاكية عند الله لا تضيع
بحال وان كانت تتفاوت باعتبار ما ينضم اليها من احواله ويجوز ان يكون التمثيل لحالهم عند
الله بالجنة على الربوة ونفقاتهم الكثيرة والقليلة الزائدتين فى زلفاهم بالوابل والطل
والله بما تعملون بصير تحذير عن الرياء وترغيب فى الاخلاص ايود احدكم الهمزة فيه
للانكار ان تكون له جنة من نخيل واعناب تجرى من تحتها الانهار له فيها من كل
الثمرات جعل الجنة منهما مع ما فيها من سائر الاشجار تغليبا لهما لشرفهما وكثرة منا
فعهما ثم ذكر ان فيها كل الثمرات ليدل على احتوائها على سائر انواع الاشجار ويجوز ان يكون
المراد بالثمرات المنافع واصابه الكبر اى كبر السن فان الفاقة والعالة فى الشيخوخة اصعب
والواو للحال او للعطف حملا على المعنى فكانه قيل ايود احدكم لو كانت له جنة واصابه الكبر
وله ذرية ضعفا صغار لا قدرة لهم على الكسب فاصابها اعصار فيه نار فاحترقت
عطف على اصابه او يكون باعتبار المعنى والاعصار ريح عاصفة تنعكس من الارض الى
السماء مستديرة كعمود والمعنى تمثيل حال من يفعل الافعال الحسنة ويضم اليها ما يحبطها
كريا وايذا فى الحسرة والاسف اذا كان يوم القيامة واشتد حاجته اليها وجدها محبطة
بحال من هذا شانه واشبههم به من جال بسره فى عالم الملكوت وترقى بفكره الى جناب الجبروت
ثم نكص على عقبيه الى عالم الزور والتفت الى ما سوى الحق وجعل سعيه هباء منثورا
كذلك يبين الله لكم الايات لعلكم تتفكرون اى تتفكرون فيها فتعتبرون بها
يا ايها الذين آمنوا انفقوا من طيبات ما كسبتم من حلاله او جياده ومما اخرجنا لكم
من الارض اى ومن طيبات ما اخرجنا من الحبوب والثمر والمعادن فحذف المضاف لتقدم
ذكره ولا تيمموا الخبيث ولا تقصدوا الردى منه اى من المال او مما اخرجنا وتخصيصه
بذلك لان التفاوت فيه كثير وقرئ ولا تأمموا ولا تيمموا بضم التاء تنفقون حال مقدرة

من فاعل

من فاعل تيمموا ويجوز ان يتعلق به منه ويكون الضمير للخبيث والجملة حالا منه ولستم
باخذيه اى وحالكم انكم لا تاخذونه فى حقوقكم لرداءته الا ان تغمضوا فيه الا ان تتسا
محوا فيه مجاز من اغمض بصره اذا غضه وقرئ تغمضوا اى تحملوا على الاغماض او توجدوا
مغمضين وعن ابن عباس كانوا يتصدقون بحشف التمر وشراره فنهوا عنه واعلموا ان الله
غنى عن انفاقكم وانما يامركم به لانتفاعكم حميد بقبوله واثابته الشيطان يعدكم
الفقر فى الانفاق والوعد فى الاصل شائع فى الخير والشر وقرئ الفقر بالضم والسكون وفتحتين
ويامركم بالفحشاء ويغريكم على البخل والعرب تسمى البخيل الفاحش وقيل المعاصى والله
يعدكم مغفرة منه اى يعدكم فى الانفاق مغفرة ذنوبكم وفضلا خلفا افضل مما انفقتم
فى الدنيا او فى الآخرة والله واسع اى واسع الفضل لمن انفق عليم بانفاقه يؤتى الحكمة
تحقيق العلم واتقان العمل من يشاء مفعول اول اخر للاهتمام بالمفعول الاخير ومن
يؤت الحكمة بناه للمفعول لانه المقصود وقرأ يعقوب بالكسر اى ومن يؤته الله فقد
اوتى خيرا كثيرا اى اى خير كثير اذ حيز له خير الدارين وما يذكر وما يتعظ بما قص من الآ
يات او وما يتفكر فان المتفكر كالمتذكر لما اودع الله فى قلبه من العلوم بالقوة الا اولوا الا
لباب ذووا العقول الخالصة عن شوائب الوهم والركون الى متابعة الهوى وما انفقتم
من نفقة قليلة او كثيرة سرا او علانية فى حق او باطل او نذرتم من نذر بشرط او غير شرط
او معصية فان الله يعلمه فيجازيكم عليه وما للظالمين الذين ينفقون فى المعاصى وينذرون
فيها او يمنعون الصدقات ولا يفون بالنذور من انصار من ينصرهم من الله ويمنعهم
من عقابه ان تبدوا الصدقات فنعما هى فنعم شيئا ابداؤها وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائى
بفتح النون وكسر العين على الاصل وقرأ ابو عمرو وابو بكر وقالون بكسر النون وسكون العين
وروى عنهم بكسر النون واخفاء حركة العين وهو اقيس وان تخفوها وتؤتوها الفقراء
اى تعطوها مع الاخفاء فهو خير لكم فالاخفاء خير لكم وهذا فى التطوع ولمن لم يعرف بالمال

فان ابدأ الفرض لغيره افضل لنفي التهمة عن ابن عباس صدقة السر في التطوع تفضل علانيتها
بسبعين ضعفا وصدقة الفريضة علانيتها افضل من سرها بخمسة وعشرين ضعفا
ويكفر عنكم من سيئاتكم قراءة ابن عامر وعاصم في رواية حفص بالياء اي والله يكفر او الا
خفاء وقراء ابن كثير وابو عمرو وعاصم في رواية ابن عياش ويعقوب بالنون مرفوعا على
انه جملة فعلية مبتداة او اسمية معطوفة على ما بعد الفاء اي ونحن نكفر وقراء نافع وحمزة
والكسائي به مجزوما على محل الفاء وما بعده وقرئ بالتاء مرفوعا ومجزوما والفعل للصد
قات والله بما تعملون خبير ترغيب في الاسرار به ليس عليك هديهم لا يجب عليك ان
تجعل الناس مهديين وانما عليك الارشاد والحث على المحاسن والنهي عن المقابح كالمن
والاذى وانفاق الخبيث ولكن الله يهدي من يشاء صريح بان الهداية من الله وبمشيته
وانها تختص بقوم دون قوم وما تنفقوا من خير من نفقة معروفة فلانفسكم فهو لانفسكم
لا ينتفع به غيركم فلا تمنوا عليه ولا تنفقوا الخبيث وما تنفقون الا ابتغاء وجه الله حال
وكانه قال وما تنفقوا من خير فلانفسكم غير منفقين الا لابتغاء وجه الله وطلب ثوابه
او عطف على ما قبله اي وليس نفقتكم الا لابتغاء وجهه فما لكم تمنون بها وتنفقون
الخبيث وقيل نفي في معنى النهي وما تنفقوا من خير يوف اليكم ثوابه اضعافا مضاعفة
فهو تاكيد للشرطية السابقة او ما يخلف المنفق استجابة لقوله عليه السلام اللهم
اجعل لمنفق خلفا ولممسك تلفا روي ان ناسا من المسلمين كانت لهم اصهار ورضاع
في اليهود وكانوا ينفقون عليهم فكرهوا لما اسلموا ان ينفقوهم فنزلت وهذا في غير الواجب
واما الواجب فلا يجوز صرفه الى الكافر وانتم لا تظلمون اي لا تنقصون ثواب نفقتكم
للفقراء متعلق بمحذوف اي اعمدوا للفقراء او اجعلوا ما تنفقونه للفقراء او صدقاتكم
للفقراء الذين احصروا في سبيل الله احصرهم الجهاد لا يستطيعون لاشتغالهم به
ضربا في الارض ذهابا فيها للكسب وقيل هم اصحاب الصفة كانوا نحوا من اربعمائة

من فقراء

من فقراء المهاجرين يسكنون صفة المسجد يستغرقون اوقاتهم بالتعلم والعبادة وكانوا
يخرجون في كل سرية بعثها رسول الله صلى الله عليه وسلم يحسبهم الجاهل بحالهم وقراء
ابن عامر وعاصم وحمزة بفتح السين اغنياء من التعفف من اجل تعففهم عن السوال تعرفهم
بسيماهم من الضعف ورثاثة الحال والخطاب للرسول او لكل احد لا يسئلون الناس
الحافا الحاحا وهو ان يلازم المسئول حتى يعطيه من قولهم لحفني من فضل لحافه اي اعطاني
من فضل ما عنده والمعنى انهم لا يسئلون وان سالوا عن ضرورة لم يلحوا وقيل هو نفي للامرين كقوله
على لاحب لا يهتدى بمناره ونصبه على المصدر فانه كنوع من السوال او على الحال وما تنفقوا
من خير فان الله به عليم ترغيب في الانفاق خصوصا على هولاء الذين ينفقون اموالهم
بالليل والنهار سرا وعلانية اي يعمون الاوقات والاحوال بالخير نزلت في ابي بكر تصدق
باربعين دينارا عشرة بالليل وعشرة بالنهار وعشرة بالسر وعشرة بالعلانية وقيل في علي رض
لم يملك الا اربعة دراهم فتصدق بدرهم ليلا ودرهم نهارا ودرهم سرا ودرهم علانية
وقيل في ربط الخيل في سبيل الله والانفاق عليها فلهم اجرهم عند ربهم ولا خوف
عليهم ولا هم يحزنون خبر الذين ينفقون والفاء للسببية وقيل للعطف والخبر محذوف
اي ومنهم الذين ولذلك جوز الوقف على وعلانية الذين ياكلون الربوا اي الآخذون
له وانما ذكر الاكل لانه اعظم منافع المال ولان الربوا شايع في المطعومات وهو زيادة
في الاجل بان يباع مطعوم بمطعوم او نقد بنقد الى اجل او في العوض بان يباع احدهما باكثر منه
من جنسه وانما كتب بالواو كالصلوة للتفخيم على لغة وزيدت الالف بعدها تشبيها بواو
الجمع لا يقومون اذا بعثوا من قبورهم الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان الا قياما
كقيام المصروع وهو وارد على ما يزعمون ان الشيطان يخبط الانسان فيصرع والخبط
ضرب على غير اتساق كخبط العشواء من المس اي الجنون وهذا ايضا من زعماتهم ان
الجني يمسه فيختلط عقله ولذلك قيل جن الرجل وهو متعلق بلا يقومون اي لا يقومون

من المس الذى بهم بسبب اكل الربوا او يبقوم او يتخبط فيكون نهوضهم وسقوطهم
كالمصروعين لا لاختلال عقلهم ولكن لان الله اثرى فى بطونهم ما اكلوه من الربوا
فاثقلهم ذلك بانهم قالوا انما البيع مثل الربوا اى ذلك العقاب بسبب انهم
نظموا الربوا والبيع فى سلك واحد لا فضائهما الى الربح فاستحلوه استحلاله البيع وكان الاصل
حل انما الربوا مثل البيع ولكن عكس للمبالغة كانهم جعلوا الربوا اصلا وقاسوا به البيع
والفرق بين فان من اعطى درهمين بدرهم صنيع درهما ومن اشترى سلعة تساوى درهما
بدرهمين فلعله مساس الحاجة اليها او توقع رواجها يجبر هذا الغبن واحل الله البيع
وحرم الربوا انكار لتسويتهم وابطال للقياس لمعارضته النص فمن جاءه موعظة
من ربه فمن بلغه وعظ من الله وزجر كالنهى عن الربوا فانتهى فاتعظ وتبع النهى فله
ما سلف تقدم اخذه التحريم ولا يسترد منه وما فى موضع الرفع بالظرف ان جعل
صولة وبالابتداء ان جعلت شرطية على راى سيبويه اذ الظرف غير معتمد على ما قبله وامره
الى الله يجازيه على انتهائه ان كان عن قبول الموعظة وصدق النية وقيل يحكم فى
شانه ولا اعتراض لكم عليه ومن عاد الى تحليل الربوا اذ الكلام فيه فاولئك اصحاب
النار هم فيها خالدون لانهم كفروا به يمحق الله الربوا يذهب بركته ويهلك
المال الذى يدخل فيه ويربى الصدقات يضاعف ثوابها ويبارك فيما اخرجت
منه وعنه عليه السلام ان الله يقبل الصدقة فيربيها كما يربى احدكم مهره وعنه عليه السلام
ما نقصت زكوة من مال قط والله لا يحب لا يرتضى ولا يحب محبته للمتوابين كل
كفار مصر على التحليل المحرمات اثيم منهمك فى ارتكابه ان الذين آمنوا بالله ورسله
وبما جاءهم منه وعملوا الصالحات واقاموا الصلوة وآتوا الزكوة عطفها على
ما يتمها لانافتها على سائر الاعمال الصالحة لهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم
من آت ولا هم يحزنون على فائت يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى

قبل نزوله

من الربوا

من الربوا ان كنتم مؤمنين بقلوبكم فان
دليله امتثال ما امرتم به روى انه كان لثقيف مال على بعض قريش فطالبوهم عند المحل
بالمال والربوا فنزلت فان لم تفعلوا فاذنوا بحرب من الله ورسوله اى فاعلموا بها من اذن
بالشئ اذا علم به وقراء حمزة وعاصم فى رواية ابن عياش فآذنوا فاعلموا بها غيركم من الاذن
وهو الاستماع فانه من طرق العلم وتنكير حرب للتعظيم وذلك يقتضى ان يقاتل المرتبى
بعد الاستتابة حتى يفئ الى امر الله كالباغى ولا يقتضى كفره روى انها لما نزلت قال ثقيف
لا يدان لنا بحرب الله ورسوله وان تبتم من الارتباء واعتقاد حله فلكم رؤس اموالكم
لكم لا تظلمون باخذ الزيادة ولا تظلمون بالمطل والنقصان ويفهم منه انهم ان لم يتوبوا
فليس لهم راس مالهم وهو سديد على ما قلناه اذا المصر على التحليل مرتد وماله فئ وان كان
ذو عسرة وان وقع عزيم ذو عسرة وقرئ ذا عسرة اى وان كان الغريم ذا عسرة فنظرة فالحكم
نظرة او فعليكم نظرة او فليكن نظرة وهى الانظار وقرئ فناظرة على الخبر اى فالمستحق ناظرة
بمعنى منتظرة او صاحب نظرة على طريق النسب وعلى الامر اى فسامحه بالنظرة الى ميسرة
يسار وقراء نافع وحمزة بضم السين وهما لغتان كعسرة ومعسرة وقرئ بهما مضافين
بحذف التاء عند الاضافة كقوله واخلفوك عد الامر الذى وعدوا وان تصدقوا بالابراء
خير لكم اكثر ثوابا من الانظار وخير مما تاخذون لمضاعفة ثوابه ودوامه وقيل
المراد بالتصدق الانظار لقوله عليه السلم لا يحل دين رجل مسلم فيوخره الا كان له
بكل يوم صدقة ان كنتم تعلمون ما فيه من الذكر الجميل والاجر الجزيل واتقوا يوما ترجعون
فيه الى الله يوم القيامة او يوم الموت فتاهبوا لمصيركم اليه وقراء ابو عمرو ويعقوب
بفتح التاء وكسر الجيم ثم توفى كل نفس ما كسبت جزاء ما عملت من خير او شر وهم
لا يظلمون بنقص ثواب وتضعيف عقاب وعن ابن عباس انها آخر آية نزلت بها جبريل
وقال ضعها فى راس المائتين والثمانين من البقرة وعاش رسول الله صلى الله عليه وسلم

بعدها احدا وعشرين يوما وقيل احدا وثمانين وقيل سبعة ايام وقيل ثلث سا
عات يا ايها الذين آمنوا اذا تداينتم بدين اذا داين بعضكم بعضا تقول داينته اذا عا
ملته نسيئة معطيا او آخذا وفائدة ذكر الدين ان لا يتوهم من التداين المجازاة ويعلم
تنوعه الى المؤجل والحال وانه الباعث على الكتبة ويكون مرجع ضمير فاكتبوه الى اجل
مسمى معلوم بالايام والاشهر لا بالحصاد وقدوم الحاج فاكتبوه لانه اوثق وادفع للنزاع
والجمهور على انه استحباب وعن ابن عباس ان المراد به السلم وقال لما حرم الله الربوا
اباح السلف وليكتب بينكم كاتب بالعدل من يكتب بالسوية لا يزيد ولا ينقص
وهو في الحقيقة آمر للمتداينين باختيار كاتب فقيه دين حتى يجئ مكتوبه موثوقا به
معدلا بالشرع ولا يأب كاتب ولا يمتنع احد من الكتاب ان يكتب كما علمه الله مثل ما علمه
من كتبة الوثائق ولا يأب ان ينفع الناس بكتابته كما نفعه الله بتعليمها كقوله واحسن
كما احسن الله اليك فليكتب تلك الكتابة المعلمة امرها بعد النهي عن الاباء عنها
ويجوز ان يتعلق الكاف بالامر فيكون النهي عن الامتناع منها مطلقة ثم الامر بها مقيدة
وليملل الذي عليه الحق وليكن المملى من عليه الحق لانه المقر المشهود عليه والاملال
والاملاء واحد وليتق الله ربه اى المملي والكاتب ولا يبخس ولا ينقص منه شيئا اى
من الحق ومما املي عليه فان كان الذي عليه الحق سفيها ناقص العقل مبذرا او ضعيفا
صبيا او شيخا مختلا او لا يستطيع ان يمل هو او غير مستطيع للاملاء بنفسه لخرس او جهل
باللغة فليملل وليه بالعدل اى الذي يلي امره ويقوم مقامه من قيم ان كان صبيا او مختل
عقل او وكيل او مترجم ان كان غير مستطيع وهو دليل جواز النيابة في الاقرار ولعله مخصوص
بما قاطاه القيم او الوكيل واستشهدوا شهيدين واطلبوا ان يشهد على الدين شاهدان
من رجالكم من رجال المسلمين وهو دليل اشتراط اسلام الشهود واليه ذهب عامة
العلماء وقال ابو حنيفة تسمع شهادة الكفار بعضهم على بعض فان لم يكونا رجلين

فان لم

فان لم يكن الشهيدان رجلين فرجل وامرأتان فليشهد او فالمستشهد رجل وامرأتان
وهذا مخصوص بالاموال عندنا وبما عدا الحدود والقصاص عند ابي حنيفة ممن ترضون
من الشهداء لعلمكم بعدالتهم ان تضل احديهما فتذكر احديهما الاخرى علة
اعتبار العدد اى لاجل ان احديهما ان ضلت الشهادة بان نسيتها ذكرتها الاخرى والعلة
في الحقيقة التذكير ولكن لما كان الضلال سببا له نزل منزلته كقولهم اعددت السلاح
ان يجئ عدو فادفعه وكانه قيل ارادة ان تذكر احديهما الاخرى ان ضلت وفيه
اشعار بنقصان عقلهن وقلة ضبطهن وقرأ حمزة ان تضل على الشرط فتذكر بالرفع
وابن كثير وابو عمرو ويعقوب فتذكر من الاذكار ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا لاداء الشهادة او التحمل وسموا شهداء تنزيلا لما يشارف منزلة الواقع وما مزيدة ولا تسأموا
ان تكتبوه ولا تملوا من كثرة مداينتكم ان تكتبوا الدين او الحق او الكتاب وقل كنى
بالسأم عن الكسل لانه صفة المنافق ولذلك قال عليه السلام لا يقول المؤمن كسلت
صغيرا او كبيرا صغيرا كان الحق او كبيرا المختصر اكان الكتاب او مستبعا الى اجله الى
وقت حلوله الذي اقر به المديون ذلكم اشارة الى ان تكتبوه اقسط عند الله اكثر قسطا
واقوم للشهادة واثبت لها واعون على اقامتها وهما مبنيان من اقسط واقام على غير قياس
او من قاسط بمعنى ذي قسط وقوم وانما صحت الواو في اقوم كما صحت في التعجب لجموده
وادنى الا ترتابوا واقرب ان لا تشكوا في جنس الدين وقدره واجله والشهود ونحو
ذلك الا ان تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم فليس عليكم جناح الا تكتبوها
استثناء عن الامر بالكتابة والتجارة الحاضرة تعم المبايعة بدين او عين وادارتها بينهم
تعاطيهم اياها يدا بيد الا ان تتبايعوا يدا بيد فلا باس ان لا تكتبوا لبعده عن التنازع
والنسيان ونصب عاصم تجارة على انه الخبر فالاسم مضمر تقديره الا ان تكون التجارة تجارة
حاضرة كقوله بنى اسد هل تعلمون بلاءنا اذا كان يوما ذا كواكب شنعا ورفعها الباقون

اى اليوم يوما

104

على انه الاسم والخبر تديرونها او على كان التامة واشهدوا اذا تبايعتم هذا النبا يعم مطلقا لانه احوط والامر الذى فى هذه الآية للاستحباب عند اكثر الائمة وقيل انها للوجوب ثم اختلف فى احكامها وسخها ولا يضار كاتب ولا شهيد ويحتمل البناءين ويدل عليه ان قرئ ولا يضار بالكسر والفتح وهو نهيهما عن ترك الاجابة والتحريف والتغيير فى الكتبة والشهادة او النهى عن الضرار بهما مثل ان يعجلا عن مهمهم ويكلفا الخروج عما حدلهما ولا يعطى الكاتب جعله والشهيد مؤنة مجيئه حيث كان وان تفعلوا الضرار او ما نهيتم عنه فانه فسوق بكم خروج عن الطاعة لاحق بكم واتقوا الله فى مخالفة امره ونهيه احكامه المتضمنة لمصالحكم والله بكل شئ عليم كرر لفظة الله فى الجمل الثلث لاستقلالها فان الاولى حث على التقوى والثانية وعد بانعامه والثالثة تعظيم لشانه ولانه ادخل فى التعظيم من الكناية وان كنتم على سفر اى مسافرين ولم تجدوا كاتبا فرهن مقبوضة فالذى يستوثق به رهان او فعليكم رهان او فليوجد رهان وليس هذا التعليق لاشتراط السفر فى الارتهان كما ظنه مجاهد وضحاك لانه عليه السلام رهن درعه فى المدينة من يهودى بعشرين صاعا من شعير اخذه لاهله بل لاقامة التوثيق بالارتهان مقام التوثيق بالكتب فى السفر الذى هو مظنة اعوازها والجمهور على اعتبار القبض فيه غيرما لك وقرا ابن كثير وابو عمرو وقرهن كسقف وكلاهما جمع رهن بمعنى مرهون وقرئ باسكان الهاء على التخفيف فان امن بعضكم بعضا اى بعض الدائنين بعض المديونين واستغنى بامانته عن الارتهان فليؤد الذى اؤتمن امانته اى دينه سماه امانة لايمانه عليه بترك الارتهان به وقرئ الذى ايتمن بقلب الهمزة ياء والذ تمن بادغام الياء فى التاء وهو خطاء لان المنقلبة عن الهمزة فى حكمها فلا تدغم وليتق الله ربه فى الخيانة وانكار الحق وفيه مبالغات ولا تكتموا الشهادة ايها الشهود والمديونون والشهادة شهادتهم على انفسهم ومن يكتمها فانه آثم قلبه اى يأثم قلبه او قلبه بأثم والجملة خبر ان

وسنعلمكم الله

واسناد

واسناد الاثم الى القلب لان الكتمان يقترفه وتظير العين زانية والاذن زانية او للمبالغة فانه رئيس الاعضاء وافعاله اعظم الافعال وكانه قيل يأثم فى نفسه واخذ اشرف اجزائه وفاق سائر ذنوبه وقرئ قلبه بالنصب كحسن وجهه والله بما تعملون عليم تهديد لله ما فى السموات وما فى الارض خلقا وملكا وان تبدوا ما فى انفسكم او تخفوه يعنى ما فيها من السوء والعزم عليه لترتب المغفرة والعذاب عليه يحاسبكم به الله يوم القيامة وهو حجة على من انكر الحساب كالمعتزلة والروافض فيغفر لمن يشاء مغفرته ويعذب من يشاء تعذيبه وهو صريح فى نفى وجوب التعذيب وقد دفعها ابن عامر وعاصم ويعقوب على الاستيناف وجزمها الباقون عطفا على جواب الشرط ومن جزم بغير فاء جعلها بدلا عنه بدل البعض من الكل والاشتمال كقوله متى تاتنا تلمم بنا فى ديارنا تجد حطبا جزلا ونارا تاججا وادغام الراء فى اللام لحن اذ الراء لا يدغم الا فى مثله والله على كل شئ قدير فيقدر على الاحياء والمحاسبة آمن الرسول بما انزل اليه من ربه شهادة وتنصيص من الله على صحة ايمانه والاعتداد به وانه جازم فى امره غير شاك فيه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا يخلو من ان يعطف المؤمنون على الرسول فيكون الضمير الذى ينوب عنه التنوين راجعا الى الرسول والمؤمنين او يجعل مبتدأ فيكون الضمير للمؤمنين وباعتباره يصح وقوع كل خبرا للمبتدأ ويكون افراد الرسول بالحكم اما لتعظيمه او لان ايمانه عن مشاهدة وعيان وايمانهم عن نظر واستدلال وقراء حمزة والكسائى وكتابه يعنى القرآن والجنس والفرق بينه وبين الجمع انه شائع فى وجدان الجنس والجمع فى جموعه ولذلك قيل الكتاب اكثر من الكتب لا نفرق بين احد من رسله اى يقولون لا نفرق وقراء يعقوب لا يفرق بالياء على ان الفعل لكل وقرئ لا يفرقون حملا على معناه كقوله وكل اتوه داخرين ولاحد فى معنى الجمع لوقوعه فى سياق النفى كقوله وما منكم احد عنه حاجزين ولذلك دخل عليه بين والمراد نفى الفرق بالتصديق والتكذيب وقالوا سمعنا اجبنا واطعنا اى كلفنا ما نطيقه او قبلنا امرك غفرانك ربنا اغفر غفرانك

او نطلب غفرانك والیك المصیر المرجع بعد الموت وهو اقرار منهم بالبعث لا یكلف الله
نفسا الا وسعها الا ما یسعه قدرتها فضلا ورحمة او ما دون مدی طاقتها بحیث یتسع
فیه طوقها ویتیسر علیها لقوله یرید الله بكم الیسر وهو یدل علی عدم وقوع التكلیف بالمحال
ولا یدل علی امتناعه لها ما كسبت من خیر وعلیها ما اكتسبت من شر لا ینتفع بطاعتها
ولا یتضرر بمعاصیها غیرها وتخصیص الكسب بالخیر والاكتساب بالشر لان الاكتساب فیه
اعتمال والشر تشتهیه النفس وتجذب الیه فكانت اجد فی تحصیله واعمل بخلاف الخیر
ربنا لا تؤاخذنا ان نسینا او اخطأنا او كلما تؤاخذنا بما ادی بنا الی نسیان او خطاء من
تفریط وقلة مبالاة او بانفسهما اذ لا یمتنع المؤاخذة بهما عقلا فان الذنوب كالسموم فكما
ان تناولها یؤدی الی الهلاك وان كان خطأ فتعاطی الذنوب لا یبعد ان یفضی الی العقاب
وان لم یكن عزیمة لكنه تعالی وعد التجاوز عنه رحمة وفضلا فیجوز ان یدعو الانسان به
استدامة واعتدادا بالنعمة فیه ویؤید ذلك مفهوم قوله علیه السلم رفع عن امتی
الخطاء والنسیان ربنا ولا تحمل علینا اصرا عبئا ثقیلا یأصر صاحبه ای یحبسه
فی مكانه یریده به التكالیف الشاقة وقری ولا تحمل بالتشدید للمبالغة كما حملته علی الذین
من قبلنا حملا مثل حملك ایاه من قبلنا او مثل الذی حملته ایاهم فیكون صفة لاصرا
والمراد به ما كلف به بنی اسرائیل من قتل الانفس وقطع موضع النجاسة وخمسین صلوة
فی الیوم واللیلة وصرف ربع المال للزكوة او ما اصابهم من الشدائد والمحن ربنا ولا تحملنا
ما لا طاقة لنا به من البلاء والعقوبة او من التكالیف التی لا یفی بها الطاقة البشریة وهو
یدل علی جواز التكلیف بما لا یطاق والا لما سئل التخلص عنه والتشدید ههنا للتعدیة
الفعل الی مفعولین ثان واعف عنا وامح ذنوبنا واغفر لنا واسترعیوبنا ولا تفضحنا بالمؤا
خذة وارحمنا وتعطف بنا وتفضل علینا انت مولانا سیدنا فانصرنا علی القوم الكافرین
فان من حق المولی ان ینصر موالیه علی الاعداء والمراد به عامة الكفرة روی انه علیه السلم

لما دعا بهذه الدعوات قیل له فعلت وعنه علیه السلام انزل الله آیتین من كنوز
الجنة كتبهما الرحمن بیده قبل ان یخلق الخلق بالفی سنة من قراهما بعد العشاء
الآخرة اجزأتاه عن قیام اللیل وعنه علیه السلام من قراء الآیتین من آخر سورة
البقرة فی لیلة كفتاه وهو یرد قول من استكره ان یقال سورة البقرة وقال ینبغی ان یقال
سورة التی یذكر فیها البقرة كما قال علیه السلم السورة التی یذكر فیها البقرة فسطاط القرآن
فتعلموها فان تعلمها بركة وتركها حسرة ولن یستطیعها البطلة قیل وما البطلة قال
السحرة سورة آل عمران مدنیة وآیها مائتان بسم الله الرحمن الرحیم
الم الله لا اله الا هو انما فتح المیم فی المشهورة وكان حقها ان یوقف علیها لالتقاء حركة
الهمزة علیها لتدل علی اثباتها فی حكم الثابت لانها اسقطت للتخفیف كالمدرج فان المیم فی حكم
الوقف لقولهم واحد اثنان لالتقاء الساكنین فانه غیر محذور فی باب الوقف ولذلك
لم تحرك فی لام وقری بكسرها علی توهم التحریك لالتقاء الساكنین وقراء ابو بكر بسكونها
والابتداء بما بعدها علی الاصل الحی القیوم روی انه علیه السلام قال ان اسم الله
الاعظم فی ثلث سور فی البقرة الله لا اله الا هو الحی القیوم وفی آل عمران لا اله الا هو
الحی القیوم وفی طه وعنت الوجوه للحی القیوم نزل علیك الكتاب القرآن نجوما الحق
بالعدل والصدق فی اخباره او بایجاب الحقیقة انه من عند الله وهو فی موضع الحال مصدقا
لما بین یدیه فانزل التوراة والانجیل جملة علی موسی وعیسی واشتقاقها من الوری
والنحل ودنهما تفعلة وافعیل تعسف لانهما اعجمیان ویؤید ذلك انه قری الانجیل
بفتح الهمزة وهو لیس من ابنیة العرب وقراء ابو عمرو وابن ذكوان والكسائی التوراة
بالامالة فی جمیع القرآن ونافع وحمزة بین اللفظین الا قالون فانه یقراء بالفتح كقراءة البا
من قبل من قبل تنزیل القرآن هدی للناس علی العموم ان قلنا انا متعبدون بشرع من
قبلنا والا فالمراد به فوهما وانزل الفرقان یرید به جنس الكتب الالهیة فانها فاقة

بين الحق والباطل ذكر ذلك بعد الكتب الثلثة ليعم ما عداها كانه قال وانزل سائر
ما يفرق به بين الحق والباطل او الزبور او القرآن وكرر ذكره بما هو نعت له مدحا
وتعظيما واظهارا لفضله من حيث انه يشاركهما في كونه وحيا منزلا ويتميز بانه معجز يفرق
به بين المحق والمبطل او المعجزات ان الذين كفروا بآيات الله من كتبه المنزلة وغيرها
لهم عذاب شديد بسبب كفرهم والله عزيز غالب لا يمنع من التعذيب ذو
انتقام لا يقدر على مثله منتقم والنقمة عقوبة المجرم والفعل منه نقم بالفتح والكسر
وهو وعيد جيء به بعد تقرير التوحيد والاشارة الى ما هو العمدة في اثبات النبوة
تعظيما للامر وزجرا عن الاعراض عنه ان الله لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء
اي شيء كائن في العالم كليا كان او جزئيا ايمانا وكفرا فعبر عنه بالسماء والارض اذ الحس
لا يتجاوزهما وقدم الارض ترقيا من الادنى الى الاعلى ولان المقصود بالذكر ما اقترف
فيها كالدليل على كونه حيا وقوله هو الذي يصوركم في الارحام كيف يشاء اي من
الصور المختلفة وهو كالدليل على القيومية والاستدلال على انه عالم باتقان فعله في خلق
الجنين وتصويره وقرئ تصوركم اي صوركم لنفسه وعبادته لا اله الا هو اذ لا
يعلم غيره جملة ما يعلمه ولا يقدر على مثل ما يفعله العزيز الحكيم اشارة الى كمال قدرته
وتناهي حكمته قيل هذا حجاج على من زعم ان عيسى كان ربا فان وفد نجران لما حاجوا
فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم نزلت السورة من اولها الى نيف وثمانين آية
تقريرا لما احتج به عليهم واجاب عن شبههم هو الذي انزل عليك الكتاب منه آيات
محكمات احكمت عبارتها بان حفظت من الاحتمال هن ام الكتاب اصله يرد اليها غيرها والقياس
امهات فافرد على تاويل كل واحدة او على ان الكل بمنزلة آية واحدة واخر متشابهات محتملات
لا يتضح مقصودها لاجمال او مخالفة ظاهر الا بالفحص والنظر ليظهر فيها فضل العلماء ويزداد
حرصهم على ان يجتهدوا في تدبرها وتحصيل العلوم المتوقف عليها استنباط المراد

بها

القرائح جمع قريحة وهي الذهن

بها فينالوا بها وباتعاب القرائح في استخراج معانيها والتوفيق بينها وبين المحكمات معالي
الدرجات واما قوله الر كتاب احكمت آياته فمعناه انها حفظت من فساد المعنى
وركاكة اللفظ وقوله كتابا متشابها فمعناه انه يشبه بعضه بعضا في صحة المعنى
وجزالة اللفظ واخر جمع اخرى وانما لم ينصرف لانه وصف معدول عن الآخر ولا يلزم منه
معرفته لان معناه ان القياس ان يعرف ولم يعرف لا انه في معنى المعرف او عن آخر من فاما
الذين في قلوبهم زيغ عدول عن الحق كالمبتدعة فيتبعون ما تشابه منه فيتعلقون
بظاهره او بتاويل باطل ابتغاء الفتنة طلب ان يفتنوا الناس عن دينهم بالتشكيك
والتلبيس ومناقضة المحكم بالمتشابه وابتغاء تاويله وطلب ان يأولوه على ما يشتهونه
ويحتمل ان يكون الداعي الى الاتباع مجموع الطلبتين او كل منهما على التعاقب والاول
يناسب المعاند والثاني يلائم الجاهل وما يعلم تاويله الذي يجب ان يحمل عليه الا الله
والراسخون في العلم اي الذين ثبتوا وتمكنوا فيه ومن وقف على الا الله فسر المتشابه
بما استاثر الله بعلمه كمدة بقاء الدنيا ووقت قيام الساعة وخواص الاعداد كعدد
الزبانية او بما دل القاطع على ان ظاهره غير مراد ولم يدل على ما هو المراد يقولون آمنا به
استيناف موضح لحال الراسخين او حال منهم او خبر ان جعلته مبتدأ كل من عند
ربنا اي كل من المتشابه والمحكم من عنده وما يذكر الا اولوا الالباب مدح للراسخين بجودة
الذهن وحسن النظر واشارة الى ما استعدوا به للاهتداء الى تاويله وهو تجرد العقل
عن غواشي الحس واتصال الآية بما قبلها من حيث انها في تصوير الروح بالعلم وتربيته
وما قبلها في تصوير الجسد وتسويته او انها جواب عن تشبث النصارى بنحو قوله وكلمته
القاها الى مريم وروح منه كما انه جواب قولهم لا اب له غير الله فتعين ان يكون هو ابا
بانه مصور الاجنة كيف يشاء فيصور من نطفة اب ومن غيرها وبانه صوره في الرحم والمصور
لا يكون اب المصور ربنا لا تزغ قلوبنا من مقال الراسخين وقيل استيناف والمعنى

اي معنى العدل ان القياس ان يعرف الخ

ط جواب سؤال هو ان المطابقة بين الموصوف والصفة تفوت ح لان قوله تعالى واخر عطف على محكمات فيلزم توصيف النكرة بالمعرفة فاجاب بقوله ولا يلزم الخ

لا تزغ قلوبنا عن نهج الحق الى اتباع المتشابه بتاويل لا ترتضيه قال عليه السلام
قلب ابن آدم بين اصبعين من اصابع الرحمن ان شاء اقامه على الحق وان شاء ازاغه
عنه وقيل لا تبتلنا ببلايا تزيغ فيها قلوبنا بعد اذ هديتنا الى الحق والايمان بالتمييز
وبعد نصب على الظرف واذ في موضع الجر باضافته اليه وقيل انه بمعنى ان وهب لنا
من لدنك رحمة تزلفنا اليك وتفوز بها عندك او توفيقا للثبات على الحق او مغفرة
للذنوب انك انت الوهاب لكل سؤل وفيه دليل على ان الهدى والضلال من الله
وانه متفضل بما ينعم على عباده لا يجب عليه شئ ربنا انك جامع الناس ليوم
او لجزائه لا ريب فيه في وقوع اليوم وما فيه من الحشر والجزاء وبتهوا به على ان معظم غرض
من الطلبتين ما يتعلق بالآخرة فانها المقصد والمآل ان الله لا يخلف الميعاد فان الالهية
تنافيه وللاشعار به وتعظيم الموعود به لوّن الخطاب واستدل به الوعيدية واجيب
بان وعيد الفساق مشروط بعدم العفو لدلايل مفصلة كما هو مشروط بعدم التوبة وفاقا
ان الذين كفروا عام في الكفرة وقيل المراد به وفد نجران واليهود ومشركوا العرب لن تغني
عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا اى من رحمته او طاعته على معنى البدلية او من
عذابه واولئك هم وقود النار حطبها وقرئ بالضم بمعنى اهل وقودها كدأب آل فرعون
متصل بما قبله اى لن تغني عنهم كما لم تغن عن اولئك او توقد بهم كما توقد باولئك
او استيناف مرفوع المحل وتقديره دأبهم هو كدأبهم في الكفر والعذاب وهو مصدر دأب
في العمل اذا كدح فيه فنقل الى معنى الشان والذين من قبلهم عطف على آل فرعون وقيل
استيناف كذبوا بآياتنا فاخذهم الله بذنوبهم حال باضمار قد او استيناف بتفسير حالهم
او خبر ان ابتدئ بالذين من قبلهم والله شديد العقاب تهويل للمؤاخذة وزيادة
تخويف للكفرة قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون الى جهنم اى قل لمشركي مكة
يعني يوم بدر وقيل لليهود فانه عليه السلام جمعهم بعد بدر في سوق بني قينقاع فحذرهم

ان ينزل

ان ينزل بهم ما نزل بقريش فقالوا لا يغرنك انك اصبت اغمارا لا علم لهم بالحرب
لئن قاتلتنا اتانا نحن الناس فنزلت وقد صدق الله وعده لهم بقتل بني قريظة واجلاء
بني النضير وفتح خيبر وضرب الجزية على من عداهم وهو من دلائل النبوة وقرأ حمزة والكسائي
بالياء فيهما على ان الامر بان يقول لهم ما اخبر به من وعيدهم بلفظه وبئس المهاد
تمام ما يقال لهم او استيناف وتقدير بئس المهاد جهنم او ما مهدوه لانفسهم قد كان
لكم آية الخطاب لقريش وقيل للمؤمنين في فئتين التقتا يوم بدر فئة تقاتل في
سبيل الله واخرى كافرة يرونهم مثليهم يرى المشركون المؤمنين مثلي عدد المشركين
وكان قريبا الفا ومثلي عدد المسلمين وكانوا ثلثمائة وبضعة عشر وذلك كان بعد ما قللهم
في اعينهم حتى اجترؤا عليهم وتوجهوا اليهم فلما لاقوهم كثروا في اعينهم حتى غلبوا
مددا من الله للمؤمنين او يرى المؤمنون المشركين مثلي المؤمنين وكانوا ثلثة امثالهم
ويتيقنوا بالنصر الذي وعدهم الله به في قوله ان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين
ويؤيد قراءة نافع ويعقوب بالتاء وقرئ بها على البناء للمفعول اى يريهم الله او يريكم ذلك
بقدرته وفئة بالجر على البدل من فئتين والنصب على الاختصاص او الحال من فاعل
التقتا راى العين رؤية ظاهرة معاينة والله يؤيد بنصره من يشاء نصرة كما ايد اهل
بدرا ان في ذلك اى التقليل والتكثير او غلبة القليل عديم العدة على الكثير شاكي السلاح
وكون الواقعة آية ايضا يحتملهما ويحتمل وقوع الامر على ما اخبر به الرسول لعبرة لاولي
الابصار لعظة لذوي البصائر وقيل لمن ابصرهم زين للناس حب الشهوات اى
المشتهيات سماها شهوات مبالغة وايماء على انهم انهمكوا في محبتها حتى احبوا نفس الشهوات
كقولهم احبب حب الخير والمزين هو الله تعالى لانه الخالق للافعال والداعي ولعله زينه
ابتلاء او لانه يكون وسيلة الى السعادة الاخروية اذا كان على وجه يرتضيه الله ولانه من
اسباب التعيش وبقاء النوع وقيل الشيطان فان الآية في معرض الذم وفق الجبائي

بين المباح والمحرم من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل
المسومة والانعام والحرث بيان الشهوات والقنطار المال الكثير وقيل مائة الف
دينار وقيل ملأ مسك ثور واختلف فى انه فعلال او فنعال والمقنطر ماخوذ منه للتاكيد
كقولهم بدرة مبدرة والمسومة المعلمة من السومة وهى العلامة او المرعية من اسام
الدابة وسومها او المطهمة والانعام الابل والغنم ذلك متاع الحيوة الدنيا اشارة
الى ماذكر والله عنده حسن المآب اى المرجع وهو تحريض على استبدال ما عنده
من اللذات الحقيقية الابدية بالشهوات المخدجة الفانية قل أؤنبئكم بخير من
ذلكم يريد به تقرير ان ثواب الله خير من مستلذات الدنيا للذين اتقوا عند ربهم
جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها استيناف لبيان ما هو خير وبجوز ان
يتعلق اللام بخير ويرتفع جنات على هو جنات ويؤيده قراءة من جرها بدلا من خير
وازواج مطهرة مما يستقذر من النساء ورضوان من الله قراءة عاصم فى رواية
ابى بكر فى جميع القران بضم الراء ما خلا الحرف الثانى فى المائدة وهو قوله رضوانه
سبل السلام وهما لغتان والله بصير بالعباد اى باعمالهم فيثيب المحسن ويعاقب
المسئ او باحوال الذين اتقوا فلذلك اعدلهم جنات وقد نبه بهذه الآية على نعمه
فادناها متاع الدنيا واعلاها رضوان الله كقوله ورضوان من الله اكبر واوسطها
الجنة ونعيمها الذين يقولون ربنا انا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار
صفة للمتقين او للعباد او مدح منصوب او مرفوع وفى ترتيب السؤال على مجرد الايمان
دليل على انه كاف فى استحقاق المغفرة والاستعداد لها الصابرين والصادقين
والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالاسحار حصر لمقامات السالك على احسن
ترتيب فان معاملته مع الله اما توسل واما طلب والتوسل اما بالنفس وهو
منعها عن الرذايل وحبسها على الفضايل والصبر يشملهما واما بالبدن وهو اما قولى

وهو الصدق

وهو الصدق واما فعلى وهو القنوت الذى هو ملازمة الطاعة واما بالمال وهو
الانفاق فى سبل الخير واما الطلب فهو الاستغفار لان المغفرة اعظم المطالب
بل الجامع لها وتوسيط الواو بينها للدلالة على استقلال كل واحد منها وكمالهم
فيها او لتغاير الموصوفين بها وتخصيص الاسحار لان الدعاء فيها اقرب الى الاجابة
لان العبادة حينئذ اشق والنفس اصفى والروع اجمع ستيا للمتهجدين قيل
انهم كانوا يصلون الى السحر ثم يستغفرون ويدعون شهد الله انه لا اله الا
هو بين وحدانيته بنصب الدلايل الدالة عليها واتزال الآيات الناطقة بها والملا
ئكة بالاقرار واولوا العلم بالايمان بها والاحتجاج عليها شبه ذلك فى البيان
والكشف بشهادة الشاهد قائما بالقسط مقيما للعدل فى قسمه وحكمه فانتصابه
على الحال من الله وانما جاز افراده بها ولم يجز جاء زيد وعمرو راكبا لعدم اللبس كقوله
وهب له اسحق ويعقوب نافلة او عن هو والعامل فيها معنى الجملة اى تفرد
قائما او احقه لانها حال مؤكدة او على المدح او الصفة للمنفى وفيه ضعف للفصل
وهو مندرج فى المشهود به اذا جعلته صفة او حالا عن الضمير وقرئ القائم بالقسط
على البدل او الخبر لمحذوف لا اله الا هو كرر للتاكيد ومزيدا لاعتناء بمعرفة ادلة
التوحيد والحكم به بعد اقامة الحجة وليبنى عليه العزيز الحكيم فيعلم انه الموصوف
بهما وقدم العزيز لتقدم العلم بقدرته على العلم بحكمته ورفعهما على البدل من الضمير
او الصفة لفاعل شهد وقد روى فى فضلها انه عليه السلم قال يجاء بصاحبها يوم
القيامة فيقول الله ان لعبدى هذا عندى عهدا وانا احق من وفى بالعهد ادخلوا
عبدى الجنة وسمى دليل على فضل اصول علم الدين وشرف اهله ان الدين عند الله
الاسلام جملة مستانفة مؤكدة للاولى اى دين مرضى عند الله سوى الاسلام
وهو التوحيد والتدرع بالشرع الذى جاء به محمد صلوات الله عليه وقرأ الكسائى

بالفتح على انه بدل من انه بدل الكل ان فسر الاسلام بالايمان او بما يتضمنه وبدل الاشتمال
ان فسر بالشريعة وقرئ انه بالكسر وان بالفتح على وقوع الفعل على التلاوة واعتراض ما بينهما
او اجراء شهد مجرى قال تارة وعلم اخرى لتضمنه معناهما وما اختلف الذين اوتوا
الكتاب من اليهود والنصارى او من ارباب الكتب المتقدمة في دين الاسلام
فقال قوم انه حق وقال قوم انه مخصوص بالعرب ونفاه آخرون مطلقا او في التوحيد
فثلثت النصارى وقالت اليهود عزير ابن الله وقيل هم قوم موسى اختلفوا بعده
وقيل هم النصارى اختلفوا في امر عيسى الا من بعد ما جاءهم العلم اي بعد
ما علموا حقيقة الامر وتمكنوا من العلم بها بالآيات والحجج بغيا بينهم حسدا بينهم
وطلبا للرياسة لا لشبهة وخفاء في الامر ومن يكفر بآيات الله فان الله سريع الحساب
وعيد لمن كفر منهم فان حاجوك في الدين وجادلوك فيه بعد ما اقمت الحجج فقل
اسلمت وجهي لله اخلصت نفسي وجملتي له لا اشرك فيها غيره وهو الدين القويم
الذي قامت عليه الحجج ودعا اليه الآيات والرسل وانما عبر بالوجه عن النفس لانه اشرف
الاعضاء الظاهرة ومظهر القوى والحواس ومن اتبعن عطف على التاء وحسن
للفصل او مفعول معه وقل للذين اوتوا الكتاب والاميين الذين لا كتاب لهم
كمشركي العرب ءاسلمتم كما اسلمت لما وضحت لكم الحجة ام انتم بعد على كفركم ونظيره
قوله فهل انتم منتهون وفيه تعيير لهم بالبلادة والمعاندة فان اسلموا فقد اهتدوا
قد نفعوا انفسهم بان اخرجوها من الضلال وان تولوا فانما عليك البلاغ الى فلم
يضروك اذ ما عليك الا ان تبلغ وقد بلغت والله بصير بالعباد وعد ووعيد
ان الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون
بالقسط من الناس فبشرهم بعذاب اليم هم اهل الكتاب الذين في عصر نبينا قتلوا
اولوهم الانبياء ومتابعيهم وهم رضوا به وقصدوا قتل النبي والمؤمنين ولكن

ولكن الله عصمهم وقد سبق مثله في سورة البقرة وقرأ حمزة ويقاتلون الذين
يأمرون ومنع سيبويه ادخال الفاء في خبر ان كليت ولعل ولذلك قيل الخبر اولئك
الذين حبطت اعمالهم في الدنيا والآخرة كقولك زيد فافهم رجل صالح والفرق انه
لا يغير معنى الابتداء بخلافهم وما لهم من ناصرين يدفع عنهم العذاب الم تر الى
الذين اوتوا نصيبا من الكتاب اي التوراة او جنس الكتب السماوية ومن للتبعيض
او البيان وتنكير النصيب لتجعل التعظيم والتحقير يدعون الى كتاب الله ليحكم بينهم الداعي
محمد صلوات الله عليه وكتاب الله القرآن او التوراة لما روي انه عليه السلم دخل
مدراسهم فقال له نعيم بن عمرو والحارث بن زيد على اي دين انت فقال على دين ابراهيم
فقالا له ان ابراهيم كان يهوديا فقال هلموا الى التوراة فانها بيننا وبينكم فابيا
فنزلت وقل نزلت في الرجم وقرئ ليحكم على البناء للمفعول فيكون الاختلاف فيما
بينهم وفيه دليل على ان الادلة السمعية حجة في الاصول ثم يتولى فريق منهم
استبعاد لتوليهم مع علمهم بان الرجوع اليه واجب وهم معرضون وهم قوم
عادتهم الاعراض والجملة حال من فريق وانما ساغ لتخصصه بالصفة ذلك اشارة
الى التولي والاعراض بانهم قالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودات بسبب تسويلهم
امر العقاب على انفسهم لهذا الاعتقاد الزائغ والطمع الفارغ وغرهم في دينهم ما كانوا
يفترون من ان النار لن تمسهم الا اياما قلايل او ان آباءهم الانبياء يشفعون لهم
او انه تعالى وعد يعقوب عليه السلام ان لا يعذب اولاده الا تحلة القسم فكيف اذا
جمعناهم ليوم لا ريب فيه استعظام لما يحيق بهم في الآخرة وتكذيب لقولهم
لن تمسنا النار الا اياما روي ان اول راية ترفع يوم القيامة من رايات الكفار راية
اليهود فيفضحهم الله على رؤس الخلائق الاشهاد ثم يأمر بهم الى النار ووفيت كل نفس
ما كسبت جزاء ما كسبت وفيه دليل على ان العبادة لا تحبط وان المؤمن لا يخلد في النار

لان توفية ايمانه وعمله لا يكون في النار ولا قبل دخولها فاذا هي بعد الخلاص منها
وهم لا يظلمون الضمير لكل نفس على المعنى لانه في معنى كل انسان قل اللهم الميم عوض من يا
ولذلك لا يجتمعان وهو من خصايص هذا الاسم كدخولها عليه مع لام التعريف وقطع
همزته وتاء القسم وقيل اصله يا الله امنا بالخير فخفف بحذف حرف النداء ومتعلقات
الفعل وهمزته مالك الملك يتصرف فيما يمكن التصرف فيه تصرف الملاك وهو
نداء ثان عند سيبويه فان الميم عنده يمنع الوصفية تؤتي الملك من تشاء وتنزع
الملك ممن تشاء تعطي منها ما تشاء من تشاء وتسترد فالملك الاول عام والاخران
بعضان منه وقيل المراد بالملك النبوة ونزعها نقلها من قوم الى قوم وتعز من تشاء
وتذل من تشاء في الدنيا او في الاخرة او فيهما بالنصر والادبار والتوفيق والخذلان بيدك
الخير انك على كل شيء قدير ذكر الخير وحده لانه المقضي بالذات والشر مقضي بالعرض
اذ لا يوجد شر جزئي ما لم يتضمن خيرا كليا او لمراعاة الادب في الخطاب او لان الكلام وقع
فيه اذ روي انه عليه السلام لما خط الخندق وقطع لكل عشرة اربعين ذراعا و
اخذوا يحفرون فظهر فيه صخرة عظيمة لم تعمل فيها المعاول فوجهوا سلمان الى رسول
الله يخبره فجاء فاخذ المعول منه فضربها ضربة صدعتها وبرق منها برق اضاء ما بين
لابتيها لكان مصباحا في جوف بيت مظلم فكبر وكبر معه المسلمون وقال اضاءت لي
منها قصور الحيرة كانها انياب الكلاب ثم ضرب الثانية فقال اضاءت لي منها
القصور الحمر من ارض الروم ثم ضرب الثالثة فقال اضاءت لي قصور صنعاء
واخبرني جبرئيل ان امتي ظاهرة على كلها فابشروا فقال المنافقون الا تعجبون يمنيكم
ويعدكم الباطل ويخبركم انه يبصر من يثرب قصور الحيرة وانها تفتح لكم وانتم انما تحفرون
الخندق من الفرق فنزلت ونبه على ان الشر ايضا بيده بقوله انك على كل شيء قدير
تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي

وترزق

وترزق من تشاء بغير حساب عقب ذلك بيان قدرته على معاقبة الليل
والنهار والموت والحيوة وسعة فضله دلالة على ان من قدر على ذلك قدر على
معاقبة الذل والعز وايتاء الملك ونزعه والولوج الدخول في مضيق وايلاج
الليل والنهار ادخال احدهما في الاخر بالتعقيب او الزيادة والنقص واخراج الحي
من الميت وبالعكس انشاء الحيوانات من موادها واماتتها او انشاء الحيوان من النطفة
والنطفة منه وقيل اخراج المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن وقرا ابن كثير
وابو عمرو وابن عامر وابو بكر الميت بالتخفيف لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء
نهوا عن موالاتهم لقرابة او صداقة جاهلية ونحوهما حتى لا يكون حبهم وبغضهم
الا في الله او عن الاستعانة بهم في الغزو وسائر الامور الدينية من دون المؤمنين
اشارة الى انهم احقاء بالموالاة وان في موالاتهم مندوحة عن موالاة الكفرة ومن يفعل
ذلك اي اتخاذهم اولياء فليس من الله في شيء من ولايته في شيء يصح ان يسمى ولاية
فان موالاة المتعاديين لا يجتمعان قال تود عدوي ثم تزعم انني صديقك ليس
النول عنك بعازب الا ان تتقوا منهم تقاة الا ان تخافوا من جهتهم ما يجب اتقاؤه
او اتقاء والفعل معدى بمن لانه في معنى تحذروا او تخافوا وقرا يعقوب تقية
منع عن موالاتهم ظاهرا وباطنا في الاوقات كلها الا وقت المخافة فان اظهار الموالاة
حينئذ جائز كما قال عيسى عليه السلام كن وسطا وامش جانبا ويحذركم الله نفسه
والى الله المصير فلا تتعرضوا لسخطه بمخالفة احكامه وموالاة اعدائه وهو تهديد
عظيم مشعر بتناهي المنهي في القبح وذكر النفس ليعلم ان المحذر منه عقاب يصدر منه
فلا يؤبه دونه بما يحذر من الكفرة قل ان تخفوا ما في صدوركم او تبدوه يعلمه الله اي
انه يعلم ضمايركم من ولاية الكفار وغيرها ان تخفوها او تبدوها ويعلم ما في السموات
وما في الارض فيعلم سركم وعلنكم والله على كل شيء قدير فيقدر على عقوبتكم ان لم تنتهوا

صدوركم

ما نهيتم عنه والآية بيان لقوله ويحذركم الله نفسه فكانه قال ويحذركم نفسه
لانها متصفة بعلم ذاتي يحيط بالمعلومات كلها وقدرة ذاتية تعم المقدورات باسرها
فلا تجسروا على عصيانه اذ ما من معصية الا وهو مطلع عليها قادر على العقاب بها
يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو ان بينها وبينه امدا
بعيدا يوم منصوب بتود اي تتمنى كل نفس يوم تجد صحائف اعمالها او جزاء اعمالها من الخير
والشر حاضرة لو ان بينها وبين ذلك اليوم وهوله امدا بعيدا او بمضمر نحو اذكر وتود حال
من الضمير في عملت او خبر لما عملت من سوء وتجد مقصور على ما عملت من خير ولا يكون ما شرطية
لارتفاع تود وقرئ ودت وعلى هذا يصح ان يكون شرطية ولكن الحمل على الخبر اوقع معنى لانه
حكاية كاين واوفق للقراءة المشهورة ويحذركم الله نفسه كرر للتوكيد والتذكير والله
رؤف بالعباد اشارة الى انه تعالى انما نهاهم وحذرهم رأفة بهم ومراعاة لصلاحهم
او انه لذو مغفرة وذو عقاب فيرجى رحمته ويخشى عذابه قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني
المحبة ميل النفس الى الشيء لكمال ادرك فيه بحيث يحملها على ما يقربه اليه والعبد اذا
علم ان الكمال الحقيقي ليس الا لله وان كل ما يراه كمالا من نفسه او غيره فهو من الله وبالله
والى الله لم يكن حبه الا لله وفي الله وذلك يقتضي ارادة طاعته والرغبة فيما يقربه
فلذلك فسرت المحبة بارادة الطاعة وجعلت مستلزمة لاتباع الرسول في عبادته والحرص
على مطاوعته يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم جواب للامر اي يرض عنكم ويكشف الحجب
عن قلوبكم بالتجاوز عما فرط منكم فيقربكم من جناب عزه ويبوئكم في جوار قدسه عبر عن
ذلك بالمحبة على طريق الاستعارة او المقابلة والله غفور رحيم لمن تحبب اليه بطاعته
واتباع نبيه وروي انها نزلت لما قالت اليهود نحن ابناء الله واحباؤه وقيل نزلت
في وفد نجران لما قالوا انما نعبد المسيح حبا لله وقيل في اقوام زعموا على عهده عليه
السلام انهم يحبون الله فامروا ان يجعلوا لقولهم تصديقا من العمل قل اطيعوا الله

والرسول

والرسول فان تولوا يحتمل المضي والمضارعة بمعنى فان تتولوا فان الله لا يحب الكافرين
لا يرضى عنهم ولا يثني عليهم وانما لم يقل لا يحبهم لقصد العموم والدلالة على ان التولي كفر
وانه من هذه الحيثية ينفي محبة الله وان محبته مخصوصة بالمؤمنين ان الله اصطفى آدم
ونوحا وآل ابرهيم وآل عمران على العالمين تحريضا بالرسالة والخصايص الروحانية و
الجسمانية ولذلك قووا على ما لم يقو عليه غيرهم لما اوجب طاعة الرسل وبين انها
الجالبة لمحبة الله عقب ذلك ببيان مناقبهم تحريضا عليها وبه استدل على فضلهم
على الملائكة وآل ابرهيم اسمعيل واسحق واولادهما وقد دخل فيهم الرسول صلوات الله
عليه وآل عمران موسى وهرون ابنا عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب او عيسى
وامه مريم بنت عمران بن ماثان بن ابيعازار بن ابي يود بن رب بابل بن ساليان بن يوحنا
بن اوشا بن آموذ بن ميشكن بن حازفا بن اجاد بن يونام بن عزريا بن يوزام بن ساقط بن
ايشا بن راجعيم بن سليمان بن داود بن ايشى بن عويد بن سلمون بن باعر بن نحشون
بن عمياذ بن رام بن حضروم بن فارض بن يهوذا بن يعقوب وكان بين العمرانين الف
وثمانمائة سنة ذرية بعضها من بعض حال او بدل من الآلين او منهما ومن نوح اي
انهم ذرية واحدة متشعبة بعضها من بعض وقيل بعضها من بعض في الدين والذرية الولد
يقع على الواحد والجمع فعلية من الذر او فعولة من الذر ابدلت همزتها ياء ثم قلبت الواو ياء
وادغمت والله سميع عليم باقوال الناس واعمالهم فيصطفي من كان مستقيم القول
والعمل او سميع بقول امراة عمران عليم بنيتها اذ قالت امراة عمران رب اني نذرت
لك ما في بطني فينتصب به اذ وقيل نصبه باضمار اذكر وهذه حنة بنت فاقوذا
جدة عيسى وكان لعمران بن يصهر بنت اسمها مريم اكبر من هرون فظن انه المراد زوجته
ويرده كفالة زكريا فانه كان معاصرا لابن ماثان وتزوج بنته ايشاع وكان يحيى
وعيسى ابني خالة من الاب مقدم ~~محررا معتقا لخدمته لا اشغله بشيء او مخلصا للعبادة~~
بيت المقدس

اللذين ابو موسى وهرون عليهما السلام وابو مريم وعيسى

والذرية بمعنى النسل وبمعنى الولد والاول عام للاباء والاولاد والثاني خاص

وتصديقه الحال روى انها كانت عاقرا عجوزا فبينا هى فى ظل نخجرة اذ رات طائرا يطعم
فرخه فحنت الى الولد وتمنته فقالت اللهم ان لك علىّ نذرا ان رزقتنى ولدا انه
اتصدق به على بيت المقدس فيكون من خدمه فحملت بمريم وهلك عمران وكان
هذا النذر مشروعا عندهم فى الغلمان فلعلها نذرت الامر على التقدير وطلبت ذكرا
فتقبل منى ما نذرته انك انت السميع العليم لقولى ونيتى فلما وضعتها قالت رب
انى وضعتها انثى الضمير لما فى بطنها وتانيثه لانه كان انثى وجاز انتصاب انثى حالا
عنه لان تانيثها علم منه فان الحال وصاحبها بالذات واحد وعلى هذا ويل مؤنث
كالنفس والحبلة وانما قالته تحسرا وتحزنا الى ربها لانها كانت ترجو ان تلد ذكرا
ولذلك نذرت تحريره والله اعلم بما وضعت اى بالشئ الذى وضعت وهو استيناف
من الله تعظيما للموضوع عها وتجهيلا لها بشانها وقراءة ابن عامر وابو بكر عن عاصم وتعقق
وضعت على انه من كلامها تسلية لنفسها اى ولعل لله فيه سرا والانثى كان خيرا
وقرئ وضعت على خطاب الله لها وليس الذكر كالانثى بيان لقوله والله اعلم اى وليس
الذكر الذى طلبت كالانثى التى وهبت واللام فيهما للعهد ويجوز ان يكون من قولها
بمعنى وليس الذكر والانثى شيئين فيما نذرت فيكون اللام للجنس وانى سميتها مريم عطف
على ما قبلها من مقالها وما بينهما اعتراض وانما ذكرت ذلك لربها تقربا اليه وطلبا
لان يعصمها ويصلحها حتى يكون فعلها مطابقا لاسمها فان مريم فى لغتهم بمعنى العابدة
وفيه دليل ان الاسم والتسمية امور متغايرة وانى اعيذها بك اجيرها
بحفظك وذريتها من الشيطان الرجيم المطرود واصل الرجم الرمى بالحجارة وعن النبى
صلى الله عليه وسلم ما من مولود يولد الا والشيطان يمسه حين يولد فيستهل صارخا
من مسه الا مريم وابنها عيسى ومعناه ان الشيطان يطمع فى اغواء كل مولود بحيث
يتاثر منه الا مريم وابنها فان الله تعالى عصمها ببركة هذه الاستعاذة فتقبلها

ربها فرضى بها فى النذر مكان الذكر بقبول حسن بوجه حسن يقبل به النذائر وهو
اقامتها مقام الذكر او تسلمها عقيب ولادتها قبل ان تكبر وتصلح للسدانة روى ان حنة
لما ولدتها لفتها فى خرقة وحملتها الى المسجد ووضعت عند الاحبار وقالت دونكم
هذه النذيرة فتنافسوا فيها لانها كانت بنت امامهم وصاحب قربانهم فان بنى ماثان
كانت رؤس بنى اسرائيل وملوكهم فقال زكريا انا احق بها عندى خالتها فابوا الا
القرعة وكانوا سبعة وعشرين فانطلقوا الى نهر فالقوا فيه اقلامهم فطفى قلم
زكريا ورسبت اقلامهم فتكفلها ويجوز ان يكون مصدرا على تقدير مضاف اى بذى قبول
حسن وان يكون تقبل بمعنى استقبل كتقصى وتعجل اى فاخذها فى اقبال امرها حين ولدت
بقبول حسن وانبتها نباتا حسنا مجاز عن تربيتها بما يصلحها فى جميع احوالها وكفلها
زكريا بتشديد الفاء حمزة والكسائى وعاصم وقصر زكريا غير عاصم فى رواية ابن عياش على ان
الفاعل هو الله وزكريا مفعول اى جعله كافلا لها وضامنا لمصالحها وخفف الباقون
ومد وا زكريا مرفوعا كلما دخل عليها زكريا المحراب اى الغرفة بنى لها او المسجد او اشرف مواضعه
ومقدمها سمى بذلك لانه محل محاربة الشيطان كانها وضعت فى اشرف موضع من بيت المقدس
وجد عندها رزقا جواب كلما وناصبه روى انه كان لا يدخل عليها غيره واذا خرج
اغلق عليها سبعة ابواب وكان يجد عندها فاكهة الشتاء فى الصيف وبالعكس
قال يا مريم انى لك هذا من اين لك هذا الرزق الآتى فى غير اوانه والابواب مغلقة
عليك وهو دليل جواز الكرامة للاولياء وجعل ذلك معجزة لزكريا يدفعه الاستبعاد عليه
قالت هو من عند الله فلا تستبعد قيل تكلمت صغيرة كعيسى ولم ترضع ثديا قط
وكان رزقها ينزل عليها من الجنة ان الله يرزق من يشاء بغير حساب بغير تقدير
لكثرته او بغير استحقاق تفضلا به وهو محتمل ان يكون من كلامها وان يكون من كلام الله
روى ان فاطمة رضى الله عنها اهدت لرسول الله صلى الله عليه وسلم رغيفين وبضعة لحم

فرجع بها اليها وقال هلمي يا بنية فكشفت عن الطبق فاذا هو مملو خبزا ولحما فقال
لها انى لك هذا فقالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب
فقال الحمد لله الذى جعلك شبيهة سيدة نساء بنى اسرائيل ثم جمع عليا والحسن
والحسين وجميع اهل بيته وبقى الطعام كما هو واوسعت على جيرانها هنالك
دعا زكريا ربه فى ذلك المكان او الوقت اذ يستعار هنا وثم وحيث للزمان لما راى
كرامة مريم ومنزلتها من الله قال رب هب لى من لدنك ذرية طيبة كما وهبتها لحنة
العجوز العاقر وقيل لما راى الفواكه فى غير اوانها انتبه على جواز ولادة العاقر
من الشيخ فسال وقال هب لى من لدنك لانه لم يكن على الوجوه المعتادة وبالاسباب
المعهودة انك سميع الدعاء مجيبه فنادته الملائكة اى من جنسهم كقولهم زيد يركب
الخيل فان المنادى كان جبرئيل وحده وقرا حمزة والكسائى فناديه بالامالة والتذكير
وهو قائم يصلى فى المحراب اى قائما فى الصلوة ويصلى صفة قائم او خبر او حال عن
الضمير فى قائم ان الله يبشرك بيحيى اى بان الله وقرا نافع وابن عامر بالكسر على ارادة
القول او لان النداء نوع منه وقرا حمزة والكسائى يبشرك ويحيى اسم اعجمى وان جعل
عربيا فمنع صرفه للتعريف ووزن الفعل مصدقا بكلمة من الله اى بعيسى سمى بذلك
لانه وجد بامره تعالى دون اب فشابه البدعيات التى هى عالم الامر او بكتاب الله
سمى كلمة كما قيل كلمة الحويدرة لقصيدته وسيدا يسود قومه ويفوقهم وكان
فائقا للناس كلهم فى انه ما هم بمعصية وحصورا مبالغا فى حبس النفس عن الشهوات
والملاهى روى انه مر فى صباه بصبيان فدعوه الى اللعب فقال ما للعب خلقت
ونبيا من الصالحين ناشيا منهم او كاينا من عداد من لم يات كبيرة ولا صغيرة
قال رب انى يكون لى غلام استبعادا من حيث العادة او استعظاما وتعجبا
او استفهاما عن كيفية حدوثه وقد بلغنى الكبر ادركنى كبر السن واثر فى وكان له

تسع

تسع وتسعون سنة ولامراته ثمان وتسعون وامراتى عاقر لا تلد من العقر وهو
القطع لانها ذات عقر من الاولاد قال كذلك الله يفعل ما يشاء اى يفعل ما
يشاء من العجايب مثل ذلك الفعل وهو انشاء الولد من شيخ فان وعجوز عاقر
او كما انت عليه وزوجك من الكبر والعقر يفعل ما يشاء من خلق الولد او كذلك الله
مبتداء وخبر اى الله على مثل هذه الصفة ويفعل ما يشاء بيان له او كذلك خبر محذوف
اى الامر كذلك والله يفعل ما يشاء بيان قال رب اجعل لى آية علامة اعرف بها الحبل
لاستقبله بالبشاشة والشكر وتزيح مشقة الانتظار قال آيتك الا تكلم الناس ثلثة
ايام ان لا تقدر على تكليم الناس ثلثا وانما حبس لسانه عن مكالمتهم خاصة ليخلص المدة
لذكر الله وشكره قضاء لحق النعمة وكانه قال آيتك ان تحبس لسانك الا عن الشكر
واحسن الجواب ما اشتق عن السوال الا رمزا اشارة بنحو يد او راس واصله التحرك
ومنه الراموز للبحر والاستثناء منقطع وقيل متصل والمراد بالكلام ما دل على الضمير
وقرئ رمزا كخدم جمع رامز ورمزا كرسل جمع رموز على انه حال منه ومن الناس بمعنى
متزلزين كقوله متى ما تلقنى فردين ترجف روانف اليتيك وتسطارا واذكر ربك
كثيرا فى ايام الحبسة وهو موكد لما قبله مبين للغرض منه وتقييد الامر بالكثرة يدل
على انه لا يفيد التكرار وسبح بالعشى من الزوال الى الغروب وقيل من العصر الى الغروب
الى ذهاب صدر الليل والابكار من طلوع الفجر الى الضحى وقرئ بفتح الهمزة جمع بكر
كسحر واسحار واذ قالت الملائكة ان الله اصطفيك وطهرك واصطفاك على نساء
العالمين كلموها شفاها كرامة لها ومن انكر الكرامة زعم ان ذلك كانت معجزة زكريا
او ارهاصا لنبوة عيسى فان الاجماع على انه تعالى لم يستنبئ امراة لقوله وما ارسلنا
قبلك الا رجالا وقيل الهموها والاصطفاء الاول تقبلها من امها ولم تقبل
قبلها انثى وتفريغها للعبادة واغناها برزق الجنة عن الكسب وتطهيرها عما يستقذر

من النساء والثاني هدايتها وارسال الملائكة اليها وتخصيصها بالكرامات السنية
كالولد من غير اب وتبرئتها عما قذفته اليهود بانطاق الطفل وجعلها وابنها آية للعالمين
يا مريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين امرت بالصلوة في الجماعة
بذكر اركانها مبالغة في المحافظة عليها وقدم السجود على الركوع اما لكونه كذلك في شريعتهم
او للتنبيه على ان الواو لا يوجب الترتيب او ليقترن اركعي بالراكعين للايذان بان من ليس
في صلوتهم ركوع ليسوا مصلين وقيل المراد بالقنوت ادامة الطاعة كقوله امن
هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما وبالتجود الصلوة كقوله وادبار السجود وبالركوع الخشوع
والانحناء ذلك من انباء الغيب نوحيه اليك اي ما ذكرنا من القصص من الغيوب
التي لم تعرفها الا بالوحي وما كنت لديهم اذ يلقون اقلامهم اقداحهم للاقتراع
وقيل اقترعوا بأقلامهم التي كانوا يكتبون التوراة تبركا والمراد تقرير كونه وحيا على سبيل
التهكم بمنكريه فان طريق معرفة الوقايع المشاهدة او السماع وعدم السماع معلوم لا
شبهة فيه عندهم فبقي ان يكون الاسهام باحتمال العيان ولا يظن به عاقل ايهم يكفل
مريم متعلق بمحذوف دل عليه يلقون اقلامهم اي يلقونها ليعلموا او يقولون ايهم يكفل و
ما كنت لديهم اذ يختصمون تنافسا في كفالتها اذ قالت الملائكة بدل من اذ قالت
الاولى وما بينهما اعتراض او من اذ يختصمون على ان وقوع الاختصام والبشارة في زمان
متسع كقولك لقيته سنة كذا يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح
عيسى بن مريم المسيح لقبه وهو من الالقاب المشرفة كالصديق واصله بالعبرانية
مشيحا ومعناه المبارك وعيسى معرب ايشوع واشتقاقهما من المسح لانه مسح
بالبركة او بما طهره من الذنوب او مسح الارض ولم يقم في موضع او مسحه جبريل
ومن العيس وهو بياض تعلوه حمرة تكلف لا طائل تحته وابن مريم لما كانت
صفة تميز تميز الاسماء تظهت في سلكها ولا بد في تعدد الخبر افراد المبتدا فانه اسم

جنس

جنس مضاف ويحتمل ان يراد الذي يعرف به ويتميز عن غيره من الثلثة ويجوز
ان يكون عيسى خبر مبتدا محذوف وابن مريم صفته فان الاسم علامة المسمى والمميز
من سواه وانما قيل ابن مريم والخطاب لها على انه تولد من غير اب اذ الاولاد تنسب
الى الآباء ولا تنسب الى الام الا اذا فقد الاب وجيها في الدنيا والآخرة حال مقدرة
من كلمة وهي وان كانت نكرة لكنها موصوفة وتذكيره للمعنى والوجاهة في الدنيا النبوة
وفي الآخرة الشفاعة ومن المقربين من الله وقيل اشارة الى علو درجته في الجنة
او رفعه الى السماء وصحبة الملائكة ويكلم الناس في المهد وكهلا اي يكلمهم حال كونه
طفلا وكهلا كلام الانبياء من غير تفاوت والمهد مصدر سمي به ما يمهد للصبي من مضجعه
وقيل انه رفع شابا والمراد كهلا بعد نزوله وذكر احواله المختلفة المتنافية اشارة
الى انه بمعزل عن الالوهية ومن الصالحين حال ثالث من كلمة او ضميرها الذي في يكلم
قالت رب انى يكون لي ولد ولم يمسسني بشر تعجب واستبعاد عادي واستفهام
على انه يكون بتزوج او غيره قال كذلك الله يخلق ما يشاء القائل جبريل او الله وجز
حكيها قوله تعالى اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون اشارة الى انه تعالى كما يقدر ان
يخلق الاشياء مدرجا باسباب ومواد يقدر ان يخلقها دفعة من غير ذلك ويعلمه
الكتاب والحكمة والتورية والانجيل كلام مبتدا ذكر تطييبا لقلبها وازاحة لما تهمها
من خوف اللوم لما علمت انها تلد من غير زوج او عطف على يبشرك او وجيها والكتاب
الكتبة او جنس الكتب المنزلة وخص الكتابان لفضلهما ورسولا الى بني اسرائيل
اني قد جئتكم بآية من ربكم منصوب بمضمر على ارادة القول تقديره ويقول
ارسلت رسولا بانى قد جئتكم او بالعطف على الاحوال المتقدمة مضمنا معنى النطق فكانه
قال وناطقا بانى قد جئتكم وتخصيص بني اسرائيل لخصوص بعثته او للرد على من زعم
انه مبعوث الى غيرهم اني اخلق لكم من الطين كهيئة الطير نصب بدل من اني قد جئتكم

أو جر بدل آية او رفع على هي أني اخلق لكم والمعنى اقدر لكم واصور لكم مثل
مثل صورة الطير وقرا نافع انى بالكسر فانفخ فيه الضمير للكاف اى فى ذلك المماثل
فيكون طيرا باذن الله فيصير حيا طيارا بامر الله نبه به على ان احياءه من الله لا منه
وقرا نافع هنا وفى المائدة طائرا بالف وهمزة وابرئ الاكمه والابرص الذى ولد اعمى
او الممسوح العين روى انه ربما كان يجتمع عليه الوف من المرضى من اطاق منهم اتاه
ومن لم يطق اتاه عيسى وما يداوى الا بالدعاء واحيى الموتى باذن الله كرر باذن الله
دفعا لوهم اللاهوتية فان الاحياء ليس من جنس الافعال البشرية وانبئكم بما تاكلون
وما تدخرون فى بيوتكم بالمغيبات من احوالكم التى لا تشكون فيها ان فى ذلك لاية لكم
ان كنتم مؤمنين موفقين للايمان فان غيرهم لا ينتفع بالمعجزات او مصدقين للحق غير
معاندين ومصدقا لما بين يدى من التورية عطف على رسولا على الوجهين او منصوب
باضمار فعل دل عليه قد جئتكم اى وجئتكم مصدقا ولاحل لكم مقدر باضماره او مردود
على قوله قد جئتكم بآية او معطوف على معنى مصدقا كقولهم جئتك معتذرا ولاطيب
قلبك بعض الذى حرم عليكم اى فى شريعة موسى كالشحوم والثروب والسمك ولحوم
الابل والعمل فى السبت وهو يدل على ان شرعه كان ناسخا لشرع موسى ولا يخل ذلك
بكونه مصدقا للتورية كما لا يعود نسخ القرآن بعضه ببعض عليه بتناقض وتكاذب
فان النسخ فى الحقيقة بيان وتخصيص فى الازمان وجئتكم بآية من ربكم فاتقوا
الله واطيعون ان الله ربى وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم اى وجئتكم
بآية اخرى الهمنيها ربكم وهى قوله ان الله ربى وربكم فانه دعوة الحق المجمع عليها
فيما بين الرسل الفارق بين النبى والساحر او جئتكم بآية على ان الله ربى وربكم
وقوله فاتقوا الله واطيعون اعتراض والظاهر انه تكرير لقوله قد جئتكم بآية
من ربكم اى جئتكم بآية بعد اخرى مما ذكرت لكم والاول لتمهيد الحجة والثانى

لتقريبها

لتقريبها الى الحكم ولذلك رتب عليه بالفاء قوله فاتقوا الله اى لما جئتكم بالمعجزات
القاهرة والآيات الباهرة فاتقوا الله فى المخالفة واطيعون فيما ادعوكم اليه
ثم شرع فى الدعوة واشار اليها بالقول المجمل فقال ان الله ربى وربكم اشارة الى استكمال القوة
النظرية بالاعتقاد الحق الذى غايته التوحيد وقال فاعبدوه اشارة الى استكمال
القوة العملية فانه بملازمة الطاعة التى هى الاتيان بالاوامر والانتهاء عن المناهى
ثم قرر ذلك بان بين ان الجمع بين الامرين هو الطريق المشهود له بالاستقامة ونظيره
قوله عليه السلام قل آمنت بالله ثم استقم فلما احس عيسى منهم الكفر تحقق
كفرهم عنده تحقق ما يدرك بالحواس قال من انصارى الى الله ملتجئا الى الله
او ذاهبا او ضاما اليه ويجوز ان يتعلق الجار بانصارى مضمنا معنى الاضافة اى من
الذين يضيفون انفسهم الى الله فى نصرى وقيل الى ههنا بمعنى مع او فى او اللام
قال الحواريون حوارى الرجل خالصته من الحور وهو البياض الخالص ومنه الحواريات
للحضريات لخلوص الوانهن سمى به اصحاب عيسى عليه السلام لخلوص نيتهم ونقاء
سريرتهم وقيل كانوا ملوكا يلبسون البيض استنصر بهم عيسى من اليهود وقيل
قصارون يحورون الثياب اى يبيضونها نحن انصار الله اى انصار دينه آمنا بالله
واشهد بانا مسلمون لتشهد لنا يوم القيامة حين يشهد الرسل لقومهم وعليهم
ربنا آمنا بما انزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين اى مع الشا
هدين بوحدانيتك او مع الانبياء الذين يشهدون لاتباعهم او امة محمد عليه
السلام فانهم شهداء على الناس ومكروا اى الذين احس منهم الكفر من اليهود
بان وكلوا عليه من يقتله غيلة ومكر الله حين رفع عيسى والقى شبهه على من
قصد اغتياله حتى قتل والمكر من حيث انه حيلة فى الاصل يجلب بها غيره الى مضرة
لا يسند الى الله تعالى الا على سبيل المقابلة والازدواج والله خير الماكرين

اقواهم مكرا واقدرهم على ايصال الضرر من حيث لا يحتسب اذ قال الله ظرف
لمكر الله او خير الماكرين او لمضمر مثل وقع ذلك يا عيسى انى متوفيك اى مستوفى
اجلك ومؤخرك الى اجلك المسمى عاصما اياك من قتلهم او قابضك من الارض من
توفيت مالى او متوفيك نائما اذ روى انه رفع نائما او مميتك عن الشهوات العائقة
عن العروج الى عالم الملكوت وقيل اماته الله سبع ساعات ثم رفعه الى السماء
واليه ذهبت النصارى ورافعك الى الى محل كرامتى ومقر ملائكتى ومطهرك من الذين
كفروا من سوء جوارهم او قصدهم وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى
يوم القيامة يعلونهم بالحجة او السيف فى غالب الامر ومتبعوه من آمن بنبوته
من المسلمين والنصارى والى الآن لم يسمع غلبة اليهود عليهم ولم يتفق لهم ملك
وشوكة ثم الى مرجعكم الضمير لعيسى ومن تبعه وكفر به وغلب المخاطب على الغائبين فاحكم
بينكم فى ما كنتم فيه تختلفون فاما الذين كفروا فاعذبهم عذابا شديدا فى الدنيا والآخرة
وما لهم من ناصرين واما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم اجورهم
تفسير للحكم وتفصيل له وقرأ حفص فيوفيهم بالياء والله لا يحب الظالمين تقرير لذ
لك ذلك اشارة الى ما سبق من نبأ عيسى وغيره وهو مبتدأ خبره نتلوه عليك وقوله
من الآيات حال من الهاء ويجوز ان يكون الخبر ونتلوه حالا على ان العامل معنى الا
شارة وان يكونا خبرين وان ينتصب بمضمر يفسره نتلوه والذكر الحكيم المشتمل على الحكم
او المحكم الممنوع عن تطرق الخلل اليه يريد به القرآن وقيل اللوح ان مثل عيسى عند
الله كمثل آدم ان شانه الغريب كشان آدم خلقه من تراب جملة مفسرة للتمثيل
مبينة لما له الشبه وهو انه خلق بلا اب كما خلق آدم من تراب بلا اب وام شبه
حاله بما هو اغرب افحاما للخصم وقطعا لمواد الشبه والمعنى خلق قالبه من التراب
ثم قال له كن اى انشأه بشرا كقوله ثم انشأناه خلقا آخر او قدر تكوينه من التراب

ثم كونه

ثم كونه ويجوز ان يكون ثم لتراخى الخبر لا المخبر فيكون حكاية حال ماضية الحق من ربك
خبر محذوف اى هو الحق وقيل الحق مبتدأ ومن ربك خبره اى الحق المذكور من الله
فلا تكن من الممترين خطاب للنبى على طريقة التهييج لزيادة الثبات او لكل سامع فمن
حاجك من النصارى فيه فى عيسى من بعد ما جاءك من العلم اى من البينات الموجبة
للعلم فقل تعالوا هلموا بالراى والعزم ندع ابناءنا وابناءكم ونساءنا ونساءكم وا
نفسنا وانفسكم اى يدع كل منا ومنكم نفسه واعزة اهله والصقهم بقلبه
الى المباهلة ويحمل عليها وانما قدمهم على النفس لان الرجل يخاطر بنفسه لهم ويحارب
دونهم ثم نبتهل اى نتباهل بان نلعن الكاذب منا والبهلة بالضم والفتحة اللعنة
واصله الترك من قولهم بهلت الناقة اذا تركتها بلا اصرار فنجعل لعنة الله على الكا
ذبين عطف فيه بيان روى انهم لما دعوا الى المباهلة قالوا حتى ننظر فلما تخالوا قالوا للعاقب
وكان ذا رايهم ما ترى فقال والله لقد عرفتم نبوته ولقد جاءكم بالفصل فى امر صاحبكم والله
ما باهل قوم نبيا الا هلكوا فان ابيتم الا الف دينكم فوادعوا الرجل وانصرفوا فاتوا رسول
الله محتضنا الحسين آخذا بيد الحسن وفاطمة تمشى خلفه وعلى خلفها وهو يقول
اذا انا دعوت فامنوا فقال اسقفهم يا معشر النصارى انى لارى وجوها لو سألوا
الله ان يزيل جبلا لازاله فلا تباهلوا فتهلكوا فاذعنوا لرسول الله وبذلوا له الجزية الفى حلة
حمراء وثلثين درعا من حديد فقال عليه السلام والذى نفسى بيده لو تباهلوا لمسخوا
قردة وخنازير ولاضطرم عليهم الوادى نارا ولاستأصل الله نجران واهله حتى الطير
على الشجر وهو دليل على نبوته وفضل من اتى بهم من اهل بيته ان هذا اى ما قص من نبأ
عيسى ومريم لهو القصص الحق بجملتها خبر ان او هو فصل يفيد ان ما ذكره فى شان عيسى
ومريم حق دون ما ذكروه وما بعده خبر واللام دخلت فيه لانه اقرب الى المبتدأ من الخبر
واصلها ان تدخل المبتدأ وما من اله الا الله صرح فيه بمن المزيدة للاستغراق تاكيدا

للرد على النصارى فى تثليثهم **وان الله لهو العزيز الحكيم** لا احد سواه يساويه فى القدرة
التامة والحكمة البالغة ليشاركه فى الالوهية **فان تولوا فان الله عليم بالمفسدين**
وعيدلهم ووضع المظهر موضع المضمر ليدل على ان التولى عن الحق والاعراض عن التوحيد افساد
للدين والاعتقاد المؤدى الى فساد النفس بل والى فساد العالم **قل يا اهل الكتاب** يعم اهل
الكتابين وقيل يريد وفد نجران او يهود المدينة **تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم**
لا يختلف فيها الرسل والكتب ويفسرها ما بعدها **ان لا نعبد الا الله** ان نوحد العباد
ونخلص فيها **ولا نشرك به شيئا** ولا نجعل غيره شريكا له فى استحقاق العبادة ولا نراه اهلا
لان يعبد **ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله** ولا نقول عزير بن الله ولا المسيح بن الله
ولا نطيع الاحبار فيما احدثوا من التحريم والتحليل لان كلا منهم بعضنا بشر مثلنا روى انه
لما نزلت اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله قال عدى بن حاتم ما كنا نعبد
هم يا رسول الله قال اليس كانوا يحلون لكم ويحرمون فتأخذون بقولهم قال نعم قال فهو
ذاك **فان تولوا** عن التوحيد **فقولوا اشهدوا بانا مسلمون** اى لزمتكم الحجة فاعترفوا
بانا مسلمون دونكم واعترفوا بانكم كافرون بما نطقت به الكتب وتطابقت به الكتب
وتطابقت عليه الرسل **تنبيه** انظر الى ما راعى فى هذه القصة من المبالغة
فى الارشاد وحسن الترتيب والتدرج فى الحجاج بين اولا احوال عيسى وما تعاقب عليه
من الاطوار المنافية للالهية ثم ذكر ما يحل عقدتهم ويزيح شبهتهم فلما رأى عنادهم
ولجاجهم دعاهم الى المباهلة بنوع من الاعجاز ثم لما اعرضوا عنها وانقادوا بعض
الانقياد عاد عليهم بالارشاد وسلك طريقا اسهل والزم بان دعاهم الى ما وافق
عليه عيسى والانجيل وسائر الانبياء والكتب ثم لما لم يجد ذلك ايضا عليهم وعلم ان
الآيات والنذر لا يغنى عنهم اعرض عن ذلك وقال اشهدوا بانا مسلمون **يا اهل الكتاب**
لم تحاجون فى ابرهيم وما انزلت التوراة والانجيل الا من بعده تنازعت اليهود

والنصارى فى ابرهيم وزعم كل فريق انه منهم فرافعوا الى رسول الله فنزلت والمعنى
ان اليهودية والنصرانية حدثت بعد نزول التوراة والانجيل على موسى وعيسى وكان ابرهيم
قبل موسى بالف سنة وعيسى بالفين فكيف يكون عليها **افلا تعقلون** فتدعون
المحال **ها انتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم** ها حرف
تنبيه بنبهوا بها عن حالهم التى غفلوا عنها وانتم مبتدأ وهؤلاء خبره وحاججتم جملة اخرى
مبينة للاولى اى انتم هؤلاء الحمقى وبيان حماقتكم انكم جادلتم فيما لكم به علم مما وجدتموه
فى التوراة والانجيل عنادا او تدعون ورود فيه فلم تجادلون فيما لا علم لكم به ولا
ذكر فى كتابكم من دين ابرهيم وقيل هؤلاء بمعنى الذين وحاججتم صلته وقيل ها انتم
اصله آانتم على الاستفهام للتعجب من حماقتهم فقلبت الهمزة هاء وقرأ نافع
وابو عمرو ها انتم حيث وقع بالمد قلبا مدا وقبلها همزة من غير الف بعد الهاء والباقون بالمد والهمز والبزى بقصر المد على اصله **والله يعلم** ما حاججتم فيه **وانتم لا**
تعلمون وانتم جاهلون به **ما كان ابرهيم يهوديا ولا نصرانيا** تصريح بمقتضى ما قرره من البرهان البراهين **ولكن كان حنيفا** مائلا عن العقايد الزايغة **مسلما** منقادا لله وليس المراد
انه كان على ملة الاسلام والا لاشترك الالزام **وما كان من المشركين** تعريض بانهم
مشركون لاشراكهم به عزيرا والمسيح وردا لادعاء المشركين انهم على ملة ابرهيم **ان اولى**
الناس بابرهيم ان اختصهم به واقربهم منه من الولى وهو القرب **للذين اتبعوه**
من امته **وهذا النبى والذين آمنوا** لموافقتهم له فى اكثر ما شرع لهم على الاصالة
وقرئ والنبى بالنصب عطفا على الهاء فى اتبعوه وبالجر عطفا على ابرهيم **والله ولى**
المؤمنين ينصرهم ويجازيهم الحسنى لايمانهم **ودت طائفة من اهل الكتاب لو**
يضلونكم نزلت فى اليهود لما دعوا حذيفة وعمارا ومعاذا الى اليهودية ولو بمعنى ان
وما يضلون الا انفسهم وما يتخطاهم الاضلال ولا يعود وباله عليهم اذ يضاعف

عذابهم او ما يضلون الا امثالهم **وما يشعرون** وزره واختصاص ضرر بهم **يا اهل**
الكتاب لم تكفرون بآيات الله بما نطقت من التورية والانجيل ودلت على نبوة محمد
صلى الله عليه وسلم **وانتم تشهدون** انها آيات الله او بالقرآن وانتم تشهدون
نعته في الكتابين او تعلمون بالمعجزات انه حق **يا اهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل**
بالتحريف وابراز الباطل في صورته او بالتقصير في التمييز بينهما وقرئ تلبسون بالتشديد
وتلبسون بفتح الباء اى تلبسون الحق مع الباطل كقوله عليه السلام كلابس ثوبي زور
وانتم تعلمون عالمين بما تكتمونه **وقالت طائفة من اهل الكتاب آمنوا بالذي انزل**
على الذين آمنوا وجه النهار اى اظهروا الايمان بالقرآن اول النهار **واكفروا آخره لعلهم**
يرجعون واكفروا آخره لعلهم يشكون في دينهم ظنا بانكم رجعتم لخلل ظهر لكم والمراد
بالطائفة كعب بن الاشرف ومالك بن الضيف قالا لاصحابهما لما حولت القبلة
آمنوا بما انزل عليهم من الصلوة الى الكعبة وصلوا اليها اول النهار ثم صلوا الى الصخرة
آخره لعلهم يقولون هم اعلم منا وقد رجعوا فيرجعون وقيل انا عثر من احبار
خيبر تقاولوا بان يدخلوا في الاسلام اول النهار ويقولوا آخره نظرنا في كتابنا وشاورنا
علماءنا فلم نجد محمدا بالنعت الذي ورد في التورية لعل اصحابه يشكون فيه **ولا تؤ**
منوا الا لمن تبع دينكم ولا تقروا عن تصديق قلب الا لاهل دينكم او لا تظهروا ايمانكم و
النهار الا لمن كان على دينكم فان رجوعهم ارجى واهتم **قل ان الهدى هدى الله** يهدي
من يشاء الى الايمان ويثبته عليه **ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم** متعلق بمحذوف اى
دبرتم ذلك وقلتم لان يؤتى احد والمعنى ان الحسد حملكم على ذلك او بلا تؤمنوا اى لا
تظهروا ايمانكم بان يؤتى احد مثل ما اوتيتم الا لاشياعكم ولا تفشوه الى المسلمين ليلا يزيد
ثباتهم ولا الى المشركين ليلا يدعوهم الى الاسلام وقوله **قل ان الهدى هدى الله** اعتراض
بليغ على ان كيدهم لا يجدي بطائل او خبر ان على ان هدى الله بدل من الهدى وقراءة

ابن كثير

ابن كثير آن يؤتى على الاستفهام للتقريع يؤيد الوجه الاول الا ان يؤتى احد دينكم
وقرئ ان على انها النافية فيكون من كلام الطائفة اى ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم
وقولوا لهم ما يؤتى احد مثل ما اوتيتم **او يحاجوكم عند ربكم** عطف على ان يؤتى على
الوجهين الاولين وعلى الثالث معناه حتى يحاجوكم عند ربكم فينقطعوا بحجتكم والواو
بمعنى احد لانه في معنى الجمع اذ المراد به غير اتباعهم **قل ان الفضل بيد الله يؤتيه من**
يشاء والله واسع عليم يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم ردوا
بطال ما زعموه بالحجة الواضحة **ومن اهل الكتاب من ان تأمنه بقنطار يؤده**
اليك كعبد الله بن سلام استودعه قرشي الفا ومائتي اوقية ذهبا فاداه اليه
ومنهم من ان تأمنه بدينار لا يؤده اليك كفنحاص بن عازورا استودعه قرشي آخر
دينارا فجحد وقيل المأمونون على الكثير النصارى اذ الغالب فيهم الامانة والخائنون
في القليل اليهود اذ الغالب عليهم الخيانة **الا ما دمت عليه قائما** الا مدة دوامك
قائما على رأسه مبالغا في مطالبته بالتقاضي والترافع واقامة البينة **ذلك** اشارة
الى ترك الاداء المدلول عليه بقوله **بانهم قالوا** بسبب قولهم **ليس علينا في الاميين**
سبيل اى ليس علينا في شان من ليس من اهل الكتاب ولم يكونوا على ديننا عتاب
وذم **ويقولون على الله الكذب** باد عائهم ذلك **وهم يعلمون** انهم كاذبون وذلك
لانهم استحلوا ظلم من خالفهم وقالوا لم يجعل لهم في التورية حرمة وقبل
عامل اليهود رجلا من قريش فلما اسلم تقاضوه فقال لو اسقط حقكم حيث تركتم دينكم
وزعموا انه كذلك في كتابهم وعن النبي عليه السلام انه قال عند نزولها كذب
اعداء الله ما من شيء في الجاهلية الا وهو تحت قدمي الا الامانة فانها موداة الى البر
والفاجر **بلى** اثبات لما نفوه اى بلى عليهم فيهم **سبيل من اوفى بعهده واتقى فان الله**
يحب المتقين استيناف مقرر للجملة التي سدت بلى مسدها والضمير المجرور لمن والله

وعموم المتقين ناب الراجع من الجزاء الى من واشعر بان التقوى ملاك الامر وهو يعم
الوفاء وغيره من اداء الواجبات والاجتناب عن المناهي ان الذين يشترون يستبد
لون بعهد الله بما عاهدوا عليه من الايمان بالرسول والوفاء بالامانات وايمانهم
وبما حلفوا به من قولهم والله لنؤمنن به ولننصرنه ثمنا قليلا متاع الدنيا اولئك لا خلاق
لهم في الاخرة ولا يكلمهم الله بما يسرهم او بشيء اصلا وان الملائكة يسألونهم يوم القيامة
او لا ينتفعون بكلمات الله واياته والظاهر انه كناية عن غضبه عليهم لقوله ولا ينظر اليهم
يوم القيامة فان من سخط على غيره واستهان به اعرض عنه وعن التكلم معه والالتفات
نحوه كما ان من اعتد بغيره تقاوله ويكثر النظر اليه ولا يزكيهم ولا يثني عليهم ولهم
عذاب اليم على ما فعلوا قيل انها نزلت في احبار حرفوا التورية وبدلوا نعت محمد
وحكم الامانات وغيرهما واخذوا على ذلك رشوة وقيل نزلت في رجل اقام سلعة
في السوق فحلف لقد اشتراها بما لم يشترها به وقيل في ترافع كان بين اشعث بن قيس
ويهودي في بئر او ارض وتوجه الحلف على اليهودي وان منهم لفريقا يعني المحرفين ككعب
ومالك وحيي يلوون السنتهم بالكتاب يفتلونها بقراءته فيميلونها عن المنزل الى
المحرف او يعطفونها بشبه الكتاب وقرئ يلون على قلب الواو المضمومة همزة ثم تخفيفها
بحذفها والقاء حركتها على الساكن قبلها لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب
الضمير للمحرف المدلول عليه بقوله يلون وقرئ ليحسبوه بالياء والضمير ايضا للمسلمين ويقولون
على الله الكذب وهم يعلمون تاكيد وتسجيل عليهم بالكذب على الله والتعمد فيه
ما كان لبشر ان يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لي
من دون الله تكذيب ورد على عبدة عيسى وقيل ان ابا رافع القرظي والسيد النجراني
قالا يا محمد اتريد ان نعبدك ونتخذك ربا فقال معاذ الله ان نعبد غير الله وان نامر بغير
عبادة الله فما بذلك بعثني ولا بذلك امرني فنزلت وقيل قال رجل يا رسول الله نسلم

السنتهم صح وقرئ ليحسبوه بالياء والضمير ايضا للمسلمين ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله تاكيد لقوله وما هو من الكتاب وتشنيع عليهم وبيان لانهم يزعمون ذلك تصريحا لا تعريضا اي ليس هو نازلا من عنده وهذا لا يقتضي ان لا يكون فعل العبد فعل الله صح

عليك

عليك كما يسلم بعضنا على بعض افلا نسجد لك قال لا ينبغي ان يسجد لاحد من دون الله ولكن
اكرموا نبيكم واعرفوا الحق لاهله ولكن كونوا ربانيين ولكن يقول كونوا ربانيين والرباني
منسوب الى الرب بزيادة الالف والنون كاللحياني والرقباني وهو الكامل في العلم والعمل
بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون بسبب كونكم معلمين الكتاب وبسبب كونكم
دارسين له فان فائدة التعليم والتعلم معرفة الحق والخير للاعتقاد والعمل وقرأ ابن كثير
ونافع وابو عمرو ويعقوب تعلمون بمعنى عالمين وقرئ تدرسون من التدريس وتد
رسون من ادرس بمعنى درس كاكرم وكرم ويجوز ان يكون القراءة المشهورة ايضا بهذا
المعنى على تقدير وبما تدرسونه على الناس ولا يامركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين
اربابا نصبه ابن عامر وعاصم ويعقوب عطفا على ثم يقول ويكون لا مزيدة لتاكيد معنى
النفي في قوله ما كان اي ما كان لبشر ان يستنبئه الله ثم يامر الناس بعبادة نفسه ويامر
باتخاذ الملائكة والنبيين اربابا او غير مزيدة على معنى انه ليس له ان يامر بعبادته ولا
يامر باتخاذ اكفائه اربابا بل ينهى عنه وهو ادنى من العبادة ورفعه الباقون على الا
ستيناف ويحتمل الحال وقرأ ابو عمرو على اصله برواية الدوري باختلاس الضم ايامركم
بالكفر انكار والضمير فيه للبشر وقيل لله بعد اذ انتم مسلمون دليل على ان الخطاب
للمسلمين وهم المستاذنون لان يسجدوا له واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما اتيتكم
من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه
قيل انه على ظاهره واذا كان هذا حكم الانبياء كان الامم به اولى وقيل معناه انه
تعالى اخذ الميثاق من النبيين واممهم واستغنى بذكرهم عن ذكر الامم وقيل اضافة
الميثاق الى النبيين اضافته الى الفاعل والمعنى واذ اخذ الله الميثاق الذي وثقه الانبياء
على اممهم وقيل المراد اولاد النبيين على حذف المضاف وهم بنو اسرائيل او سماهم نبيين
تهكما لانهم كانوا يقولون نحن اولى بالنبوة من محمد لانا اهل الكتاب والنبيون كانوا منا

واللام في لما موطئة للقسم لان اخذ الميثاق بمعنى الاستحلاف وما يحتمل الشرطية
ولتؤمنن ساد مسد جواب القسم والشرط ويحتمل الخبرية وقرأ حمزة لما بالكسر على
ان ما مصدرية اي لاجل ايتائي اياكم بعض الكتاب ثم لمجيء رسول مصدق اخذ الله
الميثاق لتؤمنن به ولتنصرنه او موصولة والمعنى اخذه للذي آتيتكموه وجاءكم رسول مصدق
له وقرئ لما بمعنى حين آتيتكم او لمن اجل ما آتيتكم على ان اصله لمن ما بالادغام فحذف احدى
الميمات الثلث استثقالا وقرأ نافع اتيناكم بالنون والالف جميعا قال أأقررتم واخذ
تم على ذلكم اصري اي عهدي سمي به لانه مما يوصر اي يشد وقرئ بالضم وهو اما لغة فيه
كعبر وعبر او جمع اصار وهو ما يشد به قالوا اقررنا قال فاشهدوا اي فليشهد
بعضكم على بعض بالاقرار وقيل الخطاب فيه للملائكة وانا معكم من الشاهدين
وانا ايضا على اقراركم وتشاهدكم شاهد وهو توكيد وتحذير عظيم فمن تولى بعد
ذلك بعد الميثاق الجملة المتقدمة والهمزة متوسطة بينهما للانكار او محذوف
تقديره ايتولون فغير دين الله يبغون وتقديم المفعول لانه المقصود بالانكار والفعل
بلفظ الغيبة عند ابي عمرو وعاصم في رواية حفص ويعقوب وبالتاء عند الباقين
على تقدير وقل لهم وله اسلم من في السموات والارض طوعا وكرها اي طائعين بالنظر
وكارهين بالسيف مسخرين كالكفرة فانهم لا يقدرون ان يمتنعوا عما قضي عليهم
واليه ترجعون وقرئ بالياء على ان الضمير لمن قل آمنا بالله وما انزل علينا وما
انزل على ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما اوتي موسى وعيسى
والنبيون من ربهم امر للرسول صلوات الله عليه بان يخبر عن نفسه ومتابعيه
بالايمان والقرآن كما هو منزل عليه منزل عليهم بتوسط تبليغه اليهم وايضا المنسوب
الى واحد من الجمع قد ينسب اليهم او بان يتكلم عن نفسه على طريقة الملوك اجلالا له والنزول
كما يعدى بالى لانه ينتهي الى الرسل يعدى بعلى لانه من فوق وانما قدم المنزل عليه

والتوكيد بالاقرار والشهادة
فاولئك هم الفاسقون
المتمردون من الكفرة افغير
دين الله يبغون عطف على صح

ومعاينة ما يلجئ الى الاسلام
كفتق الجبل وادراك الغرق
والاشراف على الموت او
مختارين كالملائكة والمؤمنين او صح

على المنزل

على المنزل على سائر الرسل لانه المعرف له والمعيار عليه لا نفرق بين احد منهم بالتصديق
والتكذيب ونحن له مسلمون منقادون او مخلصون في عبادته ومن يبتغ غير الاسلام
دينا اي غير التوحيد والانقياد لحكم الله فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين
الواقعين في الخسران والمعنى ان المعرض عن الاسلام والطالب لغيره فاقد للنفع واقع
في الخسران بابطال الفطرة السليمة التي فطر الناس عليها واستدل به على ان الايمان
هو الاسلام اذ لو كان غيره لم يقبل والجواب انه ينفي قبول كل دين يغايره لا قبول كل ما يغايره
ولعل الدين ايضا الاعمال كيف يهدي الله قوما كفروا بعد ايمانهم وشهدوا
ان الرسول حق وجاءهم البينات استبعاد لان يهديهم الله فان الحائد عن الحق
بعد ما وضح له منهمك في الضلال بعيد عن الرشاد وقيل نفي وانكار له وذلك يقتضي
ان لا يقبل توبة المرتد وشهدوا عطف على ما في ايمانهم من معنى الفعل ونظيره فاصدق
واكن من الصالحين او حال باضمار قد من كفروا وهو على الوجهين دليل على ان الاقرار با
للسان خارج عن حقيقة الايمان والله لا يهدي القوم الظالمين الذين ظلموا انفسهم
بالاخلال بالنظر ووضع الكفر موضع الايمان فكيف من جاءه الحق وعرفه ثم اعرض عنه
اولئك جزاؤهم ان عليهم لعنة الله والملائكة والناس اجمعين يدل بمنطوقه
على جواز لعنهم وبمفهومه بنفي جواز لعن غيرهم ولعل الفرق انهم مطبوعون على الكفر
ممنوعون عن الهدى مأيوسون عن الرحمة رأسا بخلاف غيرهم والمراد بالناس المؤمنون
او العموم فان الكافر ايضا يلعن منكر الحق والمرتد عنه ولكن لا يعرف الحق بعينه خا
لدين فيها في اللعنة او العقوبة او النار وان لم يجر ذكرهما لدلالة الكلام عليهما لا يخفف
عنهم العذاب ولا هم ينظرون الا الذين تابوا من بعد ذلك اي من بعد الارتداد
واصلحوا ما افسدوا ويجوز ان لا يقدر له مفعول بمعنى ودخلوا في الصلاح فان الله غفور
يقبل توبته رحيم يتفضل عليه قيل انها نزلت في الحرث بن سويد حين ندم على ردته

على نفي صح

فارسل الى قومه ان سلوا هل لى من توبة فارسل اليه اخوه الجلاس بالآية فرجع
المدينة فتاب ان الذين كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفرا كاليهود كفروا بعيسى والا
نجيل بعد الايمان بموسى والتورية ثم ازدادوا كفرا بمحمد والقران او كفروا بمحمد بعد
ما آمنوا به قبل مبعثه ثم ازدادوا كفرا بالاصرار والعناد والطعن فيه والصد عن
الايمان ونقض الميثاق او كقوم ارتدوا ولحقوا بمكة ثم ازدادوا كفرا بقولهم نتربص بمحمد
ريب المنون ونرجع اليه وننافقه باظهار لن تقبل توبتهم لانهم لا يتوبون
او لا يتوبون الا اذا اشفوا على الهلاك فكنى عن عدم توبتهم بعدم قبولها تغليظا فى
شانهم وابرازا لحالهم فى صورة حال الآيسين من الرحمة ولان توبتهم
لا تكون الا نفاقا لارتدادهم وزيادة كفرهم ولذلك لم يدخل الفاء فيه واولئك
هم الضالون الثابتون على الضلالة ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن
يقبل من احدهم ملء الارض ذهبا لما كان الموت على الكفر سببا للامتناع
قبول الفدية ادخل الفاء هاهنا للاشعار به وملء الشئ ما يملاه وذهبا نصب على
التمييز وقرئ بالرفع على البدل من ملء او الخبر لمحذوف ولو افتدى به محمول على المعنى
كانه قيل فلن يقبل من احدهم فدية ولو افتدى بملء الارض ذهبا او معطوف
على مضمر تقديره فلن يقبل من احدهم ملء الارض ذهبا لو تقرب به فى الدنيا ولو
افتدى به من العذاب فى الآخرة والمراد ولو افتدى بمثله كقوله ولو ان للذين ظلموا
ما فى الارض جميعا ومثله معه والمثل يحذف ويزاد كثيرا لان المثلين فى حكم شئ واحد
اولئك لهم عذاب اليم مبالغة فى التحذير وايقاظ لان من لا يقبل منه الفداء
ربما يعفى عنه تكرما ولهم من ناصرين فى دفع العذاب ومن مزيدة للاستغراق
لن تنالوا البر اى لن تبلغوا حقيقة البر الذى هو كمال الخير ولن تنالوا بر الله الذى
هو الرحمة والرضى والجنة حتى تنفقوا مما تحبون اى من المال وما يعمه وغيره

كبذل

كبذل الجاه فى معاونة الناس والبدن فى طاعة الله والمهجة فى سبيله روى انها لما
نزلت جاء ابو طلحة فقال يا رسول الله ان احب اموالى اليرحى فضعها حيث اراد
الله فقال اجرت ذلك مالك رابح او رابح وانى ارى ان تجعلها فى الاقربين وجار زيد بن حارثة
بفرس وكان يحبها فقال هذه فى سبيل الله فحمل عليها رسول الله اسامة فقال زيد
انما اردت ان اتصدق به فقال عليه السلام ان الله تعالى قد قبلها منك وذلك
يدل على ان انفاق احب المال على اقرب الاقارب افضل وان الآية نعم الانفاق الواجب
والمستحب وقرئ بعض ما تحبون وهو يدل على ان من للتبعيض ويحتمل التبيين وما
تنفقوا من شئ اى من اى شئ يحبوب او غيره ومن لبيان ما فان الله به عليم فيجازيكم
بحسبه كل الطعام اى المطعومات والمراد كلها كان حلا لبنى اسرائيل حلا لاهلهم
وهو مصدر نعت به ولذلك يستوى فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث قال
تعالى الا من حل لهم الا ما حرم اسرائيل يعقوب على نفسه كلحوم الابل والبانها
قيل كان به عرق النسا فنذر ان شفى لم ياكل احب الطعام اليه وكان ذلك
احبه اليه وقيل فعل ذلك للتداوى باشارة الاطباء واحتج به من جوز للنبى
ان يجتهد وللمانع ان يقول ذلك باذن من الله فهو كتحريمه ابتداء من قبل ان تنزل
التورية اى من قبل انزالها مشتملة على تحريم ما حرم عليهم لظلمهم وبغيهم عقيب
وتشديدا وذلك رد على اليهود فى دعوى البراءة عما نعى عليهم فى قوله فبظلم من
الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات وقوله وعلى الذين هادوا حرمنا عليهم كل ذى
ظفر الآيتان بان قالوا لسنا اول من حرمت عليه وانما كانت محرمة على نوح وابراهيم
ومن بعد حتى انتهى الامر الينا فحرمت علينا كما حرمت على من قبلنا وفى منع النسخ
والطعن فى دعوى الرسول موافقة ابرهيم تحليل لحوم الابل والبانها قل فاتوا بالتو
فاتلوها عليه ان كنتم صادقين امر محاجتهم بكتابهم وتبكيتهم بما فيه من انه قد حرم عليهم

بسبب ظلمهم ما لم يكن محرما روى انه عليه السلام لما قال لهم بهتوا ولم يجسروا
ان يخرجوا التورية وفيه دليل على نبوته فمن افترى على الله الكذب ابتدعه
على الله بزعمه انه حرم ذلك قبل نزول التورية على بني اسرائيل ومن قبلهم من بعد
ذلك من بعد ما لزمهم الحجة فاولئك هم الظالمون الذين لا ينصفون من
انفسهم ويكابرون الحق بعد ما وضح قل صدق الله تعريض بكذبهم اي ثبت ان
الله صادق فيما انزل وانتم الكاذبون فاتبعوا ملة ابرهيم حنيفا اي ملة الاسلام
التي هي في الاصل ملة ابرهيم او مثل ملته حتى تتخلصوا من اليهودية التي اضطرتكم
الى التحريف والمكابرة لتسوية الاغراض الدنيوية والزمتكم تحريم طيبات احلها لابرهيم
ومن تبعه وما كان من المشركين فيه اشارة الى ان اتباعه واجب في التوحيد
الصرف والاستقامة في الدين والتجنب عن الافراط والتفريط وتعريض بشرك اليهود
ان اول بيت وضع للناس اي وضع للعبادة وجعل متعبدا لهم والواضع هو الله
تعالى ويدل عليه انه قرئ على البناء للفاعل للذي ببكة للبيت الذي ببكة وهي لغة
في مكة كالنبيط والنميط وامر راتب وراتم ولازب ولازم وقيل هي موضع المسجد
ومكة البلد من بكه اذا زحمه او من بكه اذا دقه فانها تبك اعناق الجبابرة روى
انه عليه السلام سئل عن اول بيت وضع للناس فقال المسجد الحرام ثم بيت المقدس
وسئل كم بينهما فقال اربعون سنة وقيل اول من بناها ابرهيم ثم هدم فبناه
قوم من جرهم ثم العمالقة ثم قريش وقيل هو اول بيت بناه آدم فانطمس في
الطوفان ثم بناه ابرهيم وقيل كان في موضعه قبل آدم بيت يقال له الضراح
ويطوف به الملائكة فلما اهبط امر بان يحجه ويطوف حوله ورفع في الطوفان الى السماء
الرابعة يطوف به ملائكة السموات وهو لا يلائم ظاهر الآية وقيل المراد انه اول
بالشرف لا بالزمان مباركا كثير الخير والنفع لمن حجه واعتمره واعتكف دونه وطاف حوله

حال

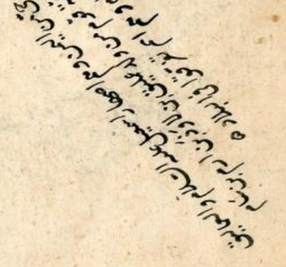

حال من المستكن في الظرف وهدى للعالمين لانه قبلتهم ومتعبدهم ولان فيه آيات
عجيبة كما قال فيه آيات بينات كانحراف الطيور عن موازاة البيت على مدى الاعصار
وان ضواري السباع تخالط الصيود في الحرم ولا تتعرض لها وان كل جبار قصده بسوء قهره
كاصحاب الفيل والجملة مفسرة للهدى او حال اخرى مقام ابرهيم مبتداء محذوف خبره
اي فيها مقام او بدل من آيات بدل البعض من الكل وقيل عطف بيان على ان المراد بالآ
يات اثر القدم في الصخرة الصماء وغوصها فيها الى الكعبين وتخصيصها بهذه الالانة
من بين الصخار وابقاؤه دون سائر آثار الانبياء وحفظه مع كثرة اعدائه الوف سنة
ويؤيده انه قرئ آية بينة على التوحيد وسبب هذا الاثر انه لما ارتفع بنيان الكعبة قام
على هذا الحجر ليتمكن من رفع الحجارة فغاصت فيه قدماه ومن دخله كان آمنا جملة
ابتدائية او شرطية معطوفة من حيث المعنى على مقام لانه في معنى امن من دخله
اي ومنها امن من دخله او فيه آيات بينات مقام ابرهيم وامن من دخله اقتصر
بذكرهما من الآيات الكثيرة وطوى ذكر غيرهما كقوله عليه السلام حبب الي من دنياكم
ثلث الطيب والنساء وقرة عيني في الصلوة لان فيهما غنية عن غيرهما في الدارين
بقاء الاثر مدى الدهر والامن من العذاب يوم القيامة قال عليه السلام
من مات في احد الحرمين بعث يوم القيامة آمنا وعند ابي حنيفة من لزمه
القتل بردة او قصاص او غيرهما لم يتعرض له ولكن الجئ الى الخروج ولله على الناس
حج البيت قصده للزيارة على الوجه المخصوص وقرا حمزة والكسائي وعاصم في رواية
حفص حج بالكسر وهو لغة نجد من استطاع اليه سبيلا بدل من الناس مخصص له
وقد فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم الاستطاعة بالزاد والراحلة وهو يؤيد
قول الشافعي انها بالمال ولذلك اوجب الاستنابة على الزمن اذا وجد اجرة من ينوب
عنه وقال مالك انها بالبدن فيجب على من قدر على المشي والكسب في الطريق وقال

ابو حنيفة انها بمجموع الامرين والضمير في اليه للبيت او الحج وكل ما يأتي الى الشئ فهو سبيله
ومن كفر فان الله غني عن العالمين وضع كفر موضع من لم يحج تاكيدا لوجوبه وتغليظا
على تاركه ولذلك قال عليه السلام من مات ولم يحج فليمت ان شاء يهوديا
او نصرانيا وقد اكد الحج في هذه الآية من وجوه الدلالة على وجوبه بصيغة
الخبر وابرازه في صورة الاسمية وايراده على وجه يفيد انه حق واجب لله في رقاب
الناس وتعميم الحكم اولا وتخصيصه فانه كايضاح بعد ابهام وتثنية ونكر للمراد
وتسمية ترك الحج كفرا من حيث انه فعل الكفرة وذكر الاستغناء فانه في هذا الموضع
مما يدل على المقت والخذلان وقوله عن العالمين بدل عليه لما فيه من مبالغة التعميم
والدلالة على الاستغناء عنه بالبرهان والاشعار بعظم السخط لانه تكليف
شاق جامع بين كسر النفس وتعب البدن وصرف المال والتجرد عن الشهوات
والاقبال على الله روي انه لما نزل هذه الآية جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم
ارباب الملل فخطبهم وقال ان الله كتب عليكم الحج فحجوا فآمنت به ملة واحدة
وكفرت به خمس ملل فنزل ومن كفر قل يا اهل الكتاب لم تكفرون بآيات
الله اي بآياته السمعية والعقلية الدالة على صدق محمد فيما يدعيه من وجوب
الحج وغيره وتخصيص اهل الكتاب بالخطاب دليل على ان كفرهم اقبح واتهم وان
زعموا انهم مؤمنون بالتورية والانجيل فهم كافرون بهما والله شهيد على
ما تعملون والحال انه شهيد مطلع على اعمالكم فيجازيكم عليها لا يخفى عليكم التحريف
والاستسرار قل يا اهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من آمن كرر
الخطاب والاستفهام مبالغة في التقريع ونفي العذر لهم واشعارا بان كلا واحد
من الامرين مستقبح في نفسه مستقل باستجلاب العذاب وسبيل الله دينه الحق
المأمور بسلوكه وهو الاسلام قيل كانوا يفتنون المؤمنين ويحرشون بينهم

حتى

حتى اتوا الاوس والخزرج فذكروهم ما بينهم في الجاهلية من التعادي والتحارب ليعو
دوا لمثله ويحتالون لصدهم عنه تبغونها عوجا حال من الواو اي باغين طالبين
لها اعوجاجا بان تلبسوا على الناس وتوهموا ان فيها عوجا عن الحق بمنع النسخ وتغيير
صفة رسول الله ونحوهما او بان تحرشوا بين المؤمنين ليختلف كلمتهم ويختل امر
دينهم وانتم شهداء انها سبيل الله والصد عنها ضلال واضلال او انتم عدول
عند اهل ملتكم يثقون باقوالكم ويستشهدونكم في القضايا وما الله بغافل عما تعملون
وعيد لهم ولما كان المنكر في الآية الاولى كفرهم وهم يجهرون به ختمها بقوله
والله شهيد ولما كان في الآية صدهم المؤمنين عن الاسلام وكانوا يخفونه ويحتالون
فيه قال وما الله بغافل عما تعملون يا ايها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا من الذين
اوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين نزلت في نفر من الاوس والخزرج كانوا جلوسا
يتحدثون فمر بهم شاس بن قيس اليهودي فغاظه تآلفهم واجتماعهم فامر شابا من
اليهود ان يجلس اليهم فيذكرهم يوم بعاث وينشدهم ما قيل فيه وكان الظفر في بعضه
ذلك اليوم للاوس ففعل فتنازع القوم وتفاخروا وتغاضبوا وقالوا السلاح السلاح
واجتمع من القبيلتين خلق عظيم فتوجه اليهم رسول الله صلعم واصحابه وقالوا اتدعون
الجاهلية وانا بين اظهركم بعد اذ اكرمكم الله بالاسلام وقطع به عنكم امر الجاهلية
والف بين قلوبكم فعلموا انها نزغة من الشيطان وكيد من عدوهم فالقوا السلاح
واستغفروا وعانق بعضهم بعضا وانصرفوا مع الرسول صلوات الله عليه وانما خاطبهم
الله بنفسه بعد ما امر الرسول بان يخاطبا اهل الكتاب اظهارا لجلالة قدرهم
واشعارا بانهم هم الاحقاء بان يخاطبهم الله ويكلمهم وكيف تكفرون وانتم تتلى
عليكم آيات الله وفيكم رسوله انكار وتعجيب لكفرهم في حالين اجتمع لهم الاسباب
الداعية الى الايمان الصارفة عن الكفر ومن يعتصم بالله ومن يتمسك بدينه او يلتجئ
اليه في جامع امورهم فقد هدي الى صراط مستقيم فقد اهتدى لا محالة يا ايها الذين
آمنوا اتقوا الله حق تقاته حق تقواه وما يجب منها وهو استفراغ الوسع في القيام بالمرا

جب

والاجتناب عن المحارم كقوله فاتقوا الله ما استطعتم وعن ابن مسعود هو ان يطاع فلا يعصى ويشكر فلا يكفر ويذكر فلا ينسى وقيل هو ان تنزه الطاعة عن الالتفات اليها وعن توقع المجازاة عليها وفي هذا الامر تاكيد للنهي عن طاعة اهل الكتاب واصل تقاة وقية فقلبت واوها المضمومة تاء كما في تؤدة وتخمة والياء الفا ولا تموتن الا وانتم مسلمون اى ولا تكونن على حال سوى حال الاسلام اذا ادركم الموت فان النهي عن المقيد بحال وغيرها قد يتوجه بالذات نحو الفعل تارة والقيد اخرى وقد يتوجه نحو المجموع دونهما وكذلك النفي واعتصموا بحبل الله بدينه الاسلام وبكتابه لقوله عليه السلام القرآن حبل الله المتين استعار له الحبل من حيث ان التمسك به سبب للنجاة عن الردى كما ان التمسك بالحبل سبب للسلامة عن التردي والموثوق به والاعتماد عليه الاعتصام ترشيحا للجامع جميعا مجتمعين عليه ولا تفرقوا ولا تتفرقوا عن الحق بوقوع الاختلاف بينكم كما هل الكتاب ولا تتفرقوا تفرقكم الجاهلي يحارب بعضكم بعضا ولا تذكروا ما يوجب التفرق ويزيل الالفة واذكروا نعمة الله عليكم التي من جملتها الهداية والتوفيق للاسلام المودي الى التالف وزوال الغل اذ كنتم اعداء في الجاهلية متقاتلين فالف بين قلوبكم بالاسلام فاصبحتم بنعمته اخوانا متحابين مجتمعين على الاخوة في الله وقيل كان الاوس والخزرج اخوين لابوين فوقع بينهما العداوة وتطاولت الحروب مائة وعشرين سنة حتى اطفاها الله بالاسلام والف بينهم برسوله عليه السلام وكنتم على شفا حفرة من النار مشفين على الوقوع فيها بالاسلام والضمير للحفرة او للنار وللشفا وتانيثه لتانيث ما اضيف اليه او لانه بمعنى الشفة فان شفا البير وشفتها طرفها كالجانب والجانبة واصله شفو فقلبت الواو في المذكر وحذفت في المؤنث كذلك مثل ذلك التبيين يبين الله لكم آياته دلائله لعلكم تهتدون ارادة ثباتكم على الهدى وازديادكم فيه ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر من للتبعيض لان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر من فروض الكفاية ولانه لا يصلح له كل احد اذ المتصدي له شروط لا تتيسر لكل فيها جميع الامة كالعلم بالاحكام ومراتب الاحتساب وكيفية اقامتها والتمكن من القيام بها خاطب الجميع وطلب فعل بعضهم ليدل على انه واجب على الكل حتى لو تركوا اساءوا جميعا ولكن يسقط بفعل بعضهم وهكذا كل ما هو فرض الكفاية او للتبيين بمعنى وكونوا امة يامرون بالمعروف كقوله كنتم خير امة اخرجت للناس تامرون بالمعروف والدعاء الى الخير يعم الدعاء الى ما فيه صلاح ديني او دنيوي وعطف الامر بالمعروف والنهي عن المنكر عليه عطف الخاص على العام للايذان بفضله واولئك هم المفلحون المختصون بكمال الفلاح روي انه عليه السلام سئل من خير الناس فقال آمرهم بالمعروف وانهاهم عن المنكر واتقاهم لله واوصلهم ولا شك ان الامر بالمعروف يكون واجبا ومندوبا وانهى عن المنكر واتقاهم لله واوصلهم ولا شك ان الامر بالمعروف يكون واجبا ومندوبا على حسب ما يامر به والنهي عن المنكر واجب كله لان جميع ما انكر الشرع حرام والاظهر ان العاصي يجب ان ينهى عما يرتكبه لانه يجب عليه تركه وان كان فلا يسقط بترك احدهما وجوب الآخر ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا كاليهود والنصارى وعن بعض السلف مروا بالخير وان لم تفعلوا وعن الحسن انه سمع مطرف بن عبد الله يقول لا اقول لكم افعلوا ولا افعل اختلفوا في التوحيد والتنزيه واحوال الآخرة على ما عرفت من بعد ما جاءهم البينات الآيات والحجج المبينة للحق الموجبة للاتفاق عليه والاظهر ان النهي فيه مخصوص بما لتفرق في الاصول دون الفروع لقوله عليه السلام اختلاف امتي رحمة ولقوله من اجتهد فاصاب فله اجران ومن اخطاء فله اجر واحد واولئك لهم عذاب عظيم وعيد للذين تفرقوا وتهديد على التشبه بهم يوم تبيض وجوه وتسود وجوه نصب بما في لهم من معنى الفعل او باضمار اذكر وبياض الوجه وسواده كناية عن ظهور بهجة السرور وكآبة الخوف فيه وقيل يوسم اهل الحق ببياض الجبهة والصحيفة واشراق البشرة وسعي النور بين يديه وعينه واهل الباطل باضداد ذلك فاما الذين اسودت وجوههم اكفرتم بعد ايمانكم على ارادة القول اى فيقال لهم اكفرتم والهمزة للتوبيخ والتعجيب من حالهم وهم المرتدون او اهل الكتاب كفروا برسول الله بعد ايمانهم به قبل مبعثه او جميع الكفار كفروا بعد ما اقروا به حين اشهدهم على انفسهم او تمكنوا من الايمان بالنظر في الدلائل والآيات فذوقوا العذاب امر اهانة

بما كنتم تكفرون بسبب كفركم اى وجزاء لكفركم واما الذين ابيضت وجوههم ففى رحمة
الله يعنى الجنة والثواب المخلد عبر عن ذلك بالرحمة تنبيها على ان المؤمن وان استغرق عمره
فى طاعة الله تعالى لا يدخل الجنة الا برحمته وفضله وكان حق الترتيب ان يقدم ذكرهم
ولكن قصد ان يكون مطلع الكلام ومقطعه حلية المؤمنين وثوابهم هم فيها خالدون
لدون اخرجه مخرج الاستيناف للتاكيد كانه قيل كيف يكونون فيها فقال هم فيها خالدون
تلك آيات الله الواردة فى وعده ووعيده نتلوها عليك بالحق ملتبسة بالحق لا شبهة
فيها وما الله يريد ظلما للعالمين اذ يستحيل الظلم منه لانه لا يحق عليه شئ فيظلم بفعله
ولا يمنع عن شئ فيظلم بفعله لانه المالك على الاطلاق كما قال ولله ما فى السموات وما
فى الارض والى الله ترجع الامور فيجازى كلا بما وعد له واوعد كنتم خير امة دل على
خيريتهم فيما مضى ولم يدل على انقطاع مراء كقوله وكان الله غفورا رحيما وقيل كنتم
فى علم الله او فى اللوح او فيما بين الامم المتقدمين اخرجت للناس اظهرت لهم تامرون
بالمعروف وتنهون عن المنكر استيناف بين به كونهم خير امة او خبر ثان لكنتم وتؤ
منون بالله يتضمن الايمان بكل ما يجب ان يؤمن به لان الايمان به انما يحق ويعتد به اذا
حصل الايمان بكل ما امر ان يؤمن به وانما اخر وحقه ان يقدم لانه قصد بذكر الدلالة
على انهم امروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ايمانا بالله وتصديقا واظهارا لدينه واستدل
بهذه الآية على ان الاجماع حجة لانها تقتضى كونهم آمرين بكل معروف ناهين عن كل
منكر اذ اللام فيهما للاستغراق فلو اجمعوا على باطل كان امرهم على خلاف ذلك ولو آمن
اهل الكتاب ايمانا كما ينبغى لكان خيرا لهم لكان الايمان خيرا لهم تما هم عليه منهم
المؤمنون كعبد الله بن سلام واصحابه واكثرهم الفاسقون المتمردون فى الكفر وهذه
الجملة والتى بعدها واردتان على سبيل الاستطراد لن يضروكم الا اذى ضررا يسيرا
كطعن وتهديد وان يقاتلوكم يولوكم الادبار ينهزموا ولا يضروكم بقتل واسر ثم لا
ينصرون ثم لا يكون احد ينصرهم عليكم او يدفع باسكم عنهم ثنى ازارهم سوى ما يكون
بقوله وقرر ذلك بانهم لو قاموا الى القتال كانت الدبرة عليهم ثم اخبر بانه يكون

عاقبتهم

عاقبتهم العجز والخذلان وقرئ لا ينصروا عطفا على يولوا على ان ثم للتراخى فى المرتبة
فيكون عدم النصر مقيدا بقتالهم وهذه الآية من المغيبات التى وافقها الواقع اذ
كان كذلك حال قريظة والنظير وبنى قينقاع ويهود خيبر ضربت عليهم الذلة هذه
النفس والمال او ذل التمسك بالباطل والجزية اينما ثقفوا وجدوا الا بحبل من الله
وحبل من الناس استثناء من اعم عام الاحوال اى ضربت عليهم الذلة فى عامة الاحوال
الا معتصمين او ملتبسين بذمة الله وكتابه الذى آتاهم وذمة المسلمين او بدينه
الاسلام واتباع سبيل المؤمنين وباءوا بغضب من الله رجعوا به مستوجبين له
وضربت عليهم المسكنة فهى محيطة بهم احاطة البيت المضروب على اهله واليهود
فى غالب الامر فقراء مساكين ذلك اشارة الى ما ذكر من ضرب الذلة والمسكنة والبؤ
بالغضب بانهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الانبياء بغير حق بسبب كفرهم
بالآيات وقتلهم الانبياء ذلك اى الكفر والقتل بما عصوا وكانوا يعتدون بسبب
عصيانهم واعتدائهم حدود الله فان الاصرار على الصغاير يفضى الى الكبائر والاستمرار
عليها يؤدى الى الكفر وقيل معناه ان ضرب الذلة فى الدنيا واستحقاب الغضب فى الآخرة
كان هو معللا بكفرهم وقتلهم فهو مسبب عن عصيانهم واعتدائهم من حيث انهم
مخاطبون بالفروع ايضا ليسوا سواء فى المساوى الضير لاهل الكتاب من اهل الكتاب
امة قائمة استيناف لبيان نفى الاستواء والقائمة المستقيمة العادلة من اقمت
العود فقام وهم الذين اسلموا منهم يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون
يتلون القرآن فى تهجدهم عبر عنه بالتلاوة فى ساعات الليل مع السجود ليكون ابين والمدح
فى المدح وقيل المراد صلوة العشاء لان اهل الكتاب لا يصلونها لما روى انه عليه
السلام اخرها ثم خرج فاذا الناس ينتظرون الصلوة فقال اما انه ليس من اهل الاديان احد يذكر الله هذه الساعة غيركم يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون
بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون فى الخيرات صفات اخر لامة وصفهم
بخصايص ما كانت فى اليهود فانهم منهمكون عن الحق غير متعبدين بالليل مشركون بالله

والتقييد بغير حق مع انه كذلك فى نفس الامر للدلالة على انه لم يكن حقا بحسب اعتقادهم ايضا

عاقبتهم

كقولهم لا ألوك نصحا على تضمين معنى المنع او النقص ودّوا ما عنتم تمنّوا عنتكم وهو
شدّة الضرر والمشقة ومامصدرية قد بدت البغضاء من افواههم اى فى كلامهم
لانهم لا يتمالكون انفسهم لفرط بغضهم وما تخفى صدورهم اكبر متمايبدا لان بُدُوّه
ليس عن رويّة واختيار قد بيّنا لكم الآيات الدالّة على وجوب الاخلاص وموالاة المؤ
منين ومعاداة الكافرين ان كنتم تعقلون ما بيّن لكم والجمل الاربع جاءت مستأنفات
على التعليل ويجوز ان يكون الثلث الاول صفات لبطانة ها انتم اولاء تحبونهم
ولا يحبونكم اى انتم اولاء الخاطئون فى موالاة الكفار وتحبونهم ولا يحبونكم بيان لخطائهم
فى موالاتهم وهو خبر ثان او خبر اولاء والجملة خبر انتم كقولك انت زيد تحبّه اوصلته
او حال والعامل فيها معنى الاشارة ويجوز ان ينصب اولاء بفعل يفسّره ما بعده ويكون
الجملة خبرا وتؤمنون بالكتاب كلّه بجنس الكتب كلّه وهو حال من لا يحبونكم والمعنى
انهم لا يحبونكم والحال انكم تؤمنون بكتابهم ايضا فما بالكم تحبونهم وهم لا يؤمنون
بكتابكم وفيه توبيخ بانهم فى باطلهم اصلب منكم فى حقكم واذا لقوكم قالوا
آمنّا نفاقا وتقرّبا واذا خلوا عضّوا عليكم الانامل من الغيظ من اجله تأسّفا وتحسّرا
حيث لم يجدوا الى التشفّى سبيلا قل موتوا بغيظكم دعاء عليهم بدوام الغيظ وزيادته
بتضاعف قوّة الاسلام واهله حتى يهلكوا به ان الله عليم بذات الصدور فيعلم ما فى صد
ورهم من البغضاء والحنق وهو يحتمل ان يكون من المقول اى قل لهم انّ الله عليم بما هو
اخفى ممّا تخفونه من غيظ الانامل وان يكون خارجا عنه بمعنى قل لهم ذلك
ولا تتعجّب من اطلاعى اياك على اسرارهم فانّى عليم بالاخفى من ضمائرهم ان تمسسكم
حسنة تسؤهم وان تصبكم سيّئة يفرحوا بها بيان لتناهى عداوتهم الى حدّ
حسد وما نالهم من خير ومنفعة وشماتتهم بما اصابهم من ضرّ وشدّة والمسّ مستعار
للاصابة وان تصبروا على عداوتهم او على مشاقّ التكاليف وتتقوا مولاتهم او ما هو اعمّ
الله عليكم لا يضرّكم كيدهم شيئا بفضل الله وحفظه الموعود للصابرين والمتقين
ولان المجلّد فى الامر المتدرّب بالاتقاء والصبر يكون قليل الانفعال جريئا على الخصم وضمّة

جريئا

ملحدون فى صفاته واصفون اليوم الآخر بخلاف صفته مداهنون فى الاحتساب متبا
طئون عن الخيرات واولئك من الصّالحين اى الموصوفون بتلك الصفات ممّن صلحت
احوالهم عند الله واستحقّوا رضاه وثناءه وما يفعلوا من خير فلن يُكفروه فلن يضيع
ولا ينقص ثوابه البتّة سمّى ذلك كفرانا كما سمّى توفية الثواب شكرا وتعديته الى مفعولين
لتضمّنه معنى الحرمان وقرأ حفص وحمزة والكسائى وما يفعلوا من خير فلن يكفروه بالياء
والباقون بالتاء والله عليم بالمتقين بشارة لهم واشعار بانّ التقوى مبدأ الخير وحسن
العمل وانّ الفائز عند الله هو اهل التقوى انّ الذين كفروا لن تغنى عنهم اموالهم ولا
اولادهم من الله شيئا من العذاب ومن الغناء فيكون مصدرا واولئك اصحاب النار
ملازموها هم فيها خالدون مثل ما ينفقون فى هذه الحيوة الدنيا ما ينفق الكفرة قربة
او مفاخرة وسمعة او المنافقون رياء وخوفا كمثل ريح فيها صرّ بردٌ شديد والشايع اطلاقه
للريح الباردة كالصرصر فهو فى الاصل مصدر نعت به او نعت وصف به للمبالغة كقولك
هو بارد اصابت حرث قوم ظلموا انفسهم بالكفر والمعاصى فاهلكته عقوبة لهم لانّ
الاهلاك عن سخط اشدّ والمراد تشبيه ما انفقوا فى ضياع به حرث كفار ضربته صرّ فاستأ
صلته ولم يبق لهم فيه منفعة ما فى الدنيا والآخرة وهو من التشبيه المركّب ولذلك لم
يأت بالياء لكلمة التشبيه الريح دون الحرث ويجوز ان يقدّر كمثل مهلك ريح وهو الحرث
وما ظلمهم الله ولكن انفسهم يظلمون اى ما ظلم المنفقين بضياع نفقاتهم ولكنّهم ظلموا
انفسهم لما لم ينفقوها بحيث يعتدّ بها وما ظلم اصحاب الحرث باهلاكه ولكن ظلموا انفسهم
بارتكاب ما استحقّوا به العقوبة وقرئ ولكن اى ولكنّ انفسهم يظلمونها ولا يجوز ان يقدّر
ضمير الشأن لانه لا يحذف الا فى الشعر كقوله ولكنّ من يبصر جفونك يعشق يا ايّها الذين
آمنوا لا تتخذوا بطانة وليجة وهو الذى يعرفه الرجل اسراره ثقة به شبّه بطانة الثوب
كما شبّه بالشعار قال عليه السلام الانصار شعار والناس دثار من دونكم من دون المسلمين
وهو متعلّق بلا تتخذوا او بمحذوف هو صفة بطانة اى بطانة كائنة من دونكم لا يألونكم
خبالا لا يقصّرون لكم فى الفساد والالوّ التقصير واصله ان يعدّى بالحرف وعدّى الى مفعولين

كقولهم

الراء للاتباع كضمة مد وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو ويعقوب لا يضركم من ضاره
يضيره ان الله بما يعملون من الصبر والتقوى وغيرهما محيط اى محيط علمه فمجازيكم
بما انتم اهله وقرئ بالتاء اى بما تعملون في عداوتكم عالم فيعاقبهم عليه واذ غدوت
اى واذكر اذ غدوت من اهلك من حجرة عايشة تبوئ المومنين تنزلهم او تسوى وتهيئ
لهم ويؤيده القراءة باللام مقاعد للقتال مواقف واماكن له وقد يستعمل المقعد والمقام
بمعنى المكان على الاتساع كقوله في مقعد صدق وقوله قبل ان تقوم من مقامك والله
سميع لاقوالكم عليم بنياتكم روى ان المشركين نزلوا باحد يوم الاربعاء ثاني عشر شوال سنة
من الهجرة فاستشار رسول الله صلى الله عليه وسلم اصحابه وقد دعا عبد الله بن ابي ولم
يدعه قبل فقال هو واكثر الانصار اقم يا رسول الله بالمدينة ولا تخرج اليهم فوالله ما
خرجنا منها الى عدو الا اصاب منا ولا دخلها علينا الا اصبنا منه فكيف وانت فينا فدعهم
فان اقاموا اقاموا بشر محبس وان دخلوا قاتلهم الرجال ورماهم النساء والصبيان بالحجارة
وان رجعوا رجعوا خائبين واشار بعضهم الى الخروج فقال عليه السلام رايت في منامي بقرة
مذبوحة حولي فاولتها خيرا ورايت في ذباب سيفي ثلما فاولته هزيمة ورايت كاني اد
خلت يدي في درع حصينة فاولته المدينة فان رايتم ان تقيموا بالمدينة وتدعوهم
فقال رجال فاتتهم بدر واكرمهم الله بالشهادة يوم احد اخرج بنا الى اعدائنا وبالغوا
حتى دخل فلبس لامته فلما راوا ذلك ندموا على مبالغتهم وقالوا اصنع يا رسول الله
ما رايت فقال لا ينبغي لنبي ان يلبس لامته فيضعها حتى يقاتل فخرج بعد صلوة الجمعة
واصبح بشعب احد يوم السبت ونزل في عدوة الوادي وجعل ظهره وعسكره الى
احد وسوى صفهم وامر عبد الله بن جبير على الرماة وقال انضحوا عنا بالنبل
ولا ياتونا من ورائنا اذ همت متعلق بقوله سميع عليم او بدل من اذ غدوت طا
يفتان منكم بنو سلمة من الخزرج وبنو حارثة من الاوس وكانا جناحي العسكر ان تفشلا
ان تجبنا وتضعفا روى انه عليه السلام خرج في زهاء الف رجل ووعدهم النصر ان
صبروا فلما بلغوا الشوط اختزل ابن ابي في ثلثمائة وقال علام نقتل انفسنا واولادنا

فتبعهم

فتبعهم عمرو بن حزم الانصاري وقال انشدكم الله في نبيكم وانفسكم فقال ابن ابي لو نعلم
قتالا لاتبعناكم فهم الحيان باتباعه فعصمهم الله فمضوا مع رسوله والظاهر انه ما
كانت عزيمة لقوله والله وليهما اى عاصمهما عن اتباع تلك الخطرة ويجوز ان يراد والله
ناصرهما فما لهما تفشلان وعلى الله فليتوكل المومنون اى فليتوكلوا عليه ولا يتوكلوا على
غيره لينصرهم كما نصرهم ببدر ولقد نصركم الله ببدر تذكير ببعض ما افادهم
التوكل وبدر ماء بين مكة والمدينة كان لرجل يسمى بدرا فسمي به وانتم اذلة حال من الضمير
وانما قال اذلة ولم يقل ذلائل ليدل على قلتهم مع ذلتهم لضعف الحال وقلة المراكب والسلاح
فاتقوا الله في الثبات لعلكم تشكرون ما انعم به عليكم بتقواكم من نصره او لعلكم
ينعم الله عليكم فتشكرون فوضع الشكر موضع الانعام لانه سببه اذ تقول للمومنين
ظرف لنصركم وقيل بدل ثان من اذ غدوت على ان قوله لهم يوم احد وكان مع اشتراط الصبر
والتقوى عن المخالفة فلما لم يصبروا عن الغنايم وخالفوا امر الرسول لم تنزل الملائكة الن يكفيكم
ان يمدكم ربكم بثلثة آلاف من الملائكة منزلين انكار ان لا يكفيهم ذلك وانما
جئ بلن اشعارا بانهم كانوا لآيسين من النصر لضعفهم وقلتهم وقوة العدو وكثرتهم
قيل امدهم الله يوم بدر اولا بالف من الملائكة ثم صاروا ثلثة آلاف ثم صاروا خمسة آلاف
وقرأ ابن عامر منزلين بالتشديد للتكثير او للتدريج بلى لما بعد لن اى بلى يكفيكم ثم وعدهم
الزيادة على الصبر والتقوى حثا عليهما وتقوية لقلوبهم فقال ان تصبروا وتتقوا ويا
توكم اى المشركون من فورهم هذا من ساعتهم هذه وهو في الاصل مصدر فارت
القدر اذا غلت فاستعير للسرعة ثم اطلق للحال التي لا ريث فيها ولا تراخي والمعنى ان ياتوكم
في الحال يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة في حال اتيانهم بلا تراخ وتاخير مسومين
معلمين من التسويم بمعنى الاسامة وقرأ ابن كثير وابو عمرو وعاصم ويعقوب بكسر الواو
وما جعله الله وما جعل امدادكم بالملائكة الا بشرى لكم الا بشارة لكم بالنصر ولتطمئن
قلوبكم به ولتسكن اليه من الخوف وما النصر الا من عند الله لا من العدة والعدد وهو
تنبيه على انه لا حاجة في نصرهم الى مدد وانما امدهم ووعدهم به بشارة لهم وربطا

الذي هو اظهار سيما الشيء لقوله عليه السلام لاصحابه تسوموا فان الملائكة قد تسومت او مرسلين من التسويم صح صح

على قلوبهم من حيث ان نظر العامة الى الاسباب اكثر وحث على ان لا يبالوا بمن
تاخر عنهم العزيز الذى لا يغالب فى اقضيته الحكيم الذى ينصر ويخذل بوسط وغير وسط
على مقتضى الحكمة والمصلحة ليقطع طرفا من الذين كفروا متعلق بنصركم او ما النصر
ان كان اللام فيه للعهد والمعنى لينقص منهم بقتل بعض واسر آخرين وهو ما كان يوم
بدر من قتل سبعين واسر سبعين من صناديدهم او يكبتهم او يخزيهم والكبت
شدة غيظ او وهن يقع فى القلب او للتنويع دون الترديد فينقلبوا خائبين فينهزموا منقطعى
الآمال ليس لك من الامر شئ اعتراض او يتوب عليهم او يعذبهم عطف على قوله يكبتهم والمعنى
ان الله مالك امرهم فاما ان يهلكهم او يكبتهم او يتوب عليهم ان اسلموا او يعذبهم
ان اصروا وليس لك من امرهم شئ وانما انت عبد مامور لانذارهم وجهادهم ويحتمل
ان يكون معطوفا على الامر او شئ باضمار ان اى ليس لك من امرهم او من التوبة عليهم او من
تعذيبهم شئ او ليس لك من امرهم شئ او التوبة عليهم او تعذيبهم وان يكون بمعنى
الا ان اى ليس لك من امرهم شئ الا ان يتوب الله عليهم فتسر به او يعذبهم فتشفى
منهم روى ان عتبة بن ابى وقاص شجه يوم احد وكسر رباعيته فجعل يمسح الدم عن وجهه
ويقول كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم فنزلت وقيل هم ان يدعو عليهم فنهاه
الله لعلمه بان فيهم من يؤمن فانهم ظالمون قد استحقوا التعذيب بظلمهم ولله ما فى
السموات وما فى الارض خلقا وملكا فله الامر كله يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء
صريح فى نفى وجوب التعذيب والتقييد بالتوبة وعدمها كالمنافى له والله غفور رحيم
لعباده فلا تبادر الى الدعاء عليهم يا ايها الذين آمنوا لا تاكلوا الربوا اضعافا مضاعفة
لا تزيدوا زيادات مكررة ولعل التخصيص بحسب الواقع اذ كان الرجل منهم يربى الى اجل
ثم يزيد فيه زيادة اخرى حتى يستغرق بالشئ الطفيف مال المديون وقرا ابن كثير وابن
عامر ويعقوب مضعفة واتقوا الله فيما نهيتم عنه لعلكم تفلحون راجين الفلاح واتقوا النار
التى اعدت للكافرين بالتحرز عن متابعتهم وتعاطى افعالهم وفيه تنبيه على ان النار
بالذات معدة للكفار وبالعرض للعصاة واطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون اتبع الوعيد

بالوعد

بالوعد ترهيبا عن المخالفة وترغيبا فى الطاعة ولعل وعسى فى امثال ذلك دليل
عزة التوصل الى ما جعل خبرا له وسارعوا بادروا او اقبلوا الى مغفرة من ربكم
الى ما يستحق به المغفرة والتوبة والاخلاص وقرا نافع وابن عامر سارعوا بلا واو وجنة
عرضها السموات والارض اى عرضها كعرضهما وذكر العرض للمبالغة فى وصفها بالسعة
على طريقة التمثيل لانه دون الطول وعن ابن عباس كسبع سموات وسبع ارضين لو وصل
بعضها ببعض اعدت للمتقين هيئت لهم وفيه دليل على ان الجنة مخلوقة وانها خارجة
عن هذا العالم الذين ينفقون صفة مادحة للمتقين او مدح منصوب او مرفوع فى
السراء والضراء فى حالى الرخاء والشدة او الاحوال كلها اذ الانسان لا يخلو عن مسرة
او مضرة اى لا يخلون فى حال ما بانفاق ما قدروا عليه من قليل والكاظمين الغيظ
الممسكين عليه الكافين عن امضائه مع القدرة من كظمت القربة اذا ملأتها وشددت
راسها وعن النبى صلى الله عليه وسلم من كظم غيظا وهو يقدر على انفاذه ملأ الله قلبه
امنا وايمانا والعافين عن الناس التاركين عقوبة من استحقوا مواخذته وعن النبى
صلى الله عليه وسلم ان هؤلاء فى امتى قليل الا من عصمهم الله وقد كانوا كثيرا فى الامم التى مضت
والله يحب المحسنين يحتمل الجنس ويدخل تحته هؤلاء والعهد فيكون الاشارة اليهم
والذين اذا فعلوا فاحشة فعلة بالغة فى القبح كالزنا او ظلموا انفسهم بان اذنبوا اى
ذنب كان وقيل الفاحشة الكبيرة وظلم النفس الصغيرة ولعل الفاحشة ما يتعدى وظلم
النفس ما ليس كذلك ذكروا الله تذكروا وعيده او حكمه او حقه العظيم فاستغفروا
لذنوبهم بالندم والتوبة ومن يغفر الذنوب الا الله استفهام بمعنى النفى معترض بين
المعطوفين والمراد به وصفه تعالى بسعة الرحمة وعموم المغفرة والحث على الاستغفار
والوعد بقبول التوبة ولم يصروا على ما فعلوا ولم يقيموا على ذنوبهم غير مستغفرين لقوله
عليه السلام ما اصر من استغفر وان عاد فى اليوم سبعين مرة وهم يعلمون حال من يصروا
اى لم يصروا على قبيح فعلهم عالمين به اولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات
تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها خبر للذين ان ابتدات به وجملة مستانفة مبينة

لما قبلها ان عطفت على المتقين او على الذين ينفقون ولا يلزم من اعداد الجنة للمتقين
والتائبين جزاء لهم ان لا يدخلها المصرون كما لا يلزم من اعداد النار للكافرين
جزاء لهم ان لا يدخلها غيرهم وتنكير جنات على الاول يدل على ان ما لهم ادون
مما للمتقين الموصوفين بتلك الصفات المذكورة في الآية المتقدمة وكفاك فارقا بين
الفريقين انه فصل آيتهم بان بين انهم محسنون مستوجبون لمحبة الله وذلك
لانهم حافظوا على حدود الشرع وتخطوا الى التخصيص بمكارمه وفصل آية هؤلاء بقوله
ونعم اجر العاملين لان المتدارك لتقصير كالعامل لتحصيل بعض ما فوت على نفسه
وكم بين المحسن والمتدارك والمحبوب والاجير ولعل تبديل لفظ الجزاء بالاجر لهذه النكتة
والمخصوص بالمدح محذوف تقديره ونعم اجر العاملين ذلك يعني المغفرة والجنات
قد خلت من قبلكم سنن وقايع سنها الله في الامم المكذبة كقوله وقتلوا تقتيلا
سنة الله في الذين خلوا من قبل وقيل امم قال ما عاين الناس من فضلكم فضلكم ولا
ارى مثله في سالف السنين فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين لتعتبروا
بما ترون من آثار هلاكهم هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين اشارة الى قوله
قد خلت او مفهوم قوله فانظروا اى انه مع كونه بيانا للمكذبين فهو زيادة بصيرة وموعظة
للمتقين او الى القرآن من امر المتقين والتائبين وقوله قد خلت اعتراض للبعث على الايمان
والتوبة وقيل الى القرآن ولا تهنوا ولا تحزنوا تسلية لهم عما اصابهم يوم
احد والمعنى لا تضعفوا عن الجهاد بما اصابكم ولا تحزنوا على من قتل منكم وانتم الاعلون
وحالكم انكم على منهم شانا فانكم على الحق وقتلاكم لله وقتلاكم في الجنة وانهم على الباطل
وقتالهم للشيطان وقتلاهم في النار او لانكم اصبتم منهم يوم بدر اكثر مما اصابوا
منكم اليوم او انتم الاعلون في العاقبة فيكون بشارة لهم بالنصر والغلبة ان كنتم
مؤمنين متعلق بالنهي اى لا تهنوا ان صح ايمانكم فانه يقتضي قوة القلب والوثوق على الله
او بالاعلون ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله قراءة حمزة والكسائي وابن
عياش عن عاصم بضم القاف والباقون بالفتح وهما لغتان كالضعف والضعف

وقيل هو بالفتح الجراح وبالضم ألمها والمعنى ان اصابوا منكم يوم احد فقد اصبتم منهم
يوم بدر مثله ثم انهم لم يضعفوا ولم يجبنوا فانتم اولى بان لا تضعفوا فانكم ترجون من الله
ما لا يرجون وقيل كلا المسيسين كان يوم احد فان المسلمين نالوا منهم قبل ان يخالفوا امر
الرسول وتلك الايام نداولها بين الناس نصرفها بينهم تديل لهؤلاء تارة ولهؤلاء اخرى
كقوله فيوما علينا ويوما لنا ويوما نساء ويوما نسر والمداولة كالمعاورة يقال داولت الشيء
بينهم فتداولوه والايام تحتمل الوصف والخبر وتداولها يحتمل الخبر والحال والمراد بها الاوقات
النصر والغلبة وليعلم الله الذين آمنوا عطف على علة محذوفة اى تداولها ليكون كيت
وكيت وليعلم الله ايمانا بان العلة فيه غير واحدة وان ما يصيب المؤمن فيه من المصالح
ما لا يعلمه او الفعل المعلل به محذوف تقديره وليتميز الثابتون على الايمان من الذين على حرف
فعلنا ذلك والقصد في امثاله ونقايضه ليس الى اثبات علمه تعالى ونفيه على طريقة
البرهان وقيل معناه ليعلمهم علما يتعلق به الجزاء وهو العلم بالشيء موجودا ويتخذ منكم
شهداء ويكرم ناسا منكم بالشهادة يريد شهداء احدا او يتخذ منكم شهودا معدلين بما ظهر
منهم من الثبات والصبر على الشدائد والله لا يحب الظالمين الذين يضمرون خلاف
ما يظهرون او الكافرين وهو اعتراض وفيه تنبيه على انه تعالى لا ينصر الكافرين على الحقيقة
وانما يغلبهم احيانا استدراجا لهم وابتلاء للمؤمنين وليمحص الله الذين آمنوا ليطهرهم
ويصفيهم من الذنوب ان كانت الدولة عليهم ويمحق الكافرين ويهلكهم ان كانت
عليهم والمحق نقص الشيء قليلا قليلا ام حسبتم ان تدخلوا الجنة بل احسبتم ومعناه
الانكار ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولما يجاهد بعضكم وفيه دليل على انه فرض على
الكفاية والفرق بين لما ولم ان فيه توقع الفعل فيما يستقبل وقرئ يعلم بفتح الميم على ان
اصله يعلمن فحذفت النون ويعلم الصابرين نصب باضمار ان على ان الواو للجمع وقرئ
بالرفع على ان الواو للحال كانه قال ولما تجاهدوا وانتم صابرون ولقد كنتم تمنون الموت
اى الحرب فانها من اسباب الموت والموت بالشهادة والخطاب للذين لم يشهدوا
بدرا او تمنوا ان يشهدوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مشهدا لينالوا ما نال الشهداء

بدر من الكرامة فالحوا يوم احد على الخروج من قبل ان تلقوه من قبل ان تشاهدوه
وتعرفوا شدته فقد رايتموه وانتم تنظرون اى فقد رايتموه معاينين له حين قتل دونكم
من قتل من اخوانكم وهو توبيخ لهم على انهم تمنوا الحرب وتسببوا لها ثم جبنوا و
انهزموا عنها او على تمنى الشهادة فان فى تمنيها تمنى غلبة الكفار وما محمد الا رسول قد
قد خلت من قبله الرسل فسيخلوا كما خلوا بالموت او القتل افان مات او قتل انقلبتم
على اعقابكم انكار لارتدادهم وانقلابهم على اعقابهم عن الدين لخلوه بموت او قتل
بعد علمهم بخلو الرسل قبله وبقاء دينهم متمسكا به وقيل الفاء للسببية والهمزة
لانكار ان يجعلوا خلو الرسل قبله سببا لانقلابهم على اعقابهم بعد وفاته روى انه لما
رمى عبد الله بن قمئة الحارثى رسول الله بحجر فكسر رباعيته وشج وجهه فذب عنه
مصعب بن عمير وكان صاحب الراية حتى قتله ابن قمئة وهو يرى انه قتل النبى صلعم
فقال قد قتلت محمدا وصرخ صارخ الا ان محمدا قد قتل فانكفا الناس وجعل الرسول
يدعوا الى عباد الله فانحاز اليه ثلثون من اصحابه وحموه حتى كشفوا عنه المشركين
وتفرق الباقون وقال بعضهم ليت ابن ابى ياخذ لنا امانا من ابى سفيان وقال ناس
من المنافقين لو كان نبيا لما قتل ارجعوا الى اخوانكم ودينكم فقال انس بن النضر عم
انس بن مالك يا قوم ان كان قتل محمد فان رب محمد حى لا يموت وما تصنعون بالحيوة
بعده فقاتلوا على ما قاتل عليه ثم قال اللهم انى اعتذر اليك مما يقولون وابرئ
منه وشد بسيفه فقاتل حتى قتل فنزلت ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله
شيئا بارتداده بل يضر نفسه وسيجزى الله الشاكرين على نعمة الاسلام بالثبات عليه
كانس واضرابه وما كان لنفس ان تموت الا باذن الله الا بمشيته تعالى او باذنه لملك
الموت فى قبض روحه والمعنى ان لكل نفس اجلا مسمى فى علمه تعالى وقضائه لا يستاخرون
ساعة ولا يستقدمون بالاحجام عن القتال والاقدام عليه وفيه تحريض وتشجيع
على القتال ووعد للرسول بالحفظ وتاخر الاجل كتابا مصدر موكد اذ المعنى كتب الموت
كتابا موجلا صفة له اى موقتا لا يتقدم ولا يتاخر ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها

تعريض

تعريض بمن شغلتهم الغنائم يوم احد فان المسلمين حملوا على المشركين وهزموهم وا
خذوا ينهبون فلما راى الرماة ذلك اقبلوا على النهب وخلوا مكانهم فانتهز المشركون
وحملوا عليهم من ورائهم فهزموهم ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها اى من ثوا
بها وسنجزى الشاكرين الذين شكروا نعمة الله فلم يشغلهم شئ من الجهاد وكاين اصله
اى دخلت الكاف عليها وصارت بمعنى كم والنون تنوين اثبت فى الخط على غير قياس وقرا
ابن كثير وكاين ككاعن ووجهه انه قلب قلب الكلمة الواحدة كقولهم رعملى فى لعمرى
فصار كيائن ثم حذفت الياء الثانية للتخفيف ثم ابدلت الياء الاخرى الفا كما ابدلت
من طائى من نبى بيان له قاتل معه ربيون كثير ربانيون علماء اتقياء او عابدون لربهم
وقيل جماعات والربى منسوب الى الربة وهى الجماعة للمبالغة وقرا ابن كثير ونافع وابو
عمرو ويعقوب قتل واسناده الى ربيون او ضمير النبى ومعه ربيون حال عنه ويؤيد الا
ول انه قرئ بالتشديد وقرئ ربيون بالفتح على الاصل وبالضم وهو من تغييرات النسب كالكسر
فما وهنوا لما اصابهم فى سبيل الله فما فتروا ولم ينكسر جدهم لما اصابهم من قتل
النبى او بعضهم وما ضعفوا عن العدو او فى الدين وما استكانوا وما خضعوا للعدو واصله
استكن من السكون لان الخاضع يسكن لصاحبه ليفعل به ما يريده والالف من اشباع
الفتحة او استكون من الكون لانه يطلب من نفسه ان يكون لمن يخضع له وهذا تعريض
بما اصابهم عند الارجاف بقتله عليه السلم والله يحب الصابرين فينصرهم ويعظم
قدرهم وما كان قولهم الا ان قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا فى امرنا وثبت اقدامنا
وانصرنا على القوم الكافرين اى وما كان قولهم مع ثباتهم وقوتهم فى الدين وكونهم
ربانيين الا هذا القول وهو اضافة الذنوب والاسراف الى انفسهم هضما لها واضافة
لما اصابهم الى سوء اعمالها والاستغفار عنها ثم طلب التثبيت فى مواطن الحرب والنصر
على العدو ليكون على خضوع وطهارة فيكون اقرب الى الاجابة وانما جعل قولهم خبرا لان
ان قالوا اعرف لدلالته على جهة النسبة وزمان الحدث فآتيهم الله ثواب الدنيا وحسن
ثواب الآخرة والله يحب المحسنين فآتاهم الله بسبب الاستغفار واللجاء الى الله النصر

والغنيمة والعز وحسن الذكر في الدنيا والجنة والنعيم في الآخرة وخص ثوابها با
لحسن اشعارا بفضله وانه المعتد به عنده يا ايها الذين آمنوا ان تطيعوا الذين
كفروا يردوكم على اعقابكم فتنقلبوا خاسرين نزلت في قول المنافقين للمؤمنين
عند الهزيمة ارجعوا الى دينكم واخوانكم ولو كان محمد نبيا لما قتل وقيل ان تستكينوا
لابي سفيان واشياعه وتستأمنوهم يردوكم الى دينهم وقيل عام في مطاوعة الكفرة
والنزول على حكمهم فانه يستجر الى موافقتهم بل الله موليكم ناصركم وقرئ بالنصب على تقدير
بل اطيعوا الله موليكم وهو خير الناصرين فاستغنوا به عن ولاية غيره ونصره سنلقي في قلوب
الذين كفروا الرعب يريد ما قذف في قلوبهم من الخوف يوم احد حتى تركوا القتال
ورجعوا وكانوا ببعض الطريق ندموا وعزموا ان يعودوا عليهم ليستاصلوهم فالقى الله الر
عب في قلوبهم وقرأ ابن عامر والكسائي ويعقوب بالضم على الاصل في كل القرآن بما اشركوا
بالله بسبب اشراكهم به ما لم ينزل به سلطانا اي آلهة ليس على اشراكها حجة ولم ينزل
عليهم به سلطانا وهو كقوله ولا ترى الضب بها ينجحر واصل السلطنة القوة ومنه السليط
لقوة اشتعاله والسلاطة لحدة اللسان ومأويهم النار وبئس مثوى الظالمين
اي مثواهم فوضع الظاهر موضع المضمر للتغليظ والتعليل ولقد صدقكم الله وعده
اي وعده اياهم بالنصر بشرط التقوى والصبر وكان كذلك حتى خالف الرماة فان المشركين
لما اقبلوا جعل الرماة يرشقونهم والباقون يضربونهم بالسيف حتى انهزموا والمسلمون
على آثارهم اذ تحسونهم باذنه تقتلونهم من حسه اذا ابطل حسه حتى اذا فشلتم
جبنتم وضعف رأيكم او ملتم الى الغنيمة فان الحرص من ضعف العقل وتنازعتم في
الامر يعني اختلاف الرماة حين انهزم المشركون فقال بعضهم فما موقفنا ههنا وقال
آخرون لا نخالف امر الرسول فثبت مكانه اميرهم في نفر دون العشرة ونفر الباقون
وهو المعني بقوله وعصيتم من بعد ما اريكم ما تحبون من الظفر والغنيمة وانهزام العدو
وجواب اذا محذوف وهو امتحنكم منكم من يريد الدنيا وهم التاركون المركز للغنيمة
ومنكم من يريد الآخرة وهم الثابتون محافظة على امر الرسول ثم صرفكم عنهم ثم كفكم

من غير سبب ونادى ابو سفيان يا محمد موعدنا موسم بدر لقابل ان شئت فقال عليه السلم ان شاء الله وقيل لما رجعوا

عنهم

عنهم حتى حالت الحال فغلبوكم والله ذو فضل على المؤمنين يتفضل عليهم بالعفو او في
الاحوال كلها سواء اديل لهم او عليهم اذ الابتلاء ايضا رحمة اذ تصعدون متعلق
بصرفكم او ليبتليكم او بمقدر كاذكر والاصعاد الذهاب والابعاد في الارض يقال اصعدنا
من مكة الى مدينة ولا تلوون على احد لا يقف احد لاحد ولا ينتظره والرسول يدعوكم
كان يقول الي عباد الله الي عباد الله انا رسول الله من يكر فله الجنة في اخريكم في ساقتكم
وجماعتكم الاخرى فاثابكم غما بغم لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما اصابكم عطف على صرفكم
والمعنى فجازاكم الله عن فشلكم وعصيانكم غما متصلا بغم من الاغتمام بالقتل والجرح وظفر
المشركين والارجاف بقتل الرسول او فجازاكم غما بسبب غم اذقتموه رسول الله صلعم
بعصيانكم له لتتمرنوا على الصبر في الشدائد فلا تحزنوا فيما بعد على نفع فائت وضر لا
حق وقيل لا مزيدة والمعنى لتأسفوا على ما فاتكم من الظفر والغنيمة وعلى ما اصابكم من
الجرح والهزيمة عقوبة لكم وقيل الضمير في فاثابكم للرسول اي فآساكم في الاغتنام فا
غتم بما نزل عليكم كما اغتممتم بما نزل عليه ولم يتربكم على عصيانكم تسلية لكم ليلا تحزنوا
على ما فاتكم من النصر ولا على ما اصابكم من الهزيمة والله خبير بما تعملون عالم باعمالكم
وبما قصدتم بها ثم انزل عليكم من بعد الغم امنة نعاسا انزل الله عليكم الامن حتى اخذتكم
النعاس وعن ابي طلحة غشينا النعاس في المصاف حتى كان السيف يسقط من ايدينا فنأ
خذه ثم يسقط فنأخذه والامنة الامن نصب على المفعول ونعاسا بدل منها او هو المفعول
وامنة حال منه متقدمة او مفعول له او حال من المخاطبين بمعنى ذوي امنة او على انه جمع
آمن كبار وبررة وقرئ امنة بسكون الميم كانها المرة من الامن يغشى طائفة منكم اي النعا
س وقرأ حمزة والكسائي بالتاء ردا على الامنة والطائفة المؤمنون حقا وطائفة هم
المنافقون قد اهمتهم انفسهم اوقعتهم انفسهم في الهموم او ما بهم الا هم
انفسهم وطلب خلاصها يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية صفة اخرى لطائفة
او حال او استيناف على وجه البيان لما قبله وغير الحق نصب على المصدر اي يظنون بالله
غير الظن الحق الذي يحق ان يظن به وظن الجاهلية بدله وهو الظن المختص بالملة الجاهلية

واهلها يقولون اى لرسول الله وهو بدل من يظنون هل لنا من الامر من شئ هل لنا
مما امرنا الله ووعد من النصر والظفر نصيب قط وقيل اخبر ابن ابى بقتل بنى الخزرج فقال
ذلك والمعنى انا منعنا تدبير انفسنا وتصريفها باختيارنا فلم يبق لنا من الامر شئ او هل
يزول عنا هذا القهر فيكون لنا من الامر شئ قل ان الامر كله لله اى ما الغلبة الحقيقية
لله واوليائه فان حزب الله هم الغالبون والقضاء له يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد وهو
اعتراض وقرأ ابو عمرو ويعقوب كله بالرفع على الابتداء يخفون فى انفسهم ما لا
يبدون لك حال من ضمير يقولون اى يقولون مظهرين انهم مسترشدون طالبون النصر
مبطنين الانكار والتكذيب يقولون اى فى انفسهم واذا خلا بعضهم الى بعض وهو بدل
من يخفون واستيناف على وجه البيان له لو كان لنا من الامر شئ كما وعد محمد وعلة
ويزعم ان الامر كله لله ولاوليائه او لو كان لنا اختيار وتدبير ولم نخرج كما كان رأى ابن
ابى وغيره ما هنا لما غلبنا ولما قتل من قتل منا فى هذه المعركة قل لو كنتم فى بيوتكم
لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم اى لخرج الذين قدر الله عليهم القتل
وكتب فى اللوح المحفوظ الى مصارعهم ولم ينفع الاقامة بالمدينة ولم ينج منه احد فانه
قدر الامور ودبرها فى سابق قضائه لا معقب لحكمه وليبتلى الله ما فى صدوركم ليمتحن
ما فى صدوركم ويظهر سرائرها من الاخلاص والنفاق وهو علة فعل محذوف اى وفعل
ذلك ليبتلى او عطف على محذوف اى ليبرز لنفاذ القضاء او لمصالح جمة والابتلاء او على
قوله لكيلا تحزنوا وليمحص ما فى قلوبكم فليكشفه ويميزه او يخلصه من الوساوس
والله عليم بذات الصدور بخفياتها قبل اظهارها وفيه وعد ووعيد وتنبيه
على انه غنى عن الابتلاء وانما فعل ذلك لتمرين المؤمنين واظهار حال المنافقين ان الذين
تولوا منكم يوم التقى الجمعان انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا يعنى ان الذين
انهزموا يوم احد انما كان السبب فى انهزامهم ان الشيطان طلب منهم الزلل فاطاعوه واقترفوا ذنوبا تركوا المركز والحرص على الغنيمة او الحيوة فمنعوا التأييد
وقوة القلب وقيل استزلهم الشيطان توليهم وذلك بسبب ذنوب تقدمت لهم

فان

فانت المعاصى تجر بعضها بعضا كالطاعة وقيل استزلهم بذكر ذنوب سلفت منهم وكره
هو القتل قبل اخلاص التوبة والخروج من المظلمة ولقد عفا الله عنهم لتوبتهم
واعتذارهم ان الله غفور للذنوب حليم لا يعاجل بعقوبة المذنب كى يتوب يا ايها
الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا يعنى المنافقين وقالوا لاخوانهم لاجلهم
وفيهم ومعنى اخوتهم اتفاقهم فى النسب او المذهب اذا ضربوا فى الارض اذا سافروا
فرافيها وابعد والتجارة او غيرها وكان حقه اذ لقوله قالوا لكنه جاء على حكاية
الحال الماضية او كانوا غزى جمع غاز كعاف وعفى لو كانوا عندنا ما ماتوا
وما قتلوا مفعول قالوا وهو يدل على ان اخوانهم لم يكونوا مخاطبين به ليجعل الله
ذلك حسرة فى قلوبهم متعلق بقالوا على ان اللام لام العاقبة مثلها فى ليكون
لهم عدوا وحزنا او لا تكونوا اى لا تكونوا مثلهم فى النطق بذلك القول والاعتقاد
ليجعله حسرة فى قلوبهم خاصة فذلك اشارة الى ما دل عليه قولهم من الاعتقاد
وقيل الى ما دل عليه النهى اى لا تكونوا مثلهم ليجعل الله انتفاء كونكم مثلهم حسرة
فى قلوبهم فان مخالفتهم ومضادتهم مما يغمهم والله يحيى ويميت رد لقولهم
اى هو المؤثر فى الحيوة والممات لا الاقامة والسفر فانه تعالى قد يحيى المسافر والغازى
ويميت المقيم والقاعد والله بما تعملون بصير تهديد للمؤمنين على ان يماثلوهم وقرأ
ابن كثير وحمزة والكسائى بالياء على انه وعيد للذين كفروا ولئن قتلتم فى سبيل الله
او متم اى متم فى سبيله وقرأ نافع وحمزة والكسائى بكسر الميم من مات يمات لمغفرة
من الله ورحمة خير مما يجمعون جواب القسم وهو ساد مسد الجزاء والمعنى ان السفر
والغزاء ليس مما يجلب الموت ويقدم الاجل وان وقع ذلك فى سبيل الله فما تالون من
المغفرة والرحمة بالموت خير مما يجمعون من الدنيا ومنافعها ولو لم تموتوا وقرأ حفص
بالياء ولئن متم او قتلتم على اى وجه اتفق هلاكم لا الى الله تحشرون لا الى معبود كم الذى
توجهتم اليه وبذلتم مهجكم لوجهه لا الى عين لا محالة تحشرون فيوفى جزاءكم ويعظم ثوابكم
وقرأ نافع وحمزة والكسائى متم بالكسر فبما رحمة من الله لنت لهم اى فبرحمة

وما مزيدة للتاكيد والدلالة على ان لينه لهم ما كان الا برحمة من الله وهو ربطه على
جاشه وتوفيقه للرفق بهم حتى اغتم لهم بعد ان خالفوه ولو كنت فظا سيئ الخلق جافيا
غليظ القلب قاسيه لانفضوا من حولك لتفرقوا عنك ولم يثبتوا اليك فاعف عنهم
فيما يختص بك واستغفر لهم فيما لله وشاورهم في الامر اى في امر الحرب اذ الكلام فيه او فيما
يعم ان يشاورفيه استظهارا برايهم وتطييبا لنفوسهم وتمهيدا للسنة المشاورة للامة
فاذا عزمت فاذا وطنت نفسك على شئ بعد الشورى فتوكل على الله في مضاء امرك على ما هو
اصلح لك فانه لا يعلم سواه وقرئ فاذا عزمت على التكلم اى فاذا عزمت لك على شئ وعينته
لك فتوكل ولا تشاور فيه احدا ان الله يحب المتوكلين فينصرهم ويهديهم الى الصلاح ان
ينصركم الله كما نصركم يوم بدر فلا غالب لكم فلا احد يغلبكم وان يخذلكم كما خذلكم يوم
احد فمن ذا الذي ينصركم من بعده من بعد خذلانه او من بعد الله بمعنى اذا جاوزتموه فلا ناصر لكم وضد
تنبيه على المقتضى للتوكل وتحريض على ما يستحق خذلانه وعلى الله فليتوكل المؤمنون فليخصوه
بالتوكل عليه لما علموا ان لا ناصر سواه وآمنوا به وما كان لنبي ان يغل وما صح لنبي ان يخون في الغنا
يم فان النبوة تنافي الخيانة يقال غل شئا من المغنم يغل غلولا واغل اغلالا اذا اخذه في خفية
والمراد منه اما براءة الرسول عما اتهم به اذ روى ان قطيفة حمراء فقدت يوم بدر
فقال بعض المنافقين لعل رسول الله اخذها وظن به الرماة يوم احد حين تركوا
المركز للغنيمة وقالوا نخشى ان يقول رسول الله من اخذ شيئا فهو له ولا يقسم الغنائم
واما المبالغة في النهي للرسول على ما روى انه بعث طلايع فغنم رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقسم معه ولم يقسم للطلايع فنزلت فيكون تسمية حرمان بعض المستحقين غلولا
تغليظا ومبالغة ثانية وقراء نافع وابن عامر وحمزة والكسائي ويعقوب ان يغل
على البناء للمفعول والمعنى وما صح له ان يوجد غالا او ان ينسب الى الغلول ومن يغلل يات
بما غل يوم القيامة يات بالذي غله يحمله على عنقه كما جاء في الحديث او بما احتمل من وباله
واثمه ثم توفى كل نفس ما كسبت يعطى جزاء ما كسبت وافيا وكان اللائق بما قبله ان يقال
ثم يوفى ما كسب لكنه عمم الحكم ليكون كالبرهان على المقصود والمبالغة فيه فانه اذا كان

كل كاسب مجزيا بعمله فالغال مع عظم جرمه بذلك اولى وهم لا يظلمون فلا ينقص ثواب
مطيعهم ولا يزداد في عقاب عاصيهم افمن اتبع رضوان الله بالطاعة كمن باء رجع
بسخط من الله بسبب المعاصي وماواه جهنم وبئس المصير الفرق بينه وبين المرجع ان
المصير يجب ان يخالف الحالة الاولى ولا كذلك المرجع هم درجات عند الله يثيبهم بالدرجات
لما بينهم من التفاوت في الثواب والعقاب او هم ذوو درجات والله بصير بما يعملون
عالم باعمالهم ودرجاتها صادرة عنهم فيجازيهم على حسبها لقد من الله على المؤمنين انعم على
من آمن مع الرسول من قومه وتخصيصهم مع ان نعمة البعثة عامة لزيادة انتفاعهم
بها وقرئ لمن من الله على انه خبر مبتدا محذوف مثل منه او بعثه اذ بعث فيهم رسولا
من انفسهم من نسبهم او من جنسهم عربيا مثلهم ليفهموا كلامه بسهولة ويكونوا واقفين
على حاله في الصدق والامانة مفتخرين به وقرئ من انفسهم اى من اشرفهم لانه عليه السلام
كان من اشرف قبائل العرب وبطونهم يتلوا عليهم آياته اى القرآن بعد ما كانوا جهالا لم يسمعوا
الوحي ويزكيهم ويطهرهم من دنس الطباع وسوء العقايد والاعمال ويعلمهم الكتاب
والحكمة القرآن والسنة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين ان مخففة واللام هي الفارقة
والمعنى ان الشان كانوا من قبل بعثة الرسول في ضلال ظاهر اولما اصابتكم مصيبة
قد اصبتم مثليها قلتم انى هذا الهمزة للتقرير والتقريع والواو عاطفة الجملة على ما سبق من قصة
احد وعامل المحذوف مثل فعلتم كذا وقلتم والظرف المضاف الى اصابتكم اى حين اصابتكم مصيبة وهي
قتل سبعين منكم يوم احد والحال انكم قد اصبتم ضعفيها يوم بدر من قتل سبعين واسر سبعين من
اين هذا اصابنا وقد وعدنا الله النصر قل هو من عند انفسكم اى مما اقترفته انفسكم من مخالفة
الامر بترك المركز فان الوعد كان مشروطا بالثبات والمطاوعة او اختيارا لخروج من المدينة
وعن علي رضي الله عنه باختياركم الفداء يوم بدر ان الله على كل شئ قدير فيقدر على النصر
ومنعه وعلى ان يصيب بكم ويصيب منكم وما اصابكم يوم التقى الجمعان وليعلم المؤ
منين وليعلم الذين نافقوا وليتميز المؤمنون والمنافقون فيظهر ايمان هؤلاء وكفر هؤلاء
وقيل لهم عطف على نافقوا داخل في الصلة او كلام مبتدا تعالوا قاتلوا في سبيل الله

او ادفعوا تقسيم للامر عليهم وتخيير من اى يقاتلوا للآخرة او للدفع عن الانفس والاموال وقيل معناه قاتلوا الكفرة او ادفعوهم بتكثيركم سواد المجاهدين فان كثرة السواد ممايرعب ويكسر منه قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم لو نعلم ما يصح ان يسمى قتالا لاتبعناكم فيه لكن ما انتم عليه ليس بقتال بل القاء بالانفس الى التهلكة او لو نحسن قتالا لاتبعناكم وانما قالوا ذلك اغلاظا واستهزاء هم للكفر يومئذ اقرب منهم للايمان لانحوالهم وكلامهم هذا فانها اول امارات ظهرت منهم مؤذنة بكفرهم وقيل هم لاهل الكفر اقرب نصرة منهم لاهل الايمان اذ كان انحوالهم ومقالهم تقوية للمشركين وتخذيلا للمؤمنين يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم يظهرون خلاف ما يضمرون لا يواطئ قلوبهم السنتهم بالايمان واضافة القول الى الافواه تاكيد وتصوير والله اعلم بما يكتمون من النفاق ومايخلو به بعضهم الى بعض فانه مفض لا بعلم واجب وانتم تعلمونه تجلا بامارات الذين قالوا رفع بدلا من واو يكتمون او نصب على الذم او الوصف للذين نافقوا وجر بدلا من الضمير في بافواههم او قلوبهم كقوله على جوده لضن بالماء حاتم لاخوانهم اى لاجلهم يريد من قتل يوم احد من قاتلهم او من مجلسهم وقعدوا مقدر بقد اى قالوا قاعدين عن القتال لو اطاعونا في القعود ما قتلوا كما لم نقتل وقرا هشام ما قتلوا بتشديد التاء قل فادرؤا عن انفسكم الموت ان كنتم صادقين اى ان كنتم صادقين انكم تقدرون دفع القتل عمن كتب عليه فادفعوا عن انفسكم الموت واسبابه فانه احرى بكم والمعنى ان القعود غير مغن فان اسباب الموت كثيرة وكما ان القتال يكون سببا للهلاك والقعود سببا للنجاة قد يكون الامر بالعكس ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا نزلت في شهداء احد وقيل في شهداء بدر والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل احد وقرئ بالياء على اسناده الى ضمير الرسول او من يحسب او الى الذين قتلوا والمفعول الاول محذوف لانه في الاصل مبتدأ جائز الحذف عند القرينة وقرأ ابن عامر قتلوا بالتشديد لكثرة المقتولين بل احياء بل هم احياء وقرئ بالنصب على بل احسبهم احياء عند ربهم ذو زلفى منه يرزقون من الجنة وهو تاكيد لكونهم احياء فرحين بما آتاهم الله

من فضله وهو شرف الشهادة والفوز بالحيوة الابدية والقرب من الله والتمتع بنعيم الجنة ويستبشرون يسرون بالبشارة بالذين لم يلحقوا بهم اى باخوانهم المؤمنين الذين لم يقتلوا فيلحقوا بهم من خلفهم اى الذين من خلفهم زمانا او رتبة الا خوف عليهم ولا هم يحزنون بدل من الذين والمعنى انهم يستبشرون بما تبين لهم من امر الآخرة وحال من تركوا خلفهم من المؤمنين وهو انهم اذا ماتوا وقتلوا كانوا احياء حيوة لا يكتنهها خوف وقوع محذور وحزن فوات محبوب والآية تدل على ان الانسان غير الهيكل المحسوس بل هو جوهر مدرك بذاته لا يفنى بخراب البدن ولا يتوقف عليه ادراكه وتاثمه والتذاذه ويؤيد ذلك قوله في آل فرعون النار يعرضون عليها الآية وما روى ابن عباس انه عليه السلام قال ارواح الشهداء في اجواف طير خضر ترد انهار الجنة وتاكل من ثمارها وتاوى الى قناديل معلقة في ظل العرش ومن انكر ذلك ولم ير الا الجيف والرمم فلعدم تفرغه من الالتفات الى ما وراء المحسوسات ودنوه اواحياء بالذكر وبالايمان وفيها حث على الجهاد وترغيب في الشهادة وبعث على ازدياد الطاعة واحماد لمن يبقى لاخوانه مثل ما انعم عليه وبشرى للمؤمنين بالفلاح يستبشرون كرر للتوكيد وليعلق به ما هو بيان لقوله الا خوف ويجوز ان يكون الاول حالا لاخوانهم وهذا حالا لانفسهم بنعمة من الله ثوابا لاعمالهم وفضل زيادة عليه كقوله للذين احسنوا الحسنى وزيادة وتكريرهما للتعظيم وان الله لا يضيع اجر المؤمنين من جملة المستبشر به عطف على فضل وقرا الكسائي بالكسر على انه استيناف معترض دال على ان ذلك اجرهم على ايمانهم مشعر بان من لا ايمان له محبطة واجوره مضيعة الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما اصابهم القرح صفة للمؤمنين او نصب على المدح او مبتدا خبره للذين احسنوا منهم واتقوا اجر عظيم بجملته ومن للبيان والمقصود من ذكر الوصفين المدح والتعليل لا التقييد لان المستجيبين كلهم محسنون متقون روى ان ابا سفيان واصحابه فلما انصرفوا من احد بلغوا الروحاء ندموا وهموا بالرجوع فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فندب اصحابه للخروج في طلبه وقال لا يخرجن معنا الا من حضر يومنا بالامس فخرج رسول الله صلع

مع جماعة حتى بلغوا حمراء الاسد وهى على ثمانية اميال من المدينة وكان اصحابه القرح
فتحاملوا على انفسهم حتى لا يفوتهم الاجر والقى الله الرعب فى قلوب المشركين فذهبوا
فنزلت الذين قال لهم الناس يعنى الركب الذين استقبلهم من عبد قيس او نعيم او
نعيم ابن مسعود الاشجعى واطلق عليه الناس لانه من جنسه كما يقال فلان يركب الخيل
ويمالك الا فرس واحدا ولانه انضم اليه ناس بالمدينة واذاعوا كلامه ان الناس قد جمعوا
لكم فاخشوهم يعنى ابا سفيان واصحابه روى انه نادى عند انصرافه من احد
يا محمد موعدنا موسم بدر لقابل ان شئت فقال عليه السلام ان شاء الله فلما كان القابل
خرج فى اهل مكة حتى نزل مر الظهران فانزل الله الرعب فى قلبه وبدا له ان يرجع فمر به ركب
من عبد قيس يريدون المدينة للميرة فشرط لهم حمل بعير من زبيب ان ثبطوا المسلمين وقل
لقى نعيم بن مسعود وقد قدم معتمرا فسأله ذلك والتزم له عشرا من الابل فخرج نعيم فوجد
المسلمين يتجهزون فقال لهم اتوكم فى دياركم فلم يفلت منكم احد الا شريدا فريدا فقالوا ان نخر
جوا وقد جمعوا لكم ففتروا فقال عليه السلام والذى نفسى بيده لاخرجن ولو لم يخرج معى احد
فخرج فى سبعين راكبا هم يقولون حسبنا الله فزادهم ايمانا الضمير المستكن للمقول
او للمصدر قال ولفاعله ان اريد به نعيم وحده والبارز للمقول لهم والمعنى انهم لم يلتفتوا
اليه ولم يضعفوا بل ثبت به يقينهم بالله وازدادا يمانهم فاظهروا حمية الاسلام وا
خلصوا النية عنده وهو دليل على ان الايمان يزيد وينقص ويعضده قول ابن عمر قلنا يا رسول
الله الايمان يزيد وينقص قال نعم يزيد حتى يدخل صاحبه الجنة وينقص حتى يدخل صاحبه
النار وهذا ظاهر ان جعل الطاعة من جملة الايمان وكذا ان لم تجعل فان اليقين يزداد بالا
لف وكثرة التامل وتناصر الحجج وقالوا حسبنا الله محسبنا وكافينا من احسبه اذا كفاه
ويدل على انه بمعنى المحسب انه لا يستفيد بالاضافة تعريفا فى قولك هذا رجل حسبك
ونعم الوكيل ونعم المكول اليه هو فانقلبوا فرجعوا من بدر بنعمة من الله عافية
وثبات على الايمان وزيادة فيه وفضل ربح فى التجارة فانهم لما اتوا بدرا وافوا بها سوقا
فاتجروا وربحوا لم يمسسهم سوء من جراحة وكيد عدو واتبعوا رضوان الله الذى هو

مناط

مناط الفوز بخير الدارين بجزائهم وخروجهم والله ذو فضل عظيم قد تفضل عليهم با
لتثبيت وزيادة الايمان والتوفيق للمبادرة الى الجهاد والتصلب فى الدين واظهار الجراة
على العدو والحفظ عن كل ما يسوءهم واصابة النفع مع ضمان الاجر حتى انقلبوا بنعمة
من الله وفضل وفيه تحسير للمتخلف وتخطئة رايه حيث حرم نفسه ما فازوا به
انما ذلكم الشيطان يريد به المثبط نعيما او ابا سفين والشيطان خبر ذلكم وما بعده
بيان لشيطنته او صفته وما بعده خبره ويجوز ان يكون الاشارة الى قوله على تقدير مضاف
اى انما ذلكم قول الشيطان يعنى ابليس يخوف اولياءه القاعدين عن الخروج مع الرسول
صلى الله عليه وسلم او يخوفكم اولياءه الذين هم ابو سفيان واصحابه فلا تخافوهم
الضمير للناس الثانى على الاول والى الاولياء على الثانى وخافون فى مخالفة امرى فجاهدوا
مع رسولى ان كنتم مؤمنين فان الايمان يقتضى ايثار خوف الله على خوف الناس ولا يحزنك
الذين يسارعون فى الكفر يقعون فيه سريعا حرصا عليه وهم المنافقون من المتخلفين
او قوم ارتدوا عن الاسلام والمعنى لا يحزنك خوف ان يضروك ويعينوا عليك لقوله انهم
لن يضروا الله شيئا اى لن يضروا اولياء الله بمسارعتهم فى الكفر وانما يضرون بها انفسهم
وشيئا يحتمل المفعول والمصدر يريد الله الا يجعل لهم حظا فى الآخرة نصيبا من الثواب
فى الآخرة وهو يدل على تمادى طغيانهم وموتهم على الكفر وفى ذكر الارادة اشعار بان
كفرهم بلغ الغاية حتى اراد ارحم الراحمين ان لا يكون لهم حظ من رحمته وان
مسارعتهم الى الكفر لانه تعالى لم يرد لهم حظا فى الآخرة ولهم عذاب عظيم مع الحرمان
عن الثواب ان الذين اشتروا الكفر بالايمان لن يضروا الله شيئا ولهم عذاب
اليم تكرير للتاكيد وتعميم للكفرة بعد تخصيص من نافق من المتخلفين او ارتد من الاعراب
ولا يحسبن الذين كفروا انما نملى لهم خير لانفسهم خطاب للرسول صلى الله عليه
وسلم او لكل من يحسب والذين مفعول وانما نملى لهم بدل منه وانما اقتصر على مفعول واحد
لان التعويل على البدل وينوب عن المفعولين كقوله ام تحسب ان اكثرهم يسمعون او المفعول
او المفعول الثانى على تقدير مضاف مثل ولا يحسبن الذين كفروا اصحاب ان الاملاء خير لانفسهم

او ولا تحسبن حال الذين كفروا ان الاملاء خير لانفسهم وما مصدرية وكان حقها
ان تفصل في الخط ولكنها وقعت متصلة في الامام فاتبع وقرا ابن كثير وابو عمرو وعاصم والكسائي
ويعقوب بالياء على ان الذين فاعل وان مع ما في حيزه مفعول وفتح سينه في جميع القران ابن
عامر وحمزة وعاصم والاملاء الامهال واطالة للعمر وقيل تخليتهم وشانهم من املى
لفرسه اذا ارخى له الطول ليرعى كيف يشاء انما نملي لهم ليزدادوا اثما استيناف بما هو العلة
للحكم قبلها وما كافة واللام لام الارادة وعند المعتزلة لام العاقبة وقرئ انما بالفتح بكسر
الاولى ولا يحسبن بالياء على معنى ولا يحسبن الذين كفروا ان املاءنا لهم لازدياد الاثم بل للتوبة
والدخول في الايمان وانما نملي لهم خير اعتراض معناه ان املاءنا لهم خير ان انتبهوا وتداركوا
فيه ما فرط منهم ولهم عذاب مهين على هذا يجوز ان يكون حالا من الواو اي ليزدادوا
اثما معدا لهم عذاب مهين ما كان الله ليذر المؤمنين على ما انتم عليه حتى يميز الخبيث
من الطيب الخطاب لعامة المخلصين والمنافقين في عصره والمعنى لا يترككم مختلطين لا
يعرف مخلصكم من منافقكم حتى يميز المنافق من المخلص بالوحي الى نبيه باحوالكم او بالتكاليف
الشاقة التي لا يصبر عليها ولا يذعن لها الا الخلص المخلصون منكم كبذل الاموال والا
نفس في سبيل الله ليختبر به بواطنكم ويستدل به على عقايدكم وما كان الله
ليطلعكم على الغيب ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء وما كان الله ليؤتي احد
كم علم الغيب فيطلع على ما في القلوب من كفر او ايمان ولكنه يجتبي لرسالته من يشاء
فيوحي اليه ويخبره ببعض المغيبات او ينصب له ما يدل عليها فآمنوا بالله ورسله
بصفة الاخلاص او بان تعلموه وحده مطلعا على الغيب وتعلموهم عبادا مجتبين
لا يعلمون الا ما علمهم الله ولا يقولون الا ما اوحي اليهم روي ان الكفرة قالوا ان كان
محمد صادقا فليخبرنا من يؤمن منا ومن يكفر فنزلت وعن السدي انه عليه السلام
قال عرضت علي امتي واعلمت من يؤمن بي ومن يكفر فقال المنافقون انه يزعم انه
يعرف من يؤمن به ومن يكفر ونحن معه ولا يعرفنا فنزلت وان تؤمنوا حق الايمان
وتتقوا النفاق فلكم اجر عظيم لا يقادر قدره ولا يحسبن الذين يبخلون بما اتاهم الله

من فضله هو

من فضله هو خيرا لهم القراءات فيه ما سبق ومن قرا بالتاء قدر مضافا ليتطابق مفعولاه
اي ولا تحسبن بخل الذين يبخلون هو خيرا لهم وكذا من قرا بالياء ان جعل الفاعل ضمير الرسول صلعم
او من يحسب وان جعله الموصول كان المفعول الاول محذوفا لدلالة يبخلون عليه اي ولا
يحسبن البخلاء بخلهم هو خيرا لهم بل هو اي البخل شر لهم لاستجلاب العقاب عليهم
سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة بيان لذلك والمعنى سيلزمون وبال ما بخلوا به الزام
الطوق وعنه عليه السلام ما من رجل لا يؤدي زكوة ماله الا جعل الله له شجاعا في عنقه
يوم القيامة ولله ميراث السموات والارض وله فيهما مما يتوارث فما لهؤلاء يبخلون عليه
بماله او انه يرث منهم ما يمسكون ولا ينفقون في سبيله بهلاكهم ويبقى عليهم الحسرة
والعقوبة والله بما يعملون من المنع والاعطاء خبير فيجازيكم وقرا نافع وابن عامر وعاصم
وحمزة والكسائي بالتاء على الالتفات وهو ابلغ في الوعيد لقد سمع الله قول الذين
قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء قاله اليهود لما سمعوا من ذا الذي يقرض الله وروي انه
عليه السلام كتب مع ابي بكر الى يهود بني قينقاع يدعوهم الى الاسلام واقام الصلوة وايتاء
الزكوة وان تقرض الله قرضا حسنا فقال فنحاص بن عازورا ان الله فقير حين سال القرض
فلطمه ابو بكر وقال لولا ما بيننا من العهد لضربت عنقك فشكاه الى رسول الله وجحد
ما قاله فنزلت والمعنى انه لم يخف عليه وانه اعد لهم العقاب عليه سنكتب ما
قالوا وقتلهم الانبياء بغير حق اي سنكتبه في صحايف الكتبة او سنحفظه في علمنا
لا نهمله لانه كلمة عظيمة اذ هو كفر بالله واستهزاء بالقرآن والرسول عليه السلام ولذلك
نظمه مع قتل الانبياء وفيه تنبيه على انه ليس اول جريمة ارتكبوه وان من اجترا
على قتل الانبياء لم يستبعد منه امثال هذا القول ونقول لهم ذوقوا عذاب
الحريق اي وننتقم منهم بان نقول لهم ذوقوا العذاب المحرق وفيه مبالغات في الوعيد
والذوق ادراك الطعوم وعلى الاتساع يستعمل لادراك المحسوسات والحالات وذكره
ههنا لان العذاب مرتب على قولهم الناشي عن البخل والتهالك على المال وغالب حاجات
الانسان اليه لتحصيل المطاعم ومعظم بخله للخوف من فقدانه ولذلك كثر ذكر الاكل

مع المال ذلك اشارة الى العذاب بما قدمت ايديكم من قتل الانبياء وقولهم هذا وسائر معاصيهم عبر بالايدى عن الانفس لان اكثر اعمالها بهن وان الله ليس بظلام للعبيد عطف على ما قدمت وسببيته للعذاب من حيث ان نفى الظلم يستلزم العلة المقتضى لاثابة المحسن ومعاقبة المسئ الذين قالوا هم كعب بن الاشرف ومالك وحيى وفنحاص ووهب بن يهوذا ان الله عهد الينا امرنا فى التورية واوصانا الا نؤمن لرسول حتى ياتينا بقربان تاكله النار بان لا نؤمن لرسول حتى ياتينا بهذه المعجزة الخاصة التى كانت لانبياء بنى اسرائيل وهو ان يقرب قربان فيقوم النبى صلى الله عليه وسلم فيدعو فتنزل نار سماوية فتاكله اى تحيله الى طبعها بالاحراق وهذا من مفترياتهم واباطيلهم لان اكل النار القربان لم يوجب الايمان الا لكونه معجزة فهو وسائر المعجزات سواء ثم فرع فى ذلك قل قد جاءكم رسل من قبلى بالبينات وبالذى قلتم فلم قتلموهم ان كنتم صادقين تكذيب والزام بان رسلا جاؤهم قبله كزكريا ويحيى بمعجزات اخر موجبة للتصديق وبما اقترحوه فقتلوهم فلو كان الموجب للتصديق هو الاتيان به وكان توقفهم وامتناعهم عن الايمان لاجله فمالهم لم يؤمنوا بمن جاء به فى معجزات اخر واجتراؤا على قتله فان كذبوك فقد كذب رسل من قبلك جاؤا بالبينات والزبر والكتاب المنير تسلية للرسول من تكذيب قومه واليهود والزبر جمع زبور وهو الكتاب المقصور على الحكم من زبرت الشئ اذا حسنته والكتاب فى عرف القرآن ما يتضمن الشرايع والاحكام ولذلك جاء الكتاب والحكمة متعاطفين فى عامة القرآن وقيل الزبر المواعظ والزواجر من زبرته اذا زجرته وقراء ابن عامر وبالزبر وهشام وبالكتاب باعادة الجار للدلالة على انها مغايرة للبينات بالذات كل نفس ذائقة الموت وعد ووعيد للمصدق والمكذب وقرئ ذائقة الموت بالنصب مع التنوين وحذفه كقوله ولا ذاكر الله الا قليلا وانما توفون اجوركم تعطون جزاء اعمالكم خيرا كان او شرا تاما وافيا يوم القيامة يوم قيامكم من القبور ولفظ التوفية يشعر بانه قد يكون قبلها بعض الاجور ويؤيده قوله عليه السلم القبر روضة من رياض الجنة او حفرة من حفر

النيران فمن زحزح عن النار بعد عنها والزحزحة فى الاصل تكرير الزح وهو الجذب بعجلة وادخل الجنة فقد فاز بالنجاة ونيل المراد والفوز الظفر بالبغية وعن النبى صلعم من احب ان يزحزح عن النار ويدخل الجنة فليدركه منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر ويأتى الى الناس ما يحب ان يؤتى اليه وما الحيوة الدنيا اى لذاتها وزخارفها الا متاع الغرور شبهها بالمتاع الذى يدلس به على المستام ويغر حتى يشتريه وهذا لمن آثرها على الآخرة فاما من طلب بها الآخرة فهى له متاع بلاغ والغرور مصدرا وجمع غار لتبلون اى والله لتختبرن فى اموالكم بتكليف الانفاق وما يصيبه من الآفات وانفسكم بالجهاد والقتل والاسر والجراح وما يرد عليها من المخاوف والامراض والمتاعب ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين اشركوا اذى كثيرا من هجاء الرسول والطعن فى الدين واغراء الكفرة على المسلمين اخبرهم بذلك قبل وقوعها ليوطنوا انفسهم على الصبر والاحتمال ويستعدوا للقائها حتى لا يرهقهم نزولها وان تصبروا على ذلك وتتقوا مخالفة امر الله فان ذلك يعنى الصبر والتقوى من عزم الامور لمن عزم ما الامور التى يجب العزم عليها او لمما عزم الله عليه اى امر به وبالغ فيه والعزم فى الاصل اثبات الراى على الشئ نحو امضائه واذ اخذ الله اى اذكر وقت اخذه ميثاق الذين اوتوا الكتاب يريد العلماء به لتبيننه للناس ولا تكتمونه حكاية لمخاطبتهم وقراءة ابن كثير وابى عمرو وعاصم فى رواية ابن عياش بالياء لانهم غيب وباللام جواب القسم الذى ناب عنه قوله اخذ الله ميثاق الذين والضمير للكتاب فنبذوه اى الميثاق وراء ظهورهم فلم يراعوه ولم يلتفتوا اليه والنبذ وراء الظهر مثل فى ترك الاعتداد وعدم الالتفات ونقيضه جعله نصب عينيه والقاؤه بين عينيه واشتروا به واخذوا بدله ثمنا قليلا من حطام الدنيا واغراضها فبئس ما يشترون يختارون لانفسهم وعن النبى صلى الله عليه وسلم من كتم علما عن اهله الجم بلجام من نار وعن على رضى الله عنه ما اخذ الله على اهل الجهل ان يتعلموا حتى اخذ على اهل العلم ان يعلموا لا تحسبن الذين يفرحون بما اتوا ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب

الخطاب للرسول ومن ضم الباء جعل الخطاب له وللمؤمنين والمفعول الاول الذين
يفرحون والثاني بمفازة وقوله فلا تحسبنهم تاكيد والمعنى لا تحسبن الذين يفرحون بما
فعلوا من التدليس وكتمان الحق ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا من الوفاء بالميثاق
واظهار الحق والاخبار بالصدق بمفازة بمنجاة من العذاب اى فائزين بالنجاة منه
وقراء ابن كثير وابو عمرو بالياء وفتح الباء في الاول وضمها في الثاني على ان الذين فاعل ومفعو
لا يحسبن محذوفان يدل عليهما مفعولا مؤكده وكانه قيل لا يحسبن الذين يفرحون
بما اتوا فلا يحسبن انفسهم بمفازة او المفعول الاول محذوف وقوله فلا يحسبنهم
تاكيد للفعل وفاعله ومفعوله الاول ولهم عذاب اليم بكفرهم وتدليسهم روى انه
عليه السلم سال اليهود عن شئ مما في التورية فاخبروه بخلاف ما كان فيه واروه انهم فيها
قد صدقوه وفرحوا بما فعلوا فنزلت وقيل نزلت في قوم تخلفوا عن الغزو ثم اعتذ
روا بانهم راوا المصلحة في التخلف واستحمدوا به وقيل نزلت في المنافقين فانهم
يفرحون بمنافقتهم ويستحمدون الى المسلمين بالايمان الذي لم يفعلوه على الحقيقة
ولله ملك السموات والارض فهو يملك امرهم والله على كل شئ قدير فيقدر على عقا
بهم وقيل هو رد لقولهم ان الله فقير ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل
والنهار لآيات لاولي الالباب لدلائل واضحة على وجود الصانع تعالى ووحدته وكمال
علمه وقدرته لذوي العقول المجلوة الخالصة عن شوايب الحس والوهم كما سبق
في سورة البقرة ولعل الاقتصار على هذه الثلثة في هذه الآية لان مناط الاستدلال
هو التغير وهذه معرضة لجملة فانه اما ان يكون في ذات الشئ كتغير الليل والنهار انواعه
او جزءه كتغير العناصر بتبدل صورها او الخارج عنه كتغير الافلاك بتبدل اوضاعها
وعن النبي صلى الله عليه وسلم ويل لمن قراها ولم يتفكر فيها الذين يذكرون الله قياما
وقعودا وعلى جنوبهم اى يذكرونه دائما على الحالات كلها قائمين وقاعدين ومضطجعين
وعنه عليه السلم من احب ان يرتع في رياض الجنة فليكثر ذكر الله وقيل معناه
يصلون على الهيئات الثلث حسب طاقتهم كقوله عليه السلم لعمران بن حصين

صل

فقاعدا فان لم تستطع

صل قائما فان لم تستطع فعلى جنب تومي ايماء فهو حجة للشافعي رضي الله عنه في ان المريض
يصلي مضطجعا مستقبلا بمقاديم بدنه ويتفكرون في خلق السموات والارض استد
لالا واعتبارا وهو افضل العبادات كما قال عليه السلم لا عبادة كالتفكر لانه المخصوص
بالقلب والمقصود من الخلق وعنه عليه السلم بينما رجل مستلقي على فراشه اذ رفع راسه
فنظر الى السماء والنجوم فقال اشهد ان لك ربا وخالقا اللهم اغفر فنظر الله اليه فغفر له
وهذا دليل واضح على شرف علم الاصول وفضل اهله ربنا ما خلقت هذا باطلا على ارادة
القول اى يتفكرون قائلين ذلك وهذا اشارة الى المتفكر فيه او الخلق على انه اريد به المخلوق
من السموات والارض او اليهما لانهما في معنى المخلوق والمعنى ما خلقته عبثا ضائعا من غير حكمة
بل خلقته لحكمة عظيمة من جملتها ان يكون مبدا لوجود الانسان وسببا لمعاشه ودليلا لحكم
يدله على معرفتك ويحثه على طاعتك لينال الحيوة الابدية والسعادة السرمدية في جوارك
سبحانك تنزيها لك من العبث وخلق الباطل وهو اعتراض فقنا عذاب النار للاخلال
بالنظر فيه والقيام بما يقتضيه وفائدة الفاء هي الدلالة على ان علمهم بما لاجله خلقت السموات
والارض حملهم على الاستعاذة ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته فقد اخزيته
غاية الاخزاء ونظيره قولهم من ادرك مرعى الصمان فقد ادرك والمراد به تهويل المستعاذ منه
تنبيها على شدة خوفهم وطلبهم الوقاية منه وفيه اشعار بان العذاب الروحاني افظع
وما للظالمين من انصار اراد بهم المدخلين ووضع المظهر موضع المضمر للدلالة على ان ظلمهم
تسبب لادخالهم النار وانقطاع النصرة عنهم في الخلاص منها ولا يلزم من نفي النصرة
نفي الشفاعة لان النصرة دفع بقهر ربنا اننا سمعنا مناديا ينادي للايمان اوقع
الفعل على المسمع وحذف المسموع لدلالة وصفه عليه وفيه مبالغة ليس في ايقاعه
على نفس المسموع وفي تنكير المنادي واطلاقه ثم تقييده تعظيم لشانه والمراد به الرسول
عليه السلم وقيل القرآن والنداء والدعاء ونحوهما تعدى بالى واللام لتضمنها معنى
الانتهاء والاختصاص ان آمنوا بربكم فآمنا اى او بان آمنوا فامتثلنا ربنا فاغفر آمنوا
لنا ذنوبنا كبائرنا فانها ذات تبعة وكفر عنا سيئاتنا صغائرنا فانها مستقبحة

ولكن مكفرة عن مجتنب الكباير وتوفنا مع الابرار مخصوصين بصحبتهم معدودين
فى زمرتهم وفيه تنبيه على انهم يحبون لقاء الله ومن احب لقاء الله احب الله لقاءه
والابرار جمع برّ او بار كرباب واصحاب ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك اى ما
وعدتنا على تصديق رسلك من الثواب لما اظهروا متثاله لما امر به سأل ما وعد عليه
لاخوفا من اخلاف الوعد بل مخافة ان لا يكون من الموعود بسوء عاقبة او قصور فى الا
متثالا وتعبدا واستكانة ويجوز ان يعلق على محذوف تقديره ما وعدتنا منزلا على رسلك
او محمولا عليهم وقيل معناه على ألسنة رسلك ولا تخزنا يوم القيامة بان تعصمنا
عما يقتضيه انك لا تخلف الميعاد بانابة المؤمن واجابة الداعى وعن ابن عباس
الميعاد البعث بعد الموت وتكرير ربنا للمبالغة فى الابتهال والدلالة على استقلال
المطالب وعلو شانها وفى الآثار من حزبه امر فقال خمس مرات ربنا انجاه الله مما
يخاف فاستجاب لهم ربهم الى طلبتهم وهو اخص من اجاب ويعدى بنفسه وباللام انى لا اضيع عمل عامل منكم اى بانى لا اضيع وقرئ بالكسر على ارادة القول من
ذكر وانثى بيان عامل بعضكم من بعض لان الذكر من الانثى والانثى من الذكر ولانهما
من اصل واحد ولفرط الاتصال والاتحاد وللاجتماع والاتفاق فى الدين وهى جملة معترضة
بين بها شركة النساء مع الرجال فيما وعد للعمال روى ان ام سلمة قالت يا رسول الله
انى اسمع الله يذكر الرجال فى الهجرة ولا يذكر النساء فنزلت والذين هاجروا الى آخره
تفصيل لاعمال العمال وما اعدلهم من الثواب على سبيل المدح والتعظيم والمعنى
فالذين هاجروا الشرك والاوطان والعشاير للدين واخرجوا من ديارهم واوذوا
فى سبيلى بسبب ايمانهم بالله ومن اجله وقاتلوا الكفار وقتلوا فى الجهاد وقرأ حمزة
والكسائى بالعكس لان الواو لا يوجب ترتيبا والثانى فضلا ولان المراد لما قتل قوم
قاتل الباقون ولم يضعفوا وشدد ابن كثير وابن عامر للتكثير لاكفرن عنهم سيئاتهم
لامحونها ولادخلنهم جنات تجرى من تحتها الانهار ثوابا من عند الله اى اثيبهم
بذلك اثابة من عند الله تفضلا منه فهو مصدر مؤكد والله عنده حسن الثواب

على الطاعات

على الطاعة قادر عليه لا يغرنك تقلب الذين كفروا فى البلاد الخطاب للنبى
والمراد امته او تثبيته على ما كان عليه كقوله ولا تطع المكذبين ولكل احد والنهى فى
المعنى للمخاطب وانما جعل للتقلب تنزيلا للتسبب منزلة المسبب للمبالغة والمعنى لا
تنظر الى ما الكفرة عليه من السعة والحظ ولا تغتر بظاهرها ترى من تبسطهم فى مكاسبهم ومتاجرهم ومزارعهم وروى ان بعض المؤمنين كانوا يرون المشركين فى رخاء
ولين عيش فيقولون ان اعداء الله فيما نرى من الخير وقد هلكنا من الجوع والجهد فنزلت
متاع قليل خبر مبتداء محذوف اى ذلك التقلب متاع قليل الفصر مدته وفى جنب
ما اعد الله للمؤمنين قال عليه السلام ما الدنيا فى جنب الآخرة الا مثل ما يجعل احدكم
اصبعه فى اليم فلينظر بم يرجع ثم ما ويهم جهنم وبئس المهاد اى ما مهدوا لانفسهم لكن الذين اتقوا ربهم لهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها
نزلا من عند الله النزل والنزل ما يعد للنازل من طعام وشراب وصلة قال ابو الشعر
الضبى وكنا اذا الجبار بالجيش ضافنا جعلنا القنا والمرهفات له نزلا وانتصابه على
الحال من جنات والعامل فيها الظرف وقيل انه مصدر مؤكد والتقدير انزلوها
نزلا وما عند الله لكثرته ودوامه خير للابرار مما يتقلب فيه الفجار لقلته
وسرعة زواله وان من اهل الكتاب لمن يؤمن بالله نزلت فى ابن سلام واصحابه وقيل
فى اربعين من نجران واثنين وثلثين من الحبشة وثمانية من الروم كانوا نصارى فاسلموا
وقيل فى اصحمة النجاشى لما نعاه جبرئيل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج فصلى
عليه فقال المنافقون انظروا الى هذا يصلى على علج نصرانى وانما دخلت اللام على الاسم
للفصل بينه وبين ان بالظرف وما انزل اليكم من القرآن وما انزل اليهم من الكتابين خاشعين
لله حال من فاعل يؤمن وجمعه باعتبار المعنى لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا كما يفعله
المحرفون من احبارهم اولئك لهم اجرهم عند ربهم ما خص بهم من الاجر ووعدوه فى
قوله اولئك يؤتون اجرهم مرتين ان الله سريع الحساب لعلمه بالاعمال وما تستوجبه
من الجزاء واستغنائه عن التأمل والاحتياط والمراد ان الاجر الموعود سريع الوصول

فان سرعة الحساب تستدعي سرعة الجزاء يا ايها الذين آمنوا اصبروا على مشاق
الطاعات وما يصيبكم من الشدايد وصابروا وغالبوا اعداء الله في الصبر على شدايد
الحرب واعدى عدوكم في الصبر على مخالفة الهوى وتخصيصه بعد الامر بالصبر مطلقا
لشدته ورابطوا ابدانكم وخيولكم في الثغور مترصدين للغزو وانفسكم على الطاعة كما قال
عليه السلام من الرباط انتظار الصلوة بعد الصلوة وعنه عليه السلم من رابط يوما
وليلة في سبيل الله كان كعدل صيام رمضان وقيامه لا يفطر ولا ينفتل عن صلوته الا
لحاجة واتقوا الله لعلكم تفلحون واتقوه بالتبراء عما سواه لكي تفلحوا غاية الفلاح واتقوا
القبايح لعلكم تفلحون بنيل المقامات الثلث المرتبة التي هي الصبر على مضض الطا
عات ومصابرة النفس في رفض العادات ومرابطة السر على جناب الحق لترصد
الواردات المعبر عنها بالشريعة والطريقة والحقيقة عن النبي صلى الله عليه وسلم
من قراء سورة آل عمران اعطي بكل آية منها امانا على جسر جهنم وعنه عليه السلم
من قراء السورة التي يذكر فيها آل عمران يوم الجمعة صلى الله عليه وسلم وملائكته حتى
تجب الشمس سورة النساء مدنية وهي مائة وخمس وسبعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها الناس خطاب يعم بني آدم اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة هي آدم
وخلق منها زوجها عطف على خلقكم اي خلقكم من شخص واحد وخلق منها امكم حوا
من ضلع من اضلاعها او محذوف تقديره من نفس واحدة خلقها وخلق منها زوجها
وهو تقرير لخلقهم من نفس واحدة وبث منهما رجالا كثيرا ونساء بيان لكيفية تولدهم
منهما والمعنى ونشر من تلك النفس والزوج المخلوقة منها بنين وبنات كثيرة واكتفى
بوصف الرجال بالكثرة عن وصف النساء بها اذ الحكمة تقتضي ان تكون اكثر وذكر كثيرا حملا
على الجمع وترتيب الامر بالتقوى على هذه القصة لما فيها من الدلالة على القدرة القا
هرة التي من حقها ان تخشى والنعمة الباهرة التي توجب طاعة موليها او لان المراد
تمهيد للامر بالتقوى فيما يتصل بحقوق اهل منزله وبني جنسه على ما دلت عليه الآيات

التي

التي بعدها وقرئ وخالق وباث على حذف مبتداء تقديره وهو خالق وباث واتقوا
الله الذي تساءلون به اي يسأل بعضكم بعضا فيقول اسألك بالله واصله تتساءلون
فادغمت التاء الثانية في السين وقراء عاصم وحمزة والكسائي بطرحها والارحام
بالنصب عطف على محل الجار والمجرور كقولك مررت بزيد وعمرا او على الله اي اتقوا الله
واتقوا الارحام فصلوها ولا تقطعوها وقراء حمزة بالجر عطفا على الضمير المجرور وهو
ضعيف لانه كبعض الكلمة وقرئ بالرفع على انه مبتداء محذوف الخبر تقديره والارحام كذ
اي مما يتقى او يتساءل به وقد نبه سبحانه اذ قرن الارحام باسمه على ان صلتها
بمكان منه وعنه عليه السلم الرحم معلقة بالعرش تقول من وصلني وصله الله
ومن قطعني قطعه الله ان الله كان عليكم رقيبا حافظا مطلعا وآتوا اليتامى اموالهم
اي اذا بلغوا واليتامى جمع يتيم وهو الذي مات ابوه من اليتم وهو الانفراد ومنه الدرة
اليتيمة اما على انه لما جرى مجرى الاسماء كفارس وصاحب جمع على يتايم ثم قلب فقيل يتامى
او على انه جمع على يتمى كاسرى لانه من باب الآفات ثم جمع يتمى على يتامى كاسرى واسارى
والاشتقاق يقتضي وقوعه على الصغار والكبار لكن العرف خصصه بمن لم يبلغ وو
روده في الآية اما للبلغ على الاصل او الاتساع لقرب عهدهم حثا على ان يدفع اليهم
اموالهم اول بلوغهم قبل ان يزول عنهم هذا الاسم ان اونس منهم الرشد ولذ
لك امر بابتلائهم صغارا او لغير والحكم مقيد وكانه قال وآتوهم اذا بلغوا ويؤيد الاول
ما روي ان رجلا من غطفان كان معه مال كثير لابن اخ له يتيم فلما بلغ طلب المال منه فمنعه
فنزلت فلما سمعها العم قال اطعنا الله ورسوله نعوذ بالله من الحوب الكبير ولا تتبدلوا
الخبيث بالطيب ولا تستبدلوا الحرام من اموالهم بالحلال من اموالكم او الامر الخبيث وهو
اختزال اموالهم بالامر الطيب الذي هو حفظها وقيل ولا تاخذوا الرفيع من اموالهم و
تعطوا الخسيس مكانها وهذا تبديل وليس بتبدل ولا تاكلوا اموالهم الى اموالكم ولا تاكلوها
مضمومة الى اموالكم اي لا تنفقوهما معا ولا تسووا بينهما وهذا حلال وذاك حرام وهو فيما
زاد على قدر اجره لقوله تعالى فليأكل بالمعروف انه الضمير للاكل كان حوبا كبيرا ذنبا عظيما

وقرئ حَوْبًا وهو مصدر حَابَ حَوْبًا وحَابًا كقَالَ قَوْلًا وقَالًا **وان خفتم ان لا تقسطوا فى اليتامى**
فانكحوا ما طاب لكم من النساء اى ان خفتم ان لا تعدلوا فى يتامى النساء اذا تزوجتم بهن
فتزوجوا ما طاب لكم من غيرهن اذ كان الرجل يجد يتيمة ذات مال فيتزوجها طمعا فى مالها فربما
يجتمع عنده منهن عدد ولا يقدر على القيام بحقوقهن او ان خفتم ان لا تعدلوا فى حقوق
اليتامى فتحرجتم منها خافوا ايضا ان لا تعدلوا بين النساء فانكحوا مقدار ما يمكنكم الوفاء بحقه
لان المتحرج من الذنب ينبغى ان يتحرج من الذنوب كلها على ما روى انه تعالى لما عظم امر اليتامى
تحرجوا من ولايتهم وما كانوا يتحرجون من تكثير النساء واضاعتهن فنزلت وقيل
كانوا يتحرجون من ولاية اليتامى ولا يتحرجون من الزنا فقيل لهم ان خفتم ان لا تعدلوا
فى امر اليتامى فخافوا الزنا فانكحوا ما حل لكم وانما عبر عنهن بما ذهابا الى الصفة او اجراء
لهن مجرى غير العقلاء لنقصان عقلهن ونظيره وما ملكت ايمانكم وقرئ تقسطوا بفتح
التاء على ان لا مزيدة اى ان خفتم ان تجوروا **مثنى وثلث ورباع** معدولة عن اعداد مكررة
هى تثنيتين تثنيتين وثلاثا ثلاثا واربعا واربعا وهى غير منصرفة للعدل والصفة فانها بنيت صفات
وان كانت اصولها لمرتين لها وقيل لتكرير العدل فانها معدولة باعتبار الصيغة والتكرير
منصوبة على الحال من فاعل طاب ومعناها الاذن لكل واحد يريد الجمع ان ينكح ما شاء من العدد
المذكور منقسمين فيه ومختلفين كقولك اقتسموا هذه البدرة دراهم بين ثلاثة ثلاثة ولو
افردت كان المعنى تجويز الجمع بين هذه الاعداد دون التوزيع ولو ذكرت بالواو لذهب تجويز
الاختلاف فى العدد **فان خفتم ألا تعدلوا** بين هذه الاعداد ايضا **فواحدة** فاختاروا
او فانكحوا واحدة وذروا الجمع وقرئ بالرفع على انه فاعل لمحذوف وخبر تقديره فيكفيكم
واحدة او المقنع واحدة **او ما ملكت ايمانكم** سوى بين الواحدة من الازواج والعدد من الاماء
رخصة لحقة مؤنتهن وعدم وجوب القسم بينهن **ذلك** اى التقليل منهن او اختيار الواحدة
او التسرى **ادنى ان لا تعولوا** اقرب من ان لا تميلوا يقال عال الميزان اذا مال وعال الحاكم اذا
جار وعول الفريضة الميل عن حد السهام المسماة وفسر به لانه اكثر عيالكم على انه من عال
الرجل عياله يعولهم اذا مانهم فعبر عن كثرة العيال بكثرة المؤن على الكناية ويؤيده قراءة

ان لا

ان لا تعيلوا من اعال الرجل اذا كثر عياله ولعل المراد بالعيال الازواج وان اريد الاولاد فلان
التسرى مظنة قلة الولد بالاضافة الى التزوج لجواز العزل فيه كتزوج الواحدة الى تزوج
الاربع **وآتوا النساء صدقاتهن** مهورهن وقرئ بفتح الصاد وسكون الدال على التخفيف
وبضم الصاد وسكون الدال جمع صُدُقة وبضمتها على التوحيد وهو تثقيل صُدْقة كظُلْمة
فى ظُلْمة **نحلة** عطية يقال نحله كذا نِحْلة ونَحْلًا اذا اعطاه اياه عن طيب نفس بلا توقع عوض
ومن فسرها بالفريضة ونحوها نظر الى مفهوم الآية لا الى موضوع اللفظ ونصبها على المصدر
لانها فى معنى الايتاء او الحال من الواو والصدقات اى آتوهن صدقاتهن ناحلين او
منحولة وقيل المعنى نحلة من الله وتفضلا منه عليهن فيكون حالا من الصدقات وقيل
ديانة من قولهم انتحل فلان كذا اذا دان به على انه مفعول له او حال من الصدقات اى دينا
من الله شرعه والخطاب للازواج وقيل للاولياء لانهم كانوا يأخذون مهور موليتهن
فان طبن لكم عن شئ منه نفسا الضمير للصداق حملا على المعنى او مجرى اسم الاشارة
كقول رؤبة فى قوله كانه فى الجلد توليع البهقى اردت كان ذاك وقيل للاتياء ونفسا تمييز لبيان
الجنس وكذلك وحدة والمعنى فان وهبن لكم من الصداق عن طيب نفس لكن جعل
العمدة طيب نفس للمبالغة وعداه بعن لتضمن معنى التجافى والتجاوز وقال منه بعثا لهن
على تقليل الموهوب **فكلوه هنيئا مريئا** خذوه وانفقوه حلالا بلا تبعة والهنئ والمرئ صفتان
من هَنُؤَ الطعام ومَرُؤَ اذا ساغ من غير غُصص اقيمتا مقام مصدريهما او وصف بهما المصدر
او جعلتا حالا من الضمير وقيل الهنئ ما يلذ الانسان والمرئ ما يحمد عاقبته روى ان
ناسا تأثموا ان يقبل احدهم من زوجته شيئا مما ساق اليها فنزلت **ولا تؤتوا السفهاء**
اموالكم نهى للاولياء عن ان يؤتوا الذين لا رشد لهم اموالهم فيضيعوها وانما اضاف المال
الى الاولياء لانها فى تصرفهم وتحت ولايتهم وهو الملايم للآيات المتقدمة والمتأخرة وقيل
نهى لكل احد ان يعمد الى ما خوله الله من المال فيعطى امراته واولاده ثم ينظر الى ايديهم وانما سماهم
هم سفهاء استخفافا بعقلهم واستهجانا لجعلهم قواما على انفسهم وهو او فق لقوله
التى جعل الله لكم قياما اى تقومون بها وتتعيشون وعلى الاول يؤول بانها التى من جنس

ما جعل الله لكم قياما ستى به القيام قياما للمبالغة وقرئ قيما بمعناه كعوذ بمعنى عياذ
قوما وهو ما يقام به وارزقوهم فيها واكسوهم واجعلوها مكانا للرزق لهم وكسوتهم
بان تتجروا فيها وتحصلوا من نفعها ما يحتاجون اليه وقولوا لهم قولا معروفا عدة جميلة
يطيب بها نفوسهم والمعروف ما عرفه الشرع او العقل بالحسن والمنكر ما انكر احدهما
لقبحه وابتلوا اليتامى اختبروهم قبل البلوغ بتتبع احوالهم في صلاح الدين والتهدي
الى ضبط المال وحسن التصرف بان يكل اليه مقدمات العقد وعند ابي حنيفة بان
يدفع اليه ما يتصرف فيه حتى اذا بلغوا النكاح حتى اذا بلغوا حد البلوغ بان يحتلم او
يستكمل خمسة عشر سنة عندنا لقوله عليه السلام اذا استكمل المولود خمسة
سنة كتب ماله وعليه واقيمت عليه الحدود وثمانية عشر عند ابي حنيفة وبلوغ
النكاح كناية عن البلوغ لانه يصح للنكاح عنده فان آنستم منهم رشدا فان ابصرتم منهم
وقرئ احستم بمعنى احسستم فادفعوا اليهم اموالهم من غير تاخير عن حد البلوغ ونظم
الآية ان الشرطية جواب اذا المتضمنة معنى الشرط والجملة غاية الابتلاء كانه قيل
وابتلوا اليتامى الى وقت بلوغهم واستحقاقهم دفع اموالهم اليهم بشرط ايناس الرشد
منهم وهو دليل على انه لا يدفع اليهم ما لم يؤنس منهم الرشد وقال ابو حنيفة
اذا زادت على ستة البلوغ سبع سنين وهي مدة معتبرة في تغير الاحوال اذ الطفل يتميز بعدها
ويؤمر بالعبادة ويدفع اليه المال وان لم يؤنس الرشد ولا تاكلوها اسرافا وبدارا ان يكبروا
مسرفين مبادرين كبرهم او اسرافكم ومبادرتكم كبرهم ومن كان غنيا فليستعفف
من اكلها ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف بقدر حاجته واجرة سعيه ولفظ الاستعفاف
والاكل بالمعروف مشعر بان الولي له حق في مال الصبي وعن النبي عليه السلام ان رجلا قال له
ان في حجري يتيما أفآكل من ماله قال بالمعروف غير متأثل مالا ولا واق مالك بماله وايرادها
التقسيم بعد قوله ولا تاكلوها يدل على انه نهي للاولياء ان ياخذوا وينفقوا على انفسهم
اموال اليتامى فاذا دفعتم اليهم اموالهم فاشهدوا عليهم بانهم قبضوها فانه
اتقى للتهمة وابعد للخصومة ووجوب الضمان فظاهر يدل على ان القيم لا يصدق في دعواه

الا بالبينة وهو المختار عندنا ومذهب مالك خلافا لابي حنيفة وكفى بالله حسيبا
محاسبا فلا تخالفوا امرتم ولا تتجاوزوا ما حد لكم للرجال نصيب مما ترك الوالدان
والاقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والاقربون يريد به المتوازين بالقرابة
مما قل منه او كثر بدل من ما ترك باعادة العامل نصيبا مفروضا نصب على انه مصدر
مؤكد كقوله فريضة من الله او حال اذ المعنى ثبت لهم مفروضا نصيب او على الاختصاص
بمعنى اعني نصيبا مقطوعا واجبا لهم وفيه دليل على ان الوارث لو اعرض عن نصيبه
لم يسقط حقه روي ان اوس بن صامت الانصاري خلف زوجته ام كحة وثلث بنات
فزوى ابنا عمه سويد وعرفطة او قتادة وعرجفة ميراثه عنهن على سنة الجاهلية
فانهم ما كانوا يورثون النساء والاطفال ويقولون انما يرث من يحارب ويذب عن الحوزة
فجاءت ام كحة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسجد الفضيخ فشكت اليه فقال
ارجعي حتى انظر ما يحدث الله فنزلت فبعث اليهما لا تفرقا من مال اوس شيأ فان الله
قد جعل لهن نصيبا ولم يبين حتى يبين فنزل يوصيكم الله فاعطى ام كحة الثمن والبنات
الثلثين والباقي ابني العم وهو دليل على جواز تاخير البيان عن الخطاب واذا حضر القسمة
اولوا القربى ممن لا يرث واليتامى والمساكين فارزقوهم منه فاعطوهم شيأ من المقسوم
تطييبا لقلوبهم وتصدقا عليهم وهو امر ندب للملاك من الورثة وقيل امر وجوب
ثم اختلف في نسخه والصحيح لما ترك وما دل عليه القسمة وقولوا لهم قولا معروفا وهو
ان يدعوا لهم ويستقلوا ما اعطوهم ولا يمنوا عليهم وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية
ضعافا خافوا عليهم امر للاوصياء بان يخشوا الله ويتقوه في امر اليتامى فيفعلوا بهم ما يحبون
ان يفعل بذراريهم الضعاف بعد وفاتهم او للحاضرين المريض عند الايصاء بان يخشوا ربهم
ويخشوا على اولاد المريض ويشفقوا عليهم شفقتهم على اولادهم فلا يتركوه ان يضر بهم
بصرف المال عنهم واللورثة بالشفقة على من حضر القسمة من ضعفاء الاقارب واليتامى
والمساكين متصورين انهم لو كانوا اولادهم بقوا خلفهم ضعافا منهم هل يجوزون حرمانهم
او للموصين بان ينظروا للورثة فلا يسرفوا في الوصية ولو بما في حين جعل صلة للذين على

وليخش الذين حالهم وصفتهم انهم لو شارفوا ان يخلفوا ذرية ضعافا خافوا عليهم
الضياع وفى ترتيب الامر عليه اشارة الى المقصود منه والعلة فيه وبعث على الترحم وان
يحب لاولاد غيره ما يحب لاولاده وتهديد للمخالف بحال اولاده فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا
امرهم بالتقوى لذى هو غاية الخشية بعد ما امرهم بمراعاة للمبدإ والمنتهى اذ لا ينفع
الاولاد دون الثانى ثم امرهم ان يقولوا لليتامى مثل ما يقولون لاولادهم بالشفقة وحسن
الادب او للمريض ما يصده عن الاسراف فى الوصية وتضييع الورثة ويذكره التوبة وكلمة
الشهادة او الحاضرى القسمة عذرا جميلا ووعدا حسنا او ان يقولوا فى الوصية ما لا يؤدى
الى مجاوزة الثلث وتضييع الورثة ان الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما ظالمين او على وجه
الظلم انما يأكلون فى بطونهم ملأ بطونهم نارا ما يجر الى النار ويؤول اليها وعن ابى برزة
الله عليه السلم قال بينا نحن قوما من قبورهم يتأججوا فواههم نارا فقيل من هم
وقال الم تر ان الله يقول ان الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما انما يأكلون فى بطونهم
نارا وسيصلون سعيرا سيدخلون نارا اى نارا ذات سعير وقرأ ابن عامر وابن عياش عن عاصم بضم
الياء مخففا وقرئ به مشددا تقول صلى النار قاسى حرها وصليته شويته واصليته
وصليته القيته فيها والسعير فعيل بمعنى مفعول من سعرت النار اذا ألقيتها يوصيكم الله يأمركم
ويعهد اليكم فى اولادكم فى شان ميراثهم وهو اجمال لتفصيله للذكر مثل حظ الانثيين اى يعد
كل ذكر باثنين حيث اجتمع الصنفان فيضعف نصيبه وتخصيص الذكر بالتنصيص على حظه لان
القصد الى بيان فضله والتنبيه على ان التضعيف كان للتفضيل فلا يجر من بالكلية وقد
اشتركا فى الجهة والمعنى للذكر منهم فحذف للعلم به فان كن نساء اى ان كان الاولاد نساء خلصا
ليس معهن ذكر فانث الضمير باعتبار الخبر وعلى هذا فى المولودات فوق اثنتين خبر ثان او صفة
لنساء اى نساء زائدات على اثنتين فلهن ثلثا ما ترك الميت منكم ويدل عليه المعنى وان كانت
واحدة اى وان كانت المولودة واحدة وقرئ بالرفع على كان التامة واختلف فى الثنتين
فقال ابن عباس حكمهما حكم الواحدة لانه تعالى جعل الثلثين لما فوقهما وقال الباقون حكمهما
حكم ما فوقهما لانه تعالى لما بين ان حظ الذكر مثل حظ الانثيين اذا كان معه انثى وهو الثلثان

فلها النصف وقرأ نافع

اقتضى

اقتضى ذلك ان فرضهما الثلثان ثم لما أوهم ذلك ان يزاد النصيب بزيادة العدد رد
ذلك بقوله فان كن نساء فوق اثنتين ويؤيد ذلك ان البنت الواحدة لما استحقت الثلث
مع اخيها فبالحرى ان تستحقه مع اخت مثلها وان البنتين امس رحما من الاختين وقد
فرض لهما الثلثين بقوله ولهما الثلثان مما ترك ولابويه ولابوى الميت لكل واحد منهما
السدس بدل منه بتكرير العامل وفائدته التنصيص على استحقاق كل منهما السدس والتفصيل
بعد الاجمال تأكيدا مما ترك ان كان له ولد ذكرا وانثى غير ان الاب يأخذ السدس
مع الانثى بالفرضية وما بقى من ذوى الفروض ايضا بالعصوبة فان لم يكن له ولد وورثه ابواه
فلامه الثلث مما ترك وانما لم يذكر حصة الاب لانه لما فرض ان الوارث ابواه فقط
وعين نصيب الام علم ان الباقى للاب وكانه قال فلهما ما ترك اثلاثا وعلى هذا ينبغى ان
يكون لها حيث معهما احد الزوجين ثلث ما بقى من فرضه كما قاله الجمهور لا ثلث
المال كما قاله ابن عباس فانه يفضى الى تفضيل الانثى على الذكر المساوى لها فى الجهة والقرب
وهو خلاف وضع الشرع فان كان له اخوة فلامه السدس باطلاقه يدل على ان الاخوة يردونها
من الثلث الى السدس وان كانوا لا يرثون مع الاب وعن ابن عباس انهم يأخذون
السدس الذى حجبوا عنه الام والجمهور على ان المراد بالاخوة عدد ممن له اخوة من غير
الثلثين سواء كان من الاخوة والاخوات وقال ابن عباس لا يحجب الام من الثلث
ما دون الثلثة ولا الاخوات الخلص اخذا بالظاهر وقرأ حمزة والكسائى فلامه الثلث
بكسر الهمزة اتباعا للكسرة التى قبلها من بعد وصية يوصى بها او دين متعلق بما تقدم من قسمة
المواريث كلها اى هذه الانصباء للورثة من بعد ما كان من وصية او دين وانما
قال بها والقتل اباحة دون الواو والدلالة على انهما متساويان فى الوجوب متقدمان
على القسمة مجموعين ومفردين وقدم الوصية على الدين وهى متأخرة فى الحكم لانها
مشبهة بالميراث شاقة على الورثة مندوب اليها الجميع والدين انما يكون على النذور
وقرأ ابن كثير وابن عامر وابو بكر بفتح الصاد آباءكم وابناءكم لا تدرون ايهم اقرب
لكم نفعا اى لا تعلمون من انفع لكم ممن يرثكم من اصولكم وفروعكم فى عاجلكم وآجلكم

فتحرّوا فيهم ما وصّيكم الله به ولا تعمدوا الى تفضيل بعض وحرمانه روى ان احد
المتوالدين اذا كان ارفع درجة من الآخر في الجنة سأل ان يُرفع اليه فيُرفع بشفاعته
او من موريثكم منهم امن اوصى فعرّضكم للثواب بامضاء وصيته ام من لم يوص
فوفّر عليكم ماله فهو اعتراض مولّد لاحكام القسمة وتنفيذ الوصية فريضة من الله
مصدر مؤكد ومصدر يوصيكم الله لانه في معنى يفرض عليكم ان الله كان عليما
بالمصالح والرتب حكيما فيما قضى وقدّر ولكم نصف ما ترك ازواجكم ان لم يكن لهن
ولد فان كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن اى ولد وارث من بطنها او من صلب بليها
وان سفل ذكرا كان او انثى منكم او من غيركم من بعد وصية يوصين بها او دين
الربع مما تركتم ان لم يكن لكم ولد فان كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم من بعد
وصية توصون بها او دين فرض للرجل بحق الزواج ضعف ما للمرأة كما في النسب وهكذا
قياس كل رجل وامرأة اشتركا في الجهة والقرب ولا يستثنى عنه الا الاولاد الام والمعتق
والمعتقة ويستوي الواحد والعدد منهن في الربع والثمن وان كان رجل اى الميت يورث
اى يُورَث منه من وُرِث صفة رجل كلالة خبر كان او يورث خبر وكلالة حال من الضمير
وهو من لم يخلف ولدا ولا والدا او مفعول له والمراد بها قرابة ليست من جهة الوالد
والولد ويجوز ان يكون الرجل الوارث ويُورَث من أُورِث وكلالة من ليس بوالد
ولد وقرئ على البناء للفاعل فالرجل الميت والكلالة يحتمل المعاني الثلثة وعلى الاول
خبرا وحال وعلى الثاني مفعول له وعلى الثالث مفعول به وهي في الاصل مصدر
بمعنى الكلال قال الاعشى فآليت لا ارثي لها من كلالة فاستعيرت لقرابة ليست با
بعضية لانها كالة بالاضافة اليها تصف بها الموروث والوارث بمعنى ذي كلالة
كقولك فلان من قرابتي او امرأة عطف على رجل وله اى وللرجل او اكتفى بحكمه عن حكم المرأة
للكلالة العطف على تشاركهما فيه اخ او اخت اى من الام ويدل عليه قراءة ابي وسعد
بن مالك وله اخ او اخت من الام وانه ذكر آخر السورة ان للاختين الثلثين وللاخ
خوف الكل وهو لا يليق الا ولاد الام وان ما قدرهنا فرض الام فيناسب ان يكون كذلك

دها فلكل واحد منهما السدس فان كانوا اكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث
سوى بين الذكر والانثى في القسمة لان الادلاء بمحض الانوثة ومفهوم الآية انهم لا يرثون
ذلك مع الام والجدة كما لا يرثون مع البنت وبنت الابن فخص فيه بالاجماع من بعد وصية يوصى
بها او دين غير مضار اى غير مضار لورثته بالزيادة على الثلث او قصد المضارة بالوصية
دون القربة والاقرار بدين لا يلزمه وهو حال عن فاعل يوصى المذكور وفي هذه القراءة
أو المدلول عليه بقوله يوصين بها على البناء للمفعول في قراءة ابن كثير وابن عامر وابن عياش عن عاصم
وصية من الله مصدر مؤكد ومنصوب بغير مضار على المفعول به ويؤيده ان قرئ غير مضار
وصية بالاضافة اى لا يضار وصية من الله وهو الثلث فما دونه بالزيادة وصية
منه بالاولاد بالاسراف في الوصية والاقرار الكاذب والله عليم بالمضار وغيره حليم
لا يعاجل بعقوبته تلك اشارة الى الاحكام التي تقدمت في امر اليتامى والوصايا والمواريث
حدود الله شرايعه التي كالحدود المحدودة التي لا يجوز مجاوزتها ومن يطع الله ورسوله
يدخله جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم ومن يعص الله
ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين توحيد الضمير في يدخله
وجمع خالدين للفظ والمعنى وقراءة نافع وابن عامر ندخله بالنون وخالدين حال مقدرة كقولك
مررت برجل معه صقر صائدا به غدا وكذلك خالدا وليسا صفتين لجنات ونارا
والا لوجب ابراز الضمير لانهما جريا على غير من هما له واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم
اى يفعلنها يقال اتى الفاحشة وجاءها وغشيها وركبها اذا فعلها والفاحشة الزنا لزيادة قبحها وشناعتها فاستشهدوا عليهن اربعة منكم فاطلبوا ممن قذفهن اربعة من الرجال
المؤمنين يشهد عليهن فان شهدوا فامسكوهن في البيوت فاحبسوهن في البيوت واجعلوها
سجنا عليهن حتى يتوفاهن الموت يستوفي ارواحهن الموت او يتوفاهن ملائكة الموت
قيل كان ذلك عقوبتهن في اوايل الاسلام فنسخ بالحد ويحتمل ان يكون المراد به التوصية
بامساكهن بعد ان يجلدن كيلا يجري عليهن ما جرى بسبب الخروج والتعرض للرجال ولم يذكر
الحد استغناء بقوله الزانية والزاني او يجعل الله لهن سبيلا كتعيين الحد المخلص عن الحبس

او النكاح المُغْنِي عن السِّفاح **وَاللَّذَانِ يَأْتِيَانِهَا مِنْكُمْ** يعني الزاني والزانية وقراء ابن كثير واللذان بتشديد النون وتمكين مدة الالف والباقون بالتخفيف من غير تمكين **فَآذُوهُمَا** بالتوبيخ والتقريع وقيل بالتعيير والجلد **فَإِنْ تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا** فاقطعوا عنهما الايذاء او اعرضوا عنهما بالاعتماض والاسترار **إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَحِيمًا** علة الامر بالاعراض وترك المذمة وقيل هذه الاية سابقة على الاولى نزولا وكان عقوبة الزناة الاذى ثم الحبس ثم الجلد وقيل الاولى في السحاقات وهذه في اللواطيين والزانية والزاني في الزناة **إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ** اي انما قبول التوبة كالمحتوم على الله بمقتضى وعده من تاب عليه اذا قبل توبته **لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ** ملتبسين بها سفها فان ارتكاب الذنب سفه وتجاهل ولذلك قيل من عصى الله فهو جاهل حتى ينزع من جهالته **ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ** من زمان قريب اى قبل حضور الموت لقوله تعالى حتى اذا حضر احدهم الموت وقوله عليه السلام ان الله يقبل توبة عبده ما لم يغرغر وسماه قريبا لان امد الحيوة قريب لقوله قل متاع الدنيا قليل وقيل ان يشرب في قلوبهم حبة فيطبع عليها فيتعذر عليهم الرجوع ومن التبعيض اى يتوبون في اجزاء من الزمان القريب الذى هو ما قبل ان ينزل بهم سلطان الموت او يرين السوء **فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ** وعد بالوفاء بما وعد به وكتب على نفسه بقوله تما التوبة على الله **وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا** فهو يعلم باخلاصهم في التوبة **حَكِيمًا** والحكيم لا يعاقب التا يب **وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ** حتى **إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ** سوى بين من سوف التوبة الى حضور الموت من الفسقة والكفار وبين من مات على الكفر في نفي التوبة للمبالغة في عدم الاعتداد بها في تلك الحالة وكانه قال لو توبة هؤلاء وعدم توبة هؤلاء سواء وقيل المراد بالذين يعملون السوء عصاة المؤمنين والذين يعملون السيئات المنافقين لتضاعف كفرهم وسوء اعمالهم وبالذين يموتون الكفار **أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا** تاكيد لعدم قبول توبتهم وبيان ان العذاب اعتدهم لا يجزء عذابهم متى شاء والاعتداد التهيئة

من العتاد

من العتاد وهو العدة وقيل اصله اعددنا فابدلت الدال الاولى تاء **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا** كان الرجل اذا مات وله عصبة القى ثوبه على امراته وقالوا احق بها ثم ان شاء تزوجها بصداقها الاول او زوجها غيره واخذ صداقها وان شاء عضلها لتفتدى بما ورثت من زوجها فنهوا عن ذلك وقيل لا يحل لكم ان تاخذوهن على سبيل الارث فترثوهن كارهات لذلك او مكرهات عليه وقراء حمزة والكسائى كرها بالضم في مواضعه وهما لغتان وقيل بالضم المشقة وبالفتح ما يكره عليه **وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ** عطف على ان ترثوا ولا لتاكيد النفى اى ولا تمنعوهن من التزويج واصل العضل التضييق يقال عضلت الشاة اذا ضيقت مبيضها وقيل الخطاب مع الازواج كانوا يحبسون النساء من غير حاجة ورغبة حتى يرثوا منهن او يختلعن بمهورهن وقيل تم الكلام بقوله كرها ثم خاطب الازواج ونهاهم عن العضل **إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ** كالنشوز وسوء العشرة وعدم التعفف والاستثناء من عام عام الظرف او المفعول له تقديره ولا تعضلوهن للا فتداء الا وقت ان ياتين بفاحشة او لا تعضلوهن لعلة الا لان ياتين بفاحشة وقراء ابن كثير وابو بكر بفاحشة مبينة هنا وفي الاحزاب والطلاق بفتح الياء والباقون بكسرها فيهن **وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ** بالانصاف في الفعل والاجمال في القول **فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا** اي فلا تفارقوهن لكراهة النفس فانها قد تكره ما هو اصلح دينا واكثر خيرا وقد تحب ما هو بخلافه وليكن نظركم الى ما هو اصلح للدين وادنى الى الخير وعسى في الاصل علة الجزاء فاقيم مقامه والمعنى فان كرهتموهن فاصبروا عليهن فعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم **وَإِنْ أَرَدْتُمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ** يعني تطليق امراة وتزوج اخرى **وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ** اي احدى الزوجات جمع الضمير لانه اراد بالزوج الجنس **قِنْطَارًا** مالا كثيرا **فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ** شيئا من القنطار **أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا** استفهام انكار وتوبيخ اي اتاخذونه باهتين واثمين ويحتمل النصب على العلة كما في قولك قعدت عن الحرب جبنا لان الاخذ بسبب

مبينام

بهتانهم واقترافهم المآثم وقيل كان الرجل منهم اذا اراد جديدة بهت التي تحته
بفاحشة حتى تجيئها الى الافتداء بما اعطاها ليصرفها الى تزوج الجديد فنهوا عن ذلك
والبهتان الكذب التي يبهت المكذوب عليه وقد يستعمل في الفعل الباطل ولذلك فسر
ههنا بالكذب لظلم وكيف تأخذونه وقد افضى بعضكم الى بعض انكار لاسترداد المهر
والحال انه وصل اليها بالملامسة ودخل بها وتقرر المهر واخذن منكم ميثاقا غليظا
عهدا وثيقا وهو حق الصحبة والممازجة او ما اوثق الله عليهم في شأنهن بقوله فامساك
بمعروف او تسريح باحسان او ما اشار اليه النبي صلى الله عليه وسلم بقوله اخذتموهن
بامانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم ولا تنكحوا التي نكحها آباؤ
كم وانما ذكر ما دون من لانه اريد به الصفة وقيل مصدرية على ارادة المفعول من
المصدر من النساء بيان ما نكح على الوجهين الا ما قد سلف استثناء من المعنى اللازم للنهي
وكانه قيل تستحقون العقاب بنكاح ما نكح آباؤكم الا ما قد سلف او من اللفظ لما
لغة في التحريم والتعميم كقوله ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع
الكتائب والمعنى ولا تنكحوا حلايل آبائكم الا ما قد سلف ان امكنكم ان تنكحوه
وقيل الاستثناء منقطع ومعناه لكن ما قد سلف فانه لا مواخذة عليه لانه مقرر
انه كان فاحشة ومقتا علة للنهي اى انه نكاحهن كان فاحشة عند الله رخص فيه
لامة من الامم ممقوتا عند ذوي المروات ولذلك سمي ولد الرجل من زوجة ابيه المقتي
وساء سبيلا سبيل من يراه ويفعله حرمت عليكم امهاتكم وبناتكم واخواتكم
وعماتكم وخالاتكم وبنات الاخ وبنات الاخت ليس المراد تحريم ذاتهن بل تحريم
نكاحهن لانه معظم ما يقصد منهن ولانه المبادر الى الفهم لكثرة الاكل من قوله حرمت
عليكم الميتة ولان ما قبله وما بعده في النكاح وامهاتكم تعم من ولدتك او ولدت
من ولدك وان علت وبناتكم تتناول من ولدتها او ولدت من ولدها وان سفلت
واخواتكم الاخوات من الاوجه الثلثة وكذلك الباقيات والعمة كل انثى ولدها
من ولد ذكرا ولدك والخالة كل انثى ولدها من ولد انثى ولدتك قريبا او بعيدا وبنات

الاخ

الاخ والاخت تتناول القرب والبعد وامهاتكم اللاتي ارضعنكم واخواتكم
من الرضاعة تنزل الله الرضاعة منزلة النسب حتى سمى المرضعة اما والمراضعة اختا
وامرها على قياس النسب باعتبار المرضعة ووالد الطفل الذي درت عليه اللبن فاك عليه
السلام يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب واستثناء اخت الجد وام اخيه من الرضاع
من هذا الاصل ليس بصحيح فان حرمتهما في النسب بالمصاهرة دون النسب وامهات نسائ
كم وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن ذكرا ولا محرمات النسب
ثم الرضاعة لان لها لحمة كلحمة النسب ثم محرمات المصاهرة فان تحريمهن عارض
لمصلحة الزواج والربائب جمع ربيبة والربيب ولد المراة من آخر سمي به لانه يربه كما يربه
ولده في غالب الامر فعيل بمعنى مفعول وانما لحقه التاء لانه صار اسما واللاتي بصلتها
صفة لها مقيدة للفظ والحكم بالاجماع قضية للنظم ولا تجوز تعليقها بالامهات ايضا
لان من اذا علقتها بالربائب كانت ابتدائية فان علقتها بالامهات لم يجز ذلك بل وجب
ان يكون بيانا للنسائكم والكلمة الواحدة لا تحمل على معنيين عند جمهور الادباء اللهم الا
اذا جعلتها للاتصال كقوله اذا حاولت في اسد فجورا فاني لست منك ولست مني على
معنى ان امهات النساء وبناتهن متصلات بهن لكن الرسول صلوات الله عليه فرق
بينهما فقال في رجل تزوج امراة وطلقها قبل ان يدخل بها انه لا باس ان يتزوج ابنتها ولا يحل
له ان يتزوج امها واليه ذهب عامة العلماء غير انه روي عن علي رضي الله عنه تقييد
النحريم فيهما ولا يجوز ان يكون الموصول الثاني صفة للنسائين لان عاملهما مختلف وفائدة
قوله في حجوركم تقوية العلة وتكميلها والمعنى ان الربائب اذا دخلتم بامهاتهن وهن في
احضانكم او بصدده قوى الشبه بينها وبين ولادكم وصارت احقاء بان تجروها مجراهم
لا تقييد الحرمة واليه ذهب جمهور العلماء وقد روي عن علي رضي الله عنه جعله شرطا والا
تهات والربائب تتناول ان القريبة والبعيدة وقوله دخلتم بهن اى دخلتم معهن السترة
وهي كناية عن الجماع ويؤثر ما ليس بزنا كالوطي بشبهة او ملك يمين وعند ابي حنيفة
لمس المنكوحة ونحوه كالتقبيل فان لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم تصريح بعد اشعار

دفعا للقياس وحلايل ابنائكم زوجاتهم سميت الزوجة حليلة لحلها او لحلولها مع الزوج
الذين من اصلابكم احتراز عن المتبنى لا عن ابناء الولد وان تجمعوا بين الاختين في موضع الر
فع عطفا على المحرمات والظاهر ان الحرمة غير مقصورة على النكاح فان المحرمات المعدودة
كما هي محرمة في النكاح فهي محرمة في ملك اليمين ولذلك قال عثمان وعلي رضي الله عنهما حرمتهما
آية واحلتهما آية يعنيان هذه الآية وقوله او ما ملكت ايمانكم فرجح علي التحريم وعثمان التحليل
وقول علي اظهر لان آية التحليل مخصوصة في غير ذلك ولقوله عليه السلام ما اجتمع
الحلال والحرام الا غلب الحرام الا ما قد سلف استثناء عن لازم المعنى او منقطع معناه لكن ما
سلف مغفور لقوله ان الله كان غفورا رحيما والمحصنات من النساء ذات الازواج
احصنهن التزويج او الازواج وقرا الكسائي في جميع القرآن غير هذا الحرف بكسر الصاد
لانهن احصن فروجهن الا ما ملكت ايمانكم يريد ما ملكت ايمانكم من اللاتي سبين ولهن
ازواج كفار حلال للسابين والنكاح مرتفع بالسبي لقول ابي سعيد اصبنا يوم اوطاس
ولهن ازواج فكرهنا ان نقع عليهن فسألنا النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت الآية فا
ستحللناهن واياه عنى الفرزدق بقوله وذات حليل انكحتها رماحنا حلال لمن يبني
بها لم تطلق وقال ابو حنيفة لو سبي الزوجان لم يرتفع النكاح ولم يحل للسابي واطلاق
الآية والحديث حجة عليه كتاب الله عليكم مصدر مؤكد اي كتب الله عليكم تحريم
هؤلاء كتابا وقرئ كتب الله بالجمع والرفع اي هذه فرايض الله عليكم وكتب الله بلفظ الفعل
واحل لكم عطف على الفعل المضمر الذي نصب كتاب الله وقرا حمزة والكسائي وحفص
عن عاصم على البناء للمفعول عطفا على حرمت ما وراء ذلكم ما سوى المحرمات الثمان المذكورة
وخص عنه بالسنة ما في معنى المذكورات كسائر محرمات الرضاع والجمع بين المرأة
وعمتها وخالتها ان تبتغوا باموالكم محصنين غير مسافحين مفعول له والمعنى احل
لكم ما وراء ذلكم ارادة ان تبتغوا باموالكم بالصرف في مهورهن او اثمانهن في حال
كونكم محصنين غير مسافحين ويجوز ان لا يقدر مفعول تبتغوا وكانه قيل ارادة ان تصرفوا
اموالكم محصنين غير مسافحين او بدل من ما وراء ذلكم بدل الاشتمال واحتج به الحنفية

على ان

على ان المهر لا بد وان يكون مالا ولا حجة فيه والاحصان العفة فانها تحصين للنفس
عن اللوم والعقاب والسفاح الزنا من السفح وهو صب المني فانه الغرض منه
فما استمتعتم به منهن فمن تمتعتم به من المنكوحات او فما استمتعتم به منهن
من جماع او عقد عليهن فآتوهن اجورهن مهورهن فان المهر في مقابلة الا
ستمتاع فريضة حال من الاجور بمعنى مفروضة او صفة مصدر محذوف اي ايتاء مفرو
ضا او مصدر مؤكد ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة فيما يزاد على
المسمى او يحط عنه بالتراضي او فيما تراضيا به من نفقة او مقام او فراق وقيل
نزلت الآية في المتعة التي كانت ثلثة ايام حين فتحت مكة ثم نسخت كما روي انه عليه
السلام اباحها ثم اصبح يقول يا ايها الناس اني كنت امرتكم بالاستمتاع من هذه النساء
الا ان الله حرم ذلك الى يوم القيامة وهي النكاح الموقت بوقت معلوم سمي به اذ الغرض
منه مجرد الاستمتاع بالمراة وتمتعها بما يعطى وجوزها ابن عباس ثم رجع عنه ان الله عليما
بالمصالح حكيما فيما يشرع من الاحكام ومن لم يستطع منكم طولا غنى واعتلاء واصله
الفضل والزيادة ان ينكح المحصنات المؤمنات في موضع النصب بطولا او بفعل مقدر
صفة له ومن لم يستطع منكم ان يعتلي نكاح المحصنات او من لم يستطع غنى يبلغ به نكاح
المحصنات يعني الحراير لقوله فمما ملكت ايمانكم من فتياتكم المؤمنات يعني الاماء المؤمنات
وظاهر الآية حجة للشافعي في تحريم نكاح الامة على من ملك ما يجعله صداق حرة ومنع
نكاح الامة الكتابية مطلقا واول ابو حنيفة طول المحصنات بان يملك فراشهن
على ان النكاح هو الوطي وحمل قوله من فتياتكم المؤمنات على الافضل كما حمل عليه في قوله
المحصنات المؤمنات من حمله ايضا على التقييد وجوز نكاح الامة لمن قدر على الحرة الكتابية
دون المؤمنة حذرا عن مخالطة الكفار وموالاتهم والمحذور في نكاح الامة رق الولد
وما فيه من المهانة ونقصان حق الزوج والله اعلم بايمانكم فاكتفوا بظاهر الا
يمان فانه العالم بالسرائر او بتفاضل ما بينكم في الايمان فرب امة تفضل الحرة فيه ومن
حقكم ان تعتبروا فضل الايمان لا فضل النسب والمراد تانيسهم بنكاح الاماء ومنعهم

عن الاستنكاف منه ويؤيده بعضكم من بعض انتم وارقاءكم متناسبون فنسبكم من
آدم ودينكم الاسلام فانكحوهن باذن اهلهن يريد اربابهن واعتبار اذنهم مطلقا لا
اشعار له على ان لهن ان يباشرن العقد بانفسهن حتى يحتج به الحنفية وآتوهن اجورهن
اي ادوا اليهن مهورهن باذن اهلهن فحذف ذلك لتقدم ذكره او الى مواليهن فحذف المضاف
للعلم فان المهر للسيد لانه عوض حقه فيجب ان يؤدى اليه وقال مالك المهر للامة
ذهابا الى الظاهر بالمعروف بغير مطل وضرار ونقصان محصنات عفائف غير مسافحات غير
مجاهرات بالسفاح ولا متخذات اخدان اخلاء في السر فاذا احصن بالتزويج وقرا ابو بكر
وحمزة والكسائي بفتح الهمزة والباقون بضم الهمزة وكسر الصاد فان اتين بفاحشة زنا
فعليهن نصف ما على المحصنات يعني الحرائر من العذاب من الحد لقوله وليشهد عذابهما طائفة من
المؤمنين وهو يدل على ان حد العبد نصف حد الحر وانه لا يرجم لان الرجم لا يتنصف ذلك
اي نكاح الاماء لمن خشي العنت منكم لمن خاف الوقوع في الزنا وهو في الاصل انكسار العظم
بعد الجبر مستعار لكل مشقة وضرر ولا ضرر اعظم من مواقعة الاثم بافحش القبائح وقيل
المراد به الحد وهذا شرط آخر لنكاح الاماء وان تصبروا خير لكم اي وصبركم عن نكاح الامة
متعففين خير لكم قال عليه السلام الحرائر صلاح البيت والاماء هلاكه والله غفور لمن لم
يصبر رحيم بان رخص له يريد الله ليبين لكم ما تعبدكم به من الحلال والحرام او ما
خفي عليكم من مصالحكم ومحاسن اعمالكم وان يبين مفعول يريد واللام مزيدة لتاكيد معنى
الاستقبال اللازم للارادة كما في قول قيس بن سعد لاجله ويهديكم سنن الذين من قبلكم
مناهج من تقدمكم من اهل الرشد لتسلكوا طريقهم ويتوب عليكم ويغفر لكم ذنوبكم
او يرشدكم الى ما يمنعكم عن المعاصي ويحثكم على التوبة او الى ما يكون كفارة لسيئاتكم والله عليم
بها حكيم في وضعها والله يريد ان يتوب عليكم كرره للتاكيد والمبالغة ويريد الذين يتبعون
الشهوات يعني الفجرة فان اتباع الشهوات الايتمار لها والمتعاطي لما سوغه الشرع منها
دون غيره فهو متبع له في الحقيقة لا لها وقيل المجوس وقيل اليهود فانهم يحلون الا
خوات من الاب وبنات الاخ والاخت ان تميلوا عن الحق ميلا بموافقتهم على اتباع الشهوات

اردت لكيما يعلم الناس انه سراويل قيس والوفود شهود وقيل المفعول محذوف وليبين مفعول له اي يريد الحق

واستحلال

واستحلال المحرمات عظيما بالاضافة الى ميل من اقترف خطيئة على ندور غير مستحل لها
يريد الله ان يخفف عنكم فلذلك شرع لكم الشرعة الحنيفية السمحة السهلة ورخص لكم
في المضايق كاحلال نكاح الامة وخلق الانسان ضعيفا لا يصبر عن الشهوات ولا يتحمل مشاق
الطاعات وعن ابن عباس رضي الله عنهما ثمان آيات في سورة النساء هي خير لهذه الامة
مما طلعت عليه الشمس وغربت هذه الثلث وان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه ان الله
لا يغفر ان يشرك به ان الله لا يظلم مثقال ذرة ومن يعمل سوءا ما يفعل الله بعذابكم يا ايها
الذين آمنوا لا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل بما لم يبحه الشرع كالغصب والربوا و
القمار الا ان تكون تجارة عن تراض منكم استثناء منقطع ولكن كون تجارة عن تراض منكم
غير منهي عنه او اقصدوا كون تجارة وعن تراض صفة لتجارة اي تجارة صادرة عن تراضي
المتعاقدين وتخصيص التجارة من الوجوه التي بها يحل تناول مال الغير لانه اغلب واو
فق لذوي المروات ويجوز ان يراد بها الانتقال مطلقا وقيل المقصود بالنهي المنع عن صرف
المال فيما لا يرضاه الله وبالتجارة صرفه فيما يرضاه وقرا الكوفيون تجارة بالنصب على
كان الناقصة واضمار الاسم اي الا ان تكون التجارة او الجهة تجارة ولا تقتلوا انفسكم
بالبخع كما يفعله جهلة الهند او بالقاء النفس الى التهلكة ويؤيده ما روي ان عمرو بن
العاص تاوله في التيمم لخوف البرد فلم ينكر عليه النبي صلى الله عليه وسلم او بارتكاب ما يؤدي
الى قتلها او باقتراف ما يذللها ويرديها فانه القتل الحقيقي للنفس وقيل المراد بالانفس من كان
من اهل دينهم فان المؤمنين كنفس واحدة جمع في التوصية بين حفظ النفس والمال الذي هو
شقيقتها من حيث انه سبب قوامها استبقاء لهم ريثما يستكمل النفوس وتستوفي فضائلها
رافة بهم ورحمة كما اشار اليه بقوله ان الله كان بكم رحيما اي امر ما امر ونهى ما نهى لفرط
رحمته عليكم معناه انه كان بكم يا امة محمد رحيما لما امر بني اسرائيل بقتل الانفس ونهيكم
عنه ومن يفعل ذلك اشارة الى القتل او ما سبق من المحرمات عدوانا وظلما افراطا في التجاوز
عن الحق واتيانا بما لا يستحقه وقيل اراد بالعدوان التعدي على الغير وبالظلم ظلم النفس
بتعريضها للعقاب فسوف نصليه نارا ندخله اياها وقرئ بالتشديد من صلى وبفتح النون

من صلاه يصليه ومنه شاة مصلية ويصليه بالياء والضمير لله او لذلك من حيث
انه سبب الصلي وكان ذلك على الله يسيرا لا عسر فيه ولا صارف عنه ان تجتنبوا كبائر ما
تنهون عنه كبائر الذنوب التي نهاكم الله ورسوله عنها وقرئ كبير على ارادة الجنس نكفر عنكم سيئا
تكم نغفر لكم صغائركم ونمحها عنكم واختلف في الكبائر والاقرب ان الكبيرة كل ذنب رتب
الشرع حدا او صرح بالوعيد فيه وقيل ما علم حرمته بقاطع وعن النبي عليه السلام انها سبع الا
شراك بالله وقتل النفس التي حرم الله وقذف المحصنة واكل مال اليتيم والربوا والفرار من الزحف
وعقوق الوالدين وعن ابن عباس رضي الله عنهما الكبائر الى سبعمائة اقرب منها الى سبع وقيل
اراد به ههنا انواع الشرك لقوله ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك وقيل صغر الذ
نوب وكبرها بالاضافة الى ما فوقها وما تحتها فاكبر الكبائر الشرك واصغر الصغائر حديث النفس
وبينهما وسائط يصدق عليها الامران فمن عن له امران منها ودعت نفسه اليهما بحيث
لا يتمالك فكفها عن اكبرهما كفر عنه ما ارتكبه لما استحق من الثواب على اجتناب الاكبر
ولعل هذا مما يتفاوت باعتبار الاشخاص والاحوال الا ترى انه تعالى عاتب نبيه في كثير من
خطراته التي لم يعد على غيره خطيئة فضلا ان يؤاخذه عليها وندخلكم مدخلا كريما الجنة وما وعد
من الثواب او ادخالا مع كرامة وقرأ نافع بفتح الميم وهو ايضا يحتمل المكان والمصدر ولا تتمنوا ما
فضل الله به بعضكم على بعض من الامور الدنيوية كالجاه والمال فلعل عدمه خير والمقتضي للمنع كونه
ذريعة الى التحاسد والتعادي معربة عن عدم الرضاء بما قسم الله له وانه تشهي لحصول الشيء
له من غير طلب وهو مذموم لان تمني ما لم يقدر له معارضة لحكمة القدر وتمني ما قدر له بكسب
بطالة وتضييع حظ وتمني ما قدر له بغير كسب ضايع ومحال للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء
نصيب مما اكتسبن بيان لذلك اي لكل من الرجال والنساء فضل ونصيب بسبب ما اكتسب ومن
اجله فاطلبوا الفضل بالعمل لا بالحسد والتمني كما قال عليه السلام ليس الايمان بالتمني وقيل
المراد نصيب الميراث وتفضيل الورثة بعضهم على بعض فيه وجعل ما قسم لكل منهم
على حسب ما عرف من حاله الموجبة للزيادة والنقص كالمكتسب له واسألوا الله من فضله
اي لا تتمنوا ما للناس واسألوا الله مثله من خزائنه التي لا تنفد وهو يدل على ان المنهي هو

الحسد

الحسد او لا تتمنوا واسألوا الله من فضله مما يقربه ويسوقه اليكم ان الله كان بكل شيء عليما
فهو يعلم ما يستحقه كل انسان فيفضل عن علم وتبيان روي ان ام سلمة قالت يا رسول الله يغزو
الرجال ولا نغزو وانما لنا نصف الميراث ليتنا كنا رجالا فنزلت ولكل جعلنا موالي مما
ترك الوالدان والاقربون اي ولكل تركة جعلنا وراثا يلونها ويحرزونها ومما ترك بيان
لكل مع الفصل بالعامل او لكل ميت جعلنا وراثا مما ترك على ان من صلة موالي لانه في معنى
الوراث وفي ترك ضمير كل والوالدان والاقربون استيناف مفسر للموالي وفيه خروج الا
ولاد فان الاقربون لا يتناولهم كما لا يتناول الوالدين او لكل قوم جعلناهم موالي حظ مما ترك
الوالدان والاقربون على ان جعلنا موالي صفة كل والراجع محذوف وعلى هذا فالجملة من مبتدأ
وخبر والذين عقدت ايمانكم موالي الموالاة كان الحليف يورث السدس من مال حليفه
فنسخ بقوله واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض وعن ابي حنيفة رح لو اسلم رجل على يد رجل
وتعاقدا على ان يتعاقلا ويتوارثا صح وورث او الازواج على ان العقد عقد النكاح وهو
مبتدأ ضمن معنى الشرط وخبره فآتوهم نصيبهم او منصوب بمضمر يفسره ما بعده كقولك
زيدا فاضربه او معطوف على الوالدان وقوله فآتوهم جملة مسببة عن الجملة المتقدمة مؤكدة
لها والضمير للموالي وقرأ الكوفيون عقدت بمعنى عقدت عهودهم ايمانكم فحذف العهود
واقيم الضمير المضاف اليه مقامه ثم حذف كما حذف في القراءة الاخرى ان الله كان على
كل شيء شهيدا تهديد على منع نصيبهم الرجال قوامون على النساء يقومون عليهن
قيام الولاة على الرعية وعلل ذلك بامرين موهبي وكسبي فقال بما فضل الله بعضهم
على بعض بسبب تفضيله الرجال على النساء بكمال العقل وحسن التدبير ومزيد القوة
في الاعمال والطاعات ولذلك خصوا بالنبوة والامامة والولاية واقامة الشعائر والشها
دة في مجامع القضايا ووجوب الجهاد والجمعة ونحوهما والتعصيب وزيادة السهم في
الميراث والاستبداد بالفراق وبما انفقوا من اموالهم في نكاحهن كالمهر والنفقة روي
ان سعد بن الربيع احد نقباء الانصار نشزت عليه امرأته حبيبة بنت زيد بن ابي زهير
فلطمها فانطلق بها ابوها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فشكا فقال عليه السلام لتقتص

منه فنزلت فقال اردنا امرا واراد الله امرا والذي اراد الله خير فالصالحات قانتات
مطيعات لله قائمات بحقوق الازواج حافظات للغيب لواجب الغيب اي يحفظن
في غيبة الازواج ما يجب حفظه في النفس والمال وعنه عليه السلم خير النساء امراة
ان نظرت اليها سرتك وان امرتها اطاعتك واذا غبت عنها حفظتك في مالها ونفسها
وتلا الآية وقيل لاسرارهم بما حفظ الله بحفظ الله اياهن بالامر على حفظ الغيب والحث
عليه بالوعد والوعيد والتوفيق له او بالذي حفظه الله لهن عليهم من المهر والنفقة
والقيام بحفظهن والذب عنهن وقرئ بما حفظ الله بالنصب على ان ما موصولة فانها
لو كانت مصدرية لم يكن لحفظ فاعل والمعنى بالامر الذي حفظ حق الله واطاعته وهو
التعفف والشفقة على الرجال واللاتي تخافون نشوزهن عصيانهن وترفعهن
عن مطاوعة الازواج من النشز فعظوهن وامنعوهن واهجروهن في المضاجع في المراقد فلا
تدخلوهن تحت اللحف او لا تباشروهن فيكون كناية عن الجماع وقيل المضاجع المبا
يت اي لا تبايتوهن واضربوهن يعني ضربا غير مبرح ولا شائن والامور الثلثة مترتبة ينبغي
ان يدرج فيها فان اطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا بالتوبيخ والايذاء والمعنى فازيلوا
عنهن التعرض واجعلوا ما كان منهن كان لم يكن فان التايب من الذنب كمن لا ذنب له
ان الله كان عليا كبيرا فاحذروه فانه اقدر عليكم منكم على من تحت ايديكم وانه
على علو شانه يتجاوز عن سيئاتكم ويتوب عليكم وانتم احق بالعفو عن ازواجكم وانه يتعالى
وكبيران يظلم احدا وينقص حقه وان خفتم شقاق بينهما خلافا بين المرء وزوجه اضمرهما
وان لم يجر ذكرهما لجري ما يدل عليهما واضافة الشقاق الى الظرف اما لاجرائه مجرى
المفعول به كقوله يا سارق الليلة او الفاعل كقولهم نهارك صائم فابعثوا حكما من اهله
وحكما من اهلها فابعثوا ايها الحكام متى اشتبه عليكم حالهما لتبيين الامر واصلاح
ذات البين رجلا وسطا يصلح للحكومة والاصلاح من اهله واخر من اهلها فان الاقارب
اعرف ببواطن الاحوال واطلب للصلاح وفي هذا وجه الاستحباب فلو نصبا من الاجانب
جاز وقيل الخطاب للازواج والزوجات واستدل به على جواز التحكيم والاظهر

ان التصب الاصلاح ذات البين او لتبين الامر ولا يليان الجمع والتفريق الا باذن
الزوجين وقال مالك لهما ان يتخالعا ان وجدا الصلاح فيه ان يريدا اصلاحا يوفق
الله بينهما الضمير الاول للحكمين والثاني للزوجين اي ان قصد الاصلاح اوقع الله بحسن
سعيهما الموافقة بين الزوجين وقيل كلاهما للحكمين اي ان قصد الاصلاح يوفق
الله بينهما لتتفق كلمتهما ويحصل مقصودهما وقيل للزوجين اي ان اراد الاصلاح و
زوال الشقاق وقع الله بينهما الالفة والوفاق وفيه تنبيه على ان من اصلح نيته
فيما بينه وبين ربه اصلح الله مبتغاه ان الله كان عليما خبيرا بالظواهر والبواطن فيعلم كيف
يرفع الشقاق ويوقع الوفاق واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا صنما وغيره وشيئا
من الاشراك جليا وخفيا وبالوالدين احسانا واحسنوا بهما احسانا وبذي القربى
حب القرابة واليتامى والمساكين والجار ذي القربى الذي قرب جواره وقيل الذي له مع الجوار قرب
واتصال بنسب او دين وقرئ بالنصب على الاختصاص تعظيما لحقه والجار الجنب
البعيد او الذي لا قرابة له وعنه عليه السلم الجيران ثلثة فجار له ثلثة حقوق حق
الجوار وهو المشرك من اهل الكتاب والصاحب بالجنب الرفيق في امر حسن كتعلم
وتصرف وصناعة وسفر فانه صحبك وحصل بجنبك وقيل المراة وابن السبيل
المسافر او الضيف وما ملكت ايمانكم العبيد والاماء ان الله لا يحب من كان مختالا
متكبرا يأنف عن اقاربه وجيرانه واصحابه ولا يلتفت اليهم فخورا يتفاخر عليهم
الذين يبخلون ويامرون الناس بالبخل بدل من قوله من كان او نصب على الذم او رفع عليه
اي هم الذين او مبتدا خبره محذوف تقديره الذين يبخلون بما امنحوا به ويامرون الناس
بالبخل به احقاء بكل ملامة وقرا حمزة والكسائي ههنا وفي الحديد بالبخل بفتح الحرفين
وهما لغة ويكتمون ما آتيهم الله من فضله الغنى والعلم واعتدنا للكافرين عذابا مهينا
وضع الظاهر فيه موضع المضمر اشعارا بان من هذا شانه فهو كافر لنعمة الله ومن كان
كافرا لنعمته فله عذاب يهينه كما اهان النعمة بالبخل والاخفاء والآية نزلت في طائفة

وحق القرابة وحق الاسلام وجار له حقان حق الجوار وحق الاسلام وجار له حق واحد حق الجوار

من اليهود كانوا يقولون للانصار تشحا لا تنفقوا اموالكم فانا نخشى عليكم الفقر وقيل في
الذين كتموا صفة محمد صلى الله عليه وسلم والذين ينفقون اموالهم رياء الناس
عطف على الذين يبخلون او الكافرين وانما شاركهم في الذم والوعيد لان البخل والسرف الذى
هو الانفاق لا على ما ينبغي من حيث انهما طرفا تفريط وافراط سواء في القبح واستجلاب الملام
او مبتدأ خبره محذوف مدلول عليه بقوله ومن يكن الشيطان ولا يؤمنون بالله ولا باليوم
اليوم الآخر ليتخرجوا بالانفاق مراضيه وثوابه وهم مشركو مكة وقيل المنافقون ومن يكن
الشيطان له قرينا فساء قرينا تنبيه على ان الشيطان قرنهم فحملهم على ذلك وزينه
لهم كقوله ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين والمراد بابليس واعوانه الداخلة والخارجة
ويجوز ان يكون وعيدا لهم بان يقرن لهم الشيطان في النار وماذا عليهم لو امنوا بالله
واليوم الآخر وانفقوا مما رزقهم الله اي وما الذى عليهم واى تبعة تحيق بهم بالايمان
والانفاق في سبيل الله وهو توبيخ لهم على الجهل بمكان المنفعة والاعتقاد في الشئ على خلاف
ما هو عليه وتحريض على الفكر لطلب الجواب لعله يؤدى بهم الى العلم بما فيه من الفوايد الجليلة
والعوايد الجميلة وتنبيه على ان المدعو الى مرضاة فيه ينبغي ان يجيب اليه احتياطا فكيف
اذا تضمن المنافع وانما قدم الايمان ههنا واخره في الآية الاخرى لان القصد بذكره الى التخصيص
ههنا والتعليل ثمة وكان الله بهم عليما وعيد لهم ان الله لا يظلم مثقال ذرة لا ينقص من
الاجر ولا يزيد في العقاب صغر شئ كالذرة وسمى النملة الصغيرة ويقال لكل جزء من اجزاء
الهباء والمثقال مفعال من الثقل وفي ذكر ايتاء الى آله وان صغر قدر عظم جزاءه وان
تك حسنة وان تكن مثقال الذرة حسنة وانث الضمير لتانيث الخبر او لاضافة
المثقال الى مؤنث وحذف النون من غير قياس تشبيها بحروف العلة وقرا ابن كثير
ونافع حسنة بالرفع على كان التامة يضاعفها يضاعف ثوابها وقرا ابن كثير وابن عامر
ويعقوب يضعفها وكلاهما بمعنى ويؤت من لدنه ويعط صاحبها من عنده على سبيل
التفضل زائدا على ما وعد في مقابلة العمل اجرا عظيما عطاء جزيلا وانما سماه اجرا لانه تابع للاجر مزيد عليه فكيف اذا جئنا من كل امة بنبيها فكيف حال هؤلاء الكفرة من اليهود

وغيرهم اذا جئنا من كل امة بشهيد يعني نبيهم يشهد على فساد عقايدهم وقبح اعمالهم
والعامل في الظرف مضمون المبتدأ والخبر من هول الامر وتعظيم الشان وجئنا بك يا محمد
على هؤلاء شهيدا تشهد على صدق هؤلاء الشهداء لعلمك على عقايدهم واستجماع
شرعك بجامع قواعدهم وقيل هؤلاء اشارة الى الكفرة المستفهم عن حالهم وقيل الى
المؤمنين لقوله تعالى لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا يومئذ يود
الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم بيان لحالهم حينئذ اى يود الذين جمعوا بين
الكفر وعصيان الامر والكفرة والعصاة في ذلك الوقت ان يدفنوا فتسوى بهم الارض
كالموتى او لم يبعثوا ولم يخلقوا وكانوا هم والارض سواء ولا يكتمون الله حديثا ولا يقدرون
كتمانه لان جوارحهم تشهد عليهم وقيل الواو للحال اى يودون ان تسوى بهم الارض
وحالهم انهم لا يكتمون الله حديثا ولا يكذبونه بقولهم والله ربنا ما كنا مشركين اذ روى
انهم اذا قالوا ذلك ختم الله على افواههم فيشهد عليهم جوارحهم فيستبين الامر عليهم
فيتمنون ان تسوى بهم الارض وقرا نافع وابن عامر تسوى على ان اصله تتسوى فادغم
التاء في السين وحمزة والكسائي تسوى على حذف التاء الثانية يقال سويته فتسوى
يا ايها الذين آمنوا لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون
لا تقوموا اليها وانتم سكارى من نحو نوم او خمر حتى تتبهوا وتعلموا ما تقولون في صلوتكم روى ان عبد الرحمن بن عوف صنع مأدبة ودعى نفرا من الصحابة فجين كانت
الخمر مباحة فاكلوا وشربوا حتى ثملوا وجاء وقت صلوة المغرب فتقدم احدهم ليصلي
بهم فقرا اعبدما تعبدون فنزلت وقيل اراد بالصلوة مواضعها وهي المساجد وليس
المراد منه نهي السكران عن قربان الصلوة وانما المراد النهي عن الافراط في الشرب والسكر
من السكر وهو الشد وقرئ سكارى بالفتح وسكرى على انه جمع كهلك او مفرد بمعنى
وانتم قوم سكرى وسكرى كجبلى على انها صفة الجماعة ولا جنبا عطف على قوله
وانتم سكارى اذ الجملة في موضع النصب على الحال والجنب الذى اصابه الجنابة يستوى
فيه المذكر والمؤنث والواحد والجمع لانه مجرى مجرى المصدر الا عابري سبيل متعلق بقوله

ولا جنبا استثناء من اعم الاحوال اى لا تقربوا الصلوة جنبا في عامة الاحوال الا في السفر
وذلك اذا لم يجد الماء وتيمم ويشهد له تعقيبه بذكر التيمم او صفة لقوله جنبا اي جنبا
غير عابري سبيل وفيه دليل على ان التيمم لا يرفع الحدث ومن فسر الصلوة بمواضعها
فسر عابري سبيل بالمجتازين فيها وجوز للجنب عبور المسجد وبه قال الشافعي رحمه وقال ابو حنيفة
رحمه لا يجوز له المرور في المسجد الا اذا كان فيه الماء او الطريق حتى تغتسلوا غاية النهي
عن القربان حال الجنابة وفي الاية تنبيه على ان المصلي ينبغي ان يتحرز عما يلهيه
ويشغل قلبه ويزكي نفسه عما يجب تطهيرها عنه وان كنتم مرضى مرضا يخاف
معه عن استعمال الماء فان الواجد له كالفاقد او مرضا يمنعه عن الوصول اليه
او على سفر لا تجدونه فيه او جاء احد منكم من الغائط فاحدث بخروج الخارج من احد
السبيلين واصل الغائط المطمئن من الارض او لامستم النساء او ما مسستم بشرتهن
ببشرتكم وبه استدل الشافعي على ان اللمس ينقض الوضوء وقيل او جامعتموهن
وقرأ حمزة والكسائي ههنا وفي المائدة لمستم واستعماله كناية عن الجماع اقل من الملامسة
فلم تجدوا ماء يريد فلم يتمكنوا من استعماله اذ الممنوع عنه كالمفقود ووجه هذا
التقسيم ان المترخص بالتيمم اما محدث او جنب والحال المقتضية له في غالب الامر مرض
او سفر والجنب لما سبق ذكره اقتصر على بيان حاله والمحدث لما لم يجر ذكره ذكر اسبابه
ما يحدث بالذات وما بالعرض واستغنى عن تفصيل احواله بتفصيل حال الجنب وبيان
العذر مجملا فكانه قيل وان كنتم جنبا مرضى او على سفر او محدثين جئتم من الغائط او لا
مستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وايديكم
اى فتعمدوا شيئا من وجه الارض طاهرا ولذلك قالت الحنفية لو ضرب المتيمم يده على
حجر صلد ومسح اجزاءه وقال اصحابنا لا بد وان يعلق باليد شيء من التراب لقوله في المائدة
فامسحوا بوجوهكم وايديكم منه اى من بعضه وجعل من لابتداء الغاية تعسف اذ
لا يفهم من نحو ذلك الا التبعيض واليد اسم العضو الى المنكب وما روى انه عليه السلم
تيمم ومسح يديه الى مرفقيه والقياس على الوضوء دليل على ان المراد ههنا وايديكم الى

المرافق

المرافق ان الله كان عفوا غفورا فلذلك يسر الامر عليكم ورخص لكم الم تر
الى الذين اوتوا من رؤية البصر اي الم تنظر اليهم او القلب وعدي بالى لتضمن معنى
الانتهاء نصيبا من الكتاب حظا يسيرا من علم التورية لان المراد احبار اليهود يشترون
الضلالة يختارونها على الهدى او يستبدلونها به بعد تمكنهم منه او حصوله لهم بانكار نبوة محمد
عليه السلم وقيل يأخذون الرشى ويحرفون التورية ويريدون ان تضلوا ايها المؤمنون
السبيل سبيل الحق والله اعلم منكم باعدائكم وقد اخبركم بعداوة هؤلاء وبما يريدون بكم فاحذ
روهم وكفى بالله وليا يلي امركم وكفى بالله نصيرا يعينكم فثقوا عليه واكتفوا به
عن غيره والباء تزاد في فاعل كفى ليؤكد الاتصال الاسنادي بالاتصال الاضافي من الذين
هادوا بيان للذين اوتوا نصيبا فانه يحتملهم وغيرهم وما بينهما اعتراض او بيان لاعدا
ئكم او صلة لنصيرا اى ينصركم من الذين هادوا ويحفظكم منه او خبر محذوف صفته يحر
فون الكلم عن مواضعه اى من الذين هادوا قوم يحرفون الكلم اى يميلونه عن مواضعه
التي وضعه الله فيها بازالته عنها واثبات غيره فيها او يأولونها على ما يشتهون فيميلونه عما
انزل الله فيه وقرئ الكلم بكسر الكاف وسكون اللام جمع كلمة ويقولون سمعنا قولك
وعصينا امرك واسمع غير مسمع اى مدعوا عليك بلا سمعت بصمم او موت او اسمع غير
مجاب الى ما تدعو اليه او اسمع غير مسمع كلاما ترضاه او اسمع كلاما غير مسمع اياك لان
اذنك تنبو عنه فيكون مفعولا به او اسمع غير مسمع مكروها من قولهم اسمعه فلان اذا
سبه وانما قالوه نفاقا وراعنا انظرنا نكلمك او نفهم كلامك ليا بالسنتهم فتلا بها وصرفا
للكلام الى ما يشبه السب حيث وضعوا راعنا المشابه لما يتسابون به موضع انظرنا وغير مسمع
موضع لا اسمعت مكروها او فتلا بها وضما ما يظهرون من الدعاء والتوقير الى ما يضمرون من السب
والتحقير نفاقا وطعنا في الدين استهانة وسخرية ولو انهم قالوا سمعنا واطعنا واسمع وا
نظرنا ولو ثبت قولهم هذا مكان ما قالوه لكان خيرا لهم واقوم لكان قولهم ذلك خيرا لهم
واعدل وانما يجب حذف الفعل بعد لو في مثل ذلك لدلالة ان عليه ووقوعه موقعه ولكن
لعنهم الله بكفرهم ولكن خذلهم وابعدهم عن الهدى بسبب كفرهم فلا يؤمنون الا

ارتكب ما يستحقرون به الآثام وهو اشارة الى المعنى الفارق بينه وبين سائر الذنوب والافتراء
كما يطلق على القول يطلق على الفعل وكذلك الاختلاق الم تر الى الذين يزكون انفسهم يعني اهل الكتاب
قالوا نحن ابناء الله واحباؤه وقيل ناس من اليهود جاؤا باطفالهم الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقالوا لهل على هؤلاء ذنب قال لا قالوا والله ما نحن الا كهيئتهم ما عملنا بالنهار كفر عنا
بالليل وما عملنا بالليل كفر عنا بالنهار وفي معناهم من زكى نفسه واثنى عليها بل الله يزكي
من يشاء تنبيه على ان تزكيته هو المعتد به دون تزكية غيره فانه العالم بما ينطوي عليه
الانسان من حسن وقبيح وقد ذمهم وذكى المرتضين من عباده المؤمنين واصل التزكية
نمو ما يستقبح فعلا وقولا ولا يظلمون بالذم والعقاب على تزكيتهم انفسهم بغير حق فتيلا
ادنى ظلم واصغره وهو الخيط الذي في شق النواة يضرب به المثل في الحقارة انظر كيف يفترون
على الله الكذب في زعمهم انهم ابناء الله وازكياء عنده وكفى به بزعمهم هذا او
بالافتراء اثما مبينا لا يخفى كونه ما ثما من بين آثامهم الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب
يؤمنون بالجبت والطاغوت نزلت في يهود كانوا يقولون ان عبادة الاصنام ارضى عند
الله مما يدعوا اليه محمد وقيل في حيي بن اخطب وكعب بن الاشرف في جمع من اليهود
خرجوا الى مكة يحالفون قريشا على محاربة رسول الله فقالوا انتم اهل كتاب وانتم اقرب
الى محمد منكم الينا فلا نامن مكركم فاسجدوا لالهتنا حتى نطمئن اليكم ففعلوا والجبت في الاصل
لاسم صنم فاستعمل في كل ما عبد من دون الله وقيل اصله الجبس وهو الذي لا خير فيه
فقلبت سينه تاء والطاغوت يطلق لكل باطل من معبود او غيره ويقولون للذين كفروا
لاجلهم وفيهم هؤلاء اشارة اليهم اهدى من الذين آمنوا سبيلا اقوم دينا واوضح طريقا
اولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا يمنع عنه بشفاعة او غيرها
ام لهم نصيب من الملك ام منقطعة ومعنى الهمزة انكار ان يكون لهم نصيب من
الملك وجحد لما زعمت اليهود من ان الملك سيصير اليهم فاذا لا يؤتون الناس نقيرا
اي لو كان لهم نصيب من الملك فاذا لا يؤتون احدا ما يوازي نقيرا وهو النقرة في ظهر النواة
وهذا هو الاغراق في بيان شحهم فانهم بخلوا بالنقير وهم ملوك فما ظنك بهم اذا كانوا

ارتكب

قليلا اي الا ايمانا قليلا لا يعباء به وهو الايمان ببعض الآيات والرسل ويجوز ان يراد بالقلة
العدم كقوله قليل التشكي لهمّ يصيبه او الا قليلا منهم آمنوا وسيؤمنون يا ايها
الذين اوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقا لما معكم من قبل ان نطمس وجوها فنردها
على ادبارها من قبل ان نمحو تخطيط صورها ونجعلها على هيئة ادبارها يعني الاقفاء
او نتكسها الى وراء يها في الدنيا او في الآخرة واصل الطمس ازالة الاعلام المائلة وقد يطلق بمعنى
الطمس في ازالة الصورة ولمطلق القلب والتغيير ولذلك قيل معناه من قبل ان تغير وجوهها فنسلب وجاهتها واقبالها ونكسوها الصغار والادبار او نردها الى حيث جاءت
منه وهي اذرعات الشام يعني اجلاء بني النضير ويقرب منه قول من قال ان المراد بالوجوه
الرؤساء او من قبل ان نطمس وجوها بان نعمي الابصار عن الاعتبار ونصمّ الاسماع عن الاصغاء
الى الحق بالطبع ونردها عن الهداية الى الضلالة او نلعنهم كما لعنا اصحاب السبت ونخزيهم
بالمسخ كما اخزينا به اصحاب السبت او نلعنهم على لسانك كما لعنا هم على لسان داود
والضمير لاصحاب الوجوه او للذين على طريقة الالتفات او للوجوه ان اريد بها الوجهاء وعطفه
على الطمس بالمعنى الاول يدل على ان المراد به ليس مسخ الصورة في الدنيا ومن حمل الوعيد
على تغيير الصورة في الدنيا قال انه بعد مترقب وكان وقوعه مشروطا بعدم ايمانهم
وقد آمن منهم طائفة وكان امر الله بايقاع شيء او وعيده او ما حكم به وقضاه مفعولا
نافذا او كائنا فيقع لا محالة ما اوعدتم به ان لم تؤمنوا ان الله لا يغفر ان يشرك به لانه
يبتّ الحكم على خلود عذابه وكان ذنبه لا يمحى عنه اثر فلا يستتبع العفو بخلاف غيره
ويغفر ما دون ذلك اي ما دون الشرك صغيرا او كبيرا لمن يشاء تفضلا عليه واحسانا
واول المعتزلة الفعلين على معنى ان الله لا يغفر الشرك لمن يشاء وهو من لم يتب ويغفر
ما دونه لمن يشاء وهو من تاب وفيه تقييد بلا دليل اذ ليس عموم آيات الوعيد با
لحافظة اولى من نقض لمذهبهم فان تعليق الامر بالمشية ينافي وجوب التعذيب
قبل التوبة والصفح بعدها فالآية كما هي حجة عليهم فهي حجة على الخوارج الذين زعموا
ان كل ذنب شرك وان صاحبه خالد في النار ومن يشرك بالله فقد افترى اثما عظيما

ارتكب

متفاقرين ويجوز ان يكون المعنى انكار انهم اوتوا نصيبا من الملك على الكناية وانهم لا يؤتون
الناس شيئا واذن اذا وقع بعد الواو والفاء لا لتشريك مفرد جاز فيه الالغاء والاعمال ولذلك
قرئ فاذا لا يؤتوا على النصب ام يحسدون الناس بل ايحسدون رسول الله واصحابه او
العرب والناس جميعا لان من حسد على النبوة فكانما حسد الناس كلهم كمالهم ورشدهم
وبخهم وانكر عليهم الحسد كما ذمهم على البخل وهما شر الرذائل وكان بينهما تلازما وتجاذبا
على ما اتيهم الله من فضله يعني النبوة والكتاب والنصرة والاعزاز او جعل النبي الموعود
منهم فقد آتينا آل ابرهيم الذين هم اسلاف محمد وابناء عمه الكتاب والحكمة النبوة
وآتيناهم ملكا عظيما فلا يبعد ان يؤتيه الله مثل ما آتاهم فمنهم من اليهود من آمن به
بمحمد او بما ذكر من حديث آل ابراهيم ومنهم من صد عنه اعرض عنه ولم يؤمن به وقيل
معناه فمن آل ابرهيم من آمن به ومنهم من كفر ولم يكن في ذلك توهين امره فكذا لا
يوهن كفر هؤلاء امرك وكفى بجهنم سعيرا نارا مسعورة يعذبون بها اي ان لم تعجلوا بالعقوبة
فقد كفاهم ما اعد لهم من سعير جهنم ان الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم نارا
كالبيان والتقرير لذلك كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها بان يعاد ذلك
الجلد بعينه على صورة اخرى كقولك بدلت الخاتم قرطا او بان يزال عنه اثر الاحراق ليعود
احساسه للعذاب كما قال ليذوقوا العذاب اي ليدوم لهم ذوقه وقيل يخلق مكانه
جلد آخر والعذاب في الحقيقة للنفس العاصية المدركة لا لآلة ادراكها فلا محذور
ان الله كان عزيزا لا يمتنع عليه ما يريده حكيما يعاقب على وفق حكمته والذين آمنوا و
عملوا الصالحات سندلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا
قدم ذكر الكفار ووعيدهم على ذكر المؤمنين ووعدهم لان الكلام فيهم وذكر المؤمنين
بالعرض لهم فيها ازواج مطهرة وندخلهم ظلا ظليلا فينانا لا جوب فيه ودائما لا
ينسخه الشمس وهو اشارة الى النعم التامة الدائمة والظليل صفة مشتقة من الظل
لتاكيده كقولهم شمس شامس وليل اليل ويوم ايوم ان الله يامركم ان تؤدوا الامانات
الى اهلها خطاب يعم المكلفين والامانات وان نزلت يوم الفتح في عثمان بن طلحة بن عبد الدار

لما اغلق باب الكعبة وابى ان يدفع المفتاح ليدخل فيها وقال لو علمت انه رسول الله لم امنعه
فلوى علي يده واخذ منه فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلى ركعتين فلما خرج سأله
العباس ان يعطيه المفتاح ويجمع له السقاية والسدانة وامره الله ان يرد اليه فامر عليا
ان يرد ويعتذر اليه وصار ذلك سببا لاسلامه ونزول الوحي بان السدانة في اولاده ابدا
واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل اي وان تحكموا بالانصاف والسوية اذا قضيتم
بين من ينفذ عليه امركم او يرضى بحكمكم ولان الحكم وظيفة الولاة قيل الخطاب لهم
ان الله نعما يعظكم به اي نعم شيئا يعظكم به او نعم الشيء الذي يعظكم به فما منصوبة
بيعظكم او مرفوعة موصولة والمخصوص بالمدح محذوف وهو المامور به من اداء الامانات والعدل
في الحكومات ان الله كان سميعا بصيرا باقوالكم واحكامكم وما تفعلون في الامانات يا ايها
الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم يريد بهم امراء المسلمين
في عهد الرسول وبعده ويندرج فيهم الخلفاء والقضاة وامراء السرية امر الناس بطاعتهم
بعد ما امرهم بالعدل تنبيها على ان وجوب طاعتهم ما داموا على الحق وقيل علماء الشرع
لقوله تعالى ولو ردوه الى الرسول والى اولي الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم
فان تنازعتم انتم واولو الامر منكم في شيء من امور الدين وهو يؤيد الوجه الاول اذ ليس للمقلد
ان ينازع المجتهد في حكمه بخلاف المرؤس الا ان يقال الخطاب لاولي الامر على طريقة الا
لتفات فردوه فراجعوا فيه الى الله الى كتابه والرسول بالسؤال عنه في زمانه
والمراجعة الى سنته بعده واستدل به منكروا القياس وقالوا انه تع اوجب رد المختلف
الى الكتاب والسنة دون القياس واجيب بان رد المختلف الى المنصوص عليه
انما يكون بالتمثيل والبناء عليه وهو القياس ويؤيد ذلك الامر به بعد الامر بطاعة
الله وطاعة الرسول فانه يدل على ان الاحكام ثلثة مثبت بالكتاب ومثبت بالسنة
ومثبت بالرد اليهما على وجه القياس ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر فان الايمان
يوجب ذلك اي الرد خير لكم واحسن تاويلا عاقبة او احسن تاويلا من تاويلكم بلا رد
الم تر الى الذين يزعمون انهم آمنوا بما انزل اليك وما انزل من قبلك يريدون

ان يتحاكموا الى الطاغوت عن ابن عباس ان منافقا خاصم يهوديا فدعاه اليهودي الى
النبي صلى الله عليه وسلم ودعاه المنافق الى كعب بن الاشرف ثم انهما احتكما الى رسول الله فحكم لليهودي
فلم يرض بقضائه وخاصم اليك فقال عمر للمنافق اكذلك فقال نعم فقال مكانكما حتى
اخرج اليكما فدخل فاخذ سيفه ثم خرج فضرب به عنق المنافق حتى برد وقال هكذا
اقضي لمن لم يرض بقضاء الله ورسوله فنزلت وقال جبريل ان عمر فرق بين الحق والباطل
فسمي الفاروق والطاغوت على هذا كعب بن الاشرف وفي معناه من يحكم بالباطل
ويؤثر لاجله سمي بذلك لفرط طغيانه او لتشبيهه بالشيطان او لان التحاكم اليه تحاكم
الى الشيطان من حيث انه الحامل عليه كما قال وقد امروا ان يكفروا به ويريد الشيطان
ان يضلهم ضلالا بعيدا وقرئ ان يكفروا بها على ان الطاغوت جمع لقوله اولياؤهم
الطاغوت يخرجونهم واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول وقرئ تعالوا
بضم اللام على انه حذف لام الفعل اعتباطا ثم ضم اللام لواو الضمير رايت المنافقين يصدون
عنك صدودا هو مصدر او اسم للمصدر الذي هو الصد والفرق بينه وبين السد
انه غير محسوس ويصدون في موقع الحال فكيف يكون حالهم اذا اصابتهم مصيبة
كقتل عمر المنافق او النقمة من الله بما قدمت ايديهم من التحاكم الى غيرك وعدم الرضا
بحكمك ثم جاؤك حين يصابون للاعتذار عطف على اصابتهم وقيل على يصدون وما
بينهما اعتراض يحلفون بالله حال ان اردنا الا احسانا وتوفيقا ما اردنا بذلك الا الفصل
بالوجه الاحسن والتوفيق بين الخصمين ولم نرد مخالفتك وقيل جاء اصحاب القتيل
طالبين بدمه وقالوا ما اردنا بالتحاكم الى عمر الا ان يحسن الى صاحبنا ويوفق بينه وبين
خصمه اولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم من النفاق فلا يغني عنهم الكتمان والحلف الكا
ذب من العقاب فاعرض عنهم اي عن عقابهم لمصلحة في استبقائهم او عن قبول معذ
رتهم وعظهم بلسانك وكفهم عما هم عليه وقل لهم في انفسهم اي في معنى انفسهم
او خاليا بهم فان النصح في السر انجع يبلغ المراد منهم ويؤثر فيهم امره بالتجافي عن ذنوبهم
والنصح لهم والمبالغة فيه بالترغيب والترهيب وذلك مقتضى شفقة الانبياء

والسد محسوس

قولا بليغا

وتعليق

وتعليق الظرف ببليغا على معنى بليغا في انفسهم مؤثرا فيها ضعيف لان معمول الصفة
لا يتقدم الموصوف والقول البليغ في الاصل هو الذي يطابق مدلوله المقصود به وما
ارسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله بسبب اذنه في طاعته وامره المبعوث اليهم
بان يطيعوه وكانه احتج بذلك على ان الذي لم يرض بحكمه وان اظهر الاسلام كان كافرا
مستوجب القتل وتقريره ان ارسال الرسل لما لم يكن الا ليطاع كان من لم يطعه ولم
يرض بحكمه لم يقبل رسالته ومن كان كذلك كان كافرا مستوجب القتل ولو انهم اذ
ظلموا انفسهم بالنفاق او التحاكم الى الطاغوت جاؤك تائبين من ذلك وهو خبر
ان واذ متعلق به فاستغفروا الله بالتوبة والاخلاص واستغفر لهم الرسول
واعتذروا اليك حتى انتصبت لهم شفيعا وانما عدل عن الخطاب تفخيما لشانه وتنبيها
على ان من حق الرسول ان يقبل اعتذار التائب وان عظم جرمه ويشفع له ومن
منصبه ان يشفع في كبائر الذنوب لوجدوا الله توابا رحيما لعلموه قابلا لتوبتهم
متفضلا عليهم بالرحمة وان فسر وجد بصادف كان توابا حالا ورحيما بدلا منه او حالا
من الضمير فيه فلا وربك اي فوربك ولا مزيدة لتاكيد القسم لا لتظاهر لا في قوله لا
يؤمنون لانها تزاد ايضا في الاثبات كقوله تعالى لا اقسم بهذا البلد حتى يحكموك فيما شجر
بينهم فيما اختلف بينهم واختلط ومنه الشجر لتداخل اغصانه ثم لا يجدوا في
انفسهم حرجا مما قضيت ضيقا مما حكمت به او من حكمك او شكا من اجله فان
الشاك في ضيق من امره ويسلموا تسليما وينقادوا لك انقيادا بظاهرهم وباطنهم
ولو انا كتبنا عليهم ان اقتلوا انفسكم تعرضوا بها للقتل بالجهاد او اقتلوها كما قتل
بنو اسرائيل وان مصدرية او مفسرة لان كتبنا بمعنى امرنا او اخرجوا من دياركم خروجهم
حين استتيبوا من عبادة العجل وقرا ابو عمرو ويعقوب ان اقتلوا بكسر النون على اصل التحريك
او اخرجوا بضم الواو للاتباع والتشبيه بواو الجمع في نحو ولا تنسوا الفضل وقرا عاصم وحمزة
بكسرهما على الاصل والباقون بضمهما اجراء لهما مجرى الهمزة المتصلة بالفعل ما فعلوه
الا قليل منهم الا ناس قليل وهم المخلصون لما بين ان ايمانهم لا يتم الا بان يسلموا

حق التسليم بنبه على قصور اكثرهم وهم اسلافهم والضمير للكتوب ودل عليه كتبنا
او لاحد مصدري الفعلين وقرأ ابن عامر بالنصب على الاستثناء او على الا فعلا قليلا منهم
تفعلوا ما يوعظون به من متابعة الرسول ومطاوعته طوعا ورغبة لكان خيرا لهم
في عاجلهم وآجلهم واشد تثبيتا في دينهم لاشد إشد لتحصيل العلم وتوالي الشك وتثبيتا
لثواب اعمالهم والآية ايضا مما نزلت في شان المنافق واليهودي وقيل انها والتي
قبلها نزلتا في حاطب بن ابي بلتعة خاصم زبيرا في شراج ماء عن الحرة كانا يسقيان بها
النخل فقال اسق يا زبير ثم ارسل الماء الى جارك فقال حاطب لان كان ابن عمتك فقال
عليه السلام اسق يا زبير ثم احبس الماء الى الجدر واستوف حقك ثم ارسل الى جارك
واذا لآتيناهم من لدنا اجرا عظيما جواب لسوال مقدر كانه قيل وماذا يكون لهم
بعد التثبيت فقال واذا لو نثبتهم لآتيناهم لانه جواب وجزاء ولهديناهم صراطا مستقيما
يصلوا بسلوكه جناب القدس ويفتح لهم ابواب الغيب قال عليه السلام من عمل بما علم
ورثه الله علم ما لم يعلم ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين انعم الله عليهم مزيد
ترغيب في الطاعة بالوعد عليها مرافقة اكرم الخلايق واعظم فدرا من النبيين والصديقين
والشهداء والصالحين بيان للذين مع حال منه او من الضمير فيه قسمهم اربعة اقسام بحسب
مناصبهم في العلم والعمل وحث كافة على ان لا يتاخروا عنهم وهم الانبياء الفائزون بكمال
العلم والعمل المتاخرون حدا الكمال الى درجة التكميل ثم الصديقون الذين صعدت نفوسهم
بمراقي النظر في الحج والآيات واخرى بمعارج التصفية والرياضات الى اوج العرفان
حتى اطلعوا على الاشياء واخبروا عنها على ما هي عليها ثم الشهداء الذين ادى بهم الحرص على
الطاعة والجد في اظهار الحق حق بذلوا مهجهم في اعلاء كلمة الله ثم الصالحون الذين صرفوا
اعمارهم في طاعته واموالهم في مرضاته وذلك ان تقول المنعم عليهم هم العارفون
بالله وهؤلاء اما ان يكونوا بالغين درجة العيان او واقفين في مقام الاستدلال والبرهان
والاولون اما ان ينالوا مع العيان القرب بحيث يكون كمن يرى الشيء قريبا وهم الانبياء
او لا فيكون كمن يرى الشيء من بعيد وهم الصديقون والآخرون اما ان يكون عرفانهم

بالبراهين

بالبراهين القاطعة وهم العلماء الراسخون الذين هم شهداء الله في ارضه واما ان
يكون بامارات واقناعات تطمئن اليها نفوسهم وهم الصالحون وحسن اولئك
رفيقا في معنى التعجب ورفيقا نصب على التمييز والحال ولم يجمع لانه يقال للواحد
والجمع كالصديق ولانه اريد وحسن كل واحد منهم رفيقا روي ان ثوبان مولى رسول
الله صلى الله عليه اتاه يوما وقد تغير وجهه ونحل جسمه فسأله عن حاله فقال ما بي
وجع غير اني اذا لم اركَ آلفني حتى ترفع مع النبيين وان ادخلت الجنة كنت في
منزل دون منزلك وان لم ادخل فذاك حين لا اراك ابدا فنزلت ذلك اشارة الى ما
للمطيعين من الاجر ومزيد الهداية ومرافقة المنعم عليهم والى فضل هؤلاء المنعم عليهم
ومزيتهم الفضل صفته من الله خبره والفضل خبر من الله حال والعامل فيه معنى
الاشارة وكفى بالله عليما بمقادير الفضل واستحقاق اهله يا ايها الذين آمنوا
خذوا حذركم تيقظوا واستعدوا للاعداء والحذر الحذر كالاثر والاثر وقيل ما يحذر
به كالحزم والسلاح فانفروا فاخرجوا الى الجهاد ثبات جماعات متفرقة جمع ثبة
من ثبيت على فلان تثبية اذا ذكرت محاسنه ويجمع ايضا على ثبين جبرا لما حذف
من عجز او انفروا جميعا مجتمعين كوكبة واحدة والآية وان نزلت في الحرب لكن
يقتضي اطلاق لفظها وجوب المبادرة الى الخيرات كلها كيف ما امكن قبل الفوات
وان منكم لمن ليبطئن الخطاب لعسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤمنين
منهم والمنافقين والمبطئ منافقهم ثناقلوا وتخلفوا عن الجهاد من بطاء بمعنى ابطاء
وهو لازم او ثبطوا غيرهم كما ثبط ابن ابي ناسا يوم احد من بطاء منقول كتقول من ثقل واللام
الاولى للابتداء دخلت اسم ان للفصل بالخبر والثانية جواب قسم محذوف والقسم
بجوابه صلة من والراجع اليه ما استكن في ليبطئن والتقدير منكم لمن اقسم بالله
ليبطئن فان اصابتكم مصيبة كقتل وهزيمة قال اي المبطئ قد انعم الله علي اذ لم اكن
معهم شهيدا حاضرا فيصيبني ما اصابهم ولئن اصابكم فضل من الله كفتح وغنيمة
ليقولن آكد تنبيها على فرط تحسرهم وقرئ بضم اللام اعادة للضمير على معنى كان لم يكن بينكم

وبينه مودة اعتراض بين الفعل ومفعوله وهو يا ليتني كنت معهم فافوز
فوزا عظيما للتنبيه على ضعف عقيدتهم وان قولهم هذا قول من لا مواصلة بينكم وبينه
وانما يريد ان يكون معكم بمجرد المال او حال عن الضمير في ليقولن او داخل في المقول اي يقول
المبطي لمن يثبطه من المنافقين وضعفة المسلمين تضريبا وحسدا كان لم يكن بينكم
وبين محمد مودة حيث لم يستعن بكم فتفوزوا بما فاز يا ليتني كنت معهم وقيل انه متصل
بالجملة الاولى وهو ضعيف اذ لا تفصل ابعاض الجملة بما لا يتعلق بها لفظا ومعنى وكان
مخففة من الثقيلة واسمه ضمير الشان وهو محذوف وقرا ابن كثير وحفص عن عاصم
ورويس عن يعقوب تكن بالتاء لتانيث لفظ المودة والمنادى في يا ليتني محذوف وقيل
يا اطلق للتنبيه على الاتساع فافوز نصب على جواب التمني وقرئ بالرفع على تقدير فانا
افوز في ذلك او العطف على كنت فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحيوة الدنيا
بالآخرة اي الذين يبيعونها بها والمعنى ان يطاء هولاء عن القتال فليقاتل المخلصون البا
ذلون انفسهم في طلب الآخرة او الذين يشترونها ويختارونها على الآخرة وهم المبطئون
والمعنى حثهم على ترك ما حكي عنهم ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل او يغلب فسوف
نؤتيه اجرا عظيما وعد له الاجر العظيم غلب او غلب ترغيبا في القتال وتكذيبا لقو
لهم قد انعم الله علي اذ لم اكن معهم شهيدا وانما قال فيقتل او يغلب تنبيها على ان المجاهد
ينبغي ان يثبت في المعركة حتى يعز نفسه بالشهادة او الدين بالظفر والغلبة
وان لا يكون قصده بالذات الى القتل بل الى اعلاء الحق واعزاز الدين وما لكم مبتداء وخبر
لا تقاتلون في سبيل الله حال والعامل فيها ما في الظرف من معنى الفعل والمستضعفين
عطف على اسم الله اي وفي سبيل المستضعفين وهو تخليصهم من الاسر وصونهم
على العدو او على السبيل بحذف المضاف اي وفي خلاص المستضعفين ويجوز نصبه
على الاختصاص فان سبيل الله يعم ابواب الخير وتخليص ضعفة المسلمين من ايدي الكفار
اعظمها واخصها من الرجال والنساء والولدان بيان للمستضعفين وهم المسلمون
الذين بقوا بمكة لصد المشركين او ضعفهم عن الهجرة مستذلين ممتحنين وانما ذكر الولدان

مبالغة

مبالغة في الحرب وتنبيها على تناهي ظلم المشركين بحيث بلغ اذاهم الصبيان وان دعوتهم
اجيبت بسبب مشاركتهم في الدعاء حتى يشاركوا في استنزال الرحمة واستدعاء البلية
واستدفاع البلية
وقيل المراد به العبيد والاماء وهو جمع ولد الذين يقولون ربنا اخرجنا من هذه
القرية الظالم اهلها واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا فا
ستجاب الله دعاءهم بان يسر لبعضهم الخروج الى المدينة وجعل لمن بقي منهم خير ولي
وناصر ففتح مكة على نبيه صلى الله عليه وسلم فتولاهم ونصرهم ثم استعمل عليهم عتاب
ابن اسيد فحماهم ونصرهم حتى صاروا اعز اهلها والقرية مكة والظالم صفتها وتذكيره
لتذكير ما اسند اليه فان اسم الفاعل او المفعول اذا جرى على غير من هو له كان كالفعل
يذكر ويونث على حسب ما عمل فيه الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله فيما يصلون
به الى الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت لما ذكر مقصد الفريقين امر
اولياءه ان يقاتلوا اولياء الشيطان ثم شجعهم بقوله ان كيد الشيطان كان ضعيفا اي ان
كيده للمؤمنين بالاضافة الى كيد الله للكافرين ضعيف لا يعبأ به فلا تخافوا اولياءه فا
ن اعتمادهم على اضعف شيء واوهنه الم تر الى الذين قيل لهم كفوا ايديكم
اي عن القتال واقيموا الصلوة وآتوا الزكوة واشتغلوا بما امرتم به فلما كتب عليهم القتال
اذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله يخشون الكفار ان يقتلوهم كما يخشون الله
ان ينزل عليهم باسه واذا للمفاجاة جواب لما وفريق مبتداء منهم صفته يخشون
خبره وكخشية الله من اضافة المصدر الى المفعول وقع موقع المصدر والحال من فاعل
على معنى يخشون الناس مثل اهل خشية الله منه او اشد خشية عطف عليه
ان جعلته حالا وان جعلته مصدرا فلا لان افعل التفضيل اذا نصب ما بعده لم يكن من
جنسه بل هو معطوف على اسم الله اي كخشية الله او كخشية اشد خشية منه على الفرض
اللهم الا ان يجعل الخشية ذات خشية كقولهم جد جده على معنى يخشون الناس خشية
مثل خشية الله او خشية اشد خشية من خشيته وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال
لولا اخرتنا الى اجل قريب استزادة في مدة الكف عن القتال حذرا عن الموت ويحتمل

انهم ما نقموا به ولكن قالوه فى انفسهم فحكى الله عنهم قل متاع الدنيا قليل سريع التقضى
والآخرة خير لمن اتقى ولا يظلمون فتيلا ولا تنقصون اذنى شئ من ثوابكم فلا تزعبوا عنه
او من آجالكم المقدرة وقراءة ابن كثير وحمزة والكسائى ولا يظلمون لتقدم الغيبة اينما تكونوا
يدرككم الموت قرئ بالرفع على حذف الفاء كما فى قوله من يفعل الحسنات الله يشكرها
او على انه كلام مبتدأ واينما متصل بلا يظلمون ولو كنتم فى بروج مشيدة فى قصور او حصون
مرتفعة والبروج فى الاصل بيوت على اطراف القصر من تبرج المرأة اذا اظهرت وقرئ
مشيدة وصفا لها بوصف فاعلها كقولهم قصيدة شاعرة ومشيدة من شاد القصر اذا رفعه
وان تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وان تصبهم سيئة يقولوا هذه من
عندك كما تقع الحسنة والسيئة على الطاعة والمعصية تقعان على النعمة والبلية
وهما المراد فى الآية اى ان تصبهم نعمة كخصب نسبوها الى الله وان تصبهم بلية كقحط
اضافوها اليك وقالوا ان هى الا بشومك كما قالت اليهود منذ دخل محمد المدينة نقصت
ثمارها وغلت اسعارها قل كل من عند الله يبسط ويقبض حسب ارادته فمال هؤلاء
القوم لا يكادون يفقهون حديثا يوعظون به وهو القرآن فانهم لو فهموه وتدبروا
معانيه لعلموا ان الكل من الله اوحديثا مما كبهائم لا افهام لهم او حوادثا من صروف الزمان
فيتفكروا فيها فيعلموا ان الباسط والقابض هو الله ما اصابك يا انسان من حسنة من نعمة
فمن الله تفضلا منه فان كل ما يفعله الانسان من الطاعة لا يكافئ فى نعمة الوجود فكيف
يقتضى غيره ولذلك قال عليه السلام ما يدخل احد الجنة الا برحمة الله قيل ولا انت
قال ولا انا وما اصابك من سيئة من بلية فمن نفسك لانها السبب فيها لاستجلابها
بها بالمعاصى وهو لا ينافى قوله كل من عند الله فان الكل منه ايجادا وايصالا لا غير الحسنة
احسان وامتحان والسيئة مجازاة وانتقام كما قالت عائشة ما من مسلم يصيبه وصب
ولا نصب حتى الشوكة يشاكها وحتى انقطاع شسع نعله الا بذنب وما يعفو الله اكثر ولآيتان
كما ترى لا حجة فيهما لنا وللمعتزلة وارسلناك للناس رسولا حال فصدرها التأكيد
علق الجار بالفعل والتعميم ان علق بها اى رسولا للناس جميعا كقوله وما ارسلناك الا كافة

للناس ويجوز نصبه على المصدر كقوله ولا خارجا من فى زور كلام وكفى بالله شهيدا
على رسالتك بنصب المعجزات من يطع الرسول فقد اطاع الله لانه فى الحقيقة مبلغ
والآمر هو الله روى انه عليه السلام قال من احبنى فقد احب الله ومن اطاعنى فقد اطاع الله
فقال المنافقون لقد قارف الشرك وهو ينهى عنه ما يريد الا ان نتخذه ربا كما اتخذت
النصارى عيسى فنزلت ومن تولى عن طاعته فما ارسلناك عليهم حفيظا تحفظ
عليهم اعمالهم وتحاسبهم عليها انما عليك البلاغ وعلينا الحساب وهو حال عن الكاف
ويقولون اذا امرتهم بامر طاعة اى امرنا طاعة او متا طاعة واصلها النصب على المصدر
ورفعها للدلالة على الثبات فاذا برزوا من عندك خرجوا بيت طائفة منهم غير الذى
تقول اى زورت خلاف ما قلت لها وما قالت لك من القبول وضمان الطاعة والتبييت
اما من البيتوتة لان الامور تدبر بالليل او من بيت الشعر والبيت المبنى لانه يسوى ويدبر
وقراءة ابو عمرو وحمزة بيت طائفة بالادغام لقربهما فى المخرج والله يكتب ما يبيتون
يثبته فى صحايفهم للمجازاة او جملة ما يوحى اليك لتطلع على اسرارهم فاعرض عنهم
قلة المبالاة بهم او تجاف عنهم وتوكل على الله فى الامور كلها ستيما فى شانهم وكفى
بالله وكيلا يكفيك معرتهم وينتقم لك منهم افلا يتدبرون القرآن يتأملون
فى معانيه ويتبصرون ما فيه واصل التدبر النظر فى ادبار الشئ ولو كان من عند
غير الله ولو كان كلام البشر كما زعم الكفار لوجدوا فيه اختلافا كثيرا من تناقض
المعنى وتفاوت النظم وكان بعضه فصيحا وبعضه ركيكا وبعضه يصعب معارضته
وبعضها تسهل ومطابقة بعض اخباره المستقبلة للواقع دون بعض وموافقة العقل
لبعض احكامه دون بعض على ما دل عليه الاستقراء لتفاوت القوة البشرية ولعل
ذكره ههنا للتنبيه على ان اختلاف ما سبق من الاحكام ليس لتناقض فى الحكم بل لاختلاف
الاحوال فى الحكم والمصالح واذا جاءهم امر من الامن او الخوف مما يوجب الامن او
الخوف اذاعوا به افشوه كان يفعله قوم من ضعفة المسلمين اذا بلغهم خبر عن سرايا
رسول الله او اخبرهم الرسول بما اوحى اليه من وعد بالظفر او تخويف من الكفرة

اذاعوا به لعدم خبرتهم وكانت اذاعتهم مفسدة والباء سببية او لتضمن الاذاعة
معنى التحدث ولو ردوه ولو ردوا ذلك الخبر الى الرسول والى اولى الامر منهم
ورأى كبار الصحابة البصراء بالامور والامراء لعلمه لعلمه على اى وجه يذكر الذين
يستنبطونه منهم يستخرجون تدبير مبتجاربهم وامارتهم وقيل كانوا يسمعون اراجيف
المنافقين فيذيعونها فيعود وبالا على المسلمين ولو ردوه الى الرسول والى اولى الامر
منهم حتى يسمعوه منهم ويعرفوا انه هل يذاع لعلم ذلك من هؤلاء الذين يستنبطونه
من الرسول واولى الامر ان يستخرجون علمه من جهتهم واصل الاستنباط اخراج النبط
وهو الماء يخرج من البئر اول ما تحفر ولولا فضل الله عليكم ورحمته بارسال الرسول
وانزال الكتاب لاتبعتم الشيطان بالكفر والضلال الا قليلا الا قليلا منكم تفضل
الله عليه بعقل راجح اهتدى به الى الحق والصواب وعصمه عن متابعة الشيطان كزيد
بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل والا اتباعا قليلا على الندور فقاتل في سبيل الله
ان تثبطوا وتركوك وحدك لا تكلف الا نفسك ان لا تعان نفسك لا يضرك مخالفتهم
وتقاعدهم فتقدم الى الجهاد وان لم ينصرك احد فان الله ناصرك لا الجنود روى انه
عليه السلام دعا الناس في بدر الصغرى الى الخروج فكرهه بعضهم فنزلت فخرج وما معه
الا سبعون لم يلو على احد وقرئ لا تكلف بالجزم ولا نكلف بالنون على بناء الفاعل اى لا
نكلفك الا فعل نفسك لا انا لا نكلف احدا الا نفسك لقوله وحرض المؤمنين على
القتال اذ ما عليك في شانهم الا التحريض عسى الله ان يكف باس الذين كفروا يعني قريشا
وقد فعل بان القى في قلوبهم الرعب حتى رجعوا والله اشد باسا من قريش واشد
تنكيلا تعذيبا منهم وهو تقرير وتهديد لمن لم يتبعه من يشفع شفاعة حسنة راعى
بها حق مسلم او دفع بها عنه ضرا او جلب اليه نفعا ابتغاء لوجه الله ومنها الدعاء للمسلم
قال عليه السلام من دعا لاخيه المسلم بظهر الغيب استجيب له وقال له الملك ولك
مثل ذلك يكن له نصيب منها وهو ثواب الشفاعة والتسبب الى الخير الواقع بها
ومن يشفع شفاعة سيئة يريد بها محرما يكن له كفل منها نصيب من وزرها مساويها

في القدر

اساءته في القدر وكان الله على كل شئ مقيتا مقتدرا من اقات على الشئ اذا اقتدر قال
عنه كفقت الصيغ وكنت على مساءته مقيتا او شهيدا حافظا واشتقاقه من القوت فانه
يقوى البدن ويحفظه واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها او ردوها الجمهور على انه في السلام
ويدل على وجوب الجواب اما باحسن منه وهو ان يزيد عليه ورحمة الله فان قاله
المسلم زاد وبركاته وهي النهاية واما برد مثله لما روى ان رجلا قال لرسول الله
صلى الله عليه وسلم السلام عليك فقال وعليك السلام ورحمة الله وقال آخر السلام
عليك ورحمة الله فقال وعليك السلام ورحمة الله وقال آخر السلام عليك ورحمة
الله وبركاته فقال وعليك فقال الرجل نقصتني فاين ما قال الله وتلا الآية فقال انك لم
تترك لي فضلا فرددت عليك مثله وذلك لاستجماعه اقسام المطالب السلامة من
المضار وحصول المنافع وتباتها ومنه قيل والتردد بين ان يحيي المسلم بعض التحية
وبين ان يحيي بتمامها وهذا الوجوب على الكفاية وحيث السلام مشروع فلا يرد في
الخطبة وقراءة القرآن وفي الحمام وعند قضاء الحاجة ونحوها والتحية في الاصل مصدر
حياك الله على الاخبار من الحيوة ثم استعمل للحكم والدعاء بذلك ثم قيل للكلام دعاء فغلب
في السلام وقيل المراد بالتحية العطية او وجب الثواب او الرد على المذهب وهو قول قديم
للشافعي ان الله كان على كل شئ حسيبا يحاسبكم على التحية وغيرها الله لا اله الا هو مبتدا وخبر
او الله مبتدا والخبر ليجمعنكم الى يوم القيامة اى الله والله ليحشرنكم من قبوركم الى يوم
القيامة او مقتضين اليه او في يوم القيامة ولا اله الا هو اعتراض والقيام والقيامة كالطلاب والطلابة وهي قيام الناس من القبور او للحساب لا ريب فيه في اليوم او الجمع
فهو حال عن اليوم او صفة للمصدر ومن اصدق من الله حديثا انكار ان يكون احد اكثر صدقا منه
فانه لا يتطرق الكذب الى خبره بوجه لانه نقص وهو على الله محال فما لكم في المنافقين
فئتين فما لكم تفرقتم في امر المنافقين فئتين اى فرقتين ولم تتفقوا على كفرهم وذلك
ان ناسا منهم استاذنوا رسول الله في الخروج الى البدو لاجتواء المدينة فلما خرجوا لم يزالوا
راحلين مرحلة مرحلة حتى لحقوا بالمشركين فاختلف المسلمون في اسلامهم وقيل نزلت

اجتواء البلد كرهته وان كان موافقا وفي الحديث من اجتوى فله ان يرجع في هبته ما لم يثب منها

في المتخلفين يوم احد او في قوم هاجروا ثم رجعوا معتلين باجتواء المدينة والاشتياق
الى الوطن او في قوم اظهروا الاسلام وقعدوا عن الهجرة وفئتين حال عاملها لكم او عاملها
ما كقولك مالك قائما وفي المنافقين حال من فئتين اي متفرقين فيهم او من الضمير اي
فما لكم تفترقون فيهم ومعنى الافتراق مستفاد من فئتين وقرأ حمزة والكسائي باشمام
الصاد الزاء والله اركسهم بما كسبوا ردهم الله الى حكم الكفرة او نكسهم بان صيرهم للنار
واصل الركس رد الشيء مقلوبا اتريدون ان تهدوا من اضل الله ان تجعلوه من المهتدين
ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا الى الهدى ودوا لو تكفرون كما كفروا تمنوا ان تكفروا ككفرهم
فتكونون سواء فتكونون معهم في الضلال وهو عطف على تكفرون ولو نصب على جواب
التمني لجاز فلا تتخذوا منهم اولياء حتى يهاجروا في سبيل الله فلا توالوهم حتى يؤمنوا او تحققوا ايمانهم
بهجرة هي لله ولرسوله لا لاغراض الدنيا وسبيل الله ما امر بسلوكه فان تولوا عن الايمان
المظاهر بالهجرة او عن اظهار الايمان فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم كسائر الكفرة ولا تتخذوا منهم
وليا ولا نصيرا اي جانبوهم رأسا ولا تقبلوا منهم ولاية ولا نصرة الا الذين يصلون الى قوم
بينكم وبينهم ميثاق استثناء من قوله فخذوهم واقتلوهم اي الا الذين يتصلون وينتهون
الى قوم عاهدوكم ويفارقون محاربيكم والقوم هم خزاعة وقيل الاسلميون فانه عليه السلم
وادع صالح وقت خروجه الى مكة هلال بن عويمر الاسلمي على ان لا يعينه ولا يعين عليه ومن لجأ
اليه فله من الجوار مثل ما له وقيل بنو بكر بن زيد بن مناة او جاؤكم عطف على الصلة
علم وهو مثل قولهم عبد مناة والمناة اسم صنم
اي او الذين جاؤكم كافين عن قتالكم وقتال قومهم استثنى عن المأمور باخذهم وقتلهم
من ترك المحاربين فلحق بالمعاهدين او اتى الرسول وكف عن قتال الفريقين او على صفة قوم
وكانه قيل الا الذين يصلون الى قوم معاهدين او قوم كافين عن القتال لكم وعليكم والاول
اظهر لقوله فان اعتزلوكم وقرئ بغير العاطف على انه صفة بعد صفة او بيان ليصلون او
استيناف حصرت صدورهم حال باضمار قد ويدل عليه ان قرئ حصرة صدورهم وحصرات
او بيان لجاؤكم وقيل صفة محذوف اي جاؤكم قوما حصرت صدورهم وهم بنو مدلج جاؤا
رسول الله غير مقاتلين والحصر الضيق والانقباض ان يقاتلوكم او يقاتلوا قومهم

سواء صح

اي عن

لمصلحة يراها من ابتداء ونحوه

اي عن ان او لان او كراهة ان يقاتلوكم ولو شاء الله لسلطهم عليكم بان قوى قلوبهم
وبسط صدورهم وازال الرعب عنهم فلقاتلوكم ولم يكفوا عنكم فان اعتزلوكم فلم يقا
تلوكم فان لم يتعرضوا لكم والقوا اليكم السلم الاستسلام والانقياد فما جعل الله
لكم عليهم سبيلا فما اذن لكم في اخذهم وقتلهم ستجدون آخرين يريدون
ان يأمنوكم ويأمنوا قومهم هم اسد وغطفان وقيل بنو عبد الدار اتوا المدينة
واظهروا الاسلام ليأمنوا المسلمين فلما رجعوا كفروا كلما ردوا الى الفتنة دعوا
الى الكفر او الى قتال المسلمين اركسوا فيها عادوا اليها وقلبوا فيها اقبح قلب فان لم
يعتزلوكم ويلقوا اليكم السلم وينبذوا اليكم العهد ويكفوا ايديهم عن قتالكم
فخذوهم واقتلوهم حيث ثقفتموهم حيث تمكنتم منهم فان مجرد الكف لا يوجب نفي
التعرض واولئكم جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا حجة واضحة في التعرض لهم
بالقتل والسبي لظهور عداوتهم ووضوح كفرهم وغدرهم او تسلطا ظاهرا حيث اذنا لكم
في قتلهم وما كان لمؤمن وما صح له وليس من شأنه ان يقتل مؤمنا بغير حق الا خطاء
فانه على عرضية ونصبه على الحال او المفعول له اي لا يقتله في شيء من الاحوال الا حال الخطاء
او لا يقتله لعلة الا للخطاء او على انه صفة مصدر محذوف اي الا قتلا خطا وقيل ما كان
نفي في معنى النهي والاستثناء منقطع اي لكن ان قتله خطأ فجزاؤه ما يذكر والخطأ ما لا يضامه
القصد الى الفعل او الشخص او ما لا يقصد به زهوق الروح غالبا او لا يقصد به محظور كرمي
مسلم في صف الكفار مع الجهل باسلامه او يكون فعل غير المكلف وقرئ خطاء بالمد
وخطأ كعصا بتخفيف الهمزة والآية نزلت في عياش بن ابي ربيعة اخي ابي جهل من الام
لقي حارث بن زيد في طريق وكان قد اسلم ولم يشعر به عياش فقتله ومن قتل مؤمنا
خطاء فتحرير رقبة اي فعليه او فواجبه تحرير رقبة والتحرير الاعتاق والحر كالعتيق
للكريم من الشيء ومنه حر الوجه لاكرم موضع منه سمي به لان الكرم في الاحرار والرقبة
عبر بها عن النسمة كما عبر عنها بالرأس مؤمنة محكوما باسلامها وان كانت صغيرة ودية
مسلمة الى اهله مؤداة الى ورثته تقتسمونها كسائر المواريث كقول ضحاك بن سفيان

اذن صح

يصاحبه صح

161

الكلاب كتب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يا مرني ان اورث امراة اشيم الضبابي من عقل زوجها وهي على العاقلة فان لم تكن فمن ماله الا ان يصدقوا يتصدقوا عليه بالدية سمي العفو عنها صدقة حثا عليه وتنبيها على فضله وعن النبي صلى الله عليه وسلم كل معروف صدقة وهو متعلق بعليه او بمسلمة اي يجب الدية عليه او يسلمها الى اهله الا حال يتصدقوا عليه او زمانه فهو في محل النصب على الحال من القاتل او الاهل او الظرف فان كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة اي ان كان المؤمن المقتول من قوم كفار محاربين او في تضاعيفهم ولم يعلم ايمانه فعلى قاتله الكفارة دون الدية لاهله اذ لا وراثة بينه وبينهم ولانهم محاربون وان كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة الى اهله وتحرير رقبة مؤمنة وان كان من قوم كفرة معاهدين او اهل الذمة فحكمه حكم المسلم في وجوب الكفارة والدية ولعله انما اذا كان المقتول معاهدا او كان له وارث مسلم فمن لم يجد رقبة بان لم يملكها ولا ما يتوصل به اليها فصيام شهرين متتابعين فعليه او فالواجب عليه صيام شهرين توبة نصب على المفعول له اي شرع ذلك توبة من تاب الله عليه اذا قبل توبته او على المصدر اي وتاب الله عليكم توبة او حال بحذف مضاف اي فعليه صيام شهرين ذا توبة من الله صفتها او كان الله عليما بحاله حكيما فيما امر في شانه ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه واعد له عذابا عظيما لما فيه من التهديد العظيم قال ابن عباس لا يقبل توبة قاتل المؤمن عمدا ولعله اراد به التشديد اذ روي عنه خلافه والجمهور على انه مخصوص بمن لم يتب لقوله واني لغفار لمن تاب ونحوه وهو عندنا انما مخصوص بالمستحل له كما ذكره عكرمة وغيره ويؤيده انه نزل في مقيس بن ضبابة وجد اخاه هشاما قتيلا في بني النجار ولم يظهر قاتله فامرهم رسول الله ان يدفعوا اليه ديته فدفعوا اليه ثم حمل على مسلم فقتله ورجع الى مكة مرتدا والمراد بالخلود المكث الطويل فان الدلائل متظاهرة على ان عصاة المسلمين لا يدوم عذابهم يا ايها الذين آمنوا اذا ضربتم في سبيل الله سافرتم وغزوتم للغزو فتبينوا فاطلبوا بيان الامر ولا تعجلوا فيه وقرأ حمزة والكسائي فتثبتوا

فان لم تكن فعليه بيت للمالكي

ولعنه ص

وتثبانه ص

ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لمن حياكم بتحية الاسلام وقرأ نافع وابن عامر وحمزة السلم بغير الف اي الاستسلام والانقياد وقرئ السلام ايضا لست مؤمنا وانما فعلت ذلك متعوذا وقرئ مؤمنا بالفتح اي مبذولا له الامان تبتغون عرض الحيوة الدنيا تطلبون ماله الذي هو حطام سريع النفاد وهو حال من الضمير في تقولوا مشعرا بما هو الحامل لهم على المجلة وترك التثبت فعند الله مغانم كثيرة يغنيكم عن قتل امثاله لما له كذلك كنتم من قبل اي اول ما دخلتم في الاسلام نفوسكم بكلمتي الشهادة فحقنتم بها دماءكم واموالكم من غير ان يعلم مواطاة قلوبكم السنتكم فمن الله عليكم بالاشتهار بالايمان والاستقامة في الدين فتبينوا فافعلوا بالداخلين في الاسلام كما فعل الله بكم ولا تبادروا الى قتلهم ظنا بانهم دخلوا فيه اتقاء وخوفا فان ابقاء الف كافر اهون عند الله من قتل امرء مسلم وتكرير الامر بالتبيين تاكيد لتعظيم الامر وترتيب الحكم على ما ذكر من حالهم ان الله كان بما تعملون خبيرا عالما به وبالغرض منه فلا تتهموا فتوانوا في القتل واحتاطوا فيه روي انها سرية لرسول الله غزت اهل فدك فهربوا وبقي مرداس بثقة باسلامه فلما رأى الخيل ألجأ غنمه الى عاقول من الجبل وصعد فلما تلاحقوا وكبروا وكبر ونزل وقال لا اله الا الله محمد رسول الله السلام عليكم فقتله اسامة واستاق غنمه فنزلت وقيل نزلت في المقداد مر برجل في غنيمة فاراد قتله فقال لا اله الا الله فقتله وقال قد قلها لما رأى السيف وقيل لرجل قتل قريبا له هلا قتلته فقال ظننت انه قالها تعوذا فقال هلا شققت عن قلبه وفيه دليل على صحة ايمان المكره وان المجتهد قد يخطئ وان خطاءه مغتفر لا يستوي القاعدون عن الجهاد من المؤمنين في موضع الحال من القاعدون او من الضمير الذي فيه غير اولي الضرر بالرفع صفة للقاعدون لانه لم يقصد به قوم باعيانهم او بدل منه وقرأ نافع وابن عامر بالنصب على الحال او الاستثناء وقرئ بالجر على انه صفة للمؤمنين او بدل منه وعن زيد بن ثابت انها نزلت ولم يكن فيها غير اولي الضرر فقال ابن ام مكتوم وكيف وانا اعمى فغشي رسول الله صلى الله عليه وسلم في مجلسه الوحي فوقعت فخذه على فخذي حتى خشيت ان ترضها ثم سري عنه فقال اكتب لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير اولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله باموالهم وانفسهم اي لا مساواة بينهم وبين من قعد عن الجهاد من غير علة وفائدته تاكيد ما

السلام

الفتاح

والكسائي ص

٢ الموضعين

ما بينهما من التفاوت ليرغب القاعد في الجهاد رفعا لرتبته وانفة عن انحطاط
منزلته فضل الله المجاهدين باموالهم وانفسهم على القاعدين درجة جملة موضحة
لما نفى الاستواء فيه والقاعدون على التقييد السابق ودرجة نصب بنزع الخافض اى بدرجة
او على المصدر لانه تضمن معنى التفضيل ووقع موقع المرة منه او الحال بمعنى ذوى درجة وكلا
من القاعدين والمجاهدين وعد الله الحسنى المثوبة الحسنى وهى الجنة لحسن عقيدتهم
وخلوص نيتهم وانما فى زيادة العمل المقتضى لمزيد الثواب وفضل الله المجاهدين على القاعدين
اجرا عظيما نصب على المصدر لان فضل بمعنى اجر او المفعول الثانى له لتضمنه معنى الاعطاء
كانه قيل واعطاهم زيادة على القاعدين اجرا عظيما درجات منه ومغفرة ورحمة كل
واحد منها بدل من اجرا ويجوز ان ينتصب درجات على المصدر كقولك ضربته اسواطا واجرا
على الحال عنها تقدمت عليها لانها نكرة ومغفرة ورحمة على المصدر باضمار فعلهما كرر تفضيل
المجاهدين وبالغ فيه اجمالا وتفصيلا تعظيما للجهاد وترغيبا فيه وقيل الاول ما خولهم فى
الدنيا من الغنيمة والظفر وجميل الذكر والثانى ما جعل لهم فى الآخرة وقيل الدرجة الاولى
ارتفاع منزلتهم عند الله والدرجات منازلهم فى الجنة وقيل القاعدون الاول
هم الاضراء والقاعدون الثانى هم الذين اذن لهم فى التخلف اكتفاء بغيرهم وقيل
المجاهدون الاولون من جاهد الكفار والآخرون من جاهد نفسه وعليه قوله عليه
السلم رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر وكان الله غفورا لما عسى يفرط منهم
رحيما بما وعد لهم ان الذين توفيهم الملائكة يحتمل الماضى والمضارع وقرئ توفتهم وتو
فاهم على مضارع وفيت بمعنى ان الله يوفى الملائكة انفسهم فيتوفونها اى يمكنهم من استيفا
ئها فيستوفونها ظالمى انفسهم فى حال ظلمهم انفسهم بترك الهجرة وموافقة الكفرة فانها
نزلت فى ناس من مكة اسلموا ولم يهاجروا حين كانت الهجرة واجبة قالوا اى الملائكة توبيخا
لهم فيم كنتم فى اى شئ كنتم من امر دينكم قالوا كنا مستضعفين فى الارض اعتذروا
مما وبخوا به بضعفهم وعجزهم عن الهجرة او عن اظهار الدين واعلاء كلمته قالوا اى الملا
ئكة تكذيبا لهم وتبكيتا الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها الى قطر آخر كما فعل

التفاوت

المهاجرون

المهاجرون الى المدينة والحبشة فاولئك ماويهم جهنم لتركهم الواجب ومساعدتهم
الكفار وهو خبر ان والفاء فيه لتضمن الاسم معنى الشرط وقالوا فيم كنتم حال من الملائكة باضمار قد
او الخبر قالوا والعائد محذوف اى قالوا لهم وهو جملة معطوفة على الجملة قبلها مستنتجة منه وساءت
مصيرا مصيرهم او جهنم وفى الآية دليل على وجوب الهجرة من موضع لا يتمكن الرجل فيه من اقامة
دينه وعن النبى صلى الله عليه وسلم من فر بدينه من ارض الى ارض وان كان شبرا من الارض استوجبت
له الجنة وكان رفيق ابيه ابرهيم ونبيه محمد عليه السلام الا المستضعفين من
الرجال والنساء والولدان استثناء منقطع لعدم دخولهم فى الموصول وضميره والاشارة
اليه وذكر الولدان ان اريد به المماليك فظاهر وان اريد به الصبيان فللمبالغة فى الامر
والاشعار بانهم على صدد وجوب الهجرة فانهم اذا بلغوا وقدروا على الهجرة فلا محيص لهم عنها
وان قوامهم يجب عليهم ان يهاجروا بهم متى امكنت لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون
سبيلا صفة للمستضعفين اذ لا توقيت فيه او حال عنه او عن المستكن فيه واستطاعة الحيلة
وجدان اسباب الهجرة وما يتوقف عليه واهتداء السبيل معرفة الطريق بنفسه او بدليل
فاولئك عسى الله ان يعفو عنهم ذكر بكلمة الاطماع ولفظ العفو ايذانا بان ترك الهجرة امر
خطير حتى ان المضطر من حقه ان لا يامن ويترصد الفرصة ويتعلق بها قلبه وكان الله عفوا
غفورا ومن يهاجر فى سبيل الله يجد فى الارض مراغما كثيرا متحولا من الرغام وهى التراب
وقيل طريقا يراغم قومه بسلوكه اى يفارقهم على رغم انوفهم وهو ايضا من الرغام وسعة
فى الرزق واظهار الدين ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت
وقرئ بالرفع على انه خبر مبتداء محذوف اى ثم هو يدركه وبالنصب على اضمار ان كقوله والحق
بالحجاز فاستريحا فقد وقع اجره على الله وكان الله غفورا رحيما الوقوع والوجوب متقاربان
والمعنى ثبت اجره عند الله ثبوت الاجر الواجب والآية نزلت فى جندب بن ضمرة حمله بنوه
على سرير متوجها الى المدينة فلما بلغ التنعيم اشرف على الموت فصفق يمينه على شماله فقال
اللهم هذه لك وهذه لرسولك ابايعك على ما بايع عليه رسولك فمات واذا ضربتم فى الا
رض سافرتم فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلوة بتنصيف ركعاتها و نفى الحرج فيه

يدل على جوازه دون وجوبه ويؤيده انه عليه السلام تم في السفر وان عايشة اعتمرت مع
رسول الله وقالت يا رسول الله قصرت واتممت وصمت وافطرت فقال احسنت يا عايشة
واوجبه ابو حنيفة لقول عمر صلاة السفر ركعتان تام غير قصر على لسان نبيكم ولقول عايشة
اول ما فرضت الصلوة فرضت ركعتين فاقرت في السفر وزيدت في الحضر وظاهرهما يخالف
الآية فان صحا فالاول اما قولها انه كالتمام في الصحة والاجزاء والثاني لا ينفي جواز الزيادة
فلا حاجة الى تاويل الآية بانهم الفوا الاربع فكان مظنة لان يخطر ببالهم ان ركعتي السفر
قصر ونقصان فسئي الاتيان بهما قصرا على ظنهم ونفي الجناح فيه لتطييب به انفسهم واقل
سفر يقصر فيه اربعة برد عندنا وستة عند ابي حنيفة وقرئ تقصروا من اقصر بمعنى قصر
ومن الصلوة صفة محذوف اي شيا من الصلوة عند سيبويه ومفعول تقصروا بزيادة من عند
الاخفش ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا كانوا لكم عدوا مبينا شريطة يا عتبار
الغالب في ذلك الوقت ولذلك لم يعتبر مفهومها كما لم يعتبر في قوله تعالى فان خفتم الا
يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به وقد تظاهرت السنن على جواز ايضا في
حال الامن وقرئ من الصلوة ان يفتنكم بغير ان خفتم بمعنى كراهة ان يفتنكم وهو القتال والتعرض
بما يكن واذا كنت فيهم فاقمت لهم الصلوة تعلق بمفهومه من خص صلوة الخوف بحضرة
الرسول لفضل الجماعة وعامة الفقهاء على انه تعالى علم الرسول كيفيتها لياتم به الائمة بعده
وانهم نواب عنه فيكون حضورهم كحضوره فلتقم طائفة منهم معك فاجعلهم طائفتين
فلتقم احديهما معك يصلون وتقوم الطائفة الاخرى تجاه العدو وليا خذوا اسلحتهم
اي المصلون حزما وقيل الضمير للطائفة الاخرى وذكر الطائفة الاولى يدل عليهم فاذا سجدوا
يعني المصلين فليكونوا اي غير المصلين من ورائكم يحرسونكم يعني النبي ومن يصلي معه فغلب
المخاطب على الغايب ولتات طائفة اخرى لم يصلوا لاستغالهم بالحراسة فليصلوا معك
ظاهر هذه الآية يدل على ان الامام يصلي مرتين بكل طائفة مرة كما فعله عليه السلام ببطن النخل
وان اريد به ان يصلي بكل ركعتي ان كانت الصلوة ركعتين فكيفيتها ان يصلي بالاولى ركعة
وينتظر قايما حتى يتموا صلوتهم منفردين ويذهبوا الى وجه العدو ويا تي الاخرى فيتم بهم الركعة

الثانية ثم ينتظرهم قاعدا حتى يتموا صلوتهم ويسلم بهم كما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم
بذات الرقاع وقالا ابو حنيفة يصلي بالاولى ركعة ثم يذهب هذه ويقف بازاء العدو وياتي
الاخرى فتصلي معه ركعة وتتم صلوتها ثم تعود الى وجه العدو وتاتي فتودي الركعة الثانية
بغير قراءة وتتم صلوتها وليا خذ حذرهم واسلحتهم جعل الحذر آلة يتحصن بها الغازي فجمع
بينه وبين الاسلحة في وجوب الاخذ ونظيره قوله والذين تبوؤا الدار والايمان ودا الذين كفروا
لو تغفلون عن اسلحتكم وامتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة تمنوا ان ينالوا منكم
غرة في صلوتكم فيشدون عليكم شدة واحدة وهو بيان لما لاجله امروا باخذ السلاح ولا
جناح عليكم ان كان بكم اذى من مطر او كنتم مرضى ان تضعوا اسلحتكم رخصة
لهم في وضعها اذا ثقل عليهم اخذها بسبب مطر او مرض وهذا مما يؤيد ان الامر بالاخذ
للوجوب دون الاستحباب وخذوا حذركم امرهم مع ذلك باخذ الحذر كيلا يهجم عليهم
العدو ان الله اعد للكافرين عذابا مهينا وعد للمؤمنين بالنصر على الكفار بعد الامر
بالحزم لتقوى قلوبهم وليعلموا ان الامر بالحزم ليس لضعفهم وغلبة عدوهم بل لان الواجب
ان يحافظوا في الامور على مراسم التيقظ والتدبير فيتوكلوا على الله فاذا قضيتم الصلوة
اديتم وفرغتم منها فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم فدوموا على الذكر في جميع الاحوال واذا ادمتم اداء الصلوة واشتد الخوف فصلوها كيف ما امكن قياما مسايفين ومقاتلين وقعودا رامين وعلى جنوبكم مثخنين فاذا اطمانتم سكنت قلوبكم من الخوف فاقيموا الصلوة فعدلوا واحفظوا اركانها وشرايطها واتوا بها تامة ان الصلوة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا فرضا محدودا لاوقات لا يجوز اخراجها عن اوقاتها في شئ من الاحوال وهذا دليل على ان المراد بالذكر الصلوة وانها واجبة الاداء حالة المسايفة والاضطراب في المعركة وتعليل للامر بالاتيان بها كيف ما امكن وقالا ابو حنيفة لا يصلي المحارب حتى يطمئن ولا تهنوا ولا تضعفوا في ابتغاء القوم في طلب الكفار بالقتال ان تكونوا تالمون فانهم يالمون كما تالمون وترجون من الله ما لا يرجون الزام لهم وتقريع على التواني فيه بان ضرر القتال دايرين الفريقين غير مختص بهم وهم يرجون من الله بسببه من اظهار

الذين واستحقاق الثواب مالا يرجو عدوهم فينبغي ان يكونوا ارغب منهم في الحرب واصبر
عليها وقرئ ان تكونوا بالفتح بمعنى ولانهنوا لان تكونوا تالمون ويكون قوله فانهم يالمون علة
النهي من الوهن لاجله والآية نزلت في بدر الصغرى وكان الله عليما بامعالكم وضمايركم حكيما فيما
يامر وينهى انا انزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس نزلت في طعمة بن ابيرق
من بني ظفر سرق درعا من جار له قتادة بن النعمان في جراب دقيق فجعل الدقيق ينتثر من خرق
فيه وخبأها عند زيد بن السمين اليهودي فالتمست الدرع عند طعمة فلم توجد وحلف ما
اخذها وما له به علم فتركوه واتبعوا اثر الدقيق حتى انتهى الى منزل اليهودي فاخذوها فقال دفعها
الي طعمة وشهد له ناس من اليهود فقالت بنو ظفر انطلقوا بنا الى رسول الله فسالوه ان يجادل
عن صاحبهم وقالوا ان لم تفعل هلك وافتضح ووبرئ اليهودي فهم رسول الله ان يفعل
بما اريك الله بما عرفك الله واوحى به اليك وليس من الرؤية بمعنى العلم ولا لاستدعاء
ثلثة مفاعيل ولا تكن للخائنين اي لاجلهم والذب عنهم خصيما للبراء واستغفر الله
مما هممت به ان الله كان غفورا رحيما لمن يستغفره ولا تجادل عن الذين يختانون انفسهم
يخونونها فان وبال اختيانتهم يعود اليها اوجعل المعصية خيانة لها كما جعلت ظلما لها
والضمير لطعمة وامثاله اوله ولقومه فانهم شاركوه في الاثم حين شهدوا واعلى براءته وخاصموا
عنه ان الله لا يحب من كان خوانا مبالغا في الخيانة مصرا عليها اثيما منهمكا فيه روي ان
طعمة هرب الى مكة وارتد ونقب حائطا بها ليسرق اهله فسقط الحائط عليه فقتله
يستخفون من الناس يستترون منهم حياء وخوفا ولا يستخفون من الله ولا
يستحيون منه وهو احق بان يستحى ويخاف منه وهو معهم لا يخفى عليه سرهم فلا
طريق معه الا ترك ما يستبهجه ويؤاخذ عليه اذ يبيتون يدبرون ويزورون
ما لا يرضى من القول من رمي البريء والحلف الكاذب وشهادة الزور وكان
ان الله بما يعملون محيطا لا يفوت عنه شئ ها انتم هؤلاء مبتدا وخبر جادلتم عنهم
في الحيوة الدنيا جملة مبينة لوقوع اولاء خبرا او صلة عند من يجعل اولاء موصولا
فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة امن يكون عليهم وكيلا محاميا يحميهم عن عذاب

الله ومن يعمل سوءا قبيحا يسوء به غيره او يظلم نفسه بما يختص به ولا يتعداه وقيل
بالظلم الشرك المراد بالسوء ما دون الشرك وقيل الصغيرة والكبيرة ثم يستغفر الله يجد الله غفورا
لذنوبه رحيما متفضلا عليه وفيه حث لطعمة وقومه على التوبة والاستغفار ومن
يكسب اثما فانما يكسبه على نفسه فلا يتعداه وبالله لقوله وان اساتم فلها وكان الله
عليما حكيما فهو عالم بفعله حكيم في مجازاته ومن يكسب خطيئة صغيرة او ملا عمد
فيه او اثما كبيرة او ما كان عن عمد ثم يرم به بريئا كما رمى طعمة زيدا ووجد الضير المكان
او فقد احتمل بهتانا واثما مبينا بسبب رمي البريء وتسريب النفس الخاطية ولذلك
همت سوى بينهما وان كان مقترفا لاحدهما دون مقترف الآخر ولولا فضل الله عليك ورحمته
بالاعلام ما هممت عليه بالوحي لهمت طائفة منهم اي من بني ظفر ان يضلوك عن القضاء
بالحق مع علمهم بالحال والجملة جواب لولا وليس القصد فيه الى نفي همهم بل الى نفي تاثيره فيه
وما يضلون الا انفسهم لانه ما ازلك عن الحق وعاد وباله عليهم وما يضرونك من شئ
فان الله عصمك وما خطر ببالك كان اعتماد منك على ظاهر الامر ميلا في الحكم ومن شئ
في موضع النصب على المصدر اي شيئا من الضر وانزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك
ما لم تكن تعلم من خفيات الامور ومن امور الدين والاحكام وكان فضل الله عليك عظيما
اذ لا فضل اعظم من النبوة لا خير في كثير من نجويهم من مناجيهم كقوله واذ هم
نجوى ومن تناجيهم فقوله الا من امر بصدقة او معروف على حذف مضاف اي الا
نجوى من امر او على الانقطاع بمعنى ولكن من امر بصدقة ففي نجواه الخير والمعروف كل ما
يستحسنه الشرع ولا ينكره العقل ويندرج فيه القرض وغاثة الملهوف وصدقة التطوع
وسائر ما فسر به واصلاح بين الناس او اصلاح ذات بين ومن يفعل ذلك ابتغاء
مرضاة الله فسوف نؤتيه اجرا عظيما بني الكلام على الامر ورتب الجزاء على الفعل
ليدل على انه لما دخل الامر في زمرة الخيرين كان الفاعل ادخل فيهم وان العمدة والغرض
هو الفعل واعتبار الامر من حيث انه وصلة اليه وقيد الفعل بان يكون لطلب مرضاة
الله لان الاعمال بالنيات وان من فعل خيرا رياء وسمعة لم يستحق بها من الله اجرا

ووصف الاجر بالعظيم تنبيهًا على حقارة ما فات في جنبه من اغراض الدنيا وقرأ حمزة
وابو عمرو يؤتيه بالياء ومن يشاقق الرسول يخالفه من الشق فان كلا من المتخالفين في شق
غير شق الآخر من بعد ما تبين له الهدى ظهر له الحق بالوقوف على المعجزات ويتبع غير سبيل
المؤمنين غير ما هم عليه من اعتقاد او عمل نوله ما تولى نجعله واليًا لما تولى من الضلال
او نخلي بينه وبين ما اختاره ونصله جهنم وندخله فيها وقرئ بفتح النون من صلاه وساءت
مصيرًا جهنم والآية تدل على حرمة مخالفة الاجماع لانه تعالى رتب الوعيد الشديد على
المشاقة واتباع غير سبيل المؤمنين وذلك اما لحرمة كل واحد منهما او احدهما او الجمع
بينهما والثاني باطل اذ يقبح ان يقال من شرب الخمر واكل الخبز استوجب الحد وكذا الثالث
لان المشاقة محرمة ضم اليها غيرها او لم يضم واذا كان اتباع غير سبيلهم محرمًا كان اتباع
سبيلهم واجبًا لان ترك اتباع سبيلهم ممن عرف سبيلهم اتباع غير سبيلهم وقد
استقصيت الكلام فيه في مرصاد الافهام الى مبادي الاحكام ان الله لا يغفر ان يشرك
به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء كرره للتاكيد او لقصة طعمة وقيل جاء شيخ
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اني شيخ منهمك في الذنوب الا اني لم اشرك
بالله شيئًا منذ عرفته وآمنت به ولم اتخذ من دونه وليًا ولم اوقع المعاصي جراءة وما
توهمت طرفة عين اني اعجز الله هربًا واني لنادم تائب فما ترى حالي عند الله فنزلت
ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالًا بعيدًا عن الحق فان الشرك اعظم انواع الضلالة
وابعدها عن الصواب والاستقامة وانما ذكر في الآية الاولى فقد افترى لانها متصلة بقصة
اهل الكتاب ومنشاء شركهم كان نوع افتراء وهو دعوى التبني على الله ان يدعون من دونه
الا اناثا يعني اللات والعزى ومناة ونحوها كان لكل حي صنم يعبدونه ويسمونه انثى بني
فلان وذلك اما لتانيث اسمائها كما قال وما ذكر ان يسمن فانثى شديد اللزم ليس له ضروس
فانه عنى القراد وهو ما كان صغيرًا سمي قرادًا فاذا كبر سمي حلمة او لانها كانت جمادات والجمادات
تؤنث من حيث انها ضاهت الاناث لانفعالها ولعله تعالى ذكرها بهذا الاسم تنبيهًا على
انهم يعبدون ما يسمونه اناثا لانه ينفعل ولا يفعل ومن حق المعبود ان يكون فاعلا غير منفعل

ليكون

ليكون دليلا على تناهي جهلهم وفرط حماقتهم وقيل المراد الملائكة لقولهم بنات الله وهو
جمع انثى كرباب وربى وقرئ انثى على التوحيد وانثا على انه جمع انيث كخبث وخبيث ووثنى
بالتخفيف والتثقيل وهو جمع وثن كاسد واسد واسد واثنا بهما على قلب الواو لضمتها
همزة وان يدعون وان يعبدون بعبادتها الا شيطانا مريدًا لانه الذي امرهم
بعبادتها واغراهم عليها فكان طاعته في ذلك عبادة له والمارد والمريد الذي لا يعلق
بخير واصل التركيب للملاسة ومنه صرح ممرد وغلام امرد وشجرة مرداء للتي تناثر
ورقها لعنه الله صفة ثانية للشيطان وقال لاتخذن من عبادك نصيبًا مفروضًا
عطف عليه اي شيطانا مريدًا جامعًا بين لعنة الله وهذا القول الدال على فرط عداوته
للناس وقد برهن سبحانه اولا على ان الشرك ضلال في الغاية على سبيل التعليل بان ما يشر
كون به ينفعل ولا يفعل فعلا اختياريًا وذلك ينافي الالوهية غاية المنافات فان الاله
ينبغي ان يكون فاعلا غير منفعل ثم استدل عليه بانه عبادة الشيطان وهو افظع الضلال
لثلاثة اوجه الاول انه مريد منهمك في الضلال لا يعلق بشيء من الخير والهدى فيكون
طاعته ضلالا بعيدًا عن الهدى والثاني انه ملعون لضلاله فلا يستجلب مطاوعته
سوى الضلال واللعن والثالث انه في غاية العداوة والسعي في اهلاكهم وموالاة من هذا
شانه غاية الضلالة فضلا عن عبادته والمفروض المقطوع اي نصيبًا قدر لي وفرض من قولهم
فرض له في العطاء ولاضلنهم عن الحق ولامنينهم الاماني الباطلة كطول البقاء وان لا بعث
ولا عقاب ولآمرنهم فليبتكن آذان الانعام يشقونها لتحريم ما احله الله وهي عبارة عما كانت
العرب تفعل بالبحائر والسوائب واشارة الى تحريم كل ما احل ونقص كل ما خلق كاملا بالفعل
او القوة ولآمرنهم فليغيرن خلق الله عن وجهه صورة او صفة ويندرج فيه ما قيل من فقؤ
عين الحامي وخصاء العبيد والوشم والوشر واللواط والسحق ونحو ذلك وعبادة الشمس والقمر
وتغيير فطرة الله التي هي الاسلام واستعمال الجوارح فيما لا يعود على النفس كمالا ولا يوجب لها
من الله زلفى وعموم اللفظ يمنع الخصاء مطلقًا لكن الفقهاء رخصوا في خصاء البهائم للحاجة
والجمل الاربع حكاية عما ذكره الشيطان نطقًا او اتاه فعلا ومن يتخذ الشيطان وليًا

من دون الله بايثاره ما يدعوه اليه على ما امره الله به ومجاوزته عن طاعة الله الى
طاعته فقد خسر خسرانا مبينا اذ ضيع راس ماله وبدل مكانه من الجنة بمكان من
النار يعدهم ما لا ينجز ويمنيهم ما لا ينالون وما يعدهم الشيطان الا غرورا وهو اظهار النفع فيما
فيه الضر وهذا الوعد اما بالخواطر الفاسدة او بلسان اوليائه اولئك ماويهم جهنم ولا
يجدون عنها محيصا معدلا ومهربا من حاص يحيص اذا عدل وعنها حال منه وليس صلة له لانه
اسم مكان وان جعل مصدرا فلا يعمل ايضا فيما قبله والذين آمنوا وعملوا الصالحات
سندخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا وعد الله حقا اي وعده
وعدا وحق ذلك حقا فالاول موكد لنفسه لان مضمون الجملة الاسمية التي قبله وعد
والثاني موكد لغيره ويجوز ان ينصب الموصول بفعل يفسره ما بعده ووعد الله بقوله سند
خلهم لانه بمعنى ونعدهم ادخالهم وحقا على انه حال من المصدر ومن اصدق من الله قيلا
جملة موكدة بليغة والمقصود من الاية معارضة المواعيد الشيطانية الكاذبة لقرنائه بوعد
الله الصادق لاوليائه والمبالغة في توكيده ترغيبا للعباد في تحصيله ليس بامانيكم ولا
اماني اهل الكتاب اي ليس ما وعد الله من الثواب ينال بامانيكم ايها المسلمون ولا باماني اهل
الكتاب وانما ينال بالايمان والعمل الصالح وقيل ليس الايمان بالتمني ولكن ما وقر في القلب
وصدقه العمل روي ان المسلمين واهل الكتاب افتخروا فقال اهل الكتاب نبينا قبل نبيكم
وكتابنا قبل كتابكم ونحن اولى بالله منكم وقال المسلمون نحن اولى منكم نبينا خاتم النبيين
وكتابنا يقضي على الكتب المتقدمة فنزلت وقيل الخطاب مع المشركين ويدل عليه تقدم
ذكرهم اي ليس الامر باماني المشركين وهو قولهم لا جنة ولا نارا وقولهم ان كان الامر كما
يزعم هولاء لنكونن خيرا منهم واحسن حالا ولا اماني اهل الكتاب وهو قولهم لن يدخل
الجنة الا من كان هودا او نصارى وقولهم لن تمسنا النار الا اياما معدودة ثم قرر ذلك
وقال من يعمل سوءا يجز به عاجلا او آجلا لما روي انه لما نزل قال ابو بكر فمن ينجو مع هذا
يا رسول الله فقال عليه السلام اما تحزن اما تمرض اما يصيبك اللاواء قال بلى يا رسول
الله قال هو ذاك ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا ولا يجد لنفسه اذا جاوز موالاة الله

ونصرته

ونصرته من يواليه وينصره في دفع العذاب عنه ومن يعمل من الصالحات بعضها وشيئا منها
فان كل احد لا يتمكن من كلها وليس مكلفا بها من ذكر او انثى في موضع الحال من المستكن في يعمل
ومن للبيان او من الصالحات اي كائنة من ذكر او انثى ومن للابتداء وهو مؤمن حال شرط اقتران
العمل بها في استدعاء الثواب المذكور تنبيها على انه لا اعتداد به دونه فيه فاولئك يدخلون
الجنة ولا يظلمون نقيرا بنقص شيء من الثواب واذا لم ينقص ثواب المطيع فبالحري ان لا يزاد
عقاب العاصي لان المجازي ارحم الراحمين ولذلك اقتصر على ذكره عقيب الثواب [illegible]
قرا ابن كثير وابو عمرو وابو بكر يدخلون هنا وفي مريم وغافر بضم الياء وفتح الخاء والباقون
بفتح الياء وضم الخاء ومن احسن دينا ممن اسلم وجهه لله اخلص نفسه لله لا يعرف لها ربا سواه وقيل
بذل وجهه له في السجود وفي هذا الاستفهام تنبيه على ان ذلك منتهى ما يبلغه القوة البشرية
وهو محسن آت بالحسنات تارك للسيئات واتبع ملة ابرهيم الموافقة لدين الاسلام المتفق
على صحتها حنيفا مائلا عن سائر الاديان الى دين الاسلام وهو حال من المتبع او الملة او ابرهيم
واتخذ الله ابرهيم خليلا اصطفاه وخصصه بكرامة تشبه كرامة الخليل عند خليله وانما
اعاد ذكره ولم يضمر تفخيما له وتنصيصا على انه الممدوح والخلة من الخلال فانه ود تخلل النفس وخا
لطها وقيل من الخلل فان كل واحد من الخليلين يسد خلل الاخر او من الخل وهو الطريق في الرمل فا
نهما يتوافقان في الخصال والجملة استيناف جيء بها للترغيب في اتباع ملته والايذان بانه نهاية في
الحسن وغاية كمال البشر روي ان ابرهيم عليه السلام بعث الى خليل له بمصر في ازمة اصابت
الناس يمتار منه فقال خليله لو كان ابرهيم يريد لنفسه لفعلت ولكن يريد للاضياف وقد
اصابنا ما اصاب الناس فاجتاز غلمانه ببطحاء لينة فملؤا منها الغرائر حياء من الناس فلما
اخبروا ساءه الخبر فغلبته عيناه فنام وقامت سارة الى غرارة منها فاخرجت حوارى واختبزت
فاستيقظ ابرهيم فاشتم رائحة الخبز فقال من اين هذا لكم فقالت من خليلك المصري فقال
بل من عند خليلي الله عز وجل فسماه الله خليلا ولله ما في السموات وما في الارض خلقا وملكا يختار منها
من يشاء وما يشاء وقيل هو متصل بذكر العمال مقرر لوجوب طاعته على اهل السموات والا
رض وكمال قدرته على مجازاتهم على الاعمال وكان الله بكل شيء محيطا احاطة علم وقدرة فكان

في الطريقة او من الخلة فانهما يتوافقان

عالما باعمالهم فمجازيهم على خيرها وشرها ويستفتونك في النساء في ميراثهن او سبب
نزوله ان عيينة بن حصين اتى النبي عليه السلام فقال اخبرنا انك تعطي الابنة النصف
والاخت النصف وانما كنا نورث من يشهد القتال ويحوز الغنيمة فقال عليه السلام
كذلك امرت قل الله يفتيكم فيهن يبين لكم حكمه فيهن والافتاء تبيين المبهم وما يتلى
عليكم في الكتاب عطف على اسم الله او ضميره المستكن في يفتيكم وساغ للفصل
فيكون الافتاء مسندا الى الله والى ما في القرآن من قوله يوصيكم الله ونحوه والفعل الواحد
ينسب الى فاعلين باعتبارين مختلفين ونظيره اعنائي زيد وعطاؤه او استيناف معترض
لتعظيم المتلو عليهم على ان ما يتلى عليكم مبتدأ وفي الكتاب خبره والمراد به اللوح المحفوظ ويجوز
ان ينصب على معنى ويبين لكم ما يتلى عليكم ويخفض على القسم كانه قيل والقسم بما
يتلى عليكم في الكتاب ولا يجوز عطفه على المجرور في فيهن لاختلالا له لفظا ومعنى
في يتامى النساء صلة يتلى ان عطف الموصول على ما قبله اى يتلى عليكم في شانهن والا
فبدل من فيهن او صلة اخرى ليفتيكم على معنى الله يفتيكم فيهن بسبب يتامى النساء كما
تقول كلمتك اليوم في زيد وهذه الاضافة بمعنى من لانها اضافة الشيء الى جنسه وقرئ
يتامى على انه ايامى فقلبت همزتيا اللاتي لا تؤتونهن ما كتب لهن اى فرض لهن من الميراث
وترغبون ان تنكحوهن في ان تنكحوهن او عن ان تنكحوهن فان اولياء اليتامى
كانوا يرغبون فيهن ان كن جميلات ويأكلون مالهن والا كانوا يعضلونهن طمعا في ميراثهن
والواو يحتمل الحال والعطف وليس فيه دليل على جواز تزويج الصبية اذ لا يلزم من الترغيب
فيه في نكاحها جريان العقد في صغرها والمستضعفين من الولدان عطف على يتامى النساء
والعرب ما كانوا يورثون هم كالا يورثون النساء وان تقوموا لليتامى بالقسط ايضا عطف عليه
اى ويفتيكم ما يتلى فيهن ان تقوموا هذا اذا جعل في يتامى صلة لاحدهما فان جعلته بدلا
فالوجه نصبهما عطفا على موضع فيهن ويجوز ان ينصب وان تقوموا باضمار فعل اى
وياءمركم ان تقوموا وهو خطاب للائمة فان ينظروا لهم وليستوفوا حقوقهم او للقوام
بالقصة في شانهم وما تفعلوا من خير فان الله كان به عليما وعد لمن آثر الخير في ذلك وان

امراة

امراة تخافت من بعلها توقعت منه لما ظهر لها من الخايل وامراة فاعل فعل يفسره الظاهر
نشوزا تجافيا عنها وترفعا عن صحبتها كراهة لها ومنعا لحقوقها او اعراضا بان يقل محادثتها
لسنها ومحادثتها فلا جناح عليهما ان يصالحا بينهما صلحا ان يتصالحا بان تحط بعض المهر
او القسم او تهب له شيأ تستميله به وقراء الكوفيون ان يصلحا من اصلح بين المتنازعين
وعلى هذا جاز ان ينتصب صلحا على المفعول به وبينهما ظرف او حال منه او على المصدر
كما في القراءة الاولى والمفعول بينهما او هو محذوف وقرئ يصلحا من اصلح بمعنى اصطلح
والصلح خير من الفرقة وسوء العشرة او من الخصومة ويجوز ان لا يراد به التفضيل
بيان انه من الخيور كما ان الخصومة من الشرور وهو اعتراض وكذا قوله واحضرت الانفس
الشح ولذلك اغتفر عدم تجانسهما والاول للترغيب في المصالحة والثاني لتمهيد العذر
في المماكسة ومعنى احضار الانفس الشح جعلها حاضرة له مطبوعة عليه فلا تكاد المراة
تسمح بالاعراض عنها والتقصير في حقها ولا الرجل يسمح بان يمسكها ويقوم بحقها على ما ينبغي
اذا كرهها او احب غيرها وان تحسنوا في العشرة وتتقوا النشوز والاعراض ونقص الحق
فان الله كان بما تعملون من الاحسان والخصومة خبيرا عليما به وبالغرض فيه فيجازيكم
عليه اقام كونه عالما باعمالهم مقام اثابته اياهم عليها الذي هو في الحقيقة جواب
الشرط اقامة السبب مقام المسبب ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء لان
العدل ان لا يقع ميل البتة وهو متعذر ولذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقسم بين نسائه فيعدل ويقول هذه قسمتي فيما املك فلا تاخذني فيما تملك ولا
املك ولو حرصتم على تحري ذلك والغتم فيه فلا تميلوا كل الميل بترك المستطاع والحور
على المرغوب عنها فان ما لا يدرك كله لا يترك كله فتذروها كالمعلقة التي ليست
ذات بعل ولا مطلقة وعن النبي صلى الله عليه وسلم من كانت له امراتان يميل مع احديهما
جاء يوم القيامة واحد شقيه مائل وان تصلحوا ما كنتم تفسدون من امورهن و
تتقوا فيما يستقبل فان الله كان غفورا رحيما يغفر لكم ما مضى من ميلكم وان يتفرقا
وقرئ وان يتفارقا اى وان تفارق كل منهما صاحبه يغن الله كلا منهما عن الاخر

168

بيد إلا وسلوه من سعته غناه وقدرته وكان الله واسعا حكيما مقتدرا متقنا
في افعاله واحكامه ولله ما في السموات وما في الارض تنبيه على كمال سعته وقدرته
ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب من قبلكم يعني اليهود والنصارى
ومن قبلهم والكتاب للجنس ومن متعلقة بوصينا او باوتوا ومساق الآية لتاكيد الامر
بالاخلاص واياكم عطف على الذين ان اتقوا الله بان اتقوا الله ويجوز ان يكون
ان مفسرة لان التوصية في معنى القول وان تكفروا فان لله ما في السموات وما في
الارض على ارادة القول اى وقلنا لهم ولكم ان تكفروا فان الله مالك الملك كله لا يتضرر
بكفركم ومعاصيكم كما لا ينتفع بشكركم وتقويكم وانما وصيكم لرحمته لا لحاجته ثم
قرر ذلك بقوله وكان الله غنيا عن الخلق وعبادتهم حميدا في ذاته حمد او لم يحمد
ولله ما في السموات وما في الارض ذكره ثانيا للدلالة على كونه غنيا حميدا فان جميع
المخلوقات يدل لحاجتها على غناه وبما فاض عليها من الوجود وانواع الخصايص
والكمالات على كونه حميدا وكفى بالله وكيلا راجع الى قوله يغنى الله كلا من سعته فانه
تعالى توكل بكفايتهما وما بينهما تقرير لذلك ان يشأ يذهبكم ايها الناس
يفنكم ومفعول يشأ محذوف دل عليه الجواب وياتِ بآخرين ويوجد قوما آخرين
مكانكم وخلقا آخرين مكان الانس وكان الله على ذلك من الاعدام والايجاد قديرا
بليغ القدرة لا يعجزه مراد وهذا ايضا تقرير لغناه وقدرته وتهديد لمن كفر به وخالف
امره وقيل هو خطاب لمن عادى رسول الله من العرب ومعناه معنى قوله وان
تتولوا يستبدل قوما غيركم لما روى انه لما نزل ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم
يده على ظهر سلمان وقال انهم قوم هذا من كان يريد ثواب الدنيا كالمجاهد
المجاهد للغنيمة فعند الله ثواب الدنيا والآخرة فالله يطلب اخسهما فليطلبهما
كمن يقول ربنا اتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة او ليطلب الاشرف منهما
فان من جاهد خالصا لله لم تخطه الغنيمة وله في الآخرة ما هي في خنبه كالشيء او فعند الله
ثواب الدارين فيعطى كلا ما يريده كقوله من كان يريد حرث الآخرة نزد له الآية

وكان الله

وكان الله سميعا بصيرا عارفا بالاغراض فيجازى كلا بحسب قصده يا ايها الذين
آمنوا كونوا قوامين بالقسط مواظبين على العدل مجتهدين شهداء لله بالحق تقيمون شهادتكم
لوجه الله وهو خبر ثان او حال ولو على انفسكم ولو كانت الشهادة على انفسكم بان
تقروا عليها لان الشهادة بيان الحق سواء كان عليه او على غيره او الوالدين والاقربين
ولو على والديكم واقاربكم ان يكن اى المشهود عليه او كل واحد منه ومن المشهود له غنيا
او فقيرا فلا تمتنعوا عن اقامة الشهادة او لا تجوروا فيها ميلا او ترحما فالله اولى بهما
بالغنى والفقير وبالنظر لهما فلو لم يكن الشهادة عليهما او لهما صلاحا لما شرعها وهو علة
الجواب اقيمت مقامه والضمير في بهما راجع الى ما دل عليه المذكور وهو جنسا الغنى والفقير
لا اليه والا لوحد ويشهد عليه انه قرئ فالله اولى بهم فلا تتبعوا الهوى ان تعدلوا
لان تعدلوا عن الحق او كراهة ان تعدلوا من العدل وان تلووا السنتكم عن شهادة الحق
او حكومة العدل وقراءة نافع وابن كثير وابو عمرو وعاصم والكسائى وان تلوا باسكان
اللام وبعدها واو ان الاولى مضمومة والثانية ساكنة وقراءة حمزة وابن عامر وان
تلوا بمعنى وان وليتم اقامة الشهادة او تعرضوا عن ادائها فان الله كان بما تعملون
خبيرا فيجازيكم عليه يا ايها الذين آمنوا خطاب للمسلمين او للمنافقين او للمؤمنى اهل
الكتاب اذ روى ان ابن سلام واصحابه قالوا يا رسول الله انا نؤمن بك وبكتابك وبموسى
والتورية وعزير ونكفر بما سواه فنزلت آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذى نزل على رسوله
والكتاب الذى انزل من قبل اثبتوا على الايمان بذلك ودوموا عليه او آمنوا به
بقلوبكم كما آمنتم بلسانكم او آمنوا ايمانا خاليا عما يتم الكتب والرسل فان الايمان ببعض كالا
ايمان والكتاب الاول القرآن والثانى الجنس ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه
ورسله واليوم الآخر اى ومن يكفر بشيء من ذلك فقد ضل ضلالا بعيدا عن المقصد
بحيث لا يكاد يعود الى الطريقه ان الذين آمنوا يعنى اليهود آمنوا بموسى ثم كفروا
بعد عوده اليهم ثم كفروا بعيسى ثم ازدادوا كفرا بمحمد صلوات الله عليه او
قوما تكرر منهم الارتداد ثم اصروا على الكفر وازدادوا تماديا في الغى لم يكن الله

169

ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا اذ يستبعد منهم ان يتوبوا عن الكفر ويثبتوا على الا
يمان فان قلوبهم قد ضريت بالكفر وبصائرهم عميت عن الحق لا انهم لو اخلصوا
الايمان لم يقبل منهم ولم يغفر لهم وخبر كان في امثال ذلك محذوف تعلق به اللام
مثل لم يكن الله مريدا ليغفر لهم بشر المنافقين بان لهم عذابا اليما يدل على ان الاية
في المنافقين وهم قد آمنوا في الظاهر وكفروا في السر مرة بعد اخرى ثم ازدادوا بالاصرار
على النفاق وافساد الامر على المؤمنين ووضع بشر مكان انذر تهكم بهم الذين يتخذون
الكافرين اولياء من دون المؤمنين في محل النصب والرفع على الذم بمعنى
اريد الذين او هم الذين ايبتغون عندهم العزة ايتعززون بموالاتهم فان العزة
لله جميعا لا يتعزز الا من اعزه وقد كتب العزة لاوليائه فقال ولله العزة ولرسوله
وللمؤمنين لا يؤبه بعزة غيرهم بالاضافة اليهم وقد نزل عليكم في الكتاب يعني
في القرآن وقرئ نزل والقائم مقام فاعله ان اذا سمعتم آيات الله وهي المخففة
والمعنى انه اذا سمعتم يكفر بها ويستهزأ بها حالان من الآيات جيء بهما لتقييد النهي
عن المجالسة في قوله فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره الذي هو جزاء
الشرط بما اذا كان من يجالسه هازئا معاندا غير مرجو ويؤيده الغاية وهذا تذكار ما نزل
عليهم بمكة من قوله واذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا الآية انكم اذا مثلهم في الاثم
لانكم قادرون على الاعراض عنهم والانكار عليهم او الكفران رضيتم بذلك او لان الذين يقا
عدون الخائضين في القرآن من الاحبار كانوا منافقين ويدل عليه ان الله جامع المنافقين
والكافرين في جهنم جميعا يعني القاعدين والمقعود معهم واذا ملغاة لوقوعها
بين الاسم والخبر ولذلك لم يذكر بعدها الفعل وافراد مثلهم لانه كالمصدر او للاستغناء
بالاضافة الى الجمع وقرئ بالفتح على البناء لاضافته الى مبني كقوله مثل ما انكم تنطقون الذين
يتربصون بكم ينتظرون وقوع امر بكم وهو بدل من الذين يتخذون او صفة للمنافقين والكا
فرين او ذم مرفوع او منصوب او مبتدأ خبره فان كان لكم فتح من الله قالوا الم نكن معكم
مظاهرين لكم فاسهموا لنا فيما غنمتم وان كان للكافرين نصيب من الحرب

والضمير للكفرة المدلول عليهم بقوله يكفر بها ويستهزأ بها صح

فانها

فانها سجال قالوا الم نستحوذ عليكم اي قالوا للكفرة الم نغلبكم ونتمكن من قتلكم فا
بقينا عليكم والاستحواذ الاستيلاء وكان القياس ان يقال استحاذ يستحيذ استحاذة فجاءت
على الاصل ونمنعكم من المؤمنين بان اخذلناهم بتخييل ما ضعفت به قلوبهم وتوانينا
في مظاهرتهم فاشركونا فيما اصبتم وانما سمي ظفر المسلمين فتحا وظفر الكافرين نصيبا لخسة
حظهم فانه مقصور على امر دنيوي سريع الزوال فالله يحكم بينكم يوم القيامة ولن يجعل
الله للكافرين على المؤمنين سبيلا حينئذ او في الدنيا والمراد بالسبيل الحجة واحتج به
اصحابنا على فساد شرى الكافر المسلم والحنفية على حصول البينونة بنفس الارتداد وهو
ضعيف لانه لا ينفي ان يكون اذا عاد الى الاسلام قبل مضي العدة ان المنافقين يخادعون الله
وهو خادعهم سبق الكلام فيه اول سورة البقرة واذا قاموا الى الصلوة قاموا كسالى
متثاقلين الفعل وقرئ كسالى بالفتح وهما جمعا كسلان يراؤن الناس ليخالوهم
مؤمنين والمراءاة مفاعلة بمعنى التفعيل كنعم وناعم او للمقابلة فان المرائي يرى من يرائيه
عمله وهو يريه استحسانه ولا يذكرون الله الا قليلا اذ المرائي لا يفعل الا بحضرة
من يرائيه وهو اقل احواله او لان ذكرهم باللسان قليل بالاضافة الى الذكر بالقلب وقيل
المراد الصلوة وقيل الذكر فيها فانهم لا يذكرون فيها غير التكبير والتسليم مذبذبين
بين ذلك حال عن واو يراؤن كقوله ولا يذكرون الله اي يراؤنهم غير ذاكرين مذبذبين
او واو يذكرون او منصوب على الذم والمعنى مترددين بين الايمان والكفر من الذبذبة وهو جعل
الشيء مضطربا واصله الذب بمعنى الطرد وقرئ بكسر الذال بمعنى يذبذبون قلوبهم او دينهم
او يتذبذبون كقولهم صلصل بمعنى تصلصل وقرئ بالدال غير المعجمة بمعنى اخذوا تارة في
دبة وتارة في دبة وهي الطريقة لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء لا منسوبين الى المؤمنين ولا الى الكا
فرين او لا صائرين الى احد الفريقين بالكلية ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا الى الحق
والصواب ونظيره قوله تعالى ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور يا ايها الذين آمنوا
لا تتخذوا الكافرين اولياء من دون المؤمنين فانه صنيع المنافقين وديدنهم
فلا تتشبهوا بهم اتريدون ان تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا حجة بينة فان موالاتهم

بانهم دليل على النفاق او سلطانا يسلط عليكم عقابه ان المنافقين في الدرك الاسفل
من النار هو الطبقة التي في قعر جهنم وانما كان كذلك لانهم اخبث الكفرة اذ ضموا
الى الكفر استهزاء بالاسلام وخداعا للمسلمين واما قوله عليه السلام ثلث من كن فيه
فهو منافق وان صام وصلى وزعم انه مسلم من اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا
اؤتمن خان ونحوه فمن باب التشبيه والتغليظ وانما سميت طبقاتها السبع دركات لانها
متداركة متتابعة بعضها فوق بعض وقراء الكوفيون بسكون الراء وهو لغة كالسطر
والسطر والتحرك اوجه لانه يجمع على ادراك ولن تجد لهم نصيرا يخرجهم منه الا الذين
تابوا عن النفاق واصلحوا ما افسدوا من اسرارهم واحوالهم في حال النفاق واعتصموا
بالله وثقوا به وتمسكوا بدينه واخلصوا دينهم لله لا يريدون بطاعتهم الا وجهه بطاعته
فاولئك مع المؤمنين ومن عدادهم في الدارين وسوف يؤت الله المؤمنين اجرا عظيما
فيساهمهم فيه ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وآمنتم ايتشفى به غيظا او يدفع ضررا
او يستجلب به نفعا وهو الغني المتعالي عن النفع والضر وانما يعاقب المصر بكفره لان
اصراره كسوء مزاج يؤدي الى مرض فاذا زال بالايمان والشكر وبقي عنه نفسه تخلص
من تبعته وانما قدم الشكر لان الناظر يدرك النعمة اولا فيشكر شكرا مبهما ثم يعمل النظر
حتى يعرف المنعم فيؤمن به وكان الله شاكرا مثيبا يقبل اليسير ويعطي الجزيل عليما بحق
شكركم وايمانكم لا يحب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم الا جهر من ظلم
بالدعاء على الظالم والتظلم منه روي ان رجلا ضاف قوما فلم يطعموه فاشتكاهم فعوتب
عليه فنزلت وقرئ من ظلم على البناء للفاعل فيكون الاستثناء منقطعا اي ولكن الظالم
يفعل ما لا يحبه الله وكان الله سميعا لكلام المظلوم عليما بالظالم ان تبدوا خيرا طاعة
وبرا او تخفوه او تفعلوا سرا او تعفوا عن سوء لكم المؤاخذة عليه وهو المقصود وذكر
ابداء الخير واخفاءه تنبيه له ولذلك رتب عليه قوله فان الله كان عفوا قديرا
اي يكثر العفو عن العصاة مع كمال قدرته على الانتقام فانتم اولى بذلك وهو حث
المظلوم على العفو بعد ما رخص له في الانتصار حملا على مكارم الاخلاق ان الذين يكفرون

بالله ورسله ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله بان يؤمنوا بالله ويكفروا برسله
ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض نؤمن ببعض الانبياء ونكفر ببعضهم ويريدون ان
يتخذوا بين ذلك سبيلا طريقا وسطا بين الايمان والكفر والواسطة اذا لحق لا يختلف فان
الايمان بالله انما يتم بالايمان برسله وتصديقهم فيما بلغوا عنه تفصيلا واجمالا فاما
الكافر ببعض ذلك كالكافر بالكل في الضلال كما قال الله تعالى فماذا بعد الحق الا الضلال
اولئك هم الكافرون هم الكاملون في الكفر لاعترافهم بايمانهم هذا حقا مصدر مؤكد
لغيره او صفة لمصدر الكافرين بمعنى هم الذين كفروا كفرا حقا اي يقينا محققا واعتدنا
للكافرين عذابا مهينا والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين احد منهم
اضدادهم ومقابلوهم وانما دخل بين على احد وهو يقتضي متعددا لعمومه من حيث
انه وقع في سياق النفي اولئك سوف يؤتيهم اجورهم الموعودة لهم وتصدير بسوف
لتوكيد الوعد والدلالة على انه كائن لا محالة وان تاخر وقرأ حفص عن عاصم وعن يعقوب بالياء
على تلوين الخطاب وكان الله غفورا لما فرط منهم رحيما عليهم بتضعيف حسناتهم
يسألك اهل الكتاب ان تنزل عليهم كتابا من السماء نزلت في احبار اليهود قالوا
ان كنت صادقا فائتنا بكتاب من السماء جملة كما اتى به موسى وقيل كتابا بخط
سماوي على الواح كما كانت التوراة وكتابا بمعاينة حين ينزل او كتابا اليتنا باعيانا بانك
رسول الله فقد سألوا موسى اكبر من ذلك جواب شرط مقدر كان استكبرت ما سألوه
منك فقد سألوا موسى اكبر منه وهذا السؤال وان كان من آبائهم اسند اليهم
لانهم كانوا الآخذين بمذهبهم تابعين لهديهم والمعنى ان عرقهم راسخ في ذلك
وان ما اقترحوا عليك ليس ببدع لجهلهم وغيهم فقالوا ارنا الله جهرة
عيانا اي ارناه نره جهرة او مجاهرين معاينين له فاخذتهم الصاعقة نار جاءت
من السماء فاهلكتهم بظلمهم بسبب ظلمهم وهو تعنتهم وسوالهم لما يستحيل
في تلك الحالة التي كانوا عليها وذلك لا يقتضي امتناع الرؤية مطلقا ثم اتخذوا العجل
من بعد ما جاءتهم البينات هذه الجناية الثانية التي اقترفوها ايضا وابلهم والبينات

المعجزات ويجوز حملها على التورية اذ لم يأتهم بعد فعفونا عن ذلك وآتينا موسى
سلطانا مبينا تسلطا ظاهرا عليهم حين امرهم بان يقتلوا انفسهم توبة عن اتخاذهم العجل
ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم بسبب ميثاقهم ليقبلوه وقلنا لهم ادخلوا
الباب سجدا على لسان موسى او الطور مظل عليهم وقلنا لهم لا تعدوا في السبت
على لسان داود ويحتمل ان يراد على لسان موسى حين ظلل الجبل عليهم فانه شرع السبت
ولكن كان الاعتداء فيه والمسخ به في زمن داود وقراءة ورش عن نافع لا تعدوا على ان
اصله لا تعتدوا فادغمت التاء في الدال واخذنا منهم ميثاقا غليظا على ذلك وهو
قولهم سمعنا واطعنا فبما نقضهم ميثاقهم اي فخالفوا ونقضوا ففعلنا بهم ما فعلنا
بنقضهم وما مزيدة للتاكيد والباء متعلقة بالفعل المحذوف ويجوز ان يتعلق بحرمنا
عليهم طيبات فيكون التحريم بسبب النقض وما عطف عليه صلة وقولهم معطوف
على المجرور فلا يعمل في جان وكفرهم بآيات الله بالقرآن او بما في كتابهم وقتلهم
الانبياء بغير حق وقولهم قلوبنا غلف اوعية للعلوم او في اكنة مما تدعونا اليه
بل طبع الله عليها بكفرهم فجعلها محجوبة عن العلم واخذها ومنعها التوفيق للتدبر
في الآيات والتذكر بالمواعظ فلا يؤمنون الا قليلا منهم كعبد الله بن سلام وايمانا
قليلا لا عبرة به لنقصانه وبكفرهم بعيسى وهو معطوف على بكفرهم لانه من اسباب
الطبع او على قوله فبما نقضهم ويجوز ان يعطف بمجموع هذا وما عطف عليه على مجموع ما
قبله ويكون تكرير ذكر الكفر ايذانا لتكرر كفرهم بموسى ثم بعيسى ثم بمحمد عليهم السلام
وقولهم على مريم بهتانا عظيما يعني نسبتها الى الزنا وقولهم انا قتلنا المسيح
عيسى ابن مريم رسول الله اي بزعمهم ويحتمل انهم قالوه استهزاء ونظيره قوله
ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون وان يكون استينافا من الله بمدحه او وضعا للذكر
الحسن مكان ذكرهم القبيح وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم روي ان
رهطا من اليهود سبوه وامه فدعا عليهم فمسخهم الله قردة وخنازير فاجتمعت اليهود
على قتله فاخبره الله بانه يرفعه الى السماء فقال لاصحابه ايكم يرضى ان يلقى عليه شبهي فيقتل

ويصلب

وقراءة قالون باخفاء حركة العين وتشديد الدال والنص عنه بالاسكان

الى قوله فبظلم لانه اعاد اعليه قوله بل طبع الله عليها مثل ايؤمنون الا نرد لقولهم قلوبنا غلف فيكون

قوله بل طبع الله عليها

فانهم كفروا به

اي بزعمهم

ويصلب ويدخل الجنة فقام رجل منهم فالقى الله عليه شبهه فقتل وصلب وقيل
كان رجلا يناقشه فخرج ليدل عليه فالقى الله عليه شبهه فاخذ وصلب وقيل دخل
خيطا يوس اليهودي بيتا كان هو فيه فلم يجده والقى الله عليه شبهه فلما خرج ظنوا انه
عيسى فاخذ وصلب وامثال ذلك من الخوارق التي لا يستبعد في زمان النبوة وانما ذمهم
الله بما دل عليه الكلام من جراتهم على الله وقصدهم قتل نبيه المؤيد بالمعجزات القاهرة
وتحجرهم بدلا لقولهم هذا على حسب حسبانهم وشبه مسندا الى الجار والمجرور وكانه
قيل ولكن وقع لهم التشبيه بين عيسى والمقتول او في الامر على قول من قال لم يقتل
احد ولكن ارجف بقتله فشاع بين الناس او الى ضمير المقتول لدلالة انا قتلنا على ان ثم
مقتولا وان الذين اختلفوا في شان عيسى فانه لما وقعت تلك الواقعة اختلف الناس
فقال بعض اليهود انه كان كاذبا فقتلناه حقا وترددا آخرون فقال بعضهم ان كان هذا عيسى
فاين صاحبنا وقال بعضهم الوجه وجه عيسى والبدن بدن صاحبنا وقال من سمع
منه انه يرفعني الى السماء وقال قوم صلب الناسوت وصعد اللاهوت لفي شك منه
لفي تردد والشك كما يطلق على ما لا يترجح احد طرفيه يطلق على مطلق التردد وعلى ما بقابل العلم ولذلك
قوله ما لهم به من علم الا اتباع الظن استثناء منقطع اي ولكنهم يتبعون
الظن ويجوز ان يفسر الشك بالجهل والعلم بالاعتقاد الذي يتسكن اليه النفس جزما كان او غيره
فيتصل الاستثناء وما قتلوه يقينا قتلا يقينا كما زعموه بقولهم انا قتلنا المسيح او
متيقنين وقيل معناه ما علموه يقينا كقولك ذاك ما لا عرفه العالمات بها وقد قتلت
بعلمي ذلك جزما من قولهم قتلت الشيء علما وخبرته علما اذا تبالغ علمك فيه بل رفعه الله
اليه رد وانكار لقتله واثبات لرفعه وكان الله عزيزا لا يغلب على ما يريده حكيما
فيما دبر لعيسى وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته اي وان من اهل الكتاب
احد الا ليؤمنن به فقوله ليؤمنن به جملة قسمية وقعت صفة لاحد ويعود اليه الضمير
الثاني والاول لعيسى والمعنى ما من اليهود والنصارى احد الا ليؤمنن بان عيسى عبد الله
ورسوله قبل ان يموت ولو حين يرهق روحه ولا ينفعه ايمانه ويؤيد ذلك ان قرئ

فلما خرج ظنوا انه عيسى

انه رفع الى السماء

الانتظام والتخلص

الا ليؤمنن به قبل موتهم بضم النون لان احدا في معنى الجمع وهذا كالوعيد لهم والتحريض على
معاجلة الايمان به قبل ان يضطروا اليه ولم ينفعهم ايمانهم وقيل الضمير ان لعيسى والمعنى
انه اذا نزل من السماء آمن به اهل الملل جميعا روي انه ينزل من السماء حين يخرج الدجال
فيهلكه ولا يبقى احد من اهل الكتاب الا يؤمن به حتى تكون الملة واحدة وهي ملة الاسلام
ويقع الامنة حتى ترتع الاسود مع الابل والنمور مع البقر والذياب مع الغنم ويلعب الصبيان
بالحيات ويلبث في الارض اربعين سنة ثم يتوفى ويصلى عليه المسلمون ويدفنونه ويوم
القيامة يكون عليهم شهيدا فيشهد على اليهود بالتكذيب وعلى النصارى بانهم دعوه
ابن الله فبظلم من الذين هادوا اي فبناي ظلم منهم حرمنا عليهم طيبات احلت
لهم يعني ما ذكر في قوله وعلى الذين هادوا حرمنا ويصدهم عن سبيل الله كثيرا او صدا
كثيرا واخذهم الربوا وقد نهوا عنه كان محرما عليهم كما هو محرم علينا وفيه
على دلالة النهي على التحريم واكلهم اموال الناس بالباطل بالرشوة وسائر الوجوه
المحرمة واعتدنا للكافرين منهم عذابا اليما دون من تاب وآمن لكن الراسخون
في العلم منهم كعبد الله بن سلام واصحابه والمؤمنون اي منهم او من المهاجرين
والانصار يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك خبر المبتداء والمقيمين الصلوة
نصب على المدح او جعل يؤمنون الجزاء ولئك وعطف على ما انزل اليك والمراد بهم الانبياء
اي يؤمنون بالكتب وبالانبياء وقرئ بالرفع عطفا على الراسخون او الضمير في يؤمنون او
على انه مبتداء والجزاء ولئك سنؤتيهم والمؤتون الزكوة رفعه لاحد الوجوه المذكورة
والمؤمنون بالله واليوم الآخر قدم عليه الايمان بالانبياء والكتب وما يصدقه من اتباع
الشرائع لانه المقصود بالآية اولئك سنؤتيهم اجرا عظيما على جمعهم بين الايمان الصحيح
والعمل الصالح انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح والنبيين من بعده جواب
لاهل الكتاب عن اقتراحهم ان ينزل عليهم كتابا من السماء واحتجاج عليهم بان امره في
الوحي كسائر الانبياء واوحينا الى ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط
وعيسى وايوب ويونس وهرون وسليمان وآتينا داود زبورا خصهم بالذكر مع

اشتمال

اشتمال النبيين عليهم تعظيما لهم فان ابرهيم اول اولي العزم منهم وعيسى آخرهم والبا
قين اشراف الانبياء ومشاهيرهم وقراء حمزة زبورا بالضم جمع زبر بمعنى مزبور ورسلا
نصب بمضمر دل عليه اوحينا اليك كارسلنا اوفسره قد قصصناهم عليك
من قبل اي من قبل هذه السورة او اليوم ورسلا لم نقصصهم عليك وكلم الله
موسى تكليما وهو منتهى مراتب الوحي خص به موسى من بينهم وقد فضل الله محمدا
صلوات الله عليه بان اعطاه مثل ما اعطى كل واحد منهم رسلا مبشرين ومنذرين
نصب على المدح او باضمار ارسلنا او على الحال او يكون رسلا موطئا لما بعده كقولك مررت
برجل رجلا صالحا لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل فيقولوا لولا ارسلت
الينا رسولا فيتبع ايتنا ونعلم انا لم نكن نعلم وفيه تنبيه على ان بعثة الانبياء الى الناس
ضرورة لقصور الكل عن ادراك جزئيات المصالح والاكثر عن ادراك كلياتها واللام متعلقة
بارسلنا او بقوله مبشرين ومنذرين وحجة اسم كان وخبرها للناس وعلى الله والآخر
حال ولا يجوز تعلقه بحجة لانه مصدر وبعد ظرف لها او صفة وكان الله عزيزا لا
يغلب فيما يريده لكن الله يشهد استدراك عن مفهوم ما قبله فكانه لما تعنتوا عليه
بسوال كتاب ينزل عليهم من السماء واحتج عليهم بقوله انا اوحينا اليك قال
انهم لا يشهدون ولكن الله يشهد انهم انكروه ولكن الله يثبته ويقرره بما انزل
اليك من القرآن المعجز الدال على نبوتك روي انه لما نزل انا اوحينا اليك قالوا ما
نشهد لك فنزلت انزله بعلمه انزله ملتبسا بعلمه الخاص به وهو العلم بتاليفه على
نظم يعجز عنه كل بليغ او بحال من يستعد للنبوة ويستاهل نزول الكتاب عليه او
بعلمه الذي يحتاج اليه الناس في معاشهم ومعادهم فالجار والمجرور على الاولين
حال عن الفاعل وعلى الثالث حال عن المفعول والجملة كالتفسير لما قبلها والملائكة
يشهدون ايضا بنبوتك وفيه تنبيه على انهم يودون ان يعلموا صحة دعوى النبوة
على وجه يستغنى عن النظر والتامل وهذا النوع من خواص الملك وما سبيل للانسان
الى العلم بامثال ذلك سوى الفكر والنظر فلو اتى هؤلاء بالنظر الصحيح لعرفوا نبوتك وشهدوا بها

كما عرفت الملائكة وشهدوا عليها وكفى بالله شهيدا اى وكفى بما اقام من الحجج على صحة
نبوتك عن الاستشهاد بغيره ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله قد ضلوا ضلالا
بعيدا لانهم جمعوا بين الضلال والاضلال ولان المضل يكون غرقا في الضلال وانعا
عن الانقلاع عنه ان الذين كفروا وظلموا محمدا بانكار نبوته او الناس بصدهم عما
فيه صلاحهم وخلاصهم او باعم من ذلك والآية تدل على ان الكفار مخاطبون بال
لفروع اذ المراد بهم الجامعون بين الكفر والظلم لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهد
يهم طريقا الا طريق جهنم خالدين فيها ابدا لجرى حكمه السابق ووعده المحتوم على ان
من مات على كفره فهو خالد في النار وخالدين حال مقدرة وكان ذلك على الله يسيرا
لا يصعب عليه ولا يستعظمه يا ايها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم
لما قرر امر النبوة وبين الطريق المستقيم الموصل الى العلم بها ووعيد من انكرها خاطب
الناس عامة بالدعوة والزام الحجة والوعد بالاجابة والوعيد على الرد فآمنوا خيرا
لكم اى ايمانا خيرا لكم وائتوا امرا خيرا لكم مما انتم عليه وقيل تقديره يكن الايمان خيرا لكم
ومنعه البصريون لان كان لا يحذف مع اسمه الا فيما لا بد منه ولانه يؤدي الى حذف الشرط
وجوابه وان تكفروا فان لله ما في السموات والارض يعني وان تكفروا فهو غني عنكم لا
يتضرر بكفركم كما لا ينتفع بايمانكم وتنبه على غناه بقوله لله ما في السموات والارض وهو هو
يعم ما اشتملتا عليه وما تركبتا منه وكان الله عليما باحوالهم حكيما فيما دبرلهم يا اهل
الكتاب لا تغلوا في دينكم الخطاب للفريقين غلت اليهود في حط عيسى حتى رموه
بانه ولد لغير رشدة والنصارى في رفعه حتى اتخذوه الها وقيل للنصارى خاصة فانهم
فتى لقوله ولا تقولوا على الله الا الحق يعني تنزيهه عن الصاحبة والولد انما المسيح عيسى
بن مريم رسول الله وكلمته القاها الى مريم اوصلها اليها وحصلها فيها
وروح منه وذو روح صدر منه لا بتوسط ما يجري مجرى الاصل والمادة له وقيل سمي
روحا لانه كان يحيي الاموات والقلوب فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلثة اى الآلهة
لهة ثلثة الله والمسيح ومريم ويشهد عليه قوله ع أأنت قلت للناس اتخذوني وامي

الهين

الهين من دون الله او الله ثلثة ان صح انهم يقولون الله ثالث اقانيم الاب والابن
وروح القدس ويريدون بالاب الذات وبالابن العلم وبروح القدس الحياة انتهوا عن التثليث
خيرا لكم نصبه لما سبق انما الله اله واحد اى واحد بالذات لا تعدد فيه بوجه ما
سبحانه ان يكون له ولد استجحه تسبيحا من ان يكون له ولد فانه يكون لمن يعاد له مثل
وينطرق اليه فناء له ما في السموات وما في الارض ملكا وخلقا لا يماثله شيء من ذلك
فيتخذ ولدا وكفى بالله وكيلا تنبيه على غناه عن الولد فان الحاجة اليه ليكون
وكيلا لابيه والله سبحانه قائم بحفظ الاشياء كاف في ذلك مستغن عمن يخلفه
او يعينه لن يستنكف المسيح لن يأنف من نكفت الدمع اذا تحيته باصبعك
كيلا يرعاك عليك ان يكون عبدا لله من ان يكون عبدا له فان عبوديته شرف
يتباهى به وانما المذلة والاستنكاف في عبودية غيره روى ان وفد نجران قالوا لر
سول الله لم تعيب صاحبنا قال ومن صاحبكم قالوا عيسى قال واي شيء اقول
قالوا تقول انه عبد الله قال انه ليس بعار ان يكون عبد الله قالوا بلى فنزلت ولا
الملائكة المقربون عطف على المسيح اى ولا يستنكف الملائكة المقربون ان يكونوا
عبيدا واحتج به من زعم فضل الملائكة على الانبياء وقال مساقه لرد النصارى
في رفع المسيح عن مقام العبودية وذلك يقتضي ان يكون المعطوف عليه اعلى
درجة منه حتى يكون عدم استنكافهم كالدليل على عدم استنكافه وجوابه ان الآية
للرد على عبدة المسيح والملائكة فلا تخصه ذلك وان سلم اختصاصها بالنصارى فلعله
اراد بالعطف المبالغة باعتبار التكثير دون التكبير كقولك اصبح الامير لا يخالفه رئيس
ولا مرؤس وان اراد به التكبير فغايته تفضيل المقربين من الملائكة وهم الكروبيون الذين
هم حول العرش او من اعلى منهم رتبة من الملائكة على المسيح من الانبياء وذلك لا
يستلزم فضل احد الجنسين على الآخر مطلقا والنزاع فيه ومن يستنكف عن عبا
دته ويستكبر يترفع عنها والاستكبار دون الاستنكاف ولذلك عطف عليه وانما
يستعمل حيث لا استحقاق لخلاف التكبر فانه قد يكون باستحقاق فسيحشرهم اليه جميعا

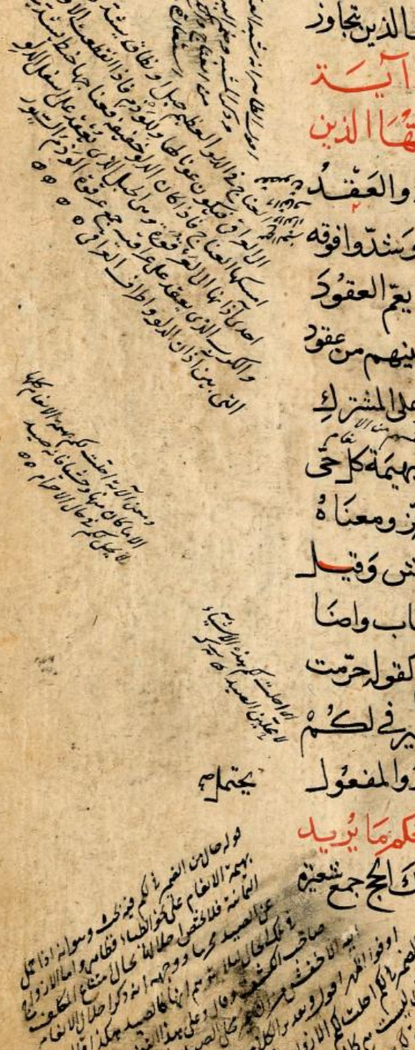

فيجازيهم فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم اجورهم ويزيدهم
من فضله واما الذين استنكفوا واستكبروا فيعذبهم عذابا اليما ولا يجدون
لهم من دون الله وليا ولا نصيرا تفصيل للمجازات العامة المدلول عليها من فحوى
الكلام وكانه قال فسيحشرهم اليه جميعا يوم يحشر العباد للمجازاة او لمجازاتهم فان اثابة
مقابليهم والاحسان اليهم تعذيب لهم بالغم والحسرة يا ايها الناس قد جاءكم
برهان من ربكم وانزلنا اليكم نورا مبينا عنى بالبرهان المعجزات وبالنور القرآن
اى جاءكم دلائل العقل وشواهد النقل ولم يبق لكم عذر ولا علة وقيل البرهان الدين
او رسول الله والقرآن فاما الذين آمنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم فى رحمة
منه ثواب قدره بازاء ايمانه وعمله رحمة منه لا قضاء لحق واجب وفضل احسان زائد
عليه ويهديهم اليه الى الله وقيل الى الموعود صراطا مستقيما هو الاسلام والطاعة
فى الدنيا وطريق الجنة فى الآخرة يستفتونك اى فى الكلالة حذف لدلالة الجواب عليه
روى ان جابر بن عبد الله كان مريضا فعاده رسول الله فقال انى كلالة فكيف اصنع فى
مالى فنزلت وهى آخر ما نزل فى الاحكام قل الله يفتيكم فى الكلالة سبق تفسيرها فى اوايل
السورة ان امرؤ هلك ليس له ولد وله اخت فلها نصف ما ترك ارتفع امرؤ بفعل
يفسره الظاهر وليس له ولد صفة له او حال عن المستكن فى هلك والواو فى وله يحتمل
الحال والعطف والمراد بالاخت الاخت من الابوين او الاب لانه جعل اخوها عصبة وابن
الام لا يكون عصبة والولد على ظاهره فان الاخت وان ورثت مع البنت عند عامة العلماء
غير ابن عباس لكنها لا ترث النصف وهو يرثها اى والمرؤ يرث اخته ان كان الامر بالعكس
ان لم يكن لها ولد ذكرا كان او انثى ان اريد بيرثها يرث جميع مالها والا فالمراد به الذكر اذ
البنت لا تحجب الاخ والآية كما لم تدل على سقوط الاخوة بغير الولد لم تدل على عدم سقوطهم
به وقد دلت السنة على انهم لا يرثون مع الاب وكذا مفهوم قوله الله يفتيكم فى الكلالة
ان فسرت بالبنت فان كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك الضمير لمن يرث بالاخوة
وتثنيته محمولة على المعنى وفائدة الاخبار عنها باثنتين التنبيه على ان الحكم باعتبار العدد

دون

ونساء

دون الصغر والكبر وغيرهما وان كانوا اخوة رجالا فللذكر مثل حظ الانثيين
اصله وان كانوا اخوة واخوات فغلب الذكر يبين الله لكم ان تضلوا اى يبين لكم
ضلالكم الذى من شانكم اذا خليتم وطباعكم لتحترزوا عنه وتتحروا خلافه او
يبين لكم الحق والصواب كراهة ان تضلوا وقيل لئلا تضلوا [illegible] لا وهو قول
الكوفيين والله بكل شئ عليم فهو عالم بمصالح العباد فى المحيا والممات عن النبى صلى الله
عليه وسلم من قرأ سورة النساء فكانما تصدق على كل مؤمن ومؤمنة ورث ميراثا
واعطى من الاجر كمن اشترى محررا وبرئ من الشرك وكان فى مشية الله من الذين يتجاوز
عنهم سورة المائدة مدنية وهى مائة وثلث وعشرون آية
بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها الذين
آمنوا اوفوا بالعقود الوفاء هو القيام بمقتضى العهد وكذلك الايفاء والعقد
العهد الموثق قال الحطيئة قوم اذا عقدوا عقد الجار هم شدوا العناج وشدوا فوقه
الكربا واصله الجمع بين الشيئين بحيث يعسر الانفصال ولعل المراد بالعقود ما يعم العقود
التى عقدها الله على عباده والزمها اياهم من التكاليف وما يعقدون بينهم من عقود
الامانات والمعاملات ونحوها مما يجب الوفاء به او يحسن ان حملنا الامر على المشترك
بين الوجوب والندب احلت لكم بهيمة الانعام تفصيل للعقود والبهيمة كل حى
لا يميز وقيل كل ذات اربع واضافتها الى الانعام للبيان كقولك ثوب خز ومعناه
البهيمة من الانعام وهى الازواج الثمانية والحق بها الظباء وبقر الوحش وقيل
هما المراد بالبهيمة ونحوهما مما يماثل الانعام فى الاجترار وعدم الانياب واضا
فتها الى الانعام لملابسة الشبه الا ما يتلى عليكم الا محرم ما يتلى عليكم كقوله حرمت
عليكم الميتة او الا ما يتلى عليكم آية تحريمه غير محلى الصيد حال من الضمير فى لكم
وقيل من واو اوفوا وقيل استثناء وفيه تعسف والصيد المصدر والمفعول
وانتم حرم حال عما استكن فى محلى والحرم جمع حرام وهو المحرم ان الله يحكم ما يريد
من تحليل وتحريم يا ايها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله يعنى مناسك الحج جمع شعيرة

وهي اسم ما اشعر اي جعل شعارا سمي به اعمال الحج ومواقفه لانها علامات الحج واعلام
النسك وقيل دين الله لقوله ومن يعظم شعائر الله اي دينه وقيل فرايضه التي حدها
لعباده ولا الشهر الحرام بالقتال فيه او بالنسيء ولا الهدي ما اهدي الى الكعبة جمع
هدية كجدي في جمع جدية السرج ولا القلائد اي ذوات القلائد من الهدي وعطفها على
الهدي للاختصاص فانها اشرف الهدي او القلائد انفسها والنهي من احلالها مبالغة في
النهي عن التعرض للهدي ونظيره قوله ولا يبدين زينتهن والقلائد جمع قلادة وهي ما قلد به الهدي
من نعل او لحاء شجر او غيرهما ليعلم به انه هدي ولا امين البيت الحرام قاصدين لزيارته
يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا ان يثيبهم ويرضى عنهم والجملة في موضع الحال من
المستكن في آمين وليست صفة له لانه عامل والمختار ان اسم الفاعل الموصوف لا يعمل وفا
ئدته استنكار تعرض من هذا شانه والتنبيه على المانع له وقيل معناه يبتغون من الله رزقا
بالتجارة ورضوانا بزعمهم اذ روي ان الاية نزلت عام القضية في حجاج اليمامة لما هم المسلمون
ان يتعرضوا لهم بسبب انه كان فيهم الحطم شريح بن ضبيعة وكان قد استاق سرح المدينة
وعلى هذا فالاية منسوخة وقرئ تبتغون على خطاب المؤمنين واذا حللتم فاصطادوا
اذن في الاصطياد بعد زوال المحرم ولا يلزم من ارادة الاباحة ههنا من الامر دلالة الامر
الاتي بعد الحظر على الاباحة مطلقا وقرئ بكسر الفاء على القاء حركة همزة الوصل عليها
وهو ضعيف جدا واحللتم يقال حل المحرم واحل ولا يجرمنكم لا يحملنكم او لا يكسبنكم شنآن
قوم شدة بغضهم وعداوتهم وهو مصدر اضيف الى المفعول او الفاعل وقرأ ابن عامر
واسمعيل عن نافع وابن عياش عن عاصم بسكون النون وهو ايضا مصدر كليان او نعت
بمعنى بغيض قوم وفعلان في النعت اكثر ان صدوكم عن المسجد الحرام لان صدوكم عام
الحديبية وقرأ ابن كثير وابو عمرو بكسر الهمزة على انه شرط معترض اغنى عن جوابه لا يجرمنكم
ان تعتدوا بالانتقام ثاني مفعولي يجرمنكم فانه يعدى الى واحد والى اثنين ككسب ومن قرأ
يجرمنكم بضم الياء جعله منقولا من المتعدي الى مفعول بالهمزة الى مفعولين وتعاونوا على
البر والتقوى على العفو والاغضاء ومتابعة الامر ومجانبة الهوى ولا تعاونوا على

الاثم

الاثم والعدوان للتشفي والانتقام واتقوا الله ان الله شديد العقاب فانتقامه اشد
حرمت عليكم الميتة بيان ما يتلى عليكم والميتة ما فارقه الروح من غير التذكية والدم
اي الدم المسفوح كقوله او دما مسفوحا وكان اهل الجاهلية يصبونه في الامعاء ويشوونها
ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به اي رفع الصوت لغير الله به كقولهم باسم اللات والعزى
عند ذبحه والمنخنقة اي التي ماتت بالخنق والموقوذة المضروبة بنحو خشب او حجر حتى يموت
من وقذته اذا ضربته والمتردية التي تردت من علو او في بئر فماتت والنطيحة التي نطحتها
اخرى فماتت والتاء فيها للنقل وما اكل السبع اي وما اكل منه السبع فمات وهو يدل
على ان جوارح الصيد اذا اكلت مما اصطادته لم يحل الا ما ذكيتم الا ما ادركتم ذكاته وفيه
حيوة مستقرة من ذلك وقيل الاستثناء مخصوص بما اكل السبع والذكوة في الشرع بقطع
الحلقوم والمرئ بمحدد وما ذبح على النصب النصب واحد الانصاب وهي احجار كانت منصوبة
حول البيت يذبحون عليها ويعدون ذلك قربة وقيل هي الاصنام وعلى بمعنى اللام او على
اصلها بتقدير وما ذبح مسمى على الاصنام وقيل هو جمع والواحد نصاب وان تستقسموا
بالازلام اي وحرم عليكم الاستقسام بالاقداح وذلك انهم اذا قصدوا فعلا ضربوا ثلثة
اقداح مكتوب على احدها امرني ربي وعلى الاخر نهاني ربي والثالث غفل فان خرج الامر
مضوا على ذلك وان خرج الناهي تجنبوا عنه وان خرج الغفل اجالوها ثانيا فمعنى الاستقسام
طلب معرفة ما قسم لهم دون ما لم يقسم بالازلام وقيل هو استقسام الجزور بالاقداح
على الانصباء المعلومة وواحد الازلام زلم كجمل وزلم كصرد ذلكم فسق اشارة الى الاستقسام
وكونه فسقا لانه دخول في علم الغيب وضلال باعتقاد ان ذلك طريق اليه وافتراء على الله ان
اريد به ربي الله وجهالة وشرك ان اريد به الصنم او الميسر المحرم او الى تناول ما حرم عليهم
اليوم لم يرد به يوما بعينه وانما اراد الحاضر وما يتصل به من الازمنة الاتية وقيل اراد
يوم نزولها وقد نزلت بعد عصر يوم الجمعة عرفة حجة الوداع يئس الذين كفروا من
دينكم اي من ابطاله ورجوعكم عنه بتحليل هذه الخبائث وغيره او من ان يغلبوكم عليه
فلا تخشوهم ان يظهروا عليكم واخشوني واخلصوا الخشية لي اليوم اكملت لكم دينكم

بالنصر والاظهار على الاديان كلها او بالتنصيص على قواعد العقايد والتوفيق على
اصول الشرايع وقوانين الاجتهاد واتممت عليكم نعمتي بالهداية والتوفيق وبالكمال
الدين وبفتح مكة وهدم منار الجاهلية ورضيت لكم الاسلام اخترته لكم دينا
من بين الاديان وهو الدين عند الله لا غير فمن اضطر متصل بذكر المحرمات وما بينهما
اعتراض بما يوجب التجنب عنها وهو ان تناولها فسوق وحرمتها من جملة الدين الكامل
والنعمة التامة والاسلام المرضي والمعنى فمن اضطر الى تناول شيء من المحرمات هذه
في مخمصة مجاعة غير متجانف لاثم غير مائل اليه ومنحرف اليه بان يأكلها تلذذا
او مجاوزا حد الرخصة كقوله غير باغ ولا عاد فان الله غفور رحيم لا يؤاخذ باكله
يسئلونك ماذا احل لهم لما تضمن السؤال معنى القول اوقع على الجملة وقد سبق الكلام
في ماذا وانما قال لهم ولم يقل لنا على الحكاية لان يسئلونك بلفظ الغيبة وكلا الوجهين
سائغ في امثاله والمسؤل ما حل لهم من المطاعم كانهم مائلون عليهم ما حرم عليهم
سألوا عما احل لهم قل احل لكم الطيبات ما لم يستخبثه الطباع السليمة ولم تنفر
عنه ومن مفهومه حرم مستخبثات العرب او ما لم يرد نص ولا قياس على حرمته
وما علمتم من الجوارح عطف على الطيبات ان جعل ما موصولة على تقدير وصيد ما
علمتم وجملة شرطية ان جعلت شرطا وجوابها فكلوا والجوارح كواسب الصيد على اهلها
من سباع ذوات الاربع والطير مكلبين معلمين اياه الصيد والمكلب مؤدب الجوارح
ومضريها بالصيد مشتق من الكلب لان التاديب يكون اكثر فيه واثرا وان كل سبع
يسمى كلبا كقوله عليه السلام سلط عليه كلبا من كلابك وانتصابه على الحال من علمتم
وفائدة المبالغة في التعليم تعلمونهن حال ثانية او استيناف مما علمكم الله
من الحيل وطرق التاديب فان العلم به الهام من الله او مكتسب بالعقل الذي هو منحة
منه او مما علمكم ان تعلموه من اتباع الصيد بارسال صاحبه وينزجر بزجره وينصرف
بدعائه ويمسك عليه الصيد ولا ياكل منه فكلوا مما امسكن عليكم وهو ما لم ياكل
منه كقوله عليه السلم لعدي بن حاتم وان اكل منه فلا تاكل انما امسك على نفسه

والمحصنات من المومنات
الحراير العفائف وتخصيصهن
بعث على ما هو الاولى صح

والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم وان كن حربيات وقال
ابن عباس لا تحل الحربيات اذا آتيتموهن اجورهن مهورهن وتقييد الحل بايتائها
لتاكيد وجوبها والحث على الاولى وقيل المراد بايتائها التزامها محصنين اعفاء
بالنكاح غير مسافحين مجاهرين بالزنا ولا متخذي اخدان مسترين به والخدن الصديق
يقع على الذكر والانثى ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله وهو في الآخرة من الخاسرين
يريد بالايمان شرايع الاسلام وبالكفر به انكارها والامتناع عنه يا ايها الذين آمنوا اذا
قمتم الى الصلوة اي اذا اردتم القيام كقوله فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله عبر عن ارادة
الفعل بالفعل المسبب عنها للايجاز والتنبيه على ان من اراد العبادة ينبغي ان يبادر
اليها بحيث لا ينفك الفعل عن الارادة او اذا قصدتم الصلوة لان التوجه الى الشيء والقيام
اليه قصدا له وظاهر الآية يوجب الوضوء على كل قائم الى الصلوة وان لم يكن محدثا والاجماع على
خلافه لما روى انه عليه السلم صلى الخمس بوضوء واحد يوم الفتح فقال عمر صنعت شيئا
لم تكن تصنعه فقال عمدا فعلته فقيل مطلق اريد به التقييد والمعنى اذا قمتم الى الصلوة
محدثين وقيل الامر فيه للندب وقيل كان ذلك اول الامر ثم نسخ وهو ضعيف لقوله عليه
السلم المائدة من آخر القرآن نزولا فاحلوا حلالها وحرموا حرامها فاغسلوا وجوهكم امروا
الماء عليه ولا حاجة له الى الدلك خلافا لمالك وايديكم الى المرافق الجمهور على دخول المرفقين
في المغسول ولذلك قيل الى بمعنى مع كقوله ويزدكم قوة الى قوتكم ومتعلقه محذوف تقديره

والليه

وايديكم مضافة الى المرافق ولو كان كذلك لم يبق معنى التحديد ولا لذكر مزيد فائدة لان مطلق اليد يشتمل عليها وقيل الى تفيد الغاية مطلقا واما دخولها في الحكم او خروجها منه فلا دلالة لها عليه وانما يعلم من خارج ولم يكن في الآية وكان الايدي متناولة لها فالحكم بدخولها احتياطا وقيل الى من حيث انها تفيد الغاية تقتضي خروجها والا لم تكن غاية كقوله فنظرة الى ميسرة وقوله ثم اتموا الصيام الى الليل لكن لما لم يتميز الغاية ههنا عن ذي الغاية وجب ادخالها احتياطا وامسحوا برؤسكم الباء مزيدة وقيل للتبعيض فانه الفارق بين قولك مسحت المنديل والمنديل ووجهه ان يقال انها تدل على تضمين الفعل معنى الالصاق فكانه قيل والصقوا المسح برؤسكم وذلك لا يقتضي الاستيعاب بخلاف ما لو قيل وامسحوا رؤسكم فانه كقوله واغسلوا وجوهكم واختلف العلماء في قدر الواجب فاوجب الشافعي ما يقع عليه الاسم اخذا باليقين وابو حنيفة مسح ربع الرأس لانه عليه السلام مسح على ناصيته وهو ربع من الربع ومالك مسح كله اخذا بالاحتياط وارجلكم الى الكعبين نصبه نافع وابن عامر وحفص ويعقوب عطفا على وجوهكم ويؤيده السنة الشائعة وعمل الصحابة وقول اكثر الائمة والتحديد اذا لمسح لم يحد وجر الباقون على الجوار ونظيره كثير في القرآن والشعر كقوله تعالى عذاب يوم محيط وحور عين بالجر في قراءة حمزة والكسائي وقولهم جحر ضب خرب وللنحاة باب في ذلك وفائدة التنبيه على انه ينبغي ان يقصد في صب الماء عليها ويغسل غسلا يقرب من المسح وفي الفصل بينه وبين اخويه ايماء على وجوب الترتيب وقرئ بالرفع على وارجلكم مغسولة وان كنتم جنبا فاطهروا فاغتسلوا وان كنتم مرضى او على سفر او جاء احد منكم من الغائط او لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وايديكم منه سبق تفسيره ولعل تكريره ليتصل الكلام في بيان انواع الطهارة ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج اي ما يريد الامر بالطهارة للصلوة او الامر بالتيمم تضييقا عليكم ولكن يريد ليطهركم لينظفكم اوليطهركم عن الذنوب فان الوضوء تكفير للذنوب اوليطهركم بالتراب اذا اعوزكم التطهير بالماء فمفعول يريد في الموضعين محذوف واللام للعلة وقيل مزيدة والمعنى ما يريد

الله

الله ان يجعل عليكم من حرج حتى لا يرخص لكم في التيمم ولكن يريد ان يطهركم وهو ضعيف لان ان لا يقدر بعد المزيدة وليتم نعمته عليكم ليتم بشرعه ما هو مطهر لابدانكم ومكفر لذنوبكم نعمته عليكم في الدين او ليتم برخصه انعامه عليكم بعزائمه لعلكم تشكرون نعمته والآية مشتملة على سبعة اوامر كلها مثنى طهارتان اصل وبدل والاصل اثنان مستوعب وغير مستوعب وغير المستوعب باعتبار الفعل غسل ومسح وباعتبار المحل محدود وغير محدود وان آلتها ماء وجامد وموجبها حدث اصغر او اكبر وان الممسح للعدول الى البدل مرض او سفر وان الموعود عليها تطهير المذنوب واتمام النعمة واذكروا نعمة الله عليكم بالاسلام ليذكركم المنعم ويزيدكم في شكره وميثاقه الذي واثقكم به اذ قلتم سمعنا واطعنا يعني الميثاق الذي اخذه على المسلمين حين بايعهم رسول الله على السمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره او ميثاق ليلة العقبة او بيعة الرضوان واتقوا الله في اثناء نعمته ونقض ميثاقه ان الله عليم بذات الصدور اي بخفياتها فيجازيكم عليها فضلا عن جليات اعمالكم يا ايها الذين آمنوا كونوا قوامين لله بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على ان لا تعدلوا اعداه بعلى لتضمنه معنى الحمل والمعنى لا يحملنكم شدة بغضكم للمشركين على ترك العدل فيهم فتعتدوا عليهم بارتكاب ما لا يحل كمثلة وقذف وقتل نساء وصبية ونقض عهد تشفيا تمامي في قلوبكم اعدلوا هو اقرب للتقوى اي العدل اقرب الى التقوى صرح لهم الامر بالعدل وبين لهم بامكان من التقوى بعد ما نهاهم عن الجور وبين انه مقتضى الهوى واذا كان هذا للعدل مع الكفار فما ظنك بالعدل مع المومنين واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون فيجازيكم به وتكرير هذا الحكم اما لاختلاف السبب كما قيل ان الاولى نزلت في المشركين وهذه في اليهود او لمزيد الاهتمام بالعدل والمبالغة في اطفاء نائرة الغيظ وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة واجر عظيم انما حذف ثاني مفعولي وعد استغناء بقولهم مغفرة فانه استيناف يبتنيه وقيل الجملة في موقع المفعول فان الوعد ضرب من القول وكانه قال وعدهم هذا القول والذين كفروا وكذبوا بآياتنا اولئك اصحاب الجحيم هذا من عادته تعالى ان يتبع حال احد الفريقين حال الآخر وفاء بحق الدعوة وفيه مزيد وعيد

للمؤمنين وتطييب لقلوبهم يا ايها آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم روى ان المشركين رأوا
رسول الله واصحابه بعسفان قاموا الى الظهر معا فلما صلوا ندموا الا كانوا اكبوا عليهم وهموا
ان يواقعوا بهم اذا قاموا الى العصر فرد الله كيدهم بان انزل صلوة الخوف والآية اشارة الى
ذلك وقيل اشارة الى ما روى انه عليه السلام اتى قريظة ومعه الخلفاء الاربعة
يستقرضهم لدية مسلمين قتلهما عمرو بن امية الضمري يحسبهما مشركين فقالوا نعم
يا ابا القسم اجلس حتى نطعمك ونقرضك فاجلسوه وهموا بقتله فعمد عمرو بن جحاش الى رحى
عظيمة يطرحها عليه فامسك الله يده فنزل جبرئيل فاخبره فخرج وقيل نزل رسول الله منزلا
وعلق سلاحه بشجرة وتفرق الناس عنه فجاءه اعرابي فسل سيفه فقال من يمنعك مني
فقال الله فاسقط جبرئيل من يده واخذه الرسول وقال من يمنعك مني فقال لا احد اشهد
ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فنزلت اذ هم قوم ان يبسطوا اليكم ايديهم بالقتل
والاهلاك يقال بسط اليه يده اذا بطش وبسط اليه لسانه اذا شتمه فكف ايديهم
عنكم منعها ان تمد اليكم ورد مضرتها عنكم واتقوا الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون
فانه الكافي لايصال الشر ولقد اخذ الله ميثاق بني اسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر
نقيبا شاهدا من كل سبط ينقب عن احوال قومه ويفتش عنها او كفيلا يكفل عليهم
بالوفاء بما امروا به روى ان بني اسرائيل لما فرغوا عن فرعون واستقروا بمصر امرهم الله
بالمسير الى اريحا ارض الشام وكان يسكنها الجبابرة الكنعانيون وقال اني كتبتها لكم دارا
وقرارا فاخرجوا اليها وجاهدوا من فيها فاني ناصركم وامر موسى ان ياخذ من كل سبط
كفيلا عليهم بالوفاء بما امروا به فاخذ عليهم الميثاق واختار منهم النقباء وسار بهم
فلما دنا من ارض كنعان بعث النقباء يتجسسون الاخبار ونهاهم ان يحدثوا قومهم
فرأوا اجراما عظيمة وباسا شديدا فهابوا ورجعوا وحدثوا قومهم الا كالب بن يوفنا
من سبط يهوذا ويوشع بن نون من سبط افرائيم بن يوسف وقال الله اني معكم بالنصرة
لئن اقمتم الصلوة وآتيتم الزكوة وآمنتم برسلي وعزرتموهم اي نصرتموهم وقويتموهم
واصله الذب ومنه التعزير واقرضتم الله قرضا حسنا بالانفاق في سبيل الخير

وقرضا

وقرضا يحتمل المصدر والمفعول لاكفرن عنكم سيئاتكم جواب للقسم المدلول عليه باللام
في لئن ساد مسد جواب الشرط ولادخلنكم جنات تجري من تحتها الانهار فمن كفر
بعد ذلك بعد ذلك الشرط المؤكد المعلق به الوعد العظيم منكم فقد ضل سواء السبيل
ضلالا لا شبهة فيه ولا عذر معه بخلاف من كفر قبل ذلك اذ قد يمكن ان يكون له شبهة
ويتوهم له معذرة فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم طردناهم من رحمتنا او مسخناهم
او ضربنا عليهم الجزية وجعلنا قلوبهم قاسية لا تنفعل عن الآيات والنذر
وقرأ حمزة والكسائي قسية وهي اما مبالغة قاسية او بمعنى ردية من قولهم
درهم قسي اذا كان مغشوشا وهو ايضا من القسوة فان المغشوش فيه يبس وصلابة
وقرئ قسية باتباع القاف للسين يحرفون الكلم عن مواضعه استيناف لبيان قسوة
قلوبهم فانه لا قسوة اشد من تغيير كلام الله والافتراء عليه ويجوز ان يكون حالا من مفعول
لعناهم لا من القلوب اذ لا ضمير فيه ونسوا حظا وتركوا نصيبا وافيا مما ذكروا به من
التورية او من اتباع محمد والمعنى انهم حرفوا التورية وتركوا حظهم مما انزل عليهم
فلم ينالوه وقيل معناه انهم حرفوها فزلت بشومه اشياء منها عن حفظهم لما
روى ان ابن مسعود قال قد ينسى المرء بعض العلم بالمعصية وتلا هذه الآية ولا تزال تطلع
على خائنة منهم خيانة او فرقة خائنة او خائن والتاء للمبالغة والمعنى ان الخيانة
والغدر من عادتهم وعادة اسلافهم لا تزال ترى ذلك منهم الا قليلا منهم لم يخونوا
وهم الذين آمنوا منهم وقيل الاستثناء من قوله وجعلنا قلوبهم قاسية فاعف عنهم
ان تابوا وامنوا او عاهدوا والتزموا الجزية وقيل مطلق نسخ بآية السيف ان الله يحب
المحسنين تعليل للامر بالصفح وحث عليه وتنبيه على ان العفو عن الكافر الخائن احسان
فضلا عن العفو عن غيره ومن الذين قالوا انا نصارى اخذنا ميثاقهم اي واخذنا
من النصارى ميثاقهم كما اخذنا ممن قبلهم وقيل تقديره ومن الذين قالوا انا
نصارى قوم اخذنا وانما قال قالوا انا نصارى ليدل على انهم سموا انفسهم بذلك
ادعاء لنصرة الله فنسوا حظا مما ذكروا به فاغرينا فالزمنا من غرى بالشيء اذا لصق به

بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة بين فرق النصارى وهم نسطورية
ويعقوبية وملكانية او بينهم وبين اليهود وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون
بالجزاء والعقاب يا اهل الكتاب يعني اليهود والنصارى وخص الكتاب لانه للجنس
قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب كنعت محمد وآية الرجم
في التورية وبشارة عيسى باحمد في الانجيل ويعفوا عن كثير مما تخفونه لا يخجل به
اذا لم يضطر اليه امر ديني او عن كثير منكم فلا يؤاخذ بخزيه قد جاءكم من الله
نور وكتاب مبين يعني القرآن فانه الكاشف لظلمات الشك والضلال والكتاب
الواضح الاعجاز وقيل يريد بالنور محمدا عليه السلام يهدي به الله وحد الضمير
لان المراد بهما واحد او لانهما في الحكم كواحد من اتبع رضوانه من اتبع رضاه منهم سبل
السلام طرق السلامة من عذاب الله او سبل الله ويخرجهم من الظلمات الى النور
من انواع الكفر الى الاسلام باذنه بارادته او بتوفيقه ويهديهم الى صراط مستقيم
طريق هو اقرب الطرق الى الله ومؤد اليه لا محالة لقد كفر الذين قالوا ان الله
هو المسيح ابن مريم هم الذين قالوا بالاتحاد منهم وقيل لم يصرح به احد منهم
ولكن لما زعموا ان فيه لاهوتا وقالوا لا اله الا واحد لزمهم ان يكون هو المسيح
فنسب اليهم لازم قولهم توضيحا لجهلهم وتفضيحا لمعتقدهم قل فمن يملك من الله
شيئا فمن يمنع من قدرته وارادته شيئا ان اراد ان يهلك المسيح ابن مريم وامه
ومن في الارض جميعا احتج بذلك على فساد قولهم وتقرير ان المسيح مقدور مقهور
قابل للفناء كسائر الممكنات ومن كان كذلك فهو بمعزل عن الالوهية ولله ملك
السموات والارض وما بينهما يخلق ما يشاء والله على كل شيء قدير اراحة
لما عرض لهم من الشبهة في امر عيسى والمعنى انه تعالى قادر على الاطلاق يخلق من غير اصل كما
خلق السموات والارض ومن اصل خلق ما بينهما فينشئ من اصل ليس من جنسه كآدم
وكثير من الحيوانات ومن اصل يجانسه اما من ذكر واحد كحوا او من انثى وحدها
كعيسى او منهما كسائر الناس وقالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله واحباؤه

اشياع

اشياع ابنيه عزير والمسيح كما قيل لاشياع ابن الزبير الخبيبون او مقربون عنده
قرب الاولاد من الوالد وقد سبق لنحو ذلك مزيد بيان في سورة آل عمران قل فلم
يعذبكم بذنوبكم اي فان صح ما زعمتم فلم يعذبكم بذنوبكم فان من كان بهذا المنصب لا يفعل
ما يوجب تعذيبه وقد عذبكم في الدنيا بالقتل والاسر والمسخ واعترفتم انه سيعذبكم
بالنار اياما معدودة بل انتم بشر ممن خلق ممن خلقه الله يغفر لمن يشاء وهم من
آمن به ورسله ويعذب من يشاء وهم من كفر والمعنى انه يعاملكم معاملة سائر
الناس لا مزية لكم عليهم ولله ملك السموات والارض وما بينهما كلها سواء في كونه
خلقا وملكا له واليه المصير فيجازي المحسن باحسانه والمسيء باساءته يا اهل الكتاب
قد جاءكم رسولنا يبين لكم اي الدين وحذف لظهوره او ما كنتم وحذف لتقدم ذكره ويجوز
ان لا يقدر مفعول على معنى ويبين لكم البيان والجملة في موقع الحال اي جاءكم رسولنا مبينا
لكم على فترة من الرسل متعلق بجاءكم اي جاءكم على حين فتور من الارسال وانقطاع من الوحي
أو يبين حال من الضمير في لكم ان تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير متعلق بمحذوف اي لئلا
تعتذروا فقد جاءكم والله على كل شيء قدير فيقدر على الارسال تترى كما فعل بين
موسى وعيسى عليهما السلام اذ كان بينهما الف وسبعمائة سنة والف نبي وعلى الارسال
على فترة كما فعل بين عيسى ومحمد عليهما السلم كان بينهما ستمائة او خمسمائة وتسع وستون
سنة واربعة انبياء ثلثة من بني اسرائيل وواحد من العرب خالد بن سنان العبسي وفي
الآية امتنان عليهم بان بعث اليهم حين انطمست آثار الوحي وكانوا احوج ما يكونون
اليه واذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم انبياء فأزشدكم وشرفكم بهم ولم يبعث في امة ما بعث في بني اسرائيل من الانبياء وجعلكم
ملوكا اي وجعل منكم او فيكم وقد تكاثر فيهم الملوك تكاثر الانبياء بعد فرعون حتى
قتلوا يحيى وهموا بقتل عيسى وقيل لما كانوا مملوكين في ايدي القبط فانقذهم الله
وجعلهم مالكين لانفسهم وامورهم سماهم ملوكا واتيكم ما لم يؤت احدا من العالمين
من فلق البحر وتظليل الغمام وانزال المن والسلوى ونحوها مما آتاهم وقيل المراد بالعالمين

موضع

ما جاءنا

كراهة ان تقولوا ذلك وتعتذروا به
فقد جاءكم بشير ونذير

عالمى زمانهم يا قوم ادخلوا الارض المقدسة ارض بيت المقدس سميت بذلك لانها
كانت قرار الانبياء ومسكن المؤمنين وقيل الطور وما حوله وقيل دمشق وفلسطين
وبعض الاردن وقيل الشام التى كتب الله لكم قسمها لكم او كتب فى اللوح المحفوظ انها تكون مسكنا
لكم ولكن ان آمنتم واطعتم لقوله لهم بعد ما عصوا فانها محرمة عليهم ولا ترتدوا على ادباركم
ولا ترجعوا مدبرين خوفا من الجبابرة قيل لما سمعوا حالهم من النقباء بكوا وقالوا ليتنا متنا بمصر تعالوا نجعل علينا رأسا ينصرف بنا الى مصر ولا نرتد واتى دينكم بالعصيان
وعدم الوثوق على الله فتنقلبوا خاسرين ثواب الدارين ويجوز فى فتنقلبوا الجزم على
العطف والنصب على الجواب قالوا يا موسى ان فيها قوما جبارين متغلبون لا يناتى لنا
مقاومتهم والجبار فعال من جبره على الامر بمعنى اجبره وهو الذى يجبر الناس على ما يريد
وانا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فان يخرجوا منها فانا داخلون اذ لا طاقة لنا بهم
قال رجلان كالب ويوشع من الذين يخافون اى يخافون الله ويتقونه وقيل كانا رجلين
من الجبابرة اسلما وصارا الى موسى فعلى هذا الواو لبنى اسرائيل والراجع الى الموصول محذوف
اى من الذين يخافهم بنو اسرائيل ويشهد له ان قرئ الذين يخافون بالضم اى المخوفين وعلى
المعنى الاول يكون هذا من الاخافة اى من الذين يخوفون من الله بالتذكير او يخوفهم الوعيد
انعم الله عليهما بالايمان والتثبيت وهو صفة ثانية لرجلين واعتراض ادخلوا عليهم الباب
باب قريتهم اى باغتوهم وضاغطوهم فى المضيق وامنعوهم من الاقتحام فاذا دخلتموه فانكم غالبون لتعسر الكر عليهم فى المضايق من عظم اجسامهم ولانهم اجسام لا قلوب فيها ويجوز
ان يكون علمهما بذلك من اخبار موسى وقوله كتب الله لكم او تما علما من عادته تعالى فى نصر
رسله وما عهدا من صنعه لموسى فى قهر اعدائه وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين
اى مومنين به ومصدقين لوعده قالوا يا موسى انا لن ندخلها ابدا نفوا دخولهم على التاكيد والتابيد ما داموا فيها بدل من ابدا بدل البعض فاذهب انت وربك فقاتلا انا
ههنا قاعدون قالوا ذلك استهانة بالله ورسوله وعدم مبالاة بهما وقيل تقدير
اذهب انت وربك يعينك قال رب لا املك الا نفسى واخى قاله شكوى بثه
الى نصرة دينك

وحزنه

وحزنه الى الله لما خالفه قومه وايس منهم ولم يبق معه موافق يثق به غير هرون
والرجلان المذكوران وان كانا يوافقانه لم يثق عليهما لما كابد من تلون قومه وجبروان يراد
باخى من يواخينى فى الدين فيدخلان فيه ويحتمل نصبه عطفا على نفسى او على اسم ان ورفعه
عطفا على الضمير فى لا املك وعلى ان واسمها وجر عند الكوفيين عطفا على الضمير فى
نفسى فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين بان تحكم لنا بما نستحقه وتحكم عليهم
بما يستحقون او بالتبعيد بيننا وبينهم وتخليصنا من صحبتهم قال فانها اى فان الارض
المقدسة محرمة عليهم لا يدخلونها ولا يملكونها بسبب عصيانهم اربعين سنة
يتيهون فى الارض عامل الظرف اما محرمة فيكون التحريم موقتا غير مؤبد فلا خلاف ظاهر
قوله التى كتب لكم ويؤيد ذلك ما روى ان موسى سار بعد من بقى من بنى اسرائيل
ففتح اريحا واقام فيها ما شاء الله ثم قبض وقيل انه قبض فى التيه ولما احتضر اخبر بهم
بان يوشع بعده نبى وان الله امرهم بقتال الجبابرة وصار الشام كله لبنى اسرائيل
واما يتيهون اى يسيرون فيها متحيرين لا يرون طريقا فيكون التحريم مطلقا وقد قيل
لم يدخل الارض المقدسة احد ممن قال انا لن ندخلها بل هلكوا فى التيه وانما قاتل
الجبابرة اولادهم روى انهم لبثوا اربعين سنة فى ستة فراسخ يسيرون من
الصباح الى المساء فاذا هم بحيث ارتحلوا عنه وكان الغمام يظلهم من الشمس وعمود
من نور يطلع بالليل فيضئ لهم وكان طعامهم المن والسلوى وماءهم من الحجر الذى يحملونه
والاكثر على ان موسى وهرون كانا معهم فى التيه الا انكان ذلك روحا لهما وزيادة فى
درجتهما وعقوبة لهم وانهما ما تا فيه مات هرون وموسى بعده بسنة ثم دخل يوشع ارضا
بعد ثلثة اشهر ومات النقباء فيه بغتة غير كالب ويوشع فلا تاس على القوم الفاسقين خاطب به موسى لما ندم على الدعاء عليهم وتبين انهم احقاء بذلك لفسقهم
واتل عليهم نبا ابنى آدم قابيل وهابيل او حى الله تعالى آدم ان يزوج كل واحد منهما توأم الاخر
فسخط منه قابيل لان توأمته كانت اجمل فقال لهما آدم قربا قربانا فمن اتيما قبل تزوجها فقبل
قربان هابيل بان نزلت نار فاكلته فازداد قابيل سخطا وفعل ما فعل وقيل لم يرد

بهما ابنى آدم لصلبه وانما رجلان من بنى اسرائيل ولذلك قال كتبنا على بنى اسرائيل بالحق
صفة مصدر محذوف اى تلاوة ملتبسة بالحق او حال من الضمير فى اتل او من نبأ اى ملتبسا
بالصدق موافقا لما فى كتب الاولين اذ قربا قربانا ظرف النبأ او حال منه او بدل على
حذف مضاف اى اتل عليهم نبأهما نبأ ذلك الوقت والقربان اسم ما يتقرب به الى
الله من ذبيحة او غيرها كالحلوان اسم ما يحلى اى يعطى وهو فى الاصل مصدر ولذلك
لم يثنّ وقيل تقديره اذ قرب كل واحد منهما قربانا قيل كان قابيل صاحب زرع وقرب
اردأ ما عنده وهابيل صاحب ضرع وقرب جملا سمينا فتقبل من احدهما ولم يتقبل
لانه سخط حكم الله ولم يخلص النية فى قربانه وقصد الى اخس ما عنده قال لاقتلنك
يؤذن بالقتل لفرط الحسد له على تقبل قربانه ولذلك قال انما يتقبل الله من المتقين
فى جوابه اى انما اتيت من قبل نفسك بترك التقوى لا من قبلى فلم تقتلنى وفيه اشارة
الى ان الحاسد ينبغى ان يرى حرمانه من تقصير ويجتهد فى تحصيل ما به صار المحسود محظوظا
فلا فى ازالة حظه فان ذلك مما يضره ولا ينفعه وان الطاعة لا تقبل الا من متق لئن
بسطت الىّ يدك لتقتلنى ما انا بباسط يدى اليك لاقتلك انى اخاف الله رب
العالمين قيل كان هابيل اقوى منه ولكن تحرج عن قتله واستسلم له خوفا من الله
لان الدفع لم يبح بعد او تحريا لما هو الافضل قال عليه السلام كن عبد الله المقتول
ولا تكن عبد الله القاتل وانما قال ما انا بباسط فى جواب لئن بسطت للتبرى عن هذا
الفعل الشنيع رأسا والتحرز من ان يوصف به ويطلق عليه ولذلك اكد النفى بالباء
انى اريد ان تبوء باثمى واثمك فتكون من اصحاب النار وذلك جزاء الظالمين تعليل
لامتناع عن المعارضة والمقاومة والمعنى انما استسلم لك ارادة ان تحمل اثمى
لو بسطت اليك يدى واثمك ببسط يدك الى ونحو المستقبل ما قالا فعلى البادى مالم
يعتد المظلوم وقيل معناه باثم قتلى واثمك الذى لم يتقبل من اجله قربانك وكلاهما
فى موضع الحال اى ترجع ملتبسا بالاثمين حاملا لهما ولعله لم يرد معصية اخيه وشقاوته بل قصد بهذا
فطوعت له نفسه قتل اخيه فشجعته له ووسعته من طاع له

المرتع اذا اتسع وقرئ فطاوعت على انه فاعل بمعنى فعل او على ان قتل اخيه كانه دعاه
الى الاقدام عليه فطاوعته وله لزيادة الربط كقولك حفظت لزيد ماله فقتله فاصبح
صار من الخاسرين دينا ودنيا اذ بقى مدة عمره مطرودا محزونا قيل قتلها بيار وهو
ابن عشرين سنة عند عقبة حراء وقيل بالبصرة فى مواضع المسجد الاعظم فبعث
الله غرابا يبحث فى الارض ليريه كيف يوارى سوءة اخيه روى انه لما قتله تحير فى
امره ولم يدر ما يصنع به اذ كان اول ميت من بنى آدم فبعث الله غرابين فاقتتلا فقتل
احدهما الآخر فحفر له بمنقاره ورجليه ثم القاه فى الحفرة والضمير فى يرى لله او
للغراب وكيف حال من الضمير فى يوارى والجملة ثانى مفعولى يرى والمراد بسوءة اخيه
جسده الميت فانه مما يستقبح ان يرى قال يا ويلتى كلمة جزع وتحسر والالف
فيها بدل من ياء المتكلم والمعنى يا ويلتى احضرى فهذا اوانك والويل والويلة الهلكة
اعجزت ان اكون مثل هذا الغراب فاوارى سوءة اخى فلا اهتدى الى ما اهتدى
اليه وقوله فاوارى عطف على اكون وليس جوابا للاستفهام اذ ليس المعنى لو عجزت لوارَيْتُ وقرئ بالسكون على فانا اوارى وعلى تسكين المنصوب تخفيفا فاصبح من النادمين
على قتله لما كابد فيه من التحير فى امره وحمله على رقبته سنة واكثر على ما قيل وتلمذه
للغراب واسوداد لونه وتبراء ابويه منه اذ روى انه لما قتله اسود جسده فسأله آدم عن
اخيه فقال ما كنت عليه وكيلا فقال بل قتلته ولذلك اسود جسدك وتبرأ عنه
ومكث بعد ذلك مائة سنة لا يضحك وعدم الظفر بما فعله من اجله من اجل ذلك
كتبنا على بنى اسرائيل بسببه قضينا عليهم واجل فى الاصل مصدر اجل شرا اذا جناه
استعمل فى تعليل الجنايات كقولهم من جراك فعلته اى من ان جررته اى جنيته ثم
اتسع فيه فاستعمل فى كل تعليل ومن ابتدائية متعلقة بكتبنا اى ابتداء الكتب
وانشاءه من اجل ذلك انه من قتل نفسا بغير نفس بغير قتل نفس يوجب القصاص
او فساد فى الارض او بغير فساد فيها كالشرك وقطع الطريق فكانما قتل الناس جميعا
من حيث انه هتك حرمة الدماء وسنّ القتل وجراء الناس عليه او من حيث ان قتل

الواحد والجميع سواء فى استجلاب غضب الله والعذاب العظيم ومن احياها فكانما
احيا الناس جميعا اى ومن تسبب لبقاء حيوتها بعفو او منع عن القتل او استنقاذ
من بعض اسباب الهلكة فكانما فعل ذلك بالناس جميعا والمقصود منه تعظيم النفس
واحيائها فى القلوب ترهيبا عن التعرض لها وترغيبا فى الحماة عليها ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات ثم ان كثيرا منهم بعد ذلك فى الارض لمسرفون اى بعد
ما كتبنا عليهم هذا التشديد العظيم من اجل امثال تلك الجناية وارسلنا اليهم
الرسل بالآيات الواضحة تاكيدا للامر وتجديدا للعهد كى يحاموا عنها كثير منهم بسرفون
فى الارض بالقتل ولا يبالون به وبهذا اتصلت القصة بما قبلها والاسراف التباعد
عن حد الاعتدال فى الامر انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله اى يحاربون اولياءهما وهم المسلمون جعل محاربتهم محاربتهما تعظيما واصل الحرب السلب والمراد
به ههنا قطع الطريق وقيل المكابرة بالخصوصية وان كانت فى مصر ويسعون فى
الارض فسادا اى مفسدين ويجوز نصبه على العلة او المصدر لان سعيهم كان فسادا
فكانه قيل ويفسدون فى الارض فسادا ان يقتلوا اى من غير صلب ان افردوا القتل
او يصلبوا اى يصلبوا مع القتل ان قتلوا واخذوا المال وللفقهاء خلاف فى انه يقتل
ويصلب او يصلب حيا ويترك او يطعن حتى يموت او تقطع ايديهم وارجلهم من خلاف
يقطع ايديهم اليمنى وارجلهم اليسرى ان اخذوا المال ولم يقتلوا او ينفوا من الارض
ينفوا من بلد الى بلد بحيث لا يتمكنون من القرار فى موضع اذا اقتصروا على الاخافة وعند
ابو حنيفة النفى الحبس وانى الآية على هذا للتفصيل وقيل انه للتخيير والامام مخير
بين هذه العقوبات فى كل قاطع طريق ذلك لهم خزى فى الدنيا ذل وفضيحة ولهم
فى الآخرة عذاب عظيم لعظم ذنوبهم الا الذين تابوا من قبل ان تقدروا
عليهم استثناء مخصوص بما هو حق الله تعالى ويدل عليه قوله فاعلموا ان الله
غفور رحيم اما القتل قصاصا فالى الاولياء يسقط بالتوبة وجوبه لا جوازه وتقييد التوبة بالتقدم على القدرة يدل على انها بعد القدرة لا تسقط الحد وان

اسقطت

اسقطت العذاب وان الآية فى قطاع المسلمين لان توبة المشرك تدرء عنه الحقوق
قبل القدرة وبعدها يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة اى
ما تتوسلون به الى ثوابه والزلفى منه من فعل الطاعات وترك المعاصى من وسل الى
كذا اذا تقرب اليه وفى الحديث الوسيلة منزلة فى الجنة وجاهدوا فى سبيله بحثا
على محاربة اعداء الظاهرة والباطنة لعلكم تفلحون بالوصول الى الله والفوز بكرامته
ان الذين كفروا لو ان لهم ما فى الارض من صنوف الاموال جميعا ومثله معه
ليفتدوا به ليجعلوه فدية لانفسهم من عذاب يوم القيامة واللام متعلقة
بمحذوف يستدعيه لو اذ التقدير لو ثبت انهم ما فى الارض وتوحيد الضمير فى به
والمذكور شيئان اما لاجرائه مجرى اسم الاشارة فى نحو قوله تعالى عوان بين ذلك او لان
الواو فى ومثله بمعنى مع ما تقبل منهم جواب لو ولوها فى حيز خبر ان والجملة
تمثيل للزوم العذاب لهم وانه لا سبيل لهم الى الخلاص منه ولهم عذاب اليم تصريح
بالمقصود منه وكذلك قوله يريدون ان يخرجوا من النار وما هم بخارجين
منها ولهم عذاب مقيم وقرئ يخرجوا من اخرج وانما قال وما هم بخارجين بدل
وما يخرجون للمبالغة والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما جملتان عند
سيبويه اذ التقدير فيما يتلى عليكم السارق والسارقة اى حكمهما وجملة عند المبرد و
الفاء للسببية دخلت الخبر لتضمنهما معنى الشرط اذ المعنى والذى سرق والتى سرقت وقرئ
بالنصب وهو المختار فى مثاله لان الاشتغال لا يقع خبرا الا باضمار اوتاول والسرقة اخذ
مال الغير فى خفية وانما توجب القطع اذا كانت من حرز والمأخوذ ربع دينار او ما
يساويه لقوله عليه السلام القطع فى ربع دينار فصاعدا وللعلماء خلاف فى ذلك لاحاد
وردت فيه وقد استقصيت الكلام فيه فى شرح المصابيح والمراد بالايدى
الايمان ويؤيده قراءة ابن مسعود ايمانهما ولذلك ساغ وضع الجمع موضع المثنى كما فى قوله
فقد صغت قلوبكما اكتفاء بتثنية المضاف اليه واليد اسم تمام العضو ولذلك ذهب
الخوارج الى ان المقطع هو المنكب والجمهور على انه الرسغ لانه عليه السلام اتى بسارق

فامر بقطع يمينه منه جزاء بما كسبا نكالا من الله منصوبان على المفعول له والمعنى
ورد على فعلهما فاقطعوا والله عزيز حكيم فمن تاب من السراق من بعد ظلمه
اى سرقته واصلح امره بالتنصل عن التبعات والعزم ان لا يعود اليها فان الله يتوب
عليه ان الله غفور رحيم يقبل توبته فلا يعذبه فى الآخرة اما القطع فلا يسقط بها عند
الاكثرين لان فيه حق المسروق منه الم تعلم ان الله له ملك السموات والارض الخطاب
للنبى ولكل احد يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء والله على كل شئ قدير
قدم التعذيب على المغفرة ايذانا على ترتيب ما سبق اولان استحقاق التعذيب مقدم
اولان المراد به القطع وهو فى الدنيا يا ايها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون فى
الكفر اى صنع الذين يتعمدون فى الكفر سريعا فى اظهاره اذا وجدوا منه فرصة من
الذين قالوا امنا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم اى من المنافقين والباء متعلقة
بقالوا الا آمنا والواو ويحتمل الحال والعطف ومن الذين هادوا عطف على من الذين قالوا
سماعون للكذب خبر محذوف اى هم سماعون والضمير للفريقين او للذين يسارعون
ويجوز ان يكون مبتدأ ومن الذين خبره اى ومن اليهود قوم سماعون واللام فى للكذب اما
مزيدة للتاكيد او لتضمين السماع معنى القبول اى قابلون لما يفتريه لاجبارا وللعلة و
المفعول محذوف اى سماعون كلامك ليكذبوا عليك فيأتوا سماعون لقوم آخرين لم يأتوك
اى لجمع آخر من اليهود لم يحضروا مجلسك وتجافوا عنك تكبرا وافراطا فى البغضاء والمعنى
على الوجهين اى مصغون لهم قابلون كلامهم او سماعون منك لاجلهم وللانتهاء اليهم
ويجوز ان يتعلق اللام بالكذب لا بسماعون الثانى مكررا للتاكيد اى سماعون ليكذبوا القوم
آخرين يحرفون الكلم من بعد مواضعه اى يميلونه عن مواضعه التى وضعه الله فيها
اما لفظا باهماله او تغيير وضعه واما معنى بحمله على غير المراد واجرائه فى غير موردة والجملة
صفة اخرى لقوم او صفة لسماعون او حال من الضمير فيه او استيناف لا موضع له او فى موضع
الرفع خبر لمحذوف اى هم يحرفون كذلك يقولون ان اوتيتم هذا فخذوه اى ان اوتيتم هذا
المحرف فاقبلوه واعملوا به وان لم تؤتوه بل افتاكم محمد بخلافه فاحذروا اى فاحذروا

قبول ما افتاكم به روى ان شريفا من خيبر زنى بشريفة وكانا محصنين فكرهوا رجمهما
فارسلوا ناسا منهم الى بنى قريظة ليسالوا رسول الله عنه وقالوا ان امركم بالجلد
والتحميم فاقبلوا وان امركم بالرجم فلا فامرهم بالرجم فابوا عنه فجعل ابن صوريا حكما
بينه وبينهم وقال له انشدك الله الذى لا آله الا هو الذى فلق البحر لموسى ورفع فوق
قلم الطور والجانكم واغرق آل فرعون والذى انزل عليكم كتابه فى حلاله وحرامه هل تجد فيه
الرجم على من احصن قال نعم فوثبوا عليه فقال خفت ان كذبته ان ينزل علينا العذاب
فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالزانيين فرجما عند باب المسجد ومن يرد الله فتنته
ضلالته او فضيحته فلن تملك له شيئا فلن تستطيع له من الله شيئا فى دفعها اولئك
الذين لم يرد الله ان يطهر قلوبهم من الكفر وهو كالمتفرع على فساد قول المعتزلة لهم
فى الدنيا خزى هو ان بالجزية والخوف عن المؤمنين ولهم فى الآخرة عذاب عظيم
وهو الخلود فى النار والضمير للذين هادوا ان استانفت بقوله ومن الذين والا فللفريقين
سماعون للكذب كرر للتاكيد اكالون للسحت اى الحرام كالرشى من سحته
اذا استاصله لانه مسحوت البركة وقرا ابن كثير وابو عمرو والكسائى ويعقوب فى
المواضع الثلثة بضمتين وهما لغتان كالعنق والعنق وقرئ بفتح السين على لفظ
المصدر فان جاءوك فاحكم بينهم او اعرض عنهم تخيير لرسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا تحاكموا اليه بين الحكم والاعراض وهذا قبل ان يتحاكم كتابيان الى القاضى لم يجب عليه الحكم
وهو قول الشافعى والاصح وجوبه اذا كان المترافعان او احدهما ذميا لانا التزمنا الذب
ودفع الظلم منهم والآية ليست فى اهل الذمة وعند ابى حنيفة يجب مطلقا وان تعرض
عنهم فلن يضروك شيئا بان يعاودوك لاعراضك عنهم فان الله يعصمك من الناس
وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط بالعدل الذى امر الله به ان الله يحب المقسطين
فيحفظهم ويعظم شانهم وكيف يحكمونك وعندهم التورية فيها حكم الله تعجيب
من تحكيمهم من لا يؤمنون به والحال ان الحكم منصوص عليه فى كتابهم الذى هو عندهم وتنبيه
على انهم ما قصدوا بالتحكيم معرفة الحق واقامة الشرع وانما طلبوا بها ما يكون اهون

وان لم يكن حكم الله في زعمهم وفيها حكم الله حال من التوراة ان رفعتها بالظرف وان
جعلتها مبتدأ فمن ضميرها المستكن فيه وتأنيثها لكونها نظيرة المؤنث في كلامهم لفظا
كموماة ودوداة ثم يتولون من بعد ذلك لم يعترضون عن حكمك الموافق لكتابهم بعد
التحكيم وهو عطف على يحكمونك داخل في حكم التعجيب وما اولئك بالمؤمنين بكتابهم
لاعراضهم عنه اوكلا وعما يوافقه ثانيا اوبك وبه انا انزلنا التورية فيها هدى يهدي
الى الحق ونور يكشف به ما اشتبه من الاحكام يحكم بها النبيون يعني انبياء بني اسرائيل
اوموسى ومن بعده ان قلنا شرع من قبلنا شرعنا ما لم ينسخ وبهذه الآية تمسك القائل به
الذين اسلموا صفة اجريت على النبيين مدحا لهم وتنويها بشان المسلمين وتعريضا
باليهود وانهم بمعزل عن دين الانبياء واقتفاء هديهم للذين هادوا متعلق بانزل
اويحكم اي يحكمون بها في تحاكمهم وهو يدل على ان النبيين انبياؤهم والربانيون والاحبار
زهادهم وعلماؤهم السالكون طريقة انبيائهم عطف على النبيون بما استحفظوا
من كتاب الله بسبب امر الله اياهم بان يحفظوا كتابه من التضييع والتحريف والراجع
الى ما محذوف ومن للتبيين وكانوا عليه شهداء رقباء لا يتركون ان تغيروا او شهداء
يتبينون ما يخفى منه كما فعله ابن صوريا فلا تخشوا الناس واخشون نهى للحكام ان
يخشوا غير الله في حكوماتهم ويداهنوا فيها خشية ظالم او مراقبة كبير ولا تشتروا
بآياتي ولا تستبدلوا باحكامي التي انزلتها ثمنا قليلا هو الرشوة والجاه ومن لم
يحكم بما انزل الله مستهينا به منكرا له فاولئك هم الكافرون لاستهانتهم به
وتمردهم بان حكموا بغيره ولذلك وصفهم بقوله الكافرون والظالمون والفاسقون فكفر
هم لانكاره وظلمهم بالحكم على خلافه وفسقهم خروجهم عنه ويجوز ان يكون كل واحدة من الصفات
الثلث باعتبار حال انضمت الى الامتناع عن الحكم به ملائمة لها او لطائفة كما قيل هن في
المسلمين لاتصالها بخطابهم والظالمون في اليهود والفاسقون في النصارى وكتبنا عليهم
فرضنا على اليهود فيها في التورية ان النفس بالنفس اي ان النفس تقتل بالنفس والعين
بالعين والانف بالانف والاذن بالاذن والسن بالسن رفعها الكسائي على انها

جمل

جمل معطوفة على ان وما في حيزها باعتبار المعنى وكانه كتبنا عليهم النفس بالنفس والعين بالعين
فان الكتبة والقراءة يقعان على الجمل كالقول وجملا مستانفة ومعنا صلة كذلك العين مفقوءة
بالعين والانف مجدوعة بالانف والاذن مصلومة بالاذن والسن مفلوعة بالسن او على
ان المرفوع منها معطوف على المستكن في قوله بالنفس وانما ساغ لانه في الاصل مفصول عنه
بالظرف والجار والمجرور حال مبينة للمعنى والجروح قصاص اي ذات قصاص وقرأ الكسائي
ايضا بالرفع وابن كثير وابو عمرو وابن عامر على انه اجمال للحكم بعد التفصيل فمن تصدق به من
المستحقين بالقصاص اي فمن عفا عنه فهو فالتصدق كفارة له للمتصدق فيكفر الله به
ذنوبه وقيل للجاني يسقط عنه ما لزمه فهو كفارة له اي فالمتصدق كفارته التي يستحقها
بالتصدق له لا ينقص منها شئ ومن لم يحكم بما انزل الله من القصاص وغيره فاولئك
هم الظالمون وقفينا على آثارهم اي واتبعناهم على آثارهم فحذف المفعول لدلالة الجار
والمجرور والضمير للنبيون بعيسى ابن مريم مفعولا ان عدي اليه الفعل بالباء مصدقا لما بين
يديه من التورية واتيناه الانجيل وقرئ بفتح الهمزة فيه هدى ونور في موضع النصب
بالحال ومصدقا لما بين يديه من التورية عطف عليه وكذا قوله وهدى وموعظة
للمتقين ويجوز نصبهما على المفعول لهما عطفا على محذوف او تعليقا به وعطف وليحكم
اهل الانجيل بما انزل الله فيه عليه في قراءة حمزة وعلى الاول اللام متعلقة بمحذوف
اي واتيناه ليحكم وقرئ بان ليحكم على ان ان موصولة بالامر كقولهم امرتك بان قم وامرنا بان
ليحكم ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الفاسقون عن حكمه وعن الايمان ان كان
مستهينا به والآية تدل على ان الانجيل مشتملة على الاحكام وان اليهودية منسوخة ببعثة
عيسى عليه السلم وانه كان مستقلا بالشرع وحكمها على ليحكموا بما انزل الله فيه من ايجاب العمل
باحكام التورية خلاف الظاهر وانزلنا اليك الكتاب بالحق اي القرآن مصدقا
لما بين يديه من الكتاب من جنس الكتب المنزلة فالام الاولى للعهد والثانية للجنس
ومهيمنا عليه ورقيبا على سائر الكتب يحفظه عن التغيير ويشهد لها بالصحة والثبات
وقرئ على بنية المفعول اي هو من عليه وحوفظ من التحريف والحافظ له هو الله تعالى والحفاظ

اي حوفظ من التحريف
عطف حوفظ للسان

في كل عصر فاحكم بينهم بما انزل الله اي بما انزل اليك ولا تتبع اهواءهم عما
جاءك من الحق بالانحراف عنه الى ما يشتهونه فعن صلة لا تتبع لتضمنه معنى لا
تنحرف وحال من فاعله اي لا تتبع اهواءهم مائلا عما جاءك لكل جعلنا منكم ايها
الناس شرعة شريعة وهي الطريقة الى الماء يشبه بها الدين لانه طريق الى ما
هو سبب الحيوة الابدية وقرئ بفتح الشين ومنهاجا وطريقا واضحا في الدين من
نهج الامر اذا وضح واستدل به على انا غير متعبدين بالشرايع المتقدمة ولو شاء الله
لجعلكم امة واحدة جماعة متفقة على دين واحد في جميع الاعصار من غير نسخ
وتحويل ومفعول لو شاء محذوف دل عليه الجواب وقيل المعنى لو شاء الله اجتما
عكم على الاسلام لاجبركم عليه ولكن ليبلوكم فيما آتيكم من الشرايع المختلفة
المناسبة لكل عصر وقرن هل تعملون بها مذعنين لها معتقدين ان اختلافها
مقتضى الحكم الالهية ام تزيغون عن الحق وتفرطون في العمل فاستبقوا الخيرات
فابتدروها انتهازا للفرصة وحيازة لفضل السبق والتقدم الى الله مرجعكم
جميعا استيناف فيه تعليل الامر بالاستباق ووعد ووعيد للمبادرين والمقصرين
فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون بالجزاء الفاصل بين المحق والمبطل والعامل
والمقصر وان احكم بينهم بما انزل الله عطف على الكتاب اي انزلنا اليك الكتاب
والحكم او على الحق اي انزلناه بالحق وبان احكم ويجوز ان يكون جملة بتقدير وامرنا
ان احكم ولا تتبع اهواءهم واحذرهم ان يفتنوك عن بعض ما انزل الله اليك
اي ان يضلوك ويصرفوك عنه وان بصلته بدل من هم بدل الاشتمال اي احذر فتنتهم
او مفعول له اي احذرهم مخافة ان يفتنوك روي ان احبار اليهود قالوا اذهبوا بنا الى
محمد لعلنا نفتنه عن دينه فقالوا يا محمد قد عرفت انا احبار اليهود وانا ان اتبعناك
اتبعتنا اليهود كلهم وان بيننا وبين قومنا خصومة فنتحاكم فتقضي لنا عليهم ونحن
نؤمن بك ونصدقك فابى ذلك رسول الله فنزلت فان تولوا عن الحكم المنزل وا
رادوا به غيره فاعلم انما يريد الله ان يصيبهم ببعض ذنوبهم يعني ذنب التولي عن حكم الله

فعبر عنه

فعبر عنه بذلك تنبيها على ان لهم ذنوبا كثيرة كبيرة وهذا مع عظمه واحد منها معدود
من جملتها وفيه دلالة على التعظيم كما في التنكير ونظيره قول لبيد او يرتبط بعض النفوس حما
مها وان كثيرا من الناس لفاسقون لمتمردون في الكفر المعتدون فيه افحكم الجا
هلية يبغون الذي هو الميل والمداهنة في الحكم والمراد بالجاهلية الملة التي هي
متابعة الهوى وقيل نزلت في بني قريظة والنضير طلبوا رسول الله ان يحكم بما كان
يحكم به اهل الجاهلية من التفاضل بين القتلى وقرئ برفع الحكم على انه مبتدا ويبغون
خبره والراجع محذوف حذفه في الصلة في قوله اهذا الذي بعث الله رسولا واستضعف
ذلك في غير الشعر وقرئ افحكم الجاهلية اي يبغون حاكما كحكام الجاهلية يحكم بحسب
شهيتهم وقرا ابن عامر تبغون بالتاء على قل لهم افحكم الجاهلية تبغون ومن احسن
من الله حكما لقوم يوقنون اي عندهم واللام للبيان كما في قوله هيت لك اي هذا الاستفهام
لقوم يوقنون فانهم هم الذين يتدبرون الامور ويتحققون الاشياء بانظارهم فيعلمون
ان لا احسن حكما من الله يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء
فلا تعتمدوا عليهم ولا تعاشروهم معاشرة الاحباب بعضهم اولياء بعض ايماء الى علة
النهي اي فانهم متفقون على خلافكم يوالي بعضهم بعضا لاتحادهم في الدين واجماعهم على
مضادتهم ومن يتولهم منكم فانه منهم اي ومن والاهم منكم فانه من جملتهم وهذا للتشديد
في وجوب مجانبتهم كما قال عليه السلام لا تتراءى ناراهما او لان الموالي لهم كانوا
منافقين ان الله لا يهدي القوم الظالمين اي الذين ظلموا انفسهم بموالاة
الكفار او المومنين بموالاة اعدائهم فترى الذين في قلوبهم مرض يعني ابن ابي
واضرابه يسارعون فيهم اي في موالاتهم ومعاونتهم يقولون نخشى ان تصيبنا
دائرة يعتذرون بانهم يخافون ان تصيبهم دائرة من دوائر الزمان بان ينقلب الامر
وتكون الدولة للكفار روي ان عبادة ابن الصامت قال لرسول الله صلى الله
عليه وسلم ان لي موالي من اليهود كثيرا عددهم واني ابرأ الى الله ورسوله من
ولايتهم واولي الله ورسوله فقال ابن ابي اني رجل اخاف الدوائر لا ابرأ من ولاية

الجاهلية

حكما

مضادتكم

الموالين

يعني بيان

الزمان

رئيس المنافقين

موالى فنزلت فعسى الله ان يأتى بالفتح لرسول الله على اعدائه واظهار المسلمين
او امر من عنده يقطع شافة اليهود من القتل والاجلاء والامر باظهار اسرار المنا
فقين وقتلهم فيصبحوا اى هؤلاء المنافقون على ما اسروا فى انفسهم نادمين على ما استبطنوه
من الكفر والشك فى امر الرسول فضلا عما اظهروه تمايشعر على نفاقهم ويقول الذين امنوا
بالرفع قراءة عاصم وحمزة والكسائى على انه كلام مبتدا ويؤيد قراءة ابن كثير ونافع
وابن عامر مرفوعا بغير واو على انه جواب قائل يقول فماذا يقول المؤمنون حين وبالنصب قراءة
ابى عمرو ويعقوب عطفا على ان يأتى باعتبار المعنى وكانه قال عسى ان يأتى بالفتح ويقول
الذين آمنوا او نجعله بدلا من اسم الله داخلا فى اسم عسى مغنيا عن الخبر بما تضمنه من الحدث
او على الفتح بمعنى عسى الله ان يأتى بالفتح ويقول المؤمنين فان الاتيان بما يوجبه كالاتيان
به اهؤلاء الذين اقسموا بالله جهد ايمانهم انهم لمعكم يقوله المؤمنون
بعضهم لبعض تعجبا من حال المنافقين وتبجحا بما من الله عليهم من الاخلاص
او يقولون لليهود فان المنافقين حلفوا لهم بالمعاضدة كما حكى الله عنهم وان قو
تلتم لنتصرنكم وجهد الايمان اغلظها وهو فى الاصل مصدر ونصبه على الحال
على تقدير واقسموا بالله يجتهدون جهد ايمانهم فحذف الفعل واقيم المصدر مقامه
ولذلك ساغ كونها معرفة وعلى المصدر كانه بمعنى اقسموا حبطت اعمالهم
فاصبحوا خاسرين امامن جملة المقول ومن قول الله شهادة لهم بحبوط اعما
لهم وفيه معنى التعجب كانه قيل ما احبط اعمالهم وما اخسرهم يا ايها الذين
آمنوا من يرتد منكم عن دينه قراءة على الاصل نافع وابن عامر وهو كذلك فى الا
مام والباقون بالادغام وهذا من الكائنات التى اخبر الله عنها قبل وقوعها
وقد ارتد من العرب فى اواخر عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلث فرق
مذحج وكان رئيسهم ذو الخمار الاسود العنسى تنبأ باليمن واستولى على بلاده ثم قتله
فيروز الديلمى ليلة قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم من غدها واخبر الرسول
فى تلك الليلة فسر المسلمون واتى الخبر فى اواخر ربيع الاول وبنو حنيفة اصحاب

مسيلمة

مسيلمة نبا وكتب الى رسول الله عليه السلام من مسيلمة رسول الله الى محمد رسول الله اما بعد فان
الارض نصفها لى ونصفها لك فاجاب من محمد رسول الله الى مسيلمة الكذاب اما بعد فان الارض لله يو
يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين فحاربه ابو بكر رضى بجند المسلمين وقاتله الوحشى قاتل
حمزة وبنو اسد قوم طليحة بن خويلد تنبا فبعث الله رسوله عليه السلام خالدا فضرب بعد القتل الى
الشام ثم اسلم وحسن اسلامه وفى عهد ابى بكر رضى سبع فزارة قوم عيينة بن حصين وغطفان
قوم قرة بن سلمة وبنو سليم قوم الفجاءة عبد ياليل وبنو يربوع قوم مالك بن نويرة وبعض تميم
قوم سجاح بنت المنذر المتنبية زوجة مسيلمة وكندة قوم الاشعث بن قيس وبنو بكر بن وائل
بالبحرين قوم الحطم وكفى الله تع اسرهم على يده وفى امرة عمر غسان قوم جبلة بن الايهم تنصر
وسار الى الشام فسوف ياتى الله بقوم يحبهم ويحبونه قيل هم من اليمن لما روى انه عليه السلام
اشار الى ابى موسى وقال هم قوم هذا وقيل الفرس لانه عليه السلام سئل عنهم فضرب عليه السلام
يده على عاتق سلمان وقال وذووه وقيل الذين جاهدوا يوم القادسية الفان من النخع و
خمسة آلاف من كندة وبجيلة وثلثة آلاف من افناء الناس والراجع الى من محذوف تقديره
فسوف ياتى الله بقوم مكانهم ومحبة الله تع للعباد ارادة الهدى والتوفيق لهم فى الدنيا
وحسن الثواب فى الاخرة ومحبة العباد له تع ارادة طاعته والتحرز عن معاصيه اذلة على
المؤمنين عاطفين عليهم متذللين لهم جمع ذليل لا ذلول فان جمعه ذلل واستعمالهم مع على
امّا لتضمين معنى العطف والحنو او التنبيه على انهم مع علو طبعهم وفضلهم على المؤمنين خافضون
لهم او للمقابلة اعزة على الكافرين شداد متغلبين عليهم من عزه اذا غلبه وقرئ بالنصب
على الحال يجاهدون فى سبيل الله صفة اخرى لقوم او حال من الضمير فى اعزة ولا يخافون
لومة لائم عطف على يجاهدون بمعنى انهم المجاهدون بين الجهاد فى سبيل الله والتصلب فى
دينه او حال بمعنى انهم يجاهدون وحالهم خلاف حال المنافقين فانهم يخرجون فى جيش
المسلمين خائفين ملامة اولياءهم من اليهود فلا يعلون شيئا يلحق فيه لوم من جهتهم
واللومة المرة من اللوم وفيها وفى تنكيرها نفى ذلك اشارة الى ما يقوم تقدم
من الاوصاف فضل الله يوتيه من يشاء بمحضه ويوفق له والله واسع كثير الفضل

عليم بمن هو اهله انما وليكم الله ورسوله والذين امنوا لما نهى عن موالاة الكفرة ذكر عقيبه من هو
حقيق بها وانما قال وليكم ولم يقل اولياءكم للتنبيه على ان الولاية لله على الاصالة ولرسوله و
للمومنين على التبع الذين يقيمون الصلوة ويوتون الزكوة صفة للذين امنوا فانه جرى مجرى الاسم
او بدل منه ويجوز نصبه ورفعه على المدح وهم راكعون متخشعون في صلوتهم وزكوتهم وقيل هو
حال مخصوصة بيوتون اى يوتون الزكوة في حال ركوعهم في الصلوة حرصا على الاحسان ومسارعته
اليه وانها نزلت في على حين سأله سائل وهو راكع في صلوته فطرح له خاتمه واستدل بها الشيعة على امامته
زاعمين ان المراد بالولي المتولي للامور المستحق للتصرف فيهم وظاهره ما ذكرناه مع ان حمل الجمع على الواحد
ايضا خلاف الظاهر وان صح انه نزل فيه فلعله جيء بلفظ الجمع ليرغب الناس في مثل فعله فينتدبوا فيه
وعلى هذا يكون دليلا على ان الفعل القليل في الصلوة لا يبطلها وان صدقة التطوع تسمى زكوة ومن
يتول الله ورسوله والذين امنوا ومن يتخذهم اولياء فان حزب الله هم الغالبون اى فانهم الغالبون
ولكن وضع الظاهر موضع المضمر تنبيها على البرهان عليه فكانه قيل ومن يتول هؤلاء فهم حزب
الله وحزب الله هم الغالبون وتنويها بذكرهم وتعظيما لشانهم وتشريفا لهم بهذا الاسم وتعريضا
لمن يوالي غير هؤلاء بانه حزب الشيطان واصل الحزب القوم يجتمعون لامر حزبهم يا ايها الذين امنوا
لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم والكفار اولياء
نزل في رفاعة بن زيد وسويد بن الحارث اظهرا الاسلام ثم نافقا وكان رجال من المسلمين
يوادونهما وقد رتب النهي عن موالاتهم على اتخاذهم دينهم هزوا ولعبا ايماء على
العلة وتنبيها على ان من هذا شانه بعيد عن الموالاة جدير بالمعاداة وفصل المستهزئين
باهل الكتاب والكفار على قراءة من جره وهم ابو عمرو والكسائي ويعقوب والكفار وان
عم اهل الكتاب يطلق على المشركين خاصة لتضاعف كفرهم ومن نصبه عطفه على الذين
اتخذوا على ان النهي عن موالاة من ليس على الحق راسا سواء من كان ذا دين تبع فيه
الهوى فحرفه عن الصواب كاهل الكتاب ومن لم يكن كالمشركين واتقوا الله بترك
المعاصي ان كنتم مؤمنين لان الايمان حقا يقتضي ذلك وقيل ان كنتم مؤمنين بوعده
ووعيده واذا ناديتم الى الصلوة اتخذوها هزوا ولعبا اى اتخذوا الصلوة و

والذين امنوا

المناداة

المناداة وفيه دليل على ان الاذان مشروع للصلوة روي ان نصرانيا بالمدينة كان اذا سمع
المؤذن يقول اشهد ان محمدا رسول الله قال احرق الله الكاذب ودخل خادمه
ذات ليلة بنار واهله نيام فتطاير شررة في البيت فاحرقه واهله ذلك بانهم قوم لا يعقلون
فان السفه يؤدي الى الجهل بالحق والهزء به والعقل يمنع منه قل يا اهل الكتاب هل تنقمون منا
هل تنكرون منا وتعيبون يقال نقم منه كذا اذا انكره وانتقم اذا كافاه وقرئ تنقمون بفتح
القاف وهو لغة الا ان امنا بالله وما انزل الينا وما انزل من قبل الايمان بالكتب المنزلة
كلها وان اكثركم فاسقون عطف على امنا وكان المستثنى لازم الامرين وهو المخالفة
اى ما تنكرون منا الا مخالفتكم حيث دخلنا الايمان وانتم خارجون منه او كان
الاصل واعتقاد ان اكثركم فاسقون فحذف المضاف او على ما اى وما تنقمون منا
الا الايمان بالله وبما انزل وبان اكثركم او على علة محذوفة والتقدير هل تنقمون منا
الا ان امنا لقلة انصافكم وفسقكم او نصب باضمار فعل دل عليه هل تنقمون اى و
لا تنقمون ان اكثركم فاسقون او رفع على الابتداء والخبر محذوف اى وفسقكم ثابت
معلوم عندكم ولكن حب الرياسة والمال يمنعكم عن الانصاف والاية خطاب لليهود
سألوا رسول الله عم عمن يومن به فقال اومن بالله وما انزل الينا الى قوله ونحن له
مسلمون فقالوا حين سمعوا ذكر عيسى لا نعلم دينا شرا من دينكم قل هل انبئكم
بشر من ذلك اى من ذلك الدين المنقوم مثوبة عند الله جزاء اثابتا عند الله والمثوبة
مختصة بالخير كالعقوبة بالشر فوضعت ههنا موضعها على طريقة قوله تحية بينهم
ضرب وجيع ونصبها على التمييز عن بشر من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة
والخنازير بدل من شر على حذف مضاف اى بشر من اهل ذلك من لعنه الله او خبر
محذوف اى هو من لعنه الله وهم اليهود ابعدهم الله من رحمته وسخط عليهم بكفرهم
وانهماكهم في المعاصي بعد وضوح الايات ومسخ بعضهم قردة وهم اصحاب السبت
مسخت شبانهم قردة ومشايخهم خنازير وعبد الطاغوت عطف على صلة من اه
وكذا عبد الطاغوت على البناء للمفعول ورفع الطاغوت وعبد بمعنى صار معبودا

فيكون الراجع محذوفا اى فيهم او بينهم ومن قرأ عابد الطاغوت او عبد على انه لغت
كفطن ويقظ وعبد الطاغوت على انه جمع كخدم آوان اصله عبدة فحذفت التاء للاضافة
عطفه على القردة ومن قرأ وعبد الطاغوت بالجر عطفه على من والمراد من الطاغوت العجل
وقيل الكهنة وكل من اطاعوه فى معصية الله اولئك اى الملعونون شر مكانا جعل مكانهم شرا
ليكون ابلغ فى الدلالة على شرارتهم وقيل مكانا منصرفا واضل عن سواء السبيل قصد الطريق
المتوسط بين غلو النصارى وقدح اليهود والمراد من صيغتى التفضيل الزيادة مطلقا لا بالاضافة
الى المؤمنين فى الشرارة والضلال واذا جاؤكم قالوا آمنا نزلت فى يهود نافقوا رسول الله
او فى عامة المنافقين وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به اى يخرجون من عندك كما دخلوا
لا يؤثر فيهم ما سمعوا منك والجملتان حالان من فاعل قالوا وبالكفر وبه حالان من فاعل
دخلوا وخرجوا وقد وان دخلت لتقرب الماضى من الحال يصح ان يقع حالا افادت ايضا لما
فيها من التوقع ان امارة النفاق كانت لائحة عليهم وكان الرسول يظنه ولذلك قال الله
والله اعلم بما كانوا يكتمون اى من الكفر وفيه وعيد لهم وترى كثيرا منهم اى من اليهود
او المنافقين يسارعون فى الاثم اى الحرام وقيل الكذب لقولهم الاثم والعدوان الظلم او
مجاوزة الحد فى المعاصى وقيل الاثم والعدوان ما يتعدى الى غيرهم واكلهم السحت اى
الحرام خصه بالذكر للمبالغة لبئس ما كانوا يعملون لبئس شيئا يعلوه لولا ينهاهم الربانيون
والاحبار عن قولهم الاثم واكلهم السحت تخصيص لعلمائهم على الزامى عن ذلك فان لولا اذا دخل
الماضى افاد التوبيخ واذا دخل المستقبل افاد التحضيض لبئس ما كانوا يصنعون ابلغ من قوله
لبئس ما كانوا يعملون من حيث ان الصنع عمل الانسان بعد تدرب فيه وتروّ وتحرّى اجادة و
لذلك ذم بخواصهم ولان ترك الحسبة اقبح من مواقعة المعصية لان النفس تلتذ بها وتميل
اليها ولا كذلك ترك الانكار عليها فكان جديرا بابلغ الذم وقالت اليهود يد الله مغلولة
اى هو ممتنع بقتر بالرزق وغل اليد وبسطها مجاز عن البخل والجود ولا قصد فيه الى اثبات يد
وغل او بسط ولذلك يستعمل حيث لا يتصور ذلك كقوله جاد الحى وبسط اليدين بوابل
شكرت نداه تلاعه ووهاده ونظيره من المجازاة المركبة شابت لمة الليل وقيل معناه

الحدث ط

يخبرهم ح

فقير

فقير كقوله لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء غلت ايديهم ولعنوا
بما قالوا دعاء عليهم بالبخل والنكد او بالفقر والمسكنة او بغل الايدى حقيقة يغلّلون
اسارى فى الدنيا ومسحبين الى النار فى الاخرة فيكون المطابقة من حيث اللفظ وملاحظة
الاصل كقولك سبّنى سبّ الله دابره بل يداه مبسوطتان تثنى اليد مبالغة فى الرد وتفى
البخل اثباتا لغاية الجود فان غاية ما يبذله السخى من ماله ان يعطيه بيديه وتنبيها على
منح الدنيا والاخرة وعلى ما يعطى للاستدراج وما يعطى للاكرام ينفق كيف يشاء تأكيد
لذلك اى هو مختار فى انفاقه يوسع تارة ويضيق اخرى على حسب مشيئته ومقتضى حكمته
لا على تعاقب سعة وضيق فى ذاته ولا يجوز جعله حالا من الهاء للفصل بينهما بالخبر و
لانها مضاف اليها ولا من اليدين اذ لا ضمير لها فيه ولا من ضميرها لذلك والاية نزلت
فى فنحاص بن عازوراء فانه قال ذلك لما كف الله عن اليهود ما بسط عليهم من السعة
بشوم تكذيبهم محمدا عم واشرك فيه الاخرون لانهم رضوا بقوله وليزيدن كثيرا
منهم ما انزل اليك من ربك طغيانا وكفرا اى هم طاغون كافرون ويزداد ون طغيانا
وكفرا مما يسمعون من القرآن كما يزداد المريض مرضا من تناول الغذاء الصالح للاصحاء
والقينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيمة فلا يتوافق قلوبهم ولا يتطابق افواههم
كلما اوقدوا نارا للحرب اطفأها الله كلما ارادوا حرب الرسول واثارة شر عليه
رتّبهم الله تعالى بان اوقع بينهم منازعة كف بها عنه شرهم او كلما ارادوا حرب احد
غلبوا فانهم لما خالفوا حكم التوراة سلّط الله تعالى عليهم بخت نصر ثم افسدوا ثانية
فسلّط عليهم فسطوس الرومى ثم افسدوا فسلّط عليهم المجوس ثم افسدوا فسلّط
عليهم المسلمين وللحرب صلة اوقدوا او صفة نارا ويسعون فى الارض فسادا اى
للفساد وهو اجتهادهم فى الكيد واثارة الحرب والفتن وهتك المحارم والله لا يحب
المفسدين فلا يجازيهم الا شرا ولو ان اهل الكتاب آمنوا بمحمد ع وما جاء به واتقوا
ما عددنا من معاصيهم ونحوه لكفرنا عنهم سيئاتهم التى فعلوها ولم نؤاخذهم بها ولادخلناهم
جنات النعيم ولجعلناهم من الداخلين فيها وتقييده فيه تنبيه على عظم معاصيهم وكثرة ذنوبهم

فطرس ع

وان الاسلام يجب ما قبله وان جل وان الكتابى لا يدخل الجنة ما لم يسلم ولو آمن
اقاموا التوراة والانجيل باذاعة ما فيهما من نعت محمد عليه الصلوة والسلام والقيام
وما انزل اليهم من ربهم يعنى سائر الكتب المنزلة فانها من حيث انهم مكلفون بالايمان
بها كالمنزل اليهم او القرآن لاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم اوسع عليهم ارزاقهم
بان يفرض عليهم بركات من السماء والارض او يكثر ثمرة الاشجار وغلة الزروع او
يرزقهم الجنان اليانعة الثمار فيجتنونها من رأس الشجرة ويلتقطون ما تساقط على الارض
بيان ذلك ان ما كف عنهم بشؤم كفرهم ومعاصيهم لا لقصور الفيض ولو انهم آمنوا واقاموا
ما امروا به لوسع عليهم وجعل لهم خير الدارين منهم امة مقتصدة عادلة غير غالية
ولا مقصرة وهم الذين آمنوا بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم وقيل مقتصدة
متوسطة فى عداوته وكثير منهم ساء ما يعملون اى بئس ما يعملونه وفيه معنى التعجب
اى ما اسوأ اعمالهم وهو المعاندة وتحريف الحق واعراض عنه او الافراط فى العداوة
يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك جميع ما انزل اليك غير مراقب احدا ولا
خائف مكروها وان لم تفعل وان لم تبلغ جميعه كما امرتك فما بلغت رسالته فما
فما اديت شيئا منها لان كتمان بعضها يضيع ما ادى منها كترك بعض اركان الصلوة
فان غرض الدعوة ينتقض به او فكانك ما بلغت شيئا منها كقوله فكانما قتل الناس جميعا
من حيث ان كتمان البعض والكل سواء فى الشناعة واستجلاب العقاب وقرأ نافع
وابن عامر وابو بكر رسالاته بالجمع وكسر التاء والله يعصمك من الناس عدة وضمان
من الله بعصمة روحه من تقوض الاعادى واراحة لمعازيره ان الله لا يهدى
القوم الكافرين لا يمكنهم ما يريدون بك وعن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم
بعثنى الله برسالته فضقت بها ذرعا فاوحى الله تعالى الى انك ان لم تبلغ رسالتى عذبتك
وضمن لى العصمة فقويت وعن انس رضى الله عنه كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
يحرس حتى نزلت فاخرج رأسه من قبة ادم فقال انصرفوا ايها الناس فقد عصمنى
الله من الناس وظاهر الآية يوجب تبليغ كل ما انزل ولعل المراد تبليغ ما يتعلق به

مصلح

مصالح العباد وقصد بانزاله اطلاعهم عليه فان من الاسرار الالهية ما يحرم
افشاؤه قل يا اهل الكتاب لستم على شئ اى دين يعتد به ويصح ان يسمى شيئا لانه
باطل حتى تقيموا التوراة والانجيل وما انزل اليكم من ربكم ومن اقامتها الايمان
بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم والاذعان بحكمه فان الكتب الالهية باسرها
آمرة بالايمان لمن صدقته المعجزة ناطقة بوجوب الطاعة له والمراد اقامة
اصولها ومالم ينسخ من فروعها وليزيدن كثيرا منهم ما انزل اليك من ربك
طغيانا وكفرا فلا تأس على القوم الكافرين فلا تحزن عليهم لزيادة طغيانهم وكفرهم
بما تبلغه اليهم فان ضرر ذلك لاحق بهم لا يتخطاهم وفى المؤمنين مندوحة لك
عنهم ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى سبق تفسيره فى سورة
البقرة والصابئون رفع على الابتداء وخبره محذوف والنية فيه التأخير عما فى حيز ان
والتقدير ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون كذلك حكمهم كذا والصابئون كذلك
كقوله فانى وقيارها لغريب وقوله والا فاعلموا انا وانتم بغاة ما بقينا فى شقاق
اى فاعلموا انا بغاة وانتم كذلك وهو كاعتراض دل به على انه لما كان الصابئون
مع ظهور ضلالهم وميلهم عن الاديان كلها يثابون عليها ان صح منهم الايمان والعمل الصالح
كان غيرهم اولى بذلك ويجوز ان يكون والنصارى معطوفا عليه ومن آمن خبرها
وخبر ان محذوف دل عليه ما بعده كقوله نحن بما عندنا وانت بما عندك راض والرأى
مختلف ولا يجوز عطفه على محل ان واسمها فانه مشروط بالفراغ من الخبر اذ لو عطف
عليه قبله كان الخبر خبر المبتدأ وخبر ان معا فيجتمع عليه عاملان ولا على الضمير فى هادوا
لعدم التأكيد والفصل ولانه يوجب كون الصابئين هودا وقيل ان بمعنى نعم وما بعدها
فى موضع الرفع بالابتداء وقيل الصابئون منصوب بالفتحة وذلك كما جوز بالياء جوز
بالواو من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فى محل الرفع بالابتداء وخبره فلا خوف
عليهم ولا هم يحزنون والجملة خبر ان او خبر المبتدأ كما مر والراجع محذوف اى من آمن
منهم او النصب على البدل من اسم ان وما عطف عليه وقرئ والصابئين وهو الظاهر

والصابئون

والصابئون بقلب الهمزة ياء والصابون بحذفها من صبايا بدال الهمزة الفا او من صبوت لانهم
صبوا الى اتباع الشهوات ولم يتبعوا شرعا ولا عقلا لقد اخذنا ميثاق بني اسرائيل وارسلنا اليهم
رسلا ليذكروهم وليبينوا لهم امر دينهم كلما جاءهم رسول بما لا تهوى انفسهم بما يخالف هواهم
من الشرايع ومشاق التكاليف فريقا كذبوا وفريقا يقتلون جواب الشرط والجملة صفة رسلا
والراجع محذوف اى رسول منهم وقيل الجواب محذوف دل عليه ذلك وهو استيناف وانما جيء
بيقتلون موضع قتلوا على حكاية الحال الماضية استحضارا لها واستفظاعا للقتل وتنبيها
على ان ذلك دينهم ماضيا ومستقبلا ومحافظة على رؤس الآى وحسبوا ان لا تكون
فتنة اى وحسب بنوا اسرائيل ان لا يصيبهم بلاء وعذاب بقتل الانبياء وتكذيبهم وقرأ
ابو عمرو وحمزة والكسائى ويعقوب ان لا تكون بالرفع على ان ان هى المخففة من الثقيلة
واصله انه لا تكون فخففت وحذف ضمير الشان وادخال فعل الحسبان عليها وهى للتحقيق
تنزيل له منزلة العلم لتمكنه فى قلوبهم وان وأن بما فى حيزها ساد مسد مفعوليه فعموا عن الدين
او الدلائل والهدى وصموا عن استماع الحق كما فعلوا حين عبدوا العجل ثم تاب الله عليهم
اى ثم تابوا فتاب الله عليهم ثم عموا وصموا مرة اخرى وقرأ بالضم فيهما على ان الله عماهم
وصمهم اى رماهم بالعمى والصمم وهو قليل واللغة الفاشية اعمى واصم كثير منهم بدل
من الضمير او فاعل والواو علامة الجمع كقولهم اكلونى البراغيث او خبر مبتدأ محذوف
اى العمى والصم كثير منهم وقيل مبتدأ والجملة قبله خبره وهو ضعيف لان تقديم الخبر فى مثله ممتنع
والله بصير بما يعملون فيجازيهم وفق اعمالهم لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم
وقال المسيح يا بنى اسرائيل اعبدوا الله ربى وربكم اى انى عبد مربوب مثلكم فاعبدوا خالقى
وخالقكم انه من يشرك بالله اى فى عبادته او فيما يختص به من الصفات والافعال فقد
حرم الله عليه الجنة يمنع من دخولها كما يمنع المحرم عليه من المحرم فانها دار الموحدين ومأواه
النار فانها المعدة للمشركين وما للظالمين من انصار اى وما لهم احد ينصرهم
من النار فوضع الظاهر موضع الضمير تسجيلا على انهم ظلموا بالاشراك وعدلوا عن طريق
الحق وهو يحتمل ان يكون من تمام كلام عيسى عليه السلام وان يكون من كلام الله تعالى تنبيها

على انهم

على انهم قالوا ذلك تعظيما لعيسى وتقربا اليه وهو معاديهم بذلك ومخاصمهم فيه
فما ظنك بغيره لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة اى احد ثلثة وهو حكاية عما
قاله النسطورية والملكانية منهم القائلون بالاقانيم الثلاثة وما سبق قول اليعقوبية
القائلين بالاتحاد وما من اله الا اله واحد وما فى الوجود ذات واجب مستحق للعبادة
من حيث انه مبدأ جميع الموجودات الا اله موصوف بالوحدانية متعال عن قبول الشركة ومن
مزيدة للاستغراق وان لم ينتهوا عما يقولون ولم يوحدوا ليمسن الذين كفروا منهم عذاب
اليم اى ليمسن الذين بقوا منهم على الكفر او ليمسن الذين كفروا من النصارى وضعه موضع
ليمسنهم تكريرا للشهادة على كفرهم وتنبيها على ان العذاب على من دام على الكفر ولم ينقطع عنه
فلذلك عقبه بقوله افلا يتوبون الى الله ويستغفرونه اى الا يتوبون بالانتهاء عن
تلك العقايد والاقوال الزايغة ويستغفرون بالتوحيد والتنزيه عن الاتحاد والحلول
بعد هذا التقرير والتهديد والله غفور رحيم يغفر لهم ويمنحهم من فضله ان تابوا وفى هذا
الاستفهام تعجيب من اسرارهم ما المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل اى ما هو الا رسول
كالرسل قبله خصه الله بآيات كما خصهم بها فان احيى الموتى على يده فقد احيى العصا وجعلها
حية تسعى على يد موسى عليه السلام وهو اعجب وان خلقه من غير اب فقد خلق آدم من غير
اب وام وهو اغرب وامه صديقة كسائر النساء اللاتى يلازمن الصدق او يصدقن
الانبياء كانا يأكلان الطعام ويفتقران اليه افتقار الحيوانات بين اولا اقصى ما لهما من الكمال
ودل على انه لا يوجب لهما الالوهية لان كثيرا من الناس يشاركهما فى مثله ثم نبه على نقصهما
وذكر ما ينافى الربوبية ويقتضى ان يكونا من عداد المركبات الكائنة الفاسدة ثم عجب ممن يدعى الربوبية
لهما مع امثال هذه الادلة الظاهرة فقال انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر انى يؤفكون كيف يصرفون
عن استماع الحق وتأمله وثم لتفاوت بين العجبين اى بياننا للآيات عجب واعراضهم عنها اعجب
قل اتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم ضرا ولا نفعا يعنى عيسى وان ملك ذلك
بتمليك الله اياه لا يملكه من ذاته ولا يملك مثل ما يضر الله تعالى به من البلايا والمصائب
وما ينفع به من الصحة والسعة وانما قال ما نظرا الى ما هو عليه فى ذاته توطئة لنفى القدرة

عنه رأسا وتنبيها على انه من هذا الجنس ومن كان له حقيقة تقبل المجانسة والمشاركة فيعزل
عن الالوهية وانما قدم الضرلان التحرز عنه اهم من تحرى النفع والله هو السميع العليم
بالاقوال والعقايد فيجازى عليها ان خيرا فخير وان شرا فشر قل يا اهل الكتاب لا تغلوا فى
دينكم غير الحق اى غلوا باطلا فتفرعوا عيسى الى ان تدعوا له الالهية او تضعوه فتزعموا
انه لغير رشدة وقيل الخطاب للنصارى خاصة ولا تتبعوا اهواء قوم قد ضلوا من قبل
يعنى اسلافهم وائمتهم الذين ضلوا قبل مبعث محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فى شريعتهم
واضلوا كثيرا ممن شايعهم على بدعهم وضلالهم وضلوا عن سواء السبيل عن قصد السبيل
الذى هو الاسلام بعد مبعثه صلى الله تعالى عليه وسلم لما كذبوه وبغوا عليه وقيل الاول اشارة
الى ضلالهم عن مقتضى العقل والثانى اشارة الى ضلالهم عما جاء به الشرع لعن الذين كفروا
من بنى اسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم اى لعنهم الله فى الزبور والانجيل على لسانهما
وقيل اهل ايلة لما اعتدوا فى السبت لعنهم داود عليه السلام فمسخهم الله تعالى قردة
واصحاب المائدة لما كفروا دعا عليهم عيسى عليه السلام ولعنهم فاصبحوا خنازير وكانوا
خمسة آلاف رجل ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون اى ذلك اللعن الشنيع المقتضى
للمسخ بسبب عصيانهم واعتدائهم ما حرم عليهم كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه
اى لا ينهى بعضهم بعضا عن معاودة منكر فعلوه او عن مثل منكر فعلوه او عن منكر اراد وافعله
وتهيؤا له او لا ينتهون عنه من قولهم تناهى عن الامر وانتهى عنه اذا امتنع لبئس ما كانوا
يفعلون تعجيب من سوء فعلهم مؤكد بالقسم ترى كثيرا منهم من اهل الكتاب يتولون الذين
كفروا يوالون المشركين بعضا لرسول الله صلى الله تع عليه وسلم والمؤمنين لبئس ما قدمت
لهم انفسهم اى لبئس شيئا قدموه ليردوا عليه يوم القيمة ان سخط الله عليهم وفى
العذاب هم خالدون هو المخصوص بالذم والمعنى موجب سخط الله والخلود فى العذاب
او علة الذم والمخصوص محذوف اى لبئس شيئا ذلك لان كسبهم السخط والخلود ولو كانوا
يؤمنون بالله والنبى يعنى نبيهم وان كانت الاية فى المنافقين فالمراد بنبينا عليه السلام
وما انزل اليه ما اتخذوهم اولياء اذ الايمان يمنع ذلك ولكن كثيرا منهم فاسقون

خارجون

خارجون عن دينهم او متمردون فى نفاقهم لتجدن اشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود
والذين اشركوا لشدة شكيمتهم وتضاعف كفرهم وانهماكهم فى اتباع الهوى وركونهم الى
التقليد وبعدهم عن التحقيق وتمرنهم على تكذيب الانبياء ومعاداتهم ولتجدن اقربهم مودة للذين
آمنوا الذين قالوا انا نصارى للين جانبهم ورقة قلوبهم وقلة حرصهم على الدنيا وكثرة
اهتمامهم بالعلم والعمل واليه اشار بقوله ذلك بان منهم قسيسين ورهبانا وانهم
لا يستكبرون عن قبول الحق اذا فهموه او يتواضعون ولا يتكبرون كاليهود وفيه
دليل على ان التواضع والاقبال فى العلم والعمل واعراض عن الشهوات محمودة وان كانت بكافر
واذا سمعوا ما انزل الى الرسول ترى اعينهم تفيض من الدمع عطف على لا يستكبرون
هو بيان لرقة قلوبهم وشدة خشيتهم ومبادرتهم الى قبول الحق وعدم تأبيهم عنه والفيض
انصباب عن امتلاء فوضع موضع الامتلاء للمبالغة اوجعلت اعينهم من فرط البكاء كانها
تفيض بانفسها مما عرفوا من الحق من الاولى للابتداء والثانية لتبيين ما عرفوا او للتبعيض
فان بعض الحق والمعنى انهم عرفوا بعض الحق فابكاهم فكيف اذا عرفوا كله يقولون ربنا
آمنا بذلك او بمحمد صلى الله عليه وسلم فاكتبنا مع الشاهدين من الذين شهدوا بانه حق
او بنبوته او من امته الذين هم شهداء الله على الامم يوم القيمة وما لنا لا نؤمن بالله
وما جاءنا من الحق ونطمع ان يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين استفهام انكار
واستبعاد لانتفاء الايمان مع قيام الداعى وهو الطمع فى الانخراط مع الصالحين
والدخول فى زمرتهم او جواب سائل قال لم آمنتم ولا نؤمن من حال من الضمير والعامل ما فى اللام
من معنى الفعل اى اى شئ حصل لنا غير مؤمنين بالله اى بوحدانيته فانهم كانوا مثلثين
او بكتابه ورسوله فان الايمان بها ايمان به حقيقة وذكره توطئة وتعظيما ونطمع عطف
على نؤمن او خبر محذوف والواو للحال اى ونحن نطمع والعامل فيها عامل الاولى مقيدا
بها او نؤمن فاثابهم الله بما قالوا اى عن اعتقاد من قولك هذا قول فلان اى معتقده
جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك جزاء المحسنين الذين احسنوا
النظر والعمل او الذين اعتادوا الاحسان فى الامور والآيات الاربع روى انها نزلت

مثلثين بيا

في النجاشي واضحا بعث اليه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بكتابه فقرأ ثم دعا جعفر بن ابي
طالب والمهاجرين معه واحضر الرهبان والقسيسين فامر جعفرا ان يقرأ عليهم
القرآن فقرأ سورة مريم فبكوا وآمنوا بالقرآن وقيل نزلت في ثلثين او سبعين
رجلا من قومه وفدوا على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقرأ عليهم سورة
يس فبكوا وامنوا والذين كفروا وكذبوا بآياتنا اولئك اصحاب الجحيم
عطف التكذيب بآيات الله على الكفر وهو ضرب منه لان القصد الى بيان
حال المكذبين وذكرهم في معرض المصدقين بها جمعا بين الترغيب والترهيب
يا ايها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم اى ما طاب ولذ منه كانه
لما تضمن ما قبله مدح النصارى على ترهبهم والحث على كسر النفس ورفض الشهوات
عقبه النهي عن الافراط في ذلك والاعتداء عما حد الله بجعل الحلال حراما فقال
ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين ويجوز ان يراد به ولا تعتدوا حدود
ما احل لكم الى ما حرم عليكم فتكون الاية ناهية عن تحريم ما احل وتحليل ما حرم
داعية الى القصد بينهما روى ان النبي صلى الله عليه وسلم وصف القيمة لاصحابه
يوما وما بالغ في انذارهم فرقوا واجتمعوا في بيت عثمان بن مظعون واتفقوا على ان
لا يزالوا صائمين وان لا يناموا على الفرش وان لا يأكلوا اللحم والودك ولا يقربوا
النساء والطيب ويرفضوا الدنيا ويلبسوا المسوح ويسيحوا في الارض ويجبوا مذاكيرهم
فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم اني لم اومر بذلك ان لانفسكم عليكم
حقا فصوموا وافطروا وقوموا وناموا فاني اقوم وانام واصوم وافطر وآكل اللحم
والدسم وآتي النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني ونزلت فكلوا مما رزقكم الله حلالا
طيبا اى وكلوا ما احل لكم وطاب مما رزقكم الله فيكون حلالا مفعول كلوا ومما رزقكم
الله حالا منه تقدمت عليه لانه نكرة ويجوز ان يكون من ابتدائية متعلقة بكلوا
ويجوز ان يكون مفعولا لكلوا وحلالا من الموصول او العائد المحذوف او صفة
لمصدر محذوف وعلى الوجوه اولم يقع الرزق على الحرام لم يكن لذكر الحلال فائدة

واتقوا

واتقوا الله الذي انتم به مؤمنون لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم كلو ما يبدو من المرء بلا قصد
كقول الرجل لا والله وبلى والله واليه ذهب الشافعي رحمه الله وقيل الحلف على ما يظن انه كذلك
ولم يكن واليه ذهب ابو حنيفة رحمه الله تعالى وفي ايمانكم صلة يؤاخذكم او اللغو لانه مصدر او حال
منه ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان بما وثقتم الايمان عليه بالقصد والنية والمعنى ولكن يؤاخذكم
بما عقدتم اذا حنثتم او بنكث ما عقدتم فحذف للعلم به وقرأ حمزة والكسائي وابن عياش
عقدتم بالتخفيف وابن عامر في رواية ابن ذكوان عاقدتم وهو من فاعل بمعنى فعل فكفارته
فكفارة نكثه اى الفعلة التي تذهب اثمه وتستره واستدل بظاهره على جواز التكفير بالمال
قبل الحنث وهو عندنا خلافا للحنفية لقوله عليه السلام من حلف على يمين ورأى غيرها
خيرا منها فليكفر عن يمينه وليأت الذي هو خير اطعام عشرة مساكين من اوسط
ما تطعمون اهليكم من اقصده في النوع او القدر وهو مد لكل مسكين عندنا ونصف
صاع عند الحنفية ومحله النصب لانه صفة مفعول محذوف تقديره ان تطعموا عشرة مساكين
طعاما من اوسط ما تطعمون او الرفع على البدل من اطعام واهلون كارضون وقرئ
اهاليكم بسكون الياء على لغة من يسكنها في الاحوال الثلاثة كالالف وهو جمع اهل كالليالي
في جمع ليل والاراضي في جمع ارض وقيل جمع اهلاة او كسوتهم عطف على اطعام او من اوسط
ان جعل بدلا وهو ثوب يغطى العورة وقيل ثوب جامع قميص او رداء وازار وقرئ
بضم الكاف وهو لغة كقدوة وقدوة او كاسوتهم بمعنى او كمثل ما تطعمون اهليكم
اسرافا او تقتيرا تواسون بينهم وبينهم ان لم تطعموهم الاوسط والكاف في محل الرفع
وتقديره او اطعامهم كاسوتهم او تحرير رقبة او اعتاق ثمن وشرط الشافعي رحمه الله
فيه الايمان قياسا على كفارة القتل ومعنى او ايجاب احدى الخصال الثلاث مطلقا
وتخيير المكلف في التعيين فمن لم يجد اى واحد منها فصيام ثلاثة ايام فكفارته
صيام ثلاثة ايام وشرط ابو حنيفة رحمه الله فيه التتابع لانه قرئ ثلاثة ايام متتابعات
والشواذ ليست بحجة عندنا اذ لم تثبت كتابا ولم يرد سنة ذلك اى المذكور كفارة
ايمانكم اذا حلفتم وحنثتم واحفظوا ايمانكم بان تضنوا بها ولا تبذلوها لكل احد

او بان تبروا فيها ما استطعتم ولم يفت بها خير او بان تكفروها اذا اضطررتم كذلك اى مثل ذلك البيان يبين الله لكم ايانه اعلام شرائعه لعلكم تشكرون نعمة التعليم او نعمة الواجب شكرها فان مثل هذا التبيين يسهل لكم المخرج منه يا ايها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والانصاب اى الاصنام التى نصبت للعبادة والازلام سبق تفسيره فى اول السورة رجس قذر يعاف عنه العقول وافراده لانه للخمر وخبر المعطوفات محذوف او المضاف المحذوف كانه قال انما تعاطى الخمر والميسر من عمل الشيطان لانه مسبب عن تسويله وتزيينه فاجتنبوه الضمير للرجس او لما ذكر او للتعاطى لعلكم تفلحون لكى تفلحوا بالاجتناب عنه واعلم انه تعالى اكد تحريم الخمر والميسر فى هذه الاية بان صدر الجملة بانما وقرنها بالاصنام والازلام وسماهما رجسا وجعلهما من عمل الشيطان تنبيها على ان الاشتغال بهما يجب او غالب واجب الاجتناب عن عينهما وجعله سببا يرجى منه الفلاح ثم فرر ذلك بان بين ما فيهما من المفاسد الدينية والدنيوية المقتضية للتحريم فقال تعالى انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة وانما خصهما باعادة الذكر وشرح ما فيهما من الوبال تنبيها على انهما المقصود بالبيان وذكر الانصاب والازلام للدلالة على انهما مثلهما فى الحرمة والشرارة لقوله عليه السلام شارب الخمر كعابد الوثن وخص الصلاة من الذكر بالافراد للتعظيم والاشعار بان الصاد عنها كالصاد عن الايمان من حيث انها عماده والفارق بينه وبين الكفر ثم اعاد الحث على الانتهاء بصيغة الاستفهام مرتبا على ما تقدم من انواع الصوارف وقال فهل انتم منتهون ايذانا بان الامر فى المنع والتحذير بلغ الغاية وان الاعذار قد انقطعت واطيعوا الله واطيعوا الرسول فيما امرا به واحذروا ما نهيا عنه او فى مخالفتهما فان توليتم فاعلموا انما على رسولنا البلاغ المبين اى فاعلموا انكم لم تضروا الرسول عليه السلام بتوليكم فانما عليه البلاغ وقد ادى وانما ضررتم به انفسكم ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا مما لم يحرم عليهم لقوله اذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات اى اتقوا المحرم وثبتوا على الايمان والاعمال الصالحات ثم اتقوا ما حرم عليهم بعد كالخمر وآمنوا بتحريمه ثم اتقوا ثم استمروا واثبتوا

على اتقاء

على اتقاء المعاصى واحسنوا وخيروا الاعمال الجميلة واشتغلوا بها روى انه لما نزل تحريم الخمر قالت الصحابة يا رسول الله فكيف باخواننا الذين ماتوا وهم يشربون الخمر ويأكلون الميسر فنزلت ويحتمل ان يكون هذا التكرار باعتبار الاوقات الثلاثة او باعتبار الحالات الثلاث استعان الاولى التقوى والايمان بينه وبين نفسه وبينه وبين الناس وبينه وبين الله تعالى ولذلك بدل الايمان بالاحسان فى الكرة الثالثة اشارة الى ما قاله عليه الصلاة والسلام فى تفسيره او باعتبار المراتب الثلاث المبدأ والوسط والمنتهى او باعتبار ما يتقى فانه ينبغى ان يترك المحرمات توقيا من العقاب والشبهات تحرزا عن الوقوع فى الحرام وبعض المباحات تحفظا للنفس عن الخسة وتهذيبا لها عن دنس الطبيعة والله يحب المحسنين فلا يؤاخذهم بشئ وفيه دليل ان من فعل ذلك صار محسنا ومن صار محسنا صار لله محبوبا يا ايها الذين آمنوا ليبلونكم الله بشئ من الصيد تناله ايديكم ورماحكم نزلت عام الحديبية ابتلاهم الله بالصيد وكانت الوحوش تغشاهم فى رحالهم بحيث يتمكنون من صيدها اخذا بايديهم وطعنا برماحهم وهم محرمون والتقليل والتحقير فى بشئ للتنبيه على انه ليس من العظائم التى تدحض الاقدام كالابتلاء ببذل الانفس والاموال فمن لم يثبت عنده كيف يثبت عند ما هو اشد منه ليعلم الله من يخافه بالغيب ليتميز الخائف من عقابه وهو غائب منتظر لقوة ايمانه ممن لا يخافه لضعف قلبه وقلة ايمانه فذكر العلم واراد وقوع المعلوم وظهوره او تعلق العلم فمن اعتدى بعد ذلك الابتلاء بالصيد فله عذاب اليم فالوعيد لاحق به فان من لا يملك جاشه فى مثل ذلك ولا يراعى حكم الله فيه فكيف به فيما تكون النفس اميل اليه واحرص عليه يا ايها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وانتم حرم اى محرمون جمع حرام كرداح وردح ولعله ذكر القتل دون الذبح والذكوة للتعميم واراد بالصيد ما يؤكل لحمه لانه الغالب فيه عرفا ويؤيده قوله عليه الصلاة والسلام خمس يقتلن فى الحل والحرم الحداءة والغراب والعقرب والفارة والكلب العقور وفى رواية اخرى الحية بدل الكلب العقور مع ما فيه من تنبيه على جواز قتل كل موذ واختلف فى ان هذا النهى هل يلغى حكم الذباح فيلحق مذبوح المحرم بالميتة ومذبوح الوثنى او لا فيكون كالشاة المغصوبة اذا ذبحها الغاصب ومن قتله منكم متعمدا ذاكرا لاحرامه عالما بانه حرام عليه قبل ما يقتله والاكثر على ان ذكره

ليس لتقييد وجوب الجزاء فان اتلاف العامد والمخطئ واحد في ايجاب الضمان بل لقوله ومن عاد
فينتقم الله منه ولان الاية نزلت فيمن تعمد اذ روى انه عن لهم في عمرة الحديبية حمار وحش
فطعنه ابو اليسر برمحه فقتله فنزلت فجزاء مثل ما قتل من النعم برفع الجزاء والمثل قرأة الكوفيون
ويعقوب بمعنى فعليه او فواجبه جزاء يماثل ما قتل من النعم وعليه لا يتعلق الجار بجزاء للفصل
بينهما بالصفة فان متعلق المصدر كالصلة له فلا يوصف ما لم يتم بها وقرأ الباقون على اضافة
المصدر الى المفعول واقحام مثل كما في قولهم مثلي لا يقول كذا والمعنى فعليه ان يجزي مثل ما قتل
وقرئ فجزآء مثل ما قتل بنصبهما على فليجز جزاء او فعليه ان يجزي جزآء يماثل ما قتل او فجزآؤه مثل
ما قتل وهذه المماثلة باعتبار الخلقة والهيئة عند مالك والشافعي والقيمة عند ابي حنيفة وقال
يقوم الصيد حيث صيد فان بلغت ثمن هدي يخير بين ان يهدي ما قيمته قيمته وبين ان يشتري
بها طعاما فيعطي كل مسكين نصف صاع من بر او صاعا من غيره وبين ان يصوم عن طعام كل
مسكين يوما وان لم يبلغ يخير بين الاطعام والصوم واللفظ للاول او فق يحكم به ذوا عدل منكم
صفة جزاء ويحتمل ان يكون حالا من ضميره في خبره او منه اذا اضفته او وصفته ورفعته بخبر مقدر
لمن وكما ان التقويم يحتاج الى نظر واجتهاد تحتاج المماثلة في الخلقة والهيئة اليهما فان الانواع
تتشابه كثيرا وقرئ ذو عدل على ارادة الجنس او الامام هديا حال من الهاء في به او جزآء
وان نون لتخصصه بالصفة او بدل من مثل باعتبار محله او لفظه فيمن نصبه بالغ الكعبة
وصف به هديا لان اضافته لفظية ومعنى بلوغ الكعبة ذبحه بالحرم والتصدق به ثم وقال ابو حنيفة
يذبح بالحرم ويتصدق به حيث شاء او كفارة عطف على جزآء ان رفعته وان نصبته فخبر
محذوف طعام مساكين عطف بيان او بدل منه او خبر محذوف اي هي طعام وقرأ نافع
وابن عامر كفارة طعام بالاضافة للتبيين كقولك خاتم فضة والمعنى عند الشافعي ان يكفر
باطعام مساكين ما يساوي قيمة الهدي من غالب قوة البلد فيعطي كل مسكين مدا او عدل
ذلك صياما او ما ساواه من الصوم عن اطعام كل مسكين يوما وهو في الاصل مصدر اطلق
للمفعول وقرئ بكسر العين وهو ما عدل بالشيء في المقدار كعدل الحمل وذلك اشارة الى الطعام
وصياما تمييز للعدل ليذوق وبال امره متعلق بمحذوف اي فعليه الجزآء او الطعام او الصوم

ليذوق

ليذوق ثقل فعله وسوء عاقبته بهتكه لحرمة الاحرام او لثقل الشديد على مخالفة امر الله واصل
الوبل الثقل ومنه الطعام الوبيل عفا الله عما سلف من قتل الصيد محرما في الجاهلية او قبل
التحريم او في هذه المرة ومن عاد الى مثل هذا فينتقم الله منه فهو ينتقم الله منه وليس فيه
ما يمنع الكفارة عن العائد كما حكي عن ابن عباس وشريح والله عزيز ذو انتقام ممن اصر
على عصيانه احل لكم صيد البحر ما صيد منه مما لا يعيش الا في الماء وهو حلال كله لقوله عليه
السلام في البحر هو الطهور ماؤه والحل ميتته وقال ابو حنيفة لا يحل منه الا السمك وقيل يحل
السمك وما يؤكل نظيره في البر وطعامه ما قذفه او نضب عنه وقيل الضمير للصيد وطعامه
اكله متاعا لكم تمتيعا لكم نصب على الغرض وللسيارة اي ولسيارتكم تتزودونه قديدا
وحرم عليكم صيد البر اي ما صيد فيها او الصيد فيها فعلى الاول يحرم على المحرم ايضا ما صاده
الحلال وان لم يكن له فيه مدخل والجمهور على حله لقوله عليه السلام لحم الصيد حلال لكم ما لم تصطادوه
او لم يصد لكم ما دمتم حرما اي محرمين وقرئ بكسر الدال من دام يدام واتقوا الله الذي
اليه تحشرون جعل الله الكعبة صيرها وانما سمي البيت كعبة لتكعبه البيت الحرام عطف
بيان على جهة المدح او المفعول الثاني قياما للناس انتعاشا لهم اي سبب انتعاشهم في امر
معاشهم ومعادهم يلوذ به الخائف ويأمن فيه الضعيف ويربح فيه التجار ويتوجه اليه الحجاج
والعمار او ما يقوم به امر دينهم ودنياهم وقرأ ابن عامر قيما على انه مصدر على فعل كالشبع
اعل عينه كما اعل في فعله ونصبه على المصدر او الحال والشهر الحرام والهدي والقلائد سبق
تفسيرها والمراد بالشهر الشهر الذي يؤدى فيه الحج وهو ذو الحجة لانه المناسب لقرنائه
وقيل الجنس ذلك اشارة الى الجعل او الى ما ذكر من الامر بحفظ حرمة الاحرام وغيره
لتعلموا ان الله يعلم ما في السموات وما في الارض فان شرع الاحكام لدفع المضار قبل
وقوعها وجلب المنافع المترتبة عليها دليل حكمة الشارع وكمال علمه وان الله بكل شيء عليم
تعميم بعد تخصيص ومبالغة بعد اطلاق اعلموا ان الله شديد العقاب وان الله غفور
رحيم وعيد ووعد لمن انتهك محارمه ولمن حافظ عليها او لمن اصر عليه ولمن انقلع
عنه ما على الرسول الا البلاغ تشديد في ايجاب القيام بما امر اي الرسول اتى بما امر به

من التبليغ ولم يبق لكم عذر فى التفريط والله يعلم ما تبدون وما تكتمون من تصديق
وتكذيب وفعل وعزيمة قل لا يستوى الخبيث والطيب حكم عام فى نفى المساواة عند الله بين
الردئ من الأشخاص والاعمال والاموال وجيدها رغب به فى صالح العمل وحلال المال ولو اعجبك
كثرة الخبيث فان العبرة بالرداءة والجودة دون القلة والكثرة فان المحمود القليل خير من المذموم
الكثير والخطاب لكل معتبر ولذلك قال فاتقوا الله يا اولى الالباب اى فاتقوه فى تحرى الخبيث
وان كثر وآثروا الطيب وان قل لعلكم تفلحون راجين ان تبلغوا الفلاح روى انها نزلت
فى حجاج اليمامة لما هم المسلمون ان يوقعوا بهم فنهوا عنه وان كانوا مشركين يا ايها الذين
آمنوا لا تسألوا عن اشياء ان تبد لكم تسؤكم وان تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم
الشرطية وما عطف عليها صفتان لاشياء والمعنى لا تسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن اشياء ان تظهر لكم تسؤكم وان تسألوا عنها فى زمان الوحى تظهر لكم وهما كمقدمتين تنتجان
ما يمنع السؤال وعلوا انه مما يسؤكم والعاقل لا يفعل ما يسوءه والاشياء اسم جمع كطرناء غير انه قلبت
لامه فجعلت لفعاء وقيل افعلاء حذفت لامه جمع لشئ على ان اصله شيئ كهين او شيئ
كصديق مخفف وقيل افعال جمع له من غير تغيير كبيت وابيات ويرده منع صرفه
عفا الله عنها صفة اخرى اى عن اشياء عفا الله عنها ولم يكلف بها اذ روى انه لما نزلت
ولله على الناس حج البيت قال سراقة بن مالك الحل عام فاعرض عنه رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم حتى اعاد ثلاثا فقال لا ولو قلت نعم لوجبت ولو وجبت لما استطعتم فاتركونى ما تركتكم
فنزلت او استئناف اى عفا الله عما سلف من مسألتكم فلا تعودوا الى مثلها والله غفور
حليم لا يعاجلكم بعقوبة ما يفرط منكم ويعفو عن كثير وعن ابن عباس رضى الله تعالى
عنهما انه عليه الصلاة والسلام كان يخطب ذات يوم غضبان من كثرة ما يسئلون
عنه مما لا يعنيهم فقال لا اسأل عن شئ الا اجبت فقال رجل اين ابى فقال فى النار
وقال آخر من ابى فقال حذافة وكان يدعى لغيره فنزلت قد سألها قوم الضمير للمسألة
التى دل عليها لا تسألوا ولذلك لم يعد بعن او للاشياء بحذف الجار من قبلكم متعلق بسألها
ليس صفة لقوم فان ظرف الزمان لا يكون صفة للجثة ولا حالا لها ولا خبرا عنها ثم اصبحوا بها

كافرين

كافرين اى بسببها حيث لم يأتمروا بما سألوا جحودا ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا
وصيلة ولا حام ورد وانكار لما ابتدعه اهل الجاهلية وهو انهم اذا انتجت الناقة
خمسة ابطن آخرها ذكر بحروا اذنها اى شقوها وخلوا سبيلها فلا تركب ولا تحلب
وكان الرجل منهم يقول ان شفيت فناقتى سائبة ويجعلها كالبحيرة فى تحريم الانتفاع
بها واذا ولدت الشاة انثى فهى لهم واذا ولدت ذكرا فهو لآلهتهم وان ولدتهما قالوا
وصلت الانثى اخاها فلا يذبح لها الذكر واذا انتجت من صلب الفحل عشرة ابطن
حرموا ظهره ولم يمنعوه من ماء ولا مرعى وقالوا قد حمى ظهره ومعنى ما جعل
ما شرع ووضع ولذلك تعدى الى مفعول واحد وهو البحيرة ومن مزيدة ولكن
الذين كفروا يفترون على الله الكذب بتحريم ذلك ونسبته اليه واكثرهم لا يعقلون
اى الحلال من الحرام والمليح من المحرم او الامر من النهى ولكنهم يقلدون كبارهم فيه
ان منهم من يعرف بطلان ذلك ولكن منعهم حب الرياسة وتقليد الآباء ان يعترفوا
به واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه
آباءنا بيان لقصور عقلهم وانهماكهم فى التقليد وان لا سند لهم سواه اولو كان
آباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون الواو للحال والهمزة دخلت عليها لانكار الفعل
على هذه الحال اى احسبهم ما وجدوا عليه آباءهم ولو كانوا جهلة ضالين والمعنى
ان الاقتداء انما يصح بمن علم انه عالم مهتد وذلك لا يعرف الا بالحجة فلا يكفى التقليد
يا ايها الذين آمنوا عليكم انفسكم اى احفظوها والزموا اصلاحها والجار مع
المجرور جعل اسما لالزموا ولذلك انفسكم وقرأ بالرفع على الابتداء لا يضركم من ضل
اذا اهتديتم بنصب صح يضركم الضلال اذا كنتم مهتدين ومن الاهتداء ان ينكر المنكر حسب طاقته
كما قال عليه السلام من رأى منكم منكرا واستطاع ان يغيره فليغيره بيده فان لم يستطع
فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه والاية نزلت لما كان المؤمنون يتحسرون على الكفرة
ويتمنون ايمانهم وقيل كان الرجل اذا اسلم قالوا له سفهت آباءك فنزلت ولا موه
ولا يضركم بجزم الرفع على انه مستأنف ويؤيده ان قرأ لا يضيركم والجزم على الجواب

196

او النهى لكنه ضمت الراء اتباعا لضمة الضاد المنقولة اليها من الراء المدغمة وينصره قرأة
من قرأ لا يضركم بالفتح ولا يضركم بكسر الضاد وضمها من ضاره يضيره ويضوره الى الله
مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم تعملون وعد ووعيد للفريقين وتنبيه على ان احدا لا
يؤاخذ بذنب غيره يا ايها الذين آمنوا شهادة بينكم اى فيما امرتم شهادة بينكم والمراد
بالشهادة الاشهاد في الوصية واضافتها الى الظرف للاتساع وقرأ شهادة بالنصب
والتنوين على ليقم اذا حضر احدكم الموت اذا شارفه وظهرت اماراته وهو ظرف للشهادة
حين الوصية بدل منه وفي ابداله تنبيه على ان الوصية مما ينبغي ان لا يتهاون فيه او ظرف
حضر اثنان فاعل شهادة ويجوز ان يكون خبرها على حذف المضاف ذوا عدل منكم اى من اقاربكم
ومن المسلمين وهما صفتان لاثنان او آخران من غيركم عطف على اثنان ومن فسر الغير
باهل الذمة جعله منسوخا فان شهادتهم على المسلم لا تسمع اجماعا ان انتم ضربتم في الارض
اى سافرتم فيها فاصابتكم مصيبة الموت اى قاربتم الاجل تحبسونهما تقفونهما وتصبرونهما
صفة لآخران والشرط بجوابه المحذوف المدلول عليه بقوله او آخران من غيركم اعتراض
فائدته الدلالة على انه ينبغي ان يشهد اثنان منكم فان تعذر كافى السفر فمن غيركم
او استئناف كانه قيل كيف نعمل ان ارتبنا بالشاهدين فقال تحبسونهما من بعد الصلاة
صلاة العصر لانه وقت اجتماع الناس وتصادم ملائكة الليل وملائكة النهار وقيل اى
صلاة كانت فيقسمان بالله ان ارتبتم اى ان ارتاب الوارث منكم لا نشتري به ثمنا نقسم
عليه وان ارتبتم اعتراض يفيد اختصاص القسم بحال الارتياب والمعنى لا نستبدل
بالقسم او بالله عرضا من الدنيا اى لا نحلف بالله كاذبين بالطمع ولو كان ذا قربى ولو كان
المقسم له قريبا منا وجوابه ايضا محذوف اى لا نشتري ولا نكتم شهادة الله اى
الشهادة التي امرنا باقامتها وعن الشعبي انه وقف على شهادة ثم ابتدأ الله بالمد على
حذف القسم وتعويض حرف الاستفهام منه وروى عنه بغيره كقولهم الله لافعلن
انا اذا لمن الآثمين اى ان كتمنا قرئ الملا ثمين بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام وادغام
النون فيها فان عثر فان اطلع على انهما استحقا اثما اى فعلا ما اوجب اثما كتحريف

فآخران

فآخران فشاهدان آخران يقومان مقامهما من الذين استحق عليهم من الذين جنى عليهم
وهم الورثة وقرأ حفص استحق على البناء للفاعل وهو الاوليان الاحقان بالشهادة لقربهما
ومعرفتهما وهو خبر محذوف اى هما الاوليان او خبر آخران او مبتدأ خبره آخران او بدل
منهما او من الضمير في يقومان وقرأ حمزة ويعقوب وابو بكر عن عاصم الاولين على انه
صفة للذين او بدل منه اى من الاولين الذين استحق عليهم وقرئ الاولين على التثنية
وانتصابه على المدح والاولان واعرابه اعراب الاوليان فيقسمان بالله لشهادتنا
احق من شهادتهما اصدق منهما واولى بان تقبل وما اعتدينا اى وما تجاوزنا فيها الحق
انا اذا لمن الظالمين الواضعين الباطل موضع الحق او الظالمين انفسهم اذا اعتدينا
ومعنى الايتين ان المحتضر اذا اراد الوصية ينبغي ان يشهد عدلين من ذوي نسبته او
دينه على وصيته او يوصي اليهما احتياطا فان لم يجدهما بان كان في سفر فآخران من غيرهم
ثم ان وقع نزاع او ارتياب اقسما على صدق ما يقولان بالتغليظ في الوقت فان اطلع
على انهما كذبا بامارة ومظنة حلف آخران من اولياء الميت والحكم منسوخ ان كان
الاثنان شاهدين فانه لا يحلف الشاهد ولا يعارض يمينه يمين الوارث وثابت ان كانا
وصيين ورد اليمين الى الورثة اما لظهور خيانة الوصيين فان تصديق الوصي باليمين
لامانته او لتغليبا لدعوى اذ روى ان تميما الداري وعدي بن زيد خرجا الى الشام للتجارة
وكانا حينئذ نصرانيين ومعهما بديل مولى عمرو بن العاص وكان مسلما قدموا الشام
مرض بديل فدون ما معه في صحيفة وطرحها في متاعه لم يخبرهما به واوصى اليهما بان يدفعا
متاعه الى اهله ومات ففتشاه واخذا منه اناء من فضة فيه ثلاثمائة مثقال منقوشا
بالذهب فغيباه فاصاب اهله الصحيفة فطالبوهما بالاناء فجحدا فترافعوا الى رسول
الله صلى الله تعالى عليه وسلم بعد صلاة العصر عند المنبر وخلى سبيلهما ثم وجد الاناء
في ايديهما فاتاهما بنو سهم في ذلك فقالا اشتريناه منه ولكن لم يكن لنا عليه بينة
فكرهنا ان نقر به فرفعوهما الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فنزلت فان عثر
فقام عمرو بن العاص والمطلب بن ابي رفاعة السهميان وحلفا ولعل تخصيص العدد

ولا يعارض يمينه

لخصوص الواقعة ذلك اى الحكم الذى تقدم او تحليف الشاهد ادنى ان يأتوا بالشهادة
على وجهها على نحو ما تحملوها من غير تحريف وخيانة فيها او يخافوا ان ترد ايمان بعد ايمانهم ان ترد
اليمين على المدعيين بعد ايمانهم فيفتضحوا بظهور الخيانة واليمين الكاذبة وانما جمع الضمير
لانه حكم يعم الشهود كلهم واتقوا الله واسمعوا ما توصون به سمع اجابة والله لا يهدى
القوم الفاسقين اى ان لم تتقوا ولم تسمعوا كنتم قوما فاسقين والله لا يهدى القوم الفاسقين
اى لا يهديهم الى حجة او الى طريق الجنة فقوله تعالى يوم يجمع الله الرسل ظرف له وقيل بدل من مفعول واتقوا
بدل اشتمال او مفعول واسمعوا على حذف المضاف اى واسمعوا خبر يوم جمعهم او منصوب
باضمار اذكر فيقول اى للرسل ماذا اجبتم اى اجابة اجبتم على ان ماذا فى موضع المصدر
او باى شئ اجبتم فحذف الجار وهذا السؤال لتوبيخ قومهم كما ان سؤال الموؤدة لتوبيخ
الوائد ولذلك قالوا لا علم لنا اى لا علم لنا بما كنت تعلمه انك انت علام الغيوب
فتعلم ما نعلمه مما اجابونا واظهروا لنا وما لم نعلم مما اضمروا فى قلوبهم وفيه التشكى عنهم
ورد الامر الى علمه بما كابدوا منهم وقيل لا علم لنا الى جنب علمك او لا علم لنا بما احدثوا
بعدنا وانما الحكم للخاتمة وقرئ علام بالنصب على ان الكلام قد تم بقوله انك انت اى انك
الموصوف بصفاتك المعروفة وعلام منصوب على الاختصاص او النداء وقرأ ابو بكر وحمزة
الغيوب بكسر الغين حيث وقع اذ قال الله يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتى عليك وعلى والدتك
بدل من يوم يجمع وهو على طريقة ونادى اصحاب الجنة والمعنى انه تعالى يوبخ الكفرة يومئذ بسؤال
الرسل عن اجابتهم وتعديد ما اظهر عليهم من الآيات فكذبتهم طائفة وسموهم سحرة وغلا آخرون
فاتخذوهم آلهة او نصب باضمار اذكر اذ ايدتك قويتك وهو ظرف لنعمتى او حال منه
وقرئ آيدتك بروح القدس بجبريل عليه السلام او بالكلام الذى يحيى به الدين او النفس بحياة
ابدية وتطهر من الآثام ويؤيده قوله تكلم الناس فى المهد وكهلا اى كائنا فى المهد وكهلا
والمعنى تكلمهم فى الطفولة والكهولة على سواء والمعنى الحاق حال فى الطفولة بحال الكهولة
فى كمال العقل والتكلم وبه استدل على انه سينزل فانه رفع قبل ان اكتهل واذ علمتك الكتاب
والحكمة والتوراة والانجيل واذ تخلق من الطين كهيئة الطير باذنى فتنفخ فيها فتكون

طيرا باذنى وتبرأ الاكمه والابرص باذنى واذ تخرج الموتى باذنى سبق تفسيره فى سورة آل عمران
وقرأ نافع ويعقوب طائر ويحتمل الافراد والجمع كالباقر واذ كففت بنى اسرائيل عنك يعنى اليهود حين
هموا بقتله اذ جئتهم بالبينات ظرف لكففت فقال الذين كفروا منهم ان هذا الا سحر مبين
اى ما هذا الذى جئت به الا سحر وقرأ حمزة والكسائى الا ساحر فالاشارة الى عيسى عليه
السلام واذ اوحيت الى الحواريين اى امرتهم على السنة رسلى ان آمنوا بى وبرسولى يجوز
ان يكون مصدرية وان يكون مفسرة قالوا آمنا واشهد باننا مسلمون مخلصون اذ قال
الحواريون يا عيسى ابن مريم منصوب باذكر او ظرف لقالوا فيكون تنبيها على ان ادعاءهم الاخلاص
مع قولهم هل يستطيع ربك ان ينزل علينا مائدة من السماء بعد عن تحقيق واستحكام معرفة وقيل
هذه الاستطاعة على ما يقتضيه الحكمة والارادة لا على ما يقتضيه القدرة وقيل المعنى هل يطيع
ربك اى هل يجيبك واستطاع بمعنى اطاع كاستجاب واجاب وقرأ الكسائى هل تستطيع ربك اى
سؤال ربك والمعنى هل تسئله ذلك من غير صارف والمائدة الخوان اذ كان عليه الطعام من ماد
الماء يميد اذا تحرك او من ماده اذا اعطاه كانها تميد من تقدم اليها ونظيرها قولهم شجرة مطعمة
قال اتقوا الله من امثال هذا السؤال ان كنتم مؤمنين بكمال قدرته وصحة نبوتى او صدقتم
فى ادعائكم الايمان قالوا نريد ان نأكل منها تمهيد عذر وبيان لما دعاهم الى السؤال وهو
ان يتمتعوا بالاكل منها وتطمئن قلوبنا بانضمام علم المشاهدة الى علم الاستدلال بكمال قدرته
ونعلم ان قد صدقنا فى ادعاء النبوة او ان الله يجيب دعوتنا ونكون عليها من الشاهدين اذا استشهدتنا
او من الشاهدين للعين دون السامعين للخبر قال عيسى ابن مريم لما رأى ان لهم غرضا صحيحا فى ذلك
او انهم لا يقلعون عنه فاراد الزامهم الحجة بكمالها اللهم ربنا انزل علينا مائدة من السماء تكون
لنا عيدا اى يكون يوم نزولها عيدا نعظمه وقيل العيد السرور العائد ولذلك سمى يوم العيد
او قرئ تكن على جواب الامر لاولنا وآخرنا بدل من لنا باعادة العامل اى عيدا لمتقدمينا ومتأخرينا
روى انها نزلت يوم الاحد فلذلك اتخذه النصارى عيدا وقيل يأكل منها اولنا وآخرنا وقرئ
لاولانا واخرانا بمعنى الامة او الطائفة وآية عطف على عيدا منك صفة لها اى آية كائنة منك
دالة على كمال قدرتك وصحة نبوتى وارزقنا المائدة او الشكر عليها وانت خير الرازقين اى خير من

لم يكن صح

يرزق لانه خالق الرزق ومعطيه بلا عوض قال الله انى منزلها عليكم اجابة الى سؤالكم وقرأ
نافع وابن عامر وعاصم منزلها بالتشديد فمن يكفر بعد منكم فانى اعذبه عذابا اى تعذيبا ويجوز
ان يجعل مفعولا به على السعة لا اعذبه الضمير للمصدر او للعذاب ان اريد به ما يعذب به على حذف
حرف الجر احدا من العالمين اى من عالمى زمانهم او لعالمين مطلقا فانهم مسخوا قردة وخنازير
ولم يعذب بمثل ذلك غيرهم روى انها نزلت سفرة حمراء بين غمامتين وهم ينظرون اليها حتى
سقطت بين ايديهم فبكى عيسى عليه السلام وقال اللهم اجعلنى من الشاكرين اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها
مثلة وعقوبة ثم قام وتوضأ وصلى وبكى ثم كشف المنديل وقال بسم الله خير الرازقين فاذا سمكة مشوية
بلا فلوس وشوك تسيل دسما وعند رأسها ملح وعند ذنبها خل وحولها من الوان البقول ما خلا
الكراث واذا خمسة ارغفة على واحد منها زيتون وعلى الثانى عسل وعلى الثالث سمن وعلى الرابع
جبن وعلى الخامس قديد فقال شمعون يا روح الله امن طعام الدنيا ام من طعام الاخرة قال منهما ولكنه
شئ اخترعه الله بقدرته كلوا ما سألتم واشكروا يمدكم الله ويزدكم من فضله فقالوا يا روح الله لو اريتنا
من هذه الاية آية اخرى فقال يا سمكة احيى باذن الله فاضطربت ثم قال لا عودى كما كنت فعادت
مشوية ثم طارت المائدة ثم عصوا بعدها فمسخوا وقيل كانت تأتيهم اربعين يوما غبا ويجتمع عليها
الفقراء والاغنياء والضعفاء والصغار والكبار يأكلون حتى اذا فاء الفئ طارت وهم ينظرون
فى ظلها ولم يأكل منها فقير الا غنى من عمره ولا مريض الا برئ ولم يمرض ابدا ثم اوحى الله الى عيسى عليه
السلام انى اجعل مائدتى فى الفقراء والمرضى دون الاغنياء والاصحاء فاضطرب الناس لذلك
فمسخ منهم ثلاثة وثمانون رجلا وقيل لما وعد الله تعالى انزال المائدة بهذه الشريطة استعفوا
وقالوا لا نريد فلم تنزل وعن مجاهد ان هذا مثل ضربه الله للمقترحى المعجزات وعن بعضهم الصوفية
المائدة ههنا عبارة عن حقايق المعارف فانها غذاء الروح كما ان الاطعمة غذاء البدن
وعلى هذا فلعل الحال انهم رغبوا فى حقايق لم يستعدوا للوقوف عليها فقال لهم عيسى عليه
السلام ان حصلتم الايمان فاستعملوا التقوى حتى تتمكنوا من الاطلاع عليها فلم يقلعوا
عن السؤال والحواشى قال لاجل اقتراحهم فبين الله تعالى ان انزاله سهل ولكن فيه
خطر وخوف عاقبة فان السالك اذا انكشف له ما هو اعلى من مقامه لعله لا يحتمله

مطلب كيفية المائدة

ليس صح

ولا يستقر له فيضل به ضلالا بعيدا واذ قال الله يا عيسى ابن مريم ءانت قلت للناس
اتخذونى وامى الهين من دون الله يريد به توبيخ الكفرة وتبكيتهم ومن دون الله صفة
لالهين او صلة اتخذونى ومعنى دون اما المغايرة فيكون فيه تنبيه على ان عبادة الله مع
عبادة غيره كلا عبادة فمن عبد مع عبادته اياها فكانه عبدهما ولم يعبده او التقصير فانهم
لم يعتقدوا انهما مستقلان باستحقاق العبادة وانما زعموا ان عبادتهما توصل الى عبادة
الله عز وجل وكانه قيل اتخذونى وامى الهين متوصلين بنا الى الله تعالى قال سبحانك
اى انزهك تنزيها من ان يكون لك شريك ما يكون لى ان اقول ما ليس لى بحق ما ينبغى لى
ان اقول قولا لا يحق لى ان اقوله ان كنت قلته فقد علمته تعلم ما فى نفسى ولا اعلم ما فى
نفسك تعلم ما اخفيه فى نفسى كما تعلم ما اعلنه ولا اعلم ما تخفيه من معلوماتك وقوله
فى نفسك للمشاكلة او المراد بالنفس الذات انك انت علام الغيوب تقرير
للجملتين باعتبار منطوقه ومفهومه ما قلت لهم الا ما امرتنى به تصريح بنفى المستفهم عنه
بعد تقديم ما يدل عليه ان اعبدوا الله ربى وربكم عطف بيان للضمير فى به او بدل منه
وليس من شرط البدل جواز طرح المبدل مطلقا ليلزم منه بقاء الموصول بلا راجع او خبر
لمضمر او مفعوله مثل هو او اعنى ويجوز ابداله من ما امرتنى به فان المصدر لا يكون مفعول
القول ولا ان يكون ان مفسرة لان الامر مسند الى الله تعالى وهو لا يقول اعبدوا الله ربى
وربكم والقول لا يفسر به الجملة تحكى بعد الا ان يؤول القول بالامر فكان ما امرتهم
الا مثل ما امرتنى به ان اعبدوا الله وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم اى رقيبا عليهم مانعهم
ان يقولوا ذلك ويعتقدوه او مشاهدا لاحوالهم من كفر وايمان فلما توفيتنى بالرفع
الى السماء لقوله تعالى انى متوفيك ورافعك الى والتوفى اخذ الشئ وافيا والموت نوع
منه قال الله تعالى يتوفى الانفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها كنت انت الرقيب عليهم
المراقب لاحوالهم فتمنع من اردت عصمته من القول به بالارشاد الى الدلائل والتنبيه عليها
بارسال الرسل وانزال الايات وانت على كل شئ شهيد مطلع عليه مراقب له ان تعذبهم
فانهم عبادك اى ان تعذبهم فانك تعذب عبادك ولا اعتراض على المالك المطلق فيما

مطلب بيان معنى التوفى

يفعل بملكه وفيه تنبيه على انهم استحقوا ذلك لانهم عبادك وقد عبدوا غيرك وان تغفر لهم
فانك انت العزيز الحكيم فلا عجز ولا استقباح فانك القادر القوي على الثواب والعقاب الذي
لا يثيب ولا يعاقب الا عن حكمة وصواب فان المغفرة مستحسنة لكل مجرم فان عذبت فعدل
وان غفرت ففضل وعدم غفران الشرك مقتضى الوعيد فلا امتناع فيه لذاته ليمتنع الترديد
والتعليق بان قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم وقرأ نافع يوم بالنصب على انه
ظرف لقال وخبر هذا محذوف او ظرف مستقر وقع خبرا والمعنى هذا الذي من كلام عيسى عليه السلام
واقع يوم ينفع وقيل انه خبر ولكن بني على الفتح لاضافته الى الفعل وليس بصحيح لان المضاف
اليه معرب والمراد بالصدق الصدق في الدنيا فان النافع ما كان حال التكليف لهم جنات تجري
من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك الفوز العظيم بيان للنفع
لله ملك السموات والارض وما فيهن وهو على كل شيء قدير تنبيه على كذب النصارى وفساد
دعويهم في المسيح وامه وانما لم يقل ومن فيهن تغليبا للعقلاء وقال وما فيهن اتباعا لهم
غير اولي العقل في غاية القصور عن معنى الربوبية والنزول عن رتبة المعبودية واهانة
لهم وتنبيها على المجانسة المنافية للالوهية ولان ما يطلق متناولا للاجناس كلها فهو
اولى بارادة العموم وعن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المائدة اعطي من الاجر عشر
حسنات ومحي عنه عشر سيئات ورفع له عشر درجات بعدد كل يهودي ونصراني يتنفس في الدنيا

سورة الانعام مكية الا ست آيات او ثلاث من قوله قل تعالوا وهي مائة وخمس وستون آية

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي خلق السموات والارض اخبر بانه تعالى حقيق
بالحمد ونبه على انه المستحق على هذه النعم الجسام حمدا ولم يحمد ليكون حجة على الذين هم بربهم
يعدلون وجمع السموات دون الارض وهي مثلهن لان طبقاتها مختلفة بالذات متفاوتة
الآثار والحركات وقدمها لشرفها وعلو مكانها وتقدم وجودها وجعل الظلمات والنور
انشأهما والفرق بين خلق وجعل الذي له مفعول واحد ان الخلق فيه معنى التقدير والجعل
فيه معنى التضمين ولذلك عبر عن احداث النور والظلمة بالجعل تنبيها على انهما لا يقومان بانفسهما
كما زعمت الثنوية وافرد النور للقصد الى الجنس وجمع الظلمات لكثرة اسبابها والاجرام الحاملة لها

وافرد النور بيان

اولان المراد

اولان المراد بالظلمة الضلال وبالنور الهدى والهدى واحد والضلال متعدد وتقديمها لتقدم
الاعدام على الملكات ومن زعم ان الظلمة عرض يضاد النور احتج بهذه الاية ولم يعلم ان عدم
الملكة كالاعمى ليس صرف العدم حتى يتعلق به الجعل ثم الذين كفروا بربهم يعدلون عطف
على قوله الحمد لله على معنى ان الله حقيق بالحمد على ما خلقه نعمة على العباد ثم الذين كفروا به يعدلون
فيكفرون نعمته ويكون بربهم تنبيها على انه خلق هذه الاشياء اسبابا لتكونهم وتعيشهم
فمن حقه ان يحمد عليها ولا يكفر او على قوله خلق على معنى انه خلق ما لا يقدر عليه احد سواه ثم
هم يعدلون به ما لا يقدر على شيء منه ومعنى ثم استبعاد عدولهم بعد هذا البيان والباء على
الاول متعلقة بكفروا وصلة يعدلون محذوفة اي يعدلون عنه ليقع الانكار على نفس الفعل
وعلى الثاني متعلقة بيعدلون والمعنى ان الكفار يعدلون بربهم الاوثان اي يسوونها به
هو الذي خلقكم من طين اي ابتدأ خلقكم منه فانه المادة الاولى وان آدم الذي هو اصل
البشر خلق منه او خلق اياكم فحذف المضاف ثم قضى اجلا اجل الموت واجل مسمى عنده اجل
القيامة وقيل الاول ما بين الخلق والموت والثاني ما بين الموت والبعث فان الاجل كما يطلق
لآخر المدة يطلق لجملتها وقيل الاول النوم والثاني الموت وقيل الاول لمن مضى
والثاني لمن بقي ولمن يأتي واجل نكرة خصصت بالصفة ولذلك استغنى عن تقديم الخبر والاستئناف
به لتعظيمه ولذلك نكر ووصف بانه مسمى اي مثبت معين لا يقبل التغيير واخبر عنه بانه
عند الله لا مدخل لغيره فيه بعلم ولا قدرة ولانه المقصود بيانه ثم انتم تمترون استبعاد
لامترائهم بعد ما ثبت انه خالقهم وخالق اصولهم ومحييهم الى آجالهم فان من قدر على خلق
المواد وجمعها وابداء الحياة فيها وابقائها ما شاء كان اقدر على جمع تلك المواد واحيائها ثانيا
فالاية الاولى دليل التوحيد والثانية دليل البعث والامتراء الشدة واصله المري واستخراج
اللبن من الضرع وهو الله الضمير لله والله خبره في السموات والارض متعلق باسم الله والمعنى هو صح
هو المستحق للعبادة فيهما لا غير كقوله تعالى وهو الذي في السماء اله وفي الارض اله او بقوله
يعلم سركم وجهركم والجملة خبر ثان او هي الخبر والله بدل ويكفي لصحة الظرفية كون المعلوم فيهما
كقولك رميت الصيد في الحرم اذا كنت خارجه والصيد فيه او ظرف مستقر وقع خبرا بمعنى

كالعمى بيان

انه تعالى لكمال علمه بما فيهما كانه فيهما ويعلم سركم وجهركم بيان وتقرير له وليس متعلق المصدر لان
صلته لا تتقدم عليه ويعلم ما تكسبون من خير وشر فيثيب عليه ويعاقب ولعله اريد بالسر والجهر
ما يخفى وما يظهر من احوال الانفس وبالمكتسب اعمال الجوارح وما تأتيهم من آية من ايات ربهم
من الاولى مزيدة للاستغراق والثانية للتبعيض اى ما يظهر لهم دليل قط من الادلة او معجزة من
المعجزات او اية من ايات القرآن الا كانوا عنها معرضين تاركين للنظر فيه غير ملتفتين اليه فقد
كذبوا بالحق لما جاءهم يعنى القرآن وهو كالدليل على ما قبله كانه قيل انهم لما كانوا معرضين عن
الآيات كلها كذبوا به لما جاءهم او كالدليل عليه على انهم لما اعرضوا عن القرآن وكذبوا به وهو
اعظم الايات فكيف لا يعرضون عن غيرها ولذلك رتب عليه بالفاء فسوف يأتيهم انباء ما كانوا
به يستهزؤن اى سيظهر لهم ما كانوا به يستهزؤن عند نزول العذاب بهم فى الدنيا والاخرة
او عند ظهور الاسلام وارتفاع امره الم يروا كم اهلكنا من قبلهم من قرن اى من زمان والقرن
مدة اغلب اعمار الناس وهى سبعون سنة وقيل ثمانون وقيل القرن اهل عصر فيه نبى او فائق
فى العلم قلت المدة او كثرت واشتقاقه من قرنت مكناهم فى الارض جعلنا لهم فيها مكانا وقرنا لهم
فيها او اعطيناهم من القوى والآلات ما تمكنوا بها من انواع التصرف فيها ما لم نمكن لهم ما لم نجعل
لكم فى السعة وطول المقام يا اهل مكة او ما لم نعطكم من القوة والسعة فى المال والاستظهار
بالعدد والاستيلاء وارسلنا السماء عليهم اى المطر او السحاب او المظلة فان مبدأ المطر منها مدرارا
مغزارا وجعلنا الانهار تجرى من تحتهم فعاشوا فى الخصب والريف بين الانهار والثمار فاهلكنا
بذنوبهم اى لم يغن ذلك عنهم شيئا وانشأنا واحدثنا من بعدهم قرنا آخرين بدلا منهم والمعنى
انه تعالى كما قدر ان يهلك من قبلكم كعاد وثمود وينشئ مكانهم آخرين يعمرهم بلاده قدر ان يفعل
ذلك بكم ولو نزلنا عليك كتابا فى قرطاس مكتوبا فى ورق فلمسوه بايديهم فسوه وتخصيص
اللمس لان التزوير لا يقع فيه فلا يمكنهم ان يقولوا انما سكرت ابصارنا ولا انه يتقدمه الابصار
حيث لا مانع وتقييده بالايدى لدفع التجوز فانه قد يجوز به للفحص كقوله وانا لمسنا السماء فقال الذين كفروا
ان هذا الا سحر مبين تعنتا وعنادا وقالوا لولا انزل عليه ملك هلا انزل معه ملك يكلمنا
انه نبى كقوله تعالى لولا انزل اليه فيكون معه نذيرا ولو انزلنا ملكا لقضى الامر جواب لقولهم
ملك صح

وبيان

وبيان لما هو المانع مما اقترحوه والخلل فيه والمعنى ان الملك لو انزل بحيث عاينوه كما اقترحوا
لحق اهلاكهم فان سنة الله جرت بذلك فيمن قبلهم ثم لا ينظرون بعد نزوله طرفة عين ولو
جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون جواب ثان ان جعل الهاء للمطلوب وان جعل
للرسول فهو جواب اقتراح ثان فانهم تارة يقولون لولا انزل عليه ملك وتارة يقولون لو شاء
ربنا لانزل ملائكة والمعنى ولو جعلنا قرينا لك ملكا بعا ينونه او الرسول ملكا لمثلناه رجلا كما مثل
جبرائيل عليه السلام فى صورة دحية الكلبى فان القوة البشرية لا تقوى على رؤية الملك فى صورته
وانما رآهم كذلك الافراد من الانبياء عليهم السلام بقوتهم القدسية وللبسنا جواب محذوف
اى ولو جعلناه رجلا للبسنا اى لخلطنا عليهم ما يخلطون على انفسهم فيقولون ما هذا الا
بشر مثلكم وقرئ ولبسنا بلام وللبسنا بالتشديد للمبالغة ولقد استهزئ برسل من قبلك
تسلية لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على ما يرى من قومه فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا
به يستهزؤن فاحاط بهم الذى كانوا يستهزؤن به حيث اهلكوا لاجله او فنزل بهم وبال استهزائهم
قل سيروا فى الارض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين كيف اهلكهم الله بعذاب الاستئصال كى
تعبروا او الفرق بينه وبين قوله قل سيروا فى الارض فانظروا ان السير ثمة لاجل النظر ولا كذلك ههنا
ولذلك قيل معناه اباحة السير للتجارة وغيرها وايجاب النظر فى آثارها لكن قل لمن ما فى السموات والارض
خلقا وملكا وهو سؤال تبكيت قل لله تقرير لهم وتنبيه على انه المتعين للجواب بالاتفاق بحيث لا يمكنهم
ان يذكروا غيره كتب على نفسه الرحمة التزمها تفضلا واحسانا والمراد بالرحمة ما يعم الدارين
ومن ذلك الهداية الى معرفته والعلم بتوحيده بنصب الادلة وانزال الكتب والامهال على الكفر
ليجمعنكم الى يوم القيمة استئناف وقسم للوعيد على اشراكهم واغفالهم النظر اى ليجمعنكم فى
القبور مبعوثين الى يوم القيمة فيجازيكم على شركم او فى يوم القيمة والى بمعنى فى وقيل بدل من
الرحمة بدل البعض فان من رحمته بعثه اياكم وانعامه عليكم لا ريب فيه فى اليوم او الجمع الذين
خسروا انفسهم بتضييع رأس مالهم وهو الفطرة الاصلية والعقل السليم وموضع الذين
نصب على الذم او رفع على الجزاء وانتم الذين او على الابتداء والخبر فهم لا يؤمنون والفاء للدلالة
على ان عدم ايمانهم مسبب عن خسرانهم فان ابطال العقل باتباع الحواس والوهم والانهماك فى

201

التقليد واغفال النظر اى بهم الى الاصرار على الكفر والامتناع على الايمان وله عطف على الله ما سكن
فى الليل والنهار من السكنى و تعديته بفى كما فى قوله وسكنتم فى مساكن الذين ظلموا انفسهم والمعنى ما
اشتملا عليه او من السكون اى ما سكن فيهما او يتحرك باحد الضدين عن الآخر وهو السميع لكل مسموع
العليم بكل معلوم فلا يخفى عليه شئ ويجوز ان يكون وعيدا للمشركين على اقوالهم وافعالهم قل اغير الله
اتخذ وليا انكار لاتخاذ غير الله وليا لاتخاذ الولى فلذلك قدم واؤلى الهمزة والمراد بالولى
المعبود لانه رد لمن دعاه الى الشرك فاطر السموات والارض مبدعها وعن ابن عباس رضى الله
عنهما ما عرفت معنى الفاطر حتى اتانى اعرابيان يختصمان فى بئر فقال احدهما انا فطرتها اى ابتدأتها
وجره على الصفة لله فانه بمعنى الماضى ولذلك قرئ فطر وقرئ بالرفع والنصب وهو يطعم ولا
يطعم يرزق ولا يرزق وتخصيص الطعام لشدة الحاجة اليه وقرئ ولا يطعم بفتح الياء وبعكس
الاول على ان الضمير لغير الله والمعنى كيف اشرك بمن هو فاطر السموات والارض ما هو نازل عن رتبة اللايتة
وبنائها للفاعل على ان الثانى من اطعم بمن استطعم او على معنى انه يطعم تارة ولا يطعم اخرى كقوله
يقبض ويبسط قل انى امرت ان اكون اول من اسلم لان النبى صلى الله عليه وسلم سابق امته فى الدين
ولا تكونن من المشركين وقيل لى ولا تكونن ويجوز عطفه على قل قل انى اخاف ان عصيت ربى عذاب يوم
عظيم مبالغة اخرى فى قطع اطماعهم وتعريض لهم بانهم عصاة مستوجبون للعذاب والشرط معترض
بين الفعل والمفعول به وجوابه محذوف دل عليه الجملة من يصرف عنه يومئذ اى يصرف العذاب عنه وقرأ
حمزة والكسائى ويعقوب وابو بكر عن عاصم يصرف على ان الضمير فيه لله تعالى وقد قرئ باظهاره والمفعول
محذوف او يومئذ بحذف المضاف فقد رحمه نجاه وانعم عليه وذلك الفوز المبين اى الصرف او الرحمة
وان يمسسك الله بضر بلية كمرض وفقر فلا كاشف له فلا قادر على كشفه الا هو وان يمسسك بخير
بنعمة الصحة وغنى فهو على كل شئ قدير فكان قادرا على حفظه وادامته فلا يقدر غيره على ازالته فضله
فلا راد لفضله وهو القاهر فوق عباده تصوير لقهره وعلوه بالغلبة والقدرة وهو الحكيم فى امره
وتدبيره الخبير بالعباد وخفايا احوالهم قل اى شئ اكبر شهادة نزل حين قال قريش يا محمد
لقد سألنا عنك اليهود والنصارى فزعموا انه ليس لك ذكر ولا صفة عندهم فاخبرنا من يشهد لك انك
رسول الله والشئ يقع على كل موجود وقد سبق القول فيه فى سورة البقرة قل الله اى الله اكبر شهادة

وقد سبق القول فيه فى سورة البقرة

ثم ابتدأ شهيد بينى وبينكم اى هو شهيد ويجوز ان يكون الله شهيد هو الجواب لانه تعالى اذا كان اشهد كان اكبر
شئ شهادة واوحى الى هذا القرآن لانذركم به اى بالقرآن واكتفى بذكر الانذار عن ذكر البشارة ومن
بلغ عطف على ضمير المخاطبين اى لانذركم به يا اهل مكة وسائر من بلغه من الاسود والاحمر او من
الثقلين او لانذركم به ايها الموجودون ومن بلغه الى يوم القيمة وهو دليل على ان احكام القرآن
تعم الموجودين وقت نزوله ومن بعدهم وانه لا يؤاخذ بها من لم يبلغه انكم لتشهدون ان مع
الله آلهة اخرى تقرير لهم مع انكار واستبعاد قل لا اشهد بما تشهدون قل انما هو اله واحد
اى بل اشهد ان لا اله الا هو وانني برئ مما تشركون يعنى الاصنام الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه
اى يعرفون رسول الله صلى الله عليه وسلم بحليته المذكورة فى التوراة والانجيل كما يعرفون ابناءهم بحلاهم
الذين خسروا انفسهم من اهل الكتاب والمشركين فهم لا يؤمنون لتضييعهم ما به يكتسب الايمان
ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا كقولهم الملائكة بنات الله وهؤلاء شفعاؤنا عند الله او كذب
بآياته كان كذبوا القرآن والمعجزات وسموها سحرا وانما ذكرا وهم قد جمعوا بين الامرين تنبيها على
ان كلا منهما وحده بالغ غاية الافراط فى الظلم على النفس انه اى الضير الشان لا يفلح الظالمون فضلا
ممن لا احد اظلم منه ويوم نحشرهم جميعا منصوب بمضمر تهويلا للامر ثم نقول للذين اشركوا اين
شركاؤكم اى آلهتكم التى جعلتموها شركاء الله وقرأ يعقوب بحشرهم ويقول بالياء الذين كنتم
تزعمون اى تزعمونهم شركاء فحذف المفعولان والمراد من الاستفهام التوبيخ ولعله يحال بينهم و
آلهتهم حينئذ ليفتضحوها فى الساعة التى علقوا بها الرجاء فيها ويحتمل ان يشاهد وهم ولكن
لما لم ينفعوهم فكانهم غيب عنهم ثم لم يكن فتنتهم الا ان قالوا اى كفرهم والمراد عاقبته وقيل
معذرتهم التى يتوهمون ان يتخلصوا بها من فتنت الذهب اذا خلصته وقيل جوابهم وانما سماه
فتنة لانه كذب او لانهم قصدوا به الخلاص وقرأ ابن كثير وابن عامر وحفص لم تكن بالتاء
وفتنتهم بالرفع على انها الاسم ونافع وابو عمر وابو بكر بالتاء والنصب على ان الاسم
ان قالوا والتانيث للخبر كقولهم من كانت امك والباقون بالياء والنصب والله ربنا
ما كنا مشركين يكذبون ويحلفون عليه مع علمهم بانه لا ينفع من فرط الحيرة والدهشة كما يقولون
ربنا اخرجنا منها وقد ايقنوا بالخلود وقيل معناه ما كنا مشركين عند انفسنا وهو لا يوافق قوله

آلهتهم بيان

انظر كيف كذبوا على انفسهم اى بنفى الشرك عنها حمله على كذبهم فى الدنيا تعسف يخل بالنظم
ونظير ذلك قوله يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم وقرأ حمزة والكسائى ربنا بالنصب
على النداء او المدح وصل عنهم ما كانوا يفترون من الشركاء ومنهم من يستمع اليك حين تتلوا القرآن
والمراد ابو سفيان والوليد والنضر وعتبة وشيبة وابو جهل واضرابهم اجتمعوا فسمعوا رسول
الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقرأ القرآن فقالوا للنضر ما يقول فقال والذى جعلها بيته ما
ادرى ما يقول الا انه يحرك لسانه ويقول اساطير الاولين مثل ما حدثتكم وجعلنا على قلوبهم
اكنة اغطية جمع كنان وهو ما يستر الشئ ان يفقهوه كراهة ان يفقهوه وفى آذانهم وقرا يمنع
من استماعه ومر تحقيق ذلك فى اول سورة البقرة وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها لفرط عنادهم
واستحكام التقليد فيهم حتى اذا جاؤك يجادلونك اى بلغ تكذيبهم الآيات الى انهم جاؤك
يجادلونك وحتى هى التى تقع بعدها الجمل التى لا محل لها والجملة اذا وجوابه وهو يقول الذين كفروا
ان هذا الا اساطير الاولين فان جعلا صدق الحديث خرافات الاولين غاية التكذيب ويجادلونك
حال لمجيئهم ويجوز ان يكون اجارة واذا جاؤك موضع الجر ويجادلونك جواب ويقول تفسيره والاساطير
الاباطيل جمع اسطورة او اسطارة او اسطار جمع سطر واصله السطر بمعنى الخط وهم ينهون عنه
اى ينهون الناس عن القرآن او الرسول والايمان به وينأون عنه بانفسهم او ينهون عن التعرض
لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وينأون عنه فلا يؤمنون به كابى طالب وان يهلكون وما يهلكون
بذلك الا انفسهم وما يشعرون ان ضرره لا يتعداهم الى غيرهم ولو ترى اذ وقفوا على النار
جواب محذوف اى ولو ترى حين يوقفون على النار حتى يعاينوها او يطلعون عليها او يدخلونها
فيعرفون مقدار عذابها لرأيت امرا شنيعا وقرئ وقفوا على البناء للفاعل من وقف عليه وقوفا
فقالوا يا ليتنا نرد تمنيا للرجوع الى الدنيا ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين استئناف
كلام منهم على وجه الاثبات كقولهم دعنى ولا اعود اى انا لا اعود تركتنى او لم تتركنى او عطف على ترد
او حال من الضمير فيه فيكون فى حكم المتمنى وقوله وانهم لكاذبون راجع الى تضمنه التمنى من الوعد ونصبها حمزة
ويعقوب وحفص على الجواب باضمار ان بعد الواو اجراء لها مجرى الفاء وقرأ ابن عامر برفع الاول
على العطف ونصب الثانى على الجواب بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل الاضراب عن ارادة الايمان

المفهوم

وقد مر تحقيق ذلك فى اول سورة البقرة

المفهوم من التمنى والمعنى انه ظهر لهم ما كانوا يخفون من نفاقهم او قبايح اعمالهم فتمنوا ذلك ضجرا لا عزما
على انهم لو ردوا لآمنوا ولو ردوا الى الدنيا بعد الظهور والوقوف لعادوا الى ما نهوا عنه من الكفر
والمعاصى وانهم لكاذبون فيما وعدوا من انفسهم وقالوا عطف على لعادوا او على انهم لكاذبون او
على نهوا او استئناف بذكر ما قالوه فى الدنيا ان هى الا حياتنا الدنيا الضمير للحياة وما نحن بمبعوثين
ولو ترى اذ وقفوا على ربهم مجاز عن الحبس للسؤال والتوبيخ وقيل معناه وقفوا على قضاء ربهم
او جزائه او عرفوه حق التعريف كما ان اليس هذا بالحق كانه جواب قائل قال ماذا قال ربهم
حينئذ والهمزة للتقرير على التكذيب والاشارة الى البعث وما يتبعه من الثواب والعقاب
قالوا بلى وربنا اقرار موكد باليمين لانجلاء الامر غاية الانجلاء قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون
بسبب كفركم او بدله قد خسر الذين كفروا بلقاء الله اذ فاتهم النعيم واستوجبوا العذاب المقيم
ولقاء الله البعث وما يتبعه حتى اذا جاءتهم الساعة غاية لكذبوا لا للخسران خسرانهم لا غاية له
بغتة فجأة ونصبها على الحال او المصدر فانها نوع من المجئ قالوا يا حسرتنا اى تعال فهذا اوانك
على ما فرطنا قصرنا فيها فى الحياة الدنيا اضمرت وان لم يجر ذكرها للعلم بها او فى الساعة بعنى فى شانها والايمان
بها وهم يحملون اوزارهم على ظهورهم تمثيل لاكتسابهم آصار الاثام الاساء ما يزرون بئس
شيئا وزرهم وما الحياة الدنيا الا لعب ولهو اى وما اعمالها الا لعب ولهو يلهى الناس ويشغلهم
عما يعقب منفعة دائمة ولذة حقيقية وهو جواب لقولهم ان هى الا حياتنا الدنيا ولا الدار
الآخرة خير للذين يتقون لدوامها وخلوص منافعها ولذاتها وقوله للذين يتقون تنبيه
على ان ما ليس من اعمال المتقين لعب ولهو وقرأ ابن عامر والدار الآخرة افلا يعقلون
اى الامر بين خير وقرأ نافع وابن عامر وحفص عن عاصم ويعقوب بالتاء على خطاب المخاطبين
به او تغليب الحاضرين على الغائبين قد نعلم انه ليحزنك الذى يقولون معنى قد زيادة الفعل
وكثرته كما فى قوله ولكنه قد يهلك المال نائله والباء فى الثانى وقرئ ليحزنك من احزن فانهم لا يكذبونك
فى الحقيقة وقرأ نافع والكسائى لا يكذبونك من اكذبه اذا وجده كاذبا او نسبه الى الكذب ولكن الظالمين
بآيات الله يجحدون ولكنهم يجحدون بآيات الله ويكذبونها فوضع الظالمين موضع الضمير للدلالة على انهم

203

ظلموا بجحودهم او جحدوا لتمرنهم على الظلم والباء للتصوير الجحود ومعنى التكذيب روى ان ابا جهل كان يقول ما نكذبك وانك عندنا لصادق وانما نكذب ما جئتنا فنزلت ولقد كذبت رسل من قبلك تسلية لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وفيه دليل على ان قوله لا يكذبونك ليس بنفي تكذيبه مطلقا فصبروا على ما كذبوا واوذوا على تكذيبهم وايذائهم فتأس بهم واصبر حتى اتاهم نصرنا فيه ايماء بوعد النصر للصابرين ولا مبدل لكلمات الله لمواعيده من قوله ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين الآيات ولقد جاءك من نبأ المرسلين اى من قصصهم وما كابدوا من قومهم وان كان كبر عليك عظم وشق اعراضهم عنك وعدم ايمانهم بما جئت به فان استطعت ان تبتغي نفقا في الارض او سلما في السماء فتأتيهم بآية منفذا تنفذ فيه الى جوف الارض فتطلع لهم آية او مصعدا تصعد به الى السماء فتنزل آية وفي الارض صفة لنفقا وفي السماء صفة لسلما ويجوز ان يكونا متعلقين بتبتغي او حالين من المستكن وجواب الشرط الثاني محذوف تقديره فافعل والجملة جواب الاول والمقصود بيان حرصه البالغ على اسلام قومه وانه لو قدر ان يأتيهم بآية من تحت الارض او من فوق السماء لاتى بها رجاء ايمانهم ولو شاء الله لجمعهم على الهدى اى ولو شاء الله جمعهم على الهدى لوفقهم للايمان حتى يؤمنوا ولكن لم يتعلق به مشيته فلا تهلك عليه والمعتزلة اولوه صح بانه لو شاء الله لجمعهم على الهدى بان يأتيهم بآية ملجئة ولكن لم يفعل لخروجه عن الحكمة فلا تكونن من الجاهلين بالحرص على ما لا يكون والجزع في مواطن الصبر فان ذلك من دأب الجهلة انما يستجيب الذين يسمعون انما يجيبك الذين يسمعون بفهم وتأمل كقوله او القى السمع وهو شهيد وهؤلاء كالموتى الذين لا يسمعون والموتى يبعثهم الله فيعلمهم حين لا ينفعهم الايمان ثم اليه يرجعون للجزاء وقالوا لولا نزل اية من ربه اى آية مما اقترحوه او آية اخرى سوى ما انزل من الآيات المتكاثرة لعدم اعتدادهم بها عنادا قل ان الله قادر على ان ينزل اية مما اقترحوه او اية مضطرهم الى الايمان كنتق الجبل او آية ان جحدوها هلكوا ولكن اكثرهم لا يعلمون ان الله قادر على انزالها وان انزالها يستجلب عليهم البلاء وان لهم فيما انزل منذوحة عن غيره وقرأ ابن كثير ينزل بالتخفيف والمعنى واحد وما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه في الهواء وصف به قطعا لمجاز السرعة

ولقد كذبت رسل

والمعتزلة الخ

ويخفها

توبيخ على ترجيها

ويخوها وقرئ ولا طائر بالرفع على المحل الا امم امثالكم محفوظة احوالها مقدرة ارزاقها واجالها والحق من ذلك الدلالة على كمال قدرته وشمول علمه وسعة تدبيره ليكون كالدليل على انه قادر على ان ينزل آية وجمع الامم للحمل على المعنى ما فرطنا في الكتاب من شيء يعني اللوح المحفوظ فانه مشتمل على ما يجري في العالم من جليل ودقيق لم يهمل فيه امر حيوان ولا جماد او القرآن فانه قد دون فيه ما يحتاج اليه من امر الدين مفصلا او مجملا ومن مزيدة وشيء في موضع المصدر لا المفعول به فان فرط لا يتعدى بنفسه وقد عدى بفي الى الكتاب وقرئ ما فرطنا بالتخفيف ثم الى ربهم يحشرون يعني الامم كلها فينتصف بعضها من بعض كما روى انه يأخذ للجماء من القرناء وعن ابن عباس حشرها موتها والذين كذبوا بآياتنا صم لا يسمعون مثل هذه الآيات الدالة على ربوبيته وكمال علمه وعظم قدرته سماعا تنتفع به نفوسهم وبكم لا ينطقون بالحق في الظلمات خبر ثالث اى خابطون في ظلمات الكفر او في ظلمة الجهل وظلمة العناد وظلمة التقليد ويجوز ان يكون حالا من المستكن في الخبر من يشأ الله يضلله من يشأ الله اضلاله يضلله وهو دليل واضح لنا على المعتزلة ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم بان يرشده الى الهدى ويحمله عليه قل ارايتكم استفهام بتعجيب والكاف حرف خطاب اكد به الضمير للتأكيد لا محل له من الاعراب لانك لا تقول ارايتك زيدا ما شانه فلو جعلت الكاف مفعولا كما قال الكوفيون لعدية الفعل الى ثلاثة مفاعيل وهو لازم في الآية ان يقال ارايتموكم بلا الفعل معلق او المفعول محذوف تقديره ارايتكم آلهتكم تنفعكم اذ تدعونها وقرأ نافع ارايتكم وارايت وارايتم وافرايتم وافرايت وشبهه اذا كان قبل الراء همزة بتسهيل الهمزة الى بعد الراء والكثير يحذفونها اصلا والباقون يحققونها وهمزة اذا وقف يوافق نافعا ان اتيكم عذاب الله كالذي من قبلكم او اتتكم الساعة وهولها ويدل عليه اغير الله تدعون وهو شبكيت لهم ان كنتم صادقين ان الاصنام آلهة وجوابه محذوف اى فادعوه بل اياه تدعون بل تخصونه بالدعاء كما حكي عنهم في مواضع وتقديم المفعول لافادة التخصيص فيكشف ما تدعون اليه اى ما تدعونه الكشفه ان شاء ان يتفضل عليكم ولا يشاء في الآخرة وتنسون ما تشركون وتتركون آلهتكم في ذلك الوقت لما ركز في العقول من انه القادر على كشف الضر دون غيره او تنسونه من شدة الامر وهوله ولقد ارسلنا الى امم من قبلك اى قبلك

ومن زائدة فاخذناهم اى فكفروا وكذبوا المرسلين فاخذناهم بالبأساء بالشدة والفقر والضراء
الضر والآفات وهما صيغتا تأنيث لا مذكر لهما لعلهم يتضرعون يتذللون ويتوبون عن ذنوبهم
فلولا اذ جاءهم بأسنا تضرعوا معناه نفى تضرعهم فى ذلك الوقت مع قيام ما يدعوهم ولكن قست
قلوبهم وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون استدراك على المعنى وبيان للصارف لهم عن التضرع
وانه لا مانع لهم الا قساوة قلوبهم واعجابهم باعمالهم التى زينها الشيطان لهم فلما
نسوا ما ذكروا به من البأساء والضراء ولم يتعظوا به فتحنا عليهم ابواب كل شئ من انواع
النعم مراوحة عليهم واستدراجا بين نوبتى الضراء والسراء وامتحانا لهم بالشدة والرخاء
الزاما للحجة وازاحة للعلة او مكرا بهم لما روى انه عليه الصلاة والسلام قال مكر بالقوم
ورب الكعبة وقرأ ابن عامر فتحنا بالتشديد فى جميع القرآن وافقه يعقوب فيما عدا هذا
والذى فى الاعراف حتى اذا فرحوا اعجبوا بما اوتوا من النعم ولم يزيدوا على البطر والاشتغال
بالنعمة عن المنعم والقيام بحقه اخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون متحسرون آيسون
فقطع دابر القوم الذين ظلموا اى آخرهم بحيث لم يبق منهم احد من دبره دبرا ودبورا
اذا تبعه والحمد لله رب العالمين على اهلاكهم فان هلاك الكفار والعصاة من انه تخليص
لاهل الارض من شؤم عقايدهم واعمالهم نعمة جليلة يحق ان يحمد عليها قل ارايتم ان اخذ
الله سمعكم وابصاركم اصمكم واعماكم وختم على قلوبكم بان يغطى عليها ما يزول به عقلكم
وفهمكم من اله غير الله يأتيكم به اى بذاك او بما اخذ وختم عليه او باحد هذه المذكورات
انظر كيف نصرف الايات نكررها تارة من جهة المقدمات العقلية وتارة من جهة الترغيب
والترهيب وتارة بالتنبيه والتذكير باحوال المتقدمين ثم هم يصدفون يعرضون عنها وثم
لاستبعاد الاعراض بعد تصريف الايات وظهورها قل ارايتكم ان اتاكم عذاب الله بغتة من غير مقدمة
او جهرة بتقدمها امارة تؤذن بحلوله وقيل ليلا او نهارا وقرئ بغتة وجهرة هل يهلك اى
ما يهلك به هلاك سخط وتعذيب الا القوم الظالمون ولذلك صح الاستثناء المفرغ منه وقرئ
يهلك بفتح الياء وما نرسل المرسلين الا مبشرين المؤمنين بالجنة ومنذرين الكافرين بالنار ولم
نرسلهم ليقترح عليهم ويتلهى بهم فمن آمن واصلح ما يجب اصلاحه على ما شرع لهم

فلا خوف

فلا خوف عليهم من العذاب ولا هم يحزنون بفوات الثواب والذين كذبوا باياتنا
يمسهم العذاب جعل العذاب ما سألهم كانه الطالب للوصول اليهم واستغنى بتعريفه عن
التوصيف بما كانوا يفسقون بسبب خروجهم عن التصديق والطاعة قل لا اقول لكم عندى خزائن
الله مقدوراته او خزائن رزقه ولا اعلم الغيب ما لم يوح الى ولم ينصب عليه دليل وهو من جملة
المقول ولا اقول لكم انى ملك اى من جنس الملائكة او اقدر على ما يقدرون عليه ان اتبع الا
ما يوحى الى تبرأ عن دعوى الالوهية والملكية وادعى النبوة التى هى من كمالات البشر رد الاستبعادهم
دعواه وجزمهم على فساد مدعاه قل هل يستوى الاعمى والبصير مثل للضال والمهتدى او الجاهل
والعالم او مدعى المستحيل كالالوهية والملكية ومدعى المستقيم كالنبوة افلا تتفكرون فتهتدوا
او فتميزوا بين ادعاء الحق والباطل او فتعلموا ان اتباع الوحى مما لا محيص عنه وانذر به
الضمير لما يوحى الى الذين يخافون ان يحشروا الى ربهم هم المؤمنون المفرطون فى العمل او
المجوزون للحشر مؤمنا كان او كافرا مقرا به او مترددا فيه فان الانذار ينجع فيهم دون الفارغين
الجازمين باستحالته ليس لهم من دونه ولى ولا شفيع فى موضع الحال من يحشروا فان المخوف
هو الحشر على هذه الحال لعلهم يتقون لكى يتقوا ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى
بعد ما امره بانذار غير المتقين ليتقوا امره باكرام المتقين وتقريبهم وان لا يطردهم ترضية
لقريش روى انهم قالوا لو طردت هؤلاء الاعبد يعنون فقراء المسلمين كعمار وصهيب وخباب
وسلمان رضى الله عنهم جلسنا اليك وحادثناك فقال ما انا بطارد المؤمنين قالوا فاقمهم عنا اذا جئناك
قال نعم وروى ان عمر رضى الله تعالى عنه قال له لو فعلت حتى ننظر الى ماذا يصيرون فدعا بالصحيفة وبعلى
رضى الله تعالى عنه ليكتب فنزلت والمراد بذكر الغداة والعشى الدوام وقيل صلاتا الصبح والعصر
وقرأ ابن عامر بالغدوة هنا وفى لهف يريدون وجهه حال من يدعون اى يدعون ربهم مخلصين
فيه قيد الدعاء بالاخلاص تنبيها على انه ملاك الامر ورتب النهى عليه اشعارا بانه يقتضى اكرامهم
وينافى ابعادهم ما عليك من حسابهم من شئ وما من حسابك عليهم من شئ اى ليس عليك
حساب ايمانهم فلعل ايمانهم عند الله كان اعظم من ايمان من تطردهم بسؤالهم طمعا فى ايمانهم
لو آمنوا وليس عليك اعتبار بواطنهم واخلاصهم لما اتسموا بسيرة المتقين فان كان لهم باطن

غير مرضي كما ذكره المشركون وطعنوا في دينهم فحسابهم عليهم لا يتعداهم اليك كما ان حسابك عليهم
لا يتعداك اليهم وقيل ما عليك من حساب رزقهم اي من فقرهم وقيل الضمير للمشركين والمعنى لا تؤاخذ
بحسابهم ولا هم بحسابك حتى يهمك ايمانهم بحيث تطرد المؤمنين طمعا ايمانهم فتطردهم فتبعدهم
وهو جواب النفي فتكون من الظالمين جواب النهي ويجوز عطفه على فتطردهم على وجه التسبيب وفيه
نظر وكذلك فتنا بعضهم ببعض ومثل ذلك الفتن وهو اختلاف احوال الناس في امور
الدنيا فتنا اي ابتلينا بعضهم ببعض في امر الدين فقدمنا هؤلاء الضعفاء على اشراف قريش
بالسبق الى الايمان ليقولوا اهؤلاء من الله عليهم من بيننا اي اهؤلاء من انعم الله عليهم بالهداية
والتوفيق لما يسعدهم دوننا ونحن الاكابر والرؤساء وهم المساكين والضعفاء وهو انكار
لان يخص هؤلاء من بينهم باصابة الحق والسبق الى الخير كقولهم لو كان خيرا ما سبقونا اليه واللام
للعاقبة او للتعليل على ان فتنا متضمن معنى خذلنا اليس الله باعلم بالشاكرين بمن يقع منه الايمان
والشكر فيوفقه وبمن لا يقع منه فيخذله واذا جاءك الذين يؤمنون باياتنا فقل سلام عليكم
كتب ربكم على نفسه الرحمة الذين يؤمنون هم الذين يدعون ربهم وصفهم بالايمان بالقرآن
واتباع الحجج بعد ما وصفهم بالمواظبة على العبادة وامره بان يبدأ بالتسليم او يبلغ سلام الله
اليهم ويبشرهم بسعة رحمته وفضله بعد النهي عن طردهم ايذانا بانهم الجامعون لفضيلتي العلم
والعمل ومن كان كذلك ينبغي ان يقرب ولا يطرد ويعز ولا يذل ويبشر من الله بالسلامة في الدنيا والرحمة
في الآخرة وقيل ان قوما جاؤا الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقالوا انا اصبنا ذنوبا عظاما فلم يرد عظاما
عليهم شيئا فانصرفوا فنزلت انه من عمل منكم سوءا استئناف بتفسير الرحمة وقرأ نافع وابن عامر وعاصم
ويعقوب بالفتح على البدل منها بجهالة في موضع الحال اي من عمل ذنبا جاهلا بحقيقة ما يتبعه من المضار
والمفاسد كعمر رضي الله تعالى عنه فيما اشار اليهم او ملتبسا بفعل الجهلة فان ارتكاب ما يؤدي الى
الضرر من افعال اهل السفه والجهل ثم تاب من بعده من بعد العمل او السوء واصلح بالتدارك
والعزم على ان لا يعود اليه فانه غفور رحيم فتحه من فتح الاول غير نافع على اضمار مبتدأ او خبر اي
فامره او فعله غفرانه وكذلك ومثل ذلك التفصيل الواضح نفصل الآيات آيات القرآن
في صفة المطيعين والمجرمين المصرين منهم والاوابين ولتستبين سبيل المجرمين قرأ نافع

بالتاء

بالتاء ونصب السبيل على معنى ولتستوضح يا محمد سبيلهم فتعامل كلا منهم بما يحق له فصلنا هذا
التفصيل وابن كثير وابن عامر وابو عمرو ويعقوب وحفص عن عاصم برفعه على معنى ولتبين سبيلهم
والباقون بالياء والرفع على تذكير السبيل فانه يذكر ويؤنث ويجوز ان يعطف على علة مقدرة اي
نفصل الآيات ليظهر الحق وليستبين قل اني نهيت صرفت وزجرت بما نصب لي من الادلة وانزل
علي من الآيات في امر التوحيد ان اعبد الذين تدعون من دون الله عن عبادة ما تعبدون من دون
الله او ما تدعونها آلهة او تسمونها قل لا اتبع اهواءكم تأكيد لقطع اطماعهم واشارة الى الموجب
للنهي وعلة الامتناع عن متابعتهم واستجهال لهم وبيان لمبدأ ضلالهم وان ما هم عليه هوى وليس
بهدى وتنبيه لمن تحرى الحق على ان يتبع الحجة ولا يقلد قد ضللت اذا اي ان اتبعت اهواءكم
فقد ضللت وما انا من المهتدين اي وما انا في شيء من الهدى حتى اكون من عدادهم وفيه تعريض
بانهم كذلك قل اني على بينة تنبيه على ما يجب اتباعه بعد ما بين ما لا يجوز اتباعه والبينة
الدلالة الواضحة التي تفصل الحق من الباطل وقيل المراد بها القرآن والوحي والحجج العقلية او
ما يعمهما من ربي من معرفته انه لا معبود سواه ويجوز ان يكون صفة لبينة وكذبتم به الضمير
لربي اي كذبتم به حيث اشركتم به غيره او للبينة باعتبار المعنى ما عندي ما تستعجلون به يعني العذاب
الذي استعجلوه بقولهم فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم ان الحكم الا لله
في تعجيل العذاب وتأخيره يقص الحق اي القضاء الحق او يصنع الحق ويديره من قولهم قضى الدرع
اذا صنعها فيما يقضي من تعجيل وتأخير واصل القضاء الفصل بتمام الامر واصل الحكم المنع فكانه منع
الباطل وقرأ ابن كثير ونافع وعاصم يقص من قص الاثر او قص الخبر وهو خير الفاصلين اي القاضين
قل لو ان عندي اي في قدرتي ومكنتي ما تستعجلون به من العذاب لقضي الامر بيني وبينكم لو بيان
لاهلكتكم عاجلا غضبا لربي وانقطع ما بيني وبينكم والله اعلم بالظالمين في معنى الاستدراك
كانه قال ولكن الامر الى الله تعالى وهو اعلم بمن ينبغي ان يؤخذ وبمن ينبغي ان يمهل منهم
وعنده مفاتح الغيب خزائنه جمع مفتح بفتح الميم وهو المخزن او ما يتوصل به الى المغيبات
مستعار من المفاتيح التي هو جمع مفتح بالكسر وهو المفتاح ويؤيده ان قرئ مفاتيح والمعنى
انه المتوصل الى المغيبات المحيط علمه بها لا يعلمها الا هو فيعلم اوقاتها وما في تعجيلها او تأخيرها

من الحكم فيظهرها على ما اقتضته حكمته وتعلقت به مشيته وفيه دليل على انه تعالى يعلم
الاشياء قبل وقوعها ويعلم ما في البر والبحر عطف الاخبار عن تعلق علمه تعالى
بالمشاهدات على الاخبار عن اختصاص العلم بالمغيبات به وما تسقط من ورقة الا يعلمها
مبالغة في احاطة علمه بالجزئيات وللاحبة في ظلمات الارض وللارطب ولا يابس الا معطوفا
على ورقة وقوله الا في كتاب مبين بدل من الاستثناء الاول بدل الكل على ان الكتاب
المبين علم الله او بدل الاشتمال ان اريد به اللوح وقرئت بالرفع للعطف على محل ورقة
او للابتداء والخبر الا في كتاب مبين وهو الذي يتوفيكم بالليل ينيمكم فيه ويراقبكم
استعير التوفي من الموت للنوم لما بينهما من الشاركة في زوال الاحساس والتمييز فان
اصله قبض الشئ بتمامه ويعلم ما جرحتم بالنهار كسبتم فيه خص الليل بالنوم
والنهار بالكسب جريا على المعتاد ثم يبعثكم يوقظكم اطلق البعث ترشيحا للتوفي
فيه في النهار ليقضى اجل مسمى ليبلغ المنتفظ آخر اجله المسمى له في الدنيا
ثم اليه مرجعكم بالموت ثم ينبئكم بما كنتم تعملون بالمجازات عليه وقيل الاية خطاب
للكفرة والمعنى انكم ملقون كالجيف بالليل وكاسبون للاثام بالنهار وانه تعالى يطلع
على اعمالكم يبعثكم من القبور في شأن ذلك الذي قطعتم به اعماركم من النوم بالليل
وكسب الاثام بالنهار ليقضى الاجل الذي سماه وضربه لبعث الموتى وجزائهم على اعمالهم
ثم اليه مرجعكم بالحساب ثم ينبئكم بما كنتم تعملون بالجزاء وهو القاهر فوق عباده ويرسل
عليكم حفظة ملائكة تحفظ اعمالكم وهم الكرام الكاتبون والحكمة فيه ان المكلف اذا علم
ان اعماله تكتب عليه وتعرض على رؤس الاشهاد كان ازجر عن المعاصي وان العبد اذا وثق
بلطف سيده واعتمد على عفوه وستره لم يحتشم منه احتشامه من خدمه المتطلعين
عليه حتى اذا جاء احدكم الموت توفته رسلنا ملك الموت واعوانه وقرئ حمزة توفاه بالف ممالة وهم
لا يفرطون بالتواني والتاخير وقرئ بالتخفيف والمعنى لا يجاوزون ما حد لهم بزيادة او نقصان
ثم ردوا الى الله الى حكمه وجزائه مولاهم الذي يتولى امرهم الحق العدل الذي لا يحكم الا بالحق
وقرئ بالنصب على المدح الا له الحكم يومئذ لا حكم لغيره فيه وهو اسرع الحاسبين

يحاسب الخلق في مقدار حلب شاة لا يشغله حساب عن حساب قل من ينجيكم من ظلمات البر
والبحر من شدائدهما استعيرت الظلمات للشدة لما شاركتها في الهول وابطال الابصار قيل
لليوم الشديد يوم مظلم ويوم ذو كواكب او من الخسف في البر والغرق في البحر وقرئ ينجيكم
بالتخفيف والمعنى واحد تدعونه تضرعا وخفية معلنين ومسرين او اعلانا واسرارا
وقرئ خفية بالكسر لئن انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين على ارادة القول اى تقولون
لئن انجيتنا وقرئ الكوفيون لئن انجانا ليوافق قوله تدعونه وهذه اشارة الى الظلمة قل الله
ينجيكم منها شدده الكوفيون وهشام وخففه الباقون ومن كل كرب غم سواها ثم
انتم تشركون تعودون الى الشرك والاتون بالعهد وانما وضع تشركون موضع لا تشكرون
تنبيها على ان من اشرك في عبادة الله تعالى فكانه لم يعبده قط قل هو القادر على ان يبعث
عليكم عذابا من فوقكم كما فعل بقوم نوح ولوط واصحاب الفيل او من تحت ارجلكم كما غرق
فرعون وخسف بقارون وقتل من فوقكم اكابركم وحكامكم ومن تحت ارجلكم سفلتكم و
عبيدكم او يلبسكم يخلطكم شيعا فرقا متحزبين على اهواء شتى فينشب القتال بينكم قال و
كتيبة لبستها بكتيبة حتى اذا التبست نفضت لها يدي ويذيق بعضكم باس بعض
يقاتل بعضكم بعضا انظر كيف نصرف الايات بالوعد والوعيد لعلهم يفقهون وكذب به
قومك اى بالعذاب وبالقرآن وهو الحق الواقع لا محالة او الصدق قل لست عليكم
بوكيل بحفيظ وكل الى امركم فامنعكم من التكذيب واجازيكم انما انا منذر والله الحفيظ
لكل نبأ خبر يريد به اما العذاب او الايعاد به مستقر وقت استقرار ووقوع وسوف تعلمون
عند وقوعه في الدنيا او في الاخرة واذا رايت الذين يخوضون في اياتنا بالتكذيب والاستهزاء
بها والطعن فيها فاعرض عنهم فلا تجالسهم وقم عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره اعاد
الضمير على معنى الايات لانها القرآن واما ينسينك الشيطان بان يشغلك بوسوسته
حتى تنسى النهي وقرأ ابن عامر ينسينك بالتشديد فلا تقعد بعد الذكرى بعد ان تذكره
مع القوم الظالمين اى معهم فوضع الظاهر موضعه دلالة على انهم ظلموا بوضع التكذيب
والاستهزاء موضع التصديق والاستعظام وما على الذين يتقون وما يلزم المتقين

يفقهون بيان

من قبايح اعمالهم واقوالهم الذين يجالسونهم من حسابهم من شئ شئ مما يحاسبون
عليه من قبايح اعمالهم واقوالهم ولكن ذكرى ولكن عليهم ان يذكروهم ذكرى و
يمنعوهم عن الخوض وغيره من القبائح ويظهروا كراهتها وهو يحتمل النصب على المصدر
والرفع على ولكن عليهم ذكرى ولايجوز عطفه على محل من شئ لان من حسابهم يأباه ولا على شئ
لذلك ولان من للاستزادة بعد الاثبات لعلهم يتقون يجتنبون ذلك حياء اوكراهة لمساءتهم
ويحتمل ان يكون الضمير للذين يتقون والمعنى لعلهم يثبتون على تقواهم ولا تتثلم بمجالستهم
روى ان المسلمين قالوا لئن كنا نقوم كلما استهزؤا بالقرآن لم نستطع ان نجلس في المسجد
ونطوف فنزلت وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا اى بنوا امر دينهم على التشهى وتديّنوا
بما لايعود عليهم بنفع عاجلا وآجلا كعبادة الاصنام وتحريم البحائر والسوائب واتخذوا
دينهم الذى كلفوه لعبا ولهوا حيث سخروا به وجعلوا عيدهم الذى جعل ميقات عبادهم
زمان لهو ولعب والمعنى اعرض ولا تبال بافعالهم واقوالهم ويجوز ان يكون تهديدا لهم
كقوله تعالى ذرنى ومن خلقت وحيدا ومن جعله منسوخا بآية السيف حملا على الامر بالكف
عنهم وترك التعرض لهم وغرتهم الحياة الدنيا حتى انكروا البعث وذكر به اى بالقرآن
ان تبسل نفس بما كسبت مخافة ان تسلم الى الهلاك وترتهن بسوء عملها واصل الابسال
والبسل المنع ومنه الاسد باسل لان فريسته لا تفلت منه والباسل الشجاع لامتناعه من
قرنه وهذا بسل عليك اى حرام ليس لها من دون الله ولى ولا شفيع يدفع عنها العذاب و
ان تعدل كل عدل وان تفد كل فداء والعدل الفدية لانها تعادل المفدى وبهما الفداء
وكل نصب على المصدر لايؤخذ منها الفعل مسندا الى منها لا الى ضميره بخلاف قوله ولا يؤخذ
منها عدل فانه المفدى به اولئك الذين ابسلوا بما كسبوا اى سلموا الى العذاب بسبب
اعمالهم القبيحة وعقائدهم الزائغة لهم شراب من حميم وعذاب اليم بما كانوا يكفرون تأكيد
وتفصيل لذلك والمعنى هم بين ماء مغلى يتجرجر في بطونهم ونار تشتعل بابدانهم بسبب
كفرهم قل اندعوا اى نعبد من دون الله مالا ينفعنا ولا يضرنا مالا يقدر على نفعنا وضرنا
ونرد على اعقابنا ونرجع الى الشرك بعد اذ هدانا الله فانقذنا منه ورزقنا الاسلام

كالذى

استهوته الشياطين كالذى ح

كالذى ذهبت به مردة الجن الى المهامه استفعال من هوى يهوى هويا اذا ذهب وقرأ
حمزة استهواه بالف ممالة ومحل الكاف النصب على الحال من فاعل نرد اى مشبهين بالذى
استهوته او على المصدر اى ردا مثل رد الذى استهوته في الارض حيران ميحر اضالا عن
الطريق له اصحاب لهذا المستهوى رفقة يدعونه الى الهدى الى ان يهدوه الطريق المستقيم
او الى الطريق المستقيم وسماه هدى تسمية للمفعول بالمصدر ائتنا يقولون له ائتنا قل ان
هدى الله الذى هو الاسلام هو الهدى وحده وما عداه ضلال وامرنا لنسلم لرب العالمين
من جملة المقول عطف على ان هدى الله واللام لتعليل الامر اى امرنا بذلك وقيل هى بمعنى
الباء وقيل هى زائدة وان اقيموا الصلاة واتقوه عطف على لنسلم اى لنسلم للاسلام
واقامة الصلاة او على موقعه كانه قيل وامرنا ان نسلم وان اقيموا روى ان عبد الرحمن
بن ابى بكر دعا اباه الى عبادة الاوثان فنزلت وعلى هذا كان امر
الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم بهذا القول اجابة عن الصديق تعظيما لشانه و
اظهارا للاتحاد الذى كان بينهما وهو الذى اليه تحشرون يوم القيمة وهو الذى
خلق السموات والارض بالحق قائما بالحق والحكمة ويوم يقول كن فيكون قوله الحق
جملة اسمية قدم فيها الخبر اى قوله الحق يوم يقول كقولك القتال يوم الجمعة والمعنى انه
الخالق للسموات والارض وقوله الحق نافذ في الكائنات وقيل يوم منصوب بالعطف على
السموات او على الهاء واتقوه او بمحذوف دل عليه بالحق وقوله الحق مبتدأ وخبر وفاعل
يكون على معنى وحين يقول لقوله الحق اى لقضائه كن فيكون والمراد به حين يكون الاشياء
ويحدثها او حين تقوم القيامة فيكون التكوين حشر الاموات واحياءها وله الملك يوم
ينفخ في الصور كقوله لمن الملك اليوم لله الواحد القهار عالم الغيب والشهادة اى هو
عالم الغيب وهو الحكيم الخبير كالفذلكة للاية واذ قال ابراهيم لابيه آزر هو عطف
بيان لابيه وفي كتب التواريخ ان اسمه تارح فقيل هما علمان له كاسرائيل ويعقوب وقيل
العلم تارح وآزر وصف معناه الشيخ او المعوج ولعل منع صرفه لانه اعجمى حمل على موازنه او
نعت مشتق من الازر او الوزر والاقرب انه علم اعجمى على فاعل كعابر وشالخ وقيل اسم

صنم يعبده فلقب به للزوم عبادته او اطلق عليه بحذف المضاف وقيل المراد به الصنم ونصبه
بفعل مضمر يفسره ما بعده اى اتعبد آزر ثم قال اتتخذ اصناما آلهة تقريرا
F ويدل عليه ان قرئ ازرا اتتخذ اصناما بفتح همزة ازر وكسرها وهو اسم صنم وقرئ يا عقو
بالضم على النداء وهو يدل على انه علم انى اريك وقومك فى ضلال عن الحق مبين ظاهر
الضلالة وكذلك نرى ابراهيم ومثل هذا التبصير تبصرة وهو حكاية حال ماضية
وقرئ ترى بالتاء ورفع الملكوت ومعناه تبصره دلائل الربوبية ملكوت السموات
والارض ربوبيتها وملكها وقيل عجائبها وبدائعها والملكوت اعظم الملك والتاء فيه
للمبالغة وليكون من الموقنين اى ليستدل او ليكون او فعلنا ذلك ليكون فلما جن
عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربى تفصيل وبيان لذلك وقيل عطف على قال ابراهيم وكذلك
نرى اعتراض فان اباه وقومه كانوا يعبدون الاصنام والكواكب فاراد ان ينبههم
على ضلالتهم ويرشدهم الى الحق من طريق النظر والاستدلال وجن عليه الليل ستره
بظلامه والكوكب كان الزهرة او المشترى وقوله هذا ربى على سبيل الوضع فان المستدل
على فساد قول يحكيه على ما يقوله الخصم ثم يكر عليه بالافساد او على وجه النظر والاستدلال
وانما قاله زمان مراهقته او اول اوان بلوغه فلما افل اى غاب قال لا احب الآفلين
فضلا عن عبادتهم فان الانتقال والاحتجاب بالاستتار يقتضى الامكان والحدوث وينافى
الالوهية فلما رأى القمر بازغا مبتدئا فى الطلوع قال هذا ربى فلما افل قال لئن لم يهدنى
ربى لاكونن من القوم الضالين استمجز نفسه واستعان بربه فى درك الحق فانه لا يهتدى
اليه الا بتوفيقه ارشاد للقومه وتنبيه لهم على ان القمر ايضا لتغير حاله لا يصلح للالوهية
وان من اتخذه الها فهو ضال فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربى ذكر اسم الاشارة
لتذكير الخبر وصيانة له عن شبهة التانيث هذا اكبر كبره استدلالا او اظهارا للشبهة
للخصم فلما افلت قال يا قوم انى برئ مما تشركون من الاجرام المحدثة المحتاجة الى محدث
يحدثها ومخصص يخصصها بما تختص به ثم لما تبرأ عنها توجه الى موجدها ومبدعها الذى
دلت هذه الممكنات عليه فقال انى وجهت وجهى للذى فطر السموات والارض حنيفا وما

من المشركين وانما احتج بالافول دون البزوغ مع انه ايضا انتقال لتعدد دلالته
ولانه رأى الكوكب الذى يعبدونه فى وسط السماء حين حاول الاستدلال وحاجه قومه
وخاصموه فى التوحيد قال اتحاجونى فى الله فى وحدانيته وقرئ نافع وابن عامر بتخفيف
النون وقد هدانى الى توحيده ولا اخاف ما تشركون به اى لا اخاف معبوداتكم
فى وقت لانها لا تضر بنفسها ولا تنفع الا ان يشاء ربى شيئا ان يصيبنى بمكروه من جهتها
ولعله جواب لتخويفهم اياه من آلهتهم وتهديدهم بعذاب الله وسع ربى كل شىء علما كانه علة
الاستثناء اى احاط به علما فلا يبعد ان يكون فى علمه ان يجىء لى مكروه من جهتها افلا تتذكرون
فتميزوا بين الصحيح والفاسد والقادر والعاجز وكيف اخاف ما اشركتم ولا يتعلق به ضر
ولا تخافون انكم اشركتم بالله وهو حقيق بان يخاف منه كل الخوف لانه اشراك للمصنوع بالصانع
وتسوية بين المقدور العاجز بالقادر الضار النافع فما لم ينزل به عليكم سلطانا ما لم ينزل باشراكه
كتابا او لم ينصب عليه دليلا فاى الفريقين احق بالامن اى الموحدون او المشركون وانما يعلم
اينا اقام انتم احتراز لمن تزكية نفسه ان كنتم تعلمون ما يحق ان يخاف منه الذين امنوا ولم يلبسوا
ايمانهم بظلم اولئك لهم الامن وهم مهتدون استئناف منه عليه السلام او من الله بالجواب عما
استفهم عنه والمراد بالظلم ههنا الشرك لما روى ان الاية لما نزلت شق ذلك على الصحابة وقالوا اينا
لم يظلم نفسه فقال عليه الصلاة والسلام ليس ما تظنون انما هو ما قال لقمان لابنه يا بنى لا تشرك
بالله ان الشرك لظلم عظيم وليس الايمان بان يصدق بوجود الصانع الحكيم ويخلط بهذا التصديق
الاشراك به وقيل المعصية وتلك اشارة الى ما احتج به ابراهيم على قومه من قوله فلما جن عليه الليل
الى قوله وهم مهتدون او من قوله اتحاجونى اليه حجتنا آتيناها ابراهيم ارشدناه اليها او علمناه
اياها على قومه متعلق بحجتنا ان جعل خبر تلك وبمحذوف ان جعل بدلا اى اتيناها ابراهيم
حجة على قومه نرفع درجات من نشاء فى العلم والحكمة وقرئ الكوفيون ويعقوب بالتنوين
ان ربك حكيم فى دفعه وخفضه عليم بحال من يرفعه واستعداده له ووهبنا له اسحق
ويعقوب كلا هدينا اى كلا منهما ونوحا هدينا من قبل اى من قبل ابراهيم عد هداه نعمة
على ابراهيم من حيث انه ابوه وشرف الوالد يتعدى الى الولد ومن ذريته الضمير لابراهيم

ناقص اوراق
٢٦
تكملة

اذ الكلام فيه وقيل لنوح لانه اقرب ولان يونس ولوطا ليسا من ذرية ابراهيم فلو كان لابراهيم
اختص البيان بالمعدودين في تلك الاية والتي بعدها والمذكورون في الاية الثالثة عطف عليه نوحا
داود وسليمان وايوب ايوب بن آموص من اسباط عيصا بن اسحق ويوسف وموسى
وهرون وكذلك نجزي المحسنين اى ونجزي المحسنين جزاء مثل ما جزينا ابراهيم برفع
درجاته وكثرة اولاده والنبوة فيهم وزكريا ويحيى وعيسى هو ابن مريم وفي ذكره دليل
على ان الذرية تتناول اولاد البنت والياس قيل هو ادريس جد نوح عليهما السلام
فيكون البيان مخصوصا بمن في الاية الاولى وقيل هو من اسباط هرون اخي موسى عليهما السلام
كل من الصالحين الكاملين في الصلاح وهو الاتيان بما ينبغي والتحرز عما لا ينبغي واسمعيل
واليسع هو اليسع ابن اخطوب وقرأ حمزة والكسائي واليسع وعلى القراءتين علم اعجمي ادخل
عليه اللام كما ادخل اليزيد في قوله رأيت الوليد بن اليزيد مباركا شديدا باعباء الخلافة كاهله *
ويونس هو يونس بن متى ولوطا هو لوط بن هاران ابن اخي ابراهيم وكلا فضلنا على العالمين
بالنبوة وفيه دليل على فضلهم على من عداهم من الخلق ومن آبائهم وذرياتهم واخوانهم عطف على
كلا او نوحا اى فضلنا كلا منهم او هدينا هؤلاء وبعض آبائهم وذرياتهم واخوانهم فان منهم
من لم يكن نبيا ولا مهديا واجتبيناهم عطف على فضلنا او هدينا وهديناهم الى صراط
مستقيم تكرير لبيان ما هدوا اليه ذلك هدى الله اشارة الى ما دانوا به يهدي به من يشاء
من عباده دليل على انه تعالى متفضل بالهداية ولو اشركوا اى ولو اشرك هؤلاء الانبياء مع
فضلهم وعلوشانهم لحبط عنهم ما كانوا يعملون لكانوا كغيرهم في حبوط اعمالهم بشروط
ثوابها اولئك الذين اتيناهم الكتاب يريد به الجنس والحكم الحكمة او فصل الامر
على ما يقتضيه الحق والنبوة والرسالة فان يكفر بها اى بهذه الثلاثة هؤلاء يعني قريشا
فقد وكلنا بها اى بمراعاتها قوما ليسوا بها بكافرين وهم الانبياء المذكورون
ومتابعوهم وقيل هم الانصار او اصحاب النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم او كل من امن به او الفرس وقيل الملائكة عليهم
السلام اولئك الذين هدى الله يريد الانبياء المتقدم ذكرهم

فبهديهم اقتده فاختص طريقتهم بالاقتداء والمراد بهديهم ما توافقوا عليه من التوحيد
واصول الدين دون الفروع المختلف فيها فانها ليست هدى مضافا الى الكل ولا يكمل التأسي
بهم جميعا فليس فيه دليل على انه عليه السلم متعبد بشرع من قبله والهاء في اقتده
للوقف ومن اثبتها في الدرج ساكنة كابن كثير ونافع وابي عمرو وعاصم اجرى الوصل
مجرى الوقف واشبعها ابن عامر على انها كناية المصدر لا اسألكم عليه اى على التبليغ
او القرآن اجرا جعلا من حطامكم كما لم يسأل من قبلي من النبيين وهذا من جملة ما امر
بالاقتداء بهم فيه ان هو اى التبليغ او القرآن او العرض الا ذكرى للعالمين الا
تذكيرا او عظة لهم وما قدروا الله حق قدره وما عرفوه حق معرفته في الرحمة والانعام
على العباد اذ قالوا ما انزل الله على بشر من شيء حين انكروا الوحي وبعثة الرسل وذلك من عظائم
رحمته وجلائل نعمته او ذما للسخط على الكفار وشدة البطش بهم حين جسروا على هذه
المقالة والقائلون هم اليهود فلو اذا لك مبالغة في انكار انزال القرآن بدليل نقض
كلامهم والزامهم بقوله قل من انزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس
وقراءة الجمهور تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا بالتاء وانما قراء بالياء ابن كثير
وابو عمرو حملا على قالوا وما قدروا وتضمين ذلك توبيخهم على سوء حملهم للتوراة وذمهم
على تجزيتها بابداء بعض اثباتها وكتبوه في ورقات متفرقة واخفاء بعض لا لشبهة لهم روي
ان مالك بن الصيف قاله لما اغضبه الرسول بقوله انشدك بالذي انزل التوراة
على موسى هل تجد فيها ان الله يبغض الحبر السمين فانت الحبر السمين وقيل هم المشركون
والزامهم بانزال التوراة لانه كان من المشهورات القائعة عندهم ولذلك كانوا يقولون لو انا
انزل علينا الكتاب لكنا اهدى منهم وعلمتم على لسان محمد ما لم تعلموا انتم ولا اباؤكم
زيادة على ما في التوراة وبيانا لما التبس عليكم وعلى آبائكم الذين كانوا اعلم منكم ونظيره ان هذا
القرآن يقص على بني اسرائيل اكثر الذي هم فيه يختلفون وقيل الخطاب لمن آمن من قريش
قل الله اى انزل الله والله انزل امن بان يجيب عنهم استعارة بان الجواب متعين لا يمكن
غيره وتلبيتها على انهم بهتوا بحيث لا يقدرون على الجواب ثم ذرهم في خوضهم في اباطيلهم

مطلب
الذرية تتناول ولد البنت

مطلب
في الصلاح

فلا عليك بعد التبليغ والزام الحجة يلعبون حال من هم الاول والظرف صلة ذرهم
او يلعبون او حال من المفعول او فاعل يلعبون او من هم الثاني والظرف متصل بالاول
وهذا كتاب انزلناه مبارك كثير الفائدة والنفع مصدق الذي بين يديه يعني التوراة
او الكتب التي قبله ولتنذر ام القرى عطف على ما دل عليه مبارك اى للبركات ولتنذر
او علة محذوف اى ولتنذر اهل ام القرى انزلناه ولما سميت مكة بذلك لانها قبلة اهل
القرى وحجهم ومجتمعهم واعظم القرى شانا وقيل لان الارض دحيت من تحتها او لانها
مكان اول بيت وضع للناس وقرأ ابو بكر عن عاصم بالياء اى لينذر الكتاب ومن حولها
اى اهل الشرق والغرب والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون به وهم على صلوتهم
يحافظون فان من صدق بالآخرة خاف العاقبة ولا يزال الخوف يحمله على النظر والتدبر
حتى يؤمن بالنبي والكتاب والضمير يحتملهما ويحافظ على الطاعة وتخصيص الصلوة لانها عماد
الدين وعلم الايمان ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا فزعم انه بعثه نبيا كمسيلمة
والاسود العنسي واختلق عليه احكاما كعمرو بن لحي ومتابعيه او قال اوحي اليّ
ولم يوح اليه شيء كعبد الله بن سعد بن ابي سرح كان يكتب لرسول الله فلما نزلت
ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين فلما بلغ قوله ثم انشاناه خلقا آخر قال عبد
الله تبارك الله احسن الخالقين تعجبا من تفصيل خلق الانسان فقال عليه السلم
اكتبها فكذلك نزلت فشك عبد الله وقال لئن كان محمد صادقا لقد اوحي اليّ كما اوحي
اليه ولئن كان كاذبا لقد قلت كما قال ومن قال سانزل مثل ما انزل الله كالذين قالوا لو نشاء لقلنا
مثل هذا ولو ترى اذ الظالمون حذف مفعوله لدلالة الظرف عليه اى ولو ترى
الظالمين في غمرات الموت شدايده من غمرني الماء اذا غشيه والملائكة باسطوا ايديهم
بقبض ارواحهم كالمتقاضي لملازمته او بالعذاب اخرجوا انفسكم اى يقولون لهم اخرجوها
الينا من اجسادكم تغليظا وتعنيفا عليهم واخرجوها من العذاب وخلصوها من
ايدينا اليوم يريد به وقت الامانة او الوقت الممتد من الامانة الى الموت لانها غاية تجزون عذاب
الهون اى الهوان يريد العذاب المتضمن لشدة واهانة واضافته الى الهون لعراقته وتمكنه

وعلى كسرها

وتكذبون فيه بما كنتم تقولون على الله غير الحق كادعاء الشريك والولد او دعوى النبوة والوحي
كاذبا وكنتم عن آياته تستكبرون فلا تتأملون فيها ولا تؤمنون ولقد جئتمونا فرادى
والجزاء منفردين عن الاموال والاولاد وسائر ما آثرتموه من الدنيا او عن الاعوان والاوثان
التي زعمتم انها شفعاؤكم وهو جمع فرد والالف للتانيث كسالى وقرئ فراد كركاب وفراد
كنائب وفرادى كسكرى كما خلقناكم اول مرة بدل منه اى على الهيئة التي ولدتم عليها في الانفراد
او حال ثانية ان جوز التعدد فيها او حال من الضمير في فرادى اى مشبهين ابتداء خلقكم عراة
حفاة غرلا او صفة مصدر جئتمونا اى مجيئا كخلقنا لكم وتركتم ما خولناكم ما تفضلنا
به عليكم في الدنيا فشغلتم به عن الآخرة وراء ظهوركم ما قدمتم منه شيئا ولم تحملوا
نقيرا وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم انهم فيكم شركاء اى شركاء الله في ربوبيتكم واستحقاق
عبادتكم لقد تقطع بينكم اى تقطع وصلكم وتشتت جمعكم والبين من الاضداد
يستعمل للوصل والفصل وقيل هو الظرف فاسند اليه الفعل على الاتساع والمعنى وقع
التقطع بينكم وبينهم فحذف ما حذف وقرئ بالنصب على اضمار الفاعل
للدلالة ما قبله عليه او اقيم مقام موصوفه واصله لقد تقطع ما بينكم وقد قرئ به وضل عنكم
ضاع وبطل ما كنتم تزعمون انها شفعاؤكم او انها لا تنفع ولا تجدي ان الله فالق الحب والنوى
بالنبات والشجر وقيل المراد به الشق الذي في الحنطة والنواة يخرج الحي يريد به ما ينمو
من الحيوان والنبات ليطابق ما قبله من الميت ما لا ينمو كالنطف والحب ومخرج الميت من الحي
ومخرج ذلك من الحيوان والنبات ذكره بلفظ الاسم حملا على فالق الحب فان قولك يخرج الحي واقع
موقع البيان له ذلكم الله اى ذلكم المحيي والمميت هو الذي يحق له العبادة فانى تؤفكون
تصرفون عنه الى غيره فالق الاصباح شاق عمود الصبح عن ظلمة الليل او عن بياض النهار
او شاق ظلمة الاصباح وهو الغبش الذي يليه والاصباح في الاصل مصدر اصبح اذا دخل في الصبح
سمي به الصبح وقرئ بفتح الهمزة على الجمع وقرئ فالق بالنصب على المدح وجاعل الليل سكنا
يسكن اليه التعب بالنهار لاستراحته فيه من سكن اليها اذا اطمأن اليه استيناسا به
او يسكن فيه الخلق من قولك ليسكنوا فيه ونصبه بفعل دل عليه جاعل لا به فانه بمعنى الماضي

ويدل عليه قراءة الكوفيين وجعل الليل حملا على معنى المعطوف عليه فان فالق بمعنى فلق
ولذلك قرئ به او به على ان المراد منه جعل مستمر في الازمنة المختلفة وعلى هذا يجوز ان
يكون والشمس والقمر عطفا على محل الليل ويشهد له قراءتهما بالجر والاحسن نصبهما بجعل مقدر
وقرئ بالرفع على الابتداء والخبر محذوف اي مجعولان حسبانا اي على ادوار مختلفة تحسب
بها الاوقات ويكونان على الحسبان وهو مصدر حسب بالفتح كما ان الحسبان بالكسر مصدر
حسب بالكسر وقيل جمع حساب كشهاب وشهبان ذلك اشارة الى جعلهما حسبانا
اي ذلك التسيير بالحساب المعلوم تقدير العزيز الذي قهرهما وسيرهما على الوجه المخصوص
العليم بتدبيرهما والانفع من التداوير الممكنة لهما وهو الذي جعل لكم النجوم خلقها لكم
لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر في ظلمات الليل في البر والبحر واضافتها اليهما للملابسة
او في مشتبهات الطرق وسماها ظلمات على الاستعارة وهو افراد لبعض منافعها بالذكر
بعد ما اجملها بقوله لكم قد فصلنا الآيات بيناها فصلا فصلا لقوم يعلمون فانهم المنتفعون
وهو الذي انشأكم من نفس واحدة هو آدم فمستقر ومستودع اي فلكم استقرار في الاصلاب
او فوق الارض واستيداع في الارحام او تحت الارض او موضع استقرار واستيداع وقرأ
ابن كثير والبصريان بكسر القاف على انه اسم فاعل والمستودع مفعول اي فمنكم قار ومنكم
مستودع لان الاستقرار منا دون الاستيداع قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون ذكر مع
ذكر النجوم يعلمون لان امرها ظاهر ومع ذكر تخليق بني آدم يفقهون لان انشاءهم من نفس واحدة
وتصريفهم بين احوال مختلفة دقيق غامض يحتاج الى استعمال فطنة وتدقيق نظر وهو الذي انزل
من السماء ماء من السحاب او من جانب السماء فاخرجنا على تلوين الخطاب به بالماء نبات كل شيء
نبت كل صنف من النبات والمعنى اظهار القدرة في انبات الانواع المفننة بماء واحد كما في قوله
تسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل فاخرجنا منه من النبات او الماء خضرا شيئا اخضر
يقال اخضر وخضر كاعور وعور وهو الخارج من الحبة المتشعب نخرج منه من الخضر حبا
متراكبا وهو السنبل ومن النخل من طلعها قنوان اي واخرجنا من النخل نخلا من طلعها قنوان
او من النخل شيئا من طلعها قنوان ويجوز ان يكون من النخل خبر قنوان ومن طلعها بدل منه

والمعنى

والمعنى وحاصلة من طلع النخل قنوان وهو الاعذاق جمع قنو كصنوان جمع صنو وقرئ بضم
القاف كذئب وذؤبان وبفتحها على انه اسم جمع اذ ليس فعلان من ابنية الجمع دانية قريبة
من المتناول او ملتفة قريب بعضها من بعضها وانما اقتصر على ذكرها عن مقابلها لدلالتها عليه
وزيادة النعمة فيها وجنات من اعناب عطف على نبات كل شيء وقرئ بالرفع على الابتداء
اي ولكم او ثم جنات او من الكرم جنات ولا يجوز عطفه على قنوان اذ العنب لا يخرج من النخل
والزيتون والرمان ايضا عطف على نبات او نصب على الاختصاص لعزة هذين الصنفين عندهم
مشتبها وغير متشابه حال من الرمان او من الجميع اي بعض ذلك متشابه وبعضه غير متشابه
في الهيئة والقدر واللون والطعم انظروا الى ثمره الى ثمر كل واحد من ذلك وقرأ حمزة والكسائي
بضم الثاء والميم وهو جمع ثمرة كخشبة وخشب او ثمار ككتاب وكتب اذا اثمر اذا اخرج
ثمره كيف يثمر ضئيلا لا يكاد ينتفع به وينعه والى حال نضجه او الى نضيجه ضخيما كيف يعود
ذا نفع ولذة وهو في الاصل مصدر ينعت الثمرة اذا ادركت وقيل جمع يانع كتاجر وتجر
وقرئ بالضم وهو لغة فيه ويانعه ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون اي لآيات على وجود القادر
الحكيم وتوحيده فان حدوث الاجناس المختلفة المفننة من اصل واحد ونقلها من حال
الى حال لا يكون الا باحداث قادر يعلم تفاصيلها ويرجح ما يقتضيه حكمته مما يمكن من احوالها
ولا يعوقه عن فعله ند يعارضه او ضد يعانده ولذلك عقبه بتوبيخ من اشرك به والرد
عليه فقال وجعلوا لله شركاء الجن اي الملائكة بان عبدوهم وقالوا الملائكة بنات الله وسماهم
جنا لاجتنانهم تحقيرا لشانهم او الشياطين لانهم اطاعوهم كما يطاع الله او عبدوا الاوثان
بتسويلهم وتحريضهم او قالوا الله خالق الخير وكل نافع والشيطان خالق الشر وكل ضار كما هو رأي
الثنوية ومفعولا جعل لله شركاء والجن بدل من شركاء او شركاء الجن ولله متعلق بشركاء
او حال منه وقرئ الجن بالرفع كانه قيل من هم فقيل الجن وبالجر على الاضافة للتبيين وخلقهم
حال بتقدير قد والمعنى وقد علموا ان الله خالقهم دون الجن وليس من يخلق كمن لا يخلق وقرئ
وخلقهم عطفا على الجن اي وما يخلقونه من الاصنام او على شركاء اي وجعلوا له اختلاقهم
للافك حيث نسبوه اليه وخرقوا له افتعلوا وافتروا له وقرأ نافع بتشديد الراء

للتكثير وقرئ وخرقوا اى وزوّروا بنين وبنات فقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى
المسيح ابن الله وقالت العرب الملائكة بنات الله بغير علم من غير ان يعلموا حقيقة ما قالوا
ويروا عليه دليلا وهو في موضع الحال من الواو او المصدر اى خرقوا بغير علم سبحانه وتعالى
عما يصفون وهو انه له ولدا او شريكا بديع السموات والارض من اضافة الصفة المشبهة
الى فاعلها او الى الظرف كقولهم ثبت الغدر بمعنى انه عديم النظير فيها وقيل معناه المبدع
وقد سبق الكلام فيه ورفع على الخبر والمبتدأ محذوف او على الابتداء وخبره انى يكون له ولد
اى من اين او كيف يكون له ولد ولم تكن له صاحبة يكون منها الولد وقرئ بالياء للفصل ولان
الاسم ضمير الله او ضمير الشان وخلق كل شيء وهو بكل شيء عليم لا يخفى عليه خافية وانما لم يقل لئلا
لتطرق التخصيص الى الاول وفي الآية استدلال على نفي الولد من وجوه الاول انه من مبدعات
السموات والارض وهي مع انها من جنس ما يوصف بالولادة مبرأة عنها لاستمرارها
وطول مدتها فما قولك بان يتعالى عنها او ان ولد الشيء نظيره وهو لا نظير له فلا ولد له والثاني ان
المعقول من الولد ما يتولد من ذكر وانثى متجانسين والله تعالى منزه عن المجانسة والثالث
ان الولد كفو الوالد ولا كفو له من وجهين الاول ان كل ما عداه مخلوق فلا يكافيه والثاني
انه لذاته عالم بكل المعلومات ولا كذلك غيره بالاجماع ذلكم اشارة الى الموصوف بما سبق
من الصفات وهو مبتدأ الله ربكم لا اله الا هو خالق اخبار مترادفة ويجوز ان يكون البعض
بدلا او صفة والبعض خبرا فاعبدوه حكم مسبب عن مضمونها فان من استجمع هذه الصفات
استحق العبادة وهو على كل شيء وكيل اى وهو مع تلك الصفات متولي اموركم فكلوها اليه
وتوسلوا بعبادته الى انجاح مآربكم ورقيب على اعمالكم فيجازيكم عليها لا تدركه لا تحيط به الابصار
جمع بصر وهو حاسة النظر وقد يقال للعين من حيث انها محلها واستدل به المعتزلة على
امتناع الرؤية وهو ضعيف اذ ليس الادراك مطلق الرؤية ولا النفي في الآية عاما في الاوقات
فلعله مخصوص ببعض الحالات ولا في الاشخاص فانه في قوة قولنا الاكل يبصر يدركه
مع ان النفي لا يوجب الامتناع وهو يدرك الابصار يحيط علمه بها وهو اللطيف الخبير
فيدرك ما لا يدركه الابصار كالأبصار ويجوز ان يكون من باب اللف اى لا تدركه الابصار

لانه اللطيف وهو يدرك الابصار لانه الخبير فيكون اللطيف مستعارا من مقابله
الكثيف لما لا يدرك بالجساسة ولا ينطبع فيها قد جاءكم بصائر من ربكم البصائر جمع بصيرة
وهي للنفس كالبصر للبدن سميت به الآلة لانها تجلي لها الحق وتبصرها فمن ابصر اى ابصر
الحق وآمن به فلنفسه ابصر لان نفعه لها ومن عمي عن الحق وضل فعليها وبالها وما انا عليكم
بحفيظ وانما انا منذر والله هو الحفيظ عليكم لحفظ اعمالكم ويجازيكم عليها وهذا
كلام ورد على لسان الرسول وكذلك نصرف الآيات ومثل ذلك التصريف نصرف وهو
اجراء المعنى الدائر في المعاني المتعاقبة من الصرف وهو نقل الشيء من حال الى حال
وليقولوا درست اى وليقولوا صرفنا بالام العاقبة والدرس القراءة والتعلم
وقراء ابن كثير وابو عمرو دارست اى دارست اهل الكتاب وذاكرتهم وابن عامر ويعقوب
درست من الدروس اى قدمت هذه الآيات وعفت كقولهم اساطير الاولين وقوى درست
بضم الراء مبالغة في درست ودرست على البناء للمفعول بمعنى قرئت او عفيت ودارست
بمعنى درست او دارست اليهود محمدا وجاز اضمارهم بلا ذكر لشهرتهم بالدراسة ودرسن اى عفون
ودرس اى درس محمد ودارسات اى قديمات او ذات درس كقولهم عيشة راضية
ولنبينه اللام على اصله لان التبيين مقصود التصريف والضمير للآيات باعتبار المعنى
او للقرآن وان لم يذكر لكونه معلوما او للمصدر لقوم يعلمون فانهم المنتفعون به اتبع ما اوحي
اليك من ربك بالتدين به لا اله الا هو اعتراض اكد به ايجاب الاتباع او حال مؤكدة
من ربك بمعنى منفردا في الالوهية واعرض عن المشركين ولا تتعرض لاقوالهم ولا
تلتفت الى آرائهم ومن جعله منسوخا بآية السيف حمل الاعراض على ما يعم الكف عنهم
ولو شاء الله توحيدهم وعدم اشراكهم ما اشركوا وهو دليل على ان تعالى لا يريد ايمان الكافر
وان مراده واجب الوقوع وما جعلناك عليهم حفيظا رقيبا وما انت عليهم بوكيل لتقوم
بامورهم ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله اى ولا تذكروا آلهتهم التي يعبدونها بما فيها من القبائح
فيسبوا الله عدوا تجاوزا عن الحق الى الباطل بغير علم على جهالة بالله وبما يجب ان يذكر به
وقراء يعقوب عدوا بالكسر اعدا فلان عدوا وعدوا وعداء وعدوانا روى انه عليه السلام

كان يطعن في آلهتهم فقالوا لتنتهين عن سب آلهتنا او لنهجون آلهك فنزلت وقيل
كان المسلمون يسبونها فنهوا لئلا يكون سبهم سببا لسب الله وفيه دليل على ان الطاعة
اذا ادت الى معصية راجحة وجب تركه فان ما يؤدي الى الشر شر كذلك زينا لكل
امة عملهم من الخير والشر باحداث ما يمكنهم منه ويحملهم عليه توفيقا وتخذيلا ويجوز
تخصيص العمل بالشر وكل امة بالكفرة لان الكلام فيهم والمشبه به تزيين سب الله لهم
ثم الى ربهم مرجعهم فينبئهم بما كانوا يعملون بالمحاسبة والمجازاة عليه واقسموا بالله
جهد ايمانهم مصدر في موقع الحال والداعي لهم الى هذا القسم والتاكيد فيه التحكم على الرسول
في طلب الآيات واستحقار ما راوا منها لئن جاءتهم آية من مقترحاتهم ليؤمنن بها قل
انما الآيات عند الله هو قادر عليها يظهر منها ما يشاء وليس شيء منها بقدرتي وارادتي
وما يشعركم وما يدريكم استفهام انكار انها ان الآية المقترحة اذا جاءت لا يؤمنون
اي لا تدرون انهم لا يؤمنون انكر السبب مبالغة في نفي المسبب وفيه تنبيه على انه تعالى
انما لم ينزلها لعلمه بانها اذا جاءت لا يؤمنون بها وقيل لا مزيدة وقيل ان بمعنى لعل
اذ قرئ لعلها وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابو بكر عن عاصم ويعقوب انها بالكسر كانه قال
وما يشعركم ما يكون منهم ثم اخبرهم بما علم منهم والخطاب للمؤمنين فانهم يتمنون مجيء
الآية طمعا في ايمانهم فنزلت وقيل للمشركين اذ قرأ ابن عامر وحمزة لا تؤمنون بالتاء
وقرئ وما يشعرهم انها اذا جاءتهم فيكون انكارا لهم على حلفهم اي وما يشعرهم ان قلوبهم
ح لم تكن مطبوعة كما كانت عند نزول القرآن وغيره من الآيات فيؤمنون بها ونقلب
افئدتهم وابصارهم عطف على لا يؤمنون اي وما يشعركم انا حينئذ نقلب افئدتهم
عن الحق فلا يفقهونه وابصارهم فلا يبصرونه فلا يؤمنون بها كما لم يؤمنوا به اي بما انزل من الآيات
اول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون وندعهم متحيرين لا نهديهم هداية المؤمنين وقرئ
ويقلب ويذرهم على الغيبة وتقلب على البناء للمفعول والاسناد الى الافئدة ولو اننا نزلنا
اليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا كما اقترحوا فقالوا لولا انزل علينا
الملائكة فاتوا بآبائنا او تأتي بالله والملائكة قبيلا وقبلا جمع قبيل بمعنى كفيل اي كفلاء بما بشروا به

كفل

وانذروا

قوله وانما جاز ذلك لعمومه اشارة الى دفع سؤال مقدر وهو ان كان ذو الحال نكرة وجب تقديم الحال عليه
وههنا كذلك فلم لم يقدم عليه فاجاب بما اجاب ع

٢١١

وانذروا او جمع قبيل الذي هو جمع قبيلة بمعنى جماعات او مصدر بمعنى مقابلة كقبلا وهو قراءة
نافع وابن عامر وهو على الوجوه حال من كل وانما جاز ذلك لعمومه ما كانوا ليؤمنوا لما سبق
عليهم القضاء بالكفر الا ان يشاء الله استثناء من اعم الاحوال اي لا يؤمنون في حال الا حال مشيئة
الله ايمانهم وقيل منقطع وهو حجة واضحة على المعتزلة ولكن اكثرهم يجهلون انهم لو اتوا
بكل آية لم يؤمنوا فيقسمون بالله جهد ايمانهم على ما لا يشعرون ولذلك اسند الجهل الى اكثرهم
مع ان مطلق الجهل يعمهم او لكن اكثر المسلمين يجهلون انهم لا يؤمنون فيتمنون نزول الآية
طمعا في ايمانهم وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا اي كما جعلنا عدوا جعلنا لكل نبي
سبقك عدوا وهو دليل على ان عداوة الكفرة للانبياء بفعل الله وخلقه شياطين الانس
والجن مردة الفريقين وهو بدل من عدوا او اول مفعولي جعلنا وعدوا مفعوله الثاني ولكل متعلق
او حال منه يوحي بعضهم الى بعض يوسوس شياطين الجن الى شياطين الانس او بعض الجن الى بعض وبعض
الانس الى بعض زخرف القول الاباطيل المموهة من زخرفه اذا زينه غرورا مفعول له او مصدر
في موقع الحال ولو شاء ربك ايمانهم ما فعلوه اي ما فعلوا ذلك يعني معاداة الانبياء وايحاء
الزخارف ويجوز ان يكون الضمير للايحاء او الزخرف او الغرور وهو ايضا دليل على المعتزلة فذرهم
وما يفترون وكفرهم ولتصغى اليه افئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة عطف على غرورا ان جعل
علة او متعلق بمحذوف اي وليكون ذلك جعلنا لكل نبي عدوا والمعتزلة لما اضطروا فيه قالوا
اللام لام العاقبة او لام القسم كسرت لما لم يؤكد الفعل بالنون او لام الامر وضعفه اظهر والصغو
الميل والضمير لما له الضمير في فعلوه وليرضوه لانفسهم وليقترفوا وليكتسبوا ما هم مقترفون
من الآثام افغير الله ابتغي حكما على ارادة القول اي قل لهم يا محمد افغير الله اطلب من يحكم بيني
وبينكم ويفصل المحق منا من المبطل وغير مفعول ابتغي وحكما حال منه ويحتمل عكسه وحكما ابلغ
من حاكم فلذلك لا يوصف به غير العادل وهو الذي انزل اليكم الكتاب القرآن المعجز
مفصلا مبينا فيه الحق والباطل بحيث ينفي التخليط والالتباس وفيه تنبيه على ان القرآن
باعجازه وتقريره يغني عن سائر الآيات والذين آتيناهم الكتاب يعلمون انه منزل من ربك
بالحق تاكيد لدلالة الاعجاز على ان القرآن حق منزل من عند الله يعلم اهل الكتاب به لتصديقه

بلغ

الى شياطين

214

ما عندهم مع انه عليه السلم لم يمارس كتبهم ولم يخالط علماءهم وانما وصف جميعهم بالعلم
لان اكثرهم يعلمون ومن لم يعلم فهو متمكن منه بادنى تامل وقيل المراد مؤمنوا اهل الكتاب
وقرا ابن عامر وحفص عن عاصم منزل بالتشديد فلا تكونن من الممترين في انهم يعلمون ذلك
او في انه منزل بجحود اكثرهم وكفرهم به فيكون من باب التهييج كقوله ولا تكونن من المشركين او خطاب
الرسول كخطاب الامة وقيل الخطاب لكل احد على معنى ان الادلة لما تعاضدت على صحته فلا ينبغي
لاحد ان يمتري فيه وتمت كلمات ربك بلغت الغاية اخباره واحكامه صدقا في الاخبار
والمواعيد وعدلا في الاقضية والاحكام ونصبهما يحتمل التمييز والحال والمفعول له لا مبدل
لكلماته لا احد يبدل شيئا منها بما هو اصدق او اعدل او لا احد يقدر ان يحرفها شائعا
ذائعا كما فعل بالتورية على ان المراد بها القران فيكون ضمانا لها من الله بالحفظ كقوله وانا له
لحافظون او لا نبي ولا كتاب بعدها ينسخها ويبدل احكامها وقرا الكوفيون ويعقوب
كلمة ربك اي ما تكلم به او القرآن وهو السميع لما يقولون العليم بما يضمرون فلا يهملهم وان تطع
اكثر من في الارض اي اكثر الناس يريد الكفار او الجهال او اتباع الهوى وقيل الارض ارض
مكة يضلوك عن سبيل الله اي عن الطريق الموصل اليه فان الضال في غالب الامر لا يامر الا بما فيه
ضلال ان يتبعون الا الظن وهو ظنهم ان آباءهم كانوا على الحق او جهالاتهم او آراءهم
فان الظن يطلق على ما يقابل العلم وان هم الا يخرصون يكذبون على الله فيما ينسبون اليه
كاتخاذ الولد وجعل عبادة الاوثان وصلة اليه وتحليل الميتة وتحريم البحائر او يقدرون
انهم على شيء وحقيقته ما يقال عن ظن وتخمين ان ربك هو اعلم من يضل عن سبيله وهو
اعلم بالمهتدين اي بالفريقين ومن موصولة او موصوفة في محل النصب بفعل دل
عليه اعلم لا به فان افعل لا ينصب الظاهر في مثل ذلك او استفهامية مرفوعة بالابتداء
والخبر يضل والجملة معلق عليها الفعل المقدر وقرئ من يضل اي يضله الله فيكون من منصوبة
بالفعل المقدر او مجرورة باضافة اعلم اليه اي اعلم المضلين من قوله من يضلل الله او من اضللته
اذا وجدته ضالا والتفضيل في العلم به واحاطته بالوجوه التي يمكن تعلق العلم بها ولزومه وكونه
بالذات لا بالغير فكلوا مما ذكر اسم الله عليه مسبب عن انكار اتباع المضلين الذين يحرمون

الحلال

الحلال ويحلون الحرام والمعنى كلوا مما ذكر اسم الله على ذبحه لا مما ذكر عليه اسم غيره او مات حتف
انفه ان كنتم بآياته مؤمنين فان الايمان بها مما يقتضي استباحة ما احله الله واجتناب
ما حرمه وما لكم ان لا تاكلوا مما ذكر اسم الله عليه واي غرض لكم ان تتحرجوا عن اكله وما يمنعكم
عنه وقد فصل لكم ما حرم عليكم مما لم يحرم بقوله حرمت عليكم الميتة وقرا ابن كثير وابو
عمرو وابن عامر فصل على البناء للمفعول ونافع ويعقوب وحفص حرم على البناء للفاعل الا ما
اضطررتم اليه مما حرم عليكم فانه ايضا حلال حال الضرورة وان كثيرا ليضلون بتحليل الحرام
وتحريم الحلال وقرا الكوفيون بضم الياء والباقون بالفتح باهوائهم بغير علم بتشهيهم من غير تعلق
بدليل يفيد العلم ان ربك هو اعلم بالمعتدين المتجاوزين الحق الى الباطل والحلال الى الحرام
وذروا ظاهر الاثم وباطنه ما يعلن وما يسر او ما بالجوارح وما بالقلب وقيل الزنا
في الحوانيت واتخاذ الاخدان ان الذين يكسبون الاثم سيجزون بما كانوا يقترفون يكتسبون
ولا تاكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه ظاهر في تحريم متروك التسمية عمدا او نسيانا واليه
ذهب داود وعن احمد مثله وقال مالك والشافعي بخلافه لقوله عليه السلم ذبيحة المسلم حلال
وان لم يذكر اسم الله عليه وفرق ابو حنيفة بين العمد والنسيان واوله بالميتة او بما ذكر
غير اسم الله عليه لقوله وانه لفسق فان الفسق ما اهل لغير الله والضمير لما ويجوز ان يكون
للاكل الذي دل عليه لا تاكلوا وان الشياطين ليوحون ليوسوسون الى اوليائهم من الكفار
ليجادلوكم بقولهم تاكلون ما قتلتم انتم وجوارحكم وتدعون ما قتله الله وهو يؤيد التاويل
بالميتة وان اطعتموهم في استحلال ما حرم انكم لمشركون فان من ترك طاعة الله الى طاعة
غيره واتبعه في دينه فقد اشرك وانما حسن حذف الفاء فيه لان الشرط بلفظ الماضي
او من كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس مثل به من هداه الله وانقذه
من الضلال وجعل له نور الحجج والآيات يتامل بها في الاشياء فيميز بين الحق والباطل والمحق
والمبطل وقرا نافع ويعقوب ميتا على الاصل كمن مثله صفته وهو مبتدا وخبره في
الظلمات وقوله ليس بخارج منها حال من المستكن في الظرف لا من الهاء في مثله للفصل
وهو مثل لمن بقي على الضلالة ولا يفارقها بحال كذلك كما زين للمؤمن ايمانه زين للكافرين

ما كانوا يعملون والآية نزلت في حمزة وابي جهل وقيل في عمر او عمار وابي جهل وكذلك
جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها ليمكروا فيها اي كما جعلنا في مكة اكابر مجرميها
ليمكروا فيها جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها ليمكروا فيها وجعلنا بمعنى صيرنا ومفعولاه اكابر
مجرميها على تقديم المفعول الثاني او في كل قرية اكابر ومجرميها بدل ويجوز ان تكون مضافة اليه
ان فسر الجعل بالتمكين وافعل التفضيل اذا اضيف جاز فيه الافراد والمطابقة وكذلك قرئ
اكبر مجرميها وتخصيص الاكابر لانهم اقوى على استتباع الناس والمكر بهم وما يمكرون الا بانفسهم
لان وبال بحيق بهم وما يشعرون ذلك واذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل
ما اوتي رسل الله يعني كفار قريش لما روي انه ابا جهل قال تنازعنا بنو عبد مناف حتى
اذا صرنا كفرسي رهان قالوا منا نبي يوحى اليه والله لا نرضى به ابدا ان ياتينا وحي كما ياتيه
فنزلت الله اعلم حيث يجعل رسالاته استيناف للرد عليهم بان النبوة ليست بالنسب والمال
وانما هي بفضائل نفسانية يخص الله بها من يشاء من عباده فيجتبي لرسالته من علم
انه يصلح لها وهو اعلم بالمكان الذي فيه يضعها وقرا ابن كثير وحفص عن عاصم رسالته
سيصيب الذين اجرموا صغار وذل وحقارة بعد كبرهم عند الله يوم القيامة وقيل
تقدير من عند الله وعذاب شديد بما كانوا يمكرون بسبب مكرهم وجزاء على مكرهم فمن يرد الله
ان يهديه يعرفه طريق الحق ويوفقه للايمان يشرح صدره للاسلام فيتسع له ويفسح فيه
مجاله وهو كناية عن جعل النفس قابلة للحق مهيأة لحلوله فيها مصفاة عما يمنعه ويناقيه واليه
اشار عليه السلم حين سئل عنه فقال نور يقذفه الله في قلب المؤمن فينشرح له
وينفسح فقالوا فهل لذلك امارة يعرف بها فقال نعم الانابة الى دار الخلود والتجافي عن دار
الغرور والاستعداد للموت قبل نزوله ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا
بحيث ينبو عن قبول الحق فلا يدخله الايمان وقرا ابن كثير ضيقا بالتخفيف ونافع وابو بكر
عن عاصم حرجا بالكسر اي شديد الضيق والباقون بالفتح وصفا بالمصدر كانما يصعد في السماء
شبهه مبالغة في ضيق صدره بمن يزاول ما لا يقدر عليه فان صعود السماء مثل فيما يبعد
عن الاستطاعة ونبه به على ان الايمان يمتنع منه كما يمتنع عنه الصعود وقيل معناه كانما

يتصاعد الى السماء نبوا عن الحق وتباعدا من الهرب منه واصله يتصعد فقرئ به
وقرا ابن كثير يصعد وابو بكر عن عاصم يصاعد بمعنى يتصاعد كذلك اي كما يضيق صدره
ويبعد قلبه عن الحق يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون يجعل العذاب والخذلان عليهم ووضع الظاهر
موضع المضمر للتعليل وهذا اشارة الى البيان الذي جاء به القران او الاسلام او الى ما سبق من
التوفيق والخذلان صراط ربك الطريق الذي ارتضاه وعادته وطريقة الذي اقتضته حكمته
مستقيما لا عوج فيه او عادلا مطردا وهو حال مؤكدة كقوله وهو الحق مصدقا او مقيدة
والعامل فيها معنى الاشارة قد فصلنا الآيات لقوم يذكرون فيعلمون ان القادر هو الله
وان كل ما يحدث من خير او شر فهو بقضائه وخلقه وانه عالم باحوال العباد حكيم عاد فيما
يفعل بهم لهم دار السلام دار الله اضاف الجنة الى نفسه تعظيما لها او دار السلامة
من المكاره او دار تحيتهم فيها سلام عند ربهم في ضمانه او ذخيرة لهم عنده لا يعلم كنهها
غيره وهو وليهم موالهم وناصرهم بما كانوا يعملون بسبب اعمالهم او متولي امرهم فيتولى ايصال الخير اليهم ويوم نحشرهم جميعا نصب باضمار اذكروا او نقول والضمير لمن يحشر من الثقلين
وقرا حفص عن عاصم وروح عن يعقوب بالياء يا معشر الجن يعني الشياطين قد استكثرتم
من الانس اي من اغوائهم واضلالهم او ممنهم بان جعلتموهم اتباعكم فجنس معكم كقولهم
استكثر الامير من الجنود وقال اوليائهم من الانس الذين اطاعوهم ربنا استمتع بعضنا
ببعض اي انتفع الانس بالجن بان دلوهم على الشهوات وما يتوصل به اليها والجن
بالانس بان اطاعوهم وحصلوا مرادهم وقيل استمتاع الانس بهم انهم كانوا يعوذون
بهم في المفاوز وعند المخاوف واستمتاعهم بالانس اعترافهم بانهم يقدرون على
اجارتهم وبلغنا اجلنا الذي اجلت لنا اي البعث وهو اعتراف بما فعلوا من طاعة الشيطان
واتباع الهوى وتكذيب البعث وتحسر على حالهم قال النار مثواكم منزلكم واوثرت مثواكم
خالدين فيها حال والعامل فيها مثواكم ان جعل مصدرا ومعنى الاضافة ان جعل مكانا
الا ما شاء الله الا اوقات التي ينقلون فيها من النار الى الزمهرير وقيل الا ما شاء ربك
الخلود لكانه قيل النار مثواكم ابدا الا ما اقل اهلكم ان ربك حكيم في افعاله عليم باعمال

واحوالهم وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا نكل بعضهم الى بعض او نجعل بعضهم يتولى بعضا
فيغويهم او اولياء بعض وقرناءهم في العذاب كما كانوا في الدنيا بما كانوا يكسبون من الكفر والمعاصي
يا معشر الجن والانس الم ياتكم رسل منكم الرسل من الانس خاصة لكن لما جمعوا مع الجن في الخطاب
صح ذلك ونظيره يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان والمرجان يخرج من الملح دون العذب وتعلق
بظاهره قوم وقالوا بعث الى كل من الثقلين رسل من جنسهم وقيل الرسل من الجن رسل
الرسل اليهم لقوله ولوا الى قومهم منذرين يقصون عليكم آياتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا
يعني يوم القيامة قالوا جوابا شهدنا على انفسنا بالجرم والعصيان وهو اعتراف منهم بالكفر
واستيجاب العذاب وغرتهم الحيوة الدنيا وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين ذم لهم على سوء
نظرهم وخطاء رايهم فانهم اغتروا بالحيوة الدنيوية واللذات المخدجة واعرضوا عن الآخرة
بالكلية حتى كان عاقبة امرهم ان اضطروا الى الشهادة على انفسهم بالكفر والاستسلام
للعذاب المخلد تحذيرا للسامعين من مثل حالهم ذلك اشارة الى ارسال الرسل وهو
خبر مبتدا محذوف اي الامر ذلك ان لم يكن ربك مهلك القرى بظلم واهلها غافلون تعليل للحكم وان
مصدرية او مخففة من الثقيلة اي الامر ذلك لانتفاء ربك او لان الشان لم يكن ربك
مهلك اهل القرى بسبب ظلم فعلوه او ملتبسين بظلم او ظالما وهم غافلون لم ينبهوا
برسول او بدل من ذلك ولكل من المكلفين درجات مراتب من ثواب او عقاب وقرا
ابن عامر بالتاء على تغليب الخطاب على الغيبة وربك الغني عن العباد والعبادة
ذو الرحمة يترحم عليهم بالتكليف تكميلا لهم ويمهلهم على المعاصي وفيه تنبيه على ان
ما سبق ذكره من الارسال ليس لنفعه بل لترحمه على العباد وتاسيس لما بعده وهو قوله
ان يشا يذهبكم اي ما به اليكم حاجة ان يشا يذهبكم ايها العصاة ويستخلف من بعدكم
ما يشاء من الخلق كما انشاكم من ذرية قوم آخرين اي قرنا بعد قرن لكنه ابقاكم ترحما عليكم
انما توعدون من البعث واحواله لآت لكائن لا محالة وما انتم بمعجزين طالبكم فيه قل يا قوم
اعملوا على مكانتكم على غاية تمكنكم واستطاعتكم يقال مكن مكانة اذا تمكن ابلغ التمكن
او على ناحيتكم وجهتكم التي انتم عليها من قولهم مكان ومكانة كمقام ومقامة وقرا ابو بكر

عن عاصم

عن عاصم مكاناتكم بالجمع في كل القرآن وهو امر تهديد والمعنى اثبتوا على كفركم وعداوتكم اني
عامل ما كنت عليه من المصابرة والثبات على الاسلام والتهديد بصيغة الامر مبالغة
في الوعيد كان المهدد يريد تعذيبه مجمعا عليه فيحمله بالامر على ما يفضي به اليه وتسجيل بان
المهدد لا ياتي منه الا الشر كالمامور به الذي لا يقدر ان يتفصى عنه فسوف تعلمون من تكون
له عاقبة الدار ان جعل من استفهامية بمعنى اينا يكون له العاقبة الحسنى التي خلق الله
لها هذه الدار فمحلها الرفع وفعل العلم معلق عنه وان جعلت خبرية فالنصب بتعلمون اي
فسوف تعرفون الذي يكون له العاقبة وفيه مع الانذار انصاف في المقال وحسن الادب
وتنبيه على وثوق المنذر بانه محق وقرا حمزة والكسائي يكون بالياء لان تانيث العاقبة
غير حقيقي انه لا يفلح الظالمون وضع الظالمين موضع الكافرين لانه اعم واكثر فائدة وجعلوا اي
مشركو العرب لله مما ذرا خلق من الحرث والانعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا
لشركائنا فما كان لشركائهم فلا يصل الى الله وما كان لله فهو يصل الى شركائهم روي
انهم كانوا يعينون شيئا من الحرث والنتاج لله ويصرفونه الى الضيفان والمساكين وشيئا
منهما لآلهتهم وينفقون على سدنتها ويذبحون عندها ثم ان راوا ما عينوا لله ازكى بدلوه بما
لآلهتهم وان راوا ما لآلهتهم ازكى تركوه لها حبا لآلهتهم وفي قوله مما ذرا تنبيه على فرط
جهالتهم فانهم اشركوا الخالق في خلقه جمادا لا يقدر على شيء ثم رجحوه عليه بان جعلوا الزاكي
له وفي قوله بزعمهم تنبيه على ان ذلك مما اخترعوه لم يامرهم الله به وقرا الكسائي بالضم في الموضعين
وهو لغة فيه وقد جاء فيه الكسر ايضا كالود ساء ما يحكمون حكمهم هذا وكذلك ومثل
ذلك التزيين في قسمة القربات زين لكثير من المشركين قتل اولادهم بالواد ونحرهم لآلهتهم
شركاؤهم من الجن او من السدنة وهو فاعل زين وقرا ابن عامر زين على البناء للمفعول الذي
هو القتل ونصب الاولاد وجر الشركاء باضافة القتل اليه مفصولا بينهما بمفعوله وهو ضعيف
في العربية معدود من ضرورات الشعر كقوله فزججتها متمكنا زج القلوص ابي مزاده وقرئ
بالبناء للمفعول وجر اولادهم ورفع شركائهم باضمار فعل دل عليه زين ليردوهم ليهلكوهم
بالاغواء وليلبسوا عليهم دينهم وليخلطوا عليهم ما كانوا عليه من دين اسمعيل عليه

او ما وجب عليهم ان يتدينوا به واللام للتعليل ان كان التزيين من الشياطين وللعاقبة
ان كان من السدنة ولو شاء الله ما فعلوه اى ما فعل المشركون ما زين لهم او الشركاء التزيين
او الفريقان جميع ذلك فذرهم وما يفترون افتراهم او ما يفترونه من الافك وقالوا
هذه اشارة الى ما جعل لآلهتهم انعام وحرث حجر حرام فعل بمعنى كالذبح يستوى فيه الواحد
والكثير والذكر والانثى وقرئ حجر بالضم وحرج اى مضيق لا يطعمها الا من نشاء يعنون
خدم الاوثان والرجال دون النساء بزعمهم من غير حجة وانعام حرمت ظهورها يعنى البحائر
والسوائب والحوامى وانعام لا يذكرون اسم الله عليها فى الذبح وانما يذكرون اسماء الاصنام
عليها وقيل لا يحجون على ظهورها افتراء عليه نصب على المصدر لان ما قالوه تقول على
الله والجار متعلق بقالوا او بمحذوف هو صفة له او على الحال او المفعول له والجار متعلق
او بالمحذوف سيجزيهم بما كانوا يفترون بسببه او بدله وقالوا ما فى بطون هذه الانعام يعنون
اجنة البحائر والسوائب خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا حلال للذكور خاصة دون الاناث
ان ولد حيا لقوله وان يكن ميتة فهم فيه شركاء فالذكور والاناث فيه سواء وتانيث الخالصة
للمعنى فان ما فى معنى الاجنة ولذلك وافق عاصم فى رواية ابى بكر ابن عامر فى تكن بالتاء
وخالفه هو وابن كثير فى ميتة فنصب كغيرهم او التاء فيه للمبالغة كما فى راوية الشعر او
هو مصدر كالعافية وقع موقع الخالص وقرئ بالنصب على انه مصدر مؤكد والخبر لذكورنا
او حال من الضمير الذى فى الظرف لا من الذى فى لذكورنا ولا من الذكور لانها لا تتقدم على العامل
المعنوى ولا على صاحبه المجرور وقرئ خالص بالرفع والنصب وخالصه بالرفع والاضافة
الى الضمير على انه بدل من ما او مبتدا ثان والمراد به ما كان حيا والتذكير فى فيه لان المراد
بالميتة ما يعم الذكر والانثى فغلب الذكر سيجزيهم وصفهم اى جزاء وصفهم الكذب
على الله فى التحريم والتحليل من قوله وتصف السنتهم الكذب انه حكيم عليم قد خسر الذين
قتلوا اولادهم سفها يريد بهم العرب الذين كانوا يقتلون بناتهم مخافة السبى والفقر وقرأ
ابن كثير وابن عامر قتلوا بالتشديد لمعنى التكثير بغير علم لخفة عقلهم وجهلهم بان الله
رازق اولادهم لا هم ويجوز نصبه على الحال او المصدر وحرموا ما رزقهم الله من البحائر

ونحوها

ونحوها افتراء على الله يحتمل الوجوه المذكورة فى مثله قد ضلوا وما كانوا مهتدين الى الحق والصواب
وهو الذى انشأ جنات من الكروم معروشات مرفوعات على ما يحملها وغير معروشات ملقيات
على وجه الارض وقيل المعروشات ما غرسه الناس فعرشوه وغير معروشات ما نبت
فى البرارى والجبال والنخل والزرع مختلفا اكله ثمره الذى يؤكل فى الهيئة والكيفية والضمير
للزرع والباقى مقيس عليه او للنخل والزرع داخل فى حكمه لكونه معطوفا عليه او للجميع
على تقدير اكل ذلك او كل واحد منهما ومختلفا حال مقدرة لانه لم يكن كذلك عند الانشاء
والزيتون والرمان متشابها وغير متشابه يتشابه بعض افرادهما فى اللون والطعم ولا يتشابه
بعضها كلوا من ثمره من ثمر كل واحد من ذلك اذا اثمر وان لم يدرك ولم ينع بعد وقيل فائدته
رخصة المالك فى الاكل منه قبل اداء حق الله وآتوا حقه يوم حصاده يريد به ما كان
يتصدق به يوم الحصاد لا الزكوة المقدرة فانها فرضت بالمدينة والآية مكية وقيل
الزكوة والآية مدنية والامر بايتائها يوم الحصاد ليهتم به حتى لا يؤخر عن وقت الاداء
وليعلم ان الوجوب بالادراك لا بالتنقية وقرأ ابن كثير ونافع وحمزة والكسائى
حصاده بكسر الحاء وهو لغة فيه ولا تسرفوا فى التصدق كقوله ولا تبسطها كل البسط
انه لا يحب المسرفين لا يرتضى فعلهم ومن الانعام حمولة وفرشا عطف على جنات اى وانشأ
من الانعام ما يحمل الاثقال او ما يفرش المنسوج من شعره وصوفه ووبره وقيل
الكبار الصالحة للحمل والصغار الدانية من الارض مثل الفرش المفروش عليها كلوا مما
رزقكم الله كلوا ما حل لكم منه ولا تتبعوا خطوات الشيطان فى التحليل والتحريم من عند انفسكم
انه لكم عدو مبين ظاهر العداوة ثمانية ازواج بدل من حمولة وفرشا او مفعول كلوا ولا
تتبعوا معترض بينهما او فعل دل عليه او حال مما بمعنى مختلفة او متعددة والزوج ما معه
آخر من جنسه يزاوجه وقد يقال لمجموعهما والمراد الاول من الضأن اثنين زوجين اثنين الكبش
والنعجة وهو بدل من ثمانية وقرئ اثنان على الابتداء والضأن اسم جنس كالابل وجمعه
ضئين وهو فعيل مثل غاز وغزى ويجئ على ضأن ايضا كحارس وحرس او جمع ضائن كتاجر
وتجر وقرئ بفتح الهمزة وهو لغة فيه ومن المعز اثنين التيس والعنز وقرأ ابن كثير وابو عمرو

واجمعوا على مد الذكرين لانها همزة استفهام دخلت على همزة الوصل ليفرق بين الاستفهام والخبر فمده كوا

وابن عامر ويعقوب بالفتح وهو جمع ماعز كصاحب وصحب او حارس وحرس وقرئ معزى
قل آلذكرين ذكر الضأن وذكر المعز حرم ام الانثيين ام انثييهما ونصب الذكرين والا
نثيين بحرم اما اشتملت عليه ارحام الانثيين او ما حملت اناث الجنسين ذكرا كان او انثى نبئوني
بعلم بامر معلوم يدل على ان الله حرم شيئا من ذلك ان كنتم صادقين في دعوى التحريم عليه
ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين قل آلذكرين حرم ام الانثيين اما اشتملت عليه
ارحام الانثيين والمعنى انكار ان الله حرم من الاجناس الاربعة ذكرا او انثى او ما تحمل اناثها
ردا عليهم فانهم كانوا يحرمون ذكور الانعام تارة واناثها تارة واولادها كيف كانت تارة زاعمين
ان الله حرمها ام كنتم شهداء بل اكنتم حاضرين شاهدين اذ وصيكم الله بهذا حين وصاكم
بهذا التحريم اذ انتم لا تؤمنون بنبي فلا طريق لكم الى معرفة امثال ذلك الا المشاهدة والسماع
فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا فنسب اليه تحريم ما لم يحرم والمراد كبراءهم المقررون
لذلك او عمرو بن لحي المؤسس لذلك ليضل الناس بغير علم ان الله لا يهدي القوم الظالمين
قل لا اجد فيما اوحي الي اي في القرآن او فيما اوحي الي مطلقا وفيه تنبيه على ان التحريم
انما يعلم بالوحي لا بالهوى محرما طعاما محرما على طاعم يطعمه الا ان يكون ميتة الا ان
يكون الطعام ميتة وقرأ ابن كثير وحمزة تكون بالتاء لتأنيث الخبر وقرأ ابن عامر بالتاء
ورفع ميتة على ان كان هي التامة وقوله او دما مسفوحا عطف على ان مع ما في حيزه
اي الا وجود ميتة او دما مسفوحا اي مصبوبا كالدم في العروق لا كالكبد والطحال او لحم
خنزير فانه رجس فان الخنزير او لحمه قذر لتعوده اكل النجاسة او خبيث يخبث او فسقا
عطف على لحم خنزير وما بينهما اعتراض للتعليل اهل لغير الله به صفة له موضحة وانما سمي ما
ذبح على اسم الصنم فسقا لتوغله في الفسق ويجوز ان يكون فسقا مفعولا له من اهل وهو عطف
على يكون والمستكن فيه راجع الى ما رجع اليه المستكن في يكون فمن اضطر فمن دعته
الضرورة الى تناول شيء من ذلك غير باغ على مضطر مثله ولا عاد قدر الضرورة فان ربك غفور
رحيم لا يؤاخذه والآية محكمة لانها تدل على انه لم يجد فيما اوحي الى تلك الغاية محرما غير هذه
وذلك لا ينافي ورود التحريم في شيء آخر فلا يصح الاستدلال بها على نسخ الكتاب بخبر الواحد

مشاهدين

ولا

ولا على حل الا مع الاستصحاب وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر كل ما له اصبع كالابل
والسباع والطيور وقيل كل ذي ظفر اي مخلب وحافر وسمي الحافر ظفرا مجازا ولعل المسبب
عن الظلم تعميم التحريم ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما الثروب وشحوم الكلى والاضافة
لزيادة الربط الا ما حملت ظهورهما الا ما علقت بظهورهما او الحوايا او ما اشتمل على
الامعاء جمع حاوية او حاوياء كقاصعاء وقواصع او حوية كسفينة وسفاين وقيل هو عطف
على شحومهما واو بمعنى الواو او ما اختلط بعظم هو شحم الالية لاتصالها بالعصعص ذلك
التحريم او الجزاء جزيناهم ببغيهم بسبب ظلمهم وانا لصادقون في الاخبار او الوعد والوعيد
فان كذبوك فقل ربكم ذو رحمة واسعة يمهلكم على التكذيب فلا تغتروا
بامهاله فانه لا يهمل ولا يرد بأسه عن القوم المجرمين حين ينزل او ذو رحمة واسعة
للمطيعين وذو بأس شديد للمجرمين فاقام مقامه ولا يرد بأسه لتضمنه التنبيه
على انزال البأس عليهم مع الدلالة على انه لازب بهم لا يمكن رده عنهم سيقول الذين اشركوا
اخبار عن مستقبل ووقوع مخبره يدل على اعجازه لو شاء الله ما اشركنا ولا آباؤنا ولا
حرمنا من شيء اي لو شاء الله خلاف ذلك مشية ارتضاء لقوله فلو شاء لهديكم اجمعين لما
فعلنا نحن ولا آباؤنا ارادوا بذلك انهم على الحق المشروع المرضي عند الله لا الاعتذار
عن ارتكاب هذه القبائح بارادة الله اياها منهم حتى ينهض ذمهم به دليلا للمعتزلة
ويؤيد ذلك قوله كذلك كذب الذين من قبلهم اي مثل هذا التكذيب لك في ان الله
منع من الشرك ولم يحرم ما حرموه كذب من قبلهم الرسل وعطف آباءنا على الضمير في اشركنا
من غير تأكيد للفصل بلا حتى ذاقوا بأسنا الذي انزلنا عليهم بتكذيبهم قل هل عندكم
من علم من امر معلوم يصح الاحتجاج به على ما زعمتم فتخرجوه لنا فتظهروه لنا ان تتبعون
الا الظن ما تتبعون في ذلك الا الظن ~~تكذبون على الله وفيه دليل~~
~~على المنع من اتباع الظن~~ وان انتم الا تخرصون تكذبون على الله وفيه دليل على المنع من اتباع
الظن سيما في الاصول ولعل ذاك يعارضه قاطع اذ الآية فيه قل فلله الحجة البالغة
البينة الواضحة التي بلغت غاية المتانة والقوة على الاثبات او بلغ بها صاحبها صحة

دعواه

ثم امر صلعم بامرهم باحضار شهودهم وان كانوا شهود باطل ليلزمهم الحجة فقيل له قل هلم الخ كوا

وهي من الحج بمعنى القصد كانها تقصد اثبات الحكم وتطلبه فلو شاء لهديكم اجمعين
بالتوفيق لها والحمل عليها ولكن شاء هداية قوم وضلال آخرين قل هلم شهداءكم
احضروهم وهو اسم فعل لا يتصرف عند اهل الحجاز وفعل يؤنث ويجمع عند بني تميم واصله
عند البصريين هالم من لم اذا قصد حذفت الالف لتقدير السكون في اللام فانه الاصل
وعند الكوفيين هل ام فحذفت الهمزة بالقاء حركتها على اللام وهو بعيد لان هل لا يدخل
الامر ويكون متعديا كما في الآية ولازما كقوله هلم الينا الذين يشهدون ان الله حرم هذا
يعني قدوتهم فيه استحضرهم ليلزمهم الحجة ويظهر بانقطاعهم ضلالتهم وانه لا متمسك لهم
كمن يقلدهم ولذلك قيد الشهداء بالاضافة ووصفهم بما يقتضي العهد بهم فان شهدوا
فلا تشهد معهم فلا تصدقهم فيه وبين لهم فساده فان تسليمهم موافقة لهم في الشهادة
الباطلة ولا تتبع اهواء الذين كذبوا بآياتنا من وضع المظهر موضع المضمر للدلالة على ان مكذب الآيات
متبع الهوى لا غير وان متبع الحجة لا يكون الا مصدقا بها والذين لا يؤمنون بالآخرة كعبدة
الاوثان وهم بربهم يعدلون يجعلون له عديلا قل تعالوا امر من التعالي واصله ان يقوله
من كان في علو لمن كان في سفل فاتسع فيه بالتعميم اتل اقرأ ما حرم ربكم منصوب باتل
وما يحتمل الخبرية والمصدرية ويجوز ان يكون استفهامية منصوبة بحرم والجملة مفعول اتل
لانه بمعنى اقل اي شيء حرم ربكم عليكم متعلقة بحرم او اتل ان لا تشركوا به اي لا تشركوا ليصح
عطف الامر عليه ولا يمنعه تعليق الفعل المفسر بما حرم فان التحريم باعتبار الاوامر
يرجع الى اضدادها ومن جعل ان ناصبة فمحله النصب بعليكم على انه للاغراء او بالبدل من
ما او من عائده المحذوف على ان لا زائدة او الجر بتقدير اللام او الرفع على تقدير المتلو ان
لا تشركوا او المحرم ان لا تشركوا شيئا يحتمل المصدر والمفعول وبالوالدين احسانا اي واحسنوا
بهم احسانا وضعه موضع النهي عن الاساءة اليهما للمبالغة والدلالة على ان ترك الاساءة
في شأنهما غير كاف بخلاف غيرهما ولا تقتلوا اولادكم من املاق من اجل فقر ومن خشيته كقوله
خشية املاق نحن نرزقكم واياهم منع لموجبية ما كانوا يفعلون لاجله واحتجاج
عليه ولا تقربوا الفواحش كبائر الذنوب والزنا ما ظهر منها وما بطن بدل منه وهو مثل قوله

قدوتهم

ظاهر الاثم

ظاهر الاثم وباطنه ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق كالقود وقتل المرتد ورجم
المحصن ذلكم اشارة الى ما ذكر مفصلا وصيكم به اي بحفظه لعلكم تعقلون ترشدون
فان كمال العقل هو الرشد ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي احسن الا بالفعلة التي هي احسن ما يفعل بماله
كحفظه وتثميره حتى يبلغ اشده حتى يصير بالغا وهو جمع شدة كنعمة وانعم او شد كصر واصر
وقيل مفرد كانك واوفوا الكيل والميزان بالقسط بالعدل والتسوية لا نكلف نفسا الا وسعها
الا ما يسعها ولا يعسر عليها وذكره عقيب الامر معناه ان ايفاء الحق عسر فعليكم بما في وسعكم
وما وراءه معفو عنكم واذا قلتم في حكومة ونحوها فاعدلوا فيه ولو كان ذا قربى ولو كان
المقول له او عليه من ذوي قرابتكم وبعهد الله اوفوا يعني ما عهد اليكم من ملازمة العدل
وتأدية احكام الشرع ذلكم وصيكم به لعلكم تذكرون تتعظون به وان هذا صراطي مستقيما
الاشارة فيه الى ما ذكر في السورة فانها باسرها في اثبات التوحيد والنبوة وبيان الشريعة
وقرأ حمزة والكسائي ان بالكسر على الاستيناف وابن عامر ويعقوب بالفتح والتخفيف
والباقون به مشددة بتقدير اللام على انه علة لقوله فاتبعوه وقرأ ابن عامر صراطي بفتح
الياء وقرئ وهذا صراطي وهذا صراط ربكم وهذا صراط ربك ولا تتبعوا السبل الاديان
المختلفة او الطرق التابعة للهوى فان مقتضى الحجة واحد ومقتضى الهوى متعدد لاختلاف
الطبايع والعادات فتفرق بكم فتفرقكم وتزيلكم عن سبيله الذي هو اتباع الوحي
واقتفاء البرهان ذلكم الاتباع وصيكم به لعلكم تتقون الضلال والتفرق عن الحق
ثم آتينا موسى الكتاب عطف على وصيكم وثم للتراخي في الاخبار او للتفاوت في الرتبة
كانه قيل ذلكم وصيكم به قديما وحديثا ثم اعظم من ذلك انا آتينا موسى الكتاب تماما للكرامة
والنعمة على الذي احسن على من احسن القيام به ويؤيده ان قرئ على الذين احسنوا او على
الذي احسن تبليغه وهو موسى او تماما على ما احسنه اي اجاده من العلم والشرايع اي زيادة
على علمه اتماما له وقرئ بالرفع على انه خبر محذوف اي على الدين الذي هو احسن ما يكون عليه الكتب
وتفصيلا لكل شيء وبيانا مفصلا لكل ما يحتاج اليه في الدين وهو عطف على تماما ونصبهما
يحتمل العلة والحال والمصدر وهدى ورحمة لعلهم لعل بني اسرائيل بلقاء ربهم يؤمنون

هي احسن

هذا رصاص انك اي خالص محمل

او على الوجه الذي هو احسن

اى بلقائه للجزاء وهذا كتاب يعنى القرآن انزلناه مبارك كثير النفع فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون بواسطة اتباعه والعمل بما فيه ان تقولوا كراهة ان تقولوا علة لانزلناه انما انزل الكتاب على طائفتين من قبلنا اليهود والنصارى ولعل الاختصاص فى انما لان الباقى المشهور من الكتب السماوية لم يكن غير كتبهم وان كنا ان هى المخففة ولذلك دخلت اللام الفارقة خبر كان اى وانه كنا عن دراستهم قراءتهم لغافلين لا ندرى ما هى ولا نعرف مثلها او تقولوا عطف على الاول ولوانا انزل علينا الكتاب لكنا اهدى منهم لحدة اذهاننا وثقابة افهامنا ولذلك تلقفنا فنونا من العلم كالقصص والاشعار والخطب على انا امیون فقد جاءكم بينة من ربكم حجة واضحة تعرفونها وهدى ورحمة لمن تأمل فيه وعمل به فمن اظلم ممن كذب بآيات الله بعد ان عرف صحتها او تمكن من معرفتها وصدف اعرض او صد عنها فضل واضل سنجزى الذين يصدفون عن آياتنا سوء العذاب شدته بما كانوا يصدفون باعراضهم وصدهم هل ينظرون اى ما ينظرون يعنى اهل مكة وهم بما كانوا منتظرين لذلك ولكن لما كان يلحقهم لحوق المنتظر شبهوا بالمنتظرين الا ان تاتيهم الملائكة ملائكة الموت او العذاب وقرا حمزة والكسائى بالياء او ياتى ربك اى امره بالعذاب وكل آياته يعنى آيات القيامة والهلاك الكلى لقوله او ياتى بعض آيات ربك يعنى اشراط الساعة وعن حذيفة والبراء بن عازب كنا نتذاكر الساعة اذ اشرف علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما تذاكرون قلنا نتذاكر الساعة قال انها لا تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات الدخان ودابة الارض وخسفا بالمشرق وخسفا بالمغرب بجزيرة العرب والدجال وطلوع الشمس من مغربها ويأجوج ومأجوج ونزول عيسى عليه السلم ونارا تخرج من عدن يوم يأتى بعض آيات ربك لا ينفع نفسا ايمانها كالمحتضر اذا صار الامر عيانا والايمان برهانى وقرئ تنفع بالتاء لاضافة الايمان الى ضمير المؤنث لم تكن آمنت من قبل صفة نفسا او كسبت فى ايمانها خيرا عطف على آمنت والمعنى انه لا ينفع الايمان حينئذ نفسا غير مقدمة ايمانها او مقدمة ايمانها غير كاسبة فى ايمانها خيرا وهو دليل لمن لم يعتبر الايمان المجرد عن العمل والمعتبر تخصيص هذا الحكم بذلك اليوم وحمل الترديد على اشتراط النفع باحد الامرين على معنى لا ينفع نفسا خلت

عنها

عنها ايمانها والعطف على لم تكن بمعنى لا ينفع نفسا ايمانها الذى احدثته حينئذ وان كسبت فيه خيرا قل انتظروا انا منتظرون وعيد لهم اى انتظروا اتيان احد الثلثة فانا منتظرون له وحينئذ لنا الفوز وعليكم الويل ان الذين فرقوا دينهم بتدوه فآمنوا ببعض وكفروا ببعض وافرقوا فيه قال عليه السلم افترقت اليهود على احدى وسبعين فرقة كلها فى الهاوية الا واحدة وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة كلها فى الهاوية الا واحدة وقرا حمزة والكسائى فارقوا اى بايعوا وكانوا شيعا فرقا يشيع كل فرقة امامها لست منهم فى شىء اى من السؤال عنهم وعن تفرقهم او من عقابهم او انت برئ منهم وقيل هو نهى عن التعرض لهم وهو منسوخ بآية السيف انما امرهم الى الله يتولى جزاءهم ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون بالعقاب من جاء بالحسنة فله عشر امثالها اى عشر حسنات امثالها فضلا من الله وقرا يعقوب عشر بالتنوين امثالها بالرفع على الوصف وهذا قليل وعد من الاضعاف وقد جاء الوعد بسبعين وبغير حساب ولذلك قيل المراد بالعشر الكثرة ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها قضية للعدل وهم لا يظلمون بنقص الثواب وزيادة العقاب قل انني هدانى ربى الى صراط مستقيم بالوحى والارشاد الى ما نصب من الحج دينا بدل من محل الى صراط اذا المعنى وهدانى صراطا كقوله ويهديكم صراطا مستقيما او مفعول فعل مضمر دل عليه الملفوظ قيما فيعل من قام كسيد من ساد وهو ابلغ من المستقيم باعتبار الزنة والمستقيم باعتبار الصيغة وقرا ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائى قيما على انه مصدر نعت به وكان قياسه قوما كعوض فاعل لا علال فعله كالقيام ملة ابرهيم عطف بيان لدينا قل ان صلوتى ونسكى عبادتى كلها او قربانى او حجى ومحياى ومماتى وما انا عليه فى حيوتى واموت عليه من الايمان والطاعة او طاعات الحيّ والخيرات المضافة الى الممات كالوصية والتدبير او الحيوة والممات انفسهما وقرا نافع محياى باسكان الياء اجراء للوصل مجرى الوقف لله رب العالمين لا شريك له خالصة له لا اشتراك فيها غيرا وبذلك الفول والاخلاص امرت وانا اول المسلمين لان اسلام كل نبى متقدم على اسلام امته قل اغير الله ابغى ربا فاشركه

وتفرقوا استى على ثلث وسبعين فرقة كلها فى الهاوية الا واحدة وهى ما انا عليه واصحابى

حنيفا حال من ابرهيم وما كان من المشركين عطف عليه

المعنى لا يجوز لى ان اطلب سواه ربا

قالوا للنبى صلعم ارجع الى دين قومك فقال اغير الله الخ

في عبادتي وهو جواب عن دعائهم له الى عبادة آلهتهم **وهو رب كل شيء** حال في موقع
العلة للانكار والدليل اي وكل ما سواه مربوب مثلي لا يصلح للربوبية **ولا تكسب كل نفس**
الا عليها فلا ينفعني في ابتغاء رب غيره وانتم عليه من ذلك **ولا تزر وازرة وزر اخرى**
جواب عن قولهم اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم **ثم الى ربكم مرجعكم** يوم القيامة **فينبئكم**
بما كنتم فيه تختلفون بتبيين الرشد من الغي وتمييز المحق من المبطل **وهو الذي جعلكم خلائف**
الارض يخلف بعضكم بعضا او خلفاء الله في ارضه يتصرفون فيها على ان الخطاب عام
او خلفاء الامم السالفة على ان الخطاب للمؤمنين **ورفع بعضكم فوق بعض درجات**
في الشرف والغنى **ليبلوكم فيما آتيكم** من الجاه والمال **ان ربك سريع العقاب**
لان ما هو آت قريب او لانه يسرع اذا اراده **وانه لغفور رحيم** وصف العقاب ولم يضفه
الى نفسه ووصف ذاته بالمغفرة وضم اليه الوصف بالرحمة واتى ببناء المبالغة واللام
الموكدة تنبيها على انه تعالى غفور بالذات معاقب بالعرض كثير الرحمة مبالغ فيها قليل
العقوبة مسامح فيها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انزلت على سورة الانعام
جملة واحدة يشيعها سبعون الف ملك لهم زجل بالتسبيح والتحميد فمن قرأ الانعام
صلى عليه واستغفر له اولئك السبعون الف ملك بعدد كل اية يوما وليلة **سورة**
الاعراف مكية الا ثمان آيات من قوله **واسئلهم** الى قوله **واذ نتقنا** محلها الا
قوله **واعرض عن الجاهلين** وآيها مائتان وست **بسم الله**
الرحمن الرحيم المص سبق الكلام في مثله **كتاب** خبر مبتدا محذوف اي هو كتاب
او خبر المص والمراد به السورة او القرآن **انزل اليك** صفته **فلا يكن في صدرك حرج منه**
اي شك فان الشاك حرج الصدر اوضيق قلب من تبليغه مخافة ان تكذب فيه او تقصر
في القيام بحقه وتوجيه النهي اليه للمبالغة كقولهم لا ارينك ههنا والفا يحتمل العطف والجواب
فكانه قيل اذا انزل اليك لتنذر فلا يحرج صدرك منه **لتنذر به** متعلق بانزل ولا يكون
لانه اذا ايقن انه من عند الله جسر على الانذار وكذا اذا لم يخفهم او علم انه موفق للقيام بتبليغه
وذكرى للمؤمنين يحتمل النصب باضمار فعلها اي لتنذر وتذكر ذكرى فانها بمعنى التذكير

الى الميزان فينشر عليه تسعة وتسعون سجلا كل سجل مد البصر فيخرج له بطاقة فيها
كلمتا الشهادة فيوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة
وقيل يوزن الاشخاص لما روى عنه عليه السلم انه قال ليؤتى العظيم السمين يوم القيامة
لا يزن عند الله جناح بعوضة يومئذ خبر المبتداء الذى هو الوزن الحق صفته او خبر محذوف
ومعناه العدل السوى فمن ثقلت موازينه حسناته او ما يوزن به حسناته وجمعه باعتبار
اختلاف الموزونات وتعدد الوزن فهو جمع موزون او ميزان فاولئك هم المفلحون
الفائزون بالنجاة والثواب ومن خفت موازينه فاولئك الذين خسروا انفسهم
بتضييع الفطرة السليمة التى فطرت عليها في اقتراف ما عرضها للعذاب بما كانوا بآياتنا
يظلمون فيكذبون بدل التصديق ولقد مكناكم في الارض اى مكناكم من سكناها وزرعها
والتصرف فيها وجعلنا لكم فيها معايش اسبابا تعيشون بها جمع معيشة وعن نافع
انه همزه تشبيها بما الياء فيه زائدة كصحائف قليلا ما تشكرون فيما صنعت اليكم ولقد
خلقناكم ثم صورناكم اى خلقنا اباكم اى آدم طينا غير مصور ثم صورناه ثم قلنا
للملائكة اسجدوا لآدم نزل خلقه وتصويره منزلة خلق الكل وتصويره او ابتدانا خلقكم
ثم صوركم بان خلقنا آدم ثم صورناه فسجدوا الا ابليس لم يكن من الساجدين ممن سجد
لآدم قال ما منعك ان لا تسجد اى ان تسجد ولا صلة مثلها في لئلا يعلم مؤكدة معنى الفعل
الذى دخلت عليه ومنبهة على ان الموبخ عليه ترك السجود وقيل الممنوع عن الشئ مضطر
الى خلافه فكانه قيل ما اضطرك الى ان لا تسجد اذ امرتك دليل على ان مطلق
الامر للوجوب والفور قال انا خير منه جواب من حيث المعنى استانف به استبعادا
لان يكون مثله مامورا بالسجود لمثله كانه قال المانع انى خير منه ولا يحسن للفاضل ان يسجد
للمفضول فكيف يحسن ان يؤمر به فهو الذى سن التكبر وقال بالحسن والقبح العقليين
اولا خلقتنى من نار وخلقته من طين تعليل لفضله عليه وقد غلط في ذلك بان راى
الفضل كله باعتبار العنصر وغفل عما يكون باعتبار الفاعل كما اشار اليه بقوله ما منعك
ان تسجد لما خلقت بيدى اى بغير واسطة وباعتبار الصورة كما نبه عليه بقوله ونفخت فيه

نزل خلقه وتصويره منزلة خلق الكل وتصويره او ابتدانا خلقكم ثم تصويركم بان خلقنا آدم ثم صورناه صح

من روحى

من روحى فقعوا له ساجدين وباعتبار الغاية وهو ملاكه ولذلك امر الملائكة بسجوده
لما بين لهم انه اعلم منهم وان له خواص ليست لغيره والآية دليل الكون والفساد وان الشياطين اجسام
كائنة ولعل اضافة خلق الانسان الى الطين والشياطين الى النار باعتبار الجزء الغالب
قال فاهبط منها من السماء او الجنة فما يكون لك فما يصح ان تتكبر فيها وتعصى فانها مكان الخاشع
المطيع وفيه تنبيه على ان التكبر لا يليق باهل الجنة وانه تعالى انما طرده واهبطه لتكبره
لا لمجرد عصيانه فاخرج انك من الصاغرين ممن اهانه الله لكبره قال عليه السلم من تواضع لله رفعه
الله ومن تكبر وضعه الله قال انظرنى الى يوم يبعثون امهلنى الى يوم القيامة فلا تمتنى
او لا تعجل عقوبتى قال انك من المنظرين يقتضى الاجابة الى ما سأله ظاهرا لكنه محمول على
ما جاء مقيدا بقوله الى يوم الوقت المعلوم وهو النفخة الاولى او وقت يعلمه الله انتهاء اجله
فيه وفي اسعافه اليه ابتلاء العباد وتعريضهم للثواب بمخالفته قال فبما اغويتنى
اى بعد ان امهلتنى لاجتهدن في اغوائهم باى طريق يمكننى بسبب اغوائك اياى بواسطتهم
تسمية وحملا على الغى وتكليفا بما غويت لاجله والباء متعلقة بفعل القسم المحذوف لا
باقعدن فان اللام يصد عنه وقيل الباء للقسم لاقعدن لهم ترصدا كما يقعد
القطاع للسابلة صراطك المستقيم طريق الاسلام ونصبه على الظرف كقوله كما عسل الطريق
الثعلب وقيل تقديره على صراطك كقولك ضرب زيد الظهر والبطن ثم لآتينهم من بين
ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم اى من جميع الجهات مثل قصده
اياهم بالتسويل والاضلال من اى وجه يمكنه باتيان العدو من جهات الاربع ولذلك
لم يقل من فوقهم ومن تحت ارجلهم وقيل لم يقل من فوقهم لان الرحمة تنزل منه
ولم يقل من تحتهم لان الاتيان منه توحش وعن ابن عباس من بين ايديهم من قبل الآخرة
ومن خلفهم من قبل الدنيا وعن ايمانهم وعن شمائلهم من جهة حسناتهم وسيئاتهم
ويحتمل ان يقال من بين ايديهم من حيث يعلمون ويقدرون التحرز عنه ومن خلفهم
من حيث لا يعلمون ولا يقدرون وعن ايمانهم وعن شمائلهم من حيث يتيسر لهم ان يعلموا
ويتحرزوا ولكن لم يفعلوا لعدم تيقظهم واحتياطهم وانما عدى الفعل الى الاولين بحرف الابتداء لانه منهما

متوجه اليهم والى الاخيرين بحرف المجاوزة فان الآتى منهما كالمنحرف عنهم المار على عرضهم
وتطير قولهم جلست عن يمينه **ولا تجد اكثرهم شاكرين** مطيعين وانما قال ظنا لقوله **ولقد**
صدق عليهم ابليس ظنه لما رأى فيهم مبدأ الشر متعددا ومبدأ الخير واحدا وقيل سمعه
من الملائكة **قال اخرج منها مذءوما** من ذأمه اذا ذمه وقرئ مذوما كمسول في مسؤل
او كمكول في مكيل من ذامه يذيمه ذيما **مدحورا** مطرودا **لمن تبعك منهم** اللام فيه لتوطئة
القسم وجوابه **لاملأن جهنم منكم اجمعين** وهو ساد مسد جواب الشرط وقرئ لمن يكسر
اللام على انه خبر لاملأن على معنى لمن تبعك هذا الوعيد وعلة لاخرج ولاملأن جواب قسم
محذوف ومعنى منكم منك ومنهم فغلب المخاطب **ويا آدم** اى وقلنا يا آدم **اسكن انت**
وزوجك الجنة فكلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة وقرئ هذى وهو الاصل
لتصغيره على ذيا والهاء بدل من الياء **فتكونا من الظالمين** فتصيرا من الذين ظلموا انفسهم
فتكونا تحتمل الجزم على العطف والنصب على الجواب **فوسوس لهما الشيطان** اى فعل الوسوسة
لاجلهما ومعنى الاصل الصوت الخفي كالهينمة والخشخشة ومنه وسوس الحلي وقد
سبق في البقرة كيفية وسوسته **ليبدي لهما** ليظهر لهما واللام للعاقبة او للغرض
على انه اراد ايضا بان يسوءهما بانكشاف عورتهما ولذلك عبر عنها بالسوءة وفيه دليل
على ان كشف العورة في الخلوة وعند الزوج من غير حاجة قبيح مستهجن في الطباع **ما ووري**
عنهما من سوآتهما ما غطي عنهما من عوراتهما وكانا لا يريانها من انفسهما ولا احدهما
من الآخر وانما لم تقلب الواو المضمومة الهمزة في المشهور كما قلبت في اويصل تصغير واصل
لان الثانية مدة وقرئ سواتهما بحذف همزة والقاء حركتها على الواو وبقلبها واوا
وادغام الواو الساكنة فيها **وقال ما نهيكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا**
ملكين او تكونا من الخالدين الذين لا يموتون او يخلدون في الجنة واستدل به على فضل
الملائكة على الانبياء وجوابه انه كان من المعلوم ان الحقائق لا تنقلب وانما كانت رغبتهما
في ان يحصل لهما ايضا ما للملائكة من الكمالات الفطرية والاستغناء عن الاطعمة والاشربة
وذلك لا يدل على فضلهم مطلقا **وقاسمهما اني لكما لمن الناصحين** اى اقسم لهما على ذلك

واخرجه

واخرجه على زنة المفاعلة للمبالغة وقيل اقسم له بالقبول وقيل اقسم عليه بالله
انه لمن الناصحين فاقسم لهما فجعل ذلك مقاسمة **فدلاهما** فنزلهما الى الاكل من الشجرة
بغرور على انه اهبطهما بذلك من درجة عالية الى رتبة سافلة فان التدلية والادلاء ارسال
الشئ من اعلى الى اسفل **بغرور** بما غرهما به من القسم فانهما ظنا ان احدا لا يحلف بالله كاذبا
او ملتبسين بغرور **فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوآتهما** اى فلما وجدا طعمها آخذين في الاكل منها
اخذتهما العقوبة وشوم المعصية فتهافت عنهما لباسهما وظهرت لهما عوراتهما واختلف
فان الشجرة كانت السنبلة او الكرم او غيرهما وان اللباس كان نورا او حلة او ظفرا **وطفقا يخصفان**
اخذا يرقعان ويلزقان ورقة فوق ورقة **عليهما من ورق الجنة** قيل كان ورق التين وقرئ يخصفان من خصف اى يخصفان انفسهما ويخصفان من خصف
ويخصفان واصله يختصفان **وناديهما ربهما الم انهكما عن تلكما الشجرة واقل لكما**
ان الشيطان لكما عدو مبين عتاب على مخالفة النهي وتوبيخ على الاغترار بقول
العدو وفيه دليل على ان مطلق النهي للتحريم **قالا ربنا ظلمنا انفسنا** ضررناها بالمعصية
والتعرض للاخراج عن الجنة **وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين** دليل
على ان الصغائر معاقب عليها ان لم تغفر وقالت المعتزلة لا يجوز المعاقبة عليها مع
اجتناب الكبائر ولذلك قالوا انما قالا ذلك على عادة المقربين في استعظام الصغير
من السيئات واستحقار العظيم من الحسنات **قال اهبطوا** الخطاب لآدم وحواء وذريتهما
او لهما والابليس كرر الامر لتبعا ليعلم انهم قرناء واخبر عنهما قال لهم مقرقا **بعضكم لبعض**
عدو في موقع الحال اى متعادين **ولكم في الارض مستقر** استقرار وموضع استقرار
ومتاع وتمتع **الى حين** الى تقضي اجالكم **قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون**
للجزاء **يا بني آدم قد انزلنا عليكم لباسا** اى خلقناه لكم بتدبيرات سماوية واسباب
نازلة ونظيره قوله وانزل لكم من الانعام وقوله وانزلنا الحديد **يواري سوآتكم** التي قصد
الشيطان ابداءها ويغنيكم عن خصف الورق روي ان العرب كانوا يطوفون بالبيت
عراة ويقولون لا نطوف في ثياب عصينا الله فيها فنزلت ولعله ذكر قصة آدم تقدمة

لذلك حتى يعلم ان انكشاف العورة اقل سوءا صاب الانسان من الشيطان وانه اغواهم
في ذلك كما اغوى ابويهم وريشا ولباسا يتجملون به والريش الجمال وقيل ما لا ومنه
ترييش الرجل اذا تمول وقرئ رياشا وهو جمع ريش كشعب وشعاب ولباس التقوى
خشية الله وقيل الايمان وقيل السمت الحسن وقيل لباس الحرب ورفعه بالابتداء
وخبره ذلك خير او خير وذلك صفته كانه قيل ولباس التقوى المشار اليه خير وقرأ
نافع وابن عامر والكسائي بالنصب عطفا على لباسا ذلك اى انزال اللباس من آيات الله
الدالة على فضله ورحمته لعلهم يذكرون فيعرفون نعمته او يتعظون فيتورعون عن القبائح
يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان لا تمحننكم بان يمنعكم من دخول الجنة باغوائكم والنهى
في اللفظ للشيطان والمعنى نهيهم عن اتباعه والافتتان به كما اخرج ابويكم من الجنة
كما محن ابويكم بان اخرجهما منها ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوآتهما حال من ابويكم
او من فاعل اخرج واسناد النزع اليه للتسبب انه يريكم هو وقبيله من حيث لا
ترونهم تعليل للنهى وتاكيد للتحذير من فتنته وقبيله جنوده ورؤيتهم آيانا من حيث
لا نراهم في الجملة لا يقتضى امتناع رؤيتهم وتمثلهم لنا انا جعلنا الشياطين اولياء
للذين لا يؤمنون بما اوجدنا بينهم من التناسب او بارسالهم عليهم وتمكينهم من خذلانهم
وحملهم على ما سولوا لهم والآية مقصود القصة وفذلكة الحكاية واذا فعلوا فاحشة
فعلة متناهية في القبح كعبادة الصنم وكشف العورة في الطواف قالوا وجدنا عليها
آباءنا والله امرنا بها اعتذروا واحتجوا بامرين تقليد الآباء والافتراء على الله فاعرض عن
الاول لظهور فساده وردّ الثاني بقوله قل ان الله لا يامر بالفحشاء لان عادته جرت على الامر
بمحاسن الافعال والحث على مكارم الخصال ولا دلالة فيه على ان قبح الفعل بمعنى ترتب
الذم عليه آجلا عقلي فان المراد بالفاحشة ما ينفر عنه الطبع السليم ويستنقصه
العقل المستقيم وقيل هما جوابا سؤالين مترتبين كانه قيل لهم لما فعلوها
لم فعلتم فقالوا وجدنا عليها آباءنا قيل ومن اين اخذ آباؤكم فقالوا الله امرنا بها
وعلى الوجهين يمنع التقليد اذا قام الدليل على خلافه لا مطلقا اتقولون على الله ما

تعلمون انكار يتضمن النهى عن الافتراء على الله قل امر ربي بالقسط بالعدل وهو الوسط
من كل امر المتجافي عن طرفي الافراط والتفريط واقيموا وجوهكم وتوجهوا الى عبادته مستقيمين
اليها غير عادلين الى غيرها او افيموها نحو القبلة عند كل مسجد في كل وقت سجود او مكانه
وهو الصلوة او في اى مسجد حضرتكم الصلوة ولا توخروها حتى تعودوا الى مساجدكم
وادعوه واعبدوه مخلصين له الدين اى الطاعة فاة اليه مصيركم كما بدأكم
ابتداء تعودون باعادته فيجازيكم على اعمالكم وانما شبه الاعادة بالابداء تقريرا لامكانها
والقدرة عليها وقيل كما بدأكم من التراب تعودون اليه وقيل كما بدأكم حفاة عراة
غرلا تعودون وقيل كما بدأكم مؤمنا وكافرا يعيدكم فريقا هدى بان وفقهم للايمان
وفريقا حق عليهم الضلالة بمقتضى القضاء السابق وانتصابه بفعل يفسره ما بعده
اى وخذل فريقا انهم اتخذوا الشياطين اولياء من دون الله تعليل لخذلانهم وتحقيق
لضلالهم ويحسبون انهم مهتدون يدل على ان الكافر المخطئ والمعاند سواء في استحقاق
الذم وللفارق ان يحمله على المقصر في النظر يا بني آدم خذوا زينتكم ثيابكم لمواراة عوراتكم
عند كل مسجد لصلوة او طواف ومن السنة ان ياخذ الرجل احسن هيئة للصلوة
وفيه دليل على وجوب ستر العورة في الصلوة وكلوا واشربوا ما طاب لكم روي ان بني
عامر في ايام حجهم لا يأكلون الطعام الا قوتا ولا يأكلون دسما يعظمون بذلك حجهم فهم
المسلمون به فنزلت ولا تسرفوا بتحريم الحلال وبالتعدي الى الحرام وبافراط الطعام
والشره عليه وعن ابن عباس كل ما شئت والبس ما شئت ما اخطاتك خصلتان سرف
ومخيلة وقال علي بن الحسين بن واقد جمع الله الطب كله في نصف آية فقال وكلوا
واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين اى لا يرضى فعلهم قل من حرم زينة الله من الثياب
وسائر ما يتجمل به التي اخرج لعباده من النبات كالقطن والكتان والحيوان كالحرير والصوف
والمعادن كالدروع والطيبات من الرزق المستلذات من المآكل والمشارب وفيه دليل
على ان الاصل في المطاعم والملابس وانواع التجملات الاباحة لان الاستفهام في من للانكار
قل هي للذين آمنوا في الحيوة الدنيا بالاصالة والكفرة وان شاركوهم فيها فتبع خالصة

يوم القيامة لا يشاركهم فيها غيرهم وانتصابها على الحال وقرأ نافع بالرفع على انها خبر بعد خبر
كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون اى كتفصيلنا هذا الحكم نفصل سائر الاحكام لهم
قل انما حرم ربى الفواحش ما تزايد قبحه وقيل ما يتعلق بالفروج ما ظهر منها وما بطن
جهرها وسرها والاثم وما يوجب الاثم تعميم بعد تخصيص وقيل شرب الخمر والبغى الظلم
او الكبر افرده بالذكر للمبالغة بغير الحق متعلق بالبغى مؤكد له معنى وان تشركوا بالله ما لم ينزل
به سلطانا تهكم بالمشركين وتنبيه على تحريم اتباع ما لم يدل عليه برهان وان تقولوا
على الله ما لا تعلمون بالالحاد فى صفاته والافتراء عليه كقولهم الله امرنا بها ولكل امة
اجل مدة او وقت لنزول العذاب بهم وهو وعيد لاهل مكة فاذا جاء اجلهم انقرضت مدتهم
او حان وقتهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون اى لا يتأخرون ولا يتقدمون اقصر
وقت او لا يطلبون التأخر والتقدم لشدة الهول يا بنى آدم اما يأتينكم رسل منكم يقصون
عليكم آياتى شرط ذكره بحرف الشك للتنبيه على ان اتيان الرسل امر جائز غير واجب
كما ظنه اهل التعليم وضمت اليها ما لتأكيد معنى الشرط ولذلك اكد فعلها بالنون وجوابه
فمن اتقى واصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين كذبوا بآياتنا واستكبروا
عنها اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون والمعنى فمن اتقى التكذيب واصلح
عمله منكم والذين كذبوا بآياتنا منكم وادخال الفاء فى الخبر الاول دون الثانى
للمبالغة فى الوعد والمسامحة فى الوعيد فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا او
كذب بآياته ممن يقول على الله ما لم يقله او كذب ما قاله اولئك ينالهم نصيبهم
من الكتاب مما كتب لهم من الارزاق والآجال وقيل الكتاب اللوح
المحفوظ مما اثبت لهم فيه حتى اذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم اى يتوفون ارواحهم
وهو حال من الرسل وحتى غاية نيلهم وهى التى يبتدأ بعدها الكلام قالوا جواب اذا
اينما كنتم تدعون من دون الله اين الآلهة الذين كنتم تعبدونها وما وصلت
باين فى خط المصحف وحقها الفصل لانها موصولة قالوا ضلوا عنا غابوا عنا وشهدوا
على انفسهم انهم كانوا كافرين اعترفوا بانهم كانوا ضالين فيما كانوا عليه قال ادخلوا

اى قال الله

اى قال الله لهم يوم القيامة او احد من الملائكة فى امم قد خلت من قبلكم اى كائنين
فى جملة امم مصاحبين لهم من الجن والانس يعنى كفار الامم الماضين من النوعين فى النار
متعلق بادخلوا كلما دخلت امة اى فى النار لعنت اختها التى ضلت بالاقتداء بها حتى
اذا اداركوا فيها جميعا اى تداركوا وتلاحقوا فى النار قالت اخريهم اى دخولا او منزلة
وهم الاتباع لاوليهم لاجل اوليهم اذ الخطاب مع الله لا معهم ربنا هؤلاء اضلونا سنوا لنا
الضلال فاقتدينا بهم فآتهم عذابا ضعفا من النار مضاعفا لانهم ضلوا واضلوا
قال لكل ضعف اما القادة فبكفرهم وتضليلهم واما الاتباع فبكفرهم وتقليدهم
ولكن لا تعلمون ما لكم او ما لكل فريق وقرأ عاصم بالياء على الانفصال وقالت اوليهم
لاخريهم فما كان لكم علينا من فضل عطفوا كلامهم على جواب الله لاخريهم ورتبوه عليه
اى فقد ثبت ان لا فضل لكم علينا وانا واياكم متساوون فى الضلال واستحقاق العذاب
فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون من قول القادة او من قول الله للفريقين ان الذين كذبوا
بآياتنا واستكبروا عنها اى عن الايمان بها لا تفتح لهم ابواب السماء لادعيتهم واعمالهم او
لارواحهم كما تفتح لاعمال المؤمنين وارواحهم لتتصل بالملائكة والتاء فى تفتح لتأنيث
الابواب والتشديد لكثرتها وقرأ ابو عمرو بالتخفيف وحمزة والكسائى به وبالياء لان
التأنيث غير حقيقى والفعل مقدم وقرئ على البناء للفاعل ونصب الابواب على ان الفعل
للآيات وبالياء على ان الفعل لله ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل فى سم الخياط اى حتى
يدخل ما هو مثل فى عظم الجرم وهو البعير فيما هو مثل فى ضيق المسلك وهو ثقبة الابرة
وذلك مما لا يكون فكذا ما توقف عليه وقرئ الجمل كالقمل والجمل كالنغر والجمل كالقفل والجمل
كالنصب والجمل كالحبل وهو الحبل الغليظ من القنب وقيل حبل السفينة وسم بالضم
والكسر وفى سم المخيط وهو والخياط ما يخاط به كالحزام والمحزم وكذلك ومثل ذلك الجزاء الفظيع
نجزى المجرمين لهم من جهنم مهاد فراش ومن فوقهم غواش اغطية والتنوين للبدل
عن الاعلال عند سيبويه وللصرف عند غيره وقرئ غواش على الغاء المحذوف وكذلك
نجزى الظالمين عبر عنهم بالمجرمين تارة وبالظالمين اخرى اشعارا بانهم بتكذيبهم الآيات اتصفوا

بهذه الاوصاف الذميمة وذكر الجزم مع الحرمان من الجنة والظلم مع التعذيب بالنار
تنبيها على انها اعظم الاجرام والذين آمنوا وعملوا الصالحات لا نكلف نفسا الا وسعها
اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون على عادته سبحانه وتعالى في ان يتبع الوعد الوعيد
ولا نكلف نفسا الا وسعها اعتراض بين المبتدا وخبره للترغيب في اكتساب العلم المقيم بما
يسعه طاقتهم ويسهل عليهم وقرئ لا تكلف نفس ونزعنا ما في صدورهم من غل اي اخرجنا
من قلوبهم اسباب الغل ونطهرها منه حتى لا يكون بينهم الا التوادّ وعن علي رضي الله عنه
اني لارجو ان اكون انا وعثمان وطلحة وزبير منهم تجري من تحتهم الانهار زيادة في لذتهم
وسرورهم وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا لما جزاؤه هذا وما كنا لنهتدي لولا ان
هدانا الله لولا هداية الله وتوفيقه واللام لتوكيد النفي وجواب لولا محذوف دلّ عليه ما قبله
وقرأ ابن عامر ما كنا بغير واو على انه مبتدئة للاولى لقد جاءت رسل ربنا بالحق فاهتدينا
بارشادهم يقولون ذلك اغتباطا وتبجحا بان ما عملوه يقينا في الدنيا صار لهم في الآخرة عيانا
ونودوا ان تلكم الجنة اذا رأوها من بعيد وبعد دخولها والمنادي له بالذات اورثتموها
بما كنتم اي اعطيتموها بسبب اعمالكم وهو حال من الجنة والعامل فيها معنى الاشارة او خبر
والجنة صفة تلكم وان في المواقع الخمسة هي المخففة او المفسرة لان المناداة والتأذين من
القول ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار انا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما
وعد ربكم حقا انما قالوه تشفيا لهم وشماتة باصحاب النار وتحسيرا لهم وانما لم يقولوا وعدكم
كما قال انما وعدنا الآن ما ساءهم من الموعود لم يكن باسره مخصوصا وعن بعضهم كالبعث والحساب
ونعيم اهل الجنة قالوا نعم وقراءة الكسائي بكسر العين وهما لغتان فاذن مؤذن قيل
هو صاحب الصور بينهم بين الفريقين ان لعنة الله على الظالمين وقراءة ابن كثير وابن عامر
وحمزة والكسائي ان لعنة الله بالتشديد والنصب وقرئ ان بالكسر على ارادة القول او اجراء
اذن مجرى قال الذين يصدون عن سبيل الله صفة للظالمين مقررة او ذم مرفوع او منصوب
ويبغونها عوجا زيغا وميلا عما هو عليه والعوج بالكسر في المعاني والاعيان ما لم تكن منتصبة
وبالفتح في المنتصبة كالحائط والرمح وهم بالآخرة كافرون وبينهما حجاب اي بين الفريقين

كقوله فضرب بينهم بسور وبين الجنة والنار ليمنع وصول اثر احديهما الى الاخرى وعلى
الاعراف وعلى اعراف الحجاب اي اعاليه وهو السور المضروب بينهما جمع عرف مستعار
من عرف الفرس وقيل العرف ما ارتفع من الشيء فانه يكون بظهور اعرف من عين رجال
طائفة من الموحدين قصّروا في العمل فيحبسون بين الجنة والنار حتى يقضي الله فيهم ما يشاء
وقيل قوم علت درجاتهم كالانبياء والشهداء او خيار المؤمنين وعلمائهم وملائكة
يرون في صورة الرجال يعرفون كلا من اهل الجنة والنار بسيماهم بعلامتهم التي
اعلمهم الله بها كبياض الوجه وسواده وفعلى من سام ابله اذا رعاها في المرعى معلمة او من وسم
على القلب كالجباه من الوجه وانما يعرفون ذلك بالهام او تعليم الملائكة ونادوا اصحاب الجنة
ان سلام عليكم اي اذا نظروا اليهم سلموا عليهم لم يدخلوها وهم يطمعون حال من الواو
على الوجه الاول ومن الاصحاب على الوجوه واذا صرفت ابصارهم تلقاء اصحاب النار
قالوا تعوذا بالله ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين اي في النار ونادى اصحاب الاعراف
رجالا يعرفونهم بسيماهم من رؤساء الكفرة قالوا ما اغنى عنكم جمعكم كثرتكم او جمعكم
المال وما كنتم تستكبرون عن الحق وعلى الخلق وقرئ تستكثرون من الكثرة اهؤلاء
الذين اقسمتم لا ينالهم الله برحمة من تتمة قولهم للرجال والاشارة الى ضعفاء اهل الجنة
الذين كانت الكفرة تحقرونهم في الدنيا ويحلفون ان الله لا يدخلهم الجنة ادخلوا الجنة
لا خوف عليكم ولا انتم تحزنون اي فالتفتوا الى اصحاب الجنة وقالوا لهم ادخلوا وهو افق
للوجوه الاخيرة او فقيل لاصحاب الاعراف ادخلوا الجنة بفضل الله بعد ان حبسوا حتى
ابصروا الفريقين وعرفوهم وقالوا لهم ما قالوا وقيل لما عيّروا اصحاب النار اقسموا ان
اصحاب الاعراف لا يدخلون الجنة فقال الله او بعض الملائكة اهؤلاء الذين اقسمتم وقرئ ادخلوا
ودخلوا على الاستيناف وتقديره دخلوا الجنة مقولا لهم لا خوف عليكم ونادى اصحاب
النار اصحاب الجنة ان افيضوا علينا اي صبّوا وهو دليل على ان الجنة فوق النار من الماء
او مما رزقكم الله من سائر الاشربة ليلائم الافاضة او من الطعام كقوله علفتها تبنا وماء
باردا قالوا ان الله حرّمهما على الكافرين منعهما عنهم منع المحرّم عن المكلف الذين اتخذوا

دينهم لهوا ولعبا كتحريم البحيرة والتصدية حول البيت واللهو صرف الهمم بما لا يحسن ان يصرف به واللعب طلب الفرح بما لا يحسن ان يطلب به وغرتهم الحيوة الدنيا فاليوم ننسيهم نفعل بهم فعل الناسين فنتركهم في النار كما نسوا لقاء يومهم هذا فلم يخطروا ببالهم ولم يستعدوا له وما كانوا بآياتنا يجحدون وكما كانوا منكرين انها من عند الله ولقد جئناهم بكتاب فصلناه بينا معانيه من العقايد والاحكام والمواعظ مفصلة على علم عالمين بوجه تفصيله حتى جاء محكما وفيه دلالة على انه تعالى عالم بعلم أو مشتملا على علم فيكون حالا من المفعول وقرئ فصلنا على سائر الكتب عالمين بانه حقيق بذلك هدى ورحمة لقوم يؤمنون حال من الهاء هل ينظرون ما ينتظرون الا تأويله الا ما يؤول اليه من تبين صدقه بظهور ما نيط من الوعد والوعيد يوم يأتي تأويله يقول الذين نسوه من قبل تركوه ترك الناسي قد جاءت رسل ربنا بالحق اي قد تبين انهم جاءوا بالحق فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا اليوم او نرد او هل يرد الى الدنيا وقرئ بالنصب عطفا على فيشفعوا لنا او بمعنى الى ان نفعل الاول او المسئول احد الامرين وعلى الثاني النصب ان يكون لهم شفعاء اما لاحد الامرين او لامر واحد وهو الرد الرفع فنعمل غير الذي كنا نعمل جواب الاستفهام الثاني وقرئ بالرفع اي فنحن نعمل قد خسروا انفسهم بصرف اعمارهم في الكفر وضل عنهم ما كانوا يفترون يبطل عنهم فلم ينفعهم ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة ايام اي في ستة اوقات لقوله ومن يومئذ ثمانية اوان مقدار ستة ايام فان اليوم المتعارف زمان طلوع الشمس الى غروبها ولم تكن حينئذ وقت خلق الاشياء مدة جامع القدرة على ايجاده دفعة دليل الاختيار والاعتبار للنظار وحث على التأني ثم استوى على العرش استوى امر او استولى وعن اصحابنا ان الاستواء على العرش صفة لله بلا كيف والمعنى انه استواء على الوجه الذي عناه منزها عن الاستقرار والتمكن والعرش الجسم المحيط بسائر الاجسام سمي به لارتفاعه او للتشبيه بسرير الملك فان الامور والتدابير تنزل منه وقيل الملك يغشى الليل النهار يغطيه به ولم يذكر عكسه للعلم به او لان اللفظ يحتملهما ولذلك قرئ يغشى الليل النهار بنصب الليل ورفع

في الامور

على العرش

النهار

النهار وقراء حمزة والكسائي ويعقوب وابو بكر عن عاصم بالتشديد فيه وفي الرعد للدلالة على التكرير يطلبه حثيثا يطلبه سريعا كالطالب له لا يفصل بينهما شيء والحثيث فعيل من الحث وهو صفة مصدر محذوف او حال من الفاعل بمعنى حاثا او المفعول بمعنى محثوثا والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره بقضائه وتصريفه ونصبها بالعطف على السموات ونصب مسخرات على الحال وقراء ابن عامر كلها بالرفع على الابتداء والخبر الا له الخلق والامر فانه الموجد والمتصرف تبارك الله رب العالمين تعالى الله بالوحدانية في الالوهية وتعظم بالتفرد في الربوبية وتحقيق الآية والله اعلم ان الكفرة كانوا متخذين اربابا فبين لهم ان المستحق للربوبية واحد وهو الله تعالى لانه الذي له الخلق والامر فانه تعالى خلق العالم على ترتيب قويم وتدبير حكيم فابدع الافلاك ثم زينها بالكواكب كما اشار اليه بقوله فقضيهن سبع سموات في يومين وعمد الى ايجاد الاجرام السفلية فخلق جسما قابلا للصور المتبدلة والهيات المختلفة ثم قسمها بصور نوعية متضادة الآثار والافعال واشار اليه بقوله خلق الارض في يومين اي ما في جهة السفل في يومين ثم انشاء انواع المواليد الثلثة تركيب موادها اولا وتصويرها ثانيا كما قال بعد قوله خلق الارض في يومين وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها اقواتها في اربعة ايام اي مع اليومين الاولين لقوله في سورة السجدة الله الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة ايام ثم لما تم عالم الملك عمد الى تدبيره كالملك الجالس على عرشه لتدبير المملكة فدبر الامر من السماء الى الارض بتحريك الافلاك وتسيير الكواكب وتكوير الليالي والايام ثم صرح بما هو فذلكة التقرير وتتمته فقال الا له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين ثم امرهم بان يدعوهم متذللين مخلصين فقال ادعوا ربكم تضرعا وخفية اي في تضرع وخفية فان الاخفاء دليل الاخلاص انه لا يحب المعتدين المجاوزين ما امروا به في الدعاء وعن سعد بن ابي وقاص انه سمع ابنه يقول اسألك القصر الابيض عن يمين الجنة اذا دخلتها فقال اي بني سل الله الجنة واعذ به من النار فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول سيكون قوم يعتدون في الدعاء وحسب المرء ان يقول اللهم اني اسألك الجنة وما قرب اليها من قول وعمل واعوذ بك من النار وما قرب اليها من قول وعمل

فان قلت ان اليوم تقدير ايام اليوم بليلته وقد يراد به النهار وحده فالمراد بهذه الايام ايها قلت الغالب الكثير اذا اريد بها اليوم بليلته ك ه

ان كثير الاعتداء في الطهارة والصلاة والدعاء

البيهقي

من قول وعمل ثم قرأ انه لا يحب المعتدين ولا تفسدوا في الارض بالكفر والمعاصي بعد
اصلاحها ببعث الانبياء وشرع الاحكام وادعوه خوفا وطمعا ذوي خوف من الرد لقصور
اعمالكم وعدم استحقاقكم وطمع في اجابته تفضلا منه واحسانا لفرط رحمته ان رحمة
الله قريب من المحسنين ترجيح للطمع وتنبيه على ما يتوسل به الى الاجابة وتذكير قريب لان
الرحمة بمعنى الرحم او لانه صفة محذوف اي امر او على تشبيهه بفعيل الذي بمعنى مفعول او الذي
هو مصدر كالنقيض او للفرق بين القريب من النسب والقريب من غيره وهو الذي يرسل
الرياح وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي الريح على الوحدة نشرا جمع نشور بمعنى ناشر وقرأ
ابن عامر نشرا بالتخفيف حيث وقع وحمزة والكسائي نشرا بفتح النون حيث وقع على انه مصدر
في موقع الحال بمعنى ناشرات او مفعول مطلق فان الارسال والنشر متقاربان وعاصم بشرا
وهو تخفيف بشر جمع بشير وقد قرئ به وبشرا بفتح الباء مصدر بشره بمعنى باشرات
او للبشارة وبشرى بين يدي رحمته قدام رحمته يعني المطر فان الصبا تثير السحاب
والشمال تجمعه والجنوب تدره والدبور تفرقه حتى اذا اقلت اي حملته واشتقاقه من
القلة فان المقل للشيء يستقله سحابا ثقالا بالماء جمعه لان السحاب بمعنى السحائب
سقناه اي السحاب وافراد الضمير باعتبار اللفظ لبلد ميت لاجله او لاحيائه او لسقيه
وقرئ ميت فانزلنا به الماء بالبلد او بالسحاب او بالسوق او بالريح وكذلك فاخرجنا به
ويحتمل فيه عود الضمير الى الماء واذا كان للبلد فالباء للالصاق في الاول وللظرفية في الثاني
واذا كان لغيره فهو للسببية فيهما من كل الثمرات من كل انواعها كذلك نخرج الموتى الاشارة
فيه الى اخراج الثمرات او الى احياء البلد الميت اي كما نحييه باحداث القوة النامية
فيه وتطريتها بانواع النبات والثمرات نخرج الموتى من الاجداث ونحييها برد النفوس
الى مواد ابدانها بعد جمعها وتطريتها بالقوى والحواس لعلكم تذكرون فتعلموا ان من قدر
على ذلك قدر على هذا والبلد الطيب الارض الكريمة التربة يخرج نباته باذن ربه بمشيته
وتيسيره عبر به عن كثرة النبات والثمرات وحسنه وغزارة نفعه لانه اوقعه في مقابلة
والذي خبث اي كالحرة والسبخة لا يخرج الا نكدا قليلا عديم النفع ونصبه على الحال

وتقدير

وتقدير الكلام والبلد الذي خبث لا يخرج نباته الا نكدا مفعولا ونكدا على المصدر اي ذا نكد
ونكدا بالاسكان للتخفيف كذلك نصرف الآيات نرددها ونكررها لقوم يشكرون
نعمة الله فيتفكرون فيها ويعتبرون بها والآية مثل لمن تدبر الآيات وانتفع بها ولمن لم يرفع
اليها راسا ولم يتأثر بها لقد ارسلنا نوحا الى قومه جواب قسم محذوف ولا يكاد يطلق
هذه اللام الا مع قد لانها مظنة التوقع فان المخاطب اذا سمعها توقع وقوع ما صدر بها ونوح
بن لمك بن متوشلخ بن ادريس اول نبي بعده بعث وهو ابن خمسين سنة او اربعين
فقال يا قوم اعبدوا الله اي اعبده وحده لقوله ما لكم من اله غيره وقرأ الكسائي غيره
بالكسر على اللفظ وقرئ بالنصب على الاستثناء اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم ان لم
تؤمنوا وهو وعيد وبيان للداعي الى عبادته واليوم يوم القيمة او يوم نزول الطوفان قال
الملأ من قومه اي الاشراف فانهم يملأون العيون رواء انا لنريك في ضلال زوال عن الحق
مبين بين قال يا قوم ليس بي ضلالة اي شيء من الضلال بالغ في النفي كما بالغوا في الاثبات
وعرض لهم به ولكني رسول من رب العالمين استدراك باعتبار ما يلزمه وهو كونه على
هدى كانه قال ولكني على هدى في الغاية لاني رسول من الله ابلغكم رسالات ربي وانصح
لكم واعلم من الله ما لا تعلمون صفات لرسول او استيناف ومساقها على الوجهين
لبيان كونه رسولا وقرأ ابو عمرو ابلغكم بالتخفيف وجمع الرسالات لاختلاف اوقاتها
او لتنوع معانيها كالعقائد والمواعظ والاحكام او لان المراد بها ما اوحي اليه والى الانبياء
قبله كصحف شيث وادريس وزيادة اللام في لكم للدلالة على امحاض النصح لهم وفي اعلم من الله
تقرير لما اوعدهم به فان معناه اعلم من قدرته وشدة بطشه او من جهته بالوحي اشياء
لا علم لكم بها اوعجبتم الهمزة للانكار والواو للعطف على محذوف اي اكذبتم وعجبتم ان جاءكم
من ان جاءكم ذكر من ربكم رسالة او موعظة على رجل على لسان رجل منكم
من جملتكم او من جنسكم فانهم كانوا يتعجبون من ارسال البشر ويقولون لو شاء ربنا لانزل
ملائكة ما سمعنا بهذا في آبائنا الاولين لينذركم عاقبة الكفر والمعاصي ولتتقوا منهما بسبب
الانذار ولعلكم ترحمون بالتقوى وفائدة حرف الترجي التنبيه على ان التقوى غير موجب

والترحم من الله تفضل وان المتقي ينبغي ان لا يعتمد على تقواه ولا يامن من عذاب الله فكذبوه
فانجيناه والذين معه وهم من آمن به وكانوا اربعين امراة وقيل تسعة
وهو بنوه سام وحام ويافث وستة ممن آمن به في الفلك متعلق بمعه او بانجينا او حال
من الموصول او الضمير في معه واغرقنا الذين كذبوا بآياتنا بالطوفان انهم كانوا قوما عمين عمي القلوب
غير مستبصرين واصله عميين فخفف وقرئ عامين والاول ابلغ لدلالته على الثبات والى
عاد اخاهم عطف على نوحا الى قومه هودا عطف بيان لاخاهم والمراد به الواحد منهم كقولهم
يا اخا العرب فانه هود بن عبد الله بن رباح بن الخلود بن عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح
وقيل هود بن شالخ بن ارفخشذ بن سام ابن عم عاد وانما جعل منهم لانهم
افهم لقوله واعرف بحاله وارغب في اقتفائه قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره
استانف به ولم يعطف كانه جواب سائل قال فما قال لهم حين ارسل وكذلك جوابهم افلا
تتقون عذاب الله وكان قومه كانوا اقرب من قوم نوح ولذلك قال قال الملاء الذين
كفروا من قومه اذ كان من اشرافهم من آمن به كمرثد بن سعد انا لنراك في سفاهة
متمكنا في خفة عقل راسخا فيها حيث فارقت دين قومك وانا لنظنك من الكاذبين قال
يا قوم ليس بي سفاهة ولكني رسول من رب العالمين ابلغكم رسالات ربي وانا
لكم ناصح امين او عجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم سبق تفسيره
وفي اجابة الانبياء الكفرة عن كلماتهم الحمقاء بما اجابوا والاعراض عن مقابلتهم كمال النصح والشفقة
وهضم النفس وحسن المجادلة وهكذا ينبغي لكل ناصح وفي قوله وانا لكم ناصح امين تنبيه
على انهم عرفوه بالامرين واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح اي في مساكنهم
من رمل عالج الى بحر عمان او في الارض بان جعلكم ملوكا فان شداد بن عاد ممن ملك
الارض خوفهم من عقاب الله ثم ذكرهم بانعامه وزادكم في الخلق بسطة قامة
وقوة وهو تعميم بعد تخصيص فاذكروا آلاء الله لعلكم تفلحون لكي يفضي بكم ذكر النعم الى
شكرها المؤدي الى الفلاح قالوا اجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا
استبعدوا اختصاص الله بالعبادة والاعراض عما اشرك به آباؤهم انهماكا في التقليد

رجلا واربعين صح

وقرا ابو عمرو ابلغكم في الموضعين في هذه السورة وفي الاحقاف مخففا صح

وحبا لما الفوه ومعنى المجيء في اجئتنا اما المجيء من مكان اعتزل به عن قومه او من السماء على
التهكم او القصد على المجاز كقولهم ذهب يشتمني فاتنا بما تعدنا من العذاب المدلول عليه
بقوله افلا تتقون ان كنت من الصادقين فيه قال قد وقع عليكم قد وجب وحق عليكم
او نزل عليكم على ان المتوقع كالواقع من ربكم رجس عذاب من الارتجاس وهو الاضطراب
وغضب ارادة انتقام اتجادلونني في اسماء سميتموها انتم وآباؤكم ما نزل الله بها من سلطان
اي في اشياء سميتموها آلهة وليس فيها معنى الالهية لان المستحق للعبادة بالذات هو الموجد
للكل وانها لو استحقت كان استحقاقها بجعله تعالى اما بانزال آية او نصب حجة بين ان منتهى
حجتهم وسندهم ان الاصنام تسمى آلهة من غير دليل يدل على تحقق المسمى واسناد الاطلاق
الى من لا يؤبه بقوله اظهار لغاية جهالتهم وفرط عنادهم واستدل به على ان الاسم هو
المسمى وان اللغات توقيفية اذ لو لم تكن كذلك لم يتوجه الذم والابطال لانها اسماء مخترعة
لم ينزل الله بها سلطانا وضعفها ظاهر فانتظروا لما وضح الحق وانتم مصرون على العناد نزول
العذاب اني معكم من المنتظرين فانجيناه والذين معه في الدين برحمة منا
عليهم وقطعنا دابر الذين كذبوا بآياتنا اي استاصلناهم وما كانوا مؤمنين تعريض
بمن آمن منهم وتنبيه على ان الفارق بين من نجا ومن هلك هو الايمان روي انهم
كانوا يعبدون الاصنام فبعث الله اليهم هودا فكذبوه وازدادوا عتوا فامسك الله
القطر عنهم ثلث سنين حتى جهدهم وكان الناس حينئذ مسلمهم ومشركهم اذا نزل بهم بلاء
توجهوا الى البيت الحرام وطلبوا من الله الفرج فجهزوا اليه قيل بن عنز ومرثد بن سعد
في سبعين من اعيانهم وكان اذ ذاك بمكة العمالقة اولاد عمليق بن لاوذ بن سام وسيدهم
معاوية بن بكر فلما قدموا عليه وهو بظاهر مكة انزلهم واكرمهم وكانوا اخواله واصهاره
فلبثوا عنده شهرا يشربون الخمر وتغنيهم الجرادتان قينتان له فلما راى ذهولهم باللهو عما بعثوا
له اهمه ذلك واستحيى ان يكلمهم فيه مخافة ان يظنوا به ثقل مقامهم فعلم القينتين
الا يا قيل ويحك قم فهينم لعل الله يسقينا غماما فيسقي ارض عاد ان عادا قد امسوا
ما يبينون الكلاما حتى غنتا به فازعجهم ذلك فقال مرثد والله لا تسقون بدعائكم ولكن ان

ذهب يشتمني ولا يراد حقيقة الذهاب كانهم قالوا اقصدتنا لنعبد الله وحده وتعرضت لنا بتكليف ذلك فاتنا بما تعدنا استعجال منهم للعذاب ه كشاف

يشتمني

غباوتهم صح

اي اذا سمع المؤمن ان الهلاك اختص بالمكذبين وعلى ان سبب النجاة هو الايمان يزيد رغبته فيه ويعظم قدره عنده صح

230

اطعنم نبيكم وتبتم الى الله سقيتم فقالوا لمعاوية احبسه عنا لا يقدمن معنا مكة فانه قد اتبع دين هود وترك ديننا ثم دخلوا مكة فقال قيل اللهم اسق عادا ما كنت تسقيهم فانشأ الله سحابات ثلثا بيضاء وحمراء وسوداء ثم ناداه مناد من السماء يا قيل اختر لنفسك ولقومك فقال اخترت السوداء فانها اكثر ماء فخرجت على عاد من واد المغيث فاستبشروا بها وقالوا هذا عارض ممطرنا فجاءتهم مهاريج عقيم فاهلكتهم ونجا هود والمؤمنون معه

والى ثمود قبيلة اخرى من العرب سموا باسم ابيهم الاكبر ثمود بن عابر بن ارم بن سام بن نوح وقيل سموا بقلة مائهم من الثمد وهو الماء القليل وقرئ مصرونا بالواو الخالصة وبالحاء واعتبار الاصل وكانت مساكنهم الحجر بين الحجاز والشام الى وادي القرى اخاهم صالحا صالح بن عبيد بن اسف بن ماسخ بن عبيد بن حاذر بن ثمود قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من الٰه غيره قد جاءتكم بينة من ربكم معجزة ظاهرة الدلالة على صحة نبوتي وقوله هذه ناقة الله لكم آية استيناف لبيانها وآية نصب على الحال والعامل فيها معنى الاشارة ولكم بيان لمن هي لها آية ويجوز ان يكون ناقة الله بدلا او عطف بيان ولكم خبرا عاملا في آية واضافة الناقة الى الله لتعظيمها ولانها جاءت من عند الله بلا وساطة اسباب معهودة ولذلك كانت آية فذروها تاكل في ارض الله العشب ولا تمسوها بسوء نهى عن المس الذي هو مقدمة الاصابة بالسوء الجامع لانواع الاذى مبالغة في الامر وازاحة للعذر فيأخذكم عذاب اليم جواب للنهي واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبوأكم في الارض ارض الحجر تتخذون من سهولها قصورا اي تبنون في سهولها اي في سهول الارض ما تعملون منها كاللبن والآجر وتنحتون الجبال بيوتا وقرئ تنحتون بالفتح وتنحاتون بالاستباع وانتصاب بيوتا على الحال المقدرة والمفعول على ان التقدير من الجبال وتنحتون بمعنى تتخذون فاذكروا آلاء الله ولا تعثوا في الارض مفسدين قال الملاء الذين استكبروا من قومه اي عن الايمان للذين استضعفوا اي للذين استضعفوهم واستذلوهم لمن آمن منهم بدل من الذين استضعفوا بدل الكل ان كان الضمير لقومه وبدل البعض ان كان للذين أتعلمون ان صالحا مرسل من ربه قالوه على سبيل الاستهزاء قالوا انا بما ارسل به مؤمنون عدلوا به عن الجواب

القليل

بيوتا

وقرأ ابن عامر وقال الملاء بالواو

السوى

السوق الذي هو نعم تنبيها على ان ارسال الظهر من ان يشك فيه عاقل ويخفى على ذي راى وانما الكلام فيمن آمن به ومن كفر به فلذلك قال قال الذين استكبروا انا بالذي آمنتم به كافرون على المقابلة ووضعوا آمنتم موضع ارسل به ردا لما جعلوه معلوما مسلما فعقروا الناقة فنحروها اسند الى جميعهم فعل بعضهم للملابسة او لانه كان برضاهم وعتوا عن امر ربهم واستكبروا عن امتثاله وهو ما بلغهم صالح بقوله فذروها وقالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين فاخذتهم الرجفة فاصبحوا في دارهم جاثمين خامدين ميتين روي انهم بعد عاد عمروا بلادهم وخلفوهم وكثروا وعمروا اعمارا طوالا كانوا ينحتون بها الابنية فنحتوا البيوت من الجبال وكانوا في خصب وسعة فعتوا وافسدوا في الارض وعبدوا الاصنام فبعث الله اليهم صالحا من اشرافهم فانذرهم فسالوه آية فقال اية آية تريدون قالوا تخرج معنا الى عيدنا فتدعو الهتنا فمن استجيب له اتبع فخرج معهم فدعوا اصنامهم فلم تجبهم ثم اشار سيدهم جندع بن عمرو الى صخرة منفردة بيقال لها الكاثبة وقال اخرج من هذه الصخرة ناقة مخترجة جوفاء وبراء فان فعلت صدقناك فاخذ عليهم صالح مواثيقهم لئن فعلت ذلك لتؤمنن فقالوا نعم فصلى ودعا ربه فتمخضت الصخرة تمخض النتوج بولدها فانصدعت عن ناقة عشراء جوفاء وبراء كما وصفوا وهم ينظرون ثم تحركت ولدت مثلها في العظم فآمن به جندع في جماعة ومنع الباقين من الايمان ذؤاب ابن عمرو والحباب صاحب اوثانهم ورئاب بن صمعر كاهنهم فمكثت الناقة مع ولدها ترعى الشجر وترد الماء غبا فما ترفع راسها من البئر حتى تشرب كل ماء فيها ثم تتفج فيحلبون ما شاؤا حتى تمتلئ اوانيهم فيشربون ويدخرون وكانت تصيف بظهر الوادي فتهرب منها انعامهم الى بطنه وتشتوي ببطنه فتهرب مواشيهم الى ظهره فشق ذلك عليهم وزينت عقرها لهم عنيزة ام غنم وصدقة بنت المختار فعقروها واقتسموا لحمها فرقى سقبها جبلا اسمه قارة فرغا ثلثا فقال صالح لهم اركضوا الفصيل عسى ان يرفع عنكم العذاب فلم يقدروا عليه اذ انفتحت الصخرة بعد رغائه فدخلها فقال لهم تمتعوا في داركم ثلثة ايام ذلك وعد غير مكذوب فعقروها فقال لكل بطن منكم يوم ولهذا اليوم يوم رابع فقالوا ما قالوا فاخذتهم الصيحة فاصبحوا في ديارهم جاثمين

231

حكى ان صالحا خرج في مائة وعشرة من المسلمين وهو يبكي فالتفت فراى الدخان ساطعا فعلم انهم قد هلكوا وكانوا الفا وخمسمائة دار

طلبوا ان يقتلوه فانجاه الله الى ارض فلسطين ولما كان ضحوة اليوم الرابع تحنطوا وتكفنوا بالانطاع فاتتهم صيحة من السماء فتقطعت قلوبهم فهلكوا فتولى عنهم وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين ظاهر ان توليه عنهم كان بعد ان ابصرهم جاثمين ولعله خاطبهم به بعد هلاكهم كما خاطب رسول الله صلعم اهل قليب بدر وقال انا وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا او ذكر ذلك على سبيل التحسر عليهم ولوطا اى وارسلنا لوطا اذ قال لقومه وقت قوله لهم او اذكر لوطا واذ بدل منه اتاتون الفاحشة توبيخ وتقريع على تلك الفعلة المتمادية في القبح ما سبقكم بها من احد من العالمين ما فعلها قبلكم احد قط والباء للتعدية ومن الاولى لتاكيد النفي والاستغراق والثانية للتبعيض والجملة استيناف مقررة للانكار كانه وبخهم اولا باتيان الفاحشة ثم باختراعها فانه اسوء ائنكم لتاتون الرجال شهوة من دون النساء بيان لقوله اتاتون الفاحشة وهو ابلغ في الانكار والتوبيخ وقرا نافع وحفص انكم على الاخبار المستانف وشهوة مفعول له او مصدر في موقع الحال وفي التقييد بها وصفهم بالبهيمية الصرفة وتنبيه على ان العاقل ينبغي ان يكون الداعي له الى المباشرة طلب الولد وبقاء النوع لا قضاء الوطر بل انتم قوم مسرفون اضراب عن الانكار الى الاخبار عن حالهم التي ادت بهم الى ارتكاب امثالها وهي اعتياد الاسراف في كل شيء او عن الانكار عليها الى الذم على جميع معايبهم او عن محذوف مثل لا عذر لكم فيه بل انتم قوم عادتكم الاسراف وما كان جواب قومه الا ان قالوا اخرجوهم من قريتكم اى ما جاؤا بما يكون جوابا عن كلامه ولكنهم قابلوا نصحه بالامر باخراجه فيمن معه من المؤمنين من قريتهم والاستهزاء بهم فقالوا انهم اناس يتطهرون اى من الفواحش فانجيناه واهله اى من آمن به الا امراته واهله فانها تسر الكفر كانت من الغابرين من الذين في ديارهم فهلكوا والتذكير لتغليب الذكور وامطرنا عليهم مطرا اى نوعا من المطر عجيبا وهو مبين بقوله وامطرنا عليهم حجارة من سجيل فانظر كيف كان عاقبة المجرمين روى ان لوط بن هاران بن تارخ لما هاجر مع عمه ابرهيم عليه السلم الى الشام نزل بالاردن فارسله الله الى اهل سدوم

كانت

ليدعوهم

ليدعوهم الى الله وينهاهم عما اخترعوه من الفاحشة فلم ينتهوا عنها فامطر الله عليهم الحجارة فهلكوا وقيل خسف بالمقيمين منهم وامطرت الحجارة على مسافريهم والى مدين اخاهم شعيبا اى وارسلنا اليهم وهم اولاد مدين بن ابرهيم بن شعيب بن ميكيل بن يشجر بن مدين وكان يقال له خطيب الانبياء لحسن مراجعته قومه قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم يريد المعجزة التي كانت له وليس في القرآن انها ما هي وما روى من محاربة عصا موسى التنين وولادة الغنم التي دفعها الدرع خاصة وكانت الموعودة له من اولادها ووقوع عصا آدم على يده في المرات السبع متاخرة عن هذه المقاولة محتمل ان يكون كرامة لموسى او ارهاصا لنبوته فاوفوا الكيل اى آلة الكيل على الاضمار او اطلاق الكيل على المكيال كالعيش على المعاش لقوله والميزان كما قال في سورة هود او الكيل ووزن الميزان ويجوز ان يكون الميزان مصدرا كالميعاد ولا تبخسوا الناس اشياءهم ولا تنقصوهم حقوقهم وانما قال اشياءهم للتعميم تنبيها على انهم كانوا يبخسون الجليل والحقير والقليل والكثير وقيل كانوا مكاسين لا يدعون شيئا الا مكسوه ولا تفسدوا في الارض بالكفر والحيف بعد اصلاحها بعد ما اصلح امرها او اهلها الانبياء واتباعهم بالشرايع او اصلحوا فيها والاضافة في بل مكر الليل والنهار ذلكم خير لكم ان كنتم مؤمنين اشارة الى العمل بما امرهم به ونهاهم عنه ومعنى الخيرية اما الزيادة مطلقا او في الانسانية وحسن الاحدوثة وجمع المال ولا تقعدوا بكل صراط توعدون بكل طريق من طرق الدين كالشيطان وصراط الحق وان كان واحدا لكنه يتشعب الى معارف وحدود واحكام وكانوا اذا راوا واحدا يسعى في شيء منها منعوه وقيل كانوا يجلسون على المراصد فيقولون لمن يريد شعيبا انه كذاب فلا يفتننك عن دينك ويوعدون لمن آمن به وقيل كانوا يقطعون الطرق وتصدون عن سبيل الله يعني الذين قعدوا عليه فوضع الظاهر موضع المضمر بيانا لكل صراط ودلالة على عظم ما يصدون عنه وتقبيحا لما كانوا عليه او الايمان بالله من آمن به

اليها كالاضافة

اى بالله او بكل صراط على الاول ومن مفعول تصدون على اعمال الاقرب ولو كان مفعول توعدون لقال تصدونهم وتوعدون بما عطف عليه فى موقع الحال من الضمير فى تقعدوا وتبغونها عوجا وتطلبون لسبيل الله عوجا بالقاء الشبه او وصفها للناس بانها معوجة واذكروا اذ كنتم قليلا عددكم او عددكم فكثركم بالبركة فى النسل والمال وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين من الامم قبلكم واعتبروا بهم وان كان طائفة منكم امنوا بالذى ارسلت به وطائفة لم يؤمنوا فاصبروا فتربصوا حتى يحكم الله بيننا اى بين الفريقين بنصر المحقين على المبطلين فهو وعد للمؤمنين ووعيد للكافرين وهو خير الحاكمين اذ لا معقب لحكمه ولا حيف فيه قال الملاء الذين استكبروا من قومه لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا او لتعودن فى ملتنا اى ليكونن احد الامرين اما اخراجكم عن القرية او عودكم فى الكفر وشعيب لم يكن فى ملتهم قط لان الانبياء لا يجوز عليهم الكفر مطلقا لكن لما غلبوا الجماعة على الواحد فخوطب هو وقومه بخطابهم وعلى ذلك اجرى الجواب فى قوله قال اولو كنا كارهين اى كيف نعود فيها ونحن كارهون لها او انعيدونا فى حال كراهتنا قد افترينا على الله كذبا قد اختلقنا عليه ان عدنا فى ملتكم بعد اذ نجانا الله منها شرط جوابه محذوف دليله قد افترينا وهو بمعنى المستقبل لم يقع لكنه جعل كالواقع للمبالغة وادخل عليه قد لتقريبه من الحال اى قد افترينا الآن ان همممنا بالعود بعد الخلاص منها حيث نزعم ان لله ندا وانه قد تبين لنا ان ما كنا عليه باطل وما انتم عليه حق وقيل انه جواب قسم محذوف وتقديره والله لقد افترينا وما يكون لنا وما يصح لنا ان نعود فيها الا ان يشاء الله ربنا خذلاننا وارتدادنا وفيه دليل على ان الكفر بمشيته وقيل اراد به حتمه لعلمه فى العود بالتعليق على ما لا يكون وسع ربنا كل شىء علما اى احاط علمه بكل شىء تما كان ومتما يكون منا ومنكم على الله توكلنا فى ان يثبتنا على الايمان ويخلصنا من الاشرار ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق احكم بيننا

والفتاح الفاضح والفتاحة الحكومة او اظهر امرنا حتى ينكشف ما بيننا وبينهم وتميز المحق من المبطل من فتح المشكل اذا بينه وانت خير الفاتحين على المعنيين وقال الملاء الذين كفروا من قومه لئن اتبعتم شعيبا وتركتم دينكم انكم اذا لخاسرون لاستبدالكم ضلالته بهداكم او لفوات ما يحصل لكم بالبخس والتطفيف وهو سادّ مسدّ جواب الشرط والقسم الموطأ باللام فاخذتهم الرجفة فاصبحوا فى دارهم جاثمين اى فى مدينتهم الذين كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرين دينا لان الذين صدقوه واتبعوه كانوا عمروا فانتهم الرابحون فى الدارين وللتنبيه على هذا والمبالغة فيه كرر الموصول واستانف بالجملتين والتى بهما اسميتين فتولى عنهم وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالات ربى ونصحت لكم قاله تاسفا بهم لشدة حزنه عليهم ثم انكر على نفسه فقال فكيف آسى على قوم كافرين ليسوا اهلا لحزن لاستحقاقهم ما نزل عليهم بكفرهم او قاله اعتذارا عن عدم شدة حزنه عليهم والمعنى لقد بالغت فى الابلاغ والانذار وبذلت وسعى فى النصح والاشفاق فلم تصدقوا قولى فكيف آسى عليكم وقرئ فكيف ايسى بامالتين وما ارسلنا فى قرية من نبى الا اخذنا اهلها بالباساء والضراء بالبؤس والضر لعلهم يضرعون كى يتضرعوا ويتذللوا ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة اى اعطيناهم بدل ما كانوا فيه من البلاء والشدة السلامة والسعة ابتلاء لهم بالامرين حتى عفوا كثروا عددا وعددا ويقال عفا النبات اذا كثر ومنه اعفاء اللحى وقالوا قد مس آباءنا الضراء والسراء كفرانا النعمة الله ونسيانا الذكر واعتقادا بانه من عادة الدهر يعاقب فى الناس بين الضراء والسراء وقد مس آباءنا منه مثل ما مسنا فاخذناهم بغتة فجاءة وهم لا يشعرون بنزول العذاب ولو ان اهل القرى يعنى القرى المدلول عليها بقوله وما ارسلنا فى قرية من نبى وقيل مكة وما حولها آمنوا واتقوا مكان كفرهم وعصيانهم لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض لوسعنا عليهم الخير ويسرناه لهم من كل جانب وقيل المراد المطر والنبات وقراء ابن عامر لفتحنا بالتشديد ولكن كذبوا الرسل

فاخذناهم بما كانوا يكسبون من الكفر والمعاصى افامن اهل القرى عطف على
قوله فاخذناهم بغتة وهم لا يشعرون وما بينهما اعتراض والمعنى ابعد ذلك امن
اهل القرى ان ياتيهم باسنا بياتا تبييتا او وقت بيات او مبيتين وهو
فى الاصل مصدر بمعنى البيتوتة ويجئ بمعنى التبييت كالسلام بمعنى التسليم وهم
نائمون حال من ضميرهم البارز والمستتر فى بياتا او امن اهل القرى وقرا ابن كثير ونافع
وابن عامر اوّبا بالسكون على الترديد ان ياتيهم باسنا ضحى ضحوة النهار وهو فى الاصل
ضوء الشمس اذا ارتفعت وهم يلعبون يلهون من قرط الغفلة او يشتغلون بما
لا ينفعهم افامنوا مكر الله تقرير لقوله افامن اهل القرى ومكر الله استعارة
لاستدراج العبد واخذه من حيث لا يحتسب فلا يامن مكر الله الا القوم الخاسرون
الذين خسروا بالكفر وترك النظر والاعتبار اولم يهد للذين يرثون الارض من بعد
اهلها اى يخلفون من خلا قبلهم ويرثون ديارهم وانما عدى يهد باللام لانه
بمعنى يبين ان لو نشاء اصبناهم بذنوبهم ان الشان لو نشاء اصبناهم بجزاء
ذنوبهم كما اصبنا من قبلهم وهو فاعل يهد ومن قراه بالنون جعله مفعولا
ونطبع على قلوبهم عطف على مادل عليه اولم يهد اى يغفلون عن الهداية او منقطع
عنه بمعنى ونحن نطبع ولا يجوز عطفه على اصبناهم على انه بمعنى وطبعنا لانه فى سياقة
جواب لو لاقتضائه الى نفى الطبع عنهم فهم لا يسمعون سماع تفهم واعتبار تلك القرى
يعنى قرى الامم المار ذكرهم نقص عليك من انبائها حالا ان جعل القرى خبرا ويكون
افادته بالتقييد بها وخبرا ان جعلت صفة ويجوز ان يكونا خبرين ومن للتبعيض اى
نقص بعض انبائها ولها انبا غيرها لا نقصها ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات بالمعجزات
فما كانوا ليؤمنوا عند مجيئهم بها بما كذبوا من قبل بما كذبوا به من قبل مجيء الرسل بل
كانوا مستمرين على التكذيب او فما كانوا ليؤمنوا مدة عمرهم بما كذبوا به اولا حين
جاءتهم الرسل ولم يؤثر فيهم قط دعوتهم المتطاولة والآيات المتتابعة واللام لتاكيد
النفى والدلالة انهم ما صلحوا للايمان لمنافاة حالهم فى التصميم على الكفر والطبع

على قلوبهم

على قلوبهم كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين فلا يلين شكيمتهم بالآيات
والنذر وما وجدنا لاكثرهم لاكثر الناس والآية اعتراض لاكثر الامم المذكورين من عهد
وفاء عهد فان اكثرهم نقضوا ما عهد الله اليهم فى الايمان والتقوى بانزال الآيات
ونصب الحجاج وما عاهدوا اليه حين كانوا فى ضر ومخافة مثل لئن انجيتنا من هذه
لنكونن من الشاكرين وان وجدنا اكثرهم اى علمنا هم لفاسقين من وجدت زيدا
اذا لحفاظ لدخول ان المخففة واللام الفارقة وذلك لا يسوغ الا فى المبتدا والخبر
والافعال الداخلة عليهما وعند الكوفيين ان للنفى واللام بمعنى الا ثم بعثنا من بعدهم
موسى الضمير للرسل فى قوله ولقد جاءتهم رسلهم او للامم بآياتنا يعنى المعجزات الى فرعون
وملائه فظلموا بها بان كفروا بها مكان الايمان الذى هو من حقها الوضوح بها ولهذا المعنى
وضع ظلموا موضع كفروا وفرعون لقب لكل ملك مصر كقيصر لملك فارس وكان اسمه
قابوس وقيل الوليد بن مصعب بن الريان فانظر كيف كان عاقبة المفسدين
وقال موسى يا فرعون انى رسول من رب العالمين اليك وقوله حقيق على ان لا اقول
على الله الا الحق لتكذيبه آياته فى دعوى الرسالة وانما لم يذكر لدلالة قوله فظلموا بها عليه
وكان اصله حقيق على ان لا اقول كما قراه نافع فقلب لما من الالباس كقوله وتنشق الرماح
بالضياطرة الحمر ولان ما لزمك فقد لزمته او للاغراق فى وصف نفسه بالصدق
والمعنى انه حق واجب على القول الحق ان اكون انا قائله لا يرضى الا بمثلى ناطقا به او ضمن حقيق
معنى حريص او وضع على مكان الباء لافادة التمكن كقولهم رميت على القوس وجئت على حال
حسنة ويؤيده قراءة ابى بالباء وقرئ حقيق ان لا اقول قد جئتكم ببينة من ربكم
فارسل معى بنى اسرائيل فخلهم حتى يرجعوا الى الارض المقدسة التى هى وطن آبائهم
وكان قد استعبدهم واستخدمهم فى الاعمال قال ان كنت جئت بآية
فات بها واحضرها عندى ليثبت بها صدقك ان كنت من الصادقين فى الدعوى
فالقى عصاه فاذا هى ثعبان مبين ظاهر امره لا يشك احد انه ثعبان وهو الحية العظيمة
روى انه لما القاها صارت ثعبانا اشعر فاغرا فاه بين لحييه ثمانون ذراعا وضع لحيه الاسفل

على الارض والاعلى على سور القصر ثم توجه نحو فرعون فهرب منه واخذت وانهزم
الناس من زحمتهم فمات منهم خمسة وعشرون الفا وصاح فرعون يا موسى انشد بالذى
ارسلك خذه وانا اؤمن بك وأرسل معك بنى اسرائيل فاخذه فعاد عصا ونزع يده من جيبه
اومن تحت ابطه فاذا هى بيضاء للناظرين اى بياضها كان بياضا خارجا عن العادة
يجتمع عليه النظارة او بيضاء للنظارة لانها كانت بيضاء فى جملتها روى انه كان آدم سمراء
الادمة فادخل يده فى جيبه وتحت ابطه ثم نزعها فاذا هى بيضاء نورانية غلب شعاعها
شعاع الشمس قال الملأ من قوم فرعون ان هذا لساحر عليم قيل قالوه واشراف
قومه على سبيل التشاور فى امر فحكى عنه فى سورة الشعراء وعنهم ههنا يريد ان يخرجكم
من ارضكم فماذا تأمرون تشيرون فى ان نفعل قالوا ارجه واخاه وارسل فى المدائن
حاشرين يأتوك بكل سحار عليم كانه اتفقت عليه آراؤهم فاشاروا به الى فرعون والارجاء
التأخير اى أخر امرهن واصله ارجيه كما قرأ ابو عمرو وابو بكر ويعقوب من ارجأت
وكذلك ارجئه وعلى قراءة ابن كثير على الاصل فى الضمير وارجى من ارجيت كما قرأ نافع فى رواية
ورش واسمعيل والكسائى واما قراءته فى رواية قالون ارجه بحذف الياء والاكتفاء بالكسرة
عنها وقراءة حمزة وحفص ارجه بسكون الهاء فلتشبيه المنفصل بالمتصل وجعل الهاء وكأيّن
كأيٍ فى اسكان وسطه واما قراءة ابن عامر ارجئه بالهمزة وكسر الهاء فلا ترتضيه النحاة
فان الهاء لا تكسر الا اذا كان قبلها كسرة او ياء ساكنة ووجهه ان الهمزة لما كانت تقلب
ياء اجريت مجراه وقرأ حمزة والكسائى بكل سحار فيه وفى يونس ويؤيده اتفاقهم عليه
فى الشعراء وجاء السحرة فرعون بعد ما ارسل الشرط فى طلبهم قالوا ائن لاجرا ان
كنا نحن الغالبين استأنف بمكانه جواب سائل قال لما قالوا اذ جاءوا وقرأ ابن كثير
وابو عمرو وحفص ائن لنا على الاخبار وايجاب الاجر كانهم قالوا لا بد لنا من اجر والتنكير
للتعظيم قال نعم ان لكم اجرا وانكم لمن المقربين عطف على ما سد مسد نعم وزيادة
على الجواب لتحريضهم قالوا يا موسى اما ان تلقى واما ان نكون نحن الملقين خيروا
موسى مراعاة للادب واظهارا للجلادة ولكن كانت رغبتهم فى ان يلقوا قبله فنبهوا

عليها بتغيير النظم الى ما هو ابلغ وتعريف الخبر وتوسيط الفصل وتأكيد ضميرهم المتصل
بالمنفصل فلذلك قال بل القوا كرما وتسامحا او ازدراء بهم ووثوقا على شأنه فلما ألقوا
سحروا اعين الناس بان خيلوا اليها ما لا حقيقة له بخلافه واسترهبوهم وأرهبوهم
ازهابا شديدا كانهم طلبوا رهبتهم وجاءوا بسحر عظيم فى فنه روى انهم القوا حبالا
غلاظا وخشبا طوالا كانها حيات ملأت الوادى وركب بعضها بعضا واوحينا الى موسى
ان ألق عصاك فالقاها فصارت حية فاذا هى تلقف ما يأفكون اى ما يزورونه
من الافك وهو الصرف وقلب الشئ عن وجهه ويجوز ان يكون ما مصدرية وهى مع الفعل
بمعنى المفعول روى انها لما تلقفت حبالهم وعصيهم وابتلعتها باشرها اقبلت على الحاضرين
فهربوا وازدحموا حتى هلك جمع عظيم ثم اخذها موسى فصارت عصا كما كانت فقالت السحرة
لو كان هذا سحرا لبقيت حبالنا وعصينا فوقع الحق فثبت لظهور امره وبطل ما كانوا
يعملون من السحر والمعارضة فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين صاروا اذلاء مبهوتين
او رجعوا الى المدينة اذلاء مقهورين والضمير لفرعون وقومه والقى السحرة ساجدين
جعلهم ملقين على وجوههم تنبيها على ان الحق بهرهم واضطرهم الى السجود بحيث لم يبق لهم
تمالك او ان الله الهمهم ذلك وحملهم عليه حتى يكسر فرعون بالذين اراد بهم كسر موسى
ويغلب الامر عليه او مبالغة فى خرورهم وشدته قال فرعون آمنتم به
عطف على بيان او حال بتقدير قد او استئناف على تقدير سؤال كانه قيل فماذا قال فرعون
بالله او بموسى للاستفهام فيه للانكار وقرأ ابن كثير وابو عمرو والكسائى وابو بكر عن عاصم وروح
عن يعقوب بتحقيق الهمزتين على الاصل وقرأ حفص آمنتم به على الاخبار قبل أن آذن
لكم ان هذا لمكر مكرتموه اى ان هذا الصنيع لحيلة احتلتموها انتم وموسى فى المدينة
فى مصر قبل ان تخرجوا للميعاد لتخرجوا منها اهلها يعنى القبط وتتخلص لكم ولبنى اسرائيل
فسوف تعلمون عاقبة ما فعلتم وهو تهديد مجمل تفصيله لاقطعن ايديكم وارجلكم
من خلاف من كل شق طرفا يمنى ويسرى او بالعكس لاصلبنكم اجمعين تفضيحا لكم وتنكيلا لامثالكم قيل انه
اول من سن ذلك فشرعه الله تعالى للقطاع تعظيما لجرمهم ولذلك سماه محاربة لله
ورسوله ولكن على التعاقب لفرط رحمته قالوا انا الى ربنا منقلبون بالموت لا محالة فلا نبالى

قالوا آمنا برب العالمين رب
موسى وهرون ابدلوا الثانى
من الاول للايتوهم انه اراد وابه
فرعون ص ح

بعصاه ك

235

او انا لمنقلبون الى ربنا وثوابه ان فعلت بنا ذلك كانهم استطابوه شغفا على لقاء
الله او مصيرنا ومصيرك الى ربنا فيحكم بيننا وما تنقم منا وما تنكر منا الا ان آمنا
بآيات ربنا لما جاءتنا وهو خير الاعمال واصل المناقب ليس مما يتاتى العدول عنه
طلبا لمرضاتك ثم فزعوا الى الله فقالوا ربنا افرغ علينا صبرا افض علينا صبرا يغمرنا
كما يفرغ الماء او صب علينا ما يطهرنا من الآثام وهو الصبر على وعيد فرعون وتوفنا
مسلمين ثابتين على الاسلام قيل انه فعل بهم ما اوعدهم به وقيل لم يقدر عليهم
لقوله تعالى انتما ومن اتبعكما الغالبون وقال الملأ من قوم فرعون اتذر موسى وقومه
ليفسدوا في الارض بتغيير الناس عليك ودعوتهم الى مخالفتك ويذرك عطف
على ليفسدوا او جواب للاستفهام بالواو كقول الحطيئة الم اك جاركم ويكون بيني
وبينكم المودة والاخاء على معنى ايكون منك ترك موسى ويكون تركه اياك وقرئ بالرفع
على انه عطف على اتذر او استيناف او حال وقرئ بالسكون كانه قيل يفسدوا ويذرك
كقوله فاصدق واكن وآلهتك معبوداتك قيل كان يعبد الكواكب وقيل صنع
لقومه اصناما وامرهم ان يعبدوها تقربا اليه ولذلك قال انا ربكم الاعلى وقرئ
الاهتك اي عبادتك قال فرعون سنقتل ابناءهم ونستحيي نساءهم كما كنا
نفعل من قبل ليعلم انا على ما كنا عليه من القهر والغلبة ولا يتوهم انه المولود الذي
حكم المنجمون والكهنة بذهاب ملكنا على يده من قبل وقرأ ابن كثير ونافع سنقتل
بالتخفيف وانا فوقهم قاهرون غالبون مقهورون تحت ايدينا قال موسى
لقومه استعينوا بالله واصبروا لما سمعوا قول فرعون وتضجروا منه تسكينا لهم
ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده تسلية لهم وتقريرا للامر بالاستعانة
بالله والتثبت في الامر والعاقبة للمتقين وعد لهم بالنصرة وتذكير لما وعدهم
من اهلاك القبط وتوريثهم ديارهم وتحقيق له وقرئ والعاقبة بالنصب عطفا
على اسم ان واللام في الارض يحتمل العهد والجنس قالوا اي بنو اسرائيل اوذينا من قبل
ان تاتينا بالرسالة بقتل الابناء ومن بعد ما جئتنا باعادته قال عسى ربكم ان يهلك

عدوكم

عدوكم ويستخلفكم في الارض تصريحا بما كنى عنه اولا لما راى انهم لم يتسلوا بذلك
ولعله اتى بفعل الطمع لعدم جزمه بانهم المستخلفون باعيانهم او اولادهم وقد
روي ان مصر انما فتح لهم في زمان داود عليه السلام فينظر كيف تعملون فيرى ما تعملون
من شكر وكفران وطاعة وعصيان ليجازيكم على حسب ما يوجد منكم ولقد اخذنا آل
فرعون بالسنين بالجدوب لقلة الامطار والمياه والسنة غلبت على عام القحط
لكثرة ما يذكر عنه ويورخ به ثم اشتق منها فقيل اسنت القوم اذا اقحطوا ونقص من الثمرات
بكثرة العاهات لعلهم يذكرون لكي ينتبهوا بشوم كفرهم ومعاصيهم فيتعظوا به
من الخصب والسعة فاذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه لاجلنا ونحن مستحقوها
وان تصبهم سيئة جدب وبلاء يطيروا بموسى ومن معه يتشاءموا ويقولون
ما اصابتنا الا بشومهم وهذا اغراق في وصفهم بالغباوة والقساوة فان الشدائد
ترقق القلوب وتذلل العرائك وتزيل التماسك سيما بعد مشاهدة الآيات وهي لم تؤثر
فيهم بل زادوا عندها عتوا وانهماكا في الغي وانما عرف الحسنة وذكرها مع اداة التحقيق
لكثرة وقوعها وتعلق الارادة باحداثها بالذات ونكر السيئة واتى بها مع حرف الشك
لندورها وعدم القصد لها الا بالتبع الا انما طائرهم عند الله اي سبب خيرهم وشرهم
عنده وهو حكمه ومشيئته او سبب شومهم عند الله وهو اعمالهم المكتوبة عنده
فانها التي ساقت اليهم ما يسوءهم وقرئ انما طيرهم وهو اسم الجمع وقيل هو جمع ولكن
اكثرهم لا يعلمون ان ما يصيبهم من الله تعالى او من شوم اعمالهم وقالوا مهما اصلها
ما الشرطية ضمت اليها ما المزيدة للتاكيد ثم قلبت الفها هاء استثقالا للتكرير وقيل مركبة
من مه الذي يصوت به الكاف وما الجزائية ومحلها الرفع او النصب بفعل يفسره تاتنا به
اي ايما شيء تحضرنا تاتنا به من آية بيان لمهما وانما سموها آية على زعم موسى لا لاعتقادهم
ولذلك قالوا لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين اي لتسحر بها اعيننا وتشبه علينا
والضمير في به وبها لما ذكره قبل التبيين باعتبار اللفظ وانث بعده باعتبار المعنى
فارسلنا عليهم الطوفان ما طاف بهم وغشي اماكنهم وحروثهم من مطر او سيل

على ان ذلك صح

بهم صح

على الابتداء صح

وقيل الجدري وقيل الموتان وقيل الطاعون والجراد والقمل قيل هو كبار القردان
وقيل اولاد الجراد قبل نبات اجنحتها والضفادع والدم روى انهم مطروا ثمانية ايام
في ظلمة شديدة لا يقدر احدان يخرج من بيته ودخل الماء بيوتهم حتى قاموا فيه الى تراقيهم
وكانت بيوت بني اسرائيل بيوتهم ولم يدخل فيها قطرة وركد على اراضيهم فمنعهم من الحرث وركب
والتصرف فيها ودام ذلك عليهم اسبوعا فقالوا لموسى ادع لنا ربك يكشف عنا ونحن
نؤمن بك فدعا فكشف عنهم ونبت لهم من الكلاء والزرع ما لم يعهد مثله ولم يؤمنوا
فبعث الله عليهم الجراد فاكلت زروعهم وثمارهم ثم اخذت تاكل الابواب والسقوف والثياب
ففزعوا اليه فرفع عنهم فقالوا قد تحققنا الآن انك ساحر ثم ارسل الله عليهم الضفادع
بحيث لا يكشف ثوب ولا طعام الا وجدت فيه وكانت تمتلئ منها مضاجعهم وتثب
الى قدورهم وهي تغلي والى افواههم عند التكلم ففزعوا اليه وتضرعوا فاخذ عليهم
العهود ودعا فكشف الله عنهم فنقضوا العهد ثم ارسل الله عليهم الدم فصارت مياههم
دما حتى كان يجتمع القبطي مع الاسرائيلي على اناء فيكون ما يليه دما وما يلي الاسرائيلي ماء
وعض الماء من فم اسرائيلي فيصير دما في فيه وقيل سلط الله عليهم الرعاف آيات
نصب على الحال مفصلات مبينات لا يشكل على العاقل انها آيات الله ونعمته عليهم او مفصلا
لامتحان احوالهم اذ كان بين كل آيتين منها وكان امتداد كل واحدة اسبوعا وقيل ان
موسى لبث فيهم بعد ما غلب السحرة عشرين سنة يريهم هذه الآيات على مهل فاستكبروا
عن الايمان وكانوا قوما مجرمين ولما وقع عليهم الرجز يعني العذاب المفصل
او الطاعون ارسل الله عليهم بعد ذلك قالوا يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك
بعهده عندك وهو النبوة او بالذي عهده اليك ان تدعوه فيجيبك كما اجابك في آياتك
وهو صلة لادع او حال من الضمير فيه بمعنى ادع الله متوسلا اليه بما عهد او متعلق بفعل
محذوف دل عليه الفاصلهم مثل اسعفنا الى ما تطلب منك بحق ما عهد عندك او قسم مجاب
بقوله لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بني اسرائيل اي اقسمنا
بعهد الله عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن فلما كشفنا عنهم الرجز

مشتبكة

وخرج

ثم يا فذ عالخروج الى الصحراء واشار

نحو المشرق والمغرب فرجعت الى

النواحي التي جاءت منها فلم يؤمنوا

فسلط الله عليهم القمل فاكل ما ابقاه

الجراد وكان تقع في طعامهم ويدخل

بين ثيابهم وجلودهم فيمتصها

ففزعوا اليه

شهر

الى اجلهم بالغوه الى حد من الزمان هم بالغوه فيعذبون فيه او مهلكون وهو وقت
الغرق او الموت وقيل الى اجل عينوه لايمانهم اذا هم ينكثون جواب لما اي فلما كشفنا
عنهم فاجؤا النكث من غير توقف وتامل فيه فانتقمنا منهم فاردنا الانتقام منهم فاغرقناهم
في اليم اي البحر الذي لا يدرك قعره وقيل الخليج بانهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها
غافلين اي كان اغراقهم بسبب تكذيبهم بالآيات وعدم فكرهم فيها حتى صاروا كالغافلين
عنها وقيل الضمير للنقمة المدلول عليها بقوله فانتقمنا واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون
بالاستعباد وذبح الابناء من مستضعفيهم مشارق الارض ومغاربها يعني ارض الشام
ملكها بنو اسرائيل بعد الفراعنة والعمالقة وتملكوا في نواحيها التي باركنا فيها
بالخصب وسعة العيش وتمت كلمة ربك الحسنى على بني اسرائيل ومضت عليهم
واتصلت بالانجاز عدة اياها بالنصر والتمكين وهو قوله ونريد ان نمن الى قوله ما كانوا
يحذرون وقرئ كلمات ربك لتعدد المواعيد بما صبروا بسبب صبرهم على الشدايد
ودمرنا وخربنا ما كان يصنع فرعون وقومه من القصور والعمارات وما كانوا يعرشون
من الجنات او ما كانوا يرفعون من البنيان كصرح هامان وقرا ابن عامر وابو بكر يعرشون
بالضم وهذا آخر قصة فرعون وقومه وقوله وجاوزنا ببني اسرائيل البحر وما بعده ذكر
ما احدثه بنو اسرائيل من الامور الشنيعة بعد ان من الله عليهم بالنعم الجسام وارادهم
من الآيات العظام تسلية لرسول الله صلعم مما رأى منهم وايقاظا للمؤمنين حتى لا يغفلوا
عن محاسبة انفسهم ومراقبة احوالهم روي ان موسى عليه السلام عبر بهم يوم عاشوراء
بعد هلاك فرعون وقومه فصاموه شكرا فاتوا على قوم فمروا عليهم يعكفون على
اصنام لهم يقيمون على عبادتها قيل كانت تماثيل بقر وذلك اول شان العجل والقوم
كانوا من العمالقة الذين امر موسى بقتالهم وقيل من لخم وقرأ حمزة والكسائي
يعكفون بالكسر قالوا يا موسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة يعبدونها وما كافة للكاف
قال انكم قوم تجهلون وصفهم بالجهل المطلق وآكده لبعد ما صدر عنهم بعد ما رأوا من
الآيات الكبرى عن العقل ان هؤلاء اشارة الى القوم متبر مكسر مدمر ما هم فيه

هنا وفي النحل

قال ابو البقاء الباء زيدت للتعدية
كالهمزة اذا عديته وقرئ وجوزنا
قال ابو الكواشي جاوز وجوز واحد
واجزت المكان اذا عدته

بقية عبدة الاوثان

الى اجل

يعني ان الله يهدم دينهم الذي هم عليه ويحطم اصنامهم ويجعلهم رضاضا وباطل
مضمحل ما كانوا يعملون من عبادتها وان قصدوا بها التقرب الى الله تعالى وانما بالغ في هذا
الكلام بايقاع هؤلاء اسم ان والاخبار عما هم فيه بالتبار وعما فعلوا بالبطلان وتقديم
الخبرين في الجملتين الواقعتين خبرا لان للتنبيه على ان الدمار لاحق لما هم فيه لا محالة
وان الاحباط الكلي لازب لما مضى عنهم تنفيرا وتحذيرا عما طلبوا قال اغير الله ابغيكم
الها اطلب لكم معبودا وهو فضلكم على العالمين والحال انه خصكم بنعم لم يعطها غيركم
وفيه تنبيه على سوء مقابلتهم حيث قابلوا تخصيص الله اياهم من امثالهم بما لم يستحقوه
تفضلا بان قصدوا ان يشركوا به اخس شيء من مخلوقاته واذ انجيناكم من آل فرعون واذكروا
صنيعته معكم في هذا الوقت وقرأ ابن عامر انجاكم يسومونكم سوء العذاب استيناف
لبيان ما انجيناهم او حال من المخاطبين او آل فرعون او منهما يقتلون ابناءكم ويستحيون
نساءكم بدل منه مبين وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم وفي الانجاء او العذاب
نعمة او محنة عظيمة وواعدنا موسى ثلثين ليلة ذا القعدة وقرأ ابو عمرو ويعقوب
ووعدنا واتممناها بعشر من ذي الحجة فتم ميقات ربه اربعين ليلة بالغا اربعين
روي انه عليه السلام وعد بني اسرائيل بمصر ان يأتيهم بعد مهلك فرعون بكتاب
من الله فيه بيان ما يأتون ويذرون فلما هلك سأله ربه فامره بصوم ثلثين فلما
اتم انكر خلوف فيه فتسوك فقالت الملائكة كنا نشم منك رائحة المسك فافسدته
بالسواك فامره الله ان يزيد عليها عشرا وقيل امره بان يتخلى ثلثين بالصوم والعبادة
ثم انزل عليه التورية في العشر وكلمه فيها وقال موسى لاخيه هرون اخلفني
في قومي كن خليفتي فيهم واصلح ما يجب ان يصلح من امورهم او كن مصالحا ولا تتبع
سبيل المفسدين ولا تتبع من سلك الافساد ولا تطع من دعاك اليه ولما جاء
موسى لميقاتنا لوقتنا الذي وقتناه واللام للاختصاص اي اختص مجيئه بميقاتنا
وكلمه ربه من غير وسط كما يكلم الملائكة وفيما روي ان موسى عليه السلام كان يسمع
ذلك الكلام من كل جهة تنبيه على ان سماع كلامه القديم ليس من جنس كلام المحدثين

قال

قال رب ارني انظر اليك ارني نفسك بان تمكنني من رؤيتك او تتجلى لي فانظر
اليك واراك وهو دليل على ان رؤيته تعالى جائزة في الجملة لان طلب المستحيل من الانبياء
محال وخصوصا ما يقتضي الجهل بالله ولذلك رده بقوله قال لن تراني دون لن ارى ولن
اريك ولن تنظر الي تنبيها على انه قاصر عن رؤيته لتوقفها على معد في الرائي ولم يوجد
فيه بعد وجعل السؤال لتبكيت قومه الذين قالوا ارنا الله جهرة خطأ اذ لو كانت
الرؤية ممتنعة لوجب ان يجهلهم ويزيح شبهتهم كما فعل بهم حين قالوا اجعل لنا
الها ولا يتبع سبيلهم كما قال لاخيه ولا تتبع سبيل المفسدين والاستدلال بالجواب
على استحالتها اشد خطأ اذ لا يدل الاخبار عن عدم رؤيته اياه على ان لا يراه ابدا
وان لا يراه غيره اصلا فضلا عن ان يدل على استحالته ودعوى الضرورة فيه مكابرة
او جهالة بحقيقة الرؤية قال لن تراني ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف
تراني استدراك يريد ان يبين به انه لا يطيقه وفي تعليق الرؤية ايضا دليل الجواز
ضرورة ان المعلق على الممكن ممكن والجبل قد قيل جبل زبير فلما تجلى ربه للجبل
ظهر له عظمته وتصدى له اقتداره وامره وقيل اعطى له حيوة ورؤية رآه جعله
دكا مدكوكا مفتتا والدك والدق اخوان كالشك والشق وقرأ حمزة والكسائي
دكاء اي ارضا مستوية ومنه ناقة دكاء للتي لا سنام لها وقرئ دكا اي قطعا
جمع دكاء وخر موسى صعقا مغشيا عليه من هول ما رأى فلما افاق قال
تعظيما لما رأى سبحانك تبت اليك من الجرأة والاقدام على السؤال بغير اذن
وانا اول المؤمنين مر تفسيره وقيل معناه انا اول من آمن بانك لا ترى في الدنيا
قال يا موسى اني اصطفيتك اخترتك على الناس اي الموجودين في زمانك وهرون
وان كان نبيا كان مأمورا باتباعه ولم يكن كليما ولا صاحب شرع برسالاتي
يعني اسفار التورية وقرأ ابن كثير ونافع برسالتي وبكلامي وبتكليمي اياك فخذ ما
آتيتك اعطيتك من الرسالة وكن من الشاكرين على النعمة فيه روي ان
سؤال الرؤية كان يوم عرفة واعطاء التورية يوم النحر وكتبنا له في الالواح

من كل شئ ما يحتاجون اليه من امر الدين موعظة وتفصيلا لكل شئ بدل من الجار والمجرور اى كتبنا كل شئ من المواعظ وتفصيل الاحكام واختلف فى ان الالواح كانت عشرة او سبعة وكانت من زمرذ او زبرجد او ياقوت احمر او صخر صماء لينها الله تعالى فقطعها بيده او سقفها باصابعه وكان فيها التوراة وغيرها فخذها على اضمار القول عطفا على كتبنا او بدل من قوله فخذها آتيتك والهاء للالواح او لكل شئ فانه بمعنى الاشياء او للرسالات بقوة بجد وعزيمة وامر قومك يأخذوا بأحسنها باحسن ما فيها كالصبر والعفو بالاضافة الى الانتصار والاقتصاص على طريقة الندب والحث على الافضل كقولك اتبعوا احسن ما انزل اليكم او بواجباتها فان الواجب احسن من غيره ويجوز ان يراد بالاحسن البالغ فى الحسن مطلقا لا بالاضافة وهو المامور به كقولهم الضيف اكرم من الشتاء سأريكم دار الفاسقين دار فرعون وقومه بمصر خاوية على عروشها او منازل عاد وثمود واضرابهم لتعتبروا فلا تفسقوا او دارهم فى الآخرة وهى جهنم وقرئ سأوريكم بمعنى سابين لكم من اوريت الزند وسأورثكم ويؤيده قوله واورثنا القوم سأصرف عن آياتى المنصوبة فى الآفاق والانفس الذين يتكبرون فى الارض بالطبع على قلوبهم فلا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها وقيل سأصرفهم عن ابطالها وان اجتهدوا كما فعل فرعون فعاد عليه باعلائها او باهلاكهم بغير الحق صلة يتكبرون اى يتكبرون بما ليس بحق وهو دينهم الباطل او حال من فاعله وان يروا كل آية منزلة او معجزة لا يؤمنوا بها لعنادهم او اختلال عقلهم بسبب انهماكهم فى الهوى والتقليد وهو يؤيد الوجه الاول وان يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا لاستيلاء الشيطنة عليهم وقرأ حمزة والكسائى بفتحتين وقرئ الرشاد وهما لغتان كالسقم والسقم وان يروا سبيل الغى يتخذوه سبيلا ذلك بانهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين اى ذلك الصرف بسبب تكذيبهم وعدم تدبرهم للآيات ويجوز ان ينصب ذلك على المصدر اى سأصرف ذلك الصرف بسببهما والذين كذبوا

بآياتنا

بآياتنا ولقاء الآخرة اى ولقائهم الدار الآخرة وما وعد الله فى الآخرة والخذ قوم موسى من بعده من بعد ذهابه للميقات من حليهم التى استعاروا من القبط حين هموا بالخروج من مصر واضافتها اليهم لانها كانت فى ايديهم او ملكوها بعد هلاكهم وهو جمع حلى كثدى وثدى وقرأ حمزة والكسائى بالكسر لاتباع كدلى ويعقوب بالافراد عجلا جسدا بدنا ذا لحم ودم او جسدا من الذهب خاليا من الروح ونصبه على البدل له خوار صوت البقر روى ان السامرى لما صاغ العجل القى فى فمه من تراب اثر فرس جبريل فصار حيا وقيل صاغه بنوع من الحيل فيدخل الريح جوفه ويصوت وانما نسب الاتخاذ اليهم وفعله اما لانهم رضوا به او لان المراد اتخاذهم اياه الها وقرئ حؤار اى صياح ألم يروا انه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا تقريع على فرط ضلالتهم واخلالهم بالنظر والمعنى المرئ واحين اتخذوه الها انه لا يقدر على كلام ولا على ارشاد سبيل كآحاد البشر حتى حسبوا انه خالق الاجسام والقوى والقدر اتخذوه تكرير للذم اى اتخذوه الها وكانوا ظالمين واضعين الاشياء فى غير موضعها فلم يكن اتخاذ العجل بدعا منهم ولما سقط فى ايديهم كناية عن اشتداد ندمهم فان النادم المتحسر يعض يده غما فيصير يده مسقوطا فيها وقرئ سقط على بناء الفاعل بمعنى وقع العض فيها وقيل معناه سقط الندم فى انفسهم ورأوا وعلموا انهم قد ضلوا باتخاذ العجل قالوا لئن لم يرحمنا ربنا بانزال التوبة ويغفر لنا بالتجاوز عن الخطيئة لنكونن من الخاسرين وقرأهما حمزة والكسائى بالتاء وربنا على النداء ولما رجع موسى الى قومه غضبان اسفا شديد الغضب وقيل حزينا قال بئسما خلفتمونى من بعدى فعلتم بعدى حيث عبدتم العجل والخطاب للعبدة او قمتم مقامى فلم تكفوا العبدة والخطاب لهرون والمؤمنين معه وما نكرة موصوفة تفسر المستكن فى بئس والمخصوص بالذم محذوف تقديره بئس خلافة خلفتمونيها من بعدى خلافتكم ومعنى من بعدى من بعد انطلاقى او من بعد ما رأيتم منى من التوحيد والتنزيه والحمل عليه والكف عما نهيتكم عنه اعجلتم امر ربكم اتركتموه غير تام كأنه ضمن عجل معنى سبق فعدى

تعديته او اعجلتم وعد ربكم الذى وعدنيه من الاربعين وقدرتم موتى وغيرتم
بعدى كما غيرت الامم بعد انبيائهم والقى الالواح طرحها من شدة الغضب
وفرط الضجرة حمية للدين روى ان التورية كانت سبعة اسباع فى سبعة الواح
فلما القاها انكسرت فرفع ستة اسباعها وكان فيها تفصيل كل شئ وبقى سبع كان فيها
المواعظ والاحكام واخذ براس اخيه بشعر راسه يجره اليه توهما بانه قصر فى كفهم
وهرون كان اكبر منه بثلث سنين وكان حمولا لينا ولذلك كان احب الى بنى اسرائيل
قال يا ابن ام ذكر الام ليرققه عليه وكانا من اب وام وقرا ابن عامر وحمزة والكسائى
وابو بكر عن عاصم يا ابن ام بالكسر واصله يا ابن امى محذوف الياء اكتفاء بالكسرة تخفيفا
كالمنادى المضاف الى الياء وقرا الباقون بالفتح زيادة فى التخفيف لطوله او تشبيها
بخمسة عشر ان القوم استضعفونى وكادوا يقتلوننى لتوهم التقصير فى حقه
والمعنى بذلت وسعى فى كفهم حتى قهرونى واستضعفونى وقاربوا قتلى فلا تشمت بى
الاعداء فلا تفعل بى ما يشمتون بى لاجله ولا تجعلنى مع القوم الظالمين معدودا
فى عدادهم بالمواخذة او نسبة التقصير قال رب اغفر لى ما صنعت باخى ولاخى
ان فرط فى كفهم ضم اليه نفسه فى الاستغفار ترضية له ودفعا للشماتة عنه
وادخلنا فى رحمتك بمزيد الانعام علينا وانت ارحم الراحمين فانت ارحم بنا منا على
انفسنا ان الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وهو ما امرهم به
من قتل انفسهم وذلة فى الحيوة الدنيا وهى خروجهم من ديارهم وقيل الجزية
وكذلك نجزى المفترين على الله ولا فرية اعظم من فريتهم هذا الهكم واله موسى ولعله
لم يفتر مثلها احد قبلهم ولا بعدهم والذين عملوا السيئات من الكفر والمعاصى
ثم تابوا من بعدها من بعد السيئات وآمنوا واشتغلوا بالايمان وما هو مقتضاه
من الاعمال الصالحة ان ربك من بعدها من بعد التوبة لغفور رحيم وان عظم
الذنب كجريمة عبدة العجل وكثر كجرائم بنى اسرائيل ولما سكت سكن وقرئ به عن موسى
الغضب باعتذار هرون او بتوبتهم وفى هذا الكلام مبالغة وبلاغة من حيث انه

جعل

جعل الغضب الحامل له على ما فعل كالآمر به والمغرى عليه حتى عبر عن سكونه بالسكوت
وقرئ سكت واسكت على ان المسكت هو الله او اخوه او الذين تابوا اخذ الالواح التى
القاها وفى نسختها وفيما نسخ فيها اى كتب فعلة بمعنى مفعول كالخطبة وقيل فيما نسخ
منها اى من الالواح المنكسرة هدى بيان للحق ورحمة ارشاد الى الصلاح والخير للذين
هم لربهم يرهبون دخلت اللام المفعول لضعف الفعل بالتاخير او حذف المفعول
واللام للتعليل والتقدير يرهبون معاصى الله لربهم واختار موسى قومه اى من قومه
فحذف الجار واوصل الفعل اليه سبعين رجلا لميقاتنا فلما اخذتهم الرجفة
روى انه تعالى امره ان ياتيه فى سبعين من بنى اسرائيل فاختار من كل سبط ستة فزاد اثنان
فقال ليتخلف منكم رجلان فتشاجوا فقال ان لمن قعد اجر من خرج فقعد كالب ويوشع
وذهب مع الباقين فلما دنوا من الجبل غشيه غمام فدخل موسى عليه السلام
بهم الغمام وخروا سجدا فسمعوه يكلم موسى يامره وينهاه ثم انكشف الغمام فاقبلوا اليه
وقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فاخذتهم الرجفة اى الصاعقة او رجفة الجبل
فصعقوا منها قال رب لو شئت اهلكتهم من قبل واياى تمنى هلاكهم وهلاكه قبل
ان يرى ما راى او بسبب آخر او عنى به انك قدرت على اهلاكهم قبل ذلك بحمل فرعون
على اهلاكهم وباغراقهم فى البحر وغيرهما فترحمت عليهم بالانقاذ منهم فان ترحمت
عليهم مرة اخرى لم يبعد من عميم احسانك اتهلكنا بما فعل السفهاء منا
من العناد والتجاسر على طلب الرؤية وكان ذلك قاله بعضهم وقيل المراد بما فعل
السفهاء عبادة العجل والسبعون اختارهم موسى عليه السلام لميقات التوبة
عنها فغشيتهم هيبة قلقوا منها ورجفوا حتى كادت تبين مفاصلهم واشرفوا
على الهلاك فخاف عليهم موسى فبكى فدعا فكشفها الله عنهم ان هى الا فتنتك ابتلاؤك
حين اسمعتهم كلامك حتى طمعوا فى الرؤية او اوجدت فى العجل خوارا فراغوا به تضل
بها من تشاء ضلاله بالتجاوز عن حده او باتباع المخائل وتهدى من تشاء هداه فتقوى
بها ايمانه انت ولينا القائم بامرنا فاغفر لنا بمغفرة ما قارفنا وارحمنا وانت خير الغافرين

تغفر السيئة وتبدلها بالحسنة واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة اي حسن معيشة
وتوفيق طاعة وفي الآخرة الجنة انا هدنا اليك تبنا اليك من هاد يهود اذا رجع
وقرئ بالكسر من هاد يهيد اذا اماله ويحتمل ان يكون مبنيا للفاعل وللمفعول بمعنى املنا
انفسنا او املنا اليك ويجوز ان يكون المضموم ايضا مبنيا للمفعول على لغة من يقول
عود قال عذابي اصيب به من اشاء تعذيبه ورحمتي وسعت كل شيء
في الدنيا المؤمن والكافر بل المكلف وغيره فساكتبها فساثبتها في الآخرة او فاكتبها كتبة
خاصة منكم يا بني اسرائيل للذين يتقون الكفر والمعاصي ويؤتون الزكوة
خصها بالذكر لانافتها ولانها كانت اشق عليهم والذين هم بآياتنا يؤمنون
فلا يكفرون بشيء منها الذين يتبعون الرسول النبي الامي مبتداء وخبره يأمرهم او خبر
مبتداء تقديره هم الذين او بدل من الذين يتقون بدل البعض او الكل او المراد من آمن
منهم بمحمد عليه السلم وانما سماه رسولا بالاضافة الى الله ونبيا بالاضافة الى العباد
والامي الذي لا يكتب ولا يقرأ وصفه به تنبيها على ان كمال علمه مع حاله احد معجزاته الذي
يجدونه مكتوبا عندهم في التورية والانجيل اسما وصفة يأمرهم بالمعروف
وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات مما حرم عليهم كالشحوم ويحرم عليهم
الخبائث كالدم ولحم الخنزير او كالربوا او الرشوة ويضع عنهم اصرهم والاغلال
التي كانت عليهم ويخفف عنهم ما كلفوا من التكاليف الشاقة كتعيين القصاص
في العمد والخطاء وقطع الاعضاء الخاطئة وقرض موضع النجاسة واصل الاصر الثقل
الذي ياصر صاحبه اي يحبسه من الحراك لثقله فالذين آمنوا به وعزروه وعظموه
بالتقوية وقرئ بالتخفيف واصله المنع ومنه التعزير ونصروه واتبعوا النور الذي
انزل معه اي مع نبوته يعني القرآن وانما سماه نورا لانه باعجازه ظاهر امره مظهر غيره
او لانه كاشف الحقائق مظهر لها ويجوز ان يكون معه متعلقا باتبعوا اي واتبعوا النور
المنزل مع اتباع النبي فيكون اشارة الى اتباع الكتاب والسنة اولئك هم المفلحون
الفائزون بالرحمة الابدية ومضمون الآية جواب دعاء موسى قل يا ايها الناس

المريض

وقرا ابن عامر آصارهم

اني رسول الله

والوجوه الاول ما عدا كونه مبتداء خبره لا اله الا هو

اني رسول الله اليكم الخطاب عام وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم مبعوثا
الى كافة الثقلين وسائر الرسل الى اقوامهم جميعا حال من اليكم الذي له ملك السموات
والارض صفة لله وان حيل بينهما بما متعلق المضاف اليه لانه كالمتقدم عليه او مدح
منصوب او مرفوع او مبتداء خبره لا اله الا هو وهو على الوجوه الاول بيان لما قبله
فان من ملك العالم كان هو لا اله غيره وفي يحيي ويميت مزيد تقرير لاختصاصه
بالالوهية فآمنوا بالله ورسوله النبي الامي الذي يؤمن بالله وكلماته ما انزل عليه
وعلى سائر الرسل من كتبه ووحيه وقرئ وكلمته على ارادة الجنس او القرآن او عيسى
تعريضا لليهود وتنبيها على ان من لم يؤمن به لم يعتبر ايمانه وانما عدل عن التكلم الى الغيبة
لاجراء هذه الصفات الداعية الى الايمان والاتباع له واتبعوه لعلكم تهتدون
جعل رجاء الاهتداء اثر الامرين تنبيها على ان من صدقه ولم يتابعه بالتزام
شرعه فهو بعد في خطط الضلالة ومن قوم موسى يعني بني اسرائيل امة
يهدون بالحق يهدون الناس محقين او بكلمة الحق وبه وبالحق يعدلون بينهم
في الحكم والمراد بها الثابتون على الايمان القائمون بالحق من اهل زمانه اتبع ذكرهم
ذكر اضدادهم على ما هو عادة القرآن تنبيها على ان تعارض الخير والشر وتزاحم
اهل الحق والباطل امر مستمر وقيل مؤمنوا اهل الكتاب وقيل قوم وراء الصين
رآهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج فآمنوا به وقطعناهم وصيرناهم
قطعا متميزا بعضهم عن بعض اثنتي عشرة مفعول ثان لقطع فانه متضمن معنى صير
او حال وتانيثه للحمل على الامة او القطعة اسباطا بدل منه ولذلك جمع او تمييز له
على ان كل واحدة من اثنتي عشرة اسباط فكانه قيل اثنتي عشرة قبيلة وقرئ بكسر
الشين واسكانها امما على الاول بدل بعد بدل او نعت لاسباطا وعلى الثاني بدل
من اسباطا واوحينا الى موسى اذ استسقاه قومه في التيه ان اضرب بعصاك
الحجر فانبجست اي فضرب فانبجست وحذفه للايماء على ان موسى لم يتوقف في الامتثال
وان ضربه لم يكن مؤثرا يتوقف عليه الفعل في ذاته منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل اناس

هو

هو الاله لا غيره

241

كل سبط مشربهم وظللنا عليهم الغمام ليقيهم حر الشمس وانزلنا عليهم المن
والسلوى كلوا وقلنا لهم كلوا من طيبات ما رزقناكم وما ظلمونا ولكن كانوا
انفسهم يظلمون سبق تفسيره في سورة البقرة واذ قيل لهم اسكنوا هذه القرية
باضمار اذكروا القرية بيت المقدس وكلوا منها حيث شئتم وقولوا حطة وادخلوا الباب
سجدا مثل ما في البقرة معنى غير ان قوله فكلوا فيها تسبب سكناهم للاكل منها ولم يتعرض
له ههنا اكتفاء بذكره ثمة او بدلالة الحال عليه واما تقديم قولوا على وادخلوا فلا اثر له
في المعنى لانه لا يوجب الترتيب وكذا الواو العاطفة بينهما نغفر لكم خطيئاتكم سنزيد المحسنين
وعد ما امروا به وقرا نافع وابن عامر ويعقوب تغفر بالتاء والبناء للمفعول وخطيئاتكم
بالرفع والجمع غير ابن عامر فانه وحد وقرا ابو عمرو وخطاياكم فبدل الذين ظلموا منهم
قولا غير الذي قيل لهم فارسلنا عليهم رجزا من السماء بما كانوا يظلمون مضى تفسيره
فيها واسئلهم للتقرير والتقريع بتقديم كفرهم وعصيانهم والاعلام بما هو من علومهم
التي لا تعلم الا بتعليم او وحي ليكون ذلك معجزة عليهم عن القرية عن خبرها وما وقع
باهلها التي كانت حاضرة البحر قريبة منه وهي ايلة قرية بين مدين والطور
على شاطئ البحر وقيل مدين وقيل طبرية اذ يعدون في السبت يتجاوزون حدود
الله يوم السبت واذ ظرف لكانت او حاضرة او للمضاف المحذوف او بدل منه بدل
الاشتمال اذ تاتيهم حيتانهم ظرف ليعدون او بدل بعد بدل وقرئ يعدون
واصله يعتدون ويعدون من الاعداد اي يعدون آلات الصيد يوم السبت وقد
نهوا ان يشتغلوا فيه بغير العبادة يوم سبتهم شرعا يوم تعظيمهم امر السبت مصدر
سبتت اليهود اذا عظمت سبتها بالتجرد للعبادة وقيل اسم اليوم والاضافة لاختصاصهم
باحكام فيه ويؤيد الاول ان قرئ ويوم اسباتهم وقوله ويوم لا يسبتون لا تاتيهم
وقرئ لا يسبتون من اسبت ولا يسبتون على البناء للمفعول بمعنى لا يدخلون في السبت
وشرعا حال من الحيتان معناه ظاهرة على وجه الماء من شرع علينا اذا دنا واشرف
كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون مثل ذلك البلاء الشديد نبلوهم بسبب فسقهم

وقيل

بالغفران والزيادة عليه بالاثابة وانما اخرج الثاني مخرج الاستيناف للدلالة على انه تفضل محض ليس في مقابلته

بالفاء افاد

ايلة بفتح الهمزة

بالصيد

وقيل كذلك متصل بما قبله اي لا ياتيهم مثل اتيانهم يوم السبت والباء متعلق بيعدون
واذ قالت عطف على اذ يعدون امة منهم جماعة من اهل القرية صلحاؤهم الذين اجتهدوا
في موعظتهم حتى ايسوا من اتعاظهم لم تعظون قوما الله مهلكهم مخترمهم او معذبهم عذابا
شديدا في الآخرة لتماديهم في العصيان قالوه مبالغة في ان الوعظ لا ينفع فيهم
او سؤالا عن علة الوعظ ونفعه وكانه تقاول بينهم او قول من ارعوى عن الوعظ لمن لم
يرعو منهم وقيل المراد طائفة من الفرقة الهالكة اجابوا به وعاظهم ردا عليهم وتهكما بهم
قالوا معذرة الى ربكم جواب للسؤال اي موعظتنا انها عذر الى الله حتى لا ننسب الى
تفريط في النهي عن المنكر وقرا حفص معذرة بالنصب على المصدر او العلة اي اعتذرنا به
معذرة او وعظناهم معذرة ولعلهم يتقون اذ اليأس لا يحصل الا بالهلاك
فلما نسوا تركوا ترك الناسي ما ذكروا به ما ذكرهم به صلحاؤهم انجينا الذين ينهون
عن السوء واخذنا الذين ظلموا بالاعتداء ومخالفة امر الله بعذاب بئيس شديد من بؤس
يبؤس بأسا اذا اشتد وقرا ابو بكر بيئس على فيعل كضيغم وابن عامر بئس بكسر الباء وسكون
الهمزة على انه بئس كحذر كما قرئ فخفف عينه بنقل حركتها الى الفاء ككبد في كبد ونافع
بيس على قلب الهمزة ياء كما قلبت في ذيب او على انه فعل الذم وصف به فجعل اسما وقرئ
بيس كريس على قلب الهمزة ياء ثم ادغامها وبيس على التخفيف كهين وبائس بما كانوا
يفسقون بسبب فسقهم فلما عتوا عما نهوا عنه تكبروا عن ترك ما نهوا كقوله
وعتوا عن امر ربهم قلنا لهم كونوا قردة خاسئين كقوله انما قولنا لشيء اذا اردناه ان نقول له
كن فيكون والظاهر يقتضي ان الله تعالى عذبهم اولا بعذاب شديد فعتوا بعد ذلك
فمسخهم ويجوز ان تكون الآية الثانية تقريرا وتفصيلا روي ان الناهين لما ايسوا عن اتعاظ
المعتدين كرهوا مساكنتهم فقسموا القرية بجدار فيه باب مطروق فاصبحوا يوما ولم
يخرج اليهم احد من المعتدين فقالوا ان لهم شانا فدخلوا عليهم فاذا هم قردة فلم يعرفوا انسباءهم
ولكن القرود تعرفهم فجعلت تاتي انسباءهم وتشم ثيابهم وتدور حولهم باكية ثم ماتوا بعد
ثلث وعن مجاهد مسخت قلوبهم لا ابدانهم واذ تاذن ربك اي اعلم تفعل من الايذان

يعني

لا ننسب

فعيل

الضيغم الاسد ويقال للذي يعض ايضا

للاولى

بمعناه كالتوعد والايعاد وعزم لان العازم على الشئ يوطن نفسه بفعله واجرى مجرى
فعل القسم كعلم الله وشهد الله ولذلك اجيب بجوابه وهو ليبعثن عليهم الى يوم القيمة
والمعنى واذ اوجب ربك على نفسه ليسلطن على اليهود من يسومهم سوء العذاب
كالاذلال وضرب الجزية بعث الله عليهم بعد سليمان بخت نصر فقتل مقاتليهم
وخرب ديارهم وسبى نساءهم وذراريهم وضرب الجزية على من بقى منهم وكانوا يودونها
الى المجوس حتى بعث الله محمدا عليه السلم فعاملهم ما فعل ثم ضرب عليهم الجزية فلا تزال
مضروبة الى آخر الدهر ان ربك لسريع العقاب عاقبهم فى الدنيا وانه لغفور رحيم
لمن تاب وآمن وقطعناهم فى الارض امما وفرقناهم فيها بحيث لا يكاد يخلو قطر منهم
تتمة لادبارهم حتى لا يكون لهم شوكة قط وامما مفعولا ثانيا او حالا منهم الصالحون
اوبدلا منه وهم الذين آمنوا بالمدينة ونظراؤهم ومنهم دون ذلك تقديره ومنهم
ناس دون ذلك منحطون عن الصلاح وهم كفرتهم وفسقتهم وبلوناهم بالحسنات
والسيئات بالنعم والنقم لعلهم يرجعون ينتهون فيرجعون عما كانوا عليه
فخلف من بعدهم من بعد المذكورين خلف بدل سوء مصدر نعت به ولذلك يقع على
الواحد والجمع وقيل هو جمع وهو نائب فى الشر والخلف بالفتح فى الخير والمراد بهم الذين
كانوا فى عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم ورثوا الكتاب التورية من اسلافهم
يقرؤنها ويقفون على ما فيها يأخذون عرض هذا الادنى حطام هذا الشئ الادنى
يعنى الدنيا وهو من الدنو او الدناءة وهو ما كانوا ياخذون من الرشى فى الحكومة وعلى
تحريف الكلم والجملة حال من الواو ويقولون سيغفر لنا لا يواخذنا الله بذلك ويتجاوز
عنه وهو يحتمل العطف والحال والفعل مسند الى الجار والمجرور او مصدر ياخذون
وان يأتهم عرض مثله يأخذوه حال من الضمير فى لنا اى يرجون المغفرة مصرين على
الذنب عائدين الى مثله غير تائبين عنه الم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب اى فى الكتاب
ان لا يقولوا على الله الا الحق عطف بيان للميثاق او متعلق به اى بان لا يقولوا والمراد
توبيخهم على البت من حيث المعنى فانه تقرير او على ورثوا وهو اعتراض والدار الآخرة

خير للذين يتقون مما يأخذه هؤلاء افلا يعقلون فيعلموا ذلك ولا يستبدلوا الادنى
الموذى الدنى الى العقاب بالنعيم المخلد وقراء نافع وابن عامر وحفص ويعقوب بالتاء على التلوين
والذين يمسكون بالكتاب وافاموا الصلوة عطف على للذين يتقون وقوله افلا
يعقلون اعتراض او مبتدأ خبره انا لا نضيع اجر المصلحين على تقدير منهم ووضع
الظاهر موضع المضمر تنبيها على ان الاصلاح كالمانع من التضييع وقراء ابو بكر يمسكون بالتخفيف
وافراد الاقامة لانافتها على سائر التمسكات واذ نتقنا الجبل فوقهم اى قلعناه ورفعناه
فوقهم واصل النتق الجذب كانه ظلة سقيفة وهى كل ما اظلك وظنوا وتيقنوا انه
واقع بهم ساقط عليهم لان الجبل لا يثبت فى الجو ولانهم كانوا يوعدون به وانما اطلق
الظن لانه لم يقع متعلقه وذلك لانهم ابوا ان يقبلوا احكام التورية لثقلها فرفع الله
الطور فوقهم وقيل لهم ان قبلتم ما فيها والا ليقعن عليكم خذوا على اضمار القول اى
وقلنا خذوا او قائلين خذوا ما اتيناكم من الكتاب بقوة بجد وعزم على تحمل ميثاقه
وهو حال من الواو واذكروا ما فيه بالعمل به ولا تتركوه كالمنسى لعلكم تتقون
قبايح الاعمال ورذايل الاخلاق واذ اخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم
اى اخرج من اصلابهم نسلهم على ما يتوالدون قرنا بعد قرن من ظهور هم بدل من بنى آدم
بدل البعض وقرا نافع وابو عمرو وابن عامر ويعقوب ذرياتهم واشهدهم على انفسهم
الست بربكم اى ونصب لهم دلائل ربوبيته وركب فى عقولهم ما يدعوهم الى الاقرار
بها حتى صاروا بمنزلة من قيل لهم الست بربكم قالوا بلى تنزيل تمكينهم من العلم بها
وتمكنهم منه منزلة الاشهاد والاعتراف على طريقة التمثيل ويدل عليه قوله قالوا
بلى شهدنا ان تقولوا يوم القيامة اى كراهة ان تقولوا انا كنا عن هذا
غافلين لم ننبه عليه بدليل او تقولوا عطف على ان تقولوا وقرا ابو عمرو وكليهما
بالياء لان اول الكلام على الغيبة انما اشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم
فاقتدينا بهم لان التقليد عند قيام الدليل والتمكن من العلم به لا يصلح عذرا افتهلكنا
بما فعل المبطلون يعنى آباءهم المبطلون بتاسيس الشرك وقيل لما خلق الله آدم

اخرج من ظهره ذريته كالذر واحياهم وجعل لهم العقل والنطق والهمهم ذلك لحديث
رواه عمر رضي الله عنه وقد حققت الكلام فيه في شرحي لكتاب المصابيح والمقصود من ايراد هذا
الكلام ههنا الزام اليهود بمقتضى الميثاق العام بعد ما الزمهم بالميثاق المخصوص بهم
والاحتجاج بالحجج السمعية والعقلية ومنعهم عن التقليد وحملهم على النظر والاستدلال
كما قال وكذلك نفصل الآيات لعلهم يرجعون اي عن التقليد واتباع الباطل واتل
عليهم اي على اليهود نبأ الذي آتيناه آياتنا هو احد علماء بني اسرائيل او امية بن ابي
الصلت فانه كان قد قرأ الكتب وعلم ان الله مرسل رسولا في ذلك الزمان ورجا ان
يكون هو فلما بعث محمد عليه السلام حسده وكفر به او بلعم بن باعورا من الكنعانيين
اوتي علم بعض كتب الله فانسلخ منها من الآيات بان كفر بها واعرض عنها
فاتبعه الشيطان حتى لحقه وقيل استتبعه فكان من الغاوين فصار من الضالين
روي ان قومه سألوه ان يدعو على موسى ومن معه فقال كيف ادعو على من معه الملائكة
فالحوا عليه حتى دعا عليهم فبقوا في التيه ولو شئنا لرفعناه الى منازل الابرار من العلماء
بها بسبب تلك الآيات وملازمتها ولكنه اخلد الى الارض مال الى الدنيا او الى السفالة
واتبع هواه في ايثار الدنيا واسترضاء قومه واعرض عن مقتضى الآيات وانما علق رفعه بمشية
الله ثم استدرك عنه بفعل العبد تنبيها على ان المشية سبب لفعله الموجب لرفعه
وان عدمه دليل عدمها دلالة انتفاء المسبب على انتفاء سببه وان السبب الحقيقي هو
المشية وان ما نشاهده من الاسباب وسايط معتبرة في حصول المسبب من حيث ان
المشية تعلقت به كذلك وكان من حقه ان يقول ولكنه اعرض عنها فاوقع موقعه
اخلد الى الارض واتبع هواه مبالغة وتنبيها على ما حمله عليه وان حب الدنيا راس كل خطيئة
فمثله فصفته التي هي مثل في الخسة كمثل الكلب كصفته في اخس احواله
وهو ان تحمل عليه يلهث او تتركه يلهث اي يلهث دائما سواء حمل عليه بالزجر والطرد
او ترك ولم يتعرض له بخلاف سائر الحيوانات لضعف فؤاده واللهث ادلاع اللسان
من النفس الشديد والشرطية في موضع الحال والمعنى لاهثا في الحالتين والتمثيل واقع
التنفس

موقع

موقع لازم التركيب الذي هو نفي الرفع ووضع المنزلة للمبالغة والبيان وقيل لما دعا
على موسى خرج لسانه فوقع على صدره وجعل يلهث كالكلب ذلك مثل القوم الذين
كذبوا بآياتنا فاقصص القصص المذكورة فانها نحو قصصهم لعلهم يتفكرون تفكرا
يؤدي بهم الى الاتعاظ ساء مثلا القوم الذين اي مثل القوم وقرئ ساء مثل القوم
على حذف المخصوص بالذم الذين كذبوا بآياتنا بعد قيام الحجة عليها وعلمهم بها وانفسهم
كانوا يظلمون اما ان يكون داخلا في الصلة معطوفا على كذبوا بمعنى الذين جمعوا بين تكذيب
الآيات وظلم انفسهم او منقطعا عنها بمعنى وما ظلموا بالتكذيب الا انفسهم فان وباله
لا يتخاطاها ولذلك قدم المفعول من يهد الله فهو المهتدي ومن يضلل
فاولئك هم الخاسرون تصريح بان الهدى والضلال من الله وان هداية الله تختص ببعض
دون بعض وانها مستلزمة للاهتداء والافراد في الاول والجمع في الثاني لاعتبار اللفظ
والمعنى تنبيه على ان المهتدين كواحد لاتحاد طريقهم بخلاف الضالين والاقتصار في
الاخبار عمن هداه الله بالمهتدي تعظيم لشان الاهتداء وتنبيه على انه في نفسه كمال
جسيم ونفع عظيم لو لم يحصل له غيره لكفاه وانه المستلزم للفوز بالنعم الآجلة والعنوان
لها ولقد ذرأنا خلقنا لجهنم كثيرا من الجن والانس يعني المصرين على الكفر في علمه تع
لهم قلوب لا يفقهون بها اذ لا يلقونها الى معرفة الحق والنظر في دلائله ولهم اعين لا
يبصرون بها الى ما خلق الله نظر اعتبار ولهم آذان لا يسمعون بها الآيات والمواعظ
تامل وتذكر اولئك كالانعام في عدم الفقه والابصار للاعتبار والاستماع للتدبر او في ان
مشاعرهم وقواهم متوجهة الى اسباب التعيش مقصورة عليها بل هم اضل فانها تدرك
ما يمكن لها ان يدرك من المنافع والمضار وتجتهد في جذبها ودفعها غاية جهدها وهم
ليسوا كذلك بل اكثرهم يعلم انه معاند فيقدم على النار ولله الاسماء الحسنى لانها دالة
على معان هي احسن المعاني والمراد بها الالفاظ وقيل الصفات فادعوه بها فسموه
بتلك الاسماء وذروا الذين يلحدون في اسمائه واتركوا تسمية الزائغين فيها الذين يسمونه
بما لا توقيف فيه او بما يوهم معنى فاسدا كقولهم يا ابا المكارم يا ابيض الوجه او لا تبالوا

على اليهود صح

وظلمهم

سماع صح

اولئك هم الغافلون
الكاملون في الغفلة صح

بانكارهم ما استمى به نفسه كقولهم ما نعرف الا الرحمن اليمامة او ذروهم والحادهم
فيها باطلاقها على الاصنام واشتقاق اسمائها منها كاللات من الله والعزى من العزيز
ولا توافقوهم عليه واعرضوا عنهم فان الله يجازيهم كما قال سيجزون بما كانوا يعملون
وقرأ حمزة يلحدون بالفتح يقال لحد والحد اذا مال عن القصد ومتمن خلقنا امة
يهدون بالحق وبه يعدلون ذكر الله تعالى بعد ما بين انه خلق للنار طائفة ضالين ملحدين
عن الحق للدلالة على انه خلق ايضا للجنة امة هادين بالحق عادلين في الامر واشتد
على صحة الاجماع لان المراد منه ان في كل قرن طائفة بهذه الصفة كقوله عليه السلام
لا يزال من امتي طائفة على الحق الى ان يأتي امر الله اذ لو اختص بعهد الرسول او عين لم يكن
لذكر فائدة فانه معلوم والذين كذبوا بآياتنا سنستدرجهم قليلا
واصل الاستدراج الاستصعاد او الاستنزال درجة بعد درجة من حيث لا يعلمون
ما نريد بهم وذلك ان يتوالى عليهم النعم فيظنوا انها لطف من الله فيزدادوا بطرا
وانهماكا في الغي حتى يحق عليهم كلمة العذاب واملي لهم وامهلهم عطف على سنستدرجهم
ان كيدي متين ان اخذي شديد وانما سماه كيدا لان ظاهره احسان وباطنه خذلان
اولم يتفكروا ما بصاحبهم يعني محمدا عليه السلم من جنة جنون روي انه عليه السلم
علا الصفا فدعاهم فخذا فخذا يحذرهم بأس الله فقال قائلهم ان صاحبكم لمجنون بات
يهوت الى الصباح فنزلت ان هو الا نذير مبين توضح انذاره بحيث لا يخفى على ناظر
اولم ينظروا نظر استدلال في ملكوت السموات والارض وما خلق الله من شيء
مما يقع عليه اسم شيء من الاجناس التي لا يمكن حصرها ليدلهم على كمال قدرة صانعها
ووحدة مبدعها وعظم شان مالكها ومتولي امرها ليظهر لهم صحة ما يدعوهم اليه
وان عسى ان يكون قد اقترب اجلهم عطف على ملكوت وان مصدرية او خفيفة
من الثقيلة واسمه ضمير الشان وكذا اسم يكون والمعنى اولم ينظروا في اقراب آجالهم
وتوقع حلولها فيسارعوا الى طلب الحق والتوجه الى ما ينجيهم قبل مفاجأة الموت
ونزول العذاب فبأي حديث بعد القرآن يؤمنون اذا لم يؤمنوا به وهو النهاية

في البيان كأنه اخبار عنهم بالطبع والتصميم على الكفر بعد الزام الحجة والارشاد الى النظر
وقيل هو متعلق بقوله عسى ان يكون كأنه قيل لعل اجلهم قد اقترب فما لهم لا يبادرون
الايمان بالقرآن او ما ذا ينتظرون بعد وضوحه فان لم يؤمنوا به فبأي حديث احق منه
يريدون ان يؤمنوا به وقوله من يضلل الله فلا هادي له كالتقرير والتعليل له ويذرهم
في طغيانهم بالرفع على الاستيناف وقرأ ابو عمرو وعاصم ويعقوب بالياء لقوله من يضلل
الله وحمزة والكسائي به وبالجزم عطفا على محل فلا هادي له كأنه قيل لا يهده احد
غيره ويذرهم يعمهون حال منهم يسألونك عن الساعة ايان مرساها متى ارساؤها
اي اثباتها واستقرارها ورسو الشيء ثباته واستقراره ومنه رسا الجبل وارسى السفينة
واشتقاق ايان من اي كان معناه اي وقت وهو من اويت لان البعض آو الى الكل
قل انما علمها عند ربي استأثر به لم يطلع عليه ملكا مقربا ولا نبيا مرسلا لا يجليها
لوقتها لا يظهر امرها في وقتها الا هو والمعنى ان الخفاء بها مستمر على غيره الى وقت وقوعها
بغتة واللام للتأقيت كاللام في قولك اقم الصلوة لدلوك الشمس ثقلت في السموات
والارض عظمت على اهلها من الملائكة والثقلين لهولها وكأنه اشارة الى الحكمة في اخفائها
لا يأتيكم الا بغتة فجأة على غفلة كما قال عليه السلم ان الساعة تهيج بالناس والرجل
يصلح حوضه والرجل يسقي ماشيته والرجل يقوم سلعته في سوقه والرجل يخفض ميزانه
ويرفعه يسألونك كأنك حفي عنها عالم فعيل من حفي عن الشيء اذا سأل عنه فان من بالغ
في السؤال عن الشيء والبحث عنه استحكم علمه فيه فلذلك عدي بعن وقيل هي صلة يسألونك
وقيل هو من الحفاوة بمعنى الشفقة كأنه يحتفيه اي يكترث لانه من الغيب الذي استأثره الله
بعلمه قل انما علمها عند الله كرره لتكرير يسألونك لما يتضمنه من هذه الزيادة وللمبالغة
ولكن اكثر الناس لا يعلمون ان علمها عند الله لم يؤته احدا من خلقه قل لا املك لنفسي نفعا
ولا ضرا جلب نفع ولا دفع ضر وهو اظهار للعبودية والتبرئ عن ادعاء العلم بالغيوب الا
ما شاء الله من ذلك فيلهمني اياه ويوفقني له ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير
وما مسني السوء ولو كنت اعلمه لما لقيت حالي هذه على ما هي عليه من استكثار المنافع واجتناب

حتى لا يمسني بسوء ان انا الا نذير وبشير وما انا الا عبد مرسل للانذار والبشارة لقوم
يؤمنون فانهم المنتفعون بهما ويجوز ان يكون متعلقا بالبشير ومتعلق النذير محذوفا
هو الذي خلقكم من نفس واحدة هو آدم وجعل منها من جسدها من ضلع من اضلاعه
او من جنسها كقوله جعل لكم من انفسكم ازواجا زوجها حواء ليسكن اليها ليأنس بها
ويطمئن اليها اطمئنان الشيء الى جزئه او جنسه وانما ذكر الضمير ذهابا الى المعنى ليناسب فلما
تغشيها جامعها حملت حملا خفيفا خف عليها ولم تلق منه ما تلقى منه الحوامل غالبا من الاذى
او محمولا خفيفا هو النطفة فمرت به فاستمرت به وقامت وقعدت وقرئ فمرت بالتخفيف
وفاستمرت وفمارت من المور وهو المجيء والذهاب او من المرية اي فظنت الحمل وارتابت به
فلما اثقلت صارت ذا ثقل بكبر الولد في بطنها وقرئ على البناء للمفعول اي اثقلها حملها دعوا
الله ربهما لئن آتيتنا صالحا ولدا سويا صلح بدنه لنكونن من الشاكرين لك على هذه
النعمة المجددة فلما آتيهما صالحا جعلا له شركاء فيما آتيهما اي جعل اولادهما له شركاء
فيما آتى اولادهما فسموه عبد العزى وعبد مناف على حذف المضاف واقامة المضاف اليه
مقامه ويدل عليه قوله فتعالى الله عما يشركون ايشركون ما لا يخلق شيئا وهم
يخلقون يعني الاصنام وقيل لما حملت حوا اتاها ابليس في صورة رجل فقال لها ما يدريك
من اين يخرج فخافت من ذلك وذكرت لآدم فهما منه ثم عاد اليها وقال اني من الله بمنزلة
فان دعوت الله ان يجعله خلقا مثلك ويسهل عليك خروجه فسميه عبد الحرث وكان اسمه
حارثا في الملائكة فتقبلت فلما ولدت سماه عبد الحرث وامثال ذلك لا تليق بالانبياء ويحتمل
ان يكون الخطاب لآل قصي من قريش فانهم خلقوا من قصي وكان له زوج من جنسه عربية
قرشية وطلبا من الله الولد فاعطاهما اربعة بنين فسمياهم عبد مناف وعبد العزى وعبد قصي
وعبد الدار ويكون في يشركون لهما ولاعقابهما المقتدين بهما وقرأ نافع وابو بكر شركا اي شركة
بان اشركا فيه او ذوي شرك وهم الشركاء وهم ضمير الاصنام جيء به على تسميتهم اياها آلهة
ولا يستطيعون لهم نصرا اي لعبدتهم ولا انفسهم ينصرون فيدفعون عنها ما يعتريها
وان تدعوهم اي المشركين الى الهدى الى الاسلام لا يتبعوكم وقرأ نافع بالتخفيف وقيل

الخطاب للمشركين

الخطاب للمشركين وهم ضمير الاصنام اي ان تدعوهم الى ان يهدوكم لا يتبعوكم الى مرادكم ولا يجيبكم
كما يجيبكم الله سواء عليكم ادعوتموهم ام انتم صامتون وانما لم يقل او صمتم للمبالغة في عدم
افادة الدعاء من حيث انه مسوى بالثبات على الصمات او لانهم ما كانوا يدعونها لحوائجهم
فكانه قيل سواء عليكم احداثكم دعاءهم واستمراركم على الصمات عن دعائهم ان الذين تدعون
من دون الله اي تعبدونهم وتسمونهم آلهة عباد امثالكم من حيث انها مملوكة مسخرة
فادعوهم فليستجيبوا لكم ان كنتم صادقين انهم آلهة ويحتمل انهم لما نحتوها بصور الاناسي
قال لهم ان قصارى امرهم ان يكونوا احياء عقلاء امثالكم فلا يستحقون عبادتكم
كما لا يستحق بعضكم عبادة بعض ثم عاد عليه بالنقص فقال الهم ارجل يمشون بها
ام لهم ايد يبطشون بها ام لهم اعين يبصرون بها ام لهم آذان يسمعون بها
وقرئ ان الذين بتخفيف ان ونصب عبادا على انها نافية عملت عمل ما الحجازية ولم يثبت مثله
ويبطشون بالضم ههنا وفي القصص والدخان قل ادعوا شركاءكم واستعينوا
بهم في عداوتي ثم كيدون فبالغوا فيما تقدرون عليه من مكروهي انتم وشركاءكم
فلا تنظرون فلا تمهلوني فاني لا ابالي بكم لوثوقي على ولاية الله وحفظه ان وليي الله الذي
نزل الكتاب القرآن وهو يتولى الصالحين اي ومن عادته تعالى ان يتولى الصالحين
من عباده فضلا عن انبيائه والذين تدعون من دونه لا يستطيعون نصركم ولا
انفسهم ينصرون من تمام التعليل لعدم مبالاته بهم وان تدعوهم الى الهدى
لا يسمعوا وتريهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون يشبهون الناظرين اليك
لانهم صوروا بصورة من ينظر الى من يواجهه خذ العفو اي خذ ما عفا لك من افعال
الناس وتسهل ولا تطلب ما يشق عليهم من العفو الذي هو ضد الجهد اي خذ العفو
من المذنبين او الفضل وما تسهل من صدقاتهم قبل وجوب الزكوة وأمر بالعرف
المعروف المستحسن من الافعال واعرض عن الجاهلين فلا تمارهم ولا تكافئهم بمثل
افعالهم وهذه الآية جامعة لمكارم الاخلاق آمرة للرسول باستجماعها واما ينزغنك
من الشيطان نزغ ينخسنك منه نخس اي وسوسة تحملك على خلاف ما امرت به

كاعتراء غضب وفكرة والنزغ والنسغ والتحسس الغمز بشبه وسوسته للناس اغراء
لهم على المعاصي وازعاجا بغمز الشائق مما يسوقه فاستعذ بالله انه سميع يسمع استعاذتك
عليم يعلم ما فيه صلاح امرك فيجعلك عليه او سميع باقوالك عليم بافعالك
فيجازيه عليها معينا اياك عن الانتقام ومتابعة الشيطان ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف
من الشيطان لمة منه وهو اسم فاعل من طاف يطوف كانها طافت بهم ودارت حولهم
فلم تقدر ان تؤثر فيهم او من طاف به الخيال يطيف طيفا وقرا ابن كثير وابو عمرو والكسائي
ويعقوب طيف على انه مصدر او تخفيف طيف كلين وهين والمراد بالشيطان الجنس ولذلك
جمع ضميره تذكروا ما امر الله ونهى عنه فاذا هم مبصرون بسبب التذكر مواقع الخطاء وكائد
الشيطان فيحترزون عنها ولا يتبعونه فيها والآية تاكيد وتقرير لما قبلها وكذا قوله واخوانهم
يمدونهم اى واخوان الشياطين الذين لم يتقوا يمدهم الشياطين في الغي بالتزيين والحمل عليه
وقرئ يمدونهم من امد ويمادونهم كانهم يعينونهم بالتسهيل والاغراء وهؤلاء يعينونهم
بالاتباع والامتثال ثم لا يقصرون لا يمسكون عن اغوائهم حتى يردعوهم ويجوز ان يكون
الضمير للاخوان اى لا يكفون عن الغي ولا يقصرون كالمتقين ويجوز ان يراد بالاخوان
الشياطين ويرجع الضمير الى الجاهلين فيكون الخبر جاريا على ما هو له واذا لم تاتهم باية
من القرآن او مما اقترحوه قالوا لولا اجتبيتها هلا اجتمعتها تقولا من نفسك كسائر
ما تقرأه او هلا طلبتها من الله قل انما اتبع ما يوحى الي من ربي لست مخترعا للآيات او
لست بمقترح لها هذا بصائر من ربكم هذا القرآن بصائر للقلوب بها تبصر الحق
وتدرك الصواب وهدى ورحمة لقوم يؤمنون سبق تفسيره واذا قرئ القرآن فاستمعوا
وانصتوا لعلكم ترحمون نزلت في الصلوة كانوا يتكلمون فيها فامروا باستماع
قراءة الامام والانصات له وظاهر اللفظ يقتضي وجوبهما حيث يقرأ القرآن مطلقا
وعامة العلماء على استحبابها خارج الصلوة واحتج به من لا يرى القراءة على المأموم وهو
واذكر ربك في نفسك عام في الاذكار من القراءة والدعاء وغيرهما او امر للمأموم بالقراءة
سرا بعد فراغ الامام عن قراءته كما هو مذهب الشافعي رضي الله عنه تضرعا وخيفة

الشيطان — جمعتها — متضرعا

متضرعا وخائفا ودون الجهر من القول ومتكلما كلاما فوق السر ودون الجهر فانه
اد خل في الخشوع والاخلاص بالغدو والآصال باوقات الغدو والعشيات وقرئ والآصال
وهو مصدر اصل اذا دخل في الاصيل مطابق للغدو ولا تكن من الغافلين عن ذكر الله
ان الذين عند ربك يعني ملائكة الملاء الاعلى لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه
وينزهونه وله يسجدون ويخصونه بالعبادة والتذلل لا يشركون به غيره وهو تعريض
بمن عداهم من المكلفين ولذلك شرع السجود لقراءته وعن النبي صلى الله عليه وسلم
اذا قرا ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي فيقول يا ويله امر هذا بالسجود فسجد
فله الجنة وامرت بالسجود فعصيت فلي النار وعنه عليه السلام من قرا سورة
الاعراف جعل الله يوم القيمة بينه وبين ابليس سترا وكان آدم شفيعا له يوم القيمة

سورة الأنفال مدنية وآياتها ست وسبعون

بسم الله الرحمن الرحيم يسالونك
عن الانفال اى الغنائم يعني حكمها وانما سميت الغنيمة نفلا لانها عطية من الله تعالى
وفضل كما سمي به ما يشرطه الامام لمقتحم خطر عطية له وزيادة على سهمه قل الانفال لله
والرسول اى امرها مختص بهما يقسمها الرسول على ما يامر الله به وسبب نزوله اختلاف
المسلمين في غنائم بدر انها كيف تقسم ومن يقسم لها جرون منهم او الانصار وقيل
شرط رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن كان له غناء ان ينفله فتسارع شبانهم حتى قتلوا
سبعين واسروا سبعين ثم طلبوا نفلهم وكان المال قليلا فقال الشيوخ والوجوه
الذين كانوا عند الرايات كنا ردءا لكم وفيئة تحازون اليها فنزلت فقسمها رسول الله
صلى الله عليه وسلم بينهم على السواء وهذا قبل ان يلزم الامام ان يفي بما وعد وهو قول
للشافعي رضي الله عنه وعن سعد بن ابي وقاص قال لما كان يوم بدر قتل اخي عمير وقتلت
سعيد بن العاص واخذت سيفه فاتيت به رسول الله صلى الله عليه وسلم واستوهبته منه
فقال ليس هذا لي ولا لك اطرحه في القبض فطرحته وبي ما لا يعلمه الا الله من قتل اخي واخذ
سلبي فما جاوزت الا قليلا حتى نزلت سورة الانفال فقال لي رسول الله سالتني السيف

يصال

ولبيس لى وانه قد صار لى فاذهب وخذه وقرئ يسألونك عن الانفال الحذف الهمزة والقاء
حركتها على اللام وادغام نون عن فيها ويسألونك الانفال اى يسألك اصحابك ما شرط لهم
فاتقوا الله فى الاختلاف والمشاجرة واصلحوا ذات بينكم الحال التى بينكم بالمواساة والمسا
فيما رزقكم الله وتسليم امر الى الله والرسول واطيعوا الله ورسوله فيه ان كنتم مؤمنين
فان الايمان يقتضى ذلك او ان كنتم كاملى الايمان فان كمال الايمان بهذه الثلثة طاعة الاوامر
والانتهاء عن المعاصى واصلاح ذات البين بالعدل والاحسان انما المؤمنون اى الكاملون
فى الايمان الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم فزعت لذكره استعظاما له وتهيبا من جلاله
وقيل هو الرجل يهم بمعصية فيقال له اتق الله فينزع عنه خوفا من عقابه وقرئ وجلت
بالفتح وهى لغة وفرقت اى خافت واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا لزيادة المؤ
او لاطمينان النفس ورسوخ اليقين بتظاهر الادلة او بالعمل بموجبها وهو قول من قال
الايمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية بناء على ان العمل داخل فيه وعلى ربهم يتوكلون
يفوضون اليه امورهم ولا يخشون ولا يرجون الا اياه الذين يقيمون الصلوة ومما
رزقناهم ينفقون اولئك هم المؤمنون حقا لانهم حققوا ايمانهم بان ضموا
اليه مكارم اعمال القلوب من الخشية والاخلاص والتوكل ومحاسن افعال
الجوارح التى العبارة عليها الصلوة والصدقة وحقا منصوب بصفة مصدر محذوف
او مصدر مؤكد كقوله هو عبد الله حقا لهم درجات عند ربهم كرامة وعلو منزلة
وقيل درجات الجنة يرتفع بها اعمالهم ومغفرة لما فرط منهم ورزق كريم
اعدهم فى الجنة لا ينقطع عدده ولا ينتهى امده كما اخرجك ربك من بيتك
بالحق خبر مبتدأ محذوف تقديره هذه الحال فى كراهتهم اياها كالحال اخراجك للحرب
فى كراهتهم له او صفة مصدر الفعل المقدر فى قوله لله والرسول اى الانفال ثبتت لله
والرسول مع كراهتهم ثباتا مثل ثبات اخراجك ربك من بيتك يعنى المدينة لانها
مهاجره ومسكنه او بينه فيها مع كراهتهم وان فريقا من المؤمنين لكارهون
فى موقع الحال اى اخرجك فى حال كراهتهم وذلك ان عير قريش اقبلت من الشام فيها

تجارة عظيمة ومعها اربعون راكبا منهم ابو سفيان وعمرو بن العاص ومخرمة بن نوفل
وعمرو بن هشام فاخبر جبرئيل عليه السلام رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبر المسلمين
فاعجبهم تلقيها لكثرة المال وقلة الرجال فلما خرجوا بلغ الخبر اهل مكة فنادى جهل
فوق الكعبة يا اهل مكة النجاء النجاء على كل صعب وذلول عيركم اموالكم
ان اصابها محمد لم تفلحوا بعدها ابدا وقد رأت قبل ذلك بثلث عاتكة بنت عبد المطلب
ان ملكا نزل من السماء فاخذ صخرة من الجبل ثم حلق بها فلم يبق بيت فى مكة الا اصابه
شئ منها فحدثت بها العباس وبلغ ذلك ابا جهل فقال ما يرضى رجالهم ان يتنبوا حتى
تتنبا نساؤهم فخرج ابو جهل بجميع اهل مكة ومضى بهم الى بدر وهو ماء كانت العرب
تجتمع عليه لسوقهم يوما فى السنة وكان رسول الله صلى الله عليه بوادى ذفران
فنزل عليه جبرئيل بالوعد باحدى الطائفتين اما العير واما قريش فاستشار فيه اصحابه
فقال بعضهم هلا ذكرت لنا القتال حتى نتاهب له انما خرجنا للعير فرد عليهم وقال
ان العير قد مضت على ساحل البحر وهذا ابو جهل قد اقبل فقالوا يا رسول الله عليك بالعير
ودع العدو فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام ابو بكر وعمر فاحسنا ثم قام
سعد بن عبادة فقال انظر امرك فامض فوالله لو سرت الى عدن ابين ما تخلف عنك
رجل من الانصار ثم قال المقداد بن عمرو امض لما امرك الله فانا معك حيث ما احببت
لا نقول لك كما قالت بنو اسرائيل لموسى اذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون
ولكن اذهب انت وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثم قال اشيروا على ايها الناس وهو يريد الانصار لانهم كانوا عدد هم وقد شرطوا حين
بايعوه بالعقبة انهم برآء من ذمامه حتى يصل الى ديارهم فتخوف ان لا يروا نصرته
الا على عدو هجم عليه بالمدينة فقام سعد بن معاذ فقال كانك تريدنا يا رسول الله قال اجل
قال قد آمنا بك وصدقناك وشهدنا ان ما جئت به هو الحق واعطيناك على ذلك عهودنا
ومواثيقنا على السمع والطاعة فامض يا رسول الله لما اردت فوالذى بعثك بالحق لو استعرضت
بنا هذا البحر وخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد وما نكره ان تلقى بنا عدونا

وانا لصبرٌ عند الحرب صُدَّقٌ عند اللقاء ولعل الله يريك منا ما يقرّ به عينك فسيرنا
فسرنا على بركة الله فلشطه قوله ثم قال سيروا على بركات الله وابشروا فان الله قد
وعدني احدى الطائفتين والله لكاني انظر الى مصارع القوم وقيل انه عليه السلام لما فرغ
من بدر قيل له عليك بالعير فناداه العباس وهو في وثاقه لا يصلح فقال له لم فقال
لان الله وعدك احدى الطائفتين وقد اعطاك ما وعدك فكان بعضهم قوله يجادلونك
في الحق في ايثار الجهاد باظهار الحق لا يثارهم تلقي العير عليه بعد ما تبين انهم ينصرون
ايما توجهوا باعلام الرسول كانما يساقون الى الموت وهم ينظرون اي يكرهون القتال
كراهة من يساق الى الموت وهو يشاهد اسبابه وكان ذلك لقلة عددهم وعدم
تاهبهم اذ روي انهم كانوا رجالة وما كان فيهم الا فارسان وفيه ايماء الى ان مجادلتهم
كان لفرط فزعهم ورعبهم واذ يعدكم الله احدى الطائفتين على اضمار اذكر واحدى
ثاني مفعولي يعدكم وقد ابدل عنها انها لكم بدل الاشتمال وتودون ان غير ذات
الشوكة تكون لكم يعني العير فانه لم يكن فيها الا اربعون فارسا ولذلك يتقونها
ويكرهون ملاقاة النفير لكثرة عددهم وعُددهم والشوكة الحدة مستعارة من واحدة
السلوك ويريد الله ان يحق الحق ان يثبته ويعليه بكلماته الموحى بها في هذه الحال
او اوامر للملائكة بالامداد وقرئ بكلمته ويقطع دابر الكافرين ويستأصلهم
والمعنى انكم تريدون ان تصيبوا ما لا ولا تلقوا مكروها والله يريد اعلاء الدين واظهار
الحق وما الله يحصل لكم فوز الدارين ليحق الحق ويبطل الباطل اي ما فعل وليس فعله
بتكرير الاول لبيان المراد وما بينه وبين مرادهم من التفاوت والثاني لبيان
الداعي الى حمل الرسول على اختيار ذات الشوكة ونصه عليها ولو كره المجرمون ذلك
اذ تستغيثون ربكم بدل من اذ يعدكم او متعلق بقوله ليحق الحق او على اضمار اذكر
واستغاثتهم انهم لما علموا ان لا محيص من القتال اخذوا يقولون اي رب انصرنا
على عدوك اغثنا يا غياث المستغيثين وعن عمر انه عليه السلام نظر الى المشركين
وهم الف والى اصحابه وهم ثلثمائة فاستقبل القبلة ومد يديه يدعو اللهم انجز لي

رجالة جمع راجل
صفة الفارس

اصحابه

ما وعدتني

ما وعدتني ان تهلك هذه العصابة لا تعبد في الارض فما زال كذلك حتى سقط رداؤه فقال
ابو بكر يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك فانه سينجز لك ما وعدك فاستجاب لكم اني ممدكم
بانى ممدكم فحذف الجار وسلط عليه الفعل وقرأ ابو عمرو بالكسر على ارادة القول او اجراء
استجاب مجرى قال لان الاستجابة من القول بالف من الملائكة مردفين متبعين المؤمنين
او بعضهم بعضا من ارداف له اذا جئت بعده او متبعين بعضهم بعضا المؤمنين او انفسهم
المؤمنين من ارداف اياه فردفه وقرأ نافع ويعقوب مُرْدَفين بفتح الدال اي متبعين
او متبعين بمعنى انهم كانوا مقدمة الجيش وساقتهم وقرئ مُرِدفين بكسر الراء وضمها
واصله مرتدفين بمعنى مترادفين فادغمت التاء في الدال فالتقى ساكنان فحركت الراء
بالكسر على الاصل وبالضم على الاتباع وقرئ بآلاف ليوافق ما في سورة آل عمران ووجه
التوفيق بينه وبين المشهور ان المراد بالالف الذين كانوا على المقدمة او الساقة او وجوههم
واعيانهم او من قاتل منهم واختلف في مقاتلتهم وقد روي اخبار تدل عليها وما جعله
الله اي الامداد او التردف الا بشرى الا ابشارا لكم بالنصر ولتطمئن به قلوبكم فيزول بها من الجبن
لقلتكم وذلتكم وما النصر الا من عند الله ان الله عزيز حكيم وامداد الملائكة وكثرة
العدد والاهبة ونحوهما وسائط لا تاثير لها فلا تحسبوا النصر منها ولا تيأسوا من نصره بفقدها
اذ يغشيكم النعاس بدل ثان من اذ يعدكم او اظهار نعمة ثالثة او متعلق بالنصر او بما في
عند الله من معنى الفعل او بمحذوف اضمارا اذكر وقرأ نافع بالتخفيف من اغشيته الشيء
اذا غشيته اياه والفاعل على القراءتين هو الله تعالى وقرأ ابن كثير وابو عمرو ويغشاكم
النعاس بالرفع امنة منه امنا من الله وهو مفعول له باعتبار المعنى فان قوله يغشيكم
النعاس متضمن معنى تنعسون ويغشاكم معناه والامنة فعل الفاعل ويجوز ان يراد بها
الايمان فيكون فعل المغشى وان يجعل على القراءة الاخيرة فعل النعاس على المجاز لانها
لاصحابه اولانه كان من حقه ان لا يغشاهم لشدة الخوف فلما غشيهم فكانه حصلت لامنة
من الله لولاها لم يغشهم كقوله يهاب النوم ان يغشى عيونها فهو نفار شرود وقرئ
أَمَنَةً كرحمة وهي لغة وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به من الحدث والجنابة ويذهب

اوه

فاستجاب لكم اني ممدكم
بانى ممدكم فحذف الجار وسلط عليه الفعل وقرأ ابو عمرو بالكسر على ارادة القول او اجراء
استجاب مجرى قال لان الاستجابة من القول بالف من الملائكة مردفين متبعين المؤمنين
او بعضهم بعضا من ارداف له اذا جئت بعده او متبعين بعضهم بعضا المؤمنين او انفسهم
المؤمنين من ارداف اياه فردفه وقرأ نافع ويعقوب مُرْدَفين بفتح الدال اي متبعين
او متبعين بمعنى انهم كانوا مقدمة الجيش وساقتهم وقرئ مُرِدفين بكسر الراء وضمها
واصله مرتدفين بمعنى مترادفين فادغمت التاء في الدال فالتقى ساكنان فحركت الراء
بالكسر على الاصل وبالضم على الاتباع وقرئ بآلاف ليوافق ما في سورة آل عمران ووجه
التوفيق بينه وبين المشهور ان المراد بالالف الذين كانوا على المقدمة او الساقة او وجوههم
واعيانهم او من قاتل منهم واختلف في مقاتلتهم وقد روي اخبار تدل عليها وما جعله
الله اي الامداد الا بشرى الا ابشارا لكم بالنصر ولتطمئن به قلوبكم فيزول بها من الجبن
لقلتكم وذلتكم وما النصر الا من عند الله ان الله عزيز حكيم وامداد الملائكة وكثرة
العدد والاهبة ونحوهما وسائط لا تاثير لها فلا تحسبوا النصر منها ولا تيأسوا من نصره بفقدها
اذ يغشيكم النعاس بدل ثان من اذ يعدكم او اظهار نعمة ثالثة او متعلق بالنصر او بما في
عند الله من معنى الفعل او بمحذوف اضمارا اذكر وقرأ نافع بالتخفيف من اغشيته الشيء
اذا غشيته اياه والفاعل على القراءتين هو الله تعالى وقرأ ابن كثير وابو عمرو ويغشاكم
النعاس بالرفع امنة منه امنا من الله وهو مفعول له باعتبار المعنى فان قوله يغشيكم
النعاس متضمن معنى تنعسون ويغشاكم معناه والامنة فعل الفاعل ويجوز ان يراد بها
الايمان فيكون فعل المغشى وان يجعل على القراءة الاخيرة فعل النعاس على المجاز لانها
لاصحابه اولانه كان من حقه ان لا يغشاهم لشدة الخوف فلما غشيهم فكانه حصلت لامنة
من الله لولاها لم يغشهم كقوله يهاب النوم ان يغشى عيونها فهو نفار شرود وقرئ
أَمَنَةً كرحمة وهي لغة وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به من الحدث والجنابة ويذهب

عَنكُم رِجزَ الشَّيطَانِ يعنى الجنابة لانه من تخييله أو وسوسته وتخويفه اياهم من العطش
روى انهم نزلوا فى كثيب اعفر يسوخ فيه الاقدام على غير ماء وناموا فاحتلم اكثرهم
وقد غلب المشركون على الماء فوسوس اليهم الشيطان وقال كيف تنصرون وقد غلبتم
على الماء وانتم تصلون محدثين ومجنبين وتزعمون انكم اولياء الله تعالى وفيكم رسوله
فاشفقوا فانزل الله المطر فمطرهم ليلا حتى جرى الوادى واتخذوا الحياض على عدوته وسقوا
الركاب واغتسلوا وتوضؤا وتلبد الرمل الذى بينهم وبين العدو حتى تثبت عليه الاقدام
وزالت الوسوسة وليربط على قلوبكم بالوثوق على لطف الله بهم ويثبت به الاقدام
اى بالمطر حتى لا تسوخ فى الرمل وبالربط على القلوب حتى تثبت فى المعركة اذ يوحى ربك
بدل ثالث او متعلق بيثبت الى الملائكة انى معكم فى اعانتهم وتثبيتهم وهو مفعول اوحى
وقرئ بالكسر على ارادة القول او اجراء الوحى مجراه فثبتوا الذين آمنوا بالبشارة او بتكثير
سوادهم او بمحاربته اعدائهم فيكون قوله سالقى فى قلوب الذين كفروا الرعب كالتفسير
لقوله انى معكم فثبتوا وفيه دليل على انهم قاتلوا ومن منع ذلك جعل الخطاب فيه مع
المؤمنين اما على تغيير الخطاب او على ان قوله سالقى الى قوله كل بنان تلقين للملائكة ما يثبتون
المؤمنين به كانه قال قولوا لهم قد سمعت هذا فاضربوا فوق الاعناق اعاليها التى هى المذابح والرؤس
واضربوا منهم كل بنان اصابع اى حزوا رقابهم واقطعوا اطرافهم ذلك اشارة الى الضرب
او الامر به والخطاب للرسول او لكل واحد من المخاطبين قيل بانهم شاقوا الله ورسوله
بسبب شقهم لهما واشتقاقه من الشق لان كلا من المتعاندين فى شق خلاف شق
الآخر كالمعاداة من العدوة والمحاصة من الحصة وهو الجانب ومن يشاقق الله ورسوله
فان الله شديد العقاب تقرير للتعليل او وعيد بما اعد لهم فى الآخرة بعد ما حاق بهم
فى الدنيا ذلكم الخطاب فيه مع الكفرة على طريقة الالتفات ومحله الرفع اى الامر
ذلكم او ذلكم واقع او نصب بفعل دل عليه فذوقوه او غيره مثل باشروا وعليكم ليكون
الفاء عاطفة وان للكافرين عذاب النار عطف على ذلكم او نصب على المفعول معه
والمعنى ذوقوا ما عجل لكم مع ما اجل لكم فى الآخرة ووضع الظاهر فيه موضع الضمير للدلالة

على ان الكفر هو سبب العذاب الآجل والعاجل بينهما وقرئ ان بالكسر على الاستيناف
يا ايها الذين آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا كثيرا بحيث يرى لكثرتهم كانهم يزحفون
وهو مصدر زحف الصبى اذا دب على مقعده قليلا قليلا سمى به وجمع على زحوف
وانتصابه على الحال فلا تولوهم الادبار بالانهزام فضلا ان يكونوا مثلكم او اقل منكم
والاظهر انها محكمة مخصوصة بقوله حرض المؤمنين على القتال الآية ويجوز ان ينتصب
زحفا من الفاعل والمفعول اى اذا لقيتموهم متزاحفين يدبون اليكم وتدبون
اليهم فلا تنهزموا ومن الفاعل وحده ويكون استعارة لما سيكون منهم يوم حنين
حين تولوا وهم اثنا عشر الفا ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال يريد الكر
بعد الفر وتغرير العدو فانه من مكايد الحرب او متحيزا الى فئة اخرى
من المسلمين على القرب ليستعين بهم ومنهم من لم يعتبر القرب لما روى ابن عمر انه كان
فى سرية بعثهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ففروا الى المدينة فقلت يا رسول الله
نحن الفرارون فقال بل انتم العكارون وانا فئتكم وانتصاب متحرفا ومتحيزا على الحال
والا لغوا عمل له والاستثناء من المولين اى الا رجلا متحرفا او متحيزا ووزن متحيز متفيعل
لا متفعل والا لكان متحوزا لانه من حاز يحوز فقد باء بغضب من الله ومأويه جهنم
وبئس المصير هذا اذا لم يزد العدو على الضعف لقوله الآن خفف الله عنكم الآية
وقيل الآية محصوصة باهل بدر والحاضرين معه فى الحرب فلم تقتلوهم بقوتكم
ولكن الله قتلهم بنصركم وتسليطكم عليهم والقاء الرعب فى قلوبهم روى انه لما
طلعت قريش من العقنقل قال عليه السلام هذه قريش جاءت بخيلائها وفخرها يكذبون
رسولك اللهم انى اسالك ما وعدتنى فاتاه جبريل وقال له خذ قبضة من تراب فارمهم
بها فلما التقى الجمعان تناول كفا من الحصباء فرمى بها فى وجوههم وقال شاهت الوجوه
فلم يبق مشرك الا شغل بعينيه فانهزموا وردفهم المؤمنون يقتلونهم ويأسرونهم
ثم لما انصرفوا اقبلوا على التفاخر فيقول الرجل قتلت فنزلت والفاء جواب شرط محذوف
تقديره ان افتخرتم بقتلهم فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت يا محمد رميا توصله

ولم تقدر عليه اذ رميت اى اتيت بصورة الرمى ولكن الله رمى اتى بما هو غاية الرمى
واوصلها الى اعينهم جميعا حتى انهزموا وتمكنتم من قطع دابرهم وقد عرفت ان اللفظ
يطلق على المسمى وعلى ما هو كماله والمقصود منه وقيل معناه ما رميت بالرعب اذ رميت
بالحصباء ولكن الله رمى بالرعب فى قلوبهم وقيل انه نزل فى طعنة طعن بها ابى
بن خلف يوم احد ولم يخرج منه دم فجعل يخور حتى مات او رمية سهم رماه يوم حنين
نحو جانبه الحصن فاصاب كنانة بن الحقيق على فراشه والجمهور على الاول وقرا ابن عامر وحمزة
والكسائى ولكن بالتخفيف ورفع ما بعده فى الموضعين وليبلى المؤمنين منه بلاء حسنا
ولينعم عليهم نعمة عظيمة بالنصر والغنيمة ومشاهدة الآيات ان الله سميع لاستغاثتهم
عليم بنياتهم واحوالهم ذلكم اشارة الى البلاء الحسن او القتل او الرمى ومحله الرفع
اى المقصود او الامر ذلكم وقوله وان الله موهن كيد الكافرين معطوف عليه اى المقصود
ابلاء المؤمنين وتوهين كيد الكافرين وابطال حيلهم وقرا ابن كثير ونافع وابو عمرو موهن
بالتشديد وحفص موهن كيد بالاضافة والتخفيف ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح
الخطاب لاهل مكة على سبيل التهكم وذلك انهم حين ارادوا الخروج تعلقوا باستار الكعبة
وقالوا اللهم انصر اعلى الجندين واهدى الفئتين واكرم الحزبين وان تنتهوا عن الكفر
ومعاداة الرسول فهو خير لكم لتضمنه سلامة الدارين وخير المنزلين وان تعودوا
لمحاربته نعد لنصره ولن تغنى ولن تدفع عنكم فئتكم جماعتكم شيئا من الاغناء
او المضار ولو كثرت فئتكم وان الله مع المؤمنين بالنصر والمعونة وقرا نافع وابن عامر
وحفص وان بالفتح على ولان الله مع المؤمنين كان ذلك وقيل الآية خطاب للمؤمنين
والمعنى ان تستنصروا فقد جاءكم النصر وان تنتهوا عن التكاسل فى القتال والرغبة
عما يستاثره الرسول فهو خير لكم وان تعودوا اليه نعد عليكم بالانكار او تهييج العدو
ولن تغنى حينئذ كثرتكم اذا لم يكن الله معكم بالنصر فانه مع الكاملين فى ايمانهم
ويؤيد ذلك يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنه اى ولا تتولوا عن الرسول فان
المراد من الآية الامر بطاعته والنهى عن الاعراض عنه وذكر طاعة الله للتوطئة والتنبيه

لبانة

والمعنى وللاحسان الى المؤمنين فعل ما فعل وما فعله الا لذلك

رسول الله

على ان

الظاهر ان المراد بالامر المدلول عليه الاطاعة وبالدال عليه اطيعوا وعبر عنه المص بالطاعة

على ان طاعة الله فى طاعة الرسول كقوله ومن يطع الرسول فقد اطاع الله وقيل
الضمير للجهاد او للامر الذى دل عليه الطاعة وانتم تسمعون القرآن والمواعظ سماع فهم
وتصديق ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا كالكفرة او المنافقين الذين ادعوا السماع وهم
لا يسمعون سماعا ينتفعون به فكانهم لا يسمعون راسا ان شر الدواب عند الله شر
ما يدب على الارض او شر البهائم الصم عن الحق البكم الذين لا يعقلون اياه عدهم
من البهائم ثم جعلهم شرها لابطالهم ما ميزوا به وفضلوا لاجله ولو علم الله فيهم خيرا
سعادة كتبت لهم او انتفاعا بالآيات لاسمعهم سماع تفهم ولو اسمعهم وقد علم
ان لا خير فيهم لتولوا ولم ينتفعوا به وارتدوا بعد التصديق والقبول وهم معرضون
لعنادهم وقيل كانوا يقولون للنبى احى لنا قصيا فانه كان شيخا مباركا حتى نشهد
لك ونؤمن بك والمعنى لاسمعهم كلام قصى يا ايها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول
اذا دعاكم بالطاعة وحد الضمير فيه لما سبق ولان دعوة الله تسمع من الرسول وروى انه عليه السلم
مر على ابى سعيد وهو يصلى فدعاه فعجل فى صلوته ثم جاء فقال ما منعك عن اجابتى قال كنت اصلى
قال الم تخبر فيما اوحى الى استجيبوا لله وللرسول واختلف فيه فقيل هذا لان اجابته
لا تقطع الصلوة فان الصلوة ايضا اجابة وقيل ان دعاءه كان لامر لا يحتمل التاخير
وللمصلى ان يقطع الصلوة لمثله وظاهر الحديث يناسب الاول لما يحييكم من العلوم
الدينية فانها حيوة القلب والجهل موته قال الشاعر لا يعجبن الجهول حلته فذاك ميت
وثوبه كفن او مما يورثكم الحيوة الابدية فى النعيم الدائم من العقائد والاعمال او من الجهاد
فانه سبب بقاءكم اذ لو تركوه لغلبهم العدو وقتلهم او الشهادة كقوله تعالى بل احياء
عند ربهم واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه تمثيل لغاية قربه من العبد كقوله
ونحن اقرب اليه من حبل الوريد وتنبيه على انه مطلع على مكنونات القلوب ما عسى يغفل
عنه صاحبها او حث على المبادرة الى اخلاص القلوب وتصفيتها قبل ان يحول الله بينه
وبين قلبه بالموت او غيره او تصوير وتخييل لتملكه على العبد قلبه فيفسخ عزائمه ويغير مقاصده
ويحول بينه وبين الكفر ان اراد سعادته وبينه وبين الايمان ان قضى شقاوته وقرئ بين المر

قوله ما سبق وهو ان استجابة رسول الله ... وانما يذكر احدهما مع الآخر للتوكيد

وروى ابو هريرة رضه ان النبى صلعم مر على باب ابى بن كعب فناداه وهو فى الصلوة الخ

بالتشديد على حذف الهمزة والقاء حركتها على الراء واجراء الوصل مجرى الوقف على لغة
من يُشَدِّدُ فيه **وانه اليه تحشرون** فيجازيكم باعمالكم **واتقوا فتنة لا تصيبن الذين**
ظلموا منكم خاصة اتقوا ذنبا يعمّ اثره كاقرار المنكرين اظهرهم والمداهنة في الامر
بالمعروف وافتراق الكلمة وظهور البدع والتكاسل في الجهاد على ان قوله لا تصيبن امّا
جواب الامر على معنى ان اصابتكم لا تصيب الظالمين منكم وفيه ان جواب الشرط مترددٌ
فلا يليق به النون المؤكدة لكنه لما تضمّن معنى النهى ساغ فيه كقوله ادخلوا مساكنكم
لا يحطمنكم واما صفة لفتنة لا للنفى وفيه شذوذ لان النون لا تدخل المنفى في غير القسم
أو للنهى على ارادة القول كقوله حتى اذا جبّن الظلام واختلط جاؤا بمذق هل رأيت الذئب قطّ
واما جواب قسم محذوف كقراءة من قرأ لتصيبن وان اختلفا في المعنى ويحتمل ان يكون
نهيًا بعد الامر بالتقاء الذنب عن التعرض للظلم فان وباله يصيب الظالم خاصة
ويعود عليه ومن في منكم على الوجوه الاول للتبعيض وعلى الاخيرين للتبيين وفائدته
التنبيه على ان الظلم منكم اقبح من غيركم **واعلموا ان الله شديد العقاب واذكروا**
اذ انتم قليل مستضعفون في الارض ارض مكة تستضعفكم قريش والخطاب
للمهاجرين وقيل للعرب كافة فانهم كانوا اذلاء في ايدى فارس والروم **تخافون**
ان يتخطفكم الناس كفار قريش او من عداهم فانهم كانوا جميعًا
معادين مضادّين لهم **فآواكم** الى المدينة او جعل لكم ما وًى تتحصنون به عن اعاديكم
وايدكم بنصره على الكفار او بظاهرة الانصار او بامداد الملائكة يوم بدر **ورزقكم**
من الطيبات من الغنايم **لعلكم تشكرون** هذه النعم **يا ايها الذين آمنوا لا تخونوا**
الله والرسول بتعطيل الفرايض والسنن او بان تضمروا خلافها تظهرون او بالغلول
في المغانم وروى انه عليه السلام حاصر بنى قريظة احدى وعشرين ليلة فسألوا الصلح
كما صالح اخوانهم بنى النضير على ان يسيروا الى اخوانهم باذرعات واريحا من الشام فابى
الا ان ينزلوا على حكم سعد بن معاذ فابوا وقالوا ارسل الينا ابا لبابة وكان مناصحًا
لهم لان عياله وماله في ايديهم فبعثه اليهم فقالوا اما ترى هل ننزل على حكم سعد

فاشار

فاشار الى حلقه انه الذبح قال ابو لبابة فما زالت قدماى حتى علمت انى قد خنت الله
ورسوله فنزلت فشد نفسه على سارية في المسجد وقال والله لا اذوق طعامًا ولا
شرابًا حتى اموت او يتوب الله علىّ فمكث سبعة ايام حتى خرّ مغشيًا عليه ثم تاب
الله عليه فقيل له قد تيب عليك فحلّ نفسك فقال لا والله لا احلّها حتى يكون رسول
الله هو الذى يحلّنى فجاءه فحلّه بيده فقال ان من تمام توبتى ان اهجر دار قومى التى اصبت
فيها الذنب وان انخلع من مالى فقال عليه السلام يجزئك الثلث ان تتصدق به واصل
الخون النقص كما ان اصل الوفاء التمام واستعماله في ضد الامانة لتضمنه ايّاه **وتخونوا**
امانا تكم فيما بينكم وهو مجزوم بالعطف على الاول او منصوب على الجواب بالواو **وانتم**
تعلمون انكم تخونون او وانتم علماء تميّزون الحسن من القبيح **واعلموا انما اموالكم**
واولادكم فتنة لانهم سبب الوقوع في الاثم والعقاب او محنة من الله
ليبلوكم فيهم فلا يحملنكم حبّهم على الخيانة كابى لبابة **وان الله عنده اجر عظيم** لمن آثر
رضا الله عليهم وراعى حدوده فيهم فانبطوا همكم بما يؤديكم اليه **يا ايها الذين آمنوا**
ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا هداية في قلوبكم تفرقون بها بين الحق والباطل
او نصرا يفرق بين المحق والمبطل باعزاز المؤمنين واذلال الكافرين او مخرجًا من الشبهات
او نجاة عما تحذرون في الدارين او ظهورا يشتهر امركم ويبتّ صيتكم من قولهم بات الفعل
كذا حتى سطع الفرقان اى الصبح **ويكفر عنكم سيّاتكم** ويستر عليها **ويغفر لكم** بالتجاوز
والعفو عنه وقيل السيّات الصغائر والذنوب الكبائر وقيل المراد ما تقدم وما تاخر
لانها في اهل بدر وقد غفرها الله لهم **والله ذو الفضل العظيم** تنبيه على ان ما وعد
لهم على التقوى تفضل منه واحسان وانه ليس مما يوجب تقوّيهم عليه كالسيد اذا وعد
عبده انعامًا على عمل **واذ يمكر بك الذين كفروا** تذكار لما مكر قريش به حين كان بمكة ليتشكر
نعمة الله في خلاصه من مكرهم واستيلائه عليهم والمعنى واذكر اذ يمكرون بك **ليثبتوك**
بالوثاق والحبس او الاثخان بالجرح من قولهم ضربة حتى اثبته لا حراك به ولا براح وقرئ
ليثبتوك بالتشديد **وليثبتوك** من البيات **ويقتلوك** بسيوفهم **او يخرجوك**

من مكة وذلك انهم لما سمعوا باسلام الانصار ومبايعتهم فرقوا فاجتمعوا في دار
الندوة متشاورين في امر فدخل ابليس عليهم في صورة شيخ وقال انا من نجد سمعت
اجتماعكم فاردت ان احضركم ولن تعدموا مني رايا ونصحا فقال ابو البختري رايي ان تحبسوه
في بيت وتسدوا منافذه غير كوة تلقون اليه طعامه وشرابه منها حتى يموت فقال
الشيخ بئس الراي يأتيكم من يقاتلكم من قومه ويخلصه من ايديكم فقال هشام بن عمرو
رايي ان تحملوه على جمل فتخرجوه من ارضكم فلا يضركم ما صنع فقال بئس الراي يفسد
قومًا غيركم ويقاتلكم بهم فقال ابو جهل انا ارى ان تأخذوا من كل بطن غلامًا وسطًا وتعطى
سيفًا فيضربونه ضربة واحدة فيتفرق دمه في القبائل فلا يقوى بنو هاشم على حرب قريش
كلهم فاذا طلبوا العقل عقلناه فقال صدق هذا الفتى فتفرقوا على ذلك فاتى جبريل
النبي عليه السلام واخبره الخبر وامره بالهجرة فبيت عليا كرم الله وجهه على مضجعه
وخرج مع ابي بكر رضي الله عنه الى الغار ويمكرون ويمكر الله برد مكرهم عليهم
او بمجازاتهم عليه او بمعاملة الماكرين معهم بان اخرجهم الى بدر وقتل المسلمين
في اعينهم حتى حملوا عليهم فقتلوا والله خير الماكرين اذ لا يؤبه بمكرهم دون مكره
واسناد امثال هذا انما يحسن للمزاوجة ولا يجوز اطلاقها ابتداء لما فيه من ايهام
الذم واذا تتلى عليهم آياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا هو قول
النضر بن الحرث واسناده الى الجمع اسناد ما فعله رئيس القوم اليهم فانه كان قائمهم
او قول الذين ائتمروا في امره عليه السلم وهذا غاية مكابرتهم وفرط عنادهم اذ لو
استطاعوا ذلك فما منعهم ان يشاؤا وقد تحداهم وقرعهم بالعجز عشر سنين ثم
قارعهم بالسيف فلم يعارضوا سورة مع انفتهم وفرط استنكافهم ان يغلبوا خصوصا
في باب البيان ان هذا الا اساطير الاولين ما سطروه من الاقاصيص واذ قالوا
اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا
بعذاب اليم هذا ايضا من كلام ذلك القائل ابلغ في الجحود روي انه لما قال النضر هذا
الا اساطير الاولين قال له النبي صلى الله عليه وسلم ويلك انه كلام الله فقال ذلك والمعنى

هذا القائل

ان كان القرآن حقا منزلا فامطر الحجارة عقوبة على انكاره او ائتنا بعذاب اليم سواه
والمراد منه التهكم واظهار اليقين والجزم التام على كونه باطلا وقرئ الحق بالرفع على انه هو
مبتدأ غير فصل وفائدة التعريف فيه الدلالة على ان المعلق به كونه حقا بالوجه الذي يدعيه
النبي وهو تنزيله الحق مطلقا لتجويزهم ان يكون مطابقا للواقع غير منزل كاساطير الاولين
وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون
بيان لما كان الموجب لامهالهم والتوقف في اجابة دعائهم واللام لتاكيد النفي والدلالة
على ان تعذيبهم عذاب استيصال والنبي بين اظهرهم خارج عن عادته غير مستقيم
في قضائه والمراد باستغفارهم اما استغفار من بقي فيهم من المؤمنين او قولهم اللهم
غفرانك او فرضه على معنى لو استغفروا لم يعذبوا كقوله وما كان ربك مهلك القرى
بظلم واهلها مصلحون وما لهم الا يعذبهم الله وما لهم مما يمنع تعذيبهم متى زال
ذلك وكيف لا يعذبون وهم يصدون عن المسجد الحرام وحالهم ذلك ومن صدهم
عنه الجاء رسول الله والمؤمنين الى الهجرة واحصارهم عام الحديبية وما كانوا اولياءه
مستحقين ولاية امره مع شركهم وهو رد لما كانوا يقولون نحن ولاة البيت والحرم نقصد
من نشاء وندخل من نشاء ان اولياؤه الا المتقون من الشرك الذين لا يعبدون فيه
غيره وقيل الضمير لله ولكن اكثرهم لا يعلمون ان لا ولاية لهم عليه كائنة بلا
ان منهم من يعلم ويعاند واراد به الكل كما يراد بالقلة العدم وما كان صلوتهم
عند البيت اي دعاءهم او ما يسمونه صلوة او ما يضعون موضعها الا مكاء صفيرا
فعال من مكا يمكو اذا صفر وقرئ بالقصر كالبكاء وتصدية تصفيقا تفعلة من الصد
او من الصدى على ابدال احد حرفي التضعيف بالياء وقرئ صلوتهم بالنصب على انه الخبر المقدم
ومساق الكلام لتقرير استحقاقهم للعذاب او عدم ولايتهم للمسجد فانها لا تليق بمن
هذه صلوته روي انهم كانوا يطوفون عراة الرجال والنساء مشتبكين بين اصابعهم
يصفرون فيها ويصفقون وقيل كانوا يفعلون ذلك اذا اراد النبي ان يصلي يخلطون
عليه ويرون انهم يصلون ايضا فذوقوا العذاب يعني القتل يوم بدر وقيل عذاب

فالللام يحتمل ان يكون للعهد والمعهود اثنتا بعذاب بما كنتم تكفرون اعتقادا وعملا
ان الذين كفروا ينفقون اموالهم ليصدوا عن سبيل الله نزلت في المطعمين يوم بدر
وكانوا اثني عشر رجلا من قريش يطعم كل واحد منهم كل يوم عشر جزور او في ابي سفيان استاجر
ليوم احد الفين من العرب سوى من اجتاش من العرب واتفق عليهم اربعين اوقية
او في اصحاب العير فانه لما اصيب قريش ببدر قيل لهم اعينوا بهذا المال على حرب محمد
لعلنا ندرك منه ثارنا ففعلوا والمراد بسبيل الله دينه واتباع رسوله فسينفقونها
تمامها ولعل الاولى اخبار عن انفاقهم في تلك الحال وهو انفاق بدر والثاني اخبار عن
انفاقهم فيما يستقبل وهو انفاق احد ويحتمل ان يراد بهما واحد على ان مساق الاول
لبيان غرض الانفاق ومساق الثاني لبيان عاقبته وانه لم يقع بعد ثم تكون عليهم
حسرة ندما وغما لفواتها من غير مقصود جعل ذاتها تصير حسرة وهي عاقبة انفاقها
مبالغة ثم يغلبون آخر الامر وان كان الحرب بينهم سجالا قبل ذلك والذين
كفروا اي الذين ثبتوا على الكفر منهم اذا سلم بعضهم الى جهنم يحشرون
يساقون ليميز الله الخبيث من الطيب الكافر من المؤمن او الفساد من الصلاح
واللام متعلقة بيحشرون او يغلبون او ما انفقه المشركون في عداوة رسول الله
صلى الله عليه وسلم مما انفقه المسلمون في نصرته واللام متعلقة بقوله لتكونن
عليهم حسرة وقرا حمزة والكسائي ويعقوب ليميز من التميز وهو المنع من المزيج
ويجعل الخبيث بعضه فوق بعض فيركمه جميعا فيجمعه ويضم بعضه على بعض حتى يتراكموا
لفرط ازدحامهم او يضم الى الكافر ما انفقه ليزيد به عذابا كما الكانزين فيجعله
في جهنم كله اولئك اشارة الى الخبيث لانه مقدر بالفريق الخبيث او الى المنفقين
هم الخاسرون الكاملون في الخسران لانهم خسروا انفسهم واموالهم قل
للذين كفروا يعني ابا سفيان واصحابه والمعنى قل لاجلهم ان ينتهوا عن معاداة
الرسول بالدخول في الاسلام يغفر لهم ما قد سلف من ذنوبهم وقرئ بالياء والكاف
على انه خطابهم ويغفر على البناء للفاعل وهو الله وان يعودوا الى قتاله فقد مضت

سنة الاولين الذين تحزبوا على الانبياء بالتدمير كما جرى على اهل بدر فليتوقعوا
مثل ذلك وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة لا يوجد فيهم شرك ويكون الدين
كله لله ويضمحل عنهم الاديان الباطلة فان انتهوا عن الكفر فان الله بما
يعملون بصير فيجازيهم على انتهائهم عنه واسلامهم وعن يعقوب تعملون بالتاء
على معنى فان الله بما تعملون من الجهاد والدعوة الى الاسلام والاخراج من ظلمة الكفر
الى نور الايمان بصير يجازيكم ويكون تعليقه بانتهائهم دلالة على انه كما يستدعي اثابتهم
للمباشرة يستدعي اثابة مقاتليهم للتسبب وان تولوا ولم ينتهوا فاعلموا ان الله
مولاكم ناصركم فثقوا به ولا تبالوا بعداد اتهم نعم المولى لا يضيع من تولاه
ونعم النصير لا يغلب من نصره واعلموا انما غنمتم اي الذي اخذتموه من الكفار
قهرا من شيء مما يقع عليه اسم الشيء حتى الخيط فان لله خمسه مبتدأ خبره محذوف
اي فثابت ان لله خمسه وقرئ فان بالكسر والجمهور على ان ذكر الله للتعظيم كما في قوله
والله ورسوله احق ان يرضوه وان المراد قسم الخمس على الخمسة المعطوفين وللرسول
ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل وكانه قال فان لله خمسه يصرف
الى هؤلاء الاخصين به وحكمه بعد ثباق غيران سهم الرسول صلوات الله عليه يصرف الى
ما كان يصرفه اليه من مصالح المسلمين كما فعله الشيخان وقيل الى الامام وقيل
الى الاصناف الاربعة وقال ابو حنيفة سقط سهمه وسهم ذوي القربى بوفاته وصار
الكل مصروفا الى الثلاثة الباقية وعن مالك الامر مفوض الى راي الامام
يصرفه الى ما يراه اهم وذهب ابو العالية الى ظاهر الآية وقال يقسم ستة
اقسام ويصرف سهم الله الى الكعبة لما روي انه عليه السلم كان ياخذ منه قبضة
فيجعلها للكعبة ثم يقسم ما بقي على خمسة وقيل سهم الله لبيت المال وقيل
هو مضموم الى سهم الرسول وذوو القربى بنو هاشم وبنو المطلب لما روي انه عليه السلم
قسم سهم ذوي القربى عليهما فقال له عثمان وجبير بن مطعم هؤلاء اخوتك بنو هاشم
لا ننكر فضلهم لمكانك الذي جعلك الله منهم اراءيت اخواننا من بني المطلب اعطيتهم

وحرمتنا فانما نحن وهم بمنزلة فقال عليه السلام انهم لم يفارقوا في جاهلية
ولا في اسلام وشبك بين اصابعه وقيل بنو هاشم وحدهم وقيل جميع قريش والغني
والفقير فيه سواء وقيل هو مخصوص بفقرائهم كسهم ابن السبيل وقيل الخمس كله
لهم والمراد باليتامى والمساكين وابن السبيل من كان منهم والعطف للتخصيص
والآية نزلت ببدر وقيل كان الخمس في غزوة بني قينقاع بعد بدر بشهر وثلثة
ايام للنصف من شوال على راس عشرين شهرا من الهجرة ان كنتم آمنتم بالله
متعلق بمحذوف دل عليه واعلموا اي ان كنتم آمنتم بالله فاعلموا انه جعل الخمس
لهؤلاء فسلموه اليهم واقتنعوا بالاخماس الاربعة الباقية فان العلم العملي اذا امر به
لم يرد منه العلم المجرد لانه مقصود بالعرض والمقصود بالذات هو العمل وما انزلنا على عبدنا
محمد من الآيات والملائكة المسلمون والكفار والله على كل شيء قدير فيقدر على نصر
القليل على الكثير والامداد بالملائكة اذ انتم بالعدوة الدنيا بدل من يوم الفرقان
والعدوة بالحركات الثلث شط الوادي وقد قرئ بها والمشهور الضم والكسر وهو
قراءة ابن كثير وابي عمرو ويعقوب وهم بالعدوة القصوى البعدى من المدينة تانيث
الاقصى وكان قياسه قلب الواو كالدنيا والعليا تفرقة بين الاسم والصفة
فجاء على الاصل كالقود وهو اكثر استعمالا من القصيا والركب اي العير او قوادها
اسفل منكم في مكان اسفل من مكانكم يعني الساحل وهو منصوب على الظرف
واقع موقع الخبر والجملة حال من الظرف قبله وفائدتها الدلالة على قوة العدو
واستظهارهم بالركب وحرصهم على المقاتلة عنها وتوطين نفوسهم على ان لا يخلوا
مراكزهم ويبذلوا منتهى جهدهم وضعف شان المسلمين والتياث امرهم
واستبعاد غلبتهم عادة وكذا ذكر مراكز الفريقين فان العدوة الدنيا كانت رخوة
تسوخ فيها الارجل ولا يمشى فيها الا بتعب ولم يكن فيها ماء بخلاف العدوة القصوى
وكذا قوله ولو تواعدتم لاختلفتم في الميعاد اي لو تواعدتم انتم وهم القتال من الله خارقا
للعادة فيزدادوا ايمانا وشكرا ولكن جمع بينكم على هذه الحال من غير ميعاد

والنصر وقرئ عبدنا بضمتين اي الرسول والمؤمنين يوم الفرقان يوم بدر فانه فرق فيه بين الحق والباطل يوم التقى الجمعان صح

ليقضي

ليقضي الله امرا كان مفعولا حقيقا بان يفعل وهو نصر اوليائه وقهر اعدائه وقوله
ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة بدل منه او متعلق بقوله
مفعولا والمعنى ليموت من يموت عن بينة عاينها ويعيش من يعيش عن حجة شاهدها
لئلا يكون له حجة ومعذرة فان وقعة بدر من الآيات الواضحة او ليصدر كفر من كفر
وايمان من آمن عن وضوح بينة على استعارة الهلاك والحيوة للكفر والاسلام
والمراد بمن هلك ومن حي المشارف للهلاك والحيوة او من هذا حاله في علم الله وقضائه
وقرئ ليهلك بالفتح وقرا ابن كثير ونافع وابو بكر ويعقوب من حيي بفك الادغام
للحمل على المستقبل وان الله لسميع عليم بكفر من كفر وعقابه وايمان من آمن وثوابه
ولعل الجمع بين الوصفين لاشتمال الامرين على القول والاعتقاد اذ يريكهم الله في منامك
قليلا مقدر باذكر او بدل ثان من يوم الفرقان او متعلق بعليم اي يعلم المصالح اذ يقللهم
في عينك في رؤياك ولو اراكهم كثيرا لفشلتم لجبنتم ولتنازعتم في الامر امر القتال
وتفرقت آراؤكم بين الثبات والفرار واذ يريكموهم اذ التقيتم في اعينكم قليلا
الضميران مفعولا يرى وقليلا حال من الثاني وانما قللهم في اعين المسلمين حتى قال
ابن مسعود لمن الى جنبه اتراهم سبعين فقال اراهم مائة تثبيتا لهم وتصديقا
لرؤيا الرسول ويقللكم في اعينهم حتى قال ابو جهل ان محمدا واصحابه اكلة جزور
قللهم في اعينهم قبل التحام القتال ليجترؤا عليهم ولا يستعدوا لهم ثم كثرهم حتى
يرونهم مثليهم ليفاجاهم الكثرة فيبهتهم ويكسر قلوبهم وهذا من عظايم آيات
تلك الوقعة فان البصر وان كان قد يرى الكثير قليلا والقليل كثيرا لكن لا على هذا الوجه
ولا الى هذا الحد وانما يتصور ذلك بصد الله الابصار عن ابصار بعض دون بعض مع
التساوي في الشروط ليقضي الله امرا كان مفعولا كرره لاختلاف الفعل المعلل به
او لان المراد بالامر ثم الالتقاء على الوجه المحكي وههنا اعزاز الاسلام واهله واذلال
الشرك وحزبه والى الله ترجع الامور يا ايها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة حاربتم
جماعة ولم يصفها لان المؤمنين ما كانوا يلقون الا الكفار واللقاء مما غلب في القتال

ولكن الله سلم انعم بالسلامة من الفشل والتنازع انه عليم بذات الصدور يعلم ما سيكون فيها وما يغير احوالها صح صح

فاثبتوا للقائهم واذكروا الله كثيرا في مواطن الحرب داعين له مستظهرين بذكره
مترقبين لنصره لعلكم تفلحون تظفرون بمرادكم من النصر والمثوبة وفيه تنبيه
على ان العبد ينبغي ان لا يشغله شيء عن ذكر الله وان يلتجئ اليه عند الشدائد ويقبل
عليه بشراشره وفارغ البال واثقا بان لطفه لا ينفك عنه في شيء من الاحوال
واطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا باختلاف الآراء كما فعلتم ببدر او احد فتفشلوا
جواب النهي وقيل عطف عليه ولذلك قرئ وتذهب ريحكم بالجزم والريح مستعارة
للدولة من حيث انها في تمشي امرها ونفاذه مشبهة بها في هبوبها ونفوذها وقيل المراد
بها الحقيقة فان النصرة لا تكون الا بريح يبعثها الله وفي الحديث نصرت بالصبا واهلكت
عاد بالدبور واصبروا ان الله مع الصابرين بالكلاءة والنصر ولا تكونوا كالذين
خرجوا من ديارهم يعني اهل مكة حين خرجوا منها لحماية العير بطرا فخرا واشرا ورئاء
الناس ليثنوا عليهم بالشجاعة والسماحة وذلك انهم لما بلغوا جحفة وافاهم
رسول ابي سفيان ان ارجعوا فقد سلمت عيركم فقال ابو جهل لا والله حتى نقدم بدرا
ونشرب بها الخمور وتعزف علينا القيان ونطعم بها من حضرنا من العرب فوافوها
ولكن سقوا كاس المنايا وناحت عليهم النوائح فنهى المؤمنين ان يكونوا امثالهم
بطرين مرائين وامرهم بان يكونوا اهل تقوى واخلاص من حيث ان النهي عن الشيء امر
بضده ويصدون عن سبيل الله معطوفا على بطرا ان جعل مصدرا في موضع الحال
وكذا ان جعل مفعولا له لكن على تاويل المصدر والله بما تعملون محيط فيجازيكم عليه
واذ زين لهم الشيطان مقدر باذكر اعمالهم في معاداة الرسول وغيرها بان وسوس
اليهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم مقالة نفسانية والمعنى
انه القى في روعهم وخيل اليهم انهم لا يغلبون ولا يطاقون لكثرة عددهم وعددهم
واوهمهم ان اتباعهم اياه فيما يظنون انها قربات مجير لهم حتى قالوا اللهم انصر
اهدى الفئتين وافضل الدينين ولكم خبر لا غالب او صفته وليس صلته والا لانتصب
كقولك لا ضاربا زيدا عندنا فلما تراءت الفئتان اي تلاقى الفريقان نكص على عقبيه

رجع القهقرى اي بطل كيده وعاد ما خيل اليهم انه مجيرهم سبب هلاكهم وقال اني بريء
منكم اني ارى ما لا ترون اني اخاف الله اي تبرأ منهم وخاف عليهم وايس من حالهم
لما راى امداد الله المسلمين بالملائكة وقيل لما اجتمعت قريش على المسير ذكرت
ما بينهم وبين كنانة من الاحنة وكاد ذلك يثنيهم فتمثل لهم ابليس بصورة سراقة
بن مالك الكناني وقال لا غالب لكم اليوم واني مجيركم من بني كنانة فلما راى
تنزل نكص وكان يده في يد الحارث بن هشام فقال له الى اين اتخذلنا في هذه الحالة فقال
اني ارى ما لا ترون ودفع في صدر الحارث وانطلق وانهزموا فلما بلغوا مكة قالوا هزم
الناس سراقة فبلغه ذلك فقال والله ما شعرت بمسيركم حتى بلغتني هزيمتكم
فلما اسلموا علموا انه الشيطان وعلى هذا يحتمل ان يكون معنى قوله اني اخاف الله اني
اخافه ان يصيبني مكروها من الملائكة او يهلكني ويكون الوقت هو الوقت الموعود
اذ راى فيه ما لم ير قبله والاول ما قاله الحسن واختاره ابن بحر والله شديد
العقاب يجوز ان يكون من كلامه وان يكون مستانفا اذ يقول المنافقون والذين
في قلوبهم مرض والذين لم يطمئنوا الى الايمان بعد وبقي في قلوبهم شبهة وقيل
هم المشركون وقيل المنافقون والعطف لتغاير الوصفين غر هؤلاء يعنون المؤمنين
دينهم حتى تعرضوا لما لا يدى لهم به فخرجوا وهم ثلثمائة وبضعة عشر الى زهاء الف
ومن يتوكل على الله جواب لهم فان الله عزيز غالب لا يذل من استجار به وان قل حكيم
يفعل بحكمته البالغة ما يستبعده العقل ويعجز عن ادراكه ولو ترى ولو رايت فان
لو يجعل المضارع ماضيا عكس ان اذ يتوفى الذين كفروا الملائكة ببدر واذ ظرف ترى
والمفعول محذوف اي ولو ترى الكفرة او حالهم حينئذ والملائكة فاعل يتوفى ويدل عليه
قراءة ابن عامر بالتاء ويجوز ان يكون الفاعل ضمير الله عز وجل وهو مبتدا خبره يضربون
وجوههم والجملة حال من الذين كفروا واستغنى فيه بالضمير عن الواو وهو على الاول
حال منهم او من الملائكة او منهما لاشتماله على الضميرين وادبارهم ظهورهم واستا
ولعل المراد تعميم الضرب اي يضربون ما اقبل منهم وما ادبر وذوقوا عذاب الحريق

عطف على يضربون باضمار القول اى ويقولون ذوقوا ببشارة لهم بعذاب الآخرة
وقيل كانت معهم مقامع من حديد كلما ضربوا التهبت النار منها وجواب لو محذوف
لتفظيع الامر وتهويله ذلك الضرب والعذاب بما قدمت ايديكم بسبب ما كسبتم
من الكفر والمعاصى وهو خبر لذلك وان الله ليس بظلام للعبيد عطف عليه
للدلالة على ان سببية مقيدة باضمامه اليه اذ لولاه لامكن ان يعذبهم بغير ذنوبهم
لا ان لا يعذبهم بذنوبهم فان ترك التعذيب من مستحقه ليس بظلم شرعا ولا عقلا
حتى ينتهض نفى الظلم سببا للتكثير لاجل العبيد كدأب آل فرعون
اى دأب هؤلاء مثل دأب آل فرعون وهو عادتهم وطريقتهم الذى دأبوا فيه اى داموا
عليه والذين من قبلهم من قبل آل فرعون كفروا بآيات الله تفسير
لدأبهم فاخذهم الله بذنوبهم كما اخذ هؤلاء ان الله قوى شديد العقاب
لا يغلبه فى دفعه شئ ذلك اشارة الى ما حل بهم بان الله بسبب ان الله لم يك
مغيرا نعمة انعمها على قوم مبدلا اياها بالنقمة حتى يغيروا ما بانفسهم يبدلوا
ما بهم من الحال الى الحال السوء كتغيير قريش حالهم فى صلة الرحم والكف عن تعرض
الآيات والرسل بمعاداة الرسول ومن تبعه منهم والسعى فى اراقة دمائهم
والتكذيب بالآيات والاستهزاء بها الى غير ذلك مما احدثوه بعد المبعث وليس السبب
عدم تغيير الله ما انعم عليهم حتى يغيروا حالهم واصل يك يكون فحذفت الحركة للجزم
ثم الواو لالتقاء الساكنين ثم النون لشبهه بالحروف البينة تخفيفا وان
الله سميع لما يقولون عليم بما يفعلون كدأب آل فرعون والذين من قبلهم
كذبوا بآيات ربهم فاهلكناهم بذنوبهم واغرقنا آل فرعون تكرير للتاكيد
ولما بينه من الدلالة على كفران النعم بقوله بآيات ربهم وبيان ما اخذ به آل
فرعون وقيل الاول لتشبيه الكفر والاخذ به والثانى للتغيير فى النعمة بسبب
تغييرهم ما بانفسهم وكل من الغرق المكذبة او من غرق القبط وقتلى قريش
كانوا ظالمين انفسهم بالكفر والمعاصى ان شر الدواب عند الله الذين كفروا

وعلى ان فى قوله تعالى
وان الله ليس بظلام للعبيد الرفع على انه خبر مبتدا محذوف اى والامر ان الله تعالى ليس بمعذب لعبيده بغير ذنب من قبلهم والتعبير عن ذلك بنفى الظلم مع ان تعذيبهم بغير ذنب ليس بظلم قطعا على ما نص عليه اهل السنة فضلا عن كونه ظلما بالغا قد مر تحقيقه فى سورة آل عمران والمحلة اعتراض تذييلى مقرر لمضمون ما قبلها واما ما قيل من انها معطوفة على ما للدلالة على ان تعذيبهم بغير ذنب لو كان ليس بظلم لكان تعذيبهم بغير ذنب ايضا ليس بظلم فلا يساعده المقام اذ المراد حينئذ بيان ان تعذيبهم بغير ذنوبهم ليس بظلم لانه تعالى لا يعذبهم بغير ذنب بل بذنوبهم كما يدل عليه قوله تعالى كدأب آل فرعون الخ فلا يناسب ان يقال لانه لا يمكن ان يعذبهم بغير ذنوبه

سبقوا فافلتوا انهم لا يفوتون الله ولا يحدون طالبهم عاجزا عن ادراكهم وكذا
ان كسرت انّ الا انه تعليل على سبيل الاستيناف ولعل الآية اراحة لما يحذر من
العهد وايقاظ العدو وقيل نزلت فيمن افلت من قتلى المشركين واعدوا ايتها
المؤمنون لهم لنا قضى العهد وللكفار ما استطعتم من قوة من كل ما يتقوى به في الحرب
وعن عقبة بن عامر سمعته عليه السلم يقول على المنبر الا ان القوة الرمي قالها
ثلثا ولعله عليه السلم خصه بالذكر لانه اقواه ومن رباط الخيل اسم للخيل التي
تربط في سبيل الله فعال بمعنى مفعولا ومصدر سمي به يقال ربط ربطا ورباطا ورابط
مرابطة ورباطا او جمع ربيط كفصيل وفصال وقرئ ربط الخيل بضم الباء وسكونها
جمع رباط وعطفها على القوة كعطف جبريل وميكائيل على الملائكة ترهبون به
تخوفون به وعن يعقوب ترهبون بالتشديد والضمير لما استطعتم او الاعداد عدو
الله وعدوكم يعني كفار مكة وآخرين من دونهم من غيرهم من الكفرة
وقيل هم اليهود وقيل المنافقون وقيل الفرس لا تعلمونهم لا تعرفونهم باعيانهم
الله يعلمهم يعرفهم وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف اليكم جزاءه وانتم
لا تظلمون بتضييع العمل او نقص الثواب وان جنحوا مالوا ومنه الجناح وقد
يعدى باللام والى للسلم للصلح والاستسلام وقرأ ابو بكر بالكسر فاجنح لها
وعاهد معهم وتانيث الضمير لحمل السلم على نقيضها فيه قال السلم تاخذ منها
ما رضيت به والحرب يكفيك من انفاسها جرع وقرئ فاجنح بالضم وتوكل
على الله ولا تخف من ابطانهم خداعا فيه فان الله يعصمك من مكرهم ويحيقه
بهم انه هو السميع لاقوالهم العليم بنياتهم والآية مخصوصة باهل الكتاب
لانها نسخت بقتلهم وقيل عامة نسختها اية السيف وان يريدوا ان يخدعوك فان
حسبك الله فان محسبك الله وكافيك قال جرير اني وجدت من المكارم حسبكم
ان تلبسوا حر الثياب وتشبعوا هو الذي ايدك بنصره وبالمؤمنين جميعا
والف بين قلوبهم مع ما فيهم من العصبية والضغينة فاذا دنى شيء والتهما لك

على الاسعام

مضى شرح هذا البيت في سورة البقرة

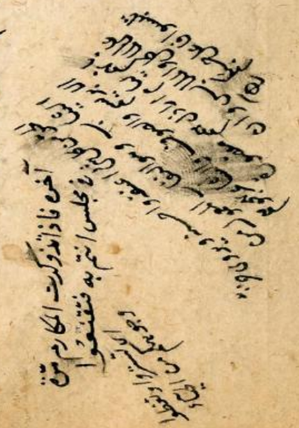

على الانتقام بحيث لا يكاد يائتلف فيهم قلبان حتى صاروا كنفس واحدة وهذا من معجزاته
صلى الله عليه وسلم وبيانه لو انفقت ما في الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم
اي تناهى عداوتهم الى حد لو انفق منفق في اصلاح ذات بينهم ما في الارض من الاموال
لم يقدر على الالفة والاصلاح ولكن الله الف بينهم بقدرته البالغة فانه المالك
للقلوب يقلبها كيف يشاء انه عزيز تام القدرة والغلبة لا يعصى عليه ما يريده حكيم
يعلم انه كيف ينبغي ان يفعل ما يريده وقيل الآية في الاوس والخزرج كان بينهم احن
لا امد لها ووقايع هلكت فيها سادا تهم فانساهم الله ذلك والف بينهم بالاسلام
حتى تصافوا وتناصروا يا ايها النبي حسبك الله كافيك ومن اتبعك من المؤمنين
اما في محل النصب على المفعول معه كقوله اذا كانت الهيجاء وانشقت العصا فحسبك
والضحاك سيف مهند او الجر عطفا على الكنى عند الكوفيين او الرفع عطفا
على اسم الله اي كفاك الله والمؤمنون والآية نزلت بالبيداء في غزوة بدر وقيل
اسلم مع النبي ثلثة وثلثون رجلا وستة نسوة ثم اسلم عمر فنزلت ولذلك قالوا
ابن عباس نزلت في اسلامه يا ايها النبي حرض المؤمنين على القتال بالغ في حثهم
عليه واصله الحرض وهو ان ينهكه المرض حتى يشفى على الموت وقرئ حرّض من الحرص
ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وان يكن منكم مائة يغلبوا الفا
من الذين كفروا شرط في معنى الامر بمصابرة الواحد للعشرة والوعد بانهم ان صبروا
غلبوا بعون الله وتاييده وقرا ابن كثير ونافع وابن عامر تكن بالتاء في الآيتين وابو
البصريان في وان يكن منكم مائة بانهم قوم لا يفقهون بسبب انهم جهلة بالله واليوم
الآخر لا يثبتون ثبات المؤمنين رجاء الثواب وعوالي الدرجات قتلوا وقتلوا فلا
يستحقون من الله الا الهوان والخذلان الآن خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا
فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وان يكن منكم الف يغلبوا الفين باذن الله
لما اوجب على الواحد مقاومة العشرة والثبات لهم وثقل ذلك عليهم خفف عنهم
بمقاومة الواحد الاثنين وقيل كان فيهم قلة فامروا بذلك ثم لما كثروا خفف عنهم

فقهم

وتكرير المعنى بذكر الاعداد المتناسبة للدلالة على ان حكم القليل والكثير والجمع الواحد
ضعف البدن وقيل ضعف البصيرة وكانوا مستفاوتين فيها وفيه لغتان الفتح
وهو قراءة عاصم وحمزة والضم وهو قراءة الباقين والله مع الصابرين بالنصرة والمعونة
فكيف لا يغلبون ما كان لنبي وقرئ للنبي على العهد ان يكون له اسرى وقراءة البصريان
بالتاء حتى يثخن في الارض يكثر القتل ويبالغ فيه حتى يذل الكفر ويقل جزيرة
ويعز الاسلام ويستولي اهله من اثخنه المرض اذا اثقله واصله الثخانة وقرئ
يثخن بالتشديد للمبالغة تريدون عرض الدنيا حطامها باخذكم الفداء والله يريد
الآخرة يريد لكم ثواب الآخرة او سبب نيل الآخرة من اعزاز دينه وقمع اعدائه
وقرئ بجر الآخرة على اضمار المضاف كقوله اكلا امرئ تحسبين امرأ ونار توقد بالليل
نارا والله عزيز يغلب اولياؤه على اعدائه حكيم يعلم ما يليق بكل حال ويخصه بها
كما امر بالاثخان ومنع عن الافداء حين كانت الشوكة للمشركين وخيرهما بينه وبين المن
لما تحولت الحال وصارت الغلبة للمؤمنين روي انه عليه السلام اتي يوم بدر بسبعين
اسيرا فيهم العباس وعقيل ابن ابي طالب فاستشار فيهم فقال ابو بكر قومك واهلك
استبقهم لعل الله يتوب عليهم وخذ منهم فدية تقوي بها اصحابك وقال عمر اضرب
اعناقهم فانهم ائمة الكفر وان الله اغناك عن الفداء مكني من فلان لنسيب لعمر ومكن عليا
وحمزة من اخويهما فلنضرب اعناقهم فلم يهو ذلك رسول الله وقال ان الله ليلين
قلوب رجال حتى تكون الين من اللبن وان الله ليشدد قلوب رجال حتى تكون اشد من الحجارة
وان مثلك يا ابا بكر مثل ابراهيم قال فمن تبعني فانه مني ومن عصاني فانك غفور رحيم
ومثلك يا عمر مثل نوح قال لا تذر على الارض من الكافرين دياراً فخيرا اصحابه فاخذوا الفداء
فنزلت فدخل عمر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو وابو بكر يبكيان فقال يا رسول الله
اخبرني فان وجدت بكاء بكيت والا تباكيت فقال ابكي على اصحابك في اخذهم الفداء ولقد
عرض علي عذابهم ادنى من هذه الشجرة لشجرة قريبة والآية دليل على ان الانبياء يجتهدون
وانه قد يكون خطاء ولكن لا يقرون عليه لولا كتاب من الله سبق لولا حكم من الله

سبق

سبق اثباته في اللوح وهو ان لا يعاقب المخطئ في اجتهاده او ان لا يعذب اهل بدر
او قوما بما لم يصرح لهم بالنهي عنه او ان الفدية التي اخذوها سيحل لهم لمسكم لنالكم
فيما اخذتم من الفداء عذاب عظيم روي انه عليه السلام قال لو نزل العذاب لما نجى
منه غير عمر وسعد بن معاذ وذلك لانه ايضا اشار بالاثخان فكلوا مما غنمتم من الفدية
فانه من جملة الغنائم وقيل امسكوا عن الغنائم فنزلت والفاء للتسبب والسبب محذوف
تقديره ابحت لكم الغنائم فكلوا ونحوه تسبب من زعم ان الامر الوارد بعد الحظر للاباحة
حلالا حال من المغنوم او صفة للمصدر اي اكلا حلالا وفائدة ازاحة ما وقع في نفوسهم
منه بسبب تلك المعاتبة او حرمتها على الاولين ولذلك وصفه بقوله طيبا واتقوا الله
في مخالفته ان الله غفور رحيم غفر لكم ذنبكم رحيم اباح لكم ما اخذتم يا ايها النبي قل لمن
في ايديكم من الاسرى وقرأ ابو عمرو من الاسارى ان يعلم الله في قلوبكم خيرا
ايمانا واخلاصا يؤتكم خيرا مما اخذ منكم من الفداء روي انها نزلت في العباس كلفه
رسول الله ان يفدي نفسه وابني اخويه عقيل بن ابي طالب ونوفل بن الحرث فقال يا محمد
تركتني اتكفف قريشا ما بقيت فقال فاين الذهب الذي دفعته الى ام الفضل وقلت
خروجك وقلت لها اني لا ادري ما يصيبني في وجهي هذا فان حدث لي حدث فهو لك
ولعبد الله وعبيد الله والفضل وقثم فقال وما يدريك قال اخبرني ربي تعالى قال
فاشهد انك صادق وان لا اله الا الله وانك لرسول الله لم يطلع عليه احدا الا الله
ولقد دفعته اليها في سواد الليل قال العباس فابدلني الله خيرا من ذلك لي الآن عشرون
عبدا ان ادناهم ليضرب في عشرين الفا واعطاني زمزم ما احب ان لي بها جميع اموال اهل
مكة وانا انتظر المغفرة من ربكم يعني الموعود بقوله ويغفر لكم والله غفور رحيم
وان يريدوا خيانتك نقض ما عاهدوك فقد خانوا الله بالكفر ونقض ميثاقه
الماخوذ بالعقل فامكن منهم اي فامكنك منهم كما فعل يوم بدر فان اعادوا الخيانة
فسيمكنك منهم والله عليم حكيم ان الذين آمنوا وهاجروا هم المهاجرون هاجروا
اوطانهم حبا لله ولرسوله وجاهدوا باموالهم فصرفوها في الكراع والسلاح والنفقة

على المحاويج وانفسهم في سبيل الله بمباشرة القتال والذين آووا ونصروا هم
الانصار آووا المهاجرين الى ديارهم ونصروهم على اعدائهم اولئك بعضهم اولياء
بعض في الميراث وكان المهاجرون والانصار يتوارثون بالهجرة والنصرة دون الاقارب
حتى نسخ بقوله واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض او بالنصرة والمظاهرة والذين آمنوا
ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا اى من توليهم في الميراث
وقرا حمزة ولايتهم بالكسر تشبيها لها بالعمل والصناعة كالكتابة والامارة كانه بتولية
صاحبه يزاول عملا وان استنصروكم في الدين فعليكم النصر فواجب عليكم ان تنصروهم
على المشركين الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق عهد فانه لا ينقض عهدهم لنصرهم
عليهم والله بما تعملون بصير والذين كفروا بعضهم اولياء بعض في الميراث او
الموازرة وهو بمفهومه يدل على عدم التوارث او الموازرة بينهم وبين المسلمين الا تفعلوه
ان لا تفعلوا ما امرتم به من التواصل بينكم وتولى بعضكم لبعض حتى في التوارث وقطع
العلائق بينكم وبين الكفار تكن فتنة في الارض تحصل فتنة فيها عظيمة وهو ضعف الايمان
وظهور الكفر وفساد كبير في الدين وقرئ كثير والذين آمنوا وهاجروا وجا
هدوا في سبيل الله والذين آووا ونصروا اولئك هم المؤمنون حقا لما قسم
المؤمنين ثلثة اقسام بين ان الكاملين في الايمان منهم هم الذين حققوا ايمانهم
بتحصيل مقتضاه من الهجرة والجهاد وبذل المال ونصرة الحق ووعد لهم الموعد
الكريم فقال لهم مغفرة ورزق كريم لا تبعة له ولا منة فيه ثم الحق بهم
في الامرين من سيلحق بهم ويتسم بسمتهم فقال والذين آمنوا من بعد وهاجروا
وجاهدوا معكم فاولئك منكم اى من جملتكم ايها المهاجرون والانصار واولوا
الارحام بعضهم اولى ببعض في التوارث من الاجانب في كتاب الله في حكمه
او في اللوح او في القرآن واستدل به على توريث ذوى الارحام ان الله بكل شيء عليم
من المواريث والحكمة في اناطتها بنسبة الاسلام والمظاهرة ~~وشاهد على انه~~ اولا واعتبار
القرابة ثانيا عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الانفال وبراءة فانا شفيع له

يوم القيمة

يوم القيمة وشاهد انه برئ من النفاق واعطى عشر حسنات بعدد كل منافق ومنافقة
وكان العرش وحملته يستغفرون له ايام حيوته سورة براءة مدنية
وقيل الا آيتين من قوله لقد جاءكم رسول وهي آخر ما نزلت ولها اسماء اخر التوبة
والمقشقشة والبحوث والمبعثرة والمنقرة والمثيرة والحافرة والمخزية والفاضحة
والمنكلة والمشردة والمدمدمة وسورة العذاب لما فيها من التوبة للمؤمنين والقشقشة
من النفاق وهي تبرا منه والبحث عن حال المنافقين واثارتها والحفر عنها وما
يخزيهم ويفضحهم وينكلهم ويشردهم ويدمدم عليهم وآيها مائة وثلثون وقيل
تسع وعشرون وانما تركت التسمية فيها لانها نزلت لرفع الامان وبسم الله امان
وقيل كان النبي صلى الله عليه وسلم لما انزلت عليه سورة او آية بين موضعها
وتوفي ولم يبين موضعها وكانت قصتها تشابه قصة الانفال وتناسبها لان في الانفال
ذكر العهود وفي براءة نبذها فضمت اليها وقيل لما اختلف الصحابة في انهما سورة
واحدة هي سابعة السبع الطول او سورتان تركت بينهما فرجة ولم يكتب بسم الله
براءة من الله ورسوله اى هذه براءة من الله ومن لمبتدائة متعلقة بمحذوف
تقديره واصلة من الله ورسوله ويجوز ان يكون براءة مبتدا لتخصصها بصفتها والخبر
الى الذين عاهدتم من المشركين وقرئ بنصبها على اسمعوا براءة والمعنى ان الله ورسوله
بريا من العهد الذي عاهدتم به المشركين وانما علقت البراءة بالله وبرسوله والمعاهدة
بالمسلمين للدلالة على انه يجب عليهم نبذ عهود المشركين اليهم وان كانت صادرة باذن الله
واتفاق الرسول فانهما بريا منها وذلك انهم عاهدوا مشركي العرب فنكثوا الا ناسا
منهم بني ضمرة وبني كنانة فامرهم بنبذ العهد الى الناكثين فامهل المشركين اربعة
اشهر ليسيروا اين شاؤا فقال فسيحوا في الارض اربعة اشهر شوال وذي القعدة
وذي الحجة والمحرم لانها نزلت في شوال وقيل هي عشرون من ذي الحجة والمحرم وصفر
وربيع الاول وعشر من ربيع الآخر لان التبليغ كان يوم النحر لما روى انها لما نزلت ارسل
رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا راكب العضباء ليقراها على اهل الموسم وكان قد بعث

اسم ناقة رسول الله صلعم

موسم الحجاج مجمعهم سمي بذلك لانه معلم يجتمع اليه

العضباء هي مشقوقة الاذن وقيل العضباء لقب لناقة رسول الله صلعم ولم تكن مشقوقة الاذن

ابابكر اميرا على الموسم فقيل لو بعثت بها الى ابى بكر فقال لا يؤدى عنى الا رجل منى فلما دنى
على سمع ابو بكر الرغاء فوقف وقال هذا رغاء ناقة رسول الله فلما لحقه قال اميرا او
مأمورا فلما كان قبل الترويه خطب ابو بكر وحدثهم عن مناسكهم وقام على يوم النحر
عند جمرة العقبة فقال يا ايها الناس انى رسول رسول الله اليكم فقالوا باذا
فقرأ عليهم ثلثين او اربعين آية ثم قال امرت باربع ان لا يقرب البيت بعد هذا
العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ولا يدخل الجنة الا كل نفس مؤمنة وان تتم
الى كل ذى عهد عهده ولعل قوله لا يؤدى عنى الا رجل منى ليس على العموم فانه عليه السلم
بعث كان يؤدى عنه كثيرا لم يكونوا من عشيرته بل هو مخصوص بالعهود فان عادة
العرب ان لا يتولى العهد ونقضه على القبيلة الا رجل منها ويدل عليه انه فى بعض الروايات
لا ينبغى لاحد ان يبلغ هذا الا رجل من اهلى واعلموا انكم غير معجزى الله لا تفوتونه وان
امهلكم والله مخزى الكافرين بالقتل والاسر فى الدنيا والعذاب فى الآخرة
واذان من الله ورسوله الى الناس اى اعلام فعال بمعنى الافعال كالامان والعطاء
ورفعه كرفع براءة على الوجهين يوم الحج الاكبر يوم العيد لان فيه تمام الحج ومعظم
افعاله وكان الاعلام كان فيه ولما روى انه عليه السلم وقف يوم النحر عند الجمرات
فى حجة الوداع فقال هذا يوم الحج الاكبر وقيل يوم عرفة لقوله عليه السلم الحج عرفة
ووصف الحج بالاكبر لان العمرة تسمى الحج الاصغر او لان المراد بالحج ما يقع فى ذلك اليوم
من اعماله فانه اكبر من باقى اعماله او لان ذلك الحج اجتمع فيه المسلمون والمشركون
ووافق عيد اهل الكتاب او لانه ظهر فيه عز المسلمين وذل المشركين ان الله
اى بان الله برئ من المشركين من عهودهم ورسوله عطف على المستكن فى برئ
او على محل ان واسمها فى قراءة من كسرها اجراء للاذان مجرى القول وقرئ بالنصب عطفا
على اسم ان او لان الواو بمعنى مع ولا تكرير فيه فان قوله براءة من الله اخبار بثبوت البراءة
وهذه اخبار بوجوب الاعلام بذلك ولذلك علقه بالناس ولم يخص بالمعاهدين
فان تبتم من الكفر والغدر فهو فالتوب خير لكم وان توليتم عن التوبة

اوتبتم على التولى عن الاسلام والوفاء فاعلموا انكم غير معجزى الله لا تفوتونه غلبا
ولا تعجزونه هربا فى الدنيا وبشر الذين كفروا بعذاب اليم فى الآخرة الا الذين
عاهدتم من المشركين استثناء من المشركين او استدراك وكانه قيل لهم بعد
ان امروا بنبذ العهد الى الناكثين ولكن الذين عاهدوا منهم ثم لم ينقصوكم
شيئا من شروط العهد ولم ينكثوه ولم يقتلوا منكم ولم يضروكم قط ولم يظاهروا
عليكم احدا من اعدائكم فاتموا اليهم عهدهم الى مدتهم الى تمام مدتهم
ولا تجروهم مجرى الناكثين ان الله يحب المتقين تعليل وتنبيه على ان اتمام عهدهم
من باب التقوى فاذا انسلخ انقضى واصل الانسلاخ خروج الشئ مما لابسه
من سلخ الشاة الاشهر الحرم التى يباح للناكثين ان يسيحوا فيها وقيل رجب وذو القعدة
وذو الحجة والمحرم وهذا مخالف بالنظم مخالف للاجماع فانه يقتضى بقاء حرمة الاشهر
الحرم اذ ليس فيها نزل بعدها ينسخها فاقتلوا المشركين الناكثين حيث
وجدتموهم من حل وحرم وخذوهم واسروهم والاخذ الاسر واحصروهم
واحبسوهم او حيلوا بينهم وبين المسجد الحرام واقعدوا لهم كل مرصد كل ممر ليلا
يتبسطوا فى البلاد وانتصابه على الظرف فان تابوا عن الشرك بالايمان واقاموا الصلوة
وآتوا الزكوة تصديقا للتوبتهم وايمانهم فخلوا سبيلهم فدعوهم ولا تتعرضوا
لهم بشئ من ذلك وفيه دليل على ان تارك الصلوة ومانع الزكوة لا يخلى سبيله ان الله
غفور رحيم تعليل للامر اى فخلوهم لان الله غفور رحيم غفر لهم ما سلف ووعد
لهم الثواب بالتوبة وان احد من المشركين المأمورين بالتعرض لهم استجارك
استامنك وطلب منك جوارك فاجره فأمنه حتى يسمع كلام الله ويتدبر
ويطلع على حقيقة الامر ثم ابلغه مأمنه موضع امنه ان لم يسلم واحد رفع
بفعل يفسره ما بعده لا بالابتداء لان ان من عوامل الفعل ذلك الامن او الامر
بانهم قوم لا يعلمون ما الايمان وما حقيقة ما تدعوهم اليه فلابد من امانهم
ريثما يسمعون ويتدبرون كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله

استفهام بمعنى الانكار والاستبعاد لان يكون لهم عهد ولا ينكثوه مع غدرهم
اولان يفى الله ورسوله بالعهد وهم ينكثوه وخبر يكون كيف وقدم للاستفهام أو
للمشركين أو عند الله وهو على الاولين صفة للعهد وظرف له او ليكون وكيف على
الاخيرين حال من العهد وللمشركين ان لم يكن خبرا قبيين عاهدتم
الحرام المستثنون قبل ومحله النصب على الاستثناء والجر على البدل والرفع على ان
الاستثناء منقطع اى ولكن الذين عاهدتم منهم عند المسجد الحرام فما استقاموا
لكم فاستقيموا لهم اى فتربصوا امرهم فان استقاموا على العهد فاستقيموا
على الوفاء وهو كقوله فاتموا اليهم عهدهم غير ناقصهم مطلق وهذا مقيد وما يحتمل
الشرطية والمصدرية ان اسيحب المتقين سبق بيانه كيف تكرار لاستبعاد نباتهم
على العهد وبقاء حكمه مع التنبيه على العلة وحذف الفعل للعلم به كما في قوله وخبرتماني
انما الموت بالقرى فكيف وهاتا هضبة وقليب اى فكيف مات وان يظهروا
عليكم اى وجدوا فيكم لا يراعوا فيكم الا حلفا وقيل
قرابة قال حسان لعمرك ان الك من قريش كال السقب من رأل النعام وقيل
ربوبية ولعله مشتق للحلف من الاله وهو الجوار لانهم كانوا اذا تحالفوا رفعوا به
اصواتهم وشهروه ثم استعير للقرابة لانها تعقد بين الاقارب ما لا يعقده الحلف
ثم للربوبية والتربية وقيل اشتقاقه من الك الشئ اذا حدده او من الال البرق اذا لمع
وقيل انه عبرى بمعنى الاله لانه قرئ ايلا كجبرئل وجبرئل ولا ذمة عهدا وحقا يعاب
على اغفاله يرضونكم بافواههم استيناف ببيان حالهم المنافية لثباتهم على
العهد المؤدية الى عدم مراقبتهم عند الظفر ولا يجوز جعله حالا من فاعل لا يرقبوا فانهم
بعد ظهورهم لا يرضون ولان المراد اثبات ارضائهم الى عدم مراقبتهم المؤمنين
بوعد الايمان والطاعة والوفاء بالعهد في الحال واستبطان الكفر والمعاداة بحيث
ان ظفروا لم يبقوا عليهم والحالية تنافيه وتابى قلوبهم ما يتفوه به افواههم واكثرهم
فاسقون متمردون لا عقيدة تزعهم ولا مروءة ترد عهم وتخصيص الاكثر لما في بعض

الكفرة من التفادي عن الغدر والتعفف عنه بجراحدونة الشئ استبدلوا بالقرآن
عن سبيله دينه الموصل اليه وسبيل بيته بحصر الحجاج والعمار والقاء للدلالة على
ان استراءهم اداهم الى الصد انهم ساء ما كانوا يعملون عملهم هذا وما دل عليه قوله
لا يرقبون في مؤمن الا ولا ذمة هو تفسير للنكير وقيل الاول عام في المناقضين وهذا
خاص بالذين اشتروا وهم اليهود والاعراب الذين جمعهم ابوسفيان واطعمهم وا ولئك
هم المعتدون في الشرائع فان تابوا عن الكفر واقاموا الصلوة وآتوا الزكوة فاخوانكم
فهم اخوانكم في الدين لهم ما لكم وعليهم ما عليكم ونفصل الآيات لقوم يعلمون
اعتراض للحث على تأمل ما فصل من احكام المعاهدين واخصالهم الثابتين وان نكثوا
ايمانهم من بعد عهدهم وان نكثوا ما بايعوا عليه من الايمان او الوفاء بالعهود
وطعنوا في دينكم بصريح التكذيب وتقبيح الاحكام فقاتلوا ائمة الكفر اى ففاتلوهم
فوضع ائمة الكفر موضع الضمير للدلالة على انهم صاروا بذلك ذوى الرياسة والتقدم
في الكفر احقاء بالقتل وقيل المراد بالائمة رؤساء المشركين فالتخصيص اما لان قتلهم
اهم وهم احقاء او للمنع من مراقبتهم وقراءة عاصم وابن عامر وحمزة والكسائي
وروح عن يعقوب ائمة بتحقيق الهمزتين على الاصل والتصريح بالياء لحن انهم
لا ايمان لهم اى لا ايمان لهم على الحقيقة والا لما طعنوا ولم ينكثوا وفيه دليل على ان
الذمى اذا طعن في الاسلام فقد نكث عهده واستشهد به الحنفية على ان يمين الكافر
ليس يمينا وهو ضعيف لان المراد نفى الوثوق عليها لانها لبست بايمان لقوله وان
نكثوا ايمانهم وقراءة ابن عامر لا ايمان بمعنى لا امان ولا اسلام وتشبث به من لم يقبل
توبة المرتد وهو ضعيف لجواز ان يكون بمعنى لا يؤمنون على الاخبار عن قوم معينين
اوليس لهم ايمان فترقبوا لاجله لعلهم ينتهون متعلق بقاتلوا اى ليكن غرضكم
في المقاتلة ان ينتهوا عما هم عليه لا ايصال الاذية بهم كما هو طريق الموذين الا تقاتلون
قوما تحريض على القتال لان الهمزة دخلت على النفى للانكار فافادت المبالغة في الفعل

نكثوا ايمانهم التي حلفوها مع الرسول والمؤمنين على ان لا يعاونوا عليهم فعاونوا
بني بكر على خزاعة وهموا باخراج الرسول حين تشاوروا في امر دار الندوة على ما مر
ذكره في قوله واذ يمكر بك الذين كفروا وقيل هم اليهود نكثوا عهد الرسول وهموا باخراجه
من المدينة وهم بدؤكم اول مرة بالمعاداة والمقاتلة لانه عليه السلم بدأهم بالدعوة
والزام الحجة بالكتاب والتحدي به فعدلوا عن معارضته الى المعاداة والمقاتلة
فما يمنعكم ان تعارضوهم وتصادموهم اتخشونهم اتتركون قتالهم خشية ان
ينالكم مكروه منهم فالله احق ان تخشوه فقاتلوا اعداءه ولا تتركوا امره ان كنتم
مؤمنين فان قضية الايمان الا يخشى الا منه قاتلوهم امر بالقتال بعد بيان
موجبه والتوبيخ على تركه والتوعيد عليه يعذبهم الله بايديكم ويخزهم وينصركم
عليهم وعدهم ان قاتلوهم بالنصر عليهم والتمكن من قتلهم واذلالهم ويشف
صدور قوم مؤمنين يعني بني خزاعة وقيل بطونا من اليمن وسباء قدموا مكة
فاسلموا فلقوا من اهلها اذى شديدا فشكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال ابشروا فان الفرج قريب ويذهب غيظ قلوبهم لما لقوا منهم وقد اوفى الله
بما وعدهم والآية من المعجزات ويتوب الله على من يشاء ابتداء اخبار بان بعضهم
يتوب عن كفره وقد كان ذلك ايضا وقرئ ويتوب بالنصب على اضمار ان على انه من جملة
ما اجيب به الامر فان القتال كما تسبب لتعذيب قوم تسبب لتوبة قوم آخرين والله
عليم بما كان ومن سيكون حكيم لا يفعل ولا يحكم الا على وفق الحكمة ام حسبتم خطاب للمؤمنين
حين كره بعضهم القتال وقيل للمنافقين وام منقطعة ومعنى همزتها التوبيخ على الحسبان
ان تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولم يتبين الخلص منكم وهم الذين جاهدوا
من غيرهم ونفي العلم وارادة نفي المعلوم للمبالغة فانه كالبرهان عليه من حيث ان تعلق
العلم به مستلزم لوقوعه ولم يتخذوا عطف على جاهدوا داخل في الصلة من دون الله
ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة بطانة يوالونهم ويفشون اليهم اسرارهم وما في لما
من معنى التوقع منبئ على ان تبين ذلك متوقع والله خبير بما تعملون يعلم عز ضكم

منه

منه وهو كالمزيح لما يتوهم من ظاهر قوله ولما يعلم الله ما كان للمشركين ما صح لهم
ان يعمروا مساجد الله شيأ من المساجد فضلا عن المسجد الحرام وقيل هو المراد وانما
جمع لانه قبلة المساجد وامامها فعامر كعامر الجميع ويدل عليه قراءة ابن كثير وابن عامر
ويعقوب بالتوحيد شاهدين على انفسهم بالكفر باظهار الشرك وتكذيب الرسول
وهو حال من الواو والمعنى ما استقام لهم ان يجمعوا بين امرين متنافيين عمارة بيت الله
وعبادة غير روي انه لما اسر العباس عير المسلمون بالشرك وقطيعة الرحم واغلظ
له علي رضي الله عنه في القول فقال تذكرون مساوينا وتكتمون محاسننا فانا لنعمر المسجد
الحرام ونحجب الكعبة ونسقي الحجيج ونفك العاني فنزلت اولئك حبطت اعمالهم
التي يفتخرون بها فانها قارنها من الشرك وفي النار هم خالدون لاجله انما يعمر مساجد
الله من آمن بالله واليوم الآخر واقام الصلوة وآتى الزكوة الى انما يستقيم عمارتها
لهؤلاء الجامعين للكمالات العلمية والعملية ومن عمارتها تزيينها بالفرش وتنويرها
بالسرج وادامة العبادة والذكر ودرس العلم فيها وصيانتها مما لم يبن له كحديث الدنيا
وعن النبي صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى ان بيوتي في ارضي المساجد وان
زواري فيها عمارها فطوبى لعبد تطهر في بيته ثم زارني في بيتي فحق على المزور ان يكرم
زائره وانما لم يذكر الايمان بالرسول لما علم ان الايمان بالله قرينه وتمامه الايمان به
وللاشارة قوله واقام الصلوة وآتى الزكوة عليه ولم يخش الا الله اي في ابواب الدين
فان الخشية عن المحاذير جبلي لا يكاد العاقل يتمالك عنها فعسى اولئك ان يكونوا
من المهتدين ذكر بصيغة التوقع قطعا لاطماع المشركين في الاهتداء والانتفاع
باعمالهم وتوبيخا لهم بالقطع بانهم مهتدون فان هؤلاء مع كمالهم اذا كان اهتداؤهم
دائرا بين عسى ولعل فما ظنك باضدادهم ومنعا للمؤمنين ان يغتروا باحوالهم ويتكلوا
عليها اجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر
وجاهد في سبيل الله السقاية والعمارة مصدر سقى وعمر فلا تشتبهان بالجثث بل لا بد
من اضمار تقديره اجعلتم سقاية الحاج كمن آمن او اجعلتم سقاية الحاج كايمان من آمن ويؤيد

الاول قراءة من قرأ سقاة الحاج وعمرة المسجد والمعنى انكار ان يشبه المشركون
واعمالهم المحبطة بالمؤمنين واعمالهم المثبتة ثم قرر ذلك بقوله لا يستوون
عند الله وبين عدم تساويهم بقوله والله لا يهدي القوم الظالمين اي الكفرة ظلمة
بالشرك ومعاداة الرسول منهمكون في الضلالة فكيف يساوون الذين هداهم الله ووفقهم
للحق والصواب وقيل المراد بالظالمين الذين يسوون بينهم وبين المؤمنين الذين
آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله باموالهم وانفسهم اعظم درجة عند الله
اعلى رتبة واكثر كرامة ممن لم يستجمع هذه الصفات او من اهل السقاية والعمارة عندكم
واولئك هم الفائزون بالثواب ونيل الحسنى عند الله دونكم يبشرهم ربهم برحمة
منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم دائم وقرأ حمزة يبشر بالتخفيف وتنكير
المبشر به اشعار بانه وراء التعيين والتعريف خالدين فيها ابدا اكد الخلود بالتأبيد
لانه قد يستعمل للمكث الطويل ان الله عنده اجر عظيم يستحقر دونه ما استوجبوه لاجله
او نعم الدنيا يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم واخوانكم اولياء نزلت في المها
جرين فانهم لما امروا بالهجرة قالوا ان هاجرنا قطعنا آباءنا وابناءنا وعشائرنا
وذهبت تجاراتنا وبقينا ضائعين وقيل نزلت نهيا عن موالاة التسعة الذين
ارتدوا ولحقوا بمكة والمعنى لا تتخذوهم اولياء يمنعونكم عن الايمان ويصدونكم عن
الطاعة لقوله ان استحبوا الكفر على الايمان ان اختاروه وحرضوا عليه ومن
يتولهم منكم فاولئك هم الظالمون بوضعهم الموالاة في غير محلها قل ان كان
آباءكم وابناءكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم اقرباءكم ماخوذ من العشرة
وقيل من العشرة فان العشيرة جماعة ترجع الى عقد كعقد العشرة وقرأ ابو بكر
وعشيراتكم وقرئ وعشائركم واموال اقترفتموها اكتسبتموها وتجارة تخشون
كسادها فوات وقت نفاقها ومساكن ترضونها احب اليكم من الله ورسوله
وجهاد في سبيله الحب الاختياري دون الطبيعي فانه لا يدخل تحت التكليف والتحفظ
عنه فتربصوا حتى ياتي الله بامره جواب ووعيد والامر عقوبة عاجلة او آجلة

وقيل

وقيل فتح مكة والله لا يهدي القوم الفاسقين لا يرشدهم وفي الآية تشديد
عظيم وقل من تخلص عنه لقد نصركم الله في مواطن كثيرة يعني مواطن الحرب وهي
مواقعها ويوم حنين وموطن يوم حنين ويجوز ان يقدر وايام مواطن او يفسر الموطن
بالوقت كمقتل الحسين ولا يمنع ابدال قوله اذ اعجبتكم كثرتكم منه ان يعطف على موضع
في مواطن فانه لا يقتضي تشاركهما فيما اضيف اليه المعطوف حتى يقتضي كثرتهم واعجابها
اياهم في جميع المواطن وحنين واد بين مكة والطائف حارب فيه رسول الله
والمسلمون وكانوا اثني عشر الفا العشر الذين حضروا فتح مكة والفان انضموا اليهم من الطلقاء
هوازن وثقيف وكانوا اربعة آلاف فلما التقوا قال النبي او ابو بكر او غيره من المسلمين
لن نغلب اليوم من قلة اعجابا بكثرتهم واقتتلوا قتالا شديدا فادرك المسلمين اعجابهم
واعتمادهم على كثرتهم فانهزموا حتى بلغ فلهم مكة وبقي رسول الله في مركزه ليس معه
الا عمه العباس آخذا بلجامه وابن عمه ابو سفين بن الحرث وناهيك بهذا شهادة
على تناهي شجاعته فقال للعباس وكان صيتا صح بالناس فنادى يا عباد الله يا اصحاب
الشجرة يا اصحاب سورة البقرة فكروا عنقا واحدا يقولون لبيك لبيك
ونزلت الملائكة فالتقوا مع المشركين فقال عليه السلم هذا حين حمي الوطيس ثم
اخذ كفا من التراب فرماهم ثم قال انهزموا ورب الكعبة فانهزموا فلم تغن عنكم
اي الكثرة شيئا من الغناء او من امر العدو وضاقت عليكم الارض بما رحبت برحبها
اي سعتها لا تجدون فيها مفرا تطمئن اليه نفوسكم من شدة الرعب او لا تثبتون فيها
كمن لا يسعه مكانه ثم وليتم الكفار ظهوركم مدبرين منهزمين والادبار الذهاب
الى خلف خلاف الاقبال ثم انزل الله سكينته رحمته التي سكنوا بها وامنوا على
رسوله وعلى المؤمنين الذين انهزموا واعادة الجار للتنبيه على اختلاف حاليهما
وقيل هم الذين ثبتوا مع الرسول ولم يفروا وانزل جنودا لم تروها باعينكم يعني
الملائكة وكانوا خمسة آلاف او ثمانية آلاف او ستة عشر الفا على اختلاف الاقوال وعذب الذين
كفروا بالقتل والاسر والسبي وذلك جزاء الكافرين اي ما فعل بهم جزاء كفرهم

في الدنيا ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء منهم بالتوفيق للاسلام والله
غفور رحيم يتجاوز عنهم ويتفضل عليهم روى ان ناسا منهم جاؤا الى رسول الله
واسلموا وقالوا يا رسول الله انت خير الناس وابرهم وقد سبى اهلونا واولادنا واخذت
اموالنا وقد سبى يوم ستة آلاف نفس واخذ من الابل والغنم ما لا يحصى
فقال اختاروا اما سباياكم واما اموالكم فقالوا ما كنا نعدل بالاحساب شيأ فمن
كان بيده شيء وطابت نفسه ان يرده فشأنه ومن لا فليعطنا وليكن قرضا علينا
حتى نصيب شيأ فنعطيه مكانه ففعلوا رضينا وسلمنا فقال اني لا ادري لعل فيكم
من لا يرضى فمروا عرفاءكم فليرفعوا الينا فرفعوا انهم قد رضوا يا ايها الذين آمنوا انما
المشركون نجس الخبث باطنهم اولانه يجب ان يجتنب عنهم كما يجتنب عن الانجاس
اولانهم لا يتطهرون ولا يجتنبون عن النجاسات فهم ملابسون لها غالبا وفيه
دليل على ان ما الغالب نجاسته نجس وعن ابن عباس ان اعيانهم نجسة كما
الكلاب وقرئ نجس بالسكون وكسر النون وهو كبد في كبد والنزما جاء تابعا لنجس
فلا يقربوا المسجد الحرام لنجاستهم وانما نهى عن الاقراب للمبالغة او للمنع عن دخول
الحرم وقيل المراد به النهي عن الحج والعمرة لا عن الدخول مطلقا واليه ذهب ابو حنيفة
وقاس مالك سائر المساجد على المسجد الحرام في المنع وفيه دليل على ان الكفار مخاطبون
بالفروع بعد عامهم هذا يعني سنة براءة وهي التاسعة وقيل سنة حجة
الوداع وان خفتم عيلة فقرا بسبب منعهم من الحرم وانقطاع ما كان لكم من قبلهم
من المكاسب والارفاق فسوف يغنيكم الله من فضله من عطائه او تفضله بوجه
آخر وقد انجز وعده بان ارسل السماء عليهم مدرارا ووفق اهل جباله وجرش فاسلموا
وامتاروا لهم ثم فتح عليهم البلاد والغنائم وتوجه اليهم الناس من اقطار الارض
وقرئ عائلة على انها مصدر كالعافية او حال ان شاء قيده بالمشية لينقطع الآمال
الى الله ولينبه على انه متفضل في ذلك وان الغنى الموعود يكون لبعض دون بعض
وفي عام دون عام ان الله عليم بأحوالكم حكيم فيما يعطي ويمنع قاتلوا الذين لا

يؤمنون

يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر اي لا يؤمنون بهما على ما ينبغي كما بيناه في اوائل البقرة
فايمانهم كلا ايمان ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ما ثبت تحريمه بالكتاب
والسنة وقيل رسوله هو الذي يزعمون اتباعه والمعنى انهم يخالفون اصلا
دينهم المنسوخ اعتقادا وعملا ولا يدينون دين الحق الثابت الذي هو ناسخ سائر
الاديان ومبطلها من الذين اوتوا الكتاب بيان للذين لا يؤمنون حتى يعطوا الجزية
ما تقرر عليهم ان يعطوه مشتق من جزى دينه اذا قضاه عن يد حال من ضمير
مواتية يعني منقادين او عن يدهم بمعنى مسلمين بأيديهم غير باعثين بأيدي غيرهم
ولذلك منع من التوكيل فيه او عن غنى ولذلك لا يؤخذ من الفقير او عن يد قاهرة
عليهم بمعنى عاجزين اذلاء او عن انعام عليهم فان ابقاءهم بالجزية نعمة عظيمة
او عن الجزية بمعنى نقدا مسلمة عن يد الى يد وهم صاغرون اذلاء وعن ابن عباس
تؤخذ الجزية من الذمي ويوجأ عنقه ومفهوم الآية يقتضي تخصيص الجزية باهل الكتاب
ويؤيده ان عمر لم يكن ياخذ الجزية من المجوس حتى شهد عبد الرحمن بن عوف انه عليه السلام
اخذها من مجوس هجر وانه قال سنوا بهم سنة اهل الكتاب وذلك لان لهم شبهة
كتاب فالحقوا بالكتابيين واما سائر الكفرة فلا يؤخذ منهم الجزية عندنا وعند ابي حنيفة رحمه
تؤخذ منهم الا من مشركي العرب لما روى الزهري انه عليه السلام صالح عبدة الاوثان
الا من كان من العرب وعند مالك رحمه الله تؤخذ من كل كافر الا المرتد واقلها في كل سنة
دينار سواء فيه الغني والفقير وقال ابو حنيفة على الغني ثمانية واربعون درهما
وعلى المتوسط نصفها وعلى الفقير المكسوب ربعها ولا شيء على فقير غير مكسوب وقالت
اليهود عزير بن الله انما قاله بعضهم من متقدميهم او ممن كان بالمدينة
وانما قالوا ذلك لانه لم يبق فيهم بعد وقعة بختنصر من يحفظ التوراة وهو لما
احياه الله بعد مائة عام املى عليهم التوراة حفظا فتعجبوا من ذلك وقالوا ما هذا
الا لانه ابن الله والدليل على ان هذا القول كان فيهم ان الآية قرئت عليهم فلم
ينكذبوا سماعها لكنهم على التكذيب وقراء عاصم والكسائي ويعقوب عزير بالتنوين

على انه عزنى مخبر عنه بابن غير موصوف وحذفه فى القراءة الاخرى اما لمنع صرفه
للعجمة والتعريف او لالتقاء الساكنين تشبيها للنون بحروف اللين او لان الابن وصف
والخبر محذوف مثل معبودنا او صاحبنا وهو ضعيف لانه يؤدى الى تسليم النسب وانكار
الخبر المقدر وقالت النصارى المسيح ابن الله هو ايضا قول بعضهم وانما قالوه استحالة
لان يكون ولد بلا اب او لان يفعل ما فعله من ابراء الاكمه والابرص واحياء الموتى
من لم يكن الها ذلك قولهم بافواههم اتاتاكيد لنسبة هذا القول اليهم ونفى للتجوز
عنها او استعارة بانه قول مجرد لا يضاهى قولهم قول الذين كفروا فحذف المضاف واقيم المضاف
اليه مقامه من قبل اى من قبلهم والمراد قدماءهم على معنى ان الكفر قديم فيهم
او المشركون الذين قالوا الملائكة بنات الله واليهود على ان الضمير للنصارى والمضاهاة
المشابهة والهمز لغة فيه وقد قرئ به عاصم وضعه قولهم امرأة ضهياء على فعيل
للتى تشابهت الرجال فى انها لا تحيض قاتلهم الله دعاء عليهم فان من قاتله الله هلك
او تعجب من شناعة قولهم انى يؤفكون كيف يصرفون عن الحق الى الباطل اتخذوا
احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله بان اطاعوهم فى تحريم ما احل الله
وتحليل ما حرم الله وبالسجود لهم والمسيح ابن مريم بان جعلوه ابنا لله وما امروا
اى وما امر المتخذون والمتخذون اربابا كالدليل على بطلان الاتخاذ الا ليعبدوا ليطيعوا
الها واحدا وهو الله تعالى واما طاعة الرسول وسائر من امر الله بطاعته فهو فى الحقيقة
طاعة الله لا اله الا هو صفة ثانية او استيناف مقرر للتوحيد سبحانه عما يشركون
تنزيه له عن ان يكون له شريك يريدون ان يطفئوا نور الله حجته الدالة على
وحدانيته وتقدسه عن الولد او القرآن او نبوة محمد عليه السلم بافواههم
بشركهم او تكذيبهم ويابى الله لا يرضى الا ان يتم نوره باعلاء التوحيد واعزاز
الاسلام وقيل انه تمثيل لحالهم فى طلبهم ابطال نبوة محمد بالتكذيب بحال من يطلب
اطفاء نور عظيم منبث فى الافاق يريد الله ان يزيد بنفخه وانما صح الاستثناء المفرغ
والفعل موجب لانه فى معنى النفى ولو كره الكافرون محذوف الجواب لدلالة ما قبله

عليه

٢٦٣

عليه هو الذى ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله
كالبيان لقوله ويابى الله الا ان يتم نوره ولذلك كرر ولو كره المشركون غير انه وضع
المشركون موضع الكافرون للدلالة على انهم ضموا الكفر بالرسول الى الشرك بالله والضمير
فى ليظهره للدين الحق وللرسول واللام فى الدين للجنس اى على سائر الاديان فينسخها
او على اصلها فيخذلهم يا ايها الذين آمنوا ان كثيرا من الاحبار والرهبان ليأكلون
اموال الناس بالباطل يأخذونها بالرشى فى الاحكام سمى اخذ المال لانه الغرض الاعظم
منه ويصدون عن سبيل الله دينه والذين يكنزون الذهب والفضة
ولا ينفقونها فى سبيل الله يجوز ان يراد به الكنز من الاحبار والرهبان فيكون مبالغة
فى وصفهم بالحرص على المال والضن بها وان يراد المسلمون الذين يجمعون المال
ويقتنونه ولا يؤدون حقه ويكون اقرانه بالمرتشين من اهل الكتاب للتغليظ ويدل
عليه انه لما نزل كبر على المسلمين فذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان الله
لم يفرض الزكوة الا ليطيب بها ما بقى من اموالكم وقوله عليه السلم ما ادى زكوته
فليس بكنز اى بكنز اوعد عليه فان الوعيد على الكنز مع عدم الانفاق فيما امر الله
ان ينفق فيه واما قوله من ترك صفراء او بيضاء كوى بها ونحوه فالمراد منها ما لم يؤد
حقها لقوله عليه السلام فيما اورده الشيخان مرويا عن ابى هريرة رضى الله عنه ما من صاحب ذهب
ولا فضة لا يؤدى منها حقها الا اذا كان يوم القيمة صفحت له صفائح من نار فيكوى بها جنبه
وجبينه وظهره فبشرهم بعذاب اليم هو الكى بهما يوم يحمى عليها فى نار جهنم
اى يوم توقد النار ذات حمى شديد عليها واصل يحمى يا النار فجعل الاحماء للنار مبالغة
ثم حذفت النار واسند الفعل الى الجار والمجرور تنبيها على المقصود فانتقل من صيغة
التانيث الى صيغة التذكير وانما قال عليها والمذكور شيآن لان المراد بهما دنانير ودراهم
كثيرة كما قال على رضى الله عنه اربعة آلاف وما دونها نفقة وما فوقها كنز وكذا قوله
ولا ينفقونها وقيل الضمير فيهما للكنوز والاموال فان الحكم عام وتخصيصهما بالذكر
لانهما قانون التمول وللفضة وتخصيصها لتقربها ودلالة حكمها على ان الذهب اولى

بهذا الحكم قتلوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم لان جمعهم واساكهم
كان لطلب الوجاهة بالغنى والتنعم بالمطاعم الشهية والملابس البهية اولانهم
ازوروا عن السائل واعرضوا عنه ولوى ظهورهم اولانها اشرف الاعضاء الظاهرة
فانها المشتملة على الاعضاء الرئيسة التى هى الدماغ والقلب والكبد ولانها اصول
الجهات الاربع التى هى مقاديم البدن ومآخره وجنباته هذا ما كنزتم على ارادة
القول لانفسكم لمنفعتها وكان عين مضرتها وسبب تعذيبها فذوقوا ما كنتم تكنزون
اى وبال كنزكم او ما تكنزونه وقرئ تكنزون بضم النون ان عدة الشهور اى مبلغ تعدادها
عند الله معمول عدة لانها مصدر اثنا عشر شهرا فى كتاب الله فى اللوح المحفوظ
او فى حكمه وهو صفة لاثنى عشر وقوله يوم خلق السموات والارض متعلق بما فيه
من معنى التثبوت او بالكتاب ان جعل مصدرا والمعنى ان هذا امر ثابت فى نفس الامر
منذ خلق الله الاجرام والازمنة منها اربعة حرم واحد فرد وهو رجب وثلثة سرد
ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ذلك الدين القيم اى تحريم الاشهر الاربعة هو
الدين القيم دين ابرهيم واسمعيل عليهما السلم والعرب ورثوه منهما فلا تظلموا فيهن
انفسكم بهتك حرمتها وارتكاب حرامها والجمهور على ان حرمة المقاتلة فيها
منسوخة واول الظلم بارتكاب المعاصى فيهن فانه اعظم وزرا كارتكابها فى الحرم
وحال الاحرام وعن عطاء انه لا يحل للناس ان يغزوا فى الحرم والاشهر الحرم
الا ان يقاتلوا ويؤيد الاول ما روى انه عليه السلم حاصر الطائف وغزا هوازن بحنين
فى شوال وذى القعدة وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة جميعا
وهى مصدر كفت عن الشئ فان الجميع مكفوف عن الزيادة وقع موقع الحال واعلموا ان
الله مع المتقين بشارة وضمان لهم بالنصر بسبب تقواهم انما النسئ اى تاخير حرمة
الشهر الى شهر آخر كما كانوا اذا جاء شهر حرام وهم محاربون احلوه وحرموا مكانه شهرا
آخر حتى رفضوا خصوص الاشهر واعتبروا مجرد العدد وعن نافع انما النسى بقلب الهمزة
ياء وادغام الياء فيها وقرئ النسى بحذفها والنساء والنساء وثلثتها مصادر نساه اذا

اخر زيادة فى الكفر لانه تحريم ما احله الله وتحليل ما حرمه فهو كفر آخر ضموه الى كفرهم
يضل به الذين كفروا ضلالا زائدا وقرا حمزة والكسائى وحفص يضل على البناء
للمفعول وعن يعقوب يضل على ان الفعل لله يحلونه عاما يحلون المنسئ من الاشهر
الحرم سنة ويحرمون مكانه شهرا آخر ويحرمونه عاما فيتركونه على حرمة قيل
اول من احدث ذلك جنادة بن عوف الكنانى كان يقوم على جمل فى الموسم فينادى ان
آلهتكم قد احلت لكم المحرم فاحلوه ثم ينادى فى القابل ان آلهتكم قد حرمت عليكم المحرم
فحرموه والجملتان تفسير للضلال او حال ليواطئوا عدة ما حرم الله ليوافقوا العدة
وحدها من غير مراعاة الوقت زين لهم سوء اعمالهم وقرئ على البناء للفاعل وهو الله
والمعنى خذلهم واضلهم حتى حسبوا آعمالهم حسنا والله لا يهدى القوم الكافرين
هداية موصلة الى الاهتداء يا ايها الذين آمنوا ما لكم اذا قيل لكم انفروا فى سبيل
الله اثاقلتم تباطأتم وقرئ تثاقلتم على الاصل وآثاقلتم على الاستفهام للتوبيخ
الى الارض متعلق به كانه ضمن معنى الاخلاد والميل فعدى بالى وكان ذلك فى غزوة
تبوك امروا بها بعد رجوعهم من الطائف فى وقت عسرة وقيظ مع بعد الشقة
وكثرة العدو فشق عليهم ارضيتم بالحيوة الدنيا وغرورها من الاخرة بدل الاخرة
ونعيمها فما متاع الحيوة الدنيا فما التمتع بها فى الآخرة فى جنب الآخرة الا قليل
مستحقر الا تنفروا ان لا تنفروا الى ما استنفرتم اليه يعذبكم عذابا اليما بالاهلاك
بسبب فظيع كقحط وظهور عدو ويستبدل قوما غيركم ويستبدل بكم آخرين مطيعين
كاهل اليمن وابناء فارس ولا تضروه شيئا اذ لا يقدح تثاقلكم فى نصرة دينه شيئا
فانه الغنى عن كل شئ وفى كل امر وقيل الضمير للرسول اى ولا تضروه فان الله وعده له
بالعصمة والنصرة ووعده حق والله على كل شئ قدير فيقدر على التبديل وتغيير
الاسباب والنصرة بلا مدد كما قال الا تنصروه فقد نصره الله اى ان لم تنصروه
فسينصره الله كما نصره الله اذ اخرجه الذين كفروا ثانى اثنين ولم يكن معه الا رجل
واحد فحذف الجزاء واقيم ما هو كالدليل عليه مقامه او ان لم تنصروه فقد وجب الله

له النصر حتى نصره في مثل ذلك الوقت فلن يخذله في غيره واسند الاخراج الى الكفرة
لانهم هموا باخراجه او قتله تسبب لاذن الله له بالخروج وقرئ ثاني اثنين بالسكون
على لغة من يجري المنقوص مجرى المقصور في الاعراب ونصبه على الحال اذ هما في الغار
بدل من اذ اخرجه بدل البعض اذ المراد به زمان متسع والغار نقب في اعلى ثور وهو جبل
في يمنى مكة على مسيرة ساعة مكثا فيه ثلثا اذ يقول بدل ثان او ظرف لثاني لصاحبه
وهو ابو بكر رضي الله عنه لا تحزن ان الله معنا بالعصمة والمعونة روي ان المشركين
طلعوا فوق الغار فاشفق ابو بكر على رسول الله فقال عليه السلم ما ظنك باثنين الله
ثالثهما فاعماهم الله عن الغار فجعلوا يترددون حوله فلم يروه وقيل لما دخلا الغار
بعث الله حمامتين فباضتا في اسفله والعنكبوت فنسجت عليه فانزل الله سكينته
امنته التي يسكن عندها القلوب عليه على النبي صلى الله عليه وسلم او على صاحبه
وهو الاظهر لانه منزعج واتيده بجنود لم تروها يعني الملائكة انزلهم ليحرسوه في الغار
او ليعينوه على العدو يوم بدر والاحزاب وحنين فيكون الجملة معطوفة على قوله
نصره الله وجعل كلمة الذين كفروا السفلى يعني الشرك او دعوة الكفر وكلمة
الله هي العليا يعني التوحيد او دعوة الاسلام والمعنى وجعل ذلك تخليص الرسول
عن ايدي الكفار الى المدينة فانه المبدأ له او بتاييده اياه بالملائكة في هذه المواطن
او بحفظه ونصره له حيث حضر وقرأ يعقوب كلمة الله بالنصب عطفا على كلمة الذين
والرفع ابلغ لما فيه من الاشعار بان كلمة الله عالية في نفسها وان فاق غيرها فلا
ثبات لتفوقه ولا اعتبار ولذلك وسط الفصل والله عزيز حكيم في امره وتدبيره
انفروا خفافا لنشاطكم له وثقالا عنه لمشقته عليكم او لقلة عيالكم ولكثرتها
او ركبانا وصياتا او خفافا ونقالا من السلاح او صحاحا ومراضا ولذلك لما قال
ابن ام مكتوم لرسول الله اعلي ان انفر قال نعم حتى نزل ليس على الاعمى حرج وجاهدوا
باموالكم وانفسكم في سبيل الله بما امكن لكم منهما كليهما او احدهما ذلكم خير
لكم من تركه ان كنتم تعلمون الخير علمتم انه خير لكم او ان كنتم تعلمون انه خير اذا خبر الله

صلف

صلف فبادروا اليه لو كان عرضا قريبا اى لو كان ما دعوا اليه نفعا دنيويا
قريبا سهل المأخذ وسفرا قاصدا متوسطا لا تبعوك لوافقوك ولكن بعدت
عليهم الشقة المسافة التي تقطع بمشقة وقرئ بكسر العين والشين الشقة وسيحلفون
بالله اى المتخلفون اذا رجعت من تبوك معتذرين لو استطعنا يقولون لو كان لنا
استطاعة العدة او البدن وقرئ لو استطعنا بضم الواو وتشبيها لها بواو الضمير في قوله
اشتروا الضلالة لخرجنا معكم ساد مسد جواب القسم والشرط وهذا من المعجزات
لانه اخبار عما وقع قبل وقوعه يهلكون انفسهم بايقاعها في العذاب وهو بدل
من سيحلفون لان الحلف الكاذب ايقاع للنفس في الهلاك او حال من فاعله والله يعلم
انهم لكاذبون في ذلك لانهم كانوا مستطيعين الخروج عفا الله عنك كناية عن خطاه
في الاذن فان العفو من روادفه لم اذنت لهم بيان لما كنى عنه بالعفو ومعاتبته
عليه والمعنى لاى شيء اذنت لهم في القعود حين استأذنوك واعتلوا باكاذيب وهلا
توقفت حتى يتبين لك الذين صدقوا في الاعتذار لا يستأذنك الذين يؤمنون
بالله واليوم الآخر ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم اى ليس من عادة المؤمنين
ان يستأذنوك في ان يجاهدوا وان الخلص منهم يبادرون اليه ولا يوقفون على الاذن فيه
فضلا ان يستأذنوك في التخلف عنه ان لم يستأذنوك في التخلف كراهة ان يجاهدوا
والله عليم بالمتقين شهادة لهم بالتقوى وعد لهم بثوابه انما يستأذنك في التخلف
الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر تخصيص الايمان بالله واليوم الآخر في الموضعين
للاشعار بان الباعث على الجهاد والوازع عنه الايمان وعدم الايمان بهما وارتابت قلوبهم
فهم في ريبهم يترددون يتحيرون ولو ارادوا الخروج لاعدوا له للخروج عدة
اهبة وقرئ عده بحذف التاء عند الاضافة كقوله واخلفوك عد الامر الذي فعلوا
وعده بكسر العين باضافة وبغيرها ولكن كره الله انبعاثهم استدراك عن مفهوم
قوله ولو ارادوا الخروج كانه قال ما خرجوا ولكن ثبطوا لانه تعالى كره انبعاثهم اى نهوضهم
للخروج فثبطهم فحبسهم بالجبن والكسل وقيل اقعدوا مع القاعدين

تمثيل لالقاء الله كراهة الخروج فى قلوبهم او وسوسة الشيطان بالامر بالقعود
او حكاية قول بعضهم لبعض او اذن الرسول لهم والقاعدين يحتمل المعذورين وغيرهم
وعلى الوجهين لا يخلو عن ذم **لو خرجوا فيكم** مع عسكركم **ما زادوكم** بخروجهم شيئا **الا خبالا**
فسادا وشرا ولا يستلزم ذلك ان يكون لهم خبال حتى لو خرجوا زادوه لان الزيادة باعتبار
اعم العام الذى وقع منه الاستثناء ولاجل هذا التوهم جعل الاستثناء منقطعا وليس
كذلك لانه لا يكون مفرغا **ولا وضعوا خلالكم** ولاسرعوا ركابهم بينكم بالنميمة والتضريب
او الهزيمة والتخذيل من اوضع البعير وضعا اذا اسرع **يبغونكم الفتنة** يريدون ان يفتنوكم
بايقاع الخلاف فيما بينكم او الرعب فى قلوبكم والجملة حال من الضمير فى اوضعوا **وفيكم سماعون**
لهم ضعفة يسمعون حديثكم ويطيعونهم او نمامون يسمعون حديثكم للنقل اليهم **والله**
عليم بالظالمين فيعلم ضمايرهم وما يأتى منهم **لقد ابتغوا الفتنة** تشتيت امرك وتفريق
اصحابك **من قبل** يعنى يوم احد فان ابن ابى واصحابه كما تخلفوا عن تبوك بعد ما خرجوا
مع الرسول الى ذى حجدة اسفل من ثنية الوداع انصرفوا احد **وقلبوا لك الامور** ودبروا يوم م
لك المكايد والحيل ودوروا الآراء فى ابطال امرك **حتى جاء الحق** النصر والتأييد الالهى **وظهر**
امر الله على اعدائه **وهم كارهون** اى على رغم منهم والآيتان لتسلية الرسول والمؤمنين
على تخلفهم وبيان ما ثبطهم الله لاجله وكن اتباعهم له وهتك استارهم وكشف
اسرارهم واراحة اعتذارهم تداركا لما فوت الرسول بالمبادرة الى الاذن ولذلك عوتب
عليه **ومنهم من يقول ائذن لى** فى القعود **ولا تفتنى** ولا توقعنى فى الفتنة اى العصيان
والمخالفة بان لا تأذن لى وفيه اشعار بانه لا محالة متخلف اذنا ولم يأذن او فى الفتنة
بسبب ضياع المال والعيال اذا لا كافل لهم بعدى وفيه اشعار بانه لا فى الفتنة
بنساء الروم لما روى ان جد بن قيس قال قد علمت الانصار انى مولع بالنساء فلا تفتنى
ببنات اصفر ولكنى اعينك بمالى فاتركنى **الا فى الفتنة سقطوا** اى ان الفتنة التى
سقطوا فيها وهى فتنة التخلف وظهور النفاق كافية ما احترزوا عنه **وان جهنم لمحيطة**
بالكافرين جامعة لهم يوم القيامة او الآن لاحاطة اسبابها بهم **ان تصبك** فى بعض

غزواتك **حسنة** ظفر وغنيمة **تسؤهم** لفرط حسدهم **وان تصبك** فى بعضها
مصيبة كسر وشدة كما اصاب يوم احد **يقولوا قد اخذنا امرنا من قبل** تيقظنا
بانصرافهم واستحمدوا رأيهم فى التخلف **ويتولوا** عن متحدثهم بذلك ومجتمعهم
او عن الرسول **وهم فرحون** مسرورون **قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا**
الا ما اختصنا بكتابته واجابه من النصرة او الشهادة او ما كتب لاجلنا فى اللوح لا يتغير
بموافقتكم ولا يخالفكم وقرئ هل يصيبنا وهو فيعل لا من فعلان من بنات لقولهم
صاب السهم يصوب واشتقاقه من الصواب لانه وقوع الشئ فيما قصد به وقيل من الصوب
هو مولانا ناصرنا ومتولى امرنا **وعلى الله فليتوكل المؤمنون** لان حقهم ان لا يتوكلوا على
غيره **قل هل تربصون بنا** تنتظرون بنا **الا احدى الحسنيين** الا احدى العاقبتين
اللتين كل منهما حسنى العواقب النصرة والشهادة **ونحن نتربص بكم** ايضا احدى السوئين
ان يصيبكم الله بعذاب من عنده بقارعة من السماء **او بايدينا** او بعذاب بايدينا
وهو القتل على الكفر **فتربصوا** ما هو عاقبتنا **انا معكم متربصون** ما هو عاقبتكم **قل**
انفقوا طوعا او كرها لن يتقبل منكم امر فى معنى الخبر اى لن يقبل منكم نفقاتكم
انفقتم طوعا او كرها وفائدة المبالغة فى تساوى الانفاقين فى عدم القبول كانهم
امروا بان يتحنوا فينفقوا وينظروا هل يتقبل منهم وهو جواب قولهم انا نعطيك
اعينك بمالى ونفى التقبل يحتمل امرين ان لا يؤخذ منهم وان لا يثابوا عليه وقوله **انكم**
كنتم قوما فاسقين تعليل له على سبيل الاستيناف وما بعده بيان وتقرير له
وما منعهم ان تقبل منهم نفقاتهم الا انهم كفروا بالله وبرسوله اى وما منعهم
قبول نفقاتهم الا كفرهم وقرأ حمزة والكسائى ان يقبل بالياء لان تانيث النفقات
غير حقيقى وقرئ يقبل على ان الفعل لله **ولا يأتون الصلوة الا وهم كسالى**
متثاقلين **ولا ينفقون الا وهم كارهون** لانهم لا يرجون بهما ثوابا ولا يخافون
على تركهما عقابا **فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم** فان ذلك استدراج ووبال
لهم كما قال **انما يريد الله ليعذبهم بها فى الحيوة الدنيا** بسبب ما يكابدون لجمعها

وحفظها من المتاعب وما يرون فيها من الشدايد والمصايب وتزهق انفسهم
وهم كافرون فيموتوا كافرين مشتغلين بالتمتع عن النظر في العاقبة فيكون
ذلك استدراجا لهم واصل الزهوق الخروج بصعوبة ويحلفون بالله انهم لمنكم
لمن جملة المسلمين وما هم منكم لكفر قلوبهم ولكنهم قوم يفرقون يخافون منكم
ان تفعلوا بهم ما تفعلون بالمشركين فيظهرون الاسلام تقية لو يجدون ملجأ
حصنا يلجؤن اليه او مغارات غيرانا او مدخلا نفقا ينحجرون فيه مفتعل من الدخول
وقرأ يعقوب مدخلا من دخل وقرئ مدخلا اى مكانا يدخلون فيه انفسهم ومتدخلا
ومندخلا من تدخل واندخل لولوا اليه وهم يجمحون يسرعون اسراعا لا يردهم شئ
كالفرس الجموح وقرئ يجمزون ومنه الجمازة ومنهم من يلمزك يعيبك وقرأ يعقوب
يلمزك بالضم في الصدقات في قسمها فان اعطوا منها رضوا وان لم يعطوا منها
اذا هم يسخطون قيل انها نزلت في ابي الجواظ المنافق قال الا ترون الى صاحبكم انما
يقسم صدقاتكم في رعاة الغنم ويزعم انه يعدل وقيل في ابن ذي الخويصرة راس الخوارج
كان رسول الله صلعم يقسم غنائم حنين فاستعطف قلوب اهل مكة بتوفير الغنائم عليهم
فقال اعدل يا رسول الله فقال ويلك ان لم اعدل فمن يعدل واذا للمفاجاة نائب مناب
الفاء الجزائية ولو انهم رضوا ما آتيهم الله ورسوله ما اعطاهم الرسول من الغنيمة
او الصدقة وذكر الله للتعظيم والتنبيه على ان ما فعله الرسول كان بامره وقالوا
حسبنا الله كفا فضله سيؤتينا الله من فضله صدقة او غنيمة اخرى ورسوله
فيؤتينا اكثر مما آتانا انا الى الله راغبون في ان يغنينا من فضله والآية باسرها في حيز
الشرط والجواب محذوف تقديره لكان خيرا لهم ثم بين مصارف الصدقات تصويبا
وتحقيقا لما فعله الرسول فقال انما الصدقات للفقراء والمساكين اى الزكوات
لهؤلاء المعدودين دون غيرهم وهو دليل على ان المراد باللمز لمزهم في قسم الزكوات دون
الغنايم والفقير من لا مال له ولا كسب يقع موقعا من حاجته من الفقار كانه اصيب
فقاره والمسكين من له مال او كسب لا يكفيه من السكون كان العجز اسكنه

لا قبلوا نحوه صح

وابن كثير يلامزك صح

لو لم اعدل صح

ويدل

ويدل عليه قوله تعالى اما السفينة فكانت لمساكين وانه عليه السلم يسأل المسكنة
ويتعوذ من الفقر وقيل بالعكس لقوله او مسكينا ذا متربة والعاملين عليها الساعين
في تحصيلها وجمعها والمؤلفة قلوبهم قوم اسلموا ونيتهم ضعيفة فيه فتستألف
قلوبهم او اشراف يترقب باعطائهم ومراعاتهم اسلام نظرائهم وقد اعطى رسول الله صلعم
عيينة بن حصين والاقرع بن حابس والعباس بن مرداس لذلك وقيل اشراف
يستألفون على ان يسلموا فانه عليه السلم كان يعطيهم والاصح انه كان يعطيهم من خمس
الخمس الذي كان خاص ماله وقد عد منهم من يؤلف قلبه بشئ منها على قتال الكفار وما
نعي الزكوة وقيل كان سهم المؤلفة لتكثير سواد الاسلام فلما اعزه الله وكثر اهله سقط
وفي الرقاب والصرف في فك الرقاب بان يعاون المكاتب بشئ منها على اداء النجوم وقيل
بان تبتاع الرقاب فيعتق وبه قال مالك واحمد او بان يفدى الاسارى والعدول عن
اللام الى في للدلالة على ان الاستحقاق للجهة لا للرقاب وقيل للايذان بانهم احق بها
والغارمين المديونين لانفسهم في غير معصية اذا لم يكن لهم وفاء او لاصلاح ذات
بين وان كانوا اغنياء لقوله عليه السلم لا تحل الصدقة لغني الا لخمسة لغاز في سبيل
الله او لغارم او رجل اشتراها بماله او رجل له جار مسكين فتصدق المسكين فاهدى
المسكين للغني او لعامل عليها وفي سبيل الله والصرف في الجهاد بالانفاق على المتطوعة
وابتياع الكراع والسلاح وقيل وفي بناء القناطر والمصانع وابن السبيل المسافر المنقطع
عن ماله فريضة من الله مصدر لما دل عليه الآية اى فرض لهم الصدقات فريضة
او حال من الضمير المستكن في للفقراء وقرئ بالرفع على تلك فريضة والله عليم حكيم
يضع الاشياء في مواضعها وظاهر الآية يقتضي تخصيص استحقاق الزكوة بالاصناف الثمانية
ووجوب الصرف الى كل صنف وجد منهم ومراعاة التسوية بينهم قضية للاشتراك
واليه ذهب الشافعي وعن عمر وحذيفة وابن عباس وغيرهم من الصحابة والتابعين
جواز صرفها الى صنف واحد وبه قال الائمة الثلثة واختاره بعض اصحابنا وبه كان
يفتي شيخي ووالدي رحمه الله على ان الآية بيان ان الصدقة لا تخرج منهم لا ايجاب قسمها

على صح

رضوان الله عليهم اجمعين

عليهم ومنهم الذين يؤذون النبى ويقولون هو اذن يسمع كل ما يقال له ويصدقه
سمى بالجارحة للمبالغة كانه من فرط استماعه صار جملته آلة السماع كما سمى الجاسوس
عينا لذلك واشتقاقه فعل من اذن اذنا اذا استمع كأنف وسئل روى انهم قالوا
محمد اذن سامعة يقول ما شئنا ثم نأتيه فيصدقنا بما نقول قل اذن خير لكم
تصديق لهم بانه اذن ولكن لا على الوجه الذى ذموه به بل من حيث انه يسمع الخير ويقبله
ثم فسر ذلك يؤمن بالله يصدق به لما قام عنده من الادلة ويؤمن للمؤمنين ويصدقهم
لما علم من خلوصهم واللام مزيدة للتفرقة بين ايمان التصديق فانه بمعنى التسليم
وايمان الامان ورحمة اى وهو رحمة للذين آمنوا منكم لمن اظهر الايمان منكم
حيث يقبله ولا يكشف سترة وفيه تنبيه على انه ليس يقبل قولكم جهلا بحالكم
بل رفقا بكم وترحما عليكم وقرأ حمزة ورحمة عطفا على خير وقرئ بالنصب
على انها علة فعل دل عليه اذن خير اى يأذن لكم رحمة وقرأ نافع واذن بالتخفيف
فيهما وقرئ واذن خير على ان خير اصفة له او خبر ثان والذين يؤذون رسول الله
بايذائه يحلفون بالله لكم على معاذيرهم فيما قالوا وتخلفوا ليرضوكم لترضوا عنهم
والخطاب للمؤمنين والله ورسوله احق ان يرضوه احق بارضاء بالطاعة والوفاق وتوحيد
الضمير لتلازم الرضائين او لان الكلام فى ايذاء الرسول وارضائه او لان التقدير والله
احق ان يرضوه والرسول كذلك ان كانوا مؤمنين صدقا ألم يعلموا انه ان الشأن
وقرئ بالتاء من يحادد الله ورسوله على حذف الخبر اى فحق ان له او على تكرير ان للتأكيد
ويحتمل ان يكون معطوفا على انه ويكون الجواب محذوفا تقديره من يحاد الله ورسوله
يهلك وقرئ فان بالكسر ذلك الخزى العظيم يعنى الاهلاك الدائم يحذر المنافقون ان تنزل
على المؤمنين سورة تنبئهم بما فى قلوبهم وتهتك عليهم استارهم ويجوز ان يكون الضمير
للمنافقين فان النازل فيهم كالنازل عليهم من حيث انه مقرع ومحتج به عليهم
وذلك يدل على تردادهم ايضا فى كفرهم وانهم لم يكونوا على بت فى امر الرسول لشئ
وقيل انه خبر فى معنى الامر وقيل كانوا يقولونه فيما بينهم استهزاء لقوله قل

استهزؤا ان الله مخرج مبرز ومظهر ما تحذرون اى ما تحذرونه من انزال السورة
فيكم او ما تحذرون اظهار من مساويكم ولئن سألتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب
روى ان راكب المنافقين مروا على رسول الله فى غزوة تبوك فقالوا انظروا الى هذا
الرجل يريد ان يفتح قصور الشام وحصونه هيهات هيهات فاخبر الله به نبيه فدعاهم
فقال قلتم كذا وكذا فقالوا والله ما كنا فى شئ من امرك ولا امر اصحابك ولكن كنا فى شئ
مما يخوض فيه الركب ليقصر بعضنا على بعض السفر قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن
توبيخا على استهزائهم ممن لا يصح الاستهزاء به والزاما للحجة عليهم ولا يعبأ باعتذارهم الكاذب
لا تعتذروا لا تشتغلوا باعتذاراتكم فانها معلومة الكذب قد كفرتم قد اظهرتم
الكفر بايذاء الرسول والطعن فيه بعد اظهاركم الايمان ان نعف عن
طائفة منكم لتوبتهم واخلاصهم او لتجتنبهم عن الايذاء والاستهزاء وقرأ عاصم بالنون
فيهما وقرئ بالياء الفاعل فيهما وهو الله وان تعف بالتاء والبناء على المفعول ذهابا الى
المعنى كانه قال ان ترحم طائفة المنافقون والمنافقات اى متشابهة فى النفاق
والبعد عن الايمان كالبعاض الشئ الواحد وقيل انه تكذيبهم فى حلفهم بالله انهم لمنكم
وتقرير لقولهم منكم وما بعده كالدليل عليه فانه يدل على مضادة حالهم لحال
المؤمنين وهو قوله يأمرون بالمنكر بالكفر والمعاصى وينهون عن المعروف
عن الايمان والطاعة ويقبضون ايديهم عن المبار وقبض اليد كناية عن البخل
اغفلوا ذكر الله وتركوا طاعته فنسيهم فتركهم من لطفه وفضله ان المنافقين
هم الفاسقون الكاملون فى التمرد والفسوق عن دائرة الخير وعد الله المنافقين والمنافقات
والكفار نار جهنم خالدين فيها مقدرين الخلود هى حسبهم عقابا وجزاء وفيه دليل على عظم
عقابها ولعنهم الله ابعدهم الله من رحمته والهانهم ولهم عذاب مقيم لا ينقطع والمراد
ما وعدوه او يقاسونه من تعب النفاق كالذين من قبلكم اى انتم مثل الذين وفعلتم
مثل الذين من قبلكم كانوا اشد منكم قوة واكثر اموالا واولادا بيان لتشبيههم
بهم وتمثيل لحالهم بحالهم فاستمتعوا بخلاقهم نصيبهم من ملاذ الدنيا واشتقاقه

تمهيدا لذم المخاطبين بمشابهتهم
واقتفاء اثرهم وخضتم وخلتم في الباطل كالذي خاضوا
كالذين خاضوا او كالفوج الذي
خاضوا صح

من الخلق بمعنى التقدير فانه ما قدر لصاحبه فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين
من قبلكم بخلاقهم ذم الاولين باستمتاعهم بحظوظهم المخدجة من الشهوات
الفانية والهائهم بها عن النظر في العاقبة والسعي في تحصيل اللذائذ الحقيقية تمهيدا
او كالخوض الذي خاضوه اولئك الذين حبطت اعمالهم في الدنيا والآخرة وما لهم
نوابا في الدارين واولئك هم الخاسرون الذين خسروا الدنيا والآخرة الم يأتهم نبؤا الذين
من قبلهم قوم نوح اغرقوا بالطوفان وعاد اهلكوا بالريح وثمود اهلكوا بالرجفة
وقوم ابرهيم اهلكوا بنمرود ببعوض واهلك اصحابه واصحاب مدين واهل مدين وهم قوم
شعيب اهلكوا بالتاريوم الظلة والمؤتفكات قريات قوم لوط ائتفكت بهم
اى انقلبت فصار عاليها سافلها وامطروا حجارة من سجيل وقيل قريات المكذبين والمتمردين
سميت وائتفاكهن انقلاب احوالهن من الخير الى الشر اتتهم رسلهم يعنى الكل بالبينات
فما كان الله ليظلمهم اى لم يكن من عادته ما ينبئ عنه ظلم الناس كالعقوبة بلا جرم
ولكن كانوا انفسهم يظلمون حيث عرضوها للعقاب بالكفر والتكذيب والمؤمنون والمؤمنات
بعضهم اولياء بعض في مقابلة قولهم المنافقون والمنافقات بعضهم
من بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة
في سائر الامور اولئك سيرحمهم الله لامحالة فان السين مؤكدة للوقوع ان الله عزيز
غالب على كل شئ لا يمتنع عليه ما يريده حكيم يضع الاشياء مواضعها وعد الله
المؤمنين والمؤمنات والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ومساكن
يستطيبها النفس ويطيب فيها العيش وفي الحديث انها قصور من اللؤلؤ والزبرجد
واليواقيت الاحمر في جنات عدن اقامة وخلود وعنه عليه السلم عدن دار الله
التي لم ترها عين ولم تخطر على قلب بشر لا يسكنها غير ثلثة النبيون والصديقون والشهداء
يقول الله تعالى طوبى لمن دخلك ومرجع العطف فيها يحتمل ان يكون الى تعدد الموعود
لكل واحد او للجميع على سبيل التوزيع او الى تغاير وصفه وكانه وصفه اولا بانه من جنس
ما هو ابهى الاماكن التي تعرفونها ليميل اليه طباعهم اولا ما يقرع اسماعهم ثم وصفه

بانه محفوف

بانه محفوف بطيب العيش معرى عن شوائب الكدورات التي لا تخلو عن شئ منها
اماكن الدنيا وفيها ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين فوصفه بانه دار اقامة بثبات في جوار
العليين لا يعتريهم فيها فناء ولا يعتريهم توعد بما هو اكبر من ذلك فقال ورضوان
من الله اكبر لانه المبدأ الكل سعادة وكرامة والمؤدى الى نيل الوصول والفوز باللقاء وعنه
عليه السلم ان الله تعالى يقول لاهل الجنة هل رضيتم فيقولون وما لنا لا نرضى وقد
اعطيتنا ما لم تعط احدا من خلقك فيقول انا اعطيكم افضل من ذلك قالوا واى شئ افضل من ذلك
قال احل عليكم رضواني فلا اسخط عليكم ابدا ذلك اى الرضوان او جميع ما تقدم هو الفوز
العظيم الذي يستحقر دونه الدنيا وما فيها يا ايها النبي جاهد الكفار بالسيف والمنافقين
بالزام الحجة واقامة الحدود واغلظ عليهم في ذلك ولا تحابهم ومأويهم جهنم وبئس المصير
مصيرهم يحلفون بالله ما قالوا روى انه عليه السلم اقام في غزوة تبوك شهرين ينزل عليه
القرآن ويعيب المتخلفين فقال الجلاس بن سويد لئن كان ما يقول محمد لاخواننا حقا
لنحن شر من الحمير فبلغ رسول الله فاستحضره فحلف بالله ما قاله فنزلت فتاب
الجلاس وحسنت توبته ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم واظهروا الكفر بعد
اظهار الاسلام وهموا بما لم ينالوا من قتل الرسول وهو ان خمسة عشر منهم
توافقوا عند مرجعه من تبوك ان يدفعوه عن راحلته الى الوادي اذا تسنم العقبة
بالليل فاخذ عمار بن ياسر بخطام راحلته يقودها وحذيفة خلفها يسوقها فبينا هما
كذلك اذ سمع حذيفة بوقع اخفاف الابل وقعقعة السلاح فقال اليكم اليكم يا اعداء الله
فصرخوا واخرجوا واخراج المؤمنين من المدينة او بان يتوجوا عبد الله بن ابي وان لم يرض
رسول الله قتلوه وما نقموا وما انكروا او وما وجدوا ما يورث نقمتهم الا ان اغنيهم الله ورسوله
من فضله فان اكثر اهل المدينة كانوا محاويج في ضنك من العيش فلما قدمهم رسول الله
اثروا بالغنايم وقتل الجلاس مولى فامر رسول الله بديته اثني عشر الف درهم فاستغنى
والاستثناء مفرغ عن اعم المفاعيل او العلل فان يتوبوا يك خيرا لهم هو الذي حمل
الجلاس على التوبة والضمير في يك للتوب وان يتولوا بالاصرار على النفاق يعذبهم

الله عذابا اليما في الدنيا والآخرة بالقتل والنار وما لهم في الارض من ولي ولا نصير
فينجيهم من العذاب ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين
نزلت في ثعلبة بن حاطب اتى النبي صلى الله عليه وسلم وقال ادع الله ان يرزقني مالا
فقال عليه السلم يا ثعلبة قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه فراجعه وقال والذي
بعثك بالحق لئن رزقني مالا لاعطين كل ذي حق حقه فدعا له فاتخذ غنما فنمت كما ينمي
الدود حتى ضاقت بها المدينة فنزل واديا وانقطع عن الجماعة والجمعة فسال عنه
رسول الله صلى فقيل كثر ماله حتى لا يسعه واد فقال يا ويح ثعلبة فبعث مصدقين
لاخذ الصدقات فاستقبلهما الناس بصدقاتهم ومرا بثعلبة فسالاه الصدقة
وقرآه الكتاب الذي فيه الفرايض فقال ما هذه الا جزية ما هذه الا اخت الجزية فارجعا
حتى ارى رايا فنزلت فجاء ثعلبة بالصدقة فقال ان الله منعني ان اقبل منك فجعل
التراب يحثو على راسه فقال هذا عملك قد امرتك فلم تطعني فقبض رسول الله صلعم
فجاء بها الى ابي بكر فلم يقبلها ثم جاء بها الى عمر في خلافته فلم يقبلها وهلك في زمان عثمان
فلما آتاهم من فضله بخلوا به منعوا حق الله منه وتولوا عن طاعة الله وهم
معرضون وهم قوم عادتهم الاعراض عنها فاعقبهم نفاقا في قلوبهم اي فجعل
الله عاقبة فعلهم ذلك نفاقا وسوء اعتقاد في قلوبهم ويجوز ان يكون الضمير للبخل
والمعنى فاورثهم البخل نفاقا متمكنا في قلوبهم الى يوم يلقونه يلقون الله بالموت او يلقون
عمله اي جزاءه وهو يوم القيمة بما اخلفوا الله ما وعدوه بسبب اخلافهم ما وعدوه
من التصدق والصلاح وبما كانوا يكذبون وبكونهم كاذبين فيه فان خلف الوعد
متضمن للكذب مستقبح من الوجهين او المقال مطلقا وقرئ يكذبون بالتشديد الم
يعلموا اي المنافقون او من عاهد الله وقرئ بالتاء على الالتفات ان الله يعلم سرهم
ما اسروه في انفسهم من النفاق او العزم على الاخلاف ونجويهم وما يتناجون به فيما
بينهم من المطاعن او تسمية الزكوة جزية وان الله علام الغيوب فلا يخفى عليه
ذلك الذين يلمزون ذم مرفوع او منصوب او بدل من الضمير في سرهم وقرئ يلمزون بالضم

المطوعين

المطوعين المتطوعين من المؤمنين في الصدقات روي انه عليه السلم حث على الصدقة
فجاء عبد الرحمن بن عوف باربعة آلاف درهم وقال كان لي ثمانية آلاف فاقرضت ربي اربعة
وامسكت لعيالي فقال رسول الله صلعم بارك الله لك فيما اعطيت وفيما امسكت فبارك الله له
حتى صولحت احدى امراتيه عن نصف الثمن على ثمانين الف درهم وتصدق عاصم بن عدي
بمائة وسق تمر وجاء ابو عقيل الانصاري بصاع تمر فقال بت ليلتي اجر بالجرير على صاعين فتركت
صاعا لعيالي وجئت بصاع فامره رسول الله صلعم ان ينثره على الصدقات فلمزهم المنافقون
وقالوا ما اعطى عبد الرحمن وعاصم الا رياء ولقد كان الله ورسوله لغنيين عن صاع ابي عقيل
ولكنه احب ان يذكر بنفسه ليعطى من الصدقات فنزلت والذين لا يجدون الا
جهدهم الا طاقتهم وقرئ بالفتح وهو مصدر جهد في الامر اذا بالغ فيه فيسخرون منهم
يستهزؤن بهم سخر الله منهم جازاهم على سخريتهم كقوله الله يستهزئ بهم ولهم
عذاب اليم على كفرهم استغفر لهم او لا تستغفر لهم يريد به التساوي بين الامرين
في عدم الافادة لهم كما نص عليه بقوله ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم روي ان
عبد الله بن عبد الله بن ابي وكان من المخلصين سال رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرض
ابيه ان يستغفر له ففعل فنزلت فقال عليه السلم لازيدن على السبعين فنزلت
سواء عليهم استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم وذلك لانه عليه السلم
فهم من السبعين العدد المخصوص لانه الاصل فجوز ان يكون ذلك حدا يخالفه حكم ما وراءه
فبين له ان المراد به التكثير دون التحديد وقد شاع استعمال السبعة والسبعين والسبعماية
ونحوها في التكثير لاشتمال السبعة على جملة اقسام العدد وكانه العدد باسره ذلك
بانهم كفروا بالله ورسوله اشارة الى ان الياس من المغفرة وعدم قبول استغفارك
ليس لبخل منا ولا قصور فيك بل لعدم قابليتهم بسبب الكفر الصارف عنها والله لا يهدي
القوم الفاسقين المتمردين في كفرهم وهو كالدليل على الحكم السابق فان مغفرة الكافر
بالاقلاع عن الكفر والارشاد الى الحق والمنهمك في كفره المطبوع عليه لا ينقلع ولا يهتدي
والتنبيه على عذر الرسول في استغفاره وهو عدم يأسه عن ايمانهم ما لم يعلم انهم

مطبوعون على الضلالة والممنوع هو الاستغفار بعد العلم كقوله ما كان للنبي والذين آمنوا
ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا اولي قربى من بعد ما تبين لهم انهم اصحاب الجحيم
فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله بقعودهم عن الغزو خلفه يقال اقام خلاف
الحي اي بعدهم ويجوز ان يكون بمعنى المخالفة فيكون انتصابه على العلة او الحال
وكرهوا ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم ايثارا للدعة والخفض على طاعة الله وفيه تعريض بالمؤمنين
الذين آثروا عليها تحصيل رضاه ببذل الاموال والمهج وقالوا لا تنفروا في الحر اي قاله بعضهم
لبعض او قالوه للمؤمنين تثبيطا فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا جزاء بما كانوا يكسبون اخبار عما يؤول اليه
حالهم في الدنيا والآخرة اخرجه على صيغة الامر للدلالة على انه حتم واجب ويجوز ان يكون
الضحك والبكاء كنايتين عن السرور والغم والمراد من القلة العدم فان رجعك الله الى
طائفة منهم فان ردك الى المدينة وفيها طائفة من المتخلفين يعني منافقيهم فان
كلهم لم يكونوا منافقين او من بقي منهم وكان المتخلفون اثني عشر رجلا فاستاذنوك للخروج
الى غزوة اخرى بعد تبوك فقل لن تخرجوا معي ابدا ولن تقاتلوا معي عدوا اخبار في معنى النهي
للمبالغة انكم رضيتم بالقعود اول مرة تعليل له وكان اسقاطهم عن ديوان الغزاة عقوبة
لهم على تخلفهم واول مرة هي الخرجة الى غزوة تبوك فاقعدوا مع الخالفين اي المتخلفين لعدم
لياقتهم للجهاد كالنساء والصبيان وقرئ مع الخلفين على قصر الخالفين ولا تصل على احد
منهم مات ابدا روي ان ابن ابي دعا رسول الله في مرضه فلما دخل عليه سأله ان يستغفر له
ويكفنه في شعاره الذي يلي جسده ويصلي عليه فلما مات ارسل قميصه ليكفن فيه
وذهب ليصلي عليه فنزلت وقيل صلى عليه ثم نزلت وانما لم ينه عن التكفين في قميصه
ونهى عن الصلوة عليه لان الضنة بالقميص كان مخلا بالكرم ولانه كان مكافاة لالباسه
العباس قميصه حين اسر ببدر والمراد من الصلوة الدعاء للميت والاستغفار له
وهو ممنوع في حق الكافر ولذلك رتب النهي على قوله مات ابدا يعني الموت على الكفر
فان احياء الكافر للتعذيب دون التمتع فكانه لم يحي ولا تقم على قبره ولا تقف عند قبره للدفن
او الزيارة انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون تعليل للنهي او لتأبيد الموت

ولا تعجبك

ولا تعجبك اموالهم واولادهم انما يريد الله ان يعذبهم بها في الدنيا
وتزهق انفسهم وهم كافرون تكرير للتاكيد والامر حقيق به فان الابصار
طامحة الى الاموال والاولاد والنفوس مغتبطة عليها ويجوز ان تكون هذه في فريق غير
الاول واذا انزلت سورة من القرآن ويجوز ان يراد بها بعضها ان آمنوا بالله
بان آمنوا بالله ويجوز ان تكون ان المفسرة وجاهدوا مع رسوله استاذنك اولوا
الطول منهم ذوو الفضل والسعة وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين الذين قعدوا
لعذر رضوا بان يكونوا مع الخوالف مع النساء جمع خالفة وقد يقال الخالفة
للذي لا خير فيه وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون ما في الجهاد وموافقة
الرسول من السعادة وما في التخلف عنه من الشقاوة لكن الرسول والذين آمنوا
معه جاهدوا باموالهم وانفسهم اي ان تخلف هؤلاء ولم يجاهدوا فقد جاهد
من هو خير منهم واولئك لهم الخيرات منافع الدارين النصر والغنيمة في الدنيا
والجنة والكرامة في الآخرة وقيل الحور لقوله فيهن خيرات حسان وهي جمع خيرة
تخفيف خيرة واولئك هم المفلحون الفائزون بالمطالب اعد الله لهم جنات
تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم بيان لما لهم من الخيرات الاخروية
وجاء المعذرون من الاعراب ليؤذن لهم يعني اسدا وغطفان استاذنوا
في التخلف معتذرين بالجهد وكثرة العيال وقيل هم رهط عامر بن الطفيل قالوا ان
غزونا معك اغارت طي على اهالينا ومواشينا والمعذر اما من عذر في الامر اذا قصر
فيه موهما ان له عذرا ولا عذر له او من اعتذر اذا مهد العذر بادغام التاء في الذال
ونقل حركتها الى العين ويجوز كسر العين لالتقاء الساكنين وضمها للاتباع لكن لم يقرأ
بهما وقرأ يعقوب معذرون من اعذر اذا اجتهد في العذر وقرئ المعذرون بتشديد
العين والذال على انه من تعذر بمعنى اعتذر وهو لحن اذ التاء لا تدغم في العين وقد اختلف
في انهم كانوا معتذرين بالتصنع او بالصحة فيكون قوله وقعد الذين كذبوا الله ورسوله
في غيرهم وهم منافقوا الاعراب كذبوا الله ورسوله في ادعاء الايمان وان كانوا هم الاولين

اي قال بعضهم ان المراد بهم الذين يعتذرون بالباطل وقيل المراد بهم الذين يعتذرون بالصحة

فكذبهم بالاعتذار سيصيب الذين كفروا منهم من الاعراب ومن المعذرين
فان منهم من اعتذر للكسل لا للكفر عذاب اليم بالقتل والنار ليس على الضعفاء
ولا على المرضى كالهرمى والزمنى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون لفقرهم
بجهينة ومزينة وبنى غفار حرج اثم في التأخر اذا نصحوا لله ورسوله بالايمان والطاعة
في السر والعلانية كما يفعل الموالى الناصح اوبما قدروا عليه فعلا او قولا يعود على الاسلام
والمسلمين بالصلاح ما على المحسنين من سبيل اى ليس عليهم جناح ولا الى معاتبتهم
سبيل وانما وضع المحسنين موضع الضمير للدلالة على انهم منخرطون في سلك المحسنين
غير معاتبين لذلك والله غفور رحيم لهم او للمسئ فكيف المحسن ولا على الذين اذا ما
اتوك لتحملهم عطف على الضعفاء او على المحسنين وهم البكاؤن سبعة من الانصار
معقل بن يسار وصخر بن خنساء وعبد الله بن كعب وسالم بن عمير وثعلبة بن غنمة
وعبد الله بن معقل وعلية بن زيد اتوا رسول الله وقالوا انذن لنا الخروج فاحملنا على الحفاف
المرقوعة والنعال المخصوفة نغزو معك فقال لا اجد فتولوا وهم يبكون وقيل هم
بنو مقرن معقل وسويد والنعمان وقيل ابو موسى واصحابه قلت لا اجد ما احملكم
عليه حال من الكاف في اتوك باضمار قد تولوا جواب اذا واعينهم تفيض تسيل من الدمع
اى دمعها فان من للبيان وهى مع المجرور في محل النصب على التمييز وهو ابلغ من تفيض دمعها
لانه يدل على ان العين صارت دمعا فياضا حزنا نصب على العلة او الحال او المصدر
لفعل دل عليه ما قبله الا يجدوا اى لئلا يجدوا متعلق بحزنا او تفيض ما ينفقون
في مغزاهم انما السبيل بالمعاتبة على الذين يستاذنونك وهم اغنياء رضوا
للانفة بان يكونوا مع الخوالف استيناف ببيان ما هو السبب لاستيذانهم
من غير عذر وهو رضاهم بالدناءة والانتظام في جملة الخوالف ايثارا للدعة وطبع الله على
قلوبهم حتى غفلوا عن وخامة العاقبة فهم لا يعلمون مغبته يعتذرون اليكم
في التخلف اذا رجعتم اليهم من هذه السفرة قل لا تعتذروا بالمعاذير الكاذبة لن
نؤمن لكم لن نصدقكم لانه قد نبأنا الله من اخباركم اعلمنا بالوحى الى نبيه بعض

من هذا السفر

اخباركم

اخباركم وهو ما في ضمائركم من الشر والفساد وسيرى الله عملكم ورسوله
اتتوبون عن الكفر تثبتون عليه وكانه استتابة وامهال للتوبة ثم ترددون الى عالم
الغيب والشهادة اى اليه فوضع الوصف موضع الضمير للدلالة على انه مطلع على
سرهم وعلنهم لا يفوت عن علمه شئ من ضمائرهم واعمالهم فينبئكم بما كنتم
تعملون بالتوبيخ والعقاب عليه سيحلفون بالله لكم اذا انقلبتم اليهم لتعرضوا
عنهم فلا تعاتبوهم فاعرضوا عنهم ولا توبخوهم انهم رجس لا ينفع فيهم
التأنيب فان المقصود منه التطهير بالحمل على الانابة وهؤلاء ارجاس لا يقبل التطهير
فهو علة الاعراض وترك المعاتبة ومأويهم جهنم من تمام التعليل وكانه قال
انهم ارجاس من اهل النار لا ينفع فيهم التوبيخ في الدنيا والآخرة او تعليل ثان
والمعنى ان النار كفتهم عتابا فلا تكلفوا عتابهم جزاء بما كانوا يكسبون يجوز ان
يكون مصدرا وان يكون علة يحلفون لكم لترضوا عنهم بحلفهم فتستديموا عليهم
ما كنتم تفعلون بهم فان ترضوا عنهم فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين
اى فان رضاكم لا يستلزم رضا الله ورضاكم وحده لا ينفعهم اذا كانوا في سخط الله وصدد
عقابه او ان امكنهم ان يلبسوا على الله فلا يهتك ستر منهم ولا ينزل الهوان بهم والمقصود من الآية
النهى عن الرضا عنهم والاغترار بمعاذيرهم بعد الامر بالاعراض وعدم الالتفات نحو منهم
الاعراب اهل البدو اشد كفرا ونفاقا من اهل الحضر لتوحشهم وقساوتهم وعدم
لطفهم لاهل العلم وقلة استماعهم للكتاب والسنة واجدر بعلموا واحق بان لا يعلموا
حدود ما انزل الله على رسوله من الشرايع فرايضها وسننها والله عليم يعلم حال كل احد من اهل الوبر
والمدر حكيم فيما يصيب به مسيئهم ومحسنهم عقابا وثوابا ومن الاعراب من يتخذ
ينفق ما ينفق يصرفه في سبيل الله ويتصدق به مغرما غرامة وخسرانا اذ لا يحتسبه
عند الله ولا يرجو عليه ثوابه وانما ينفق رياء او تقية ويتربص بكم الدوائر دوائر
الزمان وتوبة لينقلب الامر عليكم فيتخلص من الانفاق عليهم دائرة السوء اعتراض
بالدعاء عليهم او الاخبار عن وقوع ما تتربصون عليهم والدائرة في الاصل مصدر او اسم

نحو ما يتربصونه

عليكم لا يمكنهم ان يلبسوا به

الالم

فاعل من دار يدور وقد سمى بها عقبة الزمان والسوء بالفتح مصدر اضيف اليه للمبالغة
كقولك رجل صدق والله سميع لما يقولون عند الانفاق عليم بما يضمرون ومن الاعراب
من يؤمن بالله واليوم الاخر ويتخذ ما ينفق قربات عند الله سبب قربات
وهي ثاني مفعولي يتخذ وعند الله او ظرف ليتخذ وصلوات الرسول وسبب صلواته
لانه عليه السلام كان يدعو للمتصدقين ويستغفر ولذلك سن للمصدق ان يدعو
للمتصدق عند اخذ صدقته لكن ليس له ان يصلي عليه كما قال عليه السلام اللهم صل
على آل ابي اوفى لانه منصبه فله ان يتفضل به على غيره الا انها قربة لهم شهادة
من الله بصحة معتقدهم وتصديق رجائهم على الاستيناف مع حرف التنبيه وان
المحققة للنسبة والضمير لنفقتهم سيدخلهم الله في رحمته وعد لهم باحاطة
الرحمة عليهم والسين لتحقيقه وقوله ان الله غفور رحيم لتقريره وقيل الاولى
في اسد وغطفان وبني تميم والثانية في عبد الله ذي البجادين وقومه والسابقون
الاولون من المهاجرين هم الذين صلوا الى القبلتين او الذين شهدوا بدرا
او الذين اسلموا قبل الهجرة والانصار اهل بيعة العقبة الاولى وكانوا سبعة واهل
العقبة وكانوا سبعين والذين آمنوا عليهم ابو زرارة مصعب بن عمير وقرئ بالرفع
عطفا على والسابقون والذين اتبعوهم باحسان اللاحقون بالسابقين من القبيلتين
او من اتبعوهم بالايمان والطاعة الى يوم القيمة رضي الله عنهم بقبول طاعتهم
وارتضاء اعمالهم ورضوا عنه بما نالوا من النعمة الدينية والدنيوية واعد لهم جنات
تجري تحتها الانهار وقرأ ابن كثير من تحتها كما هو في سائر المواضع خالدين فيها
ابدا ذلك هو الفوز العظيم وممن حولكم اي ممن حول بلدتكم يعني المدينة من
الاعراب منافقون وهم جهينة ومزينة واسلم واشجع وغفار كانوا حولها نازلين
ومن اهل المدينة عطف على ممن حولكم او خبر لمحذوف صفته مردوا على النفاق
ونظيره في حذف الموصوف واقامة الصفة مقامه قوله انا ابن جلا وطلاع الثنايا
وعلى الاول صفة للمنافقين فصل بينها وبينه بالمعطوف على الخبر او كلام مبتدأ

وقرأ ابن كثير وابو عمرو السوء ههنا وفي الفتح بضم السين صح

صفتها صح

وقرأ ورش قربة بضم الراء صح

حين قدم صح

الثانية صح

وارتفاع السابقون بالابتداء وخبره رضي الله عنهم صح

لبيان

لبيان تمرنهم وتمهرهم في النفاق لا تعلمهم لا تعرفهم باعيانهم وهو تقرير لمهارتهم
فيه وتنوقهم في تحامي مواقع التهم الى حد اخفى عليك حالهم مع كمال فطنتك وصدق
فراستك نحن نعلمهم ونطلع على اسرارهم ان قدروا ان لبسوا عليك لم تقدروا ان يلبسوا
علينا سنعذبهم مرتين بالفضيحة والقتل او باحدهما وعذاب القبر او باخذ الزكوة ونهك الابدان
اي بالفضيحة وعذاب القبر او بالقتل وعذاب القبر صح
ثم يردون الى عذاب عظيم الى عذاب النار وآخرون اعترفوا بذنوبهم ولم يعتذروا من تخلفهم
بالمعاذير الكاذبة وهم طائفة من المتخلفين اوثقوا انفسهم على سواري المسجد لما
بلغهم ما نزل في المتخلفين فقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل المسجد على عادته
فصلى ركعتين فرآهم فسأل عنهم فذكر له انهم اقسموا ان لا يحلوا انفسهم حتى تحلهم
فقال وانا اقسم ان لا احلهم حتى اومر فيهم فنزلت فاطلقهم خلطوا عملا صالحا
وآخر سيئا خلطوا العمل الصالح الذي هو اظهار الندم والاعتراف بالذنب بآخر سيئ هو
التخلف وموافقة اهل النفاق والواو اما بمعنى الباء كما في قولهم بعت الشاء شاة
ودرهما او للدلالة على ان كل واحد منهما مخلوط بالآخر عسى الله ان يتوب عليهم
ان يقبل توبتهم وهي مدلول عليها بقوله اعترفوا بذنوبهم ان الله غفور رحيم يتجاوز
عن التائب ويتفضل عليه خذ من اموالهم صدقة روي انهم لما اطلقوا قالوا
يا رسول الله هذه اموالنا التي خلفتنا فتصدق بها وطهرنا فقال ما امرت ان آخذ
من اموالكم شيئا فنزلت تطهرهم عن الذنوب او حب المال المؤدي بهم الى مثله
وقرئ تطهرهم من اطهر بمعنى طهره وتطهرهم بالجزم جوابا للامر وتزكيهم بها وتنمي
بها حسناتهم وترفعهم الى منازل المخلصين وصل عليهم واعطف عليهم بالدعاء
والاستغفار لهم ان صلوتك سكن لهم يسكن اليها نفوسهم وتطمئن بها قلوبهم
وجمعها لتعدد المدعو لهم وقرأ حمزة والكسائي وحفص بالتوحيد والله سميع باعترافهم
عليم بندامتهم الم يعلموا الضمير اما للمتوب عليهم والمراد ان يمكن في قلوبهم قبول
توبتهم والاعتداد بصدقاتهم او لغيرهم والمراد به التحضيض عليها ان الله هو يقبل
التوبة عن عباده اذا صحت وتعديته بعن لتضمنه معنى التجاوز ويأخذ الصدقات

يقبلها قبول من يأخذ شيئا ليؤدى بدله وان الله هو التواب الرحيم وان من شانه قبول توبة
التائبين والتفضل عليهم وقل اعملوا ما شئتم فسيرى الله عملكم فانه لا يخفى عليه خيرا
كان او شرا ورسوله والمؤمنون فانه تعالى لا يخفى عنهم كما رائتم وتبين لكم وستردون الى عالم
الغيب والشهادة بالموت فينبئكم بما كنتم تعملون بالمجازاة عليه وآخرون من المخلفين مرجون
مؤخرون اى موقوف امرهم من ارجاته اذا اخرته وقراء نافع وحمزة والكسائى وحفص
مرجون بالواو وهما لغتان لا مرا لله فى شانهم اما يعذبهم ان اصروا على النفاق واما
يتوب عليهم ان يتوبوا والله عليم باحوالهم حكيم فيما يفعل بهم وقرئ والله غفور رحيم والمراد بهؤلاء كعب بن
مالك وهلال بن امية ومرارة بن الربيع امر رسول الله اصحابه ان لا يسلموا عليهم
ولا يكلموهم فلما راوا ذلك اخلصوا نياتهم وفوضوا امرهم الى الله فرحمهم الله والذين
اتخذوا مسجدا عطف على وآخرون مرجون او مبتدا خبره محذوف اى فمن وصفنا
الذين اتخذوا او منصوب على الاختصاص وقراء نافع وابن عامر بغير واو ضرارا مضرة
للمؤمنين روى ان بنى عمرو بن عوف لما بنوا مسجد قباء سالوا رسول الله ان يأتيهم
فاتاهم فصلى فيه فحسدتهم اخوانهم بنو غنم بن عوف فبنوا مسجدا قصدوا ان يصلى
فيه ابو عامر الراهب اذا قدم من الشام فلما اتموه اتوا رسول الله فقالوا انا قد بنينا
مسجدا لذى الحاجة والعلة والليلة المطيرة والشاتية فصل فيه حتى نتخذه مصلى
فاخذ ثوبه ليقوم معهم فنزلت فدعا مالك بن الدخشم ومعن بن عدى
وعامر بن السكن والوحشى فقال لهم انطلقوا الى هذا المسجد الظالم اهله فاهدموه
واحرقوه ففعلوا واتخذ مكانه كناسة وكفرا وتقوية للكفر الذى يضمرونه وتفريقا بين
المؤمنين يريد الذين كانوا يجتمعون للصلوة فى مسجد قباء وارصادا ترقبا لمن حارب الله
ورسوله قبل يعنى الراهب فانه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احدا لا اجد قومه
يقاتلونك الا قاتلتك معهم فلم يزل يقاتله الى يوم حنين انهزم مع هوازن وهرب
الى الشام لياتى من قيصر بجنود يحارب بهم رسول الله ومات بقنسرين وحيدا وقيل

كان

على امر يحفظه عن النار ويوصله الى رضوان الله ومقتضياته التى الجنة ادناها وتأسيس
هذا على ما هم بسببه على صدد الوقوع فى النار ساعة فساعة ثم مصيرهم الى النار لا محالة
وقراء نافع وابن عامر اسّس على البناء للمفعول وقرئ اساس بنيانه واسّس على الاضافة واسُس بُنيانه
واساس واساس بالكسر وثلثتها جمع اسّ وتقوى على ان الالف للالحاق لا للتانيث كتترى
وقراء ابن عامر وحمزة وابو بكر جُرف بالتخفيف والله لا يهدى القوم الظالمين
الى ما فيه صلاح ونجاة لا يزال بنيانهم الذى بنوه بناؤهم الذى بنوه مصدر اريد به المفعول
وليس بجمع ولذلك قد يدخله التاء ووصف بالمفرد واخبر عنه بقوله ريبة فى قلوبهم
اى شكا ونفاقا والمعنى ان بناءهم هذا لا يزال سبب شكهم وتزايد نفاقهم فانه حملهم
على ذلك لما هدمه الرسول رسخ ذلك فى قلوبهم وازداد بحيث لا يزول وسئ عن قلوبهم
الا ان تقطع قلوبهم قطعا بحيث لا يبقى لها قابلية الادراك والاضمار وهو فى غاية المبالغة
والاستثناء من اعم الازمنة وقيل المراد بالتقطيع ما هو كائن بالقتل وفى القبر وفى النار
وقيل التقطع بالتوبة ندما واسفا وقراء يعقوب الى بحرف الانتهاء وتقطع بمعنى تتقطع
وهو قراءة ابن عامر وحمزة وحفص وقرئ يقطع بالياء وتقطع بالتخفيف وتُقطع قلوبهم
على خطاب الرسول او كل مخاطب ولو قطعت على البناء للفاعل او المفعول والله عليم بنياتهم
حكيم فيما امر بهدم بنائهم ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان يثيبهم
الله ايام الجنة على بذل انفسهم واموالهم فى سبيله يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويُقتلون
استيناف ببيان ما لاجله الشرى وقيل يقاتلون فى معنى الامر وقراء حمزة والكسائى
بتقديم المبنى للمفعول وقد عرفت ان الواو لا يوجب الترتيب وان فعل البعض قد يُسند
الى الكل وعدا عليه حقا مصدر مؤكد لما دل عليه الشرى فانه فى معنى الوعد فى التورية والانجيل
والقرآن مذكورا فيها كما اثبت فى القرآن ومن اوفى بعهده مبالغة فى الايفاء وتقرير لكونه حقا
فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به فافرحوا به غاية الفرح فانه اوجب لكم عظائم المطالب
كما قال وذلك هو الفوز العظيم التائبون رفع على المدح اى هم التائبون والمراد بهم المومنون
المذكورون ويجوز ان يكون مبتدأ خبره محذوف تقديره التائبون من اهل الجنة والله

من الله

بالتنوين م

صلاحهم ونجاتهم

لم يجاهدوا كقوله وكلا وعد الله الحسنى او خبر ما بعده اى التائبون عن الكفر على الحقيقة
هم الجامعون لهذه الخصال وقرئ بالياء نصبا على المدح او جرا صفة للمؤمنين العابدون
الذين عبدوا الله مخلصين له الحامدون لنعمائه والمائه بهم من السراء والضراء السائحون
الصائمون لقوله عليه السلم سياحة امتى الصوم شبه به لانه يعوق عن الشهوات او لانه
رياضة نفسانية يتوصل بها الى الاطلاع على خفايا الملك والملكوت او السائحون للجهاد
او لطلب العلم الراكعون الساجدون فى الصلوة الآمرون بالمعروف بالايمان والطاعة والناهون
عن المنكر عن الشرك والمعاصى والعاطف فيه للدلالة على انه بما عطف عليه فى حكم خصلة
واحدة كانه قال الجامعون بين الوصفين وفى قوله والحافظون لحدود الله اى فيما بينه
وعينه من الحقايق والشرايع للتنبيه على ان ما قبله مفصل الفضائل وهذا مجملها
وقيل انه للايذان بان التعداد قد تم بالسابع من حيث ان السبعة العدد التام والناس هو
ابتداء تعداد آخر معطوف عليه ولذلك يسمى واو الثمانية وبشر المؤمنين يعنى به هؤلاء الموصوفين
بتلك الفضائل ووضع المؤمنين موضع ضميرهم للتنبيه على ان ايمانهم دعاهم
الى ذلك وان المؤمن الكامل من كان كذلك وحذف المبشر به للتعظيم كانه قيل وبشرهم
بما يجل عن احاطة الافهام وتعبير الكلام ما كان للنبى والذين آمنوا ان يستغفروا
للمشركين روى انه عليه السلم قال لابى طالب لما حضره الوفاة قل كلمة اشهد لك
بها عند الله فابى فقال لاستغفرن لك ما لم انه عنه فنزلت وقيل لما افتتح مكة
خرج الى الابواء فزار قبر امه ثم قام مستعبرا فقال انى استاذنت ربى فى زيارة قبرها
فاذن لى واستاذنته فى الاستغفار لها فلم ياذن لى وانزل عليه الآيتين ولو كانوا اولى
قربى من بعد ما تبين لهم انهم اصحاب الجحيم بان ماتوا على الكفر وفيه دليل
على جواز الاستغفار لاحيائهم فانه طلب لتوفيقهم للايمان وبه دفع النقض باستغفار
ابرهيم لابيه الكافر فقال وما كان استغفار ابرهيم لابيه الا عن موعدة
وعدها اياه وعدها ابرهيم اباه بقوله لاستغفرن لك اى لاطلبن مغفرتك بالتوفيق
للايمان فانه يجب ما قبله ويدل عليه قراءة من قرأ اباه او وعدها ابرهيم ابوه وسمى الوعد

فلما تبين له انه عدو لله بان مات على الكفر او اوحي فيه بانه لن يؤمن تبرأ منه قطع
استغفاره ان ابرهيم لاواه يكثر التأوه وهي كناية عن فرط ترحمه ورقة قلبه
حليم صبور على الاذى والجملة لبيان ما حمله على الاستغفار له مع شكاسته عليه
وما كان الله ليضل قوما اي ليسميهم ضلالا ويؤاخذهم مؤاخذتهم بعد اذ هديهم
للاسلام حتى يبين لهم ما يتقون حتى يبين لهم حظر ما يجب اتقاؤه وكانه بيان عذر
الرسول في قوله لعمه او لمن استغفر لاسلافه المشركين قبل المنع وقيل انه في قوم مضوا
على الامر الاول في القبلة والخمر ونحو ذلك وفي الجملة دليل على ان الغافل غير مكلف
ان الله بكل شيء عليم فيعلم امرهم في الحالين ان الله له ملك السموات والارض
يحيي ويميت وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير لما منعهم عن الاستغفار للمشركين
وان كانوا اولي قربى وتضمن ذلك وجوب التبرؤ عنهم راسا بين لهم ان الله مالك كل
موجود ومتولي امره والغالب عليه ولا يتأتى لهم ولاية ولا نصرة الا منه ليتوجهوا
بشراشرهم اليه ويتبرؤا عما عداه حتى لا يبقى لهم مقصود فيما يأتون ويذرون سواه
لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار من اذن المنافقين في التخلف او برأهم
عن علقة الذنوب كقوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر وقيل هو
بعث على التوبة والمعنى ما من احد الا وله مقام يستنقص دونه ما هو فيه والترقي
اليه توبة من تلك النقيصة واظهار لفضلها بانها مقام الانبياء والصالحين من عباده
الذين اتبعوه في ساعة العسرة في وقتها وهي حالهم في غزوة تبوك كانوا في عسرة
الظهر تعتقب العشرة على بعير واحد والزاد قيل ان الرجلين كانا يقتسمان تمرة والماء
حتى شربوا الفظ من بعد ما كاد تزيغ قلوب فريق منهم عن الثبات على الايمان
او اتباع الرسول وفي كاد ضمير الشان او ضمير القوم والعائد عليه الضمير في منهم وقرأ
حمزة وحفص يزيغ بالياء لان تانيث القلوب غير حقيقي وقرئ من بعد ما زاغت قلوب
فريق منهم يعني المتخلفين ثم تاب عليهم تكرير للتاكيد وتنبيه على انه يتاب عليهم من اجل
ما كابدوا من العسرة او المراد انه تاب عليهم لكيدودتهم انه بهم رؤف رحيم

وهو محتاج الى التوبة حتى النبي والمهاجرين والانصار لقوله تع وتوبوا الى الله جميعا اذ ما من احد الا صح

وعلى

وعلى الثلثة وتاب على الثلاثة كعب بن مالك وهلال بن امية ومرارة بن الربيع
الذين خلفوا تخلفوا عن الغزو او خلف امرهم فانهم المرجون حتى اذا ضاقت عليهم
الارض بما رحبت اي برحبها لاعراض الناس عنهم بالكلية وهو مثل لشدة الحيرة
وضاقت عليهم انفسهم قلوبهم من فرط الوحشة والغم بحيث لا يسعها انس
وسرور وظنوا وعلموا ان لا ملجأ من الله من سخطه الا اليه الا الى استغفاره
ثم تاب عليهم بالتوفيق للتوبة ليتوبوا او انزل قبول توبتهم ليعدوا في جملة
التوابين او رجع عليهم بالقبول والرحمة مرة بعد اخرى ليستقيموا على توبتهم
ان الله هو التواب لمن تاب ولو عاد في اليوم مائة مرة الرحيم متفضل عليهم بالنعم
يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله فيما لا يرضاه وكونوا مع الصادقين في ايمانهم
وعهودهم او في دين الله نية وقولا وعملا وقرئ من الصادقين اي في توبتهم
وانابتهم فيكون المراد به هؤلاء الثلثة واضرابهم ما كان لاهل المدينة ومن حولهم
من الاعراب ان يتخلفوا عن رسول الله نهي عبر عنه بصيغة النفي للمبالغة ولا
يرغبوا بانفسهم عن نفسه لا يصونوا انفسهم عما لم يصن نفسه عنه ويكابدوا معه
ما يكابده من الاهوال روي ان ابا خيثمة بلغ بستانه وكان له امرأة حسناء فرشت
له في الظل وبسطت له الحصير وقربت اليه الرطب والماء البارد فنظر فقال ظل ظليل
ورطب يانع وماء بارد وامرأة حسناء ورسول الله في الضح والريح ما هذا بخير فقام فرحل
ناقته ثم اخذ سيفه ورمحه فمر كالريح فمد رسول الله طرفه الى الطريق فاذا براكب
يزهاه السراب فقال كن ابا خيثمة فكانه ففرح به رسول الله فاستغفر له وفي لا يرغبوا
يجوز النصب والجزم ذلك اشارة الى ما دل عليه قوله ما كان من النهي عن التخلف
او وجوب المشايعة بانهم بسبب انهم لا يصيبهم ظمأ شيء من العطش ولا نصب
تعب ولا مخمصة مجاعة في سبيل الله ولا يطؤن لا يدوسون موطئا مكانا يغيظ الكفار
يغيظهم وطاؤه ولا ينالون من عدو نيلا كالقتل والاسر والنهب الا كتب لهم به عمل صالح
الا استوجبوا به الثواب وذلك مما يوجب المشايعة ان الله لا يضيع اجر المحسنين على

الحيرة

احسانهم

المتابعة

وهو تعليل للكتب وتنبيه على ان الجهاد احسان اما في حق الكفار فلانه سعي في تخليصهم
باقصى ما يمكن كضرب المداوي للمجنون واما في حق المؤمنين فلانه صيانة لهم عن سطوة الكفار
واستيلائهم ولا ينفقون نفقة صغيرة ولو علاقة ولا كبيرة مثل ما انفق عثمان في جيش
العسرة ولا يقطعون واديا في مسيرهم وهو كل منفرج ينفذ فيه السيل اسم فاعل
من ودى اذا سال فشاع بمعنى الارض الا كتب لهم اثبت لهم ذلك ليجزيهم الله بذلك
احسن ما كانوا يعملون بجزاء احسن اعمالهم او احسن جزاء اعمالهم وما كان
المؤمنون لينفروا كافة وما استقام لهم ان ينفروا جميعا لنحو غزو وطلب علم كما لا
يستقيم لهم ان يتبطلوا جميعا فانه يخل بامر المعاش فلولا نفر من كل فرقة منهم
طائفة فهلا نفر من كل جماعة كثيرة كقبيلة واهل بلدة جماعة قليلة ليتفقهوا في الدين
ليتكلفوا الفقاهة فيه ويتجشموا مشاقه بتحصيلها ولينذروا قومهم اذا رجعوا
اليهم وليجعلوا غاية سعيهم ومعظم غرضهم من الفقاهة ارشاد القوم وانذارهم
وتخصيصه بالذكر لانه اهم وفيه دليل على ان التفقه والتذكر من فروض الكفاية
وانه ينبغي ان يكون غرض المتكلم فيه ان يستقيم ويقيم لا الترفع على الناس والتبسط في البلاد
لعلهم يحذرون ارادة ان يحذروا عما ينذرون منه واستدل به على ان اخبار الآحاد
حجة لان عموم كل فرقة يقتضي ان ينفر من كل ثلثة نفر وا بقية طائفة الى التفقه
لينذروا فرقتها لكي يتذكروا ويحذروا فلو لم تعتبر اخبارهم لم تتواتر لم يفد ذلك وقد
اشبعت القول فيه تقريرا واعتراضا في كتاب المرصاد وقد قيل للآية معنى آخر
وهو انه لما نزل في المتخلفين ما نزل سبق المؤمنون الى النفير وانقطعوا عن التفقه
فامروا ان ينفر من كل فرقة طائفة الى الجهاد ويبقى اعقابهم يتفقهون حتى لا ينقطع
التفقه الذي هو الجهاد الاكبر لان الجدال بالحجة هو الاصل والمقصود من البعثة
فيكون الضمير في ليتفقهوا ولينذروا البواقي الفرق بعد الطوائف النافرة للغزو وفي
رجعوا للطوائف اي ولينذروا البواقي قومهم النافرين اذا رجعوا اليهم بما حصلوا
ايام غيبتهم من العلوم يا ايها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار امروا

بقتال الاقرب منهم فالاقرب كما امر رسول الله اولا بانذار عشيرته فان الاقرب
احق بالشفقة والاستصلاح وقيل هم يهود حوالي المدينة كقريظة والنضير وخيبر
وقيل الروم فانهم كانوا يسكنون الشام وهو قريب من المدينة وليجدوا فيكم
غلظة شدة وصبرا على القتال وقرئ بفتح الغين وضمها وهما لغتان فيها واعلموا
ان الله مع المتقين بالحراسة والاعانة واذا ما انزلت سورة فمنهم فمن المنافقين
من يقول انكارا واستهزاء ايكم زادته هذه السورة ايمانا وقرئ ايكم بالنصب على اضمار فعل
يفسره زادته ويوم يستبشرون بنزولها لانه سبب لزيادة كمالهم وارتفاع درجاتهم
واما الذين في قلوبهم مرض كفر فزادتهم رجسا الى رجسهم كفرا بها مضموما الى الكفر
بغيرها وماتوا وهم كافرون واستحكم ذلك فيهم حتى ماتوا عليه اولا يرون يعني المنافقين
وقرئ بالتاء انهم يفتنون يبتلون باصناف البليات او بالجهاد مع رسول الله فيعاينون
ما يظهر عليه من الآيات في كل عام مرة او مرتين لم لا يتوبون لا ينتهون ولا يتوبون من نفاقهم
ولا هم يذكرون ولا يعتبرون واذا ما انزلت سورة نظر بعضهم الى بعض تغامزوا بالعيون
انكارا لها وسخرية او غيظا لما فيها من عيوبهم هل يريكم من احد اي يقولون هل يريكم
احد ان قمتم من حضرة الرسول فان لم يرهم احد قاموا والا قعدوا ثم انصرفوا
عن حضرة مخافة الفضيحة صرف الله قلوبهم عن الايمان وهو يحتمل الاخبار والدعاء
بانهم بسبب انهم قوم لا يفقهون لسوء فهمهم وعدم تدبرهم لقد جاءكم رسول من انفسكم
من جنسكم عربي مثلكم وقرئ من انفسكم اي اشرفكم عزيز عليه شديد شاق ما عنتم
عنتكم ولقاءكم المكروه حريص عليكم اي على ايمانكم وصلاح شانكم بالمؤمنين منكم ومن غيركم
روف رحيم فقدم الابلغ منهما وهو الروف لان الرأفة شدة الرحمة محافظة على الفواصل
فان تولوا عن الايمان بك فقل حسبي الله فانه يكفيك معرتهم ويعينك عليهم لا آله
الا هو كالدليل عليه عليه توكلت فلا ارجو ولا اخاف الا منه وهو رب العرش العظيم
الملك العظيم والجسم الاعظم المحيط الذي يثبت منه الاحكام والمقادير وقرئ العظيم
بالرفع وعن ابي ان آخر ما نزلها تان الآيتان وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما نزل

القرآن على الا آية آية وحرفا وحرفا ما خلا سورة براءة وقل هو الله احدا نهما انزلتا
على ومعهما سبعون الف صف من الملائكة سورة يونس مكية وهي مائة وتسع آيات
بسم الله الرحمن الرحيم
الر فخمها ابن كثير ونافع وحفص واما لها الباقون اجراء الالف الراء مجرى المنقلبة من
الياء تلك آيات الكتاب الحكيم اشارة الى ما تضمنته السورة او القرآن من الآي والمراد
من الكتاب احدهما ووصفه بالحكيم لاشتماله على الحكم او لانه كلام حكيم او محكم آياته لم ينسخ
شيء أكان للناس عجبا استفهام انكار للتعجب وعجبا خبر كان واسمه ان اوحينا
وقرئ بالرفع على ان الامر بالعكس وعلى ان كان تامة وان اوحينا بدل من عجب والالام
للدلالة على انهم جعلوا عجبة لهم يوجهون نحوه انكارهم واستهزاءهم انذر الناس
من افناء رجالهم دون عظيمهم من عظمائهم قيل كانوا يقولون العجب ان الله لم يجد رسولا
يرسله الى الناس الا يتيم ابي طالب وهو من فرط حماقتهم وقصور نظرهم على الامور العاجلة
وجهلهم بحقيقة الوحي والنبوة هذا وانه عليه السلام لم يكن يقصر عن عظمائهم فيما يعتبر
الا في المال وخفة الحال ما عون شيء في هذا الباب ولذلك كان اكثر الانبياء قبله كذلك
وقيل تعجبوا من انه بعث بشرا رسولا كما سبق ذكره في سورة الانعام ان انذر الناس ان
هي المفسرة او المخففة من الثقيلة فيكون في موضع مفعولا وحينا وبشر الذين آمنوا
عم الانذار اذ قل ما من احد ليس فيه ما ينبغي ان ينذر منه وخصص البشارة اذ ليس للكفار
ما يصح ان يبشروا به ان لهم بان لهم قدم صدق عند ربهم سابقة ومنزلة رفيعة
سميت قدما لان السعي بها كما سميت النعمة يدا لانها تعطى باليد واضافتها الى الصدق لتحقيقها
والتنبيه على انهم انما نالوها بصدق القول والنية قال الكافرون ان هذا يعنون الكتاب
وما جاء به الرسول لساحر مبين وقرأ ابن كثير والكوفيون لساحر على ان الاشارة الى الرسول وفيه
اعتراف بانهم صادفوا من الرسول امورا خارقة للعادة معجزة اياهم عن المعارضة وقرئ
ما هذا الا ساحر مبين ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض التي هي اصول الممكنات
في ستة ايام ثم استوى على العرش يدبر الامر يقتدر امر الكائنات على ما اقتضته حكمته

وسبقت به

وسبقت به كلمته وهي تحريكه اسبابها وتيسيرها منه والتدبير النظر في ادبار الامور لتجيء
محمودة العاقبة ما من شفيع الا من بعد اذنه تقرير لعظمته وعز جلاله ورد على من زعم
ان آلهتهم تشفع لهم عند الله وفيه اثبات الشفاعة لمن اذن له ذلكم الله اي الموصوف
بتلك الصفات المقتضية للالوهية والربوبية ربكم لا غير اذ لا يشاركه احد في شيء من ذلك
فاعبدوه وحدوه بالعبادة افلا تذكرون حتى تتفكرون ادنى تفكر فيتبين لكم ان المستحق
للربوبية والعبادة لا ما تعبدونه اليه مرجعكم جميعا بالموت او النشور لا الى غيره
فاستعدوا للقائه وعد الله مصدر مؤكد لنفسه لان قوله اليه مرجعكم وعد من الله
حقا مصدر آخر مؤكد لغيره وهو عامل فيه وعد الله انه يبدؤا الخلق ثم يعيده
بعد بدئه واهلاكه ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط اي بعدله
او بعدالتهم وقيامهم على العدل في امورهم او بايمانهم لانه العدل القويم كما ان الشرك ظلم
عظيم وهو الاوجه لمقابلة قوله والذين كفروا لهم شراب من حميم وعذاب
اليم بما كانوا يكفرون فان معناه ليجزي الذين كفروا بشراب من حميم وعذاب اليم بسبب كفرهم
لكنه غير النظم للمبالغة في استحقاقهم للعقاب والتنبيه على ان المقصود بالذات
من الابداء والاعادة هو الاثابة والعقاب وافع بالعرض وانه تعالى يتولى اثابة المؤمنين
بما يليق بلطفه وكرمه ولذلك لم يعينه واما عقاب الكفرة فكانه داء ساقه اليهم
سوء اعتقادهم وشؤم افعالهم والآية كالتعليل لقوله اليه مرجعكم جميعا فانه لما كان
المقصود من الابداء والاعادة مجازاة الله المكلفين على اعمالهم كان مرجع الجميع اليه
لا محالة ويؤيده قراءة من قرأ انه يبدأ بالفتح اي لانه ويجوز ان يكون منصوبا او مرفوعا بما نصب
وعد الله او بما نصب حقا هو الذي جعل الشمس ضياء اي ذات ضياء وهو مصدر
كقيام وجمع ضوء كسياط وسوط والياء فيه منقلبة عن الواو وعن ابن كثير ضئاء بهمزتين
في كل القرآن على القلب بتقديم اللام على العين والقمر نورا اي ذا نور وسمي
نورا للمبالغة وهو اعم من الضوء كما عرفت وقيل ما بالذات ضوء وبالعرض نور وقد
نبه سبحانه بذلك على انه خلق الشمس نيرة في ذاتها والقمر منيرا بعرض مقابلة الشمس والاكتساء

منها

وقدره منازل الضمير لكل واحد اى قدر مسير كل واحد منهما منازل
او قدره ذا منازل او للقمر وتخصيصه بالذكر لسرعة سيره ومعاينة منازله واناطة احكام
الشرع به ولذلك علله بقوله لتعلموا عدد السنين والحساب وحساب الاوقات
من الاشهر والايام فى معاملاتكم وتصرفاتكم ما خلق الله ذلك الا بالحق الا ملتبسا
بالحق مراعيا فيه مقتضى الحكمة البالغة يفصل الآيات لقوم يعلمون فانهم
المنتفعون بالتامل فيها وقرا ابن كثير والبصريان وحفص يفصل بالياء ان فى اختلاف
الليل والنهار وما خلق الله فى السموات والارض من انواع الكائنات لآيات
على وجود الصانع ووحدته وكمال علمه وقدرته لقوم يتقون العواقب فانه يحملهم على التفكر
والتدبر ان الذين لا يرجون لقاءنا لا يتوقعونه لانكارهم للبعث وذهولهم بالمحسوسات
عما وراءها ورضوا بالحيوة الدنيا من الآخرة لغفلتهم عنها واطمانوا بها وسكنوا
اليها مقصرين هممهم على لذايذها وزخارفها او سكنوا فيها سكون من لا يزعج عنها
والذين هم عن آياتنا غافلون لا يتفكرون فيها لانهماكهم فيما يضادها والعطف
اما لتغاير الوصفين والتنبيه على ان الوعيد على الجمع بين الذهول عن الآيات راسا
والانهماك فى الشهوات بحيث لا يخطر الآخرة ببالهم اصلا واما لتغاير الفريقين والمراد
بالاولين من انكر البعث ولم يرى الا الحيوة الدنيا وبالآخرين من الهاه حب العاجل
عن التامل فى الآجل والاعداد له اولئك ماويهم النار بما كانوا يكسبون بما
واظبوا عليه وتمرنوا به من المعاصى ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم
ربهم بايمانهم بسبب ايمانهم الى سلوك سبيل يؤدى الى الجنة او لادراك الحقائق
كما قال عليه السلم من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم او لما يريدونه فى الجنة ومفهوم
الترتيب وان دل على ان سبب الهداية هو الايمان والعمل الصالح لكن دل منطوق قوله
بايمانهم على استقلال الايمان بالسببية وان العمل الصالح كالتتمة والرديف له تجرى
من تحتهم الانهار استيناف او خبر ثان او حال من الضمير المنصوب على المعنى الاخير وقوله
فى جنات النعيم خبر او حال اخرى منه او من الانهار او متعلق بتجرى او بيهدى

دعواهم

دعواهم فيها اى دعاؤهم سبحانك اللهم اللهم انا نسبحك تسبيحا وتحيتهم ما يحيى به
بعضهم بعضا او تحية الملائكة اياهم فيها سلام وآخر دعويهم وآخر دعائهم
ان الحمد لله رب العالمين اى يقولون ذلك ولعل المعنى انهم اذا دخلوا الجنة وعاينوا
عظمة الله وكبرياءه مجدوه ونعتوه بنعوت الجلال ثم حياهم الملائكة بالسلامة عن الآفات
والفوز باصناف الكرامات او الله فحمدوه واثنوا عليه بصفات الاكرام وان هى المخففة
من الثقيلة وقد قرئ بها وبنصب الحمد ولو يعجل الله للناس الشر ولو يسرعه اليهم
استعجالهم بالخير وضع موضع تعجيل الله لهم بالخير اشعارا بسرعة اجابته لهم فى الخير
حتى كان استعجالهم به تعجيل لهم وبان المراد شر استعجلوه لقولهم فامطر علينا حجارة
من السماء وتقدير الكلام ولو يعجل الله للناس الشر تعجيله للخير حين استعجلوه استعجالا
كاستعجالهم بالخير فحذف منه ما حذف لدلالة الباقى عليه لقضى اليهم اجلهم لاميتوا
واهلكوا وقرا ابن عامر ويعقوب لقضى على البناء للفاعل وهو الله تعالى وقرئ لقضينا
فنذر الذين لا يرجون لقاءنا فى طغيانهم يعمهون عطف على فعل محذوف دلت عليه
الشرطية كانه قيل ولكن لا يعجل ولا يقضى فنذرهم امهالا لهم واستدراجا واذا مس
الانسان الضر دعانا لازالته مخلصا فيه لجنبه ملقيا لجنبه اى مضطجعا
او قاعدا او قائما وفائدة الترديد تعميم الدعاء لجميع الاحوال او لاصناف المضار فلما
كشفنا عنه ضره مر مضى على طريقته واستمر على كفره او مر عن موقف الدعاء لا يرجع
اليه كان لم يدعنا الى ضر مسه الى كشف ضر كذلك مثل ذلك التزيين زين للمسرفين
ما كانوا يعملون من الانهماك فى الشهوات والاعراض عن العبادات ولقد اهلكنا القرون
من قبلكم يا اهل مكة لما ظلموا حين ظلموا بالتكذيب واستعمال القوى والجوارح لا على ما ينبغى
وجاءتهم رسلهم بالبينات بالحجج الدالة على صدقهم وهو حال من الواو باضمار قد
او عطف على ظلموا وما كانوا ليؤمنوا وما استقام لهم ان يؤمنوا لفساد استعدادهم
وخذلان الله لهم وعلمه بانهم يموتون على كفرهم واللام لتاكيد النفى كذلك مثل ذلك الجزاء
وهو اهلاكهم بسبب تكذيبهم للرسل واصرارهم عليه بحيث تحقق انه لا فائدة فى امهالهم

كانه لم يدعنا فخفف وحذف ضمير الشان كما قال ونحر مشرق اللون كان ثدياه حقان

نجزي القوم المجرمين نجزي كل مجرم او نجزيكم فوضع المظهر موضع الضمير للدلالة على كمال
جرمهم وانهم اعلام فيه ثم جعلناكم خلائف في الارض من بعدهم استخلفناكم
فيها بعد القرون التي اهلكناها استخلاف من يختبر لننظر كيف تعملون اتعملون خيرا او
شرا فنعاملكم على مقتضى اعمالكم وكيف معمول تعملون فان معنى الاستفهام
يحجب ان يعمل فيه ما قبله وفائدة الدلالة على ان المعتبر في الجزاء جهات الافعال وكيفياتها
لا هي من حيث ذاتها ولذلك يحسن الفعل تارة ويقبح اخرى واذا تتلى عليهم آياتنا
بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا يعني المشركين ائت بقرآن غير هذا بكتاب آخر
تقرؤه ليس فيه ما نستبعده من البعث والثواب والعقاب بعد الموت او ما نكرهه
من معايب آلهتنا او بدله بان تجعل مكان الآية المشتملة على ذلك آية اخرى ولعلهم
سألوا ذلك كي يسعفهم اليه فيلزموه قل ما يكون لي ما يصح لي ان ابدله من تلقاء
نفسي من قبل نفسي وهو مصدر استعمل ظرفا واما اكتفى بالجواب عن التبديل لاستلزام
امتناع امتناع الاتيان بقرآن آخر ان اتبع الا ما يوحى الي تعليل لما يكون فان المتبع
لغيره في امر لم يستبد بالتصرف فيه بوجه وجواب للنقض بنسخ بعض الآيات ببعض
وتردد لما عرضوا له بهذا السؤال من ان القرآن كلامه واختراعه ولذلك قيد التبديل في الجواب
وسماه عصيانا فقال اني اخاف ان عصيت ربي اي بالتبديل عذاب يوم عظيم وفيه
ايماء بانهم استوجبوا العذاب بهذا الاقتراح قل لو شاء الله ما تلوته
عليكم ولا ادريكم به ولا اعلمكم به على لساني وعن ابن كثير ولادريكم بلام التاكيد
اي لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا اعلمكم به على لسان غيري والمعنى انه الحق الذي لا يحيص
عنه لو لم ارسل به رسولا غيري وقرئ ولا ادراكم ولا ادرأكم بالهمز فيهما على لغة من يقلب
الالف المبدلة من الياء همزة او على انه من الدرء بمعنى الدفع اي ولا جعلتكم بتلاوته
خصماء تدرؤني بالجدال والمعنى ان الامر بمشيته الله لا بمشيتي حتى اجعله على نحو ما
تقترحونه ثم قرر ذلك بقوله فقد لبثت فيكم عمرا مقدارا عمر اربعين سنة من قبله
من قبل القرآن لا اتلوه ولا اعلمه فانه اشارة الى ان القرآن معجز خارق للعادة فان من عاش

بين اظهرهم اربعين سنة لم يمارس فيها علما ولم يتلمذ لمعلم ولم ينتحل قريضا
ولا خطابة ثم قرأ عليهم كتابا بذت فصاحته فصاحة كل منطيق وعلا كلام كل منثور ومنظوم
واحتوى على قواعد علمي الاصول والفروع واعرب عن اقاصيص الاولين واحاديث
الآخرين على ما هي عليه علم انه معلم به من الله افلا تعقلون اي افلا تستعملون
عقولكم بالتدبر والتفكر لتعلموا انه ليس الا من الله فمن اظلم ممن افترى على الله
كذبا تفاد مما اضيف اليه كناية او تظليم للمشركين بافترائهم على الله في قولهم انه لذو شريك
وولد او كذب بآياته فكفر بها انه لا يفلح المجرمون ويعبدون من دون الله
ما لا يضرهم ولا ينفعهم لانه جماد لا يقدر على نفع ولا ضر والمعبود ينبغي ان يكون مثيبا
ومعاقبا حتى يعود عبادته بجلب نفع او دفع ضر ويقولون هؤلاء الاوثان شفعاؤنا
عند الله تشفع لنا فيما يهمنا من امور الدنيا او في الآخرة ان يكن بعث وكانهم كانوا
مكلفين فيه وهذا من فرط جهلهم حيث تركوا عبادة الموجد الضار النافع الى عبادة
ما يعلم قطعا انه لا يضر ولا ينفع على توهم انه ربما يشفع لهم عنده قل اتنبئون الله
التخبرونه بما لا يعلم وهو ان له شريكا وفيه تقريع وتهكم بهم او هؤلاء شفعاؤنا عنده
وما لا يعلمه العالم بجميع المعلومات لا يكون له تحقق ما في السموات ولا في الارض حال
من العائد المحذوف موكدة للنفي منتهضة على ان ما يعبدون من دون الله اما سماوي
او ارضي ولا شيء من الموجودات فيهما الا وهو حادث مقهور مثلهم لا يليق ان يشرك به
سبحانه وتعالى عما يشركون عن اشراكهم او عن الشركاء الذين يشركونهم به وما
كان الناس الا امة واحدة موجودين على الفطرة ومتفقين على الحق وذلك في عهد
آدم عليه السلام الى ان قتل قابيل هابيل او بعد الطوفان او على الضلالة في فترة من الرسل
فاختلفوا باتباع الهوى والاباطيل او ببعثة الرسل فتبعهم طائفة واصرت اخرى ولولا
كلمة سبقت من ربك بتاخير الحكم بينهم او العذاب الفاصل بينهم الى يوم القيامة
فانه يوم الفصل والجزاء لقضي بينهم عاجلا فيما فيه يختلفون باهلاك المبطل
وابقاء المحق ويقولون لولا انزل عليه آية من ربه اي من الآيات التي اقترحوها

فقل انما الغيب لله هو المختص بعلمه فلعله يعلم في انزال الآيات المقترحة من مفاسد
تصرف عن انزالها فانتظروا لنزول ما اقترحتموه اني معكم من المنتظرين لما يفعل
الله بكم بجحودكم ما نزل عليه من الآيات العظام واقتراحكم غيره واذا اذقنا الناس
رحمة صحة وسعة من بعد ضراء مستهم كقحط ومرض اذا لهم مكر في آياتنا
بالطعن فيها والاحتيال في دفعها قيل قحط اهل مكة سبع سنين حتى كادوا يهلكون
ثم رحمهم بالحيا فطفقوا يقدحون في آيات الله ويكيدون رسوله قل الله اسرع مكرا
منكم قد دبر عقابكم قبل ان تدبروا كيدكم وانما دل على سرعتهم المفضل عليها كلمة المفاجاة
الواقعة جوابا لاذا الشرطية والمكر اخفاء الكيد وهو من الله اما الاستدراج او الجزاء على المكر
ان رسلنا يكتبون ما تمكرون تحقيق للانتقام وتنبيه على ان ما دبروا في اخفائه لم يخف
على الحفظة فضلا ان يخفى على الله وعن يعقوب يمكرون بالياء ليوافق ما قبله هو الذي
يسيركم يحملكم على السير ويمكنكم منه في البر والبحر حتى اذا كنتم في الفلك في السفن
وجرين بهم بمن فيها عدل عن الخطاب الى الغيبة للمبالغة كانه يذكره لغيرهم ليتعجب
من حالهم وينكر عليهم بريح طيبة لينة الهبوب وفرحوا بها بتلك الريح جاءتها
جواب اذا والضمير للفلك او للريح الطيبة بمعنى تلقتها ريح عاصف ذات عصف شديدة
الهبوب وجاءهم الموج من كل مكان يجيء الموج منه وظنوا انهم احيط بهم
اهلكوا وسدت عليهم مسالك الخلاص كمن احاط به العدو دعوا الله مخلصين له
الدين من غير اشراك لتراجع الفطرة وزوال المعارض من شدة الخوف وهو بدل من ظنوا
بدل اشتمال لان دعاءهم من لوازم ظنهم لئن انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين
على ارادة القول او مفعول دعوا لانه من جملة القول فلما انجاهم اجابة لدعائهم اذا هم
يبغون في الارض فاجؤا الفساد فيها وسارعوا الى ما كانوا عليه بغير الحق مبطلين
فيه وهو احتراز عن تخريب المسلمين ديار الكفرة واحراق زروعهم وقلع اشجارهم
فانها افساد بالحق يا ايها الناس انما بغيكم على انفسكم فان وباله عليكم او انه على
امثالكم وابناء جنسكم متاع الحيوة الدنيا منفعة الحيوة لا تبقى ويبقى عقابها ورفعه

الدنيا

وقرا ابن عامر بالنون والشين من النشر

او سدت

على انه

على انه خبر بغيكم وعلى انفسكم صلته او خبر محذوف تقديره ذلك متاع الحيوة الدنيا
او مفعول البغي لانه بمعنى الطلب فيكون الجار من صلته والخبر محذوفا تقديره بغيكم
متاع الحيوة الدنيا محذور او ضلال او مفعول فعل دل عليه البغي وعلى انفسكم خبر
ثم الينا مرجعكم في القيمة فننبئكم بما كنتم تعملون بالجزاء عليه انما مثل الحيوة الدنيا
حالها العجيبة في سرعة تقضيها وذهاب نعيمها بعد اقبالها واغترار الناس بها كماء
انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض فاشتبك بسببه حتى خالط بعضه
بعضا مما ياكل الناس والانعام من الزروع والبقول والحشيش حتى اذا اخذت الارض
زخرفها تزينت باصناف النبات واشكالها والوانها المختلفة كعروس اخذت من الوان
الثياب والزين فتزينت بها وازينت اصله تزينت فادغم وقد قرئ على الاصل وازينت
على افعلت من غير اعلال كاغيلت والمعنى صارت ذات زينة وازيانت كابياضت
وظن اهلها انهم قادرون عليها متمكنون من حصدها ورفع غلتها اتاها امرنا ضرب
زرعها ما يجتاحه ليلا او نهارا فجعلناها زرعها حصيدا شبيها بما حصد من اصله كان
لم تغن كان لم تغن زرعها اي لم تلبث والمضاف محذوف في الموضعين للمبالغة وقرئ
بالياء على الاصل بالامس فيما قبيله وهو مثل في الوقت القريب والممثل به مضمون الحكاية
وهو زوال خضرة النبات فجاءة وذهابه حطاما بعد ما كان غضا والتف وزين الارض
حتى طمع فيه اهله وظنوا انه قد سلم من الجوائح لا الماء وان وليه حرف التشبيه لانه
من التشبيه المركب كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون فانهم المنتفعون به والله
يدعو الى دار السلام دار السلامة من التقضي والآفة او دار الله وتخصيص هذا
الاسم ايضا للتنبيه على ذلك او دار يسلم الله والملائكة فيها على من يدخلها والمراد الجنة
ويهدي من يشاء بالتوفيق الى صراط مستقيم هو طريقها وذلك الاسلام والتدرع
بلباس التقوى وفي تعميم الدعوة وتخصيص الهداية بالمشية دليل على ان الامر غير الارادة
وان المصر على الضلالة لم يرد الله رشده للذين احسنوا الحسنى المثوبة الحسنى
وزيادة وما يزيد على المثوبة تفضلا كقوله ويزيدهم من فضله وقيل الحسنى مثل حسناتهم

لقوله

وعلى انفسكم خبر بغيكم ونصبه حفص على انه مصدر مؤكد اي تتمتعون متاع الحيوة

وازينت

فجعلناها

والزيادة عشر امثالها الى سبعمائة ضعف واكثر وقيل الزيادة مغفرة من الله ورضوان
وقيل الحسنى الجنة والزيادة هو اللقاء ولا يرهق وجوههم لا يغشاها قتر غبرة
فيها سواد ولا ذلة هوان والمعنى لا يرهقهم ما يرهق اهل النار او لا يرهقهم ما يوجب ذلك غبار
من حزن وسوء حال اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون دائمون لا زوال فيها
ولا انقراض لنعيمها بخلاف الدنيا وزخارفها والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة
بمثلها عطف على قوله للذين احسنوا الحسنى على مذهب من يجوز في الدار زيد
والحجرة عمرو او الذين مبتدا والخبر جزاء سيئة على تقدير وجزاء الذين كسبوا السيئات
جزاء سيئة بمثلها اى ان يجازى سيئة بسيئة مثلها لا يزاد عليها وفيه تنبيه على
ان الزيادة هى الفضل او التضعيف او كانما اغشيت او اولئك اصحاب النار وما بينهما
اعتراض فجزاء سيئة مبتدا خبره محذوف اى فجزاء سيئة بمثلها واقع او بمثلها على زيادة
الباء او تقدير مقدر بمثلها وترهقهم ذلة وقرئ بالياء ما لهم من الله من عاصم
ما من احد يعصمهم من سخط الله او من جهة الله ومن عنده كما يكون للمؤمنين كانما
اغشيت وجوههم قطعا من الليل مظلما لفرط سوادها وظلمتها ومظلما حال من الليل
والعامل فيه اغشيت لانه العامل في قطعا وهو موصوف بالجار والمجرور والعامل في
الموصوف عامل في الصفة او معنى الفعل في من الليل وقرا ابن كثير والكسائى ويعقوب
قطعا بالسكون وعلى هذا يصح ان يكون مظلما صفة له او حالا منه اولئك اصحاب
النار هم فيها خالدون مما يحتج به الوعيدية والجواب ان الاية في الكفار لاشتمال
السيئات على الشرك والكفر ولان الذين احسنوا يتناول اصحاب الكبيرة من اهل القبلة
فلا يتناولهم قسيمه ويوم نحشرهم جميعا يعنى الفريقين جميعا ثم نقول للذين اشركوا
مكانكم الزموا مكانكم حتى تنظروا ما يفعل بكم انتم تاكيد للضمير المنتقل اليه من عامله
وشركاؤكم عطف عليه وقرئ بالنصب على المفعول معه فزيلنا بينهم ففرقنا
بينهم وقطعنا الوصلة التى كانت بينهم وقال شركاؤهم ما كنتم ايانا تعبدون
مجاز عن براءة ما عبدوه من عبادتهم وانما عبدوا في الحقيقة اهواءهم لانها الامرة بالاشراك
فانهم صح

الوصل

لاما

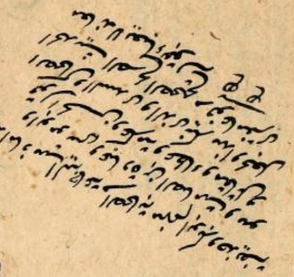

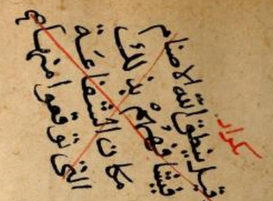

لاما اشركوا به وقيل المراد بالشركاء الملائكة والمسيح وقيل الشياطين وقيل
ينطق الله الاصنام فتشافههم بذلك مكان الشفاعة التى توقعوا منها فكفى بالله
شهيدا بيننا وبينكم فانه العالم بكنه الحال ان كنا عن عبادتكم لغافلين ان
هى المخففة من المثقلة واللام هى الفارقة هنالك في ذلك المقام تبلو كل نفس ما
اسلفت تختبر ما قدمت من عمل فتعاين نفعه وضره وقرا حمزة والكسائى تتلو
من التلاوة اى تقرا ذكر ما قدمت او من التلو اى تتبع عمله فيقوده الى الجنة او الى النار
وقرئ نبلو بالنون ونصب كل وابدال ما منه والمعنى نختبرها اى نفعل بها فعل المختبر
لحالها المتعرف لسعادتها وشقاوتها بتعرف ما اسلفت من اعمالها ويجوز ان
يراد نصيب بالبلاء اى العذاب كل نفس عاصية بسبب ما اسلفت من الشر فيكون
ما منصوبة بنزع الخافض وردوا الى الله الى جزائه اياهم بما اسلفوا موليهم الحق ربهم
ومتولى امرهم على الحقيقة لا ما اتخذوه مولى وقرئ الحق بالنصب على المدح او المصدر
المؤكد وضل عنهم وضاع عنهم ما كانوا يفترون من ان آلهتهم تشفع لهم او ما كانوا
يدعون انها آلهة قل من يرزقكم من السماء والارض اى منهما جميعا فان الارزاق
تحصل باسباب سماوية ومواد ارضية او من كل واحد منهما توسعة عليكم وقيل من لبيان
من على حذف المضاف اى من اهل السماء والارض امن يملك السمع والابصار ام من
يستطيع خلقهما وتسويتهما او من يحفظهما من الآفات مع كثرتها وسرعة انفعالهما
من ادنى شئ ومن يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ومن يحيى ويميت
او من ينشئ الحيوان من النطفة والنطفة منه ومن يدبر الامر ومن يلى تدبير امر
العالم وهو تعميم بعد تخصيص فسيقولون الله اذ لا يقدرون على المكابرة والعناد في ذلك
لفرط وضوحه فقل افلا تتقون انفسكم عقابه باشراككم اياه ما لا يشاركه في شئ من ذلك
فذلكم الله ربكم الحق اى المتولى لهذه الامور المستحق للعبادة هو ربكم الثابت ربوبيته
لانه الذى انشاكم واحياكم ورزقكم ودبر اموركم فماذا بعد الحق الا الضلال استفهام
انكار اى ليس بعد الحق الا الضلال فمن تخطى الحق الذى هو عبادة الله وقع في الضلال

اذ لا واسطة بينهما

فانى تصرفون عن الحق الى الضلال كذلك حقت كلمة ربك اى كما حقت الربوبية
لله اوان الحق بعد الضلال اوانهم مصروفون عن الحق حقت كلمة الله وحكمه
على الذين فسقوا تمردوا فى كفرهم وخرجوا عن حد الاستصلاح انهم لا يؤمنون بدل
من الكلمة او تعليل لحقيتها والمراد بها العدة بالعذاب قل هل من شركائكم
من يبدؤا الخلق ثم يعيده لان لجاجهم لا يدعهم ان يعترفوا بها فانى تؤفكون
تصرفون عن قصد السبيل قل هل من شركائكم من يهدى الى الحق بنصب الحق
وارسال الرسل والتوفيق للنظر والتدبر وهدى كما يعدى بالى لتضمنه معنى الانتهاء
يعدى باللام للدلالة على ان المنتهى غاية الهداية وانها لم تتوجه نحوه على سبيل الاتفاق ولذلك
عدى بها ما اسند الى الله قل الله يهدى للحق افمن يهدى الى الحق احق ان يتبع
ام من لا يهدى الا ان يهدى ام الذى لا يهتدى الا ان يهدى من قولهم هدى نفسه
اذا اهتدى ولا يهدى غيره الا ان يهديه الله وهذا حال الاشراف شركائهم كالملائكة والمسيح
وعزير وقرأ ابن كثير وورش عن نافع وابن عامر يهدى بفتح الهاء وتشديد الدال ويقفون
وحفص بالكسر والتشديد والاصل يهتدى فادغم وفتحت الهاء بحركة التاء او كسرت لالتقاء
الساكنين وروى ابو بكر يهدى باتباع الياء الهاء وقرأ ابو عمرو بالادغام المجرد ولم يبال
بالتقاء الساكنين لان المدغم فى حكم المتحرك وعن نافع برواية قالون مثله وقرئ الا ان
يهدى على المبالغة فما لكم كيف تحكمون بما يقتضى صريح العقل بطلانه وما يتبع اكثرهم
فيما يعتقدون الا ظنا مستندا الى خيالات فارغة واقيسة فاسدة كقياس الغائب
على الشاهد والخالق على المخلوق بادنى مشاركة موهومة والمراد بالاكثر الجميع او من
منهم الى تميز ونظر ولا يرضى بالتقليد الصرف ان الظن لا يغنى من الحق من العلم
والاعتقاد الحق شيئا من الاغناء ويجوز ان يكون مفعولا به ومن الحق حالا منه وفيه
دليل على ان تحصيل العلم فى الاصول واجب والاكتفاء بالتقليد والظن غير جائز ان الله
عليم بما يفعلون وعيد على اتباعهم للظن واعراضهم عن البرهان وما كان هذا
القرآن ان يفترى افتراء من دون الله من الخلق ولكن تصديق الذى بين يديه

مطابق لما

هو

مطابق لما تقدمه من الكتب الالهية المشهود على صدقها ولا يكون كذبا كيف وهو كونه
معجزا ودونها عيار عليها شاهدا على صحتها ونصبه بانه خبر لكان مقدرا وعلة لفعل يحذف
تقديره لكن انزل الله تصديق الذى وقرئ بالرفع على تقدير ولكن هو تصديق وتفصيل الكتاب
وتفصيلا ما حقق واثبت من العقايد والشرايع لا ريب فيه منتفيا عنه الريب وهو خبر
ثالث داخل فى حكم الاستدراك ويجوز ان يكون حالا من الكتاب فانه مفعول فى المعنى وان
يكون استينافا من رب العالمين خبر آخر تقديره كائنا من رب العالمين ومتعلق
بتصديق وتفصيل ولا ريب فيه اعتراض او بالفعل المعلل بهما ويجوز ان يكون حالا
من الكتاب او الضمير فى فيه ومساق الآية بعد المنع عن اتباع الظن لبيان ما يجب
اتباعه والبرهان عليه ام يقولون بل أيقولون افتراه محمد ومعنى الهمزة فيه الانكار
قل فاتوا بسورة مثله فى البلاغة وحسن النظم وقوة المعنى على وجه الافتراء فانكم
مثلى فى العربية والفصاحة واشد تمرنا فى النظم والعبارة وادعوا ما استطعتم
ومع ذلك فاستعينوا بمن امكنكم ان تستعينوا به من دون الله سوى الله تعالى فانه
وحده قادر على ذلك ان كنتم صادقين انه اختلقه بل كذبوا بل سارعوا الى التكذيب
بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه بالقرآن اول ما سمعوه قبل ان يتدبروا آياته ويحيطوا بالعلم
بشانه او بما جهلوه ولم يحيطوا به علما من ذكر البعث والجزاء وسائر ما يخالف دينهم ولما
يأتهم تأويله ولم يقفوا بعد على تأويله ولم تبلغ اذهانهم معانيه او ولم يأتهم
بعد تأويل ما فيه من الاخبار بالغيوب حتى يتبين لهم انه صدق او كذب والمعنى ان
القرآن معجز من جهة اللفظ والمعنى ثم انهم فاجئوا تكذيبه قبل ان يتدبروا نظمه
ويتفحصوا معناه ومعنى التوقع فى لما انه فظهر لهم بالآخرة اعجازه لما كرر عليهم
التحدى فرازوا قواهم فى معارضته فتصاءلت دونها او لما شاهدوا وقوع ما اخبر
طبقا لاخباره المتضمنة سرارا فلم يقلعوا عن التكذيب تمردا وعنادا كذلك كذب الذين من قبلهم
انبيائهم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين فيه وعيد لهم مثل ما عوقب به من قبلهم
ومنهم ومن المكذبين من يؤمن به من يصدق به فى نفسه ويعلم انه حق ولكن يعاند

او من سيؤمن به ويتوب عن كفره ومنهم من لا يؤمن به في نفسه لفرط غباوته وقلة تدبره
او فيما يستقبل بل يموت على الكفر وربك اعلم بالمفسدين بالمعاندين او بالمصرين
وان كذبوك فان اصروا على تكذيبك بعد الزام الحجة فقل لي عملي ولكم عملكم
فتبرأ منهم فقد اعذرت والمعنى لي جزاء عملي ولا اؤاخذ بعملكم ولما فيه من ايهام
الاعراض عنهم وتخلية سبيلهم قيل انه منسوخ بآية السيف ومنهم من يستمعون اليك
اذا قرأت القرآن وعلمت الشرائع ولكن لا يقبلون كالاصم الذي لا يسمع اصلا افانت تسمع
الصم تقدر على اسماعهم ولو كانوا لا يعقلون ولو انضم الى صممهم عدم تعقلهم وفيه
تنبيه على ان حقيقة استماع الكلام فهم المعنى المقصود منه ولذلك لا يوصف به البهائم
وهو لا يتأتى الا باستعمال العقل السليم في تدبره وعقولهم لما كانت مأوفة بمعارضة
الوهم ومشايعة الالف والتقليد تعذر افهامهم الحكم والمعاني الدقيقة فلم ينتفعوا
بسرد الالفاظ عليهم غير ما ينتفع به البهائم من كلام الناعق ومنهم من ينظر اليك
ويعاينون دلائل نبوتك ولكن لا يصدقون افانت تهدي العمي تقدر على هدايتهم
ولو كانوا لا يبصرون وان انضم الى عدم البصيرة فان المقصود من الابصار هو الاعتبار
والاستبصار والعمدة في ذلك البصيرة ولذلك يحدس الاعمى المستبصر ويتفطن لما
لا يدركه البصير الاحمق والآية كالتعليل للامر بالتبري والاعراض عنهم ان الله لا يظلم
الناس شيئا بسلب حواسهم وعقولهم ولكن الناس انفسهم يظلمون بافسادها
وتفويت منافعها عليهم وفيه دليل على ان للعبد كسبا وانه ليس مسلوب الاختيار بالكلية
كما زعمت المجبرة ويجوز ان يكون وعيدا لهم بمعنى ان ما يحيق بهم يوم القيامة من العذاب
عدل من الله لا يظلمهم به ولكنهم ظلموا انفسهم باقتراف اسبابه ويوم نحشرهم كأن
لم يلبثوا الا ساعة من النهار يستقصرون مدة لبثهم في الدنيا او القبور لهول ما يرون
والجملة التشبيهية في موضع الحال اي نحشرهم مشبهين بمن لم يلبث الا ساعة او صفة
ليوم والعائد محذوف تقديره كأن لم يلبثوا قبله او لمصدر محذوف اي حشرا كأن لم
يلبثوا قبله يتعارفون بينهم يعرف بعضهم بعضا كأنهم لم يتفارقوا الا قليلا وهذا

ولكم جزاء عملكم حقا كان او باطلا
انتم بريئون مما اعمل وانا بريء
مما تعملون لا تؤاخذون بعملي صح

البصر عدم صح

وقرأ حمزة والكسائي
بالتخفيف ورفع الناس صح

اول

اول ما نشروا ثم ينقطع التعارف لشدة الامر عليهم وهو حال اخرى مقدرة او بيان
لقوله كأن لم يلبثوا او متعلق الظرف والتقدير يتعارفون يوم نحشرهم قد خسر الذين
كذبوا بلقاء الله للشهادة على خسرانهم والتعجب منه ويجوز ان يكون حالا من الضمير
في يتعارفون على ارادة القول وما كانوا مهتدين لطرق استعمال ما منحوا من المعاون
في تحصيل المعارف فاستكسبوا بها جهالات ادت بهم الى الردى والعذاب الدائم
واما نرينك بنصرتك بعض الذي نعدهم من العذاب في حيوتك كما اراه يوم البدر
او نتوفينك قبل ان نريك فالينا مرجعهم فنريكه في الآخرة وهو جواب نتوفينك
وجواب نرينك محذوف مثل فذاك ثم الله شهيد على ما يفعلون مجاز عليه ذكر الشهادة
واراد نتيجتها ومقتضاها ولذلك رتبها على الرجوع بثم او مؤد شهادته على افعالهم يوم
القيامة ولكل امة من الامم الماضية رسول يبعث اليهم ليدعوهم الى الحق
فاذا جاء رسولهم بالبينات فكذبوه قضي بينهم بين الرسول ومكذبيه بالقسط
بالعدل فانجى الرسول واهلك المكذبون وهم لا يظلمون وقيل معناه لكل امة
يوم القيامة رسول تنسب اليه فاذا جاء رسولهم الموقف ليشهد عليهم بالكفر والايمان
قضي بينهم بانجاء المؤمنين وعقاب الكافرين كقوله وجيء بالنبيين والشهداء وقضي
بينهم ويقولون متى هذا الوعد استبعادا له واستهزاء به ان كنتم صادقين
خطاب منهم للنبي والمؤمنين قل لا املك لنفسي ضرا ولا نفعا فكيف املك
لكم فاستعجل في جلب العذاب اليكم الا ما شاء الله ان املكه او ولكن ما شاء الله
ذلك كائن لكل امة اجل مضروب لهلاكهم اذا جاء اجلهم لا يستأخرون ساعة
ولا يستقدمون لا يتأخرون ولا يتقدمون فسيحين وقتكم وينجز وعدكم قل ارأيتم ان
اتيكم عذابه الذي تستعجلون به بياتا وقت بيات واشتغال بالنوم او نهارا حين كنتم
مشتغلين بطلب معاشكم ماذا يستعجل به المجرمون اي شيء من العذاب يستعجلونه
وكله مكروه لا يلائم الاستعجال وهو متعلق بارأيتم لانه بمعنى اخبروني والمجرمون وضع
موضع الضمير للدلالة على انهم لجرمهم ينبغي ان يفزعوا اليه من مجيء الوعيد لا ان يستعجلوه

اي ما تستعجلون منه

فلا تستعجلوا صح

والظاهر او قوله عطفا على ماذا اى الجواب قوله اهـ

ندموا

وجواب الشرط محذوف وهو تندموا على الاستعجال او تعرفوا خطاءه ويجوز ان يكون الجواب
ماذا كقولك ان اتيتك ماذا تعطيني ويكون الجملة متعلقة بارايتم او بقوله اثم اذا
ما وقع آمنتم به بمعنى ان اتاكم عذابه آمنتم به بعد وقوعه حين لا ينفعكم الايمان وماذا
يستعجل اعتراض ودخول حرف الاستفهام على ثم لانكار التاخير آلآن على ارادة القول
اى قيل لهم اذا آمنوا بعد وقوع العذاب الآن آمنتم بحذف الهمزة والقاء حركتها
على اللام وقد كنتم به تستعجلون تكذيبا واستهزاء ثم قيل للذين ظلموا عطف على قيل المقدر
ذوقوا عذاب الخلد المولم على الدوام هل تجزون الا ما كنتم تكسبون من الكفر والمعاصي
ويستنبئونك ويستخبرونك احق هو احق ما تقول من الوعد او ادعاء النبوة تقول بجد
ام باطل تهزل به قاله حيي بن اخطب لما قدم مكة والاظهر ان الاستفهام فيه على اصله
لقوله ويستنبئونك وقيل انه للانكار ويؤيده انه قرئ الحق هو فانه تعريض باطل واحق مبتدا
والضمير مرتفع به ساد مسد الخبر او خبر مقدم والجملة في موقع النصب بيستنبئونك قل اى
وربي انه لحق ان العذاب لكائن او ما ادعيه لثابت وقيل كلا الضميرين للقرآن واى
بمعنى نعم وهو من لوازم القسم ولذلك يوصل بواوه في التصديق فيقال اى والله ولا يقال
اى وحده وما انتم بمعجزين بفائتين العذاب ولو ان لكل نفس ظلمت بالشرك والتعدي
على الغير ما في الارض من خزائنها واموالها لافتدت به لجعلته فدية لها من العذاب
من قولهم افتداه بمعنى فداه واسروا الندامة لما راوا العذاب لانهم بهتوا بما عاينوا
مما لم يحتسبوه من فظاعة الامر وهوله فلم يقدروا ان ينطقوا وقيل اسروا الندامة اخلصوها
لان اخفاءها اخلاصها او لانه يقال سر الشيء لخالصته من حيث انها تخفى ويضن بها
وقيل اظهروها من قولهم سر الشيء واسره اذا اظهره وقضي بينهم بالقسط وهم
لا يظلمون ليس تكريرا لان الاول قضاء بين الانبياء ومكذبيهم والثاني مجازاة المشركين
على الشرك او الحكومة بين الظالمين والمظلومين والضمير انما يتناولهم لدلالة الظلم عليهم
الا ان لله ما في السموات والارض تقرير لقدرته تعالى على الاثابة والعقاب الا ان
وعد الله حق ما وعد من الثواب والعقاب كائن لا خلف فيه ولكن اكثرهم لا يعلمون

لانهم

لانهم لا يعلمون لقصور عقلهم الا ظاهرا من الحيوة الدنيا هو يحيي ويميت في الدنيا
فهو يقدر عليهما في العقبى لان القادر لذاته لا يزول قدرته والمادة القابلة بالذات للحيوة والموت قابلة
لهما ابدا واليه ترجعون بالموت او النشور يا ايها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم
وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين اى قد جاءكم كتاب جامع للحكمة العملية
الكاشفة عن محاسن الاعمال ومقابحها والمرغبة في المحاسن والزاجرة عن المقابح والحكمة
النظرية التي هي شفاء لما في الصدور من الشكوك وسوء الاعتقاد وهدى الى الحق واليقين ورحمة
للمؤمنين من حيث انزل عليهم فنجوا بها من ظلمات الضلال الى نور الايمان وتبدلت مقاعدهم
من طبقات النيران بمصاعد من درجات الجنان والتنكير فيها للتعظيم قل بفضل الله وبرحمته
بانزال القرآن والباء متعلقة بفعل يفسره قوله فبذلك فليفرحوا فان اسم الاشارة
بمنزلة الضمير تقديره بفضل الله وبرحمته فليعتنوا او فليفرحوا وفائدة ذلك التكرير التاكيد
والبيان بعد الاجمال وايجاب اختصاص الفضل والرحمة بالفرح او بفعل دل عليه قد جاءتكم
وذلك اشارة الى مصدره اى فبمجيئها فليفرحوا والفاء الاولى بمعنى الشرط كانه قيل ان
فرحوا بشيء فبهما او للربط بما قبلها والدلالة على ان مجيء الكتاب الجامع بين هذه الصفات
موجب للفرح وتكريرها للتاكيد كقوله واذا هلكت فعند ذلك فاجزعي وعن يعقوب
فلتفرحوا بالتاء على الاصل المرفوض بناء على مذهب الكوفيين وقد روي مرفوعا ويؤيده
انه قرئ فافرحوا هو خير مما يجمعون من حطام الدنيا فانها الى الزوال وهو ضمير ذلك وقرأ
ابن عامر تجمعون على معنى فبذلك فليفرح المؤمنون فهو خير مما تجمعونه ايها المخاطبون
قل ارايتم ما انزل الله لكم من رزق جعل الرزق منزلا لانه مقدر في السماء محصل
باسباب منه وما في موضع النصب بانزل او بارايتم فانه بمعنى اخبروني ولكم دل على ان المراد
منه ما حل ولذلك وبخ على التبعيض فقال فجعلتم منه حراما وحلالا مثل هذه انعام
وحرث حجر وما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا قل آلله اذن لكم
في التحريم والتحليل فتقولون ذلك بحكمه ام على الله تفترون في نسبة ذلك اليه ويجوز
ان يكون المنفصلة متصلة بارايتم وقل مكرر للتاكيد ويجوز ان يكون الاستفهام للانكار

المراد بكونها متصلة التعلق والاتصال اللغوي

وام منقطعة ومعنى الهمزة فيها تقرير لافترائهم على الله وما ظن الذين يفترون
على الله الكذب اى شئ ظنهم يوم القيامة ايحسبون ان لا يجازوا عليه وهو منصوب
بالظن ويدل عليه انه قرئ بلفظ الماضى لانه كائن وفى ابهام الوعيد تهديد عظيم ان الله
لذو فضل على الناس حيث انعم عليهم بالعقل وهداهم بارسال الرسل وانزال
الكتب ولكن اكثرهم لا يشكرون هذه النعمة وما تكون فى شان ولا تكون فى امر واصله
الهمز من شانت شانه اذا قصدت قصده والضمير فى وما تتلوا منه له لان تلاوة
القران معظم شان الرسول ولان القراءة تكون لشان فيكون التقدير من اجله ومفعول
تتلوا من قرآن على ان من تبعيضية او مزيدة لتاكيد النفى او للقران واضماره قبل
الذكر ثم بيانه تفخيم له او لله ولا تعملون من عمل تعميم للخطاب بعد تخصيصه بمن هو
راسهم ~~تعميم للخطاب بعد تخصيصه~~ ولذلك ذكر حيث خص ما فيه فخامة وذكر حيث عم
ما يتناول الجليل والحقير الا كنا عليكم شهودا رقباء مطلعين عليه اذ تفيضون فيه
تخوضون فيه وتندفعون وما يعزب عن ربك ولا يبعد عنه ولا يغيب عن علمه
وقرأ الكسائى بكسر الزاء هنا وفى السباء من مثقال ذرة موازن نملة صغيرة او هباء
فى الارض ولا فى السماء اى فى الوجود والامكان فان العامة لا تعرف ممكنا غيرهما ليس فيهما
ولا متعلقا بهما وتقديم الارض لان الكلام فى حال اهلها والمقصود منه هو البرهان
على احاطة علمه بها ولا اصغر من ذلك ولا اكبر الا فى كتاب مبين كلام برأسه مقرر
لما قبله ولا نافية واصغر اسمها وفى كتاب خبرها وقرأ حمزة ويعقوب بالرفع على الابتداء
والخبر ومن عطف على لفظ مثقال ذرة وجعل الفتح بدل الكسر لامتناع الصرف او على محله
مع الجار جعل الاستثناء منقطعا والمراد بالكتاب اللوح المحفوظ الا ان اولياء الله الذين
يتولونه بالطاعة ويتولاهم بالكرامة لا خوف عليهم من لحوق مكروه ولا هم يحزنون
بفوات مامول والاية كمجمل فسره قوله الذين آمنوا وكانوا يتقون وقيل الذين امنوا وكانوا
يتقون بيان لتوليهم له لهم البشرى فى الحيوة الدنيا وهو ما بشر به المتقين فى كتابه
وعلى لسان نبيه وما يريهم فى الرؤيا الصالحة وما يسنح لهم من المكاشفات وبشرى الملائكة

عند النزع

عند النزع وفى الآخرة بتلقى الملائكة اياهم مسلمين مبشرين بالفوز والكرامة بيان
لتوليه لهم ومحل الذين آمنوا النصب او الرفع على المدح او على وصف الاولياء او على الابتداء
~~بتد~~ وخبره لهم البشرى لا تبديل لكلمات الله لا تغيير لاقواله ولا اخلاف لمواعيده ذلك
اشارة الى كونهم مبشرين فى الدارين لهو الفوز العظيم هذه الجملة والتى قبلها اعتراض لتحقيق
المبشر به وتعظيم شانه وليس من شرطه ان يقع بعده كلام يتصل بما قبله ولا يحزنك قولهم
اشراكهم وتكذيبهم وتهديدهم وقرأ نافع يحزنك من احزنه وكلاهما بمعنى ان العزة
لله جميعا استيناف بمعنى التعليل ويدل عليه القراءة بالفتح كانه قيل لا تحزن بقولهم ولا تبال بهم
لان الغلبة لله جميعا لا يملك غيره شيئا منها فهو يقهرهم فينصرك عليهم هو السميع لاقوالهم
العليم بعزماتهم فيكافيهم عليها الا ان لله من فى السموات ومن فى الارض من الملائكة
والثقلين واذا كان هؤلاء الذين هم اشرف الممكنات عبيدا لا يصلح احد منهم للربوبية
فما لا يعقل منها احق ان لا يكون له ندا وشريكا فهو كالدليل على قوله وما يتبع الذين يدعون
من دون الله شركاء اى شركاء على الحقيقة وان كانوا يسمونها شركاء ويجوز ان يكون
شركاء مفعول يدعون ومفعول يتبع محذوف دل عليه ان يتبعون الا الظن اى ما
يتبعون يقينا وانما يتبعون ظنهم انها شركاء ويجوز ان يكون ما استفهامية منصوبة بيتبع و
موصولة معطوفة على من وقرئ تدعون بالتاء والمعنى واى شئ يتبع الذين تدعونهم شركاء
من الملائكة والنبيين اى انهم لا يتبعون الا الله ولا يعبدون غيره فما لكم لا تتبعونهم
فيه كقوله اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة فيكون الزاما بعد برهان
وما بعده مصروف عن خطابهم لبيان سندهم ومنشاء رأيهم وانهم الا يخرصون
يكذبون فيما ينسبون الى الله او يحزرون ويقدرون انها شركاء تقديرا باطلا هو الذى جعل
لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا تنبيه على كمال قدرته وعظم نعمته المتوحد
هو بهما ليدلهم على تفرده باستحقاق العبادة وانما قال مبصرا ولم يقل لتبصروا فيه
تفرقة بين الظرف المجرد والظرف الذى هو سبب ان فى ذلك لآيات لقوم يسمعون سماع
تدبر واعتبار قالوا اتخذ الله ولدا اى تبناه سبحانه تنزيه له عن التبنى فانه لا يصح الا ممن يتصور له

الولد

وتعجيب من كلامهم الحمقاء هو الغنى علة لتنزهه فان اتخاذ الولد مسبب عن الحاجة
له ما في السموات وما في الارض تقرير لغناه ان عندكم من سلطان بهذا نفى لما عارض
ما اقامه من البرهان مبالغة في تجهيلهم وتحقيق بطلان قولهم وبهذا متعلق بسلطانا
او نعت له اى او بعندكم كائنة قيل ان عندكم في هذا سلطان اتقولون على الله ما لا
تعلمون توبيخ وتقريع على اختلاقهم وجهلهم وفيه دليل على ان كل قول لا دليل عليه فهو
جهالة وان العقايد لا بد لها من قاطع وان التقليد فيها غير سائغ قل ان الذين يفترون
على الله الكذب باتخاذ الولد واضافة الشريك اليه لا يفلحون لا ينجون من النار ويفوزون
بالجنة متاع في الدنيا خبر مبتدا محذوف اى افترائهم متاع في الدنيا يتمتعون به
رياستهم في الكفر او حيوتهم او تقلبهم متاع او مبتدا خبره محذوف اى لهم تمتع في الدنيا
ثم الينا مرجعهم بالموت فنذيقهم العذاب الشديد المؤبد بما كانوا يكفرون بسبب كفرهم واتل عليهم نبأ نوح خبره مع قومه اذ قال لقومه
يا قوم ان كان كبر عليكم عظم عليكم وشق مقامي نفسي كقولك فعلت كذا
لمكان فلان او كوني واقامتي بينكم مدة مديدة او قيامي على الدعوة وتذكيري اياكم
بآيات الله فعلى الله توكلت وثقت به فاجمعوا امركم فاعزموا عليه وشركاءكم
اى مع شركاءكم ويؤيده القراءة بالرفع عطفا على الضمير المتصل وجاز من غير ان يؤكد للفصل
وقيل انه معطوف على امركم بحذف المضاف اى وامر شركائكم وقيل انه منصوب بفعل
محذوف تقديره واد عوا شركاءكم وقد قرئ به وعن نافع فاجمعوا من الجمع والمعنى امرهم
بالعزم والاجماع على قصده والسعي في اهلاكه على اى وجه يمكنهم ثقة بالله وقلة مبالاة
بهم ثم لا يكن امركم في قصدي عليكم غمة مستورا واجعلوه ظاهرا مكشوفا
من غمه اذا ستره او ثم لا يكن حالكم عليكم غما اذا اهلكتموني وتخلصتم عن ثقل مقامي وتذكيري
ثم اقضوا ادوا الي ذلك الامر الذي تريدون به وقرئ ثم افضوا بالفاء اى انتهوا الي بتركم
او ابرزوا الي من افضى اذا خرج الى الفضاء ولا تنظرون ولا تمهلوني فان توليتم اعرضتم عن
تذكيري فما سألتكم من اجر يوجب توليكم لتحمله علي فلم تعرضوا لاجله ان اجري

ان اجري ما ثواب على الدعوة والتذكير الا على الله لا تعلق له بكم يثيبني به ان منتم او تولليتم
وامرت ان اكون من المسلمين المنقادين لحكمه لا اخالف امره ولا ارجو عنه فكذبوه
فاصروا على تكذيبه بعد ما الزمهم الحجة وبين ان توليهم ليس الا لعنادهم وتمردهم
لا لجرم حقت عليهم كلمة العذاب فنجيناه من الغرق ومن معه في الفلك وكانوا ثمانين
وجعلناهم خلائف من الهالكين واغرقنا الذين كذبوا بآياتنا بالطوفان فانظر
كيف كان عاقبة المنذرين تعظيم لما جرى عليهم وتحذير لمن كذب الرسول وتسلية له
ثم بعثنا ارسلنا من بعده من بعد نوح رسلا الى قومهم كل رسول الى قومه فجاؤهم
بالبينات بالمعجزات الواضحة المثبتة لدعواهم فما كانوا ليؤمنوا فما استقام لهم ان
يؤمنوا لشدة شكيمتهم في الكفر وخذلان الله اياهم بما كذبوا به من قبل اى بسبب تعودهم
تكذيب الحق وتمرنهم عليه قبل بعثة الرسل كذلك نطبع على قلوب المعتدين بخذلانهم
بسبب انهماكهم في الضلال واتباع المألوف وفي امثال ذلك دليل على ان الافعال
واقعة بقدرة الله وكسب العبد وقد عرفت تحقيق ذلك ثم بعثنا من بعدهم
من بعد هؤلاء الرسل موسى وهرون الى فرعون وملائه بآياتنا بالآيات التسع
فاستكبروا عن اتباعها وكانوا قوما مجرمين معتادين الاجرام فلذلك تهاونوا بالآية
ربقتهم واجترؤا على ردها فلما جاءهم الحق من عندنا وعرفوه بظاهر المعجزات القاهرة
المزيحة للشك قالوا من فرط تمردهم ان هذا لسحر مبين ظاهر انه سحر او فائق في فنه
واضح فيما بين اخوانه قال موسى اتقولون للحق لما جاءكم انه لسحر فحذف المحكي المقول لدلالة
ما قبله عليه ولا يجوز ان يكون اسحر هذا لانهم بتوا القول بل هو استيناف بانكار ما قالوا
الا ان يكون الاستفهام فيه للتقرير والمحكي مفهوم قولهم ويجوز ان يكون معنى تقولون
للحق تعيبونه من قولهم فلان يخاف القالة كقولهم سمعنا فتى يذكرهم فيستغنى عن
المفعول ولا يفلح الساحرون من تمام كلام موسى للدلالة على انه ليس بسحر فانه لو كان سحرا
لاضمحل ولم يبطل سحر السحرة ولان العالم بانه لا يفلح الساحر لا يسحر او من تمام قولهم ان جعل
اسحر هذا محكيا كانهم قالوا اجئتنا بالسحر تطلب به الفلاح ولا يفلح الساحرون قالوا

محل القول

اى المعنى اتعيبونه وتطعنون فيه وكان عليكم ان تذعنوا له وتعظموه ونظيره فلان يخاف القالة ومن الناس من قال اذا قال بعضهم بعض ما يسوء ويجوز ان يكون الذكر في قوله سمعنا فتى يذكرهم اى يعيبهم

اجئتنا لتلفتنا لتصرفنا والالفت الصرف والخوان عما وجدنا عليه آباءنا من عبادة
الاصنام وتكون لكما الكبرياء في الارض الملك فيها سمي بها لانصاف الملوك بالكبر والتكبر
على الناس باستتباعهم ومانحن لكما بمؤمنين بمصدقين فيما جئتما به وقال فرعون
ائتوني بكل ساحر وقراء حمزة والكسائي بكل سحار عليم حاذق فيه فلما جاء
السحرة قال لهم موسى القوا ما انتم ملقون فلما القوا قال موسى ما جئتم به السحر
اي الذي جئتم به هو السحر لا ما سماه فرعون وقومه سحرا وقرا ابو عمرو آلسحر على ان ما استفهامية
مرفوعة بالابتداء وجئتم به خبرها والسحر بدل منه او خبر مبتدا محذوف تقديره أهو
السحر او مبتدا خبر محذوف اي آلسحر هو ويجوز ان تنصب ما بفعل يفسره ما بعده
تقديره اي شيء اتيتم ان الله سيبطله سيمحقه او سيظهر بطلانه ان الله لا يصلح عمل المفسدين
لا يثبته ولا يقويه وفيه دليل على ان السحر فساد وتمويه لا حقيقة له ويحق الله الحق وفي
بكلماته بأوامره وقضاياه وقرئ بكلمته ولو كره المجرمون ذلك فما آمن لموسى الا
ذرية من قومه الا اولاد من اولاد قومه بني اسرائيل دعاهم فلم يجيبوه خوفا من فرعون
الا طائفة من شبانهم وقيل الضمير لفرعون والذرية طائفة من شبانهم آمنوا به أي
مؤمن آل فرعون وامرأة آسية وخازنه وزوجته ومشاطته على خوف من فرعون
وملائهم اي مع خوف منهم والضمير لفرعون وجمعه على ما هو المعتاد في ضمير العظماء
او على ان المراد بفرعون آله كما يقال ربيعة ومضر او للذرية وللقوم ان يفتنهم ان يعذبهم
فرعون وهو بدل منه او مفعول خوف وافراده بالضمير للدلالة على ان الخوف من الملأ كان
بسببه وان فرعون لعال في الارض لغالب فيها او لمتكبر وانه لمن المسرفين في الكبر والعتو
حتى ادعى الربوبية واسترق اسباط الانبياء وقال موسى لما رأى تخوف المؤمنين به يا قوم
ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا وثقوا به واعتمدوا عليه ان كنتم مسلمين مستسلمين
لقضاء الله مخلصين له وليس هذا من تعليق الحكم بشرطين فان المعلق بالايمان وجوب التوكل
فانه المقتضى له والمشروط بالاسلام خلوصه فانه لا يوجد مع التخليط ونظيره ان دعاك زيد
فأجبه ان قدرت فقالوا على الله توكلنا لانهم كانوا مؤمنين مخلصين ولذلك

سيمحقه

اجيبت

اجيبت دعوتهم ربنا لا تجعلنا فتنة موضع فتنة للقوم الظالمين اي لا تسلطهم
علينا فيفتنوا بنا ونجنا برحمتك من القوم الكافرين من كيدهم وشوم مشاهدتهم وفي
تقديم التوكل على الدعاء تنبيه على ان الداعي ينبغي ان يتوكل اولا ليجاب دعوته واوحينا
الى موسى واخيه ان تبوءا ان اتخذا مصلى وقيل مسجدا متوجها نحو القبلة يعني
الكعبة وكان موسى يصلي اليها واقيموا الصلوة فيها امروا بذلك اول امرهم لئلا
يظهر عليهم الكفرة فيفتنوهم عن دينهم وبشر المؤمنين بالنصرة في الدنيا
والجنة في العقبى وانما ثنى الضمير اولا لان التبوء للقوم واتخاذ المعابد مما يعاطاه
رؤس القوم بتشاور ثم جمع لان جعل البيوت مساجد والصلوة مما ينبغي ان يفعله كل احد
ثم وحد لان البشارة في الاصل وظيفة صاحب الشريعة وقال موسى ربنا انك آتيت
فرعون وملأه زينة ما يتزين به من اللباس والمراكب ونحوها واموالا في الحيوة
الدنيا وانواعا من المال ربنا ليضلوا عن سبيلك دعاء عليهم بلفظ الامر مما علم من رسالة
احوالهم انه لا يكون غيره كقوله لعن الله ابليس وقيل اللام للعاقبة وهي متعلقة
بآتيت ويحتمل ان يكون للعلة لان ايتاء النعم على الكفر استدراج وتثبيت على الضلال
ولانهم لما جعلوها سببا في الضلال فكأنهم اوتوها ليضلوا فيكون ربنا تكريرا للاول تأكيدا
وتنبيها على ان المقصود عرض ضلالهم وكفرانهم تقدمة لقوله ربنا اطمس على اموالهم
اهلكها والطمس المحق واشدد على قلوبهم اي اقسها واطبع عليها حتى لا تنشرح للايمان فلا
يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم جواب للدعاء او دعاء بلفظ النهي او عطف على ليضلوا وبينهما
دعاء معترض قال قد اجيبت دعوتكما يعني موسى وهرون لانه كان يؤمن فاستقيما
ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون طريق الجهلة في الاستعجال وعدم الوثوق والاطمئنان
بوعد الله وعن ابن عامر برواية ابن ذكوان ولا تتبعان بالنون الخفيفة وكسرها لالتقاء
الساكنين ولا تتبعان من تبع ولا تتبعان ايضا وجاوزنا ببني اسرائيل البحر اي جوزناهم
في البحر حتى لحقوا الشط حافظين لهم وقرئ جوزنا وهو من فعل المرادف لفاعل كضعف وضاعف
فاتبعهم فادركهم يقال تبعته حتى اتبعته فرعون وجنوده بغيا وعدوا بغيين

مباءة لقوم كما بمصر بيوتا
يسكنون فيها او يرجعون اليها
للعبادة وجعلوا انتما وقومكما
بيوتكم تلك البيوت قبلة ص

دعي

وقرئ اطمس بالضم ص

فاثبتا على ما انتما عليه من الدعوة
والزام الحجة ولا تستعجلا فان
ما طلبتما كائن ولكن في وقته
وروي انه مكث فيهم بعد
الدعاء ٤٠ سنة ص

وعادين وللبغى والعدو وقرئ وعدوا حتى اذا ادركه الغرق لحقه قال آمنت انه
اى بانه لا اله الا الذى آمنت به بنو اسرائيل وانا من المسلمين وقرأ حمزة والكسائى
انه بالكسر على اضمار القول او الاستيناف بدلا وتفسيرا لآمنت فكيف عن الايمان او القبول
وبالغ فيه حين لا يقبل الآن انوء من الآن وقد ايست من نفسك ولم يبق لك اختيار وقد
عصيت قبل قبل ذلك مدة عمرك وكنت من المفسدين الضالين المضلين عن الايمان
فاليوم ننجيك نبعدك مما وقع فيه قومك من قعر البحر ونجعلك طافيا او نلقيك على نجوة
من الارض ليراك بنو اسرائيل وقرأ يعقوب ننجيك من النجى وقرئ بالحاء اى نلقيك بناحية
الساحل ببدنك فى موضع الحال اى بيدنك عاريا عن الروح او كاملا سويا او عريانا
من غير لباس وبدرعك وكانت له درع من الذهب يعرف بها وقرئ ببابدانك اى باجزاء
البدن كلها كقولهم هوى باجرامها وبدروعك كانه كان مظاهرا بينهما لتكون لمن خلفك
آية لمن وراءك علامة وهم بنو اسرائيل اذ كان فى نفوسهم من عظمته ما حتيل اليهم انه لا
يهلك حتى كذبوا موسى عليه السلم حين اخبرهم بغرقه الى ان عاينوه مطرحا على نز سهم
من الساحل او لمن بعدك من القرون اذا سمعوا ما نال كفرك ممن شاهدك غيرة ونكالا
عن الطغيان او حجة تدلهم على ان الانسان على ما كان عليه من عظم الشان وكبرياء الملك
مملوك مقهور بعيد عن مظان الربوبية وقرئ لمن خلقك اى لمن لقك آية كسائر الآيات
فان افراده اياك بالالقاء الى الساحل دليل على انه تعدمته كشف تزويرك واماطة
الشبهة فى امرك وذلك دليل على كمال قدرته وعلمه وارادته وهذا الوجه ايضا محتمل على المشهور
وان كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون لا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها ولقد بوأنا
انزلنا بنى اسرائيل مبوأ صدق منزلا صالحا مرضيا وهو الشام ومصر ورزقناهم
من الطيبات من اللذائذ فما اختلفوا حتى جاءهم العلم فما اختلفوا فى امر دينهم الا
من بعد ما قرأوا التوراة وعلموا احكامها او فى امر محمد عليه السلم الا من بعد ما علموا
صدقه بنعوته وتظاهر معجزاته ان ربك يقضى بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون
فيميز المحق عن المبطل بالاثابة والاهلاك فان كنت فى شك مما انزلنا اليك فاسئل الذين

من القصص على سبيل الفرض والتقدير

يقرأون

يقرأون الكتاب من قبلك فانه محقق عندهم ثابت فى كتبهم على نحو ما القينا اليك
والمراد تحقيق ذلك والاستشهاد بما فى الكتب المتقدمة وان القرآن مصدق لما فيها
او وصف اهل الكتاب بالتوسع فى العلم بصحة ما انزل اليه او تهييج الرسول وزيادة
تثبيته لا امكان وقوع الشك له ولذلك قال عليه السلم لا اشك ولا اسأل وقيل الخطاب
للنبى والمراد امته او لكل من يسمع اى ان كنت ايها السامع فى شك مما انزلنا على لسان
نبينا اليك وفيه تنبيه على ان من خالجته شبهة فى الدين ينبغى ان يسارع الى
حلها بالرجوع الى اهل العلم لقد جاءك الحق من ربك واضحا انه لا مدخل للريبة فيه بالآيات
بنت القاطعة فلا تكونن من الممترين بالتزلزل عما انت عليه من الجزم واليقين
ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله فتكون من الخاسرين ايضا من باب التهييج والتثبيت
وقطع الاطماع عنه كقوله تعالى فلا تكونن ظهيرا للكافرين ان الذين حقت عليهم
ثبتت عليهم كلمة ربك بانهم يموتون على الكفر ويخلدون فى العذاب لا يؤمنون
فان السبب الاصلى لايمانهم وهو تعلق ارادة الله به مفقود حتى يروا العذاب الاليم
وحينئذ لا ينفعهم كما لم ينفع فرعون فلولا كانت قرية آمنت فهلا كانت قرية
من القرى التى اهلكناها آمنت قبل معاينة العذاب ولم تؤخر اليها كما اخر فرعون
فنفعها ايمانها بان يقبله الله منها ويكشف العذاب عنها الا قوم يونس لكن قوم
يونس لما آمنوا اول ما رأوا امارة العذاب ولم يؤخروه الى حلوله كشفنا عنهم
عذاب الخزى فى الحيوة الدنيا ويجوز ان تكون الجملة فى معنى النفى لتضمن حرف التخضيض
معناه فيكون الاستثناء متصلا لان المراد من القرى اهلها كانه قال فما آمنت اهل
قرية من القرى العاصية فينفعهم ايمانهم الا قوم يونس ويؤيده قراءة الرفع على البدل
ومتعناهم الى حين الى آجالهم روى ان يونس عليه السلم بعث على رأس ثلثين من موته
فكذبوه واصروا عليه فوعدهم بالعذاب الى ثلث وقيل اربعين فلما دنا الموعد
اغامت السماء غيما اسود ذا دخان شديد فهبط حتى غشى مدينتهم فهابوا فطلبوا
يونس فلم يجدوه فايقنوا صدقه فلبسوا المسوح وبرزوا الى الصعيد بانفسهم ونساءهم

وصبيانهم ودوابهم وفرقوا بين كل والدة وولدها فحن بعضها الى بعض وعلت الاصوات
والعجيج واخلصوا التوبة واظهروا الايمان وتضرعوا الى الله فرحمهم وكشف عنهم
وكان يوم عاشوراء يوم الجمعة **ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم** بحيث لا يشذ
منهم احد **جميعا** مجتمعين على الايمان لا يختلفون فيه وهو دليل على القدرة فانه
تعالى لم يشاء ايمانهم اجمعين وان من شاء ايمانه يؤمن لا محالة والتقييد بمشيته
الالجاء خلاف الظاهر **افانت تكره الناس** بالم يشأ الله منهم **حتى يكونوا مؤمنين**
وترتيب الاكراه على المشيّة بالفاء وايلائها حرف الاستفهام للانكار وتقديم الضمير
على الفعل للدلالة على ان خلاف المشيّة مستحيل فلا يمكن تحصيله بالاكراه عليه فضلا
عن الحث والتحريض عليه اذ روى انه كان حريصا على ايمان قومه شديد الاهتمام به
فنزلت لذلك قرره بقوله **وما كان لنفس ان تؤمن بالله الا باذن الله** الا بارادته
واطلاقه وتوفيقه فلا تجهد نفسك في هداها فانه الى الله **ويجعل الرجس** العذاب
او الخذلان فانه سببه وقرئ بالنون وقراءة ابي بكر ويجعل بالنون **على الذين لا يعقلون**
لا يستعملون عقولهم بالنظر في الحجج والآيات او لا يعقلون دلائله واحكامه لما على قلوبهم
من الطبع ويؤيد الاول قوله **قل انظروا** اي تفكروا **ماذا في السموات والارض** من عجائب
صنعه لتدلكم على وحدته وكمال قدرته وماذا ان جعلت استفهامية علقت انظروا عن العمل
وما تغني الآيات والنذر عن قوم **لا يؤمنون** في علم الله وحكمه وما نافية او استفهامية
في موضع النصب بتغني **فهل ينتظرون** بعد **الا مثل ايام الذين خلوا من قبلهم** مثل وقايعهم
ونزول بأس الله بهم اذ لا يستحقون غيره من قولهم ايام العرب لوقايعها **قل فانتظروا**
اني معكم من المنتظرين لذلك او فانتظروا هلاكي اني معكم من المنتظرين هلاككم
ثم ننجي رسلنا والذين آمنوا عطف على محذوف دل عليه الاستقبال ايام الذين خلوا
كأنه قيل نهلك الامم ثم ننجي رسلنا على حكاية الحال الماضية **كذلك حقا علينا ننجي**
المؤمنين كذلك الانجاء انجاء او انجاء كذلك ننجي محمدا وصحبه حين نهلك المشركين وحقا علينا
اعتراض ونصبه بفعله المقدر وقيل بدل من كذلك **قل يا ايها الناس** خطاب لاهل

ان كنتم في شك من ديني وصحته **فلا اعبد الذين تعبدون من دون**
الله ولكن اعبد الله الذي يتوفيكم فهذا خلاصة ديني اعتقادا وعملا
فاعرضوها على العقل الصرف وانظروا فيها بعين الانصاف لتعلموا صحتها
وهو اني لا اعبد ما تخلقونه وتعبدونه ولكن اعبد خالقكم الذي هو يوجدكم
ويتوفيكم وانما خص التوفي بالذكر للتهديد **وامرت ان اكون من المؤمنين**
بما دل عليه العقل ونطق به الوحي وحذف الجار من ان يجوز ان يكون من المطرد
مع ان وان وان يكون من غير كقوله امرتك الخير فعل ما امرت به فقد تركتك
ذا مال وذا نشب **وان اقم وجهك للدين** عطف على ان اكون غير ان الكون غير
صلة ان محكية بصيغة الامر ولا فرق بينهما في الغرض لان المقصود وصلها بما يتضمن معنى
المصدر ليتدل معه عليه وصيغ الافعال كلها كذلك سواء الخبر منها والطلب والمعنى
وامرت بالاستقامة في الدين والاستبداد فيه باداء الفرايض والانتهاء عن القبايح
او في الصلوة باستقبال القبلة **حنيفا** حال من الدين او الوجه **ولا تكونن من المشركين**
ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك **ولا يضرك** بنفسه ان دعوته او خذلته **فان فعلت**
فان دعوته **فانك اذا من الظالمين** جزاء للشرط وجواب لسؤال مقدر عن تبعة
الدعاء **وان يمسسك الله بضر** وان يصبك به **فلا كاشف له** يرفعه **الا هو** الا الله
وان يردك بخير فلا راد فلا دافع **لفضله** الذي اراد به ولعل ذكر الارادة مع الخير
والمس مع الضر مع تلازم الامرين للتنبيه على ان الخير مراد بالذات وان الضر انما
مسهم لا بالقصد الاول ووضع الفضل موضع الضمير للدلالة على انه متفضل بما يريد بهم
من الخير لا استحقاق لهم عليه ولم يستثن لان مراد الله لا يمكن رده **يصيب به**
من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم فتعرضوا لرحمته ولا تيأسوا
عن غفرانه بالمعصية **قل يا ايها الناس قد جاءكم الحق من ربكم** رسوله او القرآن
ولم يبق لكم عذر **فمن اهتدى** بالايمان والمتابعة **فانما يهتدي لنفسه** لان نفعه
لها **ومن ضل** بالكفر بهما **فانما يضل عليها** لان وبال الضلال عليها **وما انا عليكم**

العج رفع الصوت في غاثة وقد غج غجا وعجيجا

ص حيث لا يكون الكشف بان الاكراه ممتنع

ص مستدرك

ص ومن آمن بهم

ص بعد

بوكيل بحفيظ موكول الى امركم وانما انا بشير ونذير واتبع ما يوحى اليك بالامتثال
والتبليغ واصبر على دعوتهم وتحمل اذيتهم حتى يحكم الله بالنصرة او بالامر بالقتال
وهو خير الحاكمين اذ لا يمكن الخطاء في حكمه لاطلاعه على السرائر اطلاعه على الظواهر
عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة يونس اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد
من صدق بيونس وكذب به وبعدد من غرق مع فرعون سورة هود مكية وهي
مائة وثلث وعشرون آية بسم الله الرحمن الرحيم
الر كتاب مبتداء وخبر او كتاب خبر مبتدا محذوف احكمت آياته نظمت نظما محكما لا
يعتريه اختلال من جهة اللفظ والمعنى او منعت من الفساد والنسخ فان المراد آيات
السورة وليس فيها منسوخ او احكمت بالحجج والدلائل او جعلت حكيمة منقولة من حكم بالضم
اذا صار حكيما لانها مشتملة على امهات الحكم النظرية والعملية ثم فصلت بالفوايد من العقائد
والاحكام والمواعظ والاخبار او بجعلها سورا او بالانزال نجما او فصل فيها ولخص نجما
ما يحتاج اليه وقرئ ثم فصلت اي فرقت بين الحق والباطل واحكمت آياته ثم فصلت
على البناء للمتكلم وثم للتفاوت في الحكم او للتراخي في الاخبار من لدن حكيم خبير صفة
اخرى لكتاب او خبر بعد خبر او صلة لاحكمت او فصلت وهو تقرير لاحكامها وتفصيلها
على اكمل ما ينبغي باعتبار ما ظهر امره وما خفي ان لا تعبدوا الا الله لان لا تعبدوا وقيل
ان مفسرة لان في تفصيل الآيات معنى القول ويجوز ان يكون كلاما مبتدا للاغراء
على التوحيد او الامر بالتبري عن عبادة الغير كانه قيل ترك عبادة غير الله بمعنى الزموه
او اتركوها تركا انني لكم منه نذير وبشير بالعقاب على الشرك والثواب على التوحيد
وان استغفروا ربكم عطف على ان لا تعبدوا ثم توبوا اليه ثم توصلوا الى مطلوبكم
بالتوبة فان المعرض عن طريق الحق لا بد له من رجوع وقيل استغفروا من الشرك ثم
توبوا اليه الله بالطاعة ويجوز ان يكون ثم لتفاوت ما بين الامرين يمتعكم متاعا حسنا
يعيشكم في امن ودعة الى اجل مسمى هو آخر اعماركم المقدرة او لا يهلككم بعذاب
الاستيصال والارزاق والآجال وان كانت متعلقة بالاعمال لكنها مسماة بالاضافة
معلقة

الى كل

الى كل واحد فلا تتغير ويؤت كل ذي فضل فضله ويعط كل ذي فضل في دينه جزاء فضله
في الدنيا والآخرة وهو وعد للموحد التائب بخير الدارين وان تولوا وان تتولوا
فاني اخاف عليكم عذاب يوم كبير يوم القيامة وقيل يوم الشدايد وقد
ابتلوا بالقحط حتى اكلوا الجيف وقرئ وان تولوا من ولى الى الله مرجعكم رجوعكم
في ذلك اليوم وهو شاذ عن القياس وهو على كل شيء قدير فيقدر على تعذيبهم
اشد عذاب وكانه تقرير لكبر اليوم الا انهم يثنون صدورهم يثنونها عن الحق
وينحرفون عنه او يعطفونها على الكفر وعداوة النبي عليه السلم او يولون ظهورهم
وقرئ تثنوني بالتاء والياء من اثنوني وهو بناء المبالغة وتثنون واصله
تثنونن من الثن وهو الكلاء الضعيف اراد به ضعف قلوبهم او مطاوعة صدورهم
للثني وتثنئن من اثنئن كابياض بالهمز ليستخفوا منه من الله بسرهم فلا
يطلع رسوله والمؤمنين عليه قيل انها نزلت في طائفة من المشركين قالوا اذا ارخينا
ستورنا واستغشينا ثيابنا وطوينا صدورنا على عداوة محمد كيف يعلم وقيل نزلت
في المنافقين وفيه نظر اذ الآية مكية والنفاق حدث بالمدينة الا حين يستغشون
ثيابهم الا حين يأوون الى فراشهم ويتغطون بثيابهم يعلم ما يسرون
في قلوبهم وما يعلنون بافواههم يستوي في علمه سرهم وعلنهم فكيف يخفى
عليه ما عسى يظهرونه انه عليم بذات الصدور بالاسرار ذات الصدور او بالقلوب
واحوالها وما من دابة في الارض الا على الله رزقها غذاؤها ومعاشها لتكفله
اياه تفضلا ورحمة وانما اتى بلفظ الوجوب تحقيقا لوصوله وحملا على التوكل فيه ويعلم
مستقرها ومستودعها اماكنها في الحيوة والمماة او الاصلاب والارحام او مساكنها
من الارض حين وجدت بالفعل ومودعها من المواد والمقار حين كانت بعد بالقوة
كل كل واحد من الدواب واحوالها في كتاب مبين مذكور في اللوح المحفوظ وكانه
اريد بالآية الاولى بيان كونه عالما بالمعلومات كلها وبما بعدها كونه قادرا على الممكنات باسرها
تقريرا للتوحيد ولما سبق من الوعد والوعيد وهو الذي خلق السموات والارض

في ستة ايام اى خلقهما وما فيهما كما مر بيانه في الاعراف وما في جهتى العلو والسفل
وجمع السموات دون الارض لاختلاف العلويات بالاصل والذات دون السفليات
وكان عرشه على الماء قبل خلقهما لم يكن حائل بينهما لانه كان موضوعا على متن الماء
واستدل به على امكان الخلاء وان الماء اول ما حادث بعد العرش من اجرام هذا العالم
وقيل كان الماء على متن الريح والله اعلم بذلك ليبلوكم ايكم احسن عملا متعلق
بخلق اى خلق ذلك كله لغرض من خلق ليعاملكم معاملة المبتلى لاحوالكم كيف تعملون فان جملة
ذلك اسباب ومواد لوجودكم ومعاشكم وما يحتاج اليه وددلائل وامارات تستدلون اعمالكم
بها وتستنبطون منها وانما جاز تعليق فعل البلوى بما فيه من معنى العلم من حيث انه
طريق اليه كالنظر والاستماع وانما ذكر صيغة المفضل والاختبار الشامل لفرق المكلفين
باعتبار الحسن والقبيح للتحريض على احاسن المحاسن والتحضيض على الترقي دائما
في مراتب العلم والعمل فان المراد بالعمل ما يعم عمل القلب والجوارح ولذلك قال النبي
عليه السلام ايكم احسن عقلا واورع عن محارم الله واسرع في طاعة الله والمعنى ايكم
اكمل عملا وعلما ولئن قلت انكم مبعوثون من بعد الموت ليقولن الذين كفروا
ان هذا الا سحر مبين اى ما البعث او المقول به او القرآن المتضمن لذكره الا كالسحر
في الخديعة والبطلان وقرأ حمزة والكسائي الا ساحر على ان الاشارة الى القائل
وقرئ انكم بالفتح على تضمن قلت معنى ذكرت او ان يكون ان بمعنى لعل اى ولئن قلت
عليكم مبعوثون بمعنى توقعوا بعثكم ولا تبتوا بامكانه لعتوهم من قبل اما لاحقيقة
له مبالغة في انكاره ولئن اخرنا عنهم العذاب الموعود الى امة معدودة
الى جماعة من الاوقات قليلة ليقولن استهزاء ما يحبسه ما يمنعه من الوقوع
الا يوم ياتيهم كيوم بدر ليس مصروفا عنهم ليس العذاب مدفوعا عنهم
ويوم منصوب بخبر ليس مقدم عليه وهو دليل على جواز تقديم خبرها عليها
وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن اى العذاب الذي كانوا به يستعجلون فوضع
موضع يستعجلون لان استعجالهم كان استهزاء ولئن اذقنا الانسان منا رحمة

واحاط بهم وضع الماضي موضع المستقبل تحقيقا ومبالغة في التهديد

ولئن

ولئن اعطيناه نعمة تحيث تجد لذتها ثم نزعناها منه ثم سلبناه تلك النعمة منه
انه ليؤس قطوع رجاء من فضل الله لقلة صبره وعدم ثقته به كفور مبالغ في كفران
ما سلف له من النعمة ولئن اذقناه نعماء بعد ضراء مسته كصحة بعد سقم وغنى
بعد عدم وفي اختلاف الفعلين نكتة لا تخفى ليقولن ذهب السيئات عني اى المصائب
التي ساءتني انه لفرح بطر بالنعم مغتر بها فخور على الناس مشغول عن الشكر والقيام
بحقها وفي لفظ الاذاقة والمس تنبيه على ان ما يجده الانسان في الدنيا من النعم
والمحن كالانموذج لما يجده في الاخرة وانه يقع في الكفران والبطر باد نى شيء كان الذوق
ادراك الطعم والمس مبداء الوصول الا الذين صبروا على الضراء ايمانا بالله وتسليما لقضائه
وعملوا الصالحات شكرا لآلائه سابقها ولاحقها اولئك لهم مغفرة لذنوبهم
واجر كبير الجنة والاستثناء من الانسان لان المراد به الجنس فاذا كان محلى باللام
افاد الاستغراق ومن حمله على الكافر ليستقيم ذكر مع جعل الاستثناء منقطعا فلعلك تارك
بعض ما يوحى اليك تترك تبليغ بعض ما يوحى اليك ومما يخالف راى المشركين مخافة رد هم
واستهزائهم به ولا يلزم من توقع النبي لوجود ما يدعو اليه وقوعه لجواز ان يكون ما يصرف
عنه وهو عصمة الرسل عن الخيانة في الوحي والتقية في التبليغ ههنا وضائق به صدرك ما يغمه
وعارض للحيا ناضيق صدره بان تتلوه عليهم مخافة ان يقولوا لولا انزل عليه كنز
ينفقه في الاستتباع او جاء معه ملك يصدقه وقيل الضمير في به مبهم يفسره
ان يقولوا انما انت نذير ليس عليك الا الانذار بما اوحي اليك ولا عليك ردوا او اقترحوا
فما بالك يضيق به صدرك والله على كل شيء وكيل فتوكل عليه فانه عالم
بحالهم وفاعل بهم جزاء اقوالهم وافعالهم ام يقولون افتراه ام منقطعة والهاء
لما يوحى قل فاتوا بعشر سور مثله في البيان وحسن النظم تحدام اولا بعشر سور
ثم لما عجزوا عنها استهل الامر عليهم وتحداهم بسورة وتوحيد المثل باعتبار كل واحد
مفتريات مختلقات من عند انفسكم ان صح اني اختلقته من عند نفسي فانكم عرب
فصحاء مثلي تقدرون على مثل ما اقدر عليه بل انتم اقدر لتعلمكم القصص والاشعار والاخبار

295

وتعودكم القريض والنظم وادعوا من استطعتم من دون الله الى المعاونة على
المعارضة ان كنتم صادقين انه مفترى فان لم يستجيبوا لكم باتيان ما دعوتم اليه
وجمع الضمير اما لتعظيم الرسول او لان المؤمنين كانوا ايضا يتحدونهم وكان امر الرسول
متناولا لهم من حيث انه يجب اتباعه عليهم في كل امر الا ما خصه الدليل وللتنبيه
على ان التحدي مما يوجب رسوخ ايمانهم وقوة يقينهم فلا يغفلون عنه ولذلك رتب
عليه قوله فاعلموا انما انزل بعلم الله ملتبسا بما لا يعلمه الا الله ولا يقدر عليه سواه وان
لا اله الا هو واعلموا ان لا اله الا الله لانه العالم القادر بما لا يعلم ولا يقدر عليه
غيره ولظهور عجز آلهتهم ولتنصيص هذا الكلام الثابت صدقه بالاعجاز عليه
وفيه تهديد واقناط من ان يجيبهم من يأمر الله آلهتهم فهل انتم مسلمون ثابتون
على الاسلام راسخون مخلصون فيه اذا تحقق عندكم اعجاز مطلقا ويجوز ان يكون الكل
خطابا للمشركين والضمير لم يستجيبوا لمن استطعتم اي فان يستجيبوا لكم الى ما طلبتم من
لعجزهم وقد عرفتم من انفسكم القصور عن المعارضة فاعلموا انه نظم لا يعلمه الا الله
وانه منزل من عنده وانما دعاكم اليه من التوحيد حق فهل انتم داخلون في الاسلام
بعد قيام الحجة القاطعة وفي مثل هذا الاستفهام الجاب لما فيه من معنى الطلب
والتنبيه على قيام الموجب وزوال العذر من كان يريد الحيوة الدنيا وزينتها
باحسانه وبر به نوف اليهم اعمالهم فيها نوصل اليهم جزاء اعمالهم في الدنيا
من الصحة والرياسة وسعة الرزق وكثرة الاولاد وقرئ يوف بالياء اي يوفي الله
ووفى على البناء للمفعول ونوفي بالتخفيف والرفع لان الشرط ماض كقوله وان اتاه
كريم يوم مسغبة يقول لا غائب مالي ولا حرم وهم فيها لا يبخسون لا ينقصون
شيئا من اجورهم والآية في اهل الرياء وقيل في المنافقين وقيل في الكفرة وبرهم
اولئك الذين ليس لهم في الاخرة الا النار مطلقا في مقابلة ما عملوا لانهم
استوفوا ما يقتضيه صور اعمالهم وبقيت لهم اوزار العزائم السيئة وحبط
ما صنعوا فيها لانه لم يبق لهم ثواب في الاخرة اولم يكن لانهم لم يريدوا به وجه الله والعمدة

لا يعلم

الحسنة

في اقتضاء ثوابها هو الاخلاص ويجوز تعليق الظرف بصنعوا على ان الضمير للدنيا وباطل
في نفسه ما كانوا يعملون لانه لم يعمل على ما ينبغي وبكان كل واحدة من الجملتين
علة لما قبلها وقرئ باطلا على انه مفعول يعملون وما ابهامية او في معنى المصدر
كقوله ولا خارجا من في زور كلام وبطل على الفعل افمن كان على بينة من ربه
برهان من الله يدله على الحق والصواب فيما يأتيه ويذره والهمزة لانكار ان يعقب
من هذا شأنه هؤلاء المقصرين همتهم واقتارهم على الدنيا وان يقارب بينهم وبين المنزلة
وهو الذي اغنى عن ذكر الخبر وتقديره افمن كان على بينة كمن كان يريد الحيوة الدنيا
وهو حكم يعم كل مؤمن مخلص وقيل المراد به النبي ﷺ وقيل مؤمنو اهل الكتاب ويتلوه
ويتبع ذلك البرهان الذي هو دليل العقل شاهد منه شاهد من الله ينهد لصحته
وهو القرآن ومن قبله ومن قبل القرآن كتاب موسى يعني التوراة فانها
ايضا تتلو في التصديق والبينة هو القرآن ويتلوه من التلاوة والشاهد جبريل
او لسان الرسول على ان الضمير له او من التلو والشاهد ملك يحفظه والضمير في يتلوه
اما لمن او للبينة باعتبار المعنى ومن قبله كتاب موسى جملة مبتدأة وقرئ
كتاب بالنصب عطفا على الضمير في يتلوه اي يتلوا القرآن شاهد ممن كان على بينة دالة
على انه حق كقوله وشهد شاهد من بني اسرائيل ويقرأ من قبل القرآن التوراة امامًا
كتابا مؤتما به في الدين ورحمة على المنزل عليهم لانه الوصلة الى الفوز بخيرا الدارين
اولئك اشارة الى من كان على بينة يؤمنون به بالقرآن ومن يكفر به من الاحزاب
من اهل مكة ومن تحزب معهم على رسول الله صلعم فالنار موعده يردها
لا محالة فلا تك في مرية منه من الموعد او القرآن وقرئ مرية بالضم وهو الشك
انه الحق من ربك ولكن اكثر الناس لا يؤمنون لقلة تدبرهم واختلال فكرهم
ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا كان اسند اليه ما لم ينزل او نفى عنه ما انزل
اولئك يعرضون على ربهم في الموقف بان يحبسوا ويعرض اعمالهم ويقول
الاشهاد من الملائكة والنبيين او من جوارحهم وهو جمع شاهد كاصحاب او شهيد

في اقتصار

كاشراف هؤلاء الذين كذبوا على ربهم الا لعنة الله على الظالمين تهويل عظيم
متاخيق بهم حينئذ لظلمهم بالكذب على الله الذين يصدون عن سبيل الله عن دينه
ويبغونها عوجا ويصفونها بالانحراف عن الحق والصواب او يبغون اهلها ان يعوجوا
بالردة وهم بالاخرة هم كافرون والحال انهم كافرون بالآخرة وتكريرهم لتاكيد
كفرهم واختصاصهم به اولئك لم يكونوا معجزين فى الارض اى ما كانوا معجزين الله
فى الدنيا ان يعاقبهم وما كان لهم من دون الله من اولياء يمنعونهم من العقاب
ولكنه اخر عقابهم الى هذا اليوم ليكون اشد وادوم يضاعف لهم العذاب
استيناف وقراءة ابن كثير وابن عامر ويعقوب يضعف بالتشديد ما كانوا يستطيعون
السمع لتصامهم عن الحق وبغضهم له وما كانوا يبصرون لتعاميهم عن آيات الله
وكانه العلة لمضاعفة العذاب وقيل هو بيان ما نفاه من ولاية الآلهة بقوله
وما كان لهم من دون الله من اولياء فان ما لا يسمع ولا يبصر لا يصلح للولاية وقوله يضاعف
لهم العذاب اعتراض اولئك الذين خسروا انفسهم باشتراء عبادة الآلهة
بعبادة الله وضل عنهم ما كانوا يفترون من الآلهة وشفاعتها او خسروا عما
بذلوا وضاع عنهم ما حصلوا فلم يبق معهم سوى الحسرة والندامة لا جرم انهم
فى الآخرة هم الاخسرون لا احد ابين واكثر خسرانا منهم ان الذين آمنوا
وعملوا الصالحات واخبتوا الى ربهم اطمانوا اليه وخشعوا له من الخبت
وهى الارض المطمئنة اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون مثل الفريقين
الكافر والمؤمن كالاعمى والاصم والبصير والسميع يجوز ان يراد به تشبيه الكافر
بالاعمى لتعاميه عن آيات الله وبالاصم لتصامه عن استماع كلام الله تعالى
وتابيه عن تدبر معانيه وتشبيه المؤمن بالسميع والبصير لان امره بالضد
فيكون كل منهما مشتبها باثنين باعتبار وصفين او تشبيه الكافر بالجامع بين العمى
والصمم والمؤمن بالجامع بين ضديهما والعاطف لعطف الصفة على الصفة
كقوله الصانع الغانم فالآيب وهذا من باب اللف والطباق هل يستويان

هل يستوى

هل يستويان الفريقان مثلا تمثيلا او صفة وحالا افلا تذكرون بضرب الامثال
والتامل فيها ولقد ارسلنا نوحا الى قومه انى لكم بانى لكم وقراءة نافع وعاصم
وابن عامر وحمزة بالكسر على ارادة القول نذير مبين ابين لكم موجبات العذاب
ووجه الخلاص ان لا تعبدوا الا الله بدل من انى لكم او مفعول مبين ويجوز ان
يكون ان مفسرة متعلقة بارسلنا او بنذير انى اخاف عليكم عذاب يوم اليم
مؤلم وهو فى الحقيقة صفة المعذب لكن يوصف به العذاب وزمانه على طريقة
جد جده ونهاره صائم للمبالغة فقال الملاء الذين كفروا من قومه ما نريك
الا بشرا مثلنا لا مزية لك علينا تخصك بالنبوة ووجوب الطاعة وما نريك
اتبعك الا الذين هم اراذلنا اخساءنا جمع ارذل فانه بالغلبة صار مثل الاسم
كالاكبر والاصاغر جمع رذل بادى الراى ظاهر الراى من غير تعمق من البدو او من
الراى من البداء والياء مبدلة من الهمزة لانكسار ما قبلها وقراءة ابو عمرو بالهمز
وانتصابه بالظرف على حذف المضاف اى وقت حدوث بادى الراى والعامل فيه
اتبعك وانما استرذلوهم لذلك او لفقرهم فانهم لما لم يعلموا الا ظاهرا من الحيوة
كان الاحظ بها اشرف عندهم والمحروم منها ارذل وما نرى لكم لك ولمتبعيك
علينا من فضل يؤهلكم للنبوة واستحقاق المتابعة بل نظنكم كاذبين
فى دعوى النبوة وايانكم فى دعوى العلم بصدقك فغلب المخاطب على الغائبين
قال يا قوم ارايتم اخبرونى ان كنت على بينة من ربى حجة شاهدة بصحة
دعواى وآتانى رحمة من عنده بايتاء البينة او النبوة فعميت عليكم
فخفيت عليكم فلم تهتدوا وتوحيد الضمير لان البينة فى نفسها هى الرحمة او لان
خفاءها يوجب خفاء النبوة او على تقدير فعميت علينا بعد البينة وحذفها
للاختصار او لانه للكل او احد منهما وقراءة حمزة والكسائى وحفص فعميت اى
اخفيت وقرئ فعماها على ان الفعل لله انلزمكموها انكرهكم على الاهتداء بها
وانتم لها كارهون لا تختارونها ولا تنساقون فيها وحيث اجتمع ضميران والاول

الدنيا

اذلنا

نرى

احدهما مرفوعا وقدم الاعرف منهما جاز في الثاني الفصل والوصل ويا قوم
لا اسألكم عليه على التبليغ وهو وان لم يذكر فمعلوم مما ذكر مالا جعلا ان اجري
الا على الله فانه المأمول منه وما انا بطارد الذين آمنوا جواب لهم حين سألوا
طردهم انهم ملاقو ربهم فيخاصمون طاردهم عند او انهم يلاقونه
ويفوزون بقربه فكيف اطردهم او باقدارهم او في التماس طردهم او تتسفهون عليهم بان تدعوهم اراذل ويا قوم
من ينصرني من الله بدفع انتقامه ان طردتهم وهم بتلك الصفة والمثابة
افلا تذكرون لتعرفوا ان التماس طردهم وتوقيف الايمان عليه ليس بصواب ولا
اقول لكم عندي خزائن الله رزقا واموالا حتى تجحدتم فضلي ولا اعلم خزائن ج
الغيب عطف على عندي خزائن الله اي ولا اقول لكم انا اعلم الغيب حتى تكذبوني
استبعادا او عمى علم ان هؤلاء اتبعوني بادي الرأي من غير بصيرة وعقد قلب
وعلى الثاني يجوز عطفه على اقول ولا اقول اني ملك حتى تقولوا ما انت الا بشر
مثلنا ولا اقول للذين تزدري اعينكم ولا اقول في شأن من استرذلتموهم لفقرهم
لن يؤتيهم الله خيرا فان ما اعد الله لهم في الآخرة خير مما آتيكم في الدنيا
الله اعلم بما في انفسهم اني اذا لمن الظالمين ان قلت شيئا من ذلك والازدراء
افتعال من زرى اذا عابه قلبت تاءه دالا لتجانس الزاي في الجهر واسناده الى
الاعين للمبالغة والتنبيه على انهم استرذلوهم بادي الرؤية من غير روية
وبما عاينوا من رثاثة حالهم وقلة منالهم دون تأمل في معانيهم وكمالاتهم
قالوا يا نوح قد جادلتنا خاصمتنا فاكثرت جدالنا فاطلته او فأتيت بانواع واتيت
فأتنا بما تعدنا من العذاب ان كنت من الصادقين في الدعوى والوعيد
فان مناظرتك لا تؤثر فينا قال انما يأتيكم به الله عاجلا او آجلا وما انتم بمعجزين
بدفع العذاب او الهرب منه ولا ينفعكم نصحي ان اردت ان انصح لكم شرط
ودليل جواب والجملة دليل جواب قوله ان كان الله يريد ان يغويكم



وتقدير الكلام ان كان الله يريد ان يغويكم فان اردت ان انصح لكم لا ينفعكم
نصحي ولذلك نقول لو قال الرجل انت طالق ان دخلت الدار ان كلمت زيدا فدخلت
ثم كلمت لم تطلق وهو جواب لما اوهموا من ان جداله كلام بلا طائل ومن دليل
على ان ارادة الله يصح تعلقها بالاغواء وان خلاف مراده محال وقيل ان يغويكم
ان يهلككم من غوى الفصيل غوى اذا بشم فهلك هو ربكم خالقكم والمتصرف فيكم
وفق ارادته واليه ترجعون فيجازيكم على اعمالكم ام يقولون افتراه قل ان افتريته
فعلي اجرامي وباله وقرئ اجرامي على الجمع وانا بريء مما تجرمون من اجرامكم
في اسناد الافتراء الى واوحي الى نوح انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن
فلا تبتئس بما كانوا يفعلون اقنطه الله من ايمانهم ونهاه ان يغتم بما فعلوه
من التكذيب والايذاء واصنع الفلك باعيننا ملتبسا باعيننا عبر بكثرة آلة الحس
الذي به يحفظ الشيء ويراعى عن الاختلال والزيغ عن المبالغة والرعاية على طريق التمثيل
ووحينا اليك كيف تصنعها ولا تخاطبني في الذين ظلموا فلا ترجعني فيهم ولا تدعني
باستدفاع العذاب عنهم انهم مغرقون محكوم عليهم بالاغراق فلا سبيل الى الكف
ويصنع الفلك حكاية حال ماضية وكلما مر عليه ملأ منه سخروا منه استهزؤا به
لعمله السفينة فانه كان يعملها في برية بعيدة من الماء او ان عزته فكانوا يضحكون منه
ويقولون له قد صرت نجارا بعد ما كنت نبيا قال ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما
تسخرون اذا اخذكم الغرق في الدنيا والحرق في الآخرة وقيل المراد بالسخرة الاستجهال
فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه يعني به اياهم وبالعذاب الغرق
ويحل عليه وينزل ويحل عليه حلول الدين الذي لا انفكاك عنه عذاب مقيم دائم
وهو عذاب النار حتى اذا جاء امرنا غاية لقوله ويصنع الفلك وما بينهما من الضمير فيه
او حتى هي التي يبتدأ بعدها الكلام وفار التنور نبع الماء فيه وارتفع كالقدر يفور
والتنور تنور الخبز ابتدأ منه النبوع على خرق العادة وكان في الكوفة في موضع مسجدها
او في الهند او بعين وردة من ارض الجزيرة وقيل التنور وجه الارض واشرف موضع

قلنا احمل فيها في السفينة من كل من كل نوع من الحيوانات المنتفع بها زوجين
اثنين ذكرا وانثى هذا على قراءة حفص والباقون اضافوا على معنى احمل اثنين من كل
زوجين اى من كل صنف ذكر وصنف انثى واهلك عطف على زوجين او اثنين والمراد
امراته وبنوه ونساؤهم الا من سبق عليه القول بانه من المغرقين يريد ابنه كنعان
وامه واعلة فانهما كانا كافرين ومن آمن والمؤمنين من غيرهم وما آمن معه
الا قليل قيل كانوا تسعة وسبعين زوجته المسلمة وبنوه الثلثة سام وحام
ويافث ونساؤهم واثنان وسبعون رجلا وامراة من غيرهم روى انه عليه السلام
اتخذ السفينة في سنتين من الساج وكان طولها ثلثمائة ذراع وعرضها خمسين
وسمكها ثلثين وجعل لها ثلثة بطون فحمل في اسفلها الدواب والوحش وفي اوسطها
الانس وفي اعلاها الطير وقال اركبوا فيها اى صيروا فيها وجعل ذلك ركوبا لانها
في الماء كالمركوب في الارض بسم الله مجريها ومرسيها متصل باركبوا حال من الواو اى
اركبوا فيها مسمين الله او قائلين بسم الله وقت اجرائها وارسائها او مكانهما على ان
المجرى والمرسى للوقت او المكان او للمصدر والمضاف محذوف كقولهم آتيك خفوق النجم
وانتصابهما بما قدرناه حالا ويجوز رفعهما ببسم الله على ان المراد بهما المصدر او جملة
من مبتدا وخبر اى اجرائها بسم الله على ان بسم الله خبره او صلته والخبر محذوف وهى
اما جملة مقتضبة لا تعلق لها بما قبلها او حال مقدرة من الواو او الهاء وروى انه
كان اذا اراد ان تجرى قال بسم الله فجرت واذا اراد ان ترسو قال بسم الله فرست
ويجوز ان يكون الاسم مقحما كقوله ثم اسم السلام عليكما وقرا حمزة والكسائى
وعاصم برواية حفص مجراها بالفتح من جرى وقرئ مرسيها من رسا وكلاهما
يحتمل الثلثة ومجريها ومرسيها بلفظ الفاعل صفتين لله ان ربى لغفور رحيم اى
ولولا مغفرته لفرطاتكم ورحمته اياكم لما نجاكم وهى تجرى بهم متصل بمحذوف دل عليه
اركبوا اى فركبوا مسمين وهى تجرى وهم فيها في موج كالجبال في موج من الطوفان
وهو ما يرتفع من الماء عند اضطرابه كل موجة منها كجبل في تراكمها وارتفاعها

كالجبل

وما قيل

وما قيل من ان الماء طبق ما بين السماء والارض وكانت السفينة تجرى في جوفه
ليس بثابت والمشهور انه علا شوامخ الجبال خمسة عشر ذراعا وان صح فلعل ذلك
قبل التطبيق ونادى نوح ابنه وقرئ ابنها وابنه بحذف الالف على ان الضمير لامراته
وكان ربيبه وقيل كان لغير رشدة لقوله فخانتاهما وهو خطاء اذ الانبياء عصمت
من ذلك والمراد بالخيانة الخيانة في الدين وقرئ ابناه على الندبة ولكونها حكاية
تسوغ حذف الحرف وكان في معزل عزل فيه نفسه عن ابيه او عن دينه مفعل
للمكان من عزله عنه اذا ابعده يا بنى اركب معنا في السفينة والجمهور كسروا
الياء لتدل على ياء الاضافة المحذوفة في جميع القرآن غير ابن كثير فانه وقف عليها
في لقمن في الموضع الاول باتفاق الرواة وفي الثالث في رواية قنبل وعاصم فانه
فتح ههنا اقتصارا على الفتح من الالف المبدلة من ياء الاضافة واختلف الرواة
عنه في سائر المواضع وقد ادغم الباء في الميم ابو عمرو والكسائى وحفص لتقاربهما
ولا تكن مع الكافرين في الدين او الانعزال قال ساوى الى جبل يعصمنى من الماء
ان يغرقنى قال لا عاصم اليوم من امر الله الا من رحم الا الراحم وهو الله تع
او الا مكان من رحمهم الله وهم المؤمنون رد بذلك ان يكون اليوم معتصم من جبل
ونحوه يعصم اللائذ به الا معتصم المؤمنين وهو السفينة وقيل لا عاصم بمعنى
لا ذا عصمة كقوله في عيشة راضية وقيل الاستثناء منقطع اى لكن من رحمه الله
يعصمه وحال بينهما الموج بين نوح وابنه او بين ابنه والجبل فكان من المغرقين
فصار من المهلكين بالماء وقيل يا ارض ابلعى ماءك ويا سماء اقلعى نوديا بما ينادى
به اولوا العلم وامرا بما يؤمرون تمثيلا لكمال قدرته وانقيادهما لما يشاء تكوينه فيهما
بالامر المطاع الذى يامر المنقاد لحكمه الى امتثال امره مهابة من عظمته وخشية
من اليم عقابه والبلع النشف والاقلاع الامساك وغيض الماء نقص وقضى الامر
وانجز ما وعد من اهلاك الكافرين وانجاء المؤمنين واستوت على الجودى جبل بالموصل
وقيل بالشام وقيل بآمل روى انه ركب السفينة عاشر رجب ونزل عنها عاشر المحرم

فصام ذلك اليوم وصار رسنة وقيل بعدا للقوم الظالمين اى هلاكا لهم
يقال بعد بعدا وبعدا اذا بعد بعدا بعيدا بحيث لا يرجى عوده ثم استعير للهلاك
وخص بدعاء السوء والاية فى غاية الفصاحة لفخامة لفظها وحسن نظمها والدلالة
على كنه الحال مع الايجاز الخالى عن الاخلال وايراد الاخبار على البناء للمفعول دلالة
على تعظيم الفاعل وانه متعين فى نفسه مستغن عن ذكر اذ لا يذهب الوهم الى غيره
للعلم بان مثل هذه الافعال لا يقدر عليه سوى الواحد القهار ونادى نوح ربه
واراد نداءه بدليل عطف قوله فقال رب ان ابنى من اهلى فانه النداء وان
وعدك الحق وان كل وعد تعده حق لا يتطرق اليه الخلف وقد وعدت ان تنجى اهلى
فما حاله اوفعاله لم ينج ويجوز ان يكون هذا النداء قبل غرقه وانت احكم الحاكمين
لانك اعلمهم واعدلهم او لانك اكثر حكمة من ذوى الحكم على ان الحاكم من الحكمة كالمدرع
من الدرع قال يا نوح انه ليس من اهلك لقطع الولاية بين المؤمنين والكافرين
واشار اليه بقوله انه عمل غير صالح فانه تعليل للنفى كونه من اهله واصله انه ذو عمل
فاسد فجعل ذاته ذات العمل للمبالغة كقول الخنساء تصف ناقة ترتع مارتعت حتى
اذا ذكرت فانما هى اقبال وادبار ثم بدأ للفاسد بغير الصالح تصريحا بالمناقضة
بين وصفيهما وانتفاء ما اوجب النجاة لمن نجا من اهله عنه وقرأ الكسائى ويعقوب
انه عمل اى عمل عملا غير صالح فلا تسألن ما ليس لك به علم ما لا تعلم صوابه هل
ليس كذلك انما سمى نداءه سؤالا لتضمن ذكر الموعد بنجاة اهله استنجازه فى شأن ولده او
استفسارا لما منع للانجاز فى حقه وانما سماه جهلا وزجر عنه بقوله انى اعظك ان تكون
من الجاهلين لان الاستثناء من سبق عليه القول من اهله قد دل على الحال واغناه
عن السؤال لكن اشفاقه حب الولد عنه حتى استنبه الامر عليه وقرأ ابن كثير بفتح
اللام والنون المشددة وكذا نافع وابن عامر غير انهما كسرا النون على ان اصله تسألنى
فحذف نون الوقاية لاجتماع النونات وكسر المشددة للياء ثم حذفت اكتفاء بالكسرة
واثبتها نافع برواية ورش فى الوصل قال رب انى اعوذ بك ان اسألك فيما يستقبل

مستغنى

الوصف الفاسد للمتاع فلو ذكر انه فاسد لكم لو نوعيه لكن لا يجوز النص على الطابعة

مالا يسر لى

مالا يسر لى به علم مالا اعلم لى بصحته وان لا تغفر لى وان لم تغفر لى ما فرط منى من السؤال
وترحمنى بالتوبة والتفضل علىّ اكن من الخاسرين اعمالا قيل يا نوح اهبط
بسلام منا انزل من السفينة مسلما من المكاره من جهتنا او مسلما عليك وبركات
عليك ومباركا عليك وزيادات فى نسلك حتى تصير آدما ثانيا وقرئ اهبط
بالضم وبركة وهى الخير النامى وعلى امم ممن معك وعلى امم ممن معك سموا
امما لتخيرهم ولتشعب الامم منهم او وعلى امم ناشئة ممن معك والمراد بهم المؤمنون
لقوله وامم سنمتعهم اى ممن معك امم سنمتعهم فى الدنيا ثم يمسهم منا عذاب اليم
فى الاخرة والمراد بهم الكفار من ذرية من معه وقيل هم قوم هود وصالح
ولوط وشعيب والعذاب ما نزل بهم تلك اشارة الى قصة نوح ومحلها الرفع
بالابتداء وخبرها من انباء الغيب اى بعضها نوحيها اليك خبر ثان والضمير لها
اى موحاة اليك او حال من الانباء او هو الخبر ومن انباء متعلق به او حال من الهاء
ما كنت تعلمها انت ولا قومك من قبل هذا خبر آخر اى مجهولة عندك وعند قومك
من قبل ايحائنا اليك او حال من الهاء فى نوحيها او الكاف فى اليك اى جاهلا انت
وقومك بها وفى ذكرهم تنبيه على انه لم يتعلمه اذ لم يخالط غيرهم وانهم مع كثرتهم
لما لم يسمعوه فكيف بواحد منهم فاصبر على مشاق الرسالة واذية القوم كما صبر نوح
ان العاقبة فى الدنيا بالظفر وفى الاخرة بالفوز للمتقين عن الشرك والمعاصى
والى عاد اخاهم هودا عطف على قوله نوحا الى قومه وهودا عطف بيان قال يا قوم
اعبدوا الله وحده ما لكم من اله غيره وقرئ بالجر حملا على المجرور ومحله ان انتم الا
مفترون على الله باتخاذ الاوثان شركاء وجعلها شفعاء يا قوم لا اسالكم عليه اجرا
ان اجرى الا على الذى فطرنى خاطب كل رسول به قومه ازاحة للتهمة وتمحيضا للنصيحة
فانها لا تنجع ما دامت مشوبة بالمطامع افلا تعقلون افلا تستعملون عقولكم فتعرفوا
المحق من المبطل والصواب من الخطاء ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا اليه اطلبوا
مغفرته بالايمان ثم توسلوا اليها بالتوبة وايضا التبرء عن الغير انما يكون بعد الايمان بالله

300

والرغبة فيما عنده يرسل السماء عليكم مدرارا كثير الدر ويزدكم قوة الى
قوتكم ويضاعف قوتكم واغا رغبهم بكثرة المطر وزيادة القوة لانهم كانوا اصحاب زروع
وعمارات وقيل حبس الله عنهم القطر واعقم ارحام نسائهم ثلث سنين فوعدهم
هود عليه السلم على الايمان والتوبة كثرة الامطار وتضاعف القوة بالتناسل
ولا تتولوا ولا تعرضوا عما ادعوكم اليه مجرمين مصرين على اجرامكم قالوا يا هود
ما جئتنا ببينة بحجة تدل على صحة دعواك وهو لرفع عنادهم وعدم اعتدادهم
بما جاءهم من المعجزات وما نحن بتاركي آلهتنا بتاركي عبادتهم عن قولك صادرين
عن قولك حال من الضمير في تاركي وما نحن لك بمؤمنين اقناط له من الاجابة والتصديق
ان نقول الا اعتراك بعض آلهتنا بسوء بجنون لسبك اياها وصدك عنها ومن ذلك تهذي وتتكلم بالخرافات
والجملة معمول القول والا لغو لان الاستثناء مفرغ قال اني اشهد الله واشهدوا
اني بريء مما تشركون من دونه فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون اجاب به عن مقالتهم
الحمقاء بان اشهد الله تعالى على براءته من آلهتهم وفراغه عن اضرارهم تاكيدا لذلك
وتثبيتا له وامرهم بان يشهدوا عليه استهانة بهم وان يجتمعوا على الكيد في اهلاكه من غير
انظار حتى اذا اجتهدوا فيه ورأوا انهم عجزوا عن آخرهم وهم الاقوياء الاشداء ان يضروه
لم يبق لهم شبهة ان آلهتهم التي هي جماد لا تضر ولا تنفع لا تتمكن من اضراره انتقاما منه
وهذا من جملة معجزاته فان مواجهة الواحد الجم الغفير من الجبابرة القتال العطاش الى
اراقة دمه بهذا الكلام ليس الا لثقته بالله وتبتلهم عن اضراره ليس الا بعصمته
اياه ولذلك عقبه بقوله اني توكلت على الله ربي وربكم تقرير له والمعنى انكم وان بذلتم
غاية وسعكم لم تضروني فاني متوكل على الله واثق بكلاءته وهو مالكي وما لكم لا يخيفني
ما لم يرده ولا تقدرون على ما لم يقدره ثم برهن عليه بقوله ما من دابة الا هو
آخذ بناصيتها اي الا وهو مالك لها قادر عليها يصرفها على ما يريد بها والاخذ بالناصية
تمثيل لذلك ان ربي على صراط مستقيم اي انه على الحق والعدل لا يضيع عند معتصم

بالفاء ٣

ولا يفوته ظالم فان تولوا فقد ابلغتكم ما ارسلت به اليكم فقد اديت
ما علي من الابلاغ والزام الحجة فلا تفريط مني ولا عذر لكم فقد ابلغتكم ما ارسلت به اليكم
ويستخلف ربي قوما غيركم استيناف بالوعيد لهم بان الله يهلكهم ويستخلف قوما
آخرين في ديارهم واموالهم وعطف على الجواب بالواو او يؤيد القراءة بالجزم على الموضع
وكانه قيل فان تتولوا يعذبني ويستخلف ولا تضرونه بتوليكم شيئا من الضرر ومن
جزم يستخلف اسقط النون منه ان ربي على كل شيء حفيظ رقيب فلا يخفى
عليه اعمالكم ولا يغفل عن مجازاتكم او حافظ مستول عليه فلا يمكن ان يضر شيئا
ولما جاء امرنا عذابنا او امرنا بالعذاب نجينا هودا والذين آمنوا معه برحمة
منا وكانوا اربعة آلاف ونجيناهم من عذاب غليظ تكرير لبيان ما نجاهم عنه وهو
السموم وكانت تدخل انوف الكفرة وتخرج من ادبارهم فتقطع اعضاءهم والمراد به
تنجيتهم من عذاب الآخرة ايضا والتعريض بان المهلكين كما عذبوا في الدنيا بالسموم فهم
معذبون في الآخرة بالعذاب الغليظ وتلك عاد اتت اسم الاشارة باعتبار القبيلة
او لان الاشارة الى قبورهم وآثارهم جحدوا بآيات ربهم كفروا بها وعصوا رسله
لانهم عصوا كل من عصى رسولا فكانما عصى الكل لانهم امروا بطاعة كل رسول
واتبعوا امر كل جبار عنيد يعني كبارهم الطاغين وعنيد من عند عنودا وعندا
وعنودا اذا طغى والمعنى عصوا من دعاهم الى الايمان وما ينجيهم واطاعوا من دعاهم
الى الكفر وما يردیهم واتبعوا في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة الا بعدا لعاد
دعاء عليهم بالهلاك والمراد به الدلالة على انهم كانوا مستوجبين لما نزل عليهم بسبب
ما حكى عنهم وانما كرر الا واعاد ذكرهم تفظيعا لامرهم وحثا على الاعتبار بحالهم قوم
هود عطف بيان لعاد وفائدته تمييزهم عن عاد الثانية عاد ارم والا ايماء الى ان
استحقاقهم للبعد بما جرى بينهم وبين هود والى ثمود اخاهم صالحا قال يا قوم
اعبدوا الله ما لكم من اله غيره وهو انشأكم من الارض هو كوّنكم منها لان غير
فانه خلق ادم ومواد النطف التي خلق نسله منها من التراب واستعمركم فيها اعمركم

301

واستبقاكم من العمر او اقدركم على عمارتها وامركم بها وقيل هو من العمرى بمعنى
اعمركم فيها دياركم ويرثها منكم بعد انصرام اعماركم او جعلكم معمرين دياركم
تسكنونها مدة عمركم ثم تتركونها لغيركم فاستغفروه ثم توبوا اليه ان ربي
قريب قريب الرحمة مجيب لداعيه قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا
لما فيك من مخايل الرشد والسداد ان تكون لنا سيدا ومستشارا في الامور او ان
توافقنا في الدين فلما سمعنا هذا القول منك انقطع رجاؤنا عنك اتنهانا ان نعبد
ما يعبد آباؤنا على حكاية الحال الماضية واننا لفي شك مما تدعونا اليه من التوحيد
والتبري عن الاوثان مريب موقع في الريبة من ارابه او ذي ريبة على الاسناد المجازي
من اراب في الامر قال يا قوم ارايتم ان كنت على بينة من ربي بيان وبصيرة وحرف
الشك باعتبار المخاطبين واتاني منه رحمة نبوة فمن ينصرني من الله فمن يمنعني
من عذابه ان عصيته في تبليغ رسالته والمنع عن الاشراك به فما تزيدونني اذن
باستتباعكم اياي غير تخسير غير ان تخسروني بابطال ما منحني الله به والتعرض لعذابه
او فما تزيدونني بما تقولون لي غير ان انسبكم الى الخسران ويا قوم هذه ناقة الله لكم
آية انتصب آية على الحال وعاملها معنى الاشارة ولكم حال منها تقدمت عليها
لتنكيرها فذروها تاكل في ارض الله ترع نباتها وتشرب ماءها ولا تمسوها بسوء
فياخذكم عذاب قريب عاجل لا يتراخى عن مسكم لها بالسوء الا يسيرا وهو ثلثة
ايام فعقروها فقال تمتعوا في داركم عيشوا في منازلكم او في داركم الدنيا ثلثة
ايام الاربعاء والخميس والجمعة ثم تهلكون ذلك وعد غير مكذوب اي غير مكذوب فيه
فاتسع فيه باجرائه المفعول به كقوله ويوم شهدناه سليما وعامرا او غير مكذوب على المجاز
وكان الواعد قال له افي بك فان وفى به صدقه والا كذبه او وعد غير كذب على انه مصدر
كالمجلود والمعقول فلما جاء امرنا نجينا صالحا والذين آمنوا معه برحمة منا ومن
خزي يومئذ اي ونجيناهم من خزي يومئذ وهو هلاكهم بالصيحة او ذلهم وفضيحتهم
يوم القيامة وقرا نافع والكسائي هنا وفي المعارج في قوله من عذاب يومئذ بالفتح

نرى

مجرى

اي بفتح الميم

على اكتساب

اكتساء

على اكتساب المضاف البناء من المضاف اليه ان ربك هو القوي العزيز
القادر على كل شيء والغالب عليه واخذ الذين ظلموا الصيحة فاصبحوا في ديارهم
جاثمين قد سبق تفسير ذلك في سورة الاعراف كان لم يغنوا فيها الا ان ثمودا كفروا
ربهم نونه ابو بكر ههنا وفي النجم والكسائي في جميع القرآن وابن كثير ونافع وابن عامر
وابو عمرو في قوله وقرا حمزة وحفص ان ثمود هنا وفي الفرقان والعنكبوت بفتح
الدال من غير تنوين ونونه الكسائي بخفض الدال في قوله الا بعدا لثمود ذهابا الى الحي
او الاب الاكبر ولقد جاءت رسلنا ابرهيم يعني الملائكة قيل كانوا تسعة وقيل
ثلثة جبرئيل وميكائيل واسرافيل بالبشرى ببشارة الولد وقيل بهلاك قوم لوط قالوا
سلاما سلمنا عليك سلاما ويجوز نصبه بقالوا على معنى ذكروا سلاما قال سلام
اي امركم او جوابي سلام او وعليكم سلام رفعه اجابة باحسن من تحيتهم وقرا حمزة
والكسائي سلم وكذلك في الذاريات وهما لغتان كحرم وحرام وقيل المراد به الصلح
فما لبث ان جاء بعجل حنيذ فما ابطا مجيئه به او فما ابطا في المجيء به او فما تاخر
عنه والجار مقدر او محذوف والحنيذ المشوي بالرضف وقيل الذي يقطر
ودكه من حنذت الفرس اذا عرقته بالجلال لقوله بعجل سمين فلما راى ايديهم لا تصل
اليه لا يمدون اليه ايديهم نكرهم واوجس منهم خيفة انكر ذلك منهم وخاف
ان يريدوا به مكروها ونكر وانكر واستنكر بمعنى والايجاس الادراك وقيل الاضمار قالوا
له لما احسوا منه اثر الخوف لا تخف انا ارسلنا الى قوم لوط انا ملائكة مرسلة اليهم
بالعذاب وانا لم نمد اليه ايدينا لانا لا ناكل وامراته قائمة وراء الستر تسمع محاورتهم
او على رؤسهم للخدمة فضحكت سرورا بزوال الخيفة او بهلاك اهل الفساد او باصابة
رايها فانها كانت تقول لابرهيم اضمم اليك لوطا فاني اعلم ان العذاب ينزل بهذا
القوم وقيل فضحكت فحاضت قال وعهدي بسلمى ضاحكا في لبابة ولم تعد حقا
ثديها ان تحلبا ومنه ضحكت السمرة اذا سال صمغها وقرئ بفتح الحاء فبشرناها باسحق
ومن وراء اسحق يعقوب نصبه ابن عامر وحمزة وحفص بفعل يفسره ما دل عليه

السمرة بضم الميم من شجر الطلح وهو شجر الموز

الكلام وتقديره ووهبناها من وراء اسحق يعقوب وقيل انه معطوف على موضع
باسحق او على لفظ اسحق وفتحته للجر فانه غير منصرف ورد للفصل بينه وبين ما عطف
عليه بالظرف وقرأ الباقون بالرفع على انه مبتدأ خبره الظرف اى ويعقوب مولود
من بعده وقيل الوراء ولد الولد ولعله سمى به لانه بعد الولد وعلى هذا يكون اضافته
الى اسحق ليس من حيث ان يعقوب وراءه بل من حيث انه وراء ابرهيم من جهته وفيه
نظر والاسمان يحتمل وقوعهما فى البشارة كيحيى ويحتمل وقوعهما فى الحكاية بعد ان ولدا
فسميا به وتوجيه البشارة اليها للدلالة على ان الولد المبشر به يكون منها ولانها كانت عقيمة
حريصة على الولد قالت يا ويلتى يا عجبا واصله فى الشر فاطلق فى كل امر فظيع وقرئ
بالياء على الاصل أألد وانا عجوز ابنة تسعين او تسع وتسعين وهذا بعلى زوجى
واصله القائم بالامر شيخا ابن مائة او مائة وعشرين ونصبه على الحال والعامل فيها
معنى اسم الاشارة وقرئ بالرفع على انه خبر محذوف اى هو شيخ او خبر بعد خبر او هو
الخبر وبعلى بدل ان هذا لشئ عجيب يعنى الولد من هرمين وهو استعجاب من حيث
العادة دون القدرة ولذلك قالوا اتعجبين من امر الله رحمة الله وبركاته عليكم
اهل البيت منكرين عليها فان خوارق العادات باعتبار اهل بيت النبوة ومهبط
المعجزات وتخصيصهم بمزيد النعم والكرامات ليس ببدع ولا حقيق بان يستغربه عاقل
فضلا عمن نشأت وشابت فى ملاحظة الآيات واهل البيت نصب على المدح او النداء
لقصد التخصيص كقولهم اللهم اغفر لنا ايتها العصابة انه حميد فاعل ما يستوجب
الحمد مجيد كثير الخير والاحسان فلما ذهب عن ابرهيم الروع ما اوجس من الخيفة
واطمأن قلبه بعرفانهم وجاءته البشرى بدل الروع يجادلنا فى قوم لوط يجادل
رسلنا فى شانهم ومجادلته اياهم قوله ان فيها لوطا وهو اما جواب لما جئ به مضارعا
على حكاية الحال او لانه فى سياق الجواب بمعنى الماضى كجواب لو او دليل جوابه المحذوف
مثل اجترأ على خطابنا او شرع فى جدالنا او متعلق به اقيم مقامه مثل اخذ او اقبل
يجادلنا ان ابرهيم لحليم غير عجول على الانتقام من المسئ اليه اواه كثير التأوه من الذنوب

والتأسف

الله وم

والتأسف على الناس منيب راجع الى المقصود من ذلك بيان الحامل له على
المجادلة وهو رقة قلبه وفرط ترحمه يا ابرهيم على ارادة القول اى قالت الملائكة
يا ابرهيم اعرض عن هذا الجدال انه قد جاء امر ربك قدره بمقتضى قضائه الازلى
بعذابهم وهو اعلم بحالهم وانهم آتيهم عذاب غير مردود مصروف بجدال
ولا دعاء ولا غير ذلك ولما جاءت رسلنا لوطا سئ بهم ساءه مجيئهم لانهم
جاءوا فى صورة غلمان فظن انهم اناس فخاف عليهم ان يقصدهم قومه فيعجز
عن مدافعتهم وقرأ نافع وابن عامر والكسائى سئ وسيئت باشمام السين الضم وفى
العنكبوت والملك والباقون باختلاس حركة السين وضاق بهم ذرعا وضاق
بمكانهم صدره وهو كناية عن شدة الانقباض للعجز عن مدافعة المكروه
والاحتيال فيه وقال هذا يوم عصيب شديد من عصبه اذا شده وجاءه قومه
يهرعون اليه يسرعون اليه كانهم يدفعون دفعا لطلب الفاحشة من اضيافه
ومن قبل ومن قبل ذلك الوقت كانوا يعملون السيئات الفواحش فتمرنوا بها
ولم يستحيوا منها حتى جاؤا يهرعون لها مجاهرين قال يا قوم هؤلاء بناتى فدا بهن
اضيافه كرما وحمية والمعنى هؤلاء بناتى فتزوجوهن وكانوا يطلبونهن قبل فلا يجيبهم
لخبثهم وعدم كفائتهم لا لحرمة المسلمات على الكفار فانه شرع طارئ ومبالغة فى تناهى
خبث ما يرومونه حتى ان ذلك اهون منه او اظهارا لشدة امتعاضه من ذلك كى يرقوا له
وقيل المراد بالبنات نساءهم فان نبى ابو امته من حيث الشفقة والتربية وفى حرف
ابن مسعود وازواجه امهاتهم وهو اب لهم هن اطهر لكم انظف فعلا او اقل فحشا
كقولك الميتة اطيب من المغصوب واحل منه وقرئ اطهر بالنصب على ان هن خبر
بناتى كقولك هذا اخى هؤلاء فصل فانه لا يقع بين الحال فاتقوا الله بترك الفواحش
او بايثارهن عليهم ولا تخزون ولا تفضحونى من الخزى او لا تخجلونى من الخزاية بمعنى الحياء
فى ضيفى فى شانهم فان اخزاء ضيف الرجل اخزاءه اليس منكم رجل رشيد يهتدى الى الحق
ويرعوى عن القبيح قالوا لقد علمت ما لنا فى بناتك من حق من حاجة وانك لتعلم

كل

وصاحبها

لانك لا ترى مناكحتنا وما هو الا عرض

ما نريد وهو اتيان الذكران قال لو ان لي بكم قوة لو قويت بنفسي على دفعكم او آوي
الى ركن شديد الى قوي اتمنع به عنكم شبهه بركن الجبل في شدته وعن النبي صلى الله
عليه وسلم رحم الله اخي لوطا كان ياوي الى ركن شديد وقرئ او آوي بالنصب باضمار ان
كانه قال لو ان لي بكم قوة او اويا وجواب لو محذوف تقديره لدفعتكم روي انه عليه السلم
اغلق بابه دون اضيافه واخذ يجادلهم من وراء الباب فتسوروا الجدار فلما رات
الملائكة ما على لوط من الكرب قالوا يا لوط انا رسل ربك لن يصلوا اليك لن يصلوا
الى اضرارك باضرارنا فهون عليك ودعنا واياهم فخلاهم ان يدخلوا فضرب جبرئيل
بجناحه وجوههم فطمس اعينهم واعماهم فخرجوا يقولون النجاء النجاء فان
في بيت لوط سحرة فاسر باهلك بالقطع من الاسراء وقرا ابن كثير ونافع بالوصل
حيث وقع في القران من السرى بقطع من الليل بطائفة منه ولا يلتفت منكم احد
ولا يتخلف او ولا ينظر الى ورائه والنهي في اللفظ لاحد وفي المعنى للوط الا امراتك استثناء
من قوله فاسر باهلك ويدل عليه انه قرئ فاسر باهلك بقطع من الليل الا امراتك وهذا
انما يصح على تاويل الالتفات بالتخلف فانه ان فسر بالنظر الى الوراء في الذهاب ناقض
ذلك قراءة ابن كثير وابي عمرو بالرفع على البدل من احد ولا يجوز حمل القراءتين على الروايتين
في انه خلفها مع قومها او اخرجها فلما سمعت صوت العذاب التفتت وقالت يا قوماه
فادركها حجر لان القواطع لا يصح حملها على المعاني المتناقضة والاولى جعل الاستثناء
في القراءتين عن قوله ولا يلتفت مثله في قوله ما فعلوه الا قليل ولا بعد ان يكون اكثر القراء
على غير الافصح ولا يلزم من ذلك امرها بالالتفات بل عدم نهيها عنه استصلاحا
ولذلك علله على طريقة الاستيناف بقوله انه مصيبها ما اصابهم ولا يحسن جعل
الاستثناء منقطعا على قراءة الرفع ان موعدهم الصبح كانه علة الامر بالاسراء اليس
الصبح بقريب جواب لاستعجال لوط واستبطائه العذاب فلما جاء امرنا عذابنا او امرنا به
ويؤيده الاصل وجعل التعذيب مسببا عنه بقوله جعلنا عاليها سافلها
فانه جواب لما وكان حقه جعلوا عاليها اي الملائكة المامورون به فاسند الى نفسه



من حيث انه

من حيث انه المسبب تعظيما للامر فانه روي ان جبرئيل عليه السلم ادخل جناحه تحت
مدائنهم ورفعها الى السماء حتى سمع اهل السماء نباح الكلاب وصياح الديكة ثم قلبها
عليهم وامطرنا عليها على المدن او على شذاذها حجارة من سجيل من طين متحجر لقوله حجارة
من طين واصله سنك كل فعرب وقيل انه من اسجله اذا ارسله او ادر عطيته والمعنى
من مثل الشيء المرسل او من مثل العطية في الادرار او من السجل اي مما كتب الله ان يعذبهم
به وقيل اصله من سجين اي من جهنم فابدلت نونه لاما منضود نضد معدا لعذابهم
او نضد في الارسال بتتابع بعضه على بعض كقطار الامطار او نضد بعضه على بعض
والصق به مسومة معلمة للعذاب وقيل معلمة ببياض وحمرة او بسيما يتميز به عن حجارة
الارض او باسم من يرمى به عند ربك في خزائنه وما هي من الظالمين ببعيد فانهم
بظلمهم حقيق بان يمطر عليهم وفيه وعيد لكل ظالم وعنه عليه السلم سال جبرئيل عليه السلم
فقال يعني ظالمي امتك ما من ظالم منهم الا وهو بعرض حجر يسقط عليه من ساعة
الى ساعة وقيل الضمير للقرى اي هي قريبة من ظالمي مكة يمرون بها في اسفارهم الى الشام
وتذكير البعيد على تاويل الحجر او المكان والى مدين اخاهم شعيبا اراد اولاد مدين بن ابرهيم
عليه السلم او اهل مدين وهو بلد بناه فسمي باسمه قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله
غيره ولا تنقصوا المكيال والميزان امرهم بالتوحيد اولا فانه ملاك الامر ثم نهاهم عما
اعتادوه من البخس المنافي للعدل المخل بحكمة التعاوض اني اريكم بخير بسعة تغنيكم عن البخس
او بنعمة حقها ان تتفضلوا على الناس شكرا عليها لا ان تنقصوا حقوقهم او بسعة فلا تزيلوها
بما انتم عليه وهو في الجملة علة النهي واني اخاف عليكم عذاب يوم محيط لا يشذ منه احد
منكم وقيل عذاب مهلك من قوله واحيط بثمره والمراد عذاب يوم القيامة او عذاب
الاستيصال وتوصيف اليوم بالاحاطة وهي صفة العذاب لاشتماله عليه ويا قوم اوفوا
المكيال والميزان صرح الامر بالايفاء بعد النهي عن ضده مبالغة وتنبيها على انهم لا
يكفيهم الكف عن تعمد التطفيف بل يلزمهم السعي في الايفاء ولو بزيادة لا يتاتى دونها
بالقسط بالعدل والسوية من غير زيادة ونقصان فان الازدياد ايفاء وهو مندوب

غير مامور به وقد يكون محظورا ولا تبخسوا الناس اشياءهم تعميم بعد تخصيص فانه
اعم من ان يكون في المقدار او في غيره وكذا قوله ولا تعثوا في الارض مفسدين فان
العثو يعم تنقيص الحقوق وغيره من انواع الفساد وقيل المراد بالبخس المكس كاخذ
العشور من المعاملات والعثو السرقة وقطع الطريق والغارة وفائدة الحال اخراج
ما يقصد به الاصلاح كما فعله الخضر عليه السلم وقيل معناه ولا تعثوا في الارض مفسدين
امر دينكم ومصالح آخرتكم بقية الله ما ابقاه لكم من الحلال بعد التنزه عما حرم عليكم
خير لكم مما تجمعون بالتطفيف ان كنتم مؤمنين بشرط ان تؤمنوا فان خيريتها باستتباع
الثواب مع النجاة وذلك مشروط بالايمان او ان كنتم مصدقين لي في قولي لكم وقيل البقية
الطاعة لقوله تعالى والباقيات الصالحات وقرئ تقية الله بالتاء وهي تقواه التي
تكف عن المعاصي وما انا عليكم بحفيظ احفظكم عن القبائح او احفظ عليكم اعمالكم
فاجازيكم عليها وانما انا ناصح مبلغ وقد اعذرت حين انذرت او لست بحافظ عليكم
نعمة الله لو لم تتركوا سوء صنيعكم قالوا يا شعيب اصلواتك تامرك ان نترك ما يعبد
آباؤنا من الاصنام اجابوا به بعد امرهم بالتوحيد على الاستهزاء به والتهكم بصلوته والاشعار
بان مثله لا يدعو اليه داع عقلي وانما دعاك اليه خطرات ووساوس من جنس ما تواظب
عليه وكان كثير الصلوة فلذلك جمعوا وخصوا بالذكر وقرأ حمزة والكسائي وحفص على
الافراد والمعنى اصلواتك تامرك بتكليف ان نترك فحذف المضاف لان الرجل لا يؤمر بفعل
غيره او ان نفعل في اموالنا ما نشاء عطف على ما اي وان نترك فعلنا ما نشاء في اموالنا
وقرئ بالتاء فيهما على ان العطف على ان نترك وهو جواب النهي عن التطفيف والامر بالايفاء
وقيل كان ينهاهم عن تقطيع الدراهم والدنانير فارادوا به ذلك انك لانت الحليم الرشيد
تهكموا به وقصدوا وصفه بضد ذلك او عللوا انكار ما سمعوا منه واستبعاده بانه موسوم بالحلم
والرشد المانعين عن المبادرة الى امثال ذلك قال يا قوم ارايتم ان كنت على بينة
من ربي اشارة الى ما آتاه الله من العلم والنبوة ورزقني منه رزقا حسنا اشارة الى
ما آتاه الله من المال الحلال وجواب الشرط محذوف تقديره فهل يسع لي مع هذا

وارادوا به

الانعام

الانعام الجامع للسعادات الروحانية والجسمانية ان اخون في وحيه واخالفه في امره ونهيه
وهو اعتذار عما انكروا عليه من تغيير المالوف والنهي عن دين الآباء والضمير في منه لله اي من عنده
وباعانته بلا كد مني في تحصيله وما اريد ان اخالفكم الى ما انهيكم عنه اي وما اريد ان آتي
ما انهيكم عنه لاستبد به فلو كان صوابا لآثرته ولم اعرض عنه فضلا ان انهى عنه
يقال خالفت زيدا الى كذا اذا قصدته وهو مولي عنه وخالفته عنه اذا كان الامر بالعكس
ان اريد الا الاصلاح ما استطعت اي ما اريد الا ان اصلحكم بامري بالمعروف ونهيي
عن المنكر ما دمت استطيع الاصلاح فلو وجدت الصلاح فيما انتم عليه لما نهيتكم عنه ولهذه
الاجوبة الثلثة على هذا النسق شان وهو التنبيه على ان العاقل يجب ان يراعي في كل ما يأتيه
ويذره احد حقوق ثلثة اهمها واعلاها حق الله وثانيها حق النفس وثالثها حق الناس وكل ذلك
يقتضي ان آمركم بما امرتكم وانهاكم عما نهيتكم عنه وما مصدرية واقعة موقع الظرف وقيل
خبرية موصولة بدل من الاصلاح اي المقدار الذي استطعته او اصلاح ما استطعته فحذف المضاف
وما توفيقي الا بالله اي وما توفيقي لاصابة الحق والصواب الا بهدايته ومعونته عليه توكلت
فانه القادر المتمكن من كل شيء وما عداه عاجز في حد ذاته بل معدوم ساقط عن درجة الاعتبار
وفيه اشارة الى محض التوحيد الذي هو اقصى مراتب العلم بالمبدأ واليه انيب اشارة
الى معرفة المعاد وهو ايضا يفيد الحصر بتقديم الصلة على الله وفي هذه الكلمات طلب التوفيق
لاصابة الحق فيما يأتي ويذره من الله والاستعانة به في مجامع امره والاقبال عليه بشراشره
وحسم اطماع الكفار واظهار الفراغ عنهم وعدم المبالات بمعاداتهم وتهديدهم بالرجوع
الى الله للجزاء ويا قوم لا يجرمنكم لا يكسبنكم شقاقي معاداتي ان يصيبكم مثل ما اصاب قوم
نوح من الغرق او قوم هود من الريح او قوم صالح من الرجفة وان بصلتها ثاني مفعولي
جرم فانه يعدى الى واحد والى اثنين ككسب وعن ابن كثير يجرمنكم بالضم وهو منقول من المتعدي
الى مفعول واحد والاول افصح فان اجرم اقل دورانا على السنة الفصحاء وقرئ مثل بالفتح لاضافته
الى المبني كقوله لم يمنع الشرب منها غير ان نطقت حمامة في غصون ذات اوقال وما
قوم لوط منكم ببعيد زمانا ومكانا فان لم تعتبروا بمن قبلهم بهم او ليسوا ببعيد منكم

عن صح

على الفعل

واحد

فاعتبروا صح

الاوقال جمع وقل وهو شجر المقل وهو نوع من التمر والضمير المؤنث راجع الى الناقة والمعنى لم تمنع الناقة ان تشرب الا انها سمعت صوت حمامة فاشتاقت وتذكرت العهود السابقة فامتنعت من الشرب وكون حمامة واحدة في الغصون على التوسع وغير ان نطقت فاعل لم يمنع وانما لم يرفع المثل لانه مبني على الفتح بالاضافة وهو الشاهد هنا

305

فى الكفر والمساوى فلا يبعد عنكم ما اصابهم وافراد البعيد لان المراد وما اهلاكهم او
وما هم بشئ بعيد ولا يبعد ان يسوى فى امثاله بين المذكر والمؤنث لانها على زنة المصادر
كالصهيل والشهيق واستغفروا ربكم ثم توبوا اليه عما انتم عليه ان ربى رحيم عظيم
الرحمة للتائبين ودود فاعل بهم من اللطف والاحسان ما يفعل البليغ المودة بمن يوده
وهو وعد على التوبة بعد الوعيد على الاصرار قالوا يا شعيب ما نفقه ما نفهم كثيرا
مما تقول كوجوب التوحيد وحرمة البخس وما ذكرت دليلا عليهما وذلك لقصور عقلهم
وعدم تفكرهم وقيل قالوا ذلك استهانة بكلامه او لانهم لم يلقوا اليه اذهانهم لشدة
نفرتهم وانا لنريك فينا ضعيفا لا قوة لك فتمتنع منا ان اردنا بك سوءا ومهينا لا عز
لك وقيل اعمى بلغة حمير وهو مع عدم مناسبته يرده التقييد بالظرف ومنع بعض
المعتزلة استنباء الاعمى قياسا على القضاء والشهادة والفرق بين ولولا رهطك قومك
وعزتهم عندنا لكونهم على ملتنا لا لخوف من شوكتهم فان الرهط من الثلثة الى العشرة
وقيل الى التسعة لرجمناك لقتلناك برمى الاحجار او باصعب وجه وما انت علينا
بعزيز فيمنعنا عزتك عن الرجم وهذا ديدن السفيه المحجوج يقابل الحجج والآيات بالسب
والتهديد وفى ايلاء الضمير حرف النفى تنبيه على ان الكلام فيه لا فى ثبوت العزة وان المانع لهم
عن ايذائه عزة قومه ولذلك قال يا قوم ارهطى اعز عليكم من الله واتخذتموه وراءكم
ظهريا وجعلتموه كالمنسى المنبوذ وراء الظهر باشراككم به والاهانة برسوله فلا تبقون على الله
وتبقون على لرهطى وهو يحتمل الانكار والتوبيخ والرد والتكذيب والظهرى منسوب الى الظهر
والكسر من تغييرات النسب ان ربى بما تعملون محيط فلا يخفى عليه شئ منها فيجازى
عليها ويا قوم اعملوا على مكانتكم انى عامل سوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه
سبق مثله فى سورة الانعام والفاء فى فسوف تعلمون ثم للتصريح بان الاصرار والتمكن
فيما عليه سبب لذلك وحذفها ههنا لانه جواب سائل قال فماذا يكون بعد ذلك فهو
ابلغ فى التهويل ومن هو كاذب عطف على من يأتيه لا لانه قسيم له كقولك ستعلم الكاذب
والصادق بل لانهم لما اوعدوه وكذبوه قال سوف تعلمون من المعذب والكاذب

اذعانهم

عنه

قال

فلا تتقون

وتتقون

منى

منى ومنكم وقيل كان قياسه ومن هو صادق لينصرف الاول اليهم والثانى اليه لكنهم
لما كانوا يدعونه كاذبا قال ومن هو كاذب على زعمهم وارتقبوا وانتظروا ما اقول لكم
انى معكم رقيب منتظر فعيل بمعنى الراقب كالصريم او المراقب كالعشير او المرتقب كالرفيع
ولما جاء امرنا نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا انما ذكره بالواو كما فى قصة
عاد اذ لم يسبقه ذكر وعد يجرى مجرى السبب له بخلاف قصتى صالح ولوط فانه ذكر بعد
الوعد وذلك قوله وعد غير مكذوب وقوله ان موعدهم الصبح فلذلك جاء بفاء السببية
واخذت الذين ظلموا الصيحة قيل صاح بهم جبرئيل فهلكوا فاصبحوا فى ديارهم
جاثمين ميتين واصل الجثوم اللزوم فى المكان كان لم يغنوا فيها كان لم يقيموا فيها
الا بعدا لمدين كما بعدت ثمود شبههم بهم لان عذابهم كان ايضا بالصيحة غير ان صيحتهم
كانت من تحتهم وصيحة مدين كانت من فوقهم وقرئ بعدت بالضم على الاصل فان الكسر
تغيير لتخصيص معنى البعد بما يكون بسبب الهلاك والبعد مصدر لهما والبعد مصدر
المكسور ولقد ارسلنا موسى بآياتنا بالتورية والمعجزات وسلطان مبين هو المعجزات
القاهرة او العصا وافرادها لانها ابهرها ويجوز ان يراد بهما واحد اى ولقد ارسلناه بالجامع
بين كونه آياتنا وسلطانا له على نبوته واضحا فى نفسه او موضحا اياها فان ابان جاء لازما
ومتعديا والفرق بينهما ان الآية تعم الامارة والدليل القاطع والسلطان يخص القاطع
والمبين يخص بما فيه جلاء الى فرعون وملائه فاتبعوا امر فرعون فاتبعوا امره
بالكفر بموسى او فما اتبعوا موسى الهادى الى الحق المؤيد بالمعجزات القاهرة الباهرة واتبعوا
طريقة فرعون المنهمك فى الضلال والطغيان الداعى الى ما لا يخفى فساده على من له ادنى مسكة
من العقل لفرط جهالتهم وعدم استبصارهم وما امر فرعون برشيد مرشد او ذى رشد
وانما هو غى محض وضلال صريح يقدم قومه يوم القيامة الى النار كما كان يقدمهم فى الدنيا
الى الضلال يقال قدم بمعنى تقدم فاوردهم النار ذكره بلفظ الماضى مبالغة فى تحقيقه ونزل
النار منزلة الماء فسمى موردا ثم قال وبئس الورد المورود اى بئس الورد الذى وردوه
يراد فانه لتبريد الاكباد وتسكين العطش والنار بالضد والآية كالدليل على قوله وما امر فرعون

وافرادها بالذكر

المورود

اتيانها

برشيد فان من هذا عاقبته لم يكن في امره رشد او تفسير له على ان المراد بالرشيد ما يكون
مامون العاقبة حميدها واتبعوا في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة اي يلعنون
في الدنيا والآخرة بئس الرفد المرفود بئس العون المعاون او العطاء المعطى واصل الرفد
ما يضاف الى غيره لتعمده والمخصوص بالذم محذوف اي رفدهم وهو اللعنة في الدارين ذلك
اي ذلك النباء من انباء القرى المهلكة نقصه عليك مقصوص عليك منها قائم من تلك
القرى باق كالزرع القائم وحصيد ومنها عافي الاثر كالزرع المحصود والجملة مستانفة
وقيل حال من الهاء في نقصه وليس بصحيح اذ لا واو ولا ضمير وما ظلمناهم باهلاكنا اياهم
ولكن ظلموا انفسهم بان عرضوها له بارتكاب ما يوجبه فما اغنت عنهم فما نفعتهم
ولا قدرت ان تدفع عنهم آلهتهم التي يدعون من دون الله من شيء لما جاء امر ربك
حين جاءهم عذابه ونقمته وما زادوهم غير تتبيب هلاك او تخسير وكذلك ومثل
ذلك الاخذ اخذ ربك وقرئ اخذ ربك بالفعل وعلى هذا يكون محل الكاف النصب على المصدر
اذا اخذ القرى اي اهلها وقرئ اذ لان المعنى على المضي وهي ظالمة حال من القرى وهي
في الحقيقة لاهلها لكنها لما اقيمت مقامه اجريت عليها وفائدتها الاشعار بانهم اخذوا
لظلمهم وانذار كل ظالم ظلم نفسه او غيره من وخامة العاقبة ان اخذه اليم شديد وجيع
غير مرجو الخلاص عنه وهو مبالغة في التهديد والتحذير ان في ذلك اي فيما نزل بالامم
الهالكة او فيما قصه الله من قصصهم لآية لعبرة لمن خاف عذاب الآخرة يعتبر به عظمة
لعلمه بانها من اله مختار يعذب من يشاء ويرحم من يشاء فان من انكر الآخرة واحال فناء
هذا العالم لم يقل بالفاعل المختار وجعل تلك الوقايع لاسباب فلكية اتفقت في تلك الايام
لا لذنوب المهلكين بها ذلك اشارة الى يوم القيامة وعذاب الآخرة دل عليه يوم مجموع
له الناس اي يجمع له الناس والتغيير للدلالة على ثبات معنى الجمع لليوم وانه من شانه لا محالة
وان الناس لا ينفكون عنه فهو ابلغ من قوله يوم يجمعكم ليوم الجمع ومعنى الجمع له الجمع لما فيه
من المحاسبة والمجازاة وذلك يوم مشهود اي مشهود فيه اهل السموات والارضين
فاتسع فيه باجراء الظرف مجرى المفعول به كقوله في محفل من نواصي الناس مشهود اي كثير

شاهدوه

شاهدوه ولو جعل اليوم مشهودا في نفسه لبطل الغرض من تعظيم اليوم وتمييزه فان سائر
الايام كذلك وما نؤخره اي اليوم الا لاجل معدود الا لانتهاء مدة معدودة متناهية
على حذف المضاف وارادة مدة التاجيل كلها بالاجل لا منتهاها فانه غير معدود يوم يأتي
اي الجزاء او اليوم كقوله ان تأتيهم الساعة على ان يوم بمعنى حين او الله تعالى كقوله هل
ينظرون الا ان ياتيهم الله ونحوه وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة يأت بحذف الياء اجتزاء
عنها بالكسرة لا تكلم نفس لا تتكلم بما ينفع وينجي من جواب او شفاعة وهو الناصب للظرف
ويحتمل نصبه باضمار اذكر او بالانتهاء المحذوف الا باذنه الا باذن الله كقوله لا يتكلمون الا
من اذن له الرحمن وهذا في موقف وقوله هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون
في موقف آخر او المأذون فيه هي الجوابات الحقة والممنوع عنه هي الاعذار الباطلة فمنهم
شقي وجبت له النار بمقتضى الوعيد وسعيد وجبت له الجنة بموجب الوعد
والضمير لاهل الموقف وان لم يذكر لانه معلوم مدلول عليه بقوله لا تكلم او للناس فاما الذين
شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق الزفير اخراج النفس والشهيق رده واستعمالهما
في اول النهيق وآخره فالمراد بهما الدلالة على شدة كربهم وغمهم وتشبيه حالهم بمن استولت
الحرارة على قلبه وانحصر فيه روحه او تشبيه صراخهم باصوات الحمير وقرئ شقوا
بالضم خالدين فيها ما دامت السموات والارض ليس لارتباط دوامهم في النار
بدوامهما فان النصوص دالة على تابيد دوامهم وانقطاع دوامهما بل للتعبير عن التابيد
والمبالغة بما كانت العرب يعبرون به عنه على سبيل التمثيل ولو كان للارتباط لم يلزم ايضا
من زوال السموات والارض زوال عذابهم ولا من دوامه دوامهما الا من قبيل المفهوم
لان دوامهما كالملزوم لدوامه وقد عرفت ان المفهوم لا يقاوم المنطوق وقيل المراد سموات
الآخرة وارضها ويدل عليه قوله تعالى يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وان اهل
الآخرة لا بد لهم من مظل ومقل وفيه نظر لانه تشبيه بما لا يعرف اكثر الخلق وجوده ودوامه
ومن عرفه فانما يعرفه بما يدل على دوام الثواب والعقاب فلا يجدي له التشبيه الا ما شاء
ربك استثناء من الخلود في النار لان بعضهم وهم فساق الموحدين يخرجون منها وذلك

كاف في صحة الاستثناء لان زوال الحكم عن الكل يكفيه زواله عن البعض وهو المراد
بالاستثناء الثاني فانهم مفارقون عن الجنة ايام عذابهم فان التابيد من مبدا
معين ينتقض باعتبار الابتداء كما ينتقض باعتبار الانتهاء وهولاء وان شقوا بعصيانهم
فقد سعدوا بايمانهم ولا يقال فعلى هذا لم يكن قوله فمنهم شقي وسعيد تقسيما صحيحا
لان من شرطه ان يكون صفة كل صنف منتفية عن قسيمه لان ذلك الشرط من حيث
التقسيم لانفصال حقيقي او مانع من الجمع وههنا المراد ان اهل الموقف لا يخرجون عن
القسمين وان حالهم لا يخلو عن السعادة والشقاوة وذلك لا يمنع اجتماع الامرين في شخص
باعتبارين او لان اهل النار ينتقلون منها الى الزمهرير وغيره من العذاب احيانا
وكذلك اهل الجنة ينعمون بما هو اعلى من الجنة كالاتصال بجناب القدس والفوز
برضوان الله ولقائه او من اصل الحكم والمستثنى زمان توقفهم في الموقف للحساب
لان ظاهره يقتضي ان يكونوا في النار حين ياتي اليوم او مدة لبثهم في الدنيا والبرزخ
ان كان الحكم مطلقا غير مقيد باليوم وعلى هذا التاويل يحتمل ان يكون الاستثناء من الخلود
على ما عرفت وقيل هو من قوله لهم فيها زفير وشهيق وقيل الا ههنا بمعنى سوى
كقولك علي الف الا الالفان القديمان والمعنى سوى ما شاء ربك من الزيادة التي لا آخر
لها على مدة بقاء السموات والارض ان ربك فعال لما يريد من غير اعتراض واما الذين
سعدوا ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا ما شاء ربك
عطاء غير مجذوذ غير مقطوع وهو تصريح بان الثواب لا ينقطع وتنبيه على ان المراد
من الاستثناء في الثواب ليس الانقطاع ولاجله فرق بين الثواب والعقاب في التابيد
وقرا حمزة والكسائي وحفص سعدوا على البناء للمفعول من سعده الله بمعنى اسعده
وعطاء نصب على المصدر المؤكد اي اعطوا عطاء او الحال من الجنة فلا تك في مرية
شك مما انزل اليك من مآل الناس مما يعبد هولاء من عبادة هولاء المشركين في انها
ضلال مؤد الى مثل ما حل بمن قبلهم ممن قصصت عليك سوء عاقبة عبادتهم او من حال
ما يعبدونه في انه يضر ولا ينفع ما يعبدون الا كما يعبد اباؤهم من قبل استيناف

ينتقض بالمهملة

لا يضر

معناه

معناه تعليل النهي عن المرية اي هم وآباؤهم سواء في الشرك اي ما يعبدون عبادة
الا كعبادة آبائهم او ما يعبدون شيئا الا مثل ما عبدوه من الاوثان وقد بلغك ما لحق
آباءهم من ذلك فسيلحقهم مثله لان التماثل في الاسباب يقتضي التماثل في المسببات
ومعنى كما يعبد كما كان يعبد فحذف لدلالة قبل عليه وانا لموفوهم نصيبهم حظهم
من العذاب كآبائهم او من الرزق فيكون عذرا لتاخير العذاب عنهم مع قيام
ما يوجبه غير منقوص من النصيب لتقييد التوفية فانك تقول وفيته حقه
وتريد به وفاء بعضه ولو مجازا ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه فآمن
قوم وكفر به قوم كما اختلف هولاء في القرآن ولولا كلمة سبقت من ربك يعني كلمة
الانظار الى القيامة لقضي بينهم بانزال ما يستحقه المبطل ليتميز به عن المحق وانهم
وان كفار قومك لفي شك منه من القرآن مريب موقع للريبة وان كلا وان كل
المختلفين المؤمنين منهم والكافرين والتنوين بدل من المضاف اليه وقرا ابن كثير ونافع
وابو بكر بالتخفيف مع الاعمال اعتبارا للاصل لما ليوفينهم ربك اعمالهم اللام
الاولى موطئة للقسم والثانية للتاكيد او بالعكس وما مزيدة بينهما للفصل وقرا
ابن عامر وعاصم وحمزة لما بالتشديد على ان اصله لمن ما فقلبت النون ميما للادغام
فاجتمعت ثلث ميمات فحذفت اوليهن والمعنى لمن الذين يوفينهم ربك جزاء اعمالهم
وقرئ لما بالتنوين اي جميعا كقوله اكلا لما وان كل لما على ان ان نافية ولما بمعنى الا
وقد قرئ به انه بما يعملون خبير فلا يفوت شيء عنه وان خفي فاستقم كما امرت لما
بين امر المختلفين في التوحيد والنبوة واطنب في شرح الوعد والوعيد امر رسوله
بالاستقامة مثل ما امر بها وهي شاملة للاستقامة في العقايد كالتوسط بين التشبيه
والتعطيل بحيث يبقى العقل مصونا من الطرفين والاعمال من تبليغ الوحي وبيان الشرايع
كما انزل والقيام بوظايف العبادات من غير تفريط مفوت للحقوق ونحوها وهي في غاية
العسر ولذلك قال عليه السلم شيبتني سورة هود ومن تاب معك اي تاب من الشرك
والكفر وآمن معك وهو عطف على المستكن في استقم وان لم يؤكد بمنفصل لقيام

يوم

وافراط

ومن

الفاصل مقامه ولا تطغوا ولا تخرجوا عما حد لكم انه بما تعملون بصير فهو مجازيكم
عليه وهو في معنى التعليل للامر والنهي وفي الآية دليل على وجوب اتباع النصوص
من غير تصرف وانحراف بنحو قياس واستحسان ولا تركنوا الى الذين ظلموا ولا تميلوا
اليهم ادنى ميل فان الركون هو الميل اليسير كالتزيي بزيهم وتعظيم ذكرهم فتمسكم
النار بركونكم اليهم واذا كان الركون الى من وجد منه ما يسمى ظلما كذلك فما ظنك
بالركون الى الظالمين اي الموسومين بالظلم ثم بالميل اليهم كل الميل ثم بالظلم نفسه والانهماك
فيه ولعل الآية ابلغ ما يتصور في النهي عن الظلم والتهديد عليه وخطاب الرسول
ومن معه من المؤمنين بها للتثبيت على الاستقامة التي هي العدل فان الزوال عنها
بالميل الى احد طرفي افراط وتفريط فانه ظلم على نفسه او غيره بل ظلم في نفسه وقرئ
تركنوا فتمسكم بكسر التاء على لغة تميم وتركنوا على البناء للمفعول من اركنه وما لكم
من دون الله من اولياء من انصار يمنعون العذاب عنكم والواو للحال ثم لا تنصرون
اي ثم لا ينصركم الله اذ سبق في حكمه ان يعذبكم ولا يبقي عليكم وثم لاستبعاد نصره اياهم
وقد اوعدهم بالعذاب عليه واوجبه لهم ويجوز ان يكون منزلا منزلة الفاء لمعنى
الاستبعاد فانه لما بين ان الله معذبهم وان غيره لا يقدر على نصرهم انتج ذلك انهم لا ينصرون
اصلا واقم الصلوة طرفي النهار غدوة وعشية وانتصابه على الظرف لانه مضاف اليه
وزلفا من الليل وساعات منه قريبة من النهار فانه من ازلفه اذا قربه وهو جمع زلفة
وصلوة الغداة صلوة الصبح لانها اقرب الصلوات من اول النهار وصلوة العشية
العصر وقيل الظهر والعصر لان ما بعد الزوال عشي وصلوة الزلف المغرب والعشاء
وقرئ زلفا بضمتين وضمة وسكون كبسر وبسر في بسرة وزلفى بمعنى زلفة كقربى وقربة
ان الحسنات يذهبن السيئات يكفرنها وفي الحديث ان الصلوة الى الصلوة كفارة ما
بينهما ما اجتنبت الكبائر وفي سبب النزول ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم
فقال اني قد اصبت من امراة غير اني لم آتها فنزلت ذلك اشارة الى قوله فاستقم
وما بعده وقيل الى القرآن ذكرى للذاكرين عظة للمتعظين واصبر على الطاعات

وعن المعاصي

وعن المعاصي فان الله لا يضيع اجر المحسنين عدول عن المضمر ليكون كالبرهان
على المقصود ودليلا على ان الصلوة والصبر احسان وايماء بانه لا يعتد بهما دون
الاخلاص فلولا كان فهلا كان من القرون من قبلكم اولو بقية من الرأي والعقل او
الفضل وانما سمي بقية لان الرجل يستبقي افضل ما يخرجه ومنه يقال فلان من بقية
القوم اي من خيارهم ويجوز ان يكون مصدرا كالتقية اي ذوي ابقاء على انفسهم وصيانة
لها من العذاب ويؤيده انه قرئ بقية وهي المرة من مصدر بقاه يبقيه اذا راقبه ينهون
عن الفساد في الارض الا قليلا ممن انجينا منهم لكن قليلا منهم انجيناهم لانهم كانوا
كذلك ولا يصح اتصاله الا اذا جعل استثناء من النفي اللازم للتحضيض واتبع الذين ظلموا
ما اترفوا فيه ما انعموا فيه من الشهوات واهتموا بتحصيل اسبابها واعرضوا عما وراء ذلك
وكانوا مجرمين كافرين كانه اراد ان يبين ما كان السبب لاستيصال الامم السالفة
وهو فشو الظلم فيهم واتباعهم للهوى وترك النهي عن المنكرات مع الكفر وقوله واتبع عطف
على مضمر دل عليه الكلام اذ المعنى فلم ينهوا عن الفساد واتبع الذين ظلموا وكانوا مجرمين
عطف على اتبع او اعتراض وقرئ واتبعوا جزاء ما اترفوا فيكون الواو للحال ويجوز ان يفسر
المشهورة ويعضده تقدم الانجاء وما كان ربك ليهلك القرى بظلم بشرك واهلها
مصلحون فيما بينهم لا يضمون الى شركهم فسادا وتباغيا وذلك لفرط رحمته ومسامحته
في حقوقه ومن ذلك قدم الفقهاء عند تزاحم الحقوق حقوق العباد وقيل الملك يبقى مع
الكفر ولا يبقى مع الظلم ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة مسلمين كلهم وهو دليل
ظاهر على ان الامر غير الارادة وانه تعالى لم يرد الايمان من كل احد وان ما اراده يجب وقوعه
ولا يزالون مختلفين بعضهم على الحق وبعضهم على الباطل لا تكاد تجد اثنين يتفقان مطلقا
الا من رحم ربك الا ناسا هداهم الله من فضله فاتفقوا على ما هو اصول دين الحق والعمدة فيه ولذلك
خلقهم ان كان الضمير للناس فالاشارة الى الاختلاف واللام للعاقبة او اليه والى الرحمة
وان كان لمن فالى الرحمة وتمت كلمة ربك وعيده او قوله للملائكة لاملان جهنم من الجنة
والناس اجمعين اي من عصاتهما اجمعين او منهما اجمعين لا من احدهما وكلا وكل نبأ

نقص عليك من انباء الرسل نخبرك به ما نثبت به فوادك بيان لكلا او بدل منه وفائدة
التنبيه على المقصود من الاقتصاص وهو زيادة يقينه وطمانينة قلبه وثبات نفسه
على اداء الرسالة واحتمال اذى الكفار او مفعول وكلا منصوب على المصدر بمعنى كل نوع
من انواع الاقتصاص نقص عليك ما نثبت به فوادك من انباء الرسل وجاءك في هذه
الحق ما هو حق وموعظة وذكرى للمؤمنين اشارة الى سائر فوائده العامة وقل للذين
لا يؤمنون اعملوا على مكانتكم على حالكم انا عاملون على حالنا وانتظروا بنا الدوائر
انا منتظرون ان ينزل بكم نحو ما نزل على امثالكم ولله غيب السموات والارض خاصة
لا يخفى عليه خافية مما فيهما واليه يرجع الامر كله فيرجع لا محالة امرهم وامرك اليه
وقرا نافع وحفص يرجع فاعبده وتوكل عليه فانه كافيك وفي تقديم الامر بالعبادة
على التوكل تنبيه على انه انما ينفع العابد وما ربك بغافل عما تعملون انت وهم فيجازي
ما يستحقه وقرا نافع وحفص وابن عامر بالتاء هنا وفي آخر النمل عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم من قرا سورة هود اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق بنوح ومن كذب
وهود وصالح وشعيب ولوط وابرهيم وموسى وكان يوم القيامة من السعداء ان شاء الله

سورة يوسف مكية وآيها مائة واحدى عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم الر تلك آيات
الكتاب المبين تلك اشارة الى آيات السورة وهي المرادة بالكتاب اي تلك الآيات آيات
السورة الظاهر امرها في الاعجاز او الواضحة معانيها او المبينة لمن يدبرها انها من عند الله
او لليهود لما سألوا اذ روي ان علماءهم قالوا لكبراء المشركين سلوا محمدا لم انتقل آل يعقوب من
الشام الى مصر وعن قصة يوسف فنزلت انا انزلناه اي الكتاب قرآنا عربيا سمي البعض
قرآنا لانه في الاصل اسم الجنس يقع على الكل والبعض وصار علما بالغلبة ونصبه على الحال وهو
في نفسه اما توطئة للحال التي هي عربيا او حال لانه مصدر بمعنى مفعول وعربيا صفة له او حال
من الضمير فيه او حال بعد حال وفي كل ذلك خلاف لعلكم تعقلون علة لانزاله بهذه الصفة
اي انزلناه مجموعا او مقروا بلغتكم تفهموه وتحيطوا بمعانيه او تستعملوا فيه عقولكم فتعلموا
ان اقتصاصه كذلك ممن لم يتعلم القصص معجز لا يتصور الا بايحاء نحن نقص عليك احسن

القصص

القصص احسن الاقتصاص لانه اقتص على ابدع الاساليب او احسن ما يقص لاشتماله على
العجايب والحكم والآيات والعبر فعل بمعنى مفعول كالنقض والسلب واشتقاقه من قص
اثره اذا اتبعه بما اوحينا بايحائنا اليك هذا القرآن يعني السورة ويجوز ان يجعل هذا
مفعول نقص على ان احسن نصب على المصدر وان كنت من قبله لمن الغافلين عن هذه
القصة لم تخطر ببالك ولم تقرع سمعك قط وهو تعليل لكونه موحى وان هي المخففة من الثقيلة
واللام هي الفارقة اذ قال يوسف بدل من احسن القصص ان جعل مفعولا بدل الاشتمال
او منصوب باضمار اذكر ويوسف عبري ولو كان عربيا لصرف وقرئ بفتح السين وكسرها
على التلقب به لا على انه مضارع بني للمفعول او الفاعل من آسف لان المشهورة شهدت بعجمته
لابيه يعقوب بن اسحق بن ابرهيم وعنه عليه السلام الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم
يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابرهيم يا ابت اصله يا ابي فعوض عن الياء تاء التانيث
لتناسبهما في الزيادة ولذلك قلبها هاء في الوقف ابن كثير وابو عمرو ويعقوب وكسرها لانها
عوض حرف يناسبها وفتحها ابن عامر في كل القرآن لانها حركة اصلها او لانه كان يا ابتا فحذف
الالف وبقي الفتحة وانما جاز يا ابتا ولم يجز يا ابتي لانه جمع بين العوض والمعوض عنه وقرئ
بالضم اجراء له مجرى الاسماء المؤنثة بالتاء من غير اعتبار التعويض وانما لم يسكن كاصلها
لانها حرف صحيح منزلة منزلة الاسم فيجب تحريكها ككاف الخطاب اني رايت من الرؤيا لا من
الرؤية لقوله لا تقصص رؤياك وقوله هذا تاويل رؤياي احد عشر كوكبا والشمس والقمر
روي عن جابر ان يهوديا جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اخبرني عن النجوم التي
رآهن يوسف فسكت فنزل جبرئيل فاخبره بذلك فقال ان اخبرتك هل تسلم قال نعم
فقال جربان والطارق والذيال وقابس وعمودان والفليق والمصبح والضروح والفرغ
ووثاب وذو الكتفين راها يوسف والشمس والقمر نزلن من السماء وسجدن له فقال
اليهودي اي والله انها لاسماؤها رايتهم لي ساجدين استيناف ببيان حالهم التي رآهم
عليها فلا تكرير وانما اجريت مجرى العقلاء لوصفها بصفاتهم قال يا بني تصغير ابن صغره
للشفقة او لصغر السن لانه كان ابن اثنتي عشرة سنة وقرا حفص هنا وفي والصافات بفتح

لا تقصص رؤياك على اخوتك فيكيدوا لك كيدا فيحتالوا لاهلاكك حيلة فهم
يعقوب عليه السلم من رؤياه ان الله يصطفيه لرسالته ويفوقه على اخوته فخاف عليه
حسدهم وبغيهم والرؤيا كالرؤية غير انها مختصة بما يكون في النوم فرق بينهما بحرف التانيث
كالقربة والقربى وسمي انطباع الصورة المتخيلة من افق المخيلة الى الحس المشترك والصاقها
منها انما تكون باتصال النفس بالملكوت لما بينهما من التناسب عند فراغه من تدبير البدن
ادنى فراغ فتصور بما فيها مما يليق من المعاني الحاصلة هناك ثم ان المتخيلة تحاكيه بصورة
تناسبه فترسلها الى الحس المشترك فيصير مشاهدة ثم ان كانت شديدة المناسبة لذلك
المعنى بحيث لا يكون التفاوت الا بالكلية والجزئية استغنت الرؤيا عن التعبير والا
احتاجت اليه وانما عدي كاد باللام وهو متعد بنفسه لتضمنه معنى فعل يعدى بها
تاكيدا ولذلك اكد بالمصدر وعلل بقوله ان الشيطان للانسان عدو مبين ظاهر
العداوة كما فعل بادم وحوا فلا يألوا جهدا في تسويلهم وانما الحسد فيهم حتى يحملهم
على الكيد وكذلك اي وكما اجتباك لمثل هذه الرؤيا الدالة على شرف وعز وكمال نفس
يجتبيك ربك للنبوة والملك او امور عظام والاجتباء من جبيت الشيء اذا حصلته
لنفسك ويعلمك كلام مبتدا خارج عن التشبيه كانه قيل وهو يعلمك من تاويل
الاحاديث من تعبير الرؤيا لانها احاديث الملك ان كانت صادقة واحاديث النفس
او الشيطان ان كانت كاذبة او من تاويل غوامض كتب الله تعالى وسنن الانبياء
وكلمات الحكماء وهو اسم جمع للباطل ويتم نعمته عليك بالنبوة او بان توصل نعمة الدنيا
بنعمة الاخرة وعلى ال يعقوب يريد به سائر بنيه ولعله استدل على نبوتهم
بضوء الكواكب ونسله كما اتمها على ابويك بالرسالة وقيل على ابراهيم بالخلة وعلى اسحق
من النار وعلى اسحق بانقاذه من الذبح وفدائه بذبح عظيم من قبل من قبلك او من قبل
هذا الوقت ابراهيم واسحق عطف بيان لابويك ان ربك عليم بمن يستحق الاجتباء
حكيم يفعل الاشياء على ما ينبغي لقد كان في يوسف واخوته اي في قصتهم آيات
دلائل قدرة الله وحكمته او علامات نبوتك وقرا ابن كثير آية للسائلين لمن سال عن قصتهم

والمراد

والمراد باخوته علاته العشرة وهم يهوذا وروبيل وشمعون ولاوي وربالون ويشجر
ودينة من بنت خالته ليئا تزوجها يعقوب اولا فلما توفيت تزوج اختها راحيل
فولدت له يوسف وبنيامين وقيل جمع بينهما ولم يكن الجمع محرما حينئذ واربعة آخرون
دان ويفثالي وجاد واشر من سريتين زلفة وبلهة اذ قالوا ليوسف واخوه بنيامين
وتخصيصه بالاضافة لاختصاصه بالاخوة من الطرفين احب الى ابينا منا وحد كان
افعل من لا يفرق فيه بين الواحد وما فوقه والمذكر وما يقابله بخلاف اخويه فان الفرق
واجب في المحلى جائز في المضاف ونحن عصبة والحال انا جماعة اقوياء احق بالمحبة
من صغيرين لا كفاية فيهما والعصبة والعصابة العشرة فصاعدا سموا بذلك لان الامور
تعصب بهم ان ابانا لفي ضلال مبين لتفضيله المفضول او لترك التعديل في المحبة
روي انه كان احب اليه لما يرى فيه من المخايل وكان اخوته يحسدونه فلما راى الرؤيا عضه
له المحبة بحيث لم يصبر عنه فتبالغ حسدهم حتى حملهم على التعرض له اقتلوا يوسف
من جملة المحكي بعد قوله اذ قالوا كانهم اتفقوا على ذلك الا من قال لا تقتلوا وقيل انما قاله
شمعون او دان ورضي به الآخرون او اطرحوه ارضا منكورة بعيدة من العمران
وهو معنى تنكيرها وابهامها ولذلك نصبت كالظروف المبهمة يخل لكم وجه
ابيكم جواب الامر والمعنى يصف لكم وجه ابيكم فيقبل بكليته عليكم ولا يلتفت عنكم
الى غيركم ولا ينازعكم في محبته احد وتكونوا جزم بالعطف على يخل او نصب باضمار
ان من بعده بعد يوسف والفراغ من امره وقتله او طرحه قوما صالحين
تائبين الى الله عما جنيتم او صالحين مع ابيكم فيصلح ما بينكم وبينه بعذرتهم دونه او
صالحين في امر دينكم فانه ينتظم لكم بعده بخلو وجه ابيكم قال قائل منهم يعني يهوذا
وكان احسنهم فيه رايا وقيل روبيل لا تقتلوا يوسف فان القتل عظيم والقوه
في غيابت الجب في قعر سمي بها لغيبوبته عن اعين الناظرين وقرا نافع في غيابات
في الموضعين على الجمع كانه لتلك الجب غيابات وقرئ غيبة وغيابات بالتشديد
يلتقطه ياخذه بعض السيارة بعض المارين يسيرون في الارض ان كنتم فاعلين

بمسورتي او ان كنتم على ان تفعلوا ما يفرق بينه وبين ابيه قالوا يا ابانا مالك
لا تامنا على يوسف لم تخافنا عليه وانا له لناصحون ونحن نشفق عليه ونريد
له الخير اراد وا به استنزاله عن رائه في حفظه منهم بما تتسم من حسدهم والمشهور
لا تامنا بالادغام باشمام وعن نافع ترك الاشمام ومن الشواذ ترك الادغام لانهما من كلمتين
وتيمنا بكسر التاء ارسله معنا غدا الى الصحراء نرتع نتسع في اكل الفواكه ونحوها
من الرتعة وهي الخصب ونلعب بالاستباق والانتضال وقراءة ابن كثير نرتع بكسر العين
على انه من ارتعى يرتعي ونافع بالكسر والياء فيه ونلعب وقراء الكوفيون ويعقوب
بالياء والسكون على اسناد الفعل الى يوسف وقرئ يرتع من ارتع ماشيته ويرتع
بكسر العين ونلعب بالرفع على الابتداء وانا له لحافظون ان ينا له مكروه قال انى
ليحزنني ان تذهبوا به لشدة مفارقته علي وقلة صبري عنه واخاف ان ياكله
الذئب لان الارض كانت مذئبة وقيل راى في المنام ان الذئب قد شد على يوسف
وكان يحذرهم وقد همزها على الاصل ابن كثير ونافع في رواية يزيدي وابو عمرو ووقفا
وعاصم وابن عامر وحمزة دحا واشتقاقه من تذأبت الريح اذا هبت من كل جهة
وانتم عنه غافلون لاشتغالكم بالرتع واللعب او لقلة اهتمامكم بحفظه قالوا
لين اكله الذئب ونحن عصبة اللام موطئة للقسم وجوابه انا اذا لخاسرون
ضعفاء مغبونون او مستحقون لان يدعى عليهم بالخسار والواو في ونحن للحال
به واجمعوا ان يجعلوه في غيابت الجب وعزموا على القائه فيها والبئر بئر بيت المقدس
او بارض الاردن او بين مصر ومدين او على ثلثة فراسخ من مقام يعقوب وجواب
لما محذوف مثل فعلوا به ما فعلوا من الاذى فقد روى انهم لما برزوا به الى الصحراء اخذوا
يؤذونه ويضربونه حتى كادوا يقتلونه فجعل يصيح ويستغيث فقال يهوذا ما عاهدتمونى
ان لا تقتلوني فاتوا به الى البئر فدلوه فيها فتعلق بشفيرها فربطوا يديه ونزعوا قميصه
ليلطخوه بالدم ويحتالوا به على ابيهم وقالوا اخوانه رد واعلى قميصي اتوارى به فقالوا
ادع احد عشر كوكبا والشمس والقمر يلبسونك ويونسونك فلما بلغ نصفها القوه وكان

يلبسوك ويونسوك

فيها ماء فسقط فيه ثم آوى الى صخرة كانت فيها فقام عليها يبكي فجاء جبريل بالوحي
كما قال واوحينا اليه وكان ابن عشرة سنة وقيل كان مراهقا اوحى اليه في صغره
كما اوحى الى يحيى وعيسى عليهما السلام وفي القصص ان ابرهيم عليه السلم حين القي
في النار جرد عن ثيابه فاتاه جبريل بقميص من حرير الجنة فالبسه اياه فدفعه ابرهيم
الى اسحق واسحق الى يعقوب فجعله في تميمة علقها بيوسف فاخرجه جبريل والبسه اياه
لتنبئنهم بامرهم هذا لتحدثنهم بما فعلوا بك وهم لا يشعرون انك يوسف
لعلو شانك وبعده عن اوهامهم وطول العهد المغير للحلى والهيئات وذلك اشارة الى
ما قال لهم بمصر حين دخلوا عليه ممتارين فعرفهم وهم له منكرون بقرب ما يئول اليه
امره اينا سأله وتطييبا لقلبه وقيل وهم لا يشعرون متصل باوحينا اى آنسناه
بالوحي وهم لا يشعرون ذلك وجاؤا ابا هم عشاء يبكون آخر النهار وقرئ عشيا
وهو تصغير عشي وعشارا بالضم والقصر جمع اعشى اى عشوا من البكاء يبكون متباكين
روى انه لما سمع بكاءهم فزع وقال ما لكم يا بني واين يوسف قالوا يا ابانا انا ذهبنا نستبق
نتسابق في العدو او الرمي وقد يشترك الافتعال والتفاعل كالانتضال والتناضل
وتركنا يوسف عند متاعنا فاكله الذئب وما انت بمؤمن لنا بمصدق
لنا ولو كنا صادقين لسوء ظنك بنا وفرط محبتك ليوسف وجاؤا على قميصه
بدم كذب اى ذي كذب بمعنى مكذوب فيه ويجوز ان يكون وصفا بالمصدر للمبالغة
وقرئ بالنصب على الحال من الواو اى جاؤا كاذبين وكذب بالذال غير المعجمة اى كدر
او طري وقيل اصله البياض الخارج على اظفار الاحداث فشبه به الدم اللاصق
على القميص وعلى قميصه في موضع النصب على الظرف اى فوق قميصه او على الحال
من الدم ان جوز تقديمها على المجرور روى انه لما سمع بخبر يوسف صاح وسال
قميصه واخذ والقاه على وجهه وبكى حتى خضب وجهه بدم القميص وقال
ما رايت كاليوم ذئبا احلم من هذا اكل ابني ولم يمزق عليه قميصه ولذلك قال بل
سولت لكم انفسكم امرا اى سهلت لكم وهونت في اعينكم امرا عظيما من السول

وهو الاسترخاء فصبر جميل اى فامرى صبر جميل او فصبر جميل اجمل وفى الحديث الصبر
الجميل الذى لا شكوى فيه الى الخلق والله المستعان على ما تصفون على احتمال ما تصفونه
من هلاك يوسف وهذه كانت قبل استنبائهم ان صح وجاءت سيارة رفقة
يسيرون من مدين الى مصر فنزلوا قريبا من الجب وكان ذلك بعد ثلث من القائه
فيه فارسلوا واردهم الذى يرد الماء ويستسقى لهم وكان مالك بن ذعر الخزاعى
فادلى دلوه فارسلها فى الجب ليملاها فتدلى بها يوسف فلما رآه قال يا بشراى
هذا غلام نادى البشرى بشارة لنفسه او لقومه كانه قال تعالى فهذا اوانك وقيل
هو اسم صاحب له ناداه ليعينه على اخراجه وقرا غير الكوفيين يا بشراى بالاضافة
وامال فتحة الراء حمزة والكسائى وقرا ورش بين اللفظين وقرى يا بشرى بالادغام
وهو لغة وبشراى بالسكون على قصد الوقف واسروه اى الوارد واصحابه من سائر
الرفقة وقيل اخفوا امره وقالوا لهم دفعه الينا اهل الماء لنبيعه لهم بمصر
وقيل الضمير لاخوة يوسف وذلك ان يهوذا كان ياتيه كل يوم بالطعام فاتاه يومئذ
فلم يجده فيها فاخبر اخوته فاتوا الرفقة وقالوا هذا غلامنا ابق منا فاشتروه من اخوته
وسكت يوسف مخافة ان يقتلوه بضاعة نصب على الحال اى اخفوه متاعا للتجارة
واشتقاقه من البضع فانه ما بضع من المال للتجارة والله عليم بما يعملون لم يخف عليه
اسرارهم او صنيع اخوة يوسف بابيهم واخيهم وشروه وباعوه وفى مرجع الضمير
الوجهان او اشتروه من اخوته بثمن بخس مبخوس لزيفه او نقصانه دراهم بدل
من الثمن معدودة قليلة فانهم كانوا يزنون ما بلغ الاوقية ويعدون ما دونها
قيل كان عشرين درهما وقيل اثنين وعشرين وكانوا فيه فى يوسف من الزاهدين
الراغبين عنه الضمير فى وكانوا ان كان للاخوة فظاهر وان كان للرفقة وكانوا
بائعين فزهدهم فيه لانهم التقطوه والملتقط للشئ متهاون به خائف عن انتزاعه
مستعجل فى بيعه وان كانوا مبتاعين فلانهم اعتقدوا انه آبق وفيه متعلق بالزاهدين
ان جعل اللام للتعريف وان جعل بمعنى الذى فهو متعلق بمحذوف يبينه الزاهدين

الجريمة

لان

لان متعلق الصلة لا يتقدم على الموصول وقال الذى اشتريه من مصر وهو
العزيز الذى كان على خزاين مصر واسمه قطفير او اطفير وكان الملك يومئذ ريان بن الوليد
العمليقى وقد آمن بيوسف ومات فى حيوته وقيل كان فرعون موسى عاش اربعمائة
بدليل قوله ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات والمشهور انه من اولاد فرعون يوسف
والآية من قبيل خطاب الاولاد باحوال الآباء روى انه اشتراه العزيز وهو ابن سبع عشرة سنة
ولبث فى منزله ثلث عشرة سنة واستوزره الريان وكان هو ابن ثلثين سنة وآتاه الله الحكمة
والعلم وهو ابن ثلث وثلثين سنة وتوفى وهو ابن مائة وعشرين واختلف فيما اشتراه به
من جعل شراه غير الاول فقيل عشرون دينارا وزوجا نعل وثوبان ابيضان وقيل ملؤه
فضة وقيل ذهبا لامراته راعيل او زليخا اكرمى مثواه اجعلى مقامه عندنا كريما
اى حسنا والمعنى احسنى تعهده عسى ان ينفعنا فى ضياعنا واموالنا ونستظهر به
فى مصالحنا او نتخذه ولدا نتبناه وكان عقيما لما تفرس فيه من الرشد ولذلك قيل
افرس الناس ثلثة عزيز مصر وابنة شعيب التى قالت يا ابت استاجره وابو بكر حين
استخلف عمر وكذلك مكنا ليوسف فى الارض وكما مكنا محبته فى قلب العزيز
او كما مكناه فى منزله او كما انجيناه وعطفنا عليه العزيز مكنا له فيها ولنعلمه من تاويل
الاحاديث عطف على مضمر تقديره ليتصرف فيها بالعدل ولنعلمه اى كان القصد
فى انجائه وتمكينه الى ان يقيم العدل ويدبر امور الناس ويعلم معانى كتب الله واحكامه
فينفذها او تعبير المنامات المنبهة عن الحوادث الكائنة ليستعد لها ويشتغل بتدبيرها
قبل ان تحل كما فعل لسنيه والله غالب على امره لا يرده شئ ولا ينازعه فيما يشاء
او على امر يوسف اراد به اخوة يوسف شيئا واراد الله غيره فلم يكن الا ما اراده ولكن
اكثر الناس لا يعلمون ان الامر كله بيده او لطائف صنعه وخفايا لطفه ولما بلغ
اشده منتهى اشتداد جسمه وهو سن الوقوف ما بين الثلثين والاربعين وقيل سن
الشباب ومبداه بلوغ الحلم آتيناه حكما حكمة وهو العلم المؤيد بالعمل او حكما بين الناس
وعلما يعنى علم تاويل الاحاديث وكذلك نجزى المحسنين تنبيه على انه تعالى انما آتاه

مثله

الضياع العقار

وكان

وقوته

ان الله

وايقانه

ذلك جزاء على احسانه في عمله واتقانه في عنفوان امره وراودته التي هو
في بيتها عن نفسه طلبت منه وتحيلت ان يواقعها من راد يرود اذا جاء وذهب
لطلب شيء ومنه الرائد وغلقت الابواب قيل كانت سبعة والتشديد للتكثير
او للمبالغة في الايثاق وقالت هيت لك اي اقبل وبادر او تهيأت والكلمة على الوجهين
اسم فعل بني على الفتح كاين واللام للتبيين كالتي في سقيا لك وقراءة ابن كثير بضم التاء
وفتح الهاء تشبيها له بحيث ونافع وابن عامر بالفتح وكسر الهاء من غير همز كعيط
وهيت لغة فيه وقراءة هشام كذلك الا انه يهمز وقد روي عنه ضم التاء وقرئ
هئت كجئت وهيئت كجيئت من هاء يهيء اذا تهيأ وعلى هذا فاللام من صلته
قال معاذ الله اعوذ بالله معاذا انه ان الشان ربي احسن مثواي سيدي الذي اشتراك
فطهر احسن تعهدي اذ قال لك اكرمي مثواه فما جزاؤه ان اخونه في اهله وقيل
الضمير لله اي انه خالقي واحسن منزلتي بان عطف على قلبه فلا اعصيه انه لا يفلح
الظالمون المجازون الحسن بالسيئ وقيل الزناة فان الزنا ظلم على الزاني والمزني
باهله ولقد همت به وهم بها قصدت مخالطته وقصد مخالطتها والهم بالشيء
قصده والعزم عليه ومنه الهمام وهو الذي اذا هم بشيء امضاه والمراد بهمه
ميل الطبع ومنازعة الشهوة لا القصد الاختياري وذلك مما لا يخلو تحت التكليف
بل الحقيق بالمدح والاجر الجزيل من الله من يكف نفسه عن الفعل عند قيام هذا
الهم او مشارفة الهم كقولك قتلته لو لم اخف الله لولا ان راى برهان ربه
في قبح الزنا وسوء مغبته لخالطها لشبق الغلمة وكثرة المبالغة ولا يجوز ان
يجعل وهم بها جواب لولا فانها في حكم ادوات الشرط فلا يتقدم عليها جوابها
بل الجواب محذوف يدل عليه وقيل راى جبريل وقيل تمثل له يعقوب عاضا
على انامله وقيل قطفير وقيل نودي يا يوسف انت مكتوب في الانبياء
وتعمل عمل السفهاء كذلك اي مثل ذلك التثبيت ثبتناه او الامر مثل ذلك
لنصرف عنه السوء خيانة السيد والفحشاء الزنا انه من عبادنا المخلصين

برواية ابن ذكوان ٥

جمع الهمام

لشدة الشبق والغلمة ٩

الذين

الذين اخلصهم الله لطاعته وقراءة ابن كثير وابو عمرو وابن عامر ويعقوب بالكسر
في كل القرآن اذا كان في اوله الالف واللام اي الذين اخلصوا دينهم لله واستبقا
الباب وراءه لتمنعه الخروج وقدت قميصه من دبر اجتذبته من وراء فانقد
قميصه والقد الشق طولا والقط الشق عرضا والفيا سيدها وصادفا زوجها لدى الباب
قالت ما جزاء من اراد باهلك سوءا الا ان يسجن او عذاب اليم ايهاما بانها فرت منه
تبرئة لساحتها عند زوجها وتغييرا على يوسف واغرائه بانتقامها منه وما نافية او
استفهامية بمعنى اي شيء جزاؤه الا السجن قال هي راودتني عن نفسي طالبتني بالمواتاة
وانما قال ذلك دفعا لما عرضته له من السجن او العذاب ولو لم تكذب عليه لما قاله
وشهد شاهد من اهلها قيل ابن عمها وقيل ابن خالها صبيا في المهد وعن النبي
صلى الله عليه وسلم تكلم اربعة وهم رضيع ابن ماشطة ابنة فرعون وشاهد يوسف وصاحب
جريج وعيسى عليهم السلام وانما القى الله الشهادة على لسان اهلها ليكون الزم عليها
ان كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين لانه يدل على انها
قدت قميصه من قدامه بالدفع عن نفسها او انه اسرع خلفها فتعثر بذيله فانقد
جيبه وان كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين لانه يدل
على انها تبعته فاجتذبت ثوبه فقدته والشرطية محكية على ارادة القول او على ان
فعل الشهادة من القول وتسميتها بشهادة لانها ادت مؤداها والجمع بين ان وكان
على تاويل ان يعلم انه كان ونحوه وتظير قولك ان احسنت الي فقد احسنت اليك
من قبل فان معناه ان تمنن علي باحسانك امنن عليك باحسانك السابق وقرئ
من قبل ومن دبر بالضم لانهما قطعا عن الاضافة كقبل وبعد وبالفتح كانهما
جعلا علمين للجهتين فمنعا الصرف فلما راى قميصه قد من دبر قال انه ان
قولك ما جزاء من اراد باهلك سوءا وان السوءا وان هذا الامر من كيدكن من حيلتكن
والخطاب لها ولامثالها او لسائر النساء ان كيدكن عظيم فان كيد النساء الطف
واعبق بالقلب واشد تاثيرا في النفس ولانهن يواجهن بها الرجال والشيطان يوسوس بها

اعلق ٩

اي انما بقا الوالبا بسقوط الجار
او ضمن الفعل معنى الابتعاد
وذلك ان يوسف قد منها
يخرج واسرعت فتبعها

المواتاة

صغارا ٩

وبسكون العين ٩

مسارقة يوسف حذف منه حرف النداء لقربه وتفطنه للحديث اعرض
عن هذا اكتمه ولا تذكره واستغفري لذنبك يا راعيل انك كنت من الخاطئين
من القوم المذنبين من خطأ اذا اذنب متعمدا والتذكير للتغليب وقال نسوة هي
اسم لجمع امراة وتانيثه بهذا الاعتبار غير حقيقي ولذلك جرد فعله وضم النون لغة
فيها في المدينة ظرف لقال اي اشعن الحكاية في مصر او صفة نسوة وكن خمسا
زوجة الحاجب والساقي والخباز والسجان وصاحب الدواب امراة العزيز
تراود فتاها عن نفسه تطلب مواقعة غلامها اياها والعزيز بلسان العرب
الملك واصل فتى فتي لقولهم فتيان والفتوة شاذة قد شغفها حبا شق شغاف
قلبها وهي حجابه حتى وصل الى فوادها وحبا نصبه على التمييز لصرف الفعل عنه وقرئ
شعفها من شعف البعير اذا هناه بالقطران فاحرقه انا لنريها في ضلال مبين
في ضلال عن الرشد وبعد عن الصواب فلما سمعت بمكرهن باغتيابهن وانما
سماه مكرا لانهن اخفينه كما يخفي الماكر مكره او قلن ذلك لتريهن يوسف او لانها استكتمتهن
سرها فافشينه عليها ارسلت اليهن تدعوهن قيل دعت اربعين امراة فيهن
الخمس واعتدت لهن متكا ما يتكئن عليه من الوسايد وآتت كل واحدة منهن
سكينا حتى يتكئن والسكاكين بايديهن فاذا خرج عليهن يبهتن ويشغلن عن نفوسهن
فيقع ايديهن على ايديهن فيقطعنها فيبكتن بالحجة او يقال يهاب يوسف من مكرها
اذا خرج وحده على اربعين نسوة في ايديهن الخناجر وقيل متكا طعاما او مجلس
طعام فانهم كانوا يتكئون للطعام والشراب تنزفا ولذلك نهي عنه قال جميل
وظللنا بنعمة واتكانا وشربنا الجلال من قلله وقيل المتكا طعام يحز حزا كان
القاطع يتكئ عليه بالسكين وقرئ متكا بحذف الهمزة ومتكا باشباع الفتحة كمنتزاح
ومتكا وهو الاترج او ما يقطع من متك الشيء اذا بتكه ومتكا من تكي يتكي اذا اتكا وقالت
اخرج عليهن فلما راينه اكبرنه عظمنه وهبن حسنه الفائق وعن النبي
صلى الله عليه وسلم رايت يوسف ليلة المعراج كالقمر ليلة البدر وقيل كان

يرى

يرى تلالؤ وجهه على الجدران وقيل اكبرن بمعنى حضن من اكبرت المراة اذا
حاضت لانها تدخل الكبر بالحيض والهاء ضمير المصدر او ليوسف على حذف اللام
اي حضن له من شدة الشبق كما قال المتنبي خف الله واستر ذا الجمال ببرقع
فان لحت حاضت في الخدور العواتق وقطعن ايديهن جرحنها بالسكاكين
من فرط الدهشة وقلن حاش لله تنزيها له من صفات العجز وتعجبا من قدرته
على خلق مثله واصله حاشا كما قراه ابو عمرو في الدرج فحذفت الفه الاخيرة تخفيفا
وهو حرف يفيد معنى التنزيه في باب الاستثناء فوضع موضع التنزيه واللام للبيان
كما في قولك سقيا لك وقرئ حاشا الله بغير اللام بمعنى براءة الله وحاشا لله بالتنوين
على تنزيله منزلة المصدر وقيل حاشا فاعل من الحشا الذي هو الناحية وفاعله ضمير
يوسف اي في ناحية لله مما يتوهم فيه ما هذا بشرا لان هذا الجمال غير معهود
للبشر وهو على لغة الحجاز في اعمال ما عمل ليس لمشاركتهما في نفي الحال وقرئ بشر بالرفع
على لغة تميم وبشرى اي بعبد مشترى لئيم ان هذا الا ملك كريم فان الجمع بين الجمال
الرائق والكمال الفائق والعصمة البالغة من خواص الملائكة او لان جماله فوق جمال
البشر ولا يفوقه فيه الا الملك قالت فذلكن الذي لمتنني فيه اي فهو ذلك العبد
الكنعاني الذي لمتنني فيه في الافتتان قبل ان تتصورنه حق تصوره ولو تصورتنه بما
عاينتن لعذرتنني او فهذا هو الذي لمتنني فيه فوضع ذلك موضع هذا رفعا لمنزلة
المشار اليه ولقد راودته عن نفسه فاستعصم فامتنع طالبا للعصمة اقرت لهن
حين عرفت انهن يعذرنها كي يعاونها على الانة عريكته ولئن لم يفعل ما آمره
اي ما آمر به فحذف الجار او امري اياه بمعنى موجب امري فيكون الضمير ليوسف ليسجنن
وليكونا من الصاغرين الاذلاء وهو من صغر بالكسر يصغر صغرا وصغارا او
الصغير من صغر بالضم صغرا وقرئ ليكونن وهو يخالف خط المصحف لان النون كتبت فيه
بالالف كنسفعا على حكم الوقف وذلك في الخفيفة لشبهها بالتنوين قال رب السجن
وقرأ يعقوب بالفتح على المصدر احب الي مما يدعونني اليه اي آثر عندي من مواتاتها

زنا نظرا الى العاقبة وان كان تشتهيه النفس وذالك مما تكرهه واسناد الدعوة اليهن
جميعا لانهن خوفنه عن مخالفتها وزينّ له مطاوعتها او دعوة الى انفسهن وقيل
انما ابتلى بالسجن لقوله هذا وانما كان الاولى به ان يسأل العافية ولذلك ردّ رسول الله
صلى الله عليه وسلم على من كان يسأل الصبر والا تصرف عني وان لم تصرف عني
كيدهن فى تجنيب ذلك الى وتحسينه عندى بالتثبيت على العصمة اصب اليهن امل
الى جانبهن او الى انفسهن بطبع ومقتضى شهوتى والصبوة الميل الى الهوى ومنه الصبا
لان النفوس تستطيبها وتميل اليها وقرئ اصبب من الصبابة وهى الشوق واكن من
الجاهلين من السفهاء بارتكاب ما يدعونني اليه فان الحكيم لا يفعل القبيح ومن الذين
لا يعلمون ما يعلمون فانهم والجهال سواء فاستجاب له ربه فاجاب الله دعاءه الذى
تضمنه قوله والا تصرف فصرف عنه كيدهن فثبته بالعصمة حتى وطن نفسه
على مشقة السجن وآثرها على اللذة المتضمنة للعصيان انه هو السميع لدعاء الملتجئين
اليه العليم باحوالهم وما يصلحهم ثم بدا لهم من بعد ما راوا الآيات ثم ظهر للعزيز واهله
بعد ما راوا الشواهد الدالة على براءة يوسف كشهادة الصبى وقد القميص وقطع النساء
ايديهن واستعصامه عنهن وفاعل ليسجننه مضمر يفسره ليسجننه حتى حين وذلك لانها
خدعت زوجها وحملته على سجنه زمانا حتى تبصر ما يكون منه او يحسب الناس
انه المجرم فلبث فى السجن سبع سنين وقرئ بالتاء على ان بعضهم خاطب به العزيز على التعظيم
او العزيز ومن يليه وعتى بلغته هذيل ودخل معه السجن فتيان اى ادخل يوسف
السجن واتفق ان ادخل حينئذ آخران من عبيد الملك شرابيه وخبازه للاتهام
بانهما يريدان ان يسمّاه قال احدهما يعنى الشراب انى ارانى اى فى المنام وهى حكاية
حال ماضية اعصر خمرا اى عنبا او سماه بما يؤل اليه وقال الآخر اى الخباز انى ارانى
احمل فوق راسى خبزا تاكل الطير منه نبئنا بتاويله انا نريك من
المحسنين من الذين يحسنون تاويل الرؤيا او من العالمين وانما قالا ذلك لانهما
رايا فى السجن يذكّر الناس ويعبّر رؤياهم او من المحسنين الى اهل السجن فاحسن الينا

تاويل

تاويل ما رايتنا ان كنت تعرفه قال لا ياتيكما طعام ترزقانه الا نبأتكما بتاويله
اى بتاويل ما قصصتما على او بتاويل الطعام يعنى بيان ماهيته وكيفيته فانه يشبه
تفسير المشكل كانه اراد ان يدعوهما الى التوحيد ويرشدهما الطريق القويم
قبل ان يسعفهما الى ما سالا منه كما هو طريقة الانبياء والنازلين منازلهم
من العلماء فى الهداية والارشاد فقدم ما يكون معجزة له من الاخبار بالغيب
ليدلهما على صدقه فى الدعوة والتعبير قبل ان ياتيكما ذلكما اى ذلك التاويل
مما علمنى ربى بالالهام والوحى وليس من قبيل التكهن والتنجيم انى تركت ملة قوم
لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون تعليل لما قبله اى علمنى ذلك لانى
تركت ملة اولئك واتبعت ملة آبائى ابرهيم واسحق ويعقوب او كلام مبتدأ
لتمهيد الدعوة واظهار انه من بيت النبوة ليقوى رغبتهما فى الاستماع اليه والوثوق
عليه ولذلك جوز للحامل ان يصف نفسه حتى يعرف فيقتبس منه وتكرير الضمير
للدلالة على اختصاصهم وتاكيد كفرهم بالآخرة ما كان لنا ما صح لنا معشر الانبياء
ان نشرك بالله من شئ اى شئ كان ذلك التوحيد من فضل الله علينا
بالوحى وعلى الناس وعلى سائر الناس ببعثنا لارشادهم وتنبيههم عليه ولكن
اكثر الناس المبعوث اليهم لا يشكرون هذا الفضل فيعرضون عنه ولا يتنبهون
او من فضل الله علينا وعليهم بنصب الدلائل وانزال الآيات ولكن اكثرهم لا ينظرون
اليها ولا يستدلون بها فيلغون نعما كمن يكفر النعمة ولا يشكرها يا صاحبى السجن يا
ساكنيه او يا صاحبىّ فيه فاضافهما اليه على الاتساع كقوله يا سارق الليلة اهل
الدار ارباب متفرقون شتى متعددة متساوية الاقدام خير ام الله الواحد المتوحد
بالالوهية القهار الغالب الذى لا يقاومه غيره ما تعبدون من دونه خطاب لهما
ولمن على دينهما من اهل مصر الا اسماء سميتموها انتم وآباؤكم ما انزل الله بها
من سلطان اى الا اشياء باعتبار اسامى اطلقتم عليها من غير حجة تدل على تحقق مسمياتها
فيها فانكم لا تعبدون الا الاسماء المجردة والمعانى التى سميتم بها لم يدل على استحقاقها الالهية

316

عقل ولا نقل آلهة ثم اخذتم تعبدونها باعتبار ما تطلقون عليها ان الحكم في
امر العبادة الا لله لانه المستحق لها بالذات من حيث انه الواجب لذاته الموجد للكل
والمالك لامره امر على لسان انبيائه ان لا تعبدوا الا اياه الذي دلت عليه الحجج ذلك
الدين القيم الحق وانتم لا تميزون المعوج عن القويم وهذا من التدرج في الدعوة والزام
الحجة بين لهم اولا رجحان التوحيد على اتخاذ الآلهة واما بالغير وكلا القسمين منتف
عنها ثم نص على ما هو الحق القويم والدين المستقيم الذي لا يقتضي العقل غيره ولا
يرتضي العلم دونه ولكن اكثر الناس لا يعلمون فيخبطون في جهالاتهم يا صاحبي السجن اما
احدكما يعني الشرابي فيسقي ربه خمرا كما كان يسقيه قبل ويعود الى ما كان عليه واما
الآخر يريد الخباز فيصلب فتاكل الطير من راسه فقالا كذبنا فقال قضي الامر الذي فيه
تستفتيان اي قطع الامر الذي تستفتيان فيه وهو ما يؤول اليه امركما ولذلك وحده
فانهما وان استفتيا في امرين لكنهما ارادا استبانة عاقبة ما نزل بهما وقال للذي
ظن انه ناج منهما الظان يوسف ان ذكر ذلك عن اجتهاد وان ذكره عن وحي فهو
الناجي الا ان يؤول الظن باليقين اذكرني عند ربك اذكر حالي عند الملك كي يخلصني فانساه
الشيطان ذكر ربه فانسا الشرابي ان يذكره لربه فاضاف اليه المصدر لملابسته
له او على تقدير ذكر اخبار ربه او انسى يوسف ذكر الله حتى استعان بغيره ويؤيده
قوله عليه السلم رحم الله اخي يوسف لو لم يقل اذكرني عند ربك لما لبث في السجن
سبعا بعد الخمس والاستعانة بالعباد في كشف الشدايد وان كان محمودة في
الجملة لكنها لا يليق بمنصب الانبياء فلبث في السجن بضع سنين البضع ما بين الثلث الى التسع
من البضع وهو القطع وقال الملك اني ارى سبع بقرات سمان ياكلهن سبع عجاف
لما دنى فرجه راى الملك سبع بقرات سمان خرجن من نهر يابس وسبع بقرات
مهازيل فابتلعت المهازيل السمان وسبع سنبلات خضر قد انعقد حبها واخر يابسات
وسبعا اخر يابسات قد ادركت فالتوت اليابسات على الخضر غلبن عليها وانما
استغنى عن بيان حالها بما قص من حال البقرات واجرى السمان على المميز دون المميز





على طريق الخطابة ثم برهن على ان ما تسمونها آلهة وتعبدونها لا تستحق الالهية فان استحقاق العبادة اما بالذات

حين

لان

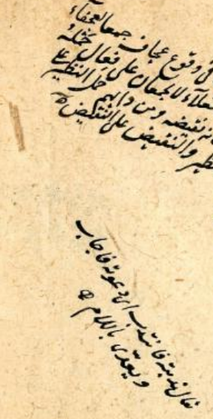



لان التمييز بها ووصف السبع الثاني بالعجاف لتعذر التمييز بها مجردا عن الموصوف
فانه لبيان الجنس وقياسه عجف لانه جمع عجفاء لكنه حمل على سمان لانه نقيضه
يا ايها الملاء افتوني في رؤياي عبروها ان كنتم للرؤيا تعبرون ان كنتم عالمين بعبارة
الرؤيا وهي الانتقال من الصور الخيالية الى المعاني النفسانية التي هي مثالها
من العبور وهو المجاوزة وعبرت الرؤيا عبارة اثبت من عبرتها تعبيرا واللام
للبيان او لتقوية العامل فان الفعل لما اخر عن مفعوله ضعف فقوي باللام كاسم
الفاعل او لتضمن تعبرون معنى فعل يعدى باللام كانه قيل ان كنتم تنتدبون
لعبارة الرؤيا قالوا اضغاث احلام اي هذه اضغاث احلام وهي تخاليطها
جمع ضغث واصله ما جمع من اخلاط النبات وحزم فاستعير للرؤيا الكاذبة
وانما جمعوا للمبالغة في وصف الحلم بالبطلان كقولهم فلان يركب الخيل او لتضمنه
اشياء مختلفة وما نحن بتاويل الاحلام بعالمين يريدون بالاحلام المنامات الباطلة
خاصة اي ليس لها تاويل عندنا وانما التاويل للمنامات الصادقة كانه مقدمة
ثانية للعذر في جهلهم بتاويله وقال الذي نجا منهما من صاحبي السجن وهو الشرابي
وادكر بعد امة وتذكر يوسف بعد جماعة من الزمان مجتمعة اي مدة طويلة
وقرئ امة بكسر الهمزة وهي النعمة اي بعد ما انعم عليه بالنجاة وامه اي نسيان
يقال امه يامه امها اذا نسي والجملة اعتراض ومفعول القول انا انبئكم بتاويله
فارسلون اي الى من عنده علمه او الى السجن يوسف ايها الصديق اي فارسل الى يوسف
وقال يا يوسف وانما وصفه بالصديق وهو المبالغ في الصدق لانه جرب احواله
وعرف صدقه في تاويل رؤياه ورؤيا صاحبه افتنا في سبع بقرات سمان ياكلهن
سبع عجاف وسبع سنبلات خضر واخر يابسات اي في رؤيا ذلك لعلي ارجع
الى الناس اعود الى الملك ومن عنده او الى اهل البلد اذ قيل ان السجن لم يكن فيه
لعلهم يعلمون تاويلها او فضلك ومكانك وانما لم يبت الكلام فيهما لانه لم يكن
جازما من الرجوع فربما اخترم دونه ولا من علمهم قال تزرعون سبع سنين دابا

اى على عادتكم المستمرة وانتصابه على الحال بمعنى دائبين او المصدر باضمار فعله اى
اى تدأبون دأبا ويكون الجملة حالا وقرأ حفص دأبا بفتح الهمزة وكلاهما مصدرا
دأب فى العمل وقيل تزرعون امرا اخرجه فى صورة الخبر مبالغة لقوله فما
حصدتم فذروه فى سنبله كيلا يأكله السوس وهو على الاول نصيحة خارجة
عن العبارة الا قليلا مما تأكلون فى تلك السنين ثم يأتى من بعد ذلك سبع شداد
يأكلن ما قدمتم لهن اى يأكل اهلهن ما ادخرتم لاجلهن فاسند اليهن تطبيقا
بين المعبر والمعبر به الا قليلا مما تحصنون تحرزون لبذور الزراعة ثم يأتى من بعد ذلك
عام فيه يغاث الناس يمطرون من الغيث او يغاثون من القحط من الغوث وفيه يعصرون
ما يعصر كالعنب والزيتون لكثرة الثمار وقيل يحلبون الضروع وقرأ حمزة والكسائى
بالتاء على تغليب المستفتى وقرئ على بناء المفعول من عصره اذا انجاه ويحتمل ان يكون المبنى
للفاعل منه اى يغيثهم الله ويغيث بعضهم بعضا او من اعصرت السحابة عليهم
فعدى بنزع الخافض او بتضمينه معنى المطر وهذه بشارة بشرهم بها بعد ان اول
البقرات السمان والسنبلات الخضر بسنين مخصبة والعجاف واليابسات بسنين
مجدبة وابتلاع العجاف السمان باكل ما جمع فى السنين المخصبة فى السنين المجدبة ولعله
علم ذلك بالوحى او بان انتهاء الجدب بالخصب او بان السنة الالهية على ان يوسع
على عباده بعد ما ضيق عليهم وقال الملك ائتونى به بعد ما جاءه الرسول بالتعبير
فلما جاءه الرسول ليخرجه قال ارجع الى ربك فسأله ما بال النسوة اللاتى قطعن
ايديهن انما تأنى فى الخروج وقدم سؤال النسوة وفحص حاله ليظهر براءة ساحته
ويعلم انه سجن ظلما فلا يقدر الحاسد ان يتوسل به الى تقبيح امره وفيه دليل على انه
ينبغى ان يجتهد فى نفى التهم ويتقى مواقعها وعن النبى صلى الله عليه وسلم لو كنت
مكانه ولبثت فى السجن ما لبث لاسرعت الاجابة وانما قال فسأله ما بال النسوة
ولم يقل فسأله ان يفتش عن حالهن تهييجا له على البحث وتحقيق الحال وانما لم يتعرض
لسيدته مع ما صنعت به كرما ومراعاة للادب وقرئ النسوة بضم النون ان ربى

تعال داب فلان فى عمله اى جد وتعب

بكيدهن

بكيدهن عليم حين قلن لى اطع مولاتك وفيه تعظيم كيدهن والاستشهاد بعلم الله
عليه وعلى انه برئ مما قرف به والوعيد لهن على كيدهن قال ما خطبكن قال الملك لهن
ما شأنكن والخطب امر يحق ان يخاطب فيه صاحبه اذ راودتن يوسف عن نفسه
قلن حاش لله تنزيه له وتعجب من قدرته على خلق عفيف مثله ما علمنا عليه من سوء
من ذنب قالت امرأة العزيز الآن حصحص الحق ثبت واستقر من حصحص البعير اذا
القى مباركه ليناخ قال فحصحص فى صم الصفا ثفناته وناء بسلمى نوءة ثم صمما او ظهر
من حص شعره اذا استأصله بحيث ظهر بشرة رأسه وقرئ على البناء للمفعول انا
راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين فى قوله هى راودتنى عن نفسى ذلك ليعلم
قاله يوسف لما عاد اليه الرسول واخبره بكلامهن اى ذلك التثبت ليعلم العزيز انى
لم اخنه بالغيب بظهر الغيب وهو حال من الفاعل او المفعول اى لم اخنه وانا غائب
عنه او هو غائب عنى او ظرف اى بمكان الغيب وراء الاستار والابواب المغلقة وان
الله لا يهدى كيد الخائنين لا ينفذه ولا يسدده او لا يهدى الخائنين بكيدهم فاوقع
الفعل على الكيد مبالغة وفيه تعريض براعيل فى خيانتها زوجها وتوكيد لامانته ولذلك
عقبه بقوله وما ابرئ نفسى اى ولا انزهها تنبيها على انه لم يرد بذلك تزكية نفسه
والعجب بحاله بل اظهار ما انعم الله عليه من العصمة والتوفيق وعن ابن عباس انه لما
قال ليعلم انى لم اخنه قال له جبرئيل ولا حين هممت فقال ذلك ان النفس لامارة
بالسوء من حيث انها بالطبع مائلة الى الشهوات فتهم بها وتستعمل القوى والجوارح
فى اثرها كل الاوقات الا ما رحم ربى الا وقت رحمة ربى او الا ما رحمه الله من النفوس
فعصمه عن ذلك وقيل الاستثناء منقطع اى ولكن رحمة ربى هى التى تصرف الاساءة
وقيل الآية حكاية قول راعيل والمستثنى نفس يوسف واضرابه وقرأ القالون والبزى
بالسوء على قلب الهمزة واوا ثم الادغام ان ربى غفور رحيم يغفر هم النفوس ويرحم
من يشاء بالعصمة او يغفر المستغفر لذنبه المعترف على نفسه ما استغفره فيرحمه
واسترحمه مما ارتكبه وقال الملك ائتونى استخلصه لنفسى اجعله خالصا

هم

فيرحمه

لنفسى فلما كلمه اى فلما اتوا به فكلمه وشاهد منه الرشد والنهاء قال انك
اليوم لدينا مكين ذو مكانة ومنزلة امين مؤتمن على كل شئ روى انه لما خرج من السجن
اغتسل وتنظف ولبس ثيابا جددا فلما دخل على الملك قال اللهم انى اسألك من خيره
واعوذ بعزتك من شره ثم سلم عليه ودعاله بالعبرية فقال له ما هذا اللسان قال لسان
آبائى وكان الملك يعرف سبعين لسانا فكلمه بها فاجابه بجميعها فتعجب منه فقال له
أحب ان أسمع رؤياى منك فحكاها ونعت له البقرات والسنبلات واماكنها على ما رآها
فأجلسه على السرير وفوض اليه امره وقيل توفى فى تلك الليالى فنصبه منصبه
وتزوج منه راعيل فوجدها عذراء وولد له منها افرائيم وميشا قال اجعلنى على
خزائن الارض ولّنى امرها والارض ارض مصر انى حفيظ لها ممن لا يستحقها عليم
بوجوه التصرف فيها ولعله عليه السلم لما رأى انه يستعمله فى امر لا محالة آثر ما يعم
فوائده ويجل عوائده وفيه دليل على جواز طلب التولية واظهار انه مستعد لها
والتولى من يد الكافر اذا علم انه لا سبيل الى اقامة الحق وسياسة الخلق الا بالاستظهار
به وعن مجاهد اسلم الملك على يديه وكذلك مكنا ليوسف فى الارض ارض مصر
يتبوأ منها حيث يشاء ينزل من بلادها حيث يهوى وقرأ ابن كثير نشاء بالنون
نصيب برحمتنا من نشاء فى الدنيا والآخرة ولا نضيع اجر المحسنين بل نوفى اجورهم
عاجلا وآجلا ولاجر الآخرة خير للذين آمنوا وكانوا يتقون الشرك والفواحش
لعظمه ودوامه وجاء اخوة يوسف روى انه لما استوزر الملك اقام العدل واجتهد
فى تكثير الزراعات وضبط الغلات حتى دخلت السنون المجدبة وعم القحط مصر والشام
ونواحيها وتوجه الناس اليه فباعها اولا بالدراهم والدنانير حتى لم يبق معهم شئ
منها ثم بالحلى والجواهر ثم بالدواب ثم بالضياع والعقار ثم برقابهم حتى استرقهم
جميعا ثم عرض الامر على الملك فقال الرأى رأيك فاعتقهم ورد عليهم اموالهم وكان
قد اصاب كنعان ما اصاب سائر البلاد فارسل يعقوب بنيه غير بنيامين اليه
للميرة فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون اى عرفهم يوسف ولم يعرفوه

وقد رتك ص

لطول العهد

لطول العهد ومفارقتهم اياه فى سن الحداثة ونسيانهم اياه وتوهمهم انه هلك وبعد
حاله التى رآه عليها من حاله حين فارقوه وقلة تأملهم فى خلاله من التهيب والاستظام
ولما جهزهم بجهازهم اصلحهم بعدتهم واوقر ركابهم بما جاءوا لاجله
والجهاز ما يعد من الامتعة للنقلة كعدد السفر وما يحمل من بلدة الى اخرى وما يزف به
المرأة الى زوجها وقرئ بجهازهم بالكسر قال ائتونى باخ لكم من ابيكم روى انهم لما
دخلوا عليه قال من انتم وما امركم لعلكم عيون قالوا معاذ الله نحن بنو اب واحد وهو
شيخ صديق نبى من الانبياء اسمه يعقوب قال كم انتم قالوا كنا اثنى عشر فذهب
احدنا الى البرية وهلك قال فكم انتم ههنا قالوا عشرة قال فاين الحادى عشر قالوا
عند ابينا يتسلى به من الهالك قال فمن يشهد لكم قالوا لا يعرفنا ها هنا من يشهد
لنا قال فدعوا بعضكم عندى رهينة وائتونى باخيكم من ابيكم حتى اصدقكم
فاقترعوا فاصابت شمعون وقيل كان يوسف يعطى لكل نفر حلا فسألوا حملا
زائدا لاخ لهم من ابيهم فاعطاهم وشرط عليهم ان يأتوه بهم به ليعلم صدقهم
الا ترون انى اوفى الكيل اتمه وانا خير المنزلين للضيف والمضيفين لهم
وكان احسن انزالهم وضيافتهم فان لم تأتونى به فلا كيل لكم عندى ولا تقربون
اى ولا تقربونى ولا تدخلوا دارى وهو اما نهى او نفى معطوف على الجزاء قالوا سنراود عنه اباه
سنجتهد فى طلبه منه وانا لفاعلون ذلك لا نتوانى فيه وقال لفتيته لغلمانه
الكيالين جمع فتى وقرأ حمزة والكسائى وحفص لفتيانه على جمع الكثرة ليوافق قوله
اجعلوا بضاعتهم فى رحالهم فانه وكل بكل رجل واحدا يعتبى فيه بضاعتهم التى
شروا بها الطعام وكانت نعالا واديما وانما فعل ذلك تفضلا عليهم وترفعا
من ان يأخذ ثمن الطعام منهم وخوفا من ان لا يكون عند ابيه ما يرجعون به لعلهم
يعرفونها لعلهم يعرفون حق ردها ولكى يعرفنها اذا انقلبوا الى اهلهم وفتحوا
اوعيتهم لعلهم يرجعون لعل معرفتهم ذلك تدعوهم الى الرجوع فلما رجعوا
الى ابيهم قالوا يا ابانا منع منا الكيل حكم بمنعه بعد هذا ان لم نذهب ببنيامين

لفتيته

فارسل معنا اخانا نكتل رفع المانع من الكيل ونكتل ما نحتاج اليه
وقراء حمزة والكسائي بالياء على اسناده الى الاخ اى يكتل لنفسه فينضم اكتيالنا
الى اكتيالنا وانا له لحافظون عن ان يناله مكروه قال هل آمنكم عليه الا كما
امنتكم على اخيه من قبل وقد قلتم في يوسف وانا له لحافظون فالله خير حفظا
فاتوكل عليه وافوض امره اليه وهو ارحم الراحمين فارجو ان يرحمني بحفظه ولا يجمع
علي مصيبتين وانتصاب حفظا على التمييز وحافظا في قراءة حمزة والكسائي وحفص بتحمله
والحال كقولهم لله دره فارسا وقرئ خير حافظ وخير الحافظين ولما فتحوا متاعهم
وجدوا بضاعتهم ردت اليهم وقرئ ردت بنقل كسرة الدال المدغمة الى الراء بعد نقلها
في بيع وقيل قالوا يا ابانا ما نبغي ما ذا نطلب هل من مزيد على ذلك اكرمنا واحسن
منوانا وباع منا ورد علينا متاعنا ولا نطلب وراء ذلك احسانا او لا نبغي في القول
ولا نزيد فيما حكينا لك من احسانه وقرئ ما تبغي على الخطاب اى اى شئ تطلب وراء
هذا من الاحسان او من الدليل على صدقنا هذه بضاعتنا ردت الينا استيناف
موضح لقوله ما نبغي ومنيرا هلنا معطوف على محذوف اى ردت الينا فنستظهرها
ومنيرا هلنا بالرجوع الى الملك ونحفظ اخانا عن المخاوف في ذهابنا وايابنا ونزداد
كيل بعير وسق بعير باستصحاب اخينا هذا اذا كانت ما استفهامية اما اذا كانت
نافية احتمال ذلك ويحتمل ان يكون الجملة معطوفة على ما نبغي اى لا نبغي شيئا نقوله ومنيرا هلنا
ونحفظ اخانا ذلك كيل يسير اى مكيل قليل لا يكفينا استقلوا ما كيل لهم فارادوا
ان يضاعفوه بالرجوع الى الملك او يزدادوا اليه ما يكال لاخيهم ويجوز ان يكون
الاشارة الى الكيل بعيرا اى ذلك شئ قليل لا يضايقنا فيه الملك ولا يتعاظمه وقيل انه
من كلام يعقوب ومعناه ان حمل بعير شئ يسير لا يخاطر لاجله بالولد قال لن ارسله
معكم اذ رايت منكم ما رايت حتى تؤتون موثقا من الله حتى تعطوني ما اتوثق به
من عند الله اى عهدا مؤكدا بذكر الله لتاتنني به جواب القسم اذ المعنى حتى تحلفوا
بالله لتاتنني به الا ان يحاط بكم الا ان تغلبوا فلا تطيقوا ذلك او الا ان تهلكوا

يقنا له

جميعا

جميعا وهو استثناء مفرغ من اعم الاحوال والتقدير لتاتنني به على كل حال من الاحوال
الاحاطة بكم او من اعم العلل على ان قوله لتاتنني به في تاويل النفي اى لا تمتنعون من
الاتيان به الا للاحاطة بكم كقولهم اقسمت بالله الا فعلت اى ما اطلب الا فعلك
فلما آتوه موثقهم عهدهم قال الله على ما نقول من طلب الموثق واتيانه وكيل رقيب مطلع
وقال يا بني لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من ابواب متفرقة لانهم كانوا ذوي جمال وابهة
مشتهرين في مصر بالقربة والكرامة عند الملك فخاف عليهم ان يدخلوا كوكبة واحدة
فيغاروا ولعله لم يوصهم بذلك في الكرة الاولى لانهم كانوا مجهولين حينئذ او كان
الداعي اليها خوفه على بنيامين وللنفس آفات منها العين والذي يدل عليه قوله عليه السلام في
عوذة اللهم اني اعوذ بكلمات الله التامة من كل هامة وعين لامة وما اغني عنكم من
الله من شئ مما قضى عليكم بما اشرت به اليكم فان الحذر لا يمنع القدر ان الحكم الا لله
يصيبكم لا محالة عليكم سوا ولا ينفعكم ذلك عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون
جمع بين الحرفين في عطف الجملة على الجملة لتقدم الصلة للاختصاص كان الواو للعطف
والفاء لافادة التسبب فان نعم الانبياء سبب لان يقتدى بهم ولما دخلوا من حيث امرهم
ابوهم اى من ابواب متفرقة في البلد ما كان يغني عنهم راى يعقوب واتباعهم
من الله من شئ مما قضاه عليهم كما قال يعقوب فتسرقوا واخذ بنيامين بوجدان الصواع
في رحله وتضاعف المصيبة على يعقوب الا حاجة في نفس يعقوب استثناء منقطع اى
ولكن حاجة في نفسه يعني شفقته عليهم وحزازة من ان يعانوا فضاها اظهرها ووفى بها
وانه لذو علم لما علمناه بالوحي ونصب الحجج ولذلك قال وما اغني عنكم من الله من شئ ولا غتر
بتدبير ولكن اكثر الناس لا يعلمون سر القدر وانه لا يغني عنه الحذر ولما دخلوا على يوسف آوى
اليه اخاه ضم اليه بنيامين على الطعام او في المنزل روي انه اضافهم فاجلسهم متنى فبقي
بنيامين وحيدا فبكى وقال لو كان اخي يوسف حيا لجلس معي فاجلسه معه على مائدته
ثم قال لينزل كل اثنين منكم بيتا وهذا لا ثاني له فيكون معي فبات عنده وقال له اتحب ان اكون بدل
اخيك الهالك قال من يجد اخا مثلك ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل قال اني انا اخوك

الابهة العظمة والكبر
يعال تابه الرجل اذا تكبر

كوكبة واحدة
اى عظمة واحدة

ان قضى

حرارة

اخاه

فلا تبتئس فلا تحزن افتعال من البؤس بما كانوا يفعلون فى حقنا فلما جهزهم بجهازهم
جعل السقاية المشربة فرحل اخيه قيل كانت مشربة جعلت صاعا له وقيل كانت
يسقى بها الدواب ويكال فيها وكانت من فضة وقيل من ذهب وقرئ وجعل على حذف
جواب فلما تقدير امهلهم حتى انطلقوا ثم اذن مؤذن نادى مناد ايتها العير انكم لسارقون
لعله لم يقله باسر يوسف او كان تعبئة السقاية والنداء عليها برضا بنيامين وقيل معناه
انكم لسارقون يوسف من ابيه او انكم لسارقون والعير القافلة وهو اسم الابل التى عليها الاحمال
لانها تعير اى تتردد فقيل لاصحابها كقوله عليه السلم يا خيل الله اركبى وقيل جمع عير واصلها فعل
كسقف فعل به ما فعل بسيف تجوز به لقافلة الحمير ثم استعير لكل قافلة قالوا واقبلوا عليهم
ماذا تفقدون اى شئ ضاع عنكم والفقد غيبة الشئ عن الحس بحيث لا يعرف مكانه وقرئ
تفقدون من افقدته اذا وجدته فقيدا قالوا نفقد صواع الملك وقرئ صاع وصوغ بالفتح والضم
والعين والغين وصواغ من الصياغة ولمن جاء بحمل بعير من الطعام جعلا له وانا به زعيم كفيل
اوقوية الى من رده وفيه دليل على جواز الجعالة وضمان الجعل قبل تمام العمل قالوا تالله قسم فيه
معنى التعجب والتاء بدل من الباء مختصة باسم الله تعالى لقد علمتم ما جئنا لنفسد فى الارض وما
كنا سارقين استشهدوا بعلمهم على براءة انفسهم لما عرفوا منهم فى كرتى مجيئهم ومداخلتهم
للملك مما يدل على فرط امانتهم كرد البضاعة التى جعلت فى رحالهم وكعتم الدواب كيلا يتناولن
زرعا او طعاما لاحد قالوا فما جزاؤه فما جزاء السارق او السرق او الصواع على حذف المضاف
ان كنتم كاذبين فى ادعاء البراءة قالوا جزاؤه من وجد فى رحله اى جزاء سرقته اخذ من وجد
فى رحله واسترقاقه هكذا كان شرع يعقوب وقوله فهو جزاؤه تقرير للحكم والتزام له او خبر
والفاء لتضمنها معنى الشرط او جواب لها على انها شرطية والجملة كما هى خبر جزاؤه على اقامة
الظاهر فيها مقام الضمير كانه قيل جزاؤه من وجد فى رحله فهو هو كذلك نجزى الظالمين
بالسرقة فبدأ بأوعيتهم فبدأ المؤذن وقيل يوسف لانهم ردوا الى مصر قبل وعاء
اخيه بنيامين تفتيشا للتهمة ثم استخرجها اى السقاية او الصواع لانه يذكر ويؤنث
من وعاء اخيه وقرئ بضم الواو وقلبها همزة كذلك مثل ذلك الكيد كدنا ليوسف بان
علمناه اياه واوحينا به اليه ما كان ليأخذ اخاه فى دين الملك ملك مصر كان دينه الضرب
وتغريم ضعف ما اخذ دون الاسترقاق وهو بيان للكيد الا ان يشاء الله ان يجعل ذلك الحكم
حكم الملك فالاستثناء من اعم الاحوال ويجوز ان يكون منقطعا اى لكن اخذه بمشية الله
واذنه نرفع درجات من نشاء بالعلم كما رفعنا درجته وفوق كل ذى علم عليم ارفع درجة
منه واحتج به من زعم انه تعالى عالم بذاته اذ لو كان ذا علم لكان فوقه من هو اعلم منه والجواب
ان المراد كل ذى علم من الخلق لان الكلام فيهم ولان العليم هو الله تعالى ومعناه الذى له العلم
البالغ لغاية ولانه لا فوق بينه وبين قولنا فوق كل العلماء عليم وهو مخصوص قالوا ان يسرق
بنيامين فقد سرق اخ له من قبل يعنون يوسف قيل ورثت عمته من ابيها منطقة
ابراهيم وكانت تحضن يوسف وتحبه فلما شب اراد يعقوب انتزاعه فشدت المنطقة
على وسطه ثم اظهرت ضياعها فتفحص عنها فوجدت مخرومة عليه فصارت احق به
فى حكمهم وقيل كان لابى امه صنم فسرقه وكسره والقاه فى الجيف وقيل كان فى البيت عناق
او دجاجة فاعطى السائل فاسرها يوسف فى نفسه ولم يبدها لهم انتهاء ولم يظهرها
لهم والضمير للاجابة او المقالة او نسبة السرقة اليه وقيل انها كناية بينها التفسير وغيرها
قوله قال انتم شر مكانا فان بدل من اسرها والمعنى قال فى نفسه انتم شر مكانا اى
منزلة فى السرقة لسرقتكم اخاكم وفى سوء الصنيع بما كنتم عليه وتأنيثها باعتبار الكلمة
او الجملة وفيه نظر اذ المفسر بالجملة لا يكون الا ضمير الشان والله اعلم بما تصفون وهو يعلم
ان الامر ليس كما تصفون قالوا يا ايها العزيز ان له ابا شيخا كبيرا فى السن والقدر
ذكروا له حاله استعطافا له عليه فخذ احدنا مكانه بدله فان اباه يتسلى على اخيه الهالك
بك مستأنس به انا نراك من المحسنين الينا فاتمم احسانك او من المتعودين الاحسان
فلا تغير عادتك قال معاذ الله ان نأخذ الا من وجدنا متاعنا عنده فان اخذ غير ظالم
على فتواكم فلو اخذ احدكم مكانه انا اذا لظالمون فى مذهبكم هذا وان مراده ان الله
اذن ان آخذ من وجدنا الصاع فى رحله لصلحته ورضاه عليه فلو اخذت غيره كنت ظالما
فلما استيأسوا منه يئسوا من يوسف واجابته اياهم وزيادة السين والتاء للمبالغة

وعن البرى استايسوا بالالف وفتح الياء من غير همزة واذا وقف همزة التى حركة الهمزة
على الياء على اصله خلصوا انفردوا واعتزلوا نجيا متناجين وانما وحد لانه مصدر او بتاويله
كما قيل هم صديق وجمعه انجية كندى واندية فاكيرهم فى السن وهو رويل او فى الراى
من الله وهو شمعون وقيل يهوذا الم تعلموا ان اباكم قد اخذ عليكم موثقا عهدا وثيقا وانما جعل حلفهم
بالله موثقا منه لانه باذن منه وتاكيد من جهته ومن قبل هذا ما فرطتم فى
يوسف قصر تمرفى شانه وما من يدة ويجوز ان تكون مصدرية فى موقع النصب بالعطف
على مفعول تعلموا ولا باس بالفصل بين العاطف والمعطوف بالظرف او على اسم ان وخبره
فى يوسف ومن قبل الرفع بالابتداء والخبر من قبل وفيه نظر لان قبل اذا كان خبرا
حتى او صلة لا يقطع عن الاضافة لا ينقص وان تكون موصولة اى ما فرطتموه بمعنى ما فعلتموه
قدمتموه فى حقه من الجناية ومحله ما تقدم فلن ابرح الارض فلن افارق ارض مصر حتى
ياذن لى ابى فى الرجوع او يحكم الله لى او يقضى لى بالخروج منها او بخلاص اخى منهم او بالمقاتلة
معهم لتخليصه روى انهم كلموا العزيز فى اطلاقه فقال رويل ايها الملك والله
لتتركنا او لاصيحن صيحة تضع منها الحوامل ووقفت شعور جسدى فخرجت من ثيابه
فقال يوسف لابنه قم الى جنبه فمسه وكان بنو يعقوب اذا غضب احدهم فمسته
الآخر ذهب غضبه فقال رويل من هذا ان فى هذا البلد لبزرا من بزر يعقوب
وهو خير الحاكمين لان حكمه لا يكون الا بالحق ارجعوا الى ابيكم فقولوا يا ابانا ان ابنك
سرق على ما شاهدنا من ظاهر الامر وقرئ سرق اى نسب الى السرقة وما شهدنا
عليه الا بما علمنا بان رايناه ان الصواع استخرج من وعاءه وما كنا للغيب لباطن
الحال حافظين فلا ندرى انه سرق وسرق ودس الصاع فى رحله او وما كنا للعواقب
عالمين فلم ندر حين اعطيناك الموثق انه سيسرق او انك تصاب به كما اصيب بيوسف
واسئل القرية التى كنا فيها يعنون مصر او قرية بقربها لحقهم المنادى فيها
والمعنى ارسل الى اهلها وسلهم عن القصة والعير التى اقبلنا فيها واصحاب العير
التى توجهنا فيهم وكنا معهم وانا لصادقون تاكيد فى محل القسم قال بل سولت

اى فلما

اى فلما رجعوا الى ابيهم وقالوا له ما قال لهم اخوهم قال بل سولت لكم اى زينت
وسهلت لكم انفسكم امرا اردتموه فقررتموه والا فما ادرى الملك ان السارق يوخذ بسرقته
فصبر جميل اى فامرى صبر جميل او فصبر جميل اجمل عسى الله ان ياتينى بهم جميعا يوسف وبنيامين
واخيهما الذى توقف عصر انه هو العليم بحالى وحالهم الحكيم فى تدبيرها وتولى عنهم
واعرض عنهم كراهة لما صادف منهم وقال يا اسفى على يوسف يا اسفى تعال فهذا اوانك
والاسف اشتد الحزن والحسرة والالف بدل من ياء المتكلم وانما تاسف على يوسف
دون اخويه والحادث رزؤهما لان رزؤه كان قاعدة المصيبات وكان غضا اخذ الجماع
قلبه ولانه كان واثقا بحيوتهما دون حيوته وفى الحديث لم ترتعط امة من الامم انا لله وانا
اليه راجعون عند المصيبة الا امة محمد الا ترى الى يعقوب حين اصابه ما اصاب
لم يسترجع وقال يا اسفى وابيضت عيناه من الحزن كثرة بكائه من الحزن كان العبرة حققت
سوادها وقيل ضعف بصره وقيل عمى وقرئ من الحزن وفيه دليل على جواز التاسف
التاسف والبكاء عند التفجع ولعل امثال ذلك لا تدخل تحت التكليف فانه قل من يملك
نفسه عند الشدايد ولقد بكى رسول الله صلى الله عليه وسلم على ولده ابرهيم وقال
يحزن والعين تدمع ولا نقول ما يسخط الرب وانا عليك يا ابرهيم لمحزونون فهو كظيم
مملوء من الغيظ على اولاده ممسك له فى قلبه ولا يظهره فعيل بمعنى مفعول كقوله وهو مكظوم
من كضم السقاء اذا شد على ملئه او بمعنى فاعل كقوله والكاظمين من كظم الغيظ اذا اجترعه
واصله كظم البعير جرته ردها فى جوفه قالوا تالله تفتؤ تذكر يوسف اى لا تفتؤ ولا تزال
تذكره تفجعا عليه فحذف لا كما فى قوله فقلت يمين الله ابرح قاعدا ولو قطعوا راسى لديك
واوصالى لانه لا يلتبس بالاثبات فان القسم اذا لم يكن معه علامة الاثبات كان على النفى حتى
تكون حرضا مريضا مشفيا على الهلاك وقيل الحرض الذى اذابه هم او مرض وهو فى الاصل
مصدر ولذلك لا يوثث ولا يجمع والنعت بالكسر كدنف ودنف وقد قرئ به وبضمتين
كجنب وتكون من الهالكين من الميتين قال انما اشكو بثى وحزنى الى الله اى لا اقدر الصبر عليه
من البث بمعنى النشر الى الله لا الى احد منكم ومن غيركم فخلوتى وشكايتى واعلم من الله

القلب

الارض اللازم والارض
الارض الاشتى والبيع
محل

822

من صنعه ورحمته وانه لا يخيب داعيه ولا يدع الملتجي اليه داعيا له ما لا تعلمون
او من الله بنوع من الالهام ما لا تعلمون من حيوة يوسف قيل راى ملك الموت
في المنام فسأله عنه فقال هو حي وقيل علم من رؤيا يوسف انه لا يموت حتى يخر له اخوته
سجدا يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف واخيه فتعرفوا منهما وتفحصوا من حالهما
والتحسس طلب الاحساس ولا تيأسوا من روح الله ولا تقنطوا من فرجه وتنفيسه
وقرئ من روح الله اي من رحمته التي يحيى بها العباد انه لا ييأس من روح الله
الا القوم الكافرون بالله وصفاته فان العارف لا يقنط من رحمته في شيء من الا
حوال فلما دخلوا عليه قالوا يا ايها العزيز بعد ما رجعوا الى مصر رجعة ثانية مسنا
واهلنا الضر شدة الجوع وجئنا ببضاعة مزجاة ردية او قليلة ترد وتدفع رغبة
عنها من ازجيته اذا دفعته ومنه تزجية الزمان قيل كانت دراهم زيوفا
وقيل صوفا وسمنا وقيل الصنوبر وحبة الخضراء وقيل الاقط وسويق المقل
فاوف لنا الكيل فاتم لنا الكيل وتصدق علينا برد اخينا او بالمسامحة وقبول
المزجاة او بالزيادة على ما يساويها واختلف في ان حرمة الصدقة تعم الانبياء او تختص بنبينا
ان الله يجزي المتصدقين احسن الجزاء والتصدق التفضل مطلقا ومنه قوله عليه السلم
في القصر هذه صدقة تصدق الله عليكم فاقبلوا صدقته لكنه اختص عرفا بما يبتغى
به ثواب من الله قال هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه اي هل علمتم قبحه فتبتم
عنه وفعلهم افراده عن يوسف واذلاله حتى كان لا يستطيع ان يكلمهم الا لعجز وذلة
اذ انتم جاهلون قبحه فلذلك اقدمتم عليه او عاقبته وانما قاله ذلك تنصيحا
لهم وتحريضا على التوبة وشفقة عليهم لما راى من عجزهم وتمسكنهم لا معاتبة وتثريبا
وقيل اعطوه كتاب يعقوب في تخليص بنيامين وذكروا له ما هو فيه من الحزن
على يوسف واخيه فقال لهم ذلك وانما جهلهم لان فعلهم كان فعل الجهال او
لانهم كانوا حينئذ صبيانا طياشين قالوا ائنك لانت يوسف استفهام تقرير ولذلك
حقق بان واللام عليه وقرا ابن كثير وقالون على الايجاب قيل عرفوه بروائه وشمائله

باخيه

تنصيحا

فقد

طياشين من الطيش وهو خفة العقل

حين كلمهم

وكانت كاللؤلؤ المنظوم

حين كلمهم به وقيل تبسم فعرفوه بثناياه وقيل رفع التاج عن راسه فراوا علامة
بقرنه تشبه الشامة البيضاء وكانت لسارة ويعقوب مثلها قال انا يوسف وهذا اخي من ابي
وامي ذكره تعريفا لنفسه به تفخيما لشانه وادخالا له في قوله قد منا الله علينا اي بالسلامة
والكرامة انه من يتق اي يتق الله ويصبر على البليات او على الطاعات او عن المعاصي
فان الله لا يضيع اجر المحسنين وضع المحسنين موضع الضمير للتنبيه على ان المحسن من جمع
بين التقوى والصبر قالوا تالله لقد آثرك الله علينا اختارك بحسن الصورة وكمال السيرة
وان كنا لخاطئين والحال ان شاننا انا كنا مذنبين بما فعلنا معك لا تأنيب عليكم
تفعيل من الترب وهو الشحم الذي يغشى الكرش للازالة كالتجليد فاستعير للتقريع الذي
يمزق العرض ويذهب ماء الوجه اليوم متعلق بالتثريب او بالمقدر للجار الواقع خبر اللا
تثريب والمعنى لا اثر بكم اليوم الذي هو مظنته فما ظنكم بسائر الايام او بقوله يغفر الله
لكم لانه صفح عن جريمتهم حينئذ واعترفوا بها حينئذ وهو ارحم الراحمين فانه يغفر الصغاير
والكبائر ويتفضل على التائب ومن كرم يوسف انهم لما عرفوه ارسلوا اليه وقالوا
انك تدعوننا بالبكرة والعشي الى الطعام ونحن نستحيي منك لما فرط منا فيك فقال
ان اهل مصر كانوا ينظرون الي بالعين الاولى ويقولون سبحان من بلغ عبدا بيع بعشرين
درهما ما بلغ ولقد شرفت بكم وعظمت في عيونهم حيث علموا انكم اخوتي واني من حفدة
ابرهيم اذهبوا بقميصي هذا القميص الذي كان عليه وقيل القميص المتوارث الذي
كان في التعويذ فالقوه على وجه ابي يأت بصيرا يرجع بصيرا وائتوني انتم وابي باهلكم
اجمعين بنسائكم وذراريكم ومواليكم ولما فصلت العير من مصر وخرجت من عمرانها
قال ابوهم لمن حضره اني لاجد ريح يوسف اوجده الله ريح ما عبق بقميصه من ريحه
حين اقبل عليه يهوذا من ثمانين فرسخا لولا ان تفندون تنسبوني الى الفند وهو نقصان
عقل يحدث من هرم ولذلك لا يقال عجوز مفندة لان نقصان عقلها ذاتي وجواب
لولا محذوف تقديره لصدقتموني او لقلت انه قريب قالوا اي الحاضرون تالله
انك لفي ضلالك القديم لفي ذهابك عن الصواب قدما بالافراط في محبة يوسف

قال لا تثريب عليكم

لقريب

واكثار ذكره والتوقع للقائه فلما ان جاء البشير يهوذا روى انه قال كما احزنته بحمل
قميصه الملطخ اليه فافرحه بحمل هذا اليه القاه على وجهه طرح البشير القميص
على وجه يعقوب او يعقوب نفسه فارتد بصيرا عاد بصيرا لما انتعش فيه من القوة
قال الم اقل لكم اني اعلم من الله ما لا تعلمون من حيوة يوسف وانزال الفرج
وقيل اني اعلم كلام مبتدا والمقول لا تيأسوا من روح الله او اني لاجد ريح يوسف
قالوا يا ابانا استغفر لنا ذنوبنا انا كنا خاطئين ومن حق المعترف بذنبه ان يصفح
عنه ويسأل له المغفرة قال سوف استغفر لكم ربي انه هو الغفور الرحيم اخره الى
السحر او الى صلوة الليل او الى ليلة الجمعة تحريا لوقت الاجابة او الى ان يستحل لهم
من يوسف او يعلم انه عفى عنهم فان عفو المظلوم شرط المغفرة ويؤيده ما روى انه
استقبل القبلة قائما وقام يوسف خلفه يؤمن وقاموا خلفهما اذلة خاشعين
حتى نزل جبرئيل وقال ان الله قد اجاب دعوتك في ولدك وعقد مواثيقهم بعدك
على النبوة وهو ان صح فدليل على نبوتهم وان ما صدر عنهم كان قبل استنبائهم فلما
دخلوا على يوسف روى انه وجه اليه رواحل واموالا ليتجهز اليه بمن معه واستقبله
يوسف والملك باهل مصر وكان اولاده الذين دخلوا معه مصر اثنين وسبعين رجلا
وامراة وكانوا حين خرجوا مع موسى ستمائة الف وخمسمائة وبضعة وسبعين رجلا سوى
الذرية والهرمى آوى اليه ابويه ضم اليه اباه وخالته واعتنقهما نزلها منزلة الام تنزيلا
للعم منزلة الاب في قوله واله آبائك ابرهيم واسمعيل واسحق لان يعقوب تزوجها بعد
امه والرابة تدعى اما وقال ادخلوا مصر ان شاء الله آمنين من القحط واصناف المكاره
والمشية متعلقة بالدخول المكيف بالامن والدخول الاول كان في موضع خارج البلد
حين استقبلهم ورفع ابويه على العرش وخروا له سجدا تحية وتكرمة له فان السجود
له كان عندهم يجري مجريها وقيل معناه خروا لاجله سجدا لله شكرا وقيل الضمير لله
والواو لابويه واخوته والرفع مؤخر عن الخرور وان قدم لفظا للاهتمام بتعظيمه لهما
وقال يا ابت هذا تاويل رؤياي من قبل رايتها ايام الصبى قد جعلها ربي حقا

صدقا

صدقا وقد احسن بي اذ اخرجني من السجن ولم يذكر الجب لئلا يكون تثريبا عليهم
وقد جاء بكم من البدو من البادية لانهم كانوا اصحاب المواشي واهل البدو من بعد ان
نزغ الشيطان بيني وبين اخوتي افسد بيننا وحرش من نزغ الرائض الدابة اذا نخسها
وحملها على الجري ان ربي لطيف لما يشاء لطيف التدبير له اذ ما من صعب الا وينفذ
فيه مشيته ويتسهل دونها انه هو العليم بوجوه المصالح والتدابير الحكيم الذي يفعل
كل شيء في وقته وعلى وجه تقتضي الحكمة روى ان يوسف طاف بابيه عليهما السلام
في خزانته فلما ادخله خزينة القرطاس قال يا بني ما اعقك عندك هذه القراطيس وما
كتبت الي على ثمان مراحل قال امرني جبرئيل قال او ما تسأله قال انت ابسط مني اليه فسأله
قال جبرئيل والله امرني بذلك لقولك واخاف ان ياكله الذئب قال فهلا خفتني رب قد
آتيتني من الملك بعض الملك وهو ملك مصر وعلمتني من تاويل الاحاديث الكتب او الرؤيا
ومن ايضا للتبعيض لانه لم يؤت كل التاويل فاطر السموات والارض مبدعهما وانتصابه
على انه صفة المنادي او منادى براسه انت وليي ناصري او متولي امري في الدنيا والآخرة
او الذي يتولاني بالنعمة فيهما توفني مسلما اقبضني والحقني بالصالحين من آبائي او بعامة
الصالحين في الرتبة والكرامة روى ان يعقوب اقام معه اربعا وعشرين سنة
ثم توفي واوصى ان يدفن في الشام الى جنب ابيه فذهب به ودفنه ثم وعاد وعاش
بعده ثلثا وعشرين سنة ثم تاقت نفسه الى الملك المخلد فتمنى الموت فتوفاه الله
طيبا طاهرا فتخاصم اهل مصر في مدفنه حتى هموا بالقتال فراوا ان يجعلوه في صندوق
من مرمر ويدفنوه في النيل بحيث يمر عليه الماء ثم يصل الى مصر ليكونوا شرعا فيه
ثم نقله موسى عليه السلم الى مدفن آبائه وكان عمره مائة وعشرين سنة وقد ولد
له من راعيل افرائيم وميشا وهو جد يوشع بن نون ورحمة امراة ايوب ذلك اشارة
الى ما ذكر من نبأ يوسف والخطاب فيه للرسول وهو مبتدا من انباء الغيب نوحيه
اليك خبران له وما كنت لديهم اذ اجمعوا امرهم وهم يمكرون كالدليل عليهما والمعنى
ان هذا النبأ غيب لم تعرفه الا بالوحي لانك لم تحضر اخوة يوسف حين عزموا على ما

هموا به

ان يجعلوه في غيابة الجب وهم يمكرون به وبابيه ليرسله معهم ومن المعلوم الذي لا يخفى
على مكذبيك انك ما لقيت احدا سمع ذلك فتعلمته منه وانما حذف هذا الشق استغناء
بذكره في غير هذه القضية كقوله ما كنت تعلمها انت ولا قومك من قبل هذا وما اكثر الناس
ولو حرصت على ايمانهم وبالغت في اظهار الآيات عليهم بمؤمنين لعنادهم وتصميمهم
على الكفر وما تسألهم عليه على الانباء او القرآن من اجر جعل كما يفعله حملة الاخبار ان هو
الا ذكر عظة من الله للعالمين عامة وكاين من آية وكم من آية والمعنى وكاين شيئت
من الدلائل الدالة على وجود الصانع وحكمته وكمال قدرته وتوحيده في السموات والارض
يمرون على الآيات ويشاهدونها وهم عنها معرضون لا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها
وقرئ والارض بالرفع على انه مبتدأ خبره يمرون عليها فيكون لها الضمير في عليها وبالنصب
على ويطؤن الارض وقرئ والارض يمشون عليها اي يترددون فيها فيرون آثار الامم
الهالكة وما يؤمن اكثرهم بالله في اقرارهم بوجوده وخالقيته الا وهم مشركون بعبادة
غيره او باتخاذ الاحبار اربابا ونسبة التبني اليه او القول بالنور والظلمة او النظر الى
الاسباب ونحو ذلك وقيل الآية في مشركي مكة وقيل في المنافقين وقيل في اهل
الكتاب افامنوا ان تاتيهم غاشية من عذاب الله عقوبة تغشاهم وتشملهم او تاتيهم
الساعة بغتة فجاة من غير سابقة علامة وهم لا يشعرون باتيانها غير مستعدين لها
قل هذه سبيلي يعني الدعوة الى التوحيد والاعداد للمعاد ولذلك فسر السبيل
بقوله ادعوا الى الله وقيل هو حال من الياء على بصيرة بيان وحجة واضحة غير عمياء
انا تاكيد للمستتر في ادعوا وعلى بصيرة لانه حال منه او مبتدأ خبره على بصيرة ومن
اتبعني عطف عليه وسبحان الله وما انا من المشركين وانزهه تنزيها من الشركاء
وما ارسلنا من قبلك الا رجالا رد لقولهم لو شاء ربنا لانزل ملائكة وقيل معناه نفي استنباء
النساء نوحي اليهم كما اوحي اليك وتميزوا بذلك عن غيرهم وقرأ حفص نوحي في كل
القرآن ووافقه حمزة والكسائي في حروف الثاني في سورة الانبياء وحمزة
والكسائي يميلانه على اصلها هنا وفي النحل والاول من الانبياء من اهل القرى

القصة

عدد

عليها

بالنون هنا وفي النحل والاول من سورة الانبياء

لان

لان اهلها اعلم واحلم من اهل البدو افلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان
عاقبة الذين من قبلهم من المكذبين بالرسل والآيات فيحذروا تكذيبك او من المشغوفين
بالدنيا المتهالكين عليها فينقلعوا عن حبها ولدار الآخرة ولدار الحال او الساعة او الحيوة
الآخرة خير للذين اتقوا الشرك والمعاصي افلا يعقلون يستعملون عقولهم ليعرفوا
انها خير وقرأ نافع وابن عامر وعاصم ويعقوب بالتاء حملا على قوله قل هذه سبيلي اي قل
لهم افلا تعقلون حتى اذا استيأس الرسل غاية محذوف دل عليه الكلام اي لا يغرهم تمادي
اياهم فان من قبلهم امهلوا حتى ايس الرسل عن النصر عليهم في الدنيا او عن ايمانهم
لانهماكهم في الكفر مترفهين متمادين فيه من غير وازع وظنوا انهم قد كذبوا اي كذبتهم
انفسهم حين حدثتهم بانهم ينصرون او كذبهم القوم بوعد الايمان وقيل الضمير للمرسل اليهم
اي وظن المرسل اليهم ان الرسل قد كذبوهم بالدعوة والوعيد وقيل الاول للمرسل اليهم والثاني
للرسل اي وظنوا ان الرسل قد كذبوا واخلفوا فيما وعدهم من النصر وخلط الامر عليهم وما
روي عن ابن عباس ان الرسل ظنوا انهم اخلفوا ما وعدهم الله من النصر ان صح فقد اراد
بالظن ما يهجس في القلب على طريق الوسوسة هذا وان المراد به المبالغة في التراخي والا
على سبيل التمثيل وقرأ غير الكوفيين بالتشديد اي وظن الرسل ان القوم قد كذبوهم
فيما اوعدوهم وقرئ كذبوا بالتخفيف وبناء الفاعل اي فظنوا انهم قد كذبوا فيما حدثوا به
عند قومهم لما تراخى عنهم ولم يروا له اثرا جاءهم نصرنا فنجي من نشاء النبي والمؤمنين
وانما لم يعينهم للدلالة على انهم الذين يستاهلون ان يشاء نجاتهم لا يشاركهم فيه غيرهم
وقرأ ابن عامر وعاصم ويعقوب على لفظ الماضي المبني للمفعول وقرئ فنجا ولا يرد بأسنا
عن القوم المجرمين اذا نزل بهم وفيه بيان المشيئتين لقد كان في قصصهم في قصص الانبياء
واممهم او في قصة يوسف واخوته عبرة لاولي الالباب لذوي العقول المبراة عن شوائب
الالف والركون الى الحس ما كان حديثا يفترى ما كان القرآن حديثا مفترى ولكن
تصديق الذي بين يديه من الكتب الالهية وتفصيل كل شيء يحتاج اليه
في الدين اذ ما من امر ديني الا وله سند من القرآن بوسط او غير وسط وهدى من الضلال

افلا

يغرنهم

المشيئتين

ورحمة ينال بها خير الدارين لقوم يؤمنون يصدقونه وعن النبي صلى الله عليه وسلم علموا
ارقاكم سورة يوسف فانه ايما مسلم تلاها وعلمها اهله وما ملكت يمينه هون الله عليه
سكرات الموت واعطاه القوة ان لا يحسد مسلما سورة الرعد مدنية وقيل مكية
الا قوله ويقول الذين كفروا الآية وآيها خمس واربعون ٥ ٥
بسم الله الرحمن الرحيم الم قيل معناه
انا الله اعلم وارى تلك آيات الكتاب يعني بالكتاب السورة وتلك اشارة
الى آياتها اى تلك الآيات ايات السورة الكاملة او القرآن والذى انزل اليك من ربك
هو القرآن كله ومحله الجر بالعطف على الكتاب عطف العام على الخاص او احدى الصفتين
على الاخرى او الرفع بالابتداء وخبره الحق والجملة كالحجة على الجملة الاولى وتعريف الخبر
وان دل على اختصاص المنزل بكونه حقا فهو اعم من المنزل صريحا او ضمنا كالمثبت
بالقياس وغيره مما نطق المنزل بحسن اتباعه ولكن اكثر الناس لا يؤمنون لاخلالهم
بالنظر والتامل فيه الله الذى رفع السموات مبتدأ وخبر ويجوز ان يكون الموصول
صفة والخبر يدبر الامر بغير عمد اساطين جمع عماد كاهاب واهب او عميد كاديم وادم
وقرئ عمد كرسل ترونها صفة لعمد او استيناف للاستشهاد برؤيتهم السموات
كذلك وهو دليل على وجود الصانع الحكيم فان ارتفاعها على سائر الاجسام المساوية لها
في حقيقة الجرمية واختصاصها بما يقتضي ذلك لا بد وان يكون بمخصص ليس بجسم
ولا جسماني يرجح بعض الممكنات على بعض بارادته وعلى هذا المنهاج سائر ما ذكر من الا
يات ثم استوى على العرش بالحفظ والتدبير وسخر الشمس والقمر ذللهما لما اراد
منهما كالحركة المستمرة على حد من السرعة تنفع في حدوث الكائنات وبقائها
كل يجري لاجل مسمى لمدة معينة يتم فيها ادواره او لغاية مضروبة ينقطع دونها
سيره وهي اذا الشمس كورت واذا النجوم انكدرت يدبر الامر امر ملكوته من الايجاد
والاعدام والاحياء والاماتة وغير ذلك يفصل الآيات ينزلها ويبينها مفصلة او
يحدث الدلائل واحدا بعد واحد لعلكم بلقاء ربكم توقنون لكي تتفكروا فيها

وتتحققوا

وتتحققوا كمال قدرته فتعلموا ان من قدر على خلق هذه الاشياء وتدبيرها قدر على
الاعادة والجزاء وهو الذى مد الارض بسطها طولا وعرضا ليثبت عليها الاقدام
وينقلب عليها الحيوان وجعل فيها رواسي جبالا ثوابت من رسى الشيء اذا ثبت
جمع راسية والتاء للتانيث على انها صفة اجبل او للمبالغة وانهارا ضمها الى الجبال
وعلق بهما فعلا واحدا من حيث ان الجبال اسباب لتولدها ومن كل
الثمرات متعلق بقوله جعل فيها زوجين اثنين اى وجعل فيها من جميع انواع
الثمرات صنفين اثنين كالحلو والحامض والاسود والابيض والصغير والكبير يغشي
الليل النهار يلبسه مكانه فيصير الجو مظلما بعد ما كان مضيئا وقرأ حمزة والكسائي
وابو بكر يغشي بالتشديد ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون فيها فان تكونها وتخصصها
بوجه دون وجه دليل على وجود صانع حكيم دبر امرها وهيأ اسبابها وفي الارض
قطع متجاورات بعضها طيبة وبعضها سبخة وبعضها رخوة وبعضها صلبة
وبعضها يصلح للزرع دون الشجر وبعضها بالعكس ولولا تخصيص قادر موقع لافعاله
على وجه دون وجه لم يكن كذلك لاشتراك تلك القطع في الطبيعة الارضية وما يلزمها
ويعرض لها بتوسط ما يعرض من الاسباب السماوية من حيث انها متضامة متشاركة في
النسب والاوضاع وجنات من اعناب وزرع ونخيل وبساتين فيها انواع
الاشجار والزروع وتوحيد الزرع لانه مصدر في اصله وقرأ ابن كثير وابو عمرو ويعقوب
وحفص وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان بالرفع عطفا على وجنات صنوان نخلات
اصلها واحد وغير صنوان ومتفرقات مختلفة الاصول وقرأ حفص بالضم وهو لغة
تميم كقنوان في جمع قنو يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل في الثمر شكلا
وقدرا ورائحة وطعما وذلك ايضا مما يدل على الصانع الحكيم فان اختلافها مع اتحاد
الاصول والاسباب لا يكون الا بتخصيص قادر مختار وقرأ ابن عامر وعاصم ويعقوب
يسقى بالتذكير على تاويل ما ذكر وحمزة والكسائي يفضل بالياء ليطابق قوله يدبر الامر
ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون يستعملون عقولهم بالتفكر وان تعجب يا محمد

من انكارهم البعث فعجب قولهم حقيق بان يتعجب منه فان من قدر على انشاء
ما قص عليك كانت الاعادة ايسر شيء عليه والآيات المعدودة كما هي دالة على وجود
المبدأ فهي دالة على امكان الاعادة من حيث انها تدل على كمال علمه وقدرته وقبول
المواد لانواع تصرفاته أإذا كنا ترابا إنا لفي خلق جديد بدل من قولهم او مفعول
له والعامل في اذا محذوف دل عليه انا لفي خلق جديد أولئك الذين كفروا
بربهم لانهم كفروا بقدرته على البعث وأولئك الاغلال في اعناقهم مقيدون با
لضلال لا يرجى خلاصهم او يغلون يوم القيامة وأولئك اصحاب النار هم فيها خالدون
لا ينفكون عنها وتوسيط الفصل لتخصيص الخلود بالكفار ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة
بالعقوبة قبل العافية وذلك انهم استعجلوا بما هددوا به من عذاب الدنيا استهزاء وقد
خلت من قبلهم المثلات عقوبات امثالكم من المكذبين فما لهم لم يعتبروا بها ولم يجوزوا حلول
مثلها عليهم والمثلة بفتح الثاء وضمها كالصدقة والصدقة العقوبة لانها مثل المعاقب
عليه ومنه المثال للقصاص وامثلت الرجل من صاحبه اذا اقتصصته منه وقرئ
المثلات بالتخفيف والمثلات باتباع الفاء العين والمثلات بالتخفيف بعد الاتباع
والمثلات على انها جمع مثلة كركبة وركبات وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم
مع ظلمهم انفسهم ومحله النصب على الحال والعامل فيه المغفرة والتقييد به دليل
جواز العفو قبل التوبة فان التائب ليس على ظلمه ومن منع ذلك خص الظلم بالصغائر
المكفرة لمجتنب الكبائر واول المغفرة بالستر والامهال وان ربك لشديد العقاب
للكفار او لمن شاء وعن النبي صلى الله لولا عفو الله وتجاوزه لما هنأ احدا العيش
ولولا وعيده وعقابه لاتكل كل احد ويقول الذين كفروا لولا انزل عليه آية من ربه
لعدم اعتدادهم بالآيات المنزلة عليه واقتراحا لنحو ما اوتي موسى وعيسى انما
انت منذر مرسل للانذار كغيرك من الرسل وما عليك الا الاتيان بما يصح به نبوتك
من جنس المعجزات لا بما يقترح عليك ولكل قوم هاد نبي مخصوص بمعجزات من جنس
ما هو الغالب عليهم يهديهم الى الحق ويدعوهم الى الصواب او قادر على هدايتهم

وهو الله

وهو الله تعالى لكن لا يهدي الا من يشاء هدايته بما ينزل من الآيات ثم اردف ذلك
بما يدل على كمال علمه وقدرته وشمول قضائه وقدره تنبيها على انه تعالى قادر على انزال ما
اقترحوه وانما لم ينزل لعلمه بان اقتراحهم للعناد دون الاسترشاد وانه قادر على هدايتهم
وانما لم يهدهم لسبق قضائه عليهم بالكفر وقرأ ابن كثير هاد ووال وواق وما عند الله
وفي اكثر النسخ وقعت هذه العبارة بعد قوله وكل شيء عنده بمقدار
باق بالتنوين في الوصل فاذا وقف وقف بالياء في هذه الاربعة الاحرف حيث وقعت
لا غير والباقون يصلون بالتنوين ويقفون بغير ياء فقال الله يعلم ما تحمل كل انثى اي حملها
او ما تحمله وانه على اي حال هو من الاحوال الحاضرة والمترقبة وما تغيض الارحام وما
تزداد وما تنقصه وما تزداده في الجثة والمدة والعدد واقصى مدة الحمل اربع سنين عندنا
وخمس عند مالك وسنتان عند ابي حنيفة روي ان الضحاك ولد لسنتين وهرم بن
حيان لاربع سنين واعلى عدده لا حد له وقيل نهاية ما عرف اربعة واليه ذهب ابو حنيفة
وقال الشافعي اخبرني شيخ باليمن ان امرأته ولدت بطونا في كل بطن خمسة وقيل المراد
نقصان دم الحيض وازدياده وغاض جاء متعديا ولازما وكذا ازداد قال الله تعالى وازدادوا
تسعا فان جعلتهما لازمين تعين ما ان يكون مصدرية واسنادهما الى الارحام
على المجاز فانهما لله او لما فيها وكل شيء عنده بمقدار بقدر لا يجاوزه ولا ينقص عنه كقوله
انا كل شيء خلقناه بقدر فانه تعالى خص كل حادث بوقت وحال معينين وهيأ له اسبابا مسوقة
اليه تقتضي ذلك عالم الغيب الغائب عن الحس والشهادة الحاضر له الكبير العظيم الشأن
المتعال الذي لا يخرج عن علمه شيء المستعلي على كل شيء بقدرته او الذي كبر عن نعت
المخلوقين وتعالى عنه سواء منكم من اسر القول في نفسه ومن جهر به لغيره ومن هو
مستخف بالليل طالب للخفاء في مختبأ بالليل وسارب بارز بالنهار يراه كل احد من سرب
سروبا اذا برز وهو عطف على من او مستخف على ان من في معنى الاثنين كقوله فكن مثل من يا ذئب
يصطحبان كانه قال سواء منكم اثنان مستخف بالليل وسارب بالنهار والآية متصلة بما
قبلها لكمال علمه وشموله له لمن اسر او جهر واستخفى او سرب معقبات ملائكة تعتقب
في حفظه جمع معقبة من عقب مبالغة عقبه اذا جاء على عقبه كان بعضهم يعقب

مقررة

327

بعضا او لانهم يعقبون اقواله وافعاله فيكتبونه او اعتقب فادغمت التاء في القاف
والتاء للمبالغة او لان المراد بالمعقبات جماعات وقرئ معاقيب جمع معقب او معقبة
على تعويض الياء من حذف احدى القافين من بين يديه ومن خلفه من جوانبه او من الاعمال
ما قدم واخر يحفظونه من امر الله من بأسه متى اذنب بالاستمهال او الاستغفار له
او يحفظونه من المضار او يراقبون احواله من اجل امر الله وقد قرئ به وقيل من بمعنى
الباء وقيل من امر الله صفة ثانية لمعقبات وقيل المعقبات الحرس والجلاوزة
حول السلطان يحفظونه في توهمه من قضاء الله ان الله لا يغير ما بقوم من العافية
والنعمة حتى يغيروا ما بانفسهم من الاحوال الجميلة بالاحوال القبيحة واذا اراد الله بقوم
سوءا فلا مرد له فلا رد له والعامل في اذا ما دل عليه الجواب وما لهم من دونه من وال ممن يلي
امرهم فيدفع عنهم السوء وفيه دليل على ان خلاف مراد الله محال هو الذي يريكم
البرق خوفا من اذاه وطمعا في الغيث وانتصابهما على العلة بتقدير المضاف اي
ارادة خوف وطمع او التاويل بالاخافة والاطماع او الحال من البرق او المخاطبين
على اضمار ذوي او اطلاق المصدر بمعنى المفعول او الفاعل للمبالغة وقيل يخاف المطر
من يضره ويطمع فيه من ينفعه وينشئ السحاب الثقال وهو جمع ثقيلة وانما وصف
به السحاب لانه اسم جنس في معنى الجمع ويسبح الرعد ويسبح سامعوه بحمده
ملتبسين به فيضجون بسبحان الله والحمد لله او يدل الرعد بنفسه على وحدانية الله تع
وكمال قدرته ملتبسا بالدلالة على فضله ونزول رحمته وعن ابن عباس سئل النبي
صلى الله عليه وسلم عن الرعد فقال ملك موكل بالسحاب معه مخاريق من نار
يسوق به السحاب والملائكة من خيفته من خوف الله واجلاله وقيل الضمير للرعد
ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء فيهلكه وهم يجادلون في الله حيث يكذبون
رسول الله فيما يصفه به من كمال العلم والقدرة والتفرد بالالوهية واعادة الناس
ومجازاتهم والجدال التشدد في الخصومة من الجدل وهو الفتل والواو اما لعطف
الجملة او للحال فانه روي ان عامر بن الطفيل واربد بن ربيعة اخا لبيد وفدا على رسول

الغيم المنسحب في الهواء

على الجملة

الله صلعم

الله صلعم قاصدين لقتله فاخذه عامر بالمجادلة ودار اربد من خلفه ليضربه بالسيف فتنبه
له الرسول وقال اللهم اكفنيهما بما شئت فارسل الله على اربد صاعقة فقتلته ورمى عامرا
بغدة فمات في بيت سلولية وكان يقول غدة كغدة البعير وموت في بيت سلولية
فنزلت وهو شديد المحال المماحلة والمكايدة لاعدائه من محل بفلان اذا كايده وعرضه
للهلاك ومنه تمحل اذا تكلف استعمال الحيلة ولعل اصله المحل بمعنى القحط وقيل فعال
من المحل بمعنى القوة وقيل مفعل من الحول او الحيلة اعل على غير قياس ويعضده انه
قرئ بفتح الميم على انه مفعل من حال يحول اذا احتال ويجوز ان يكون بمعنى الفقار
فيكون مثلا في القوة والقدرة كقولهم فساعد الله اشد وموساه احد له دعوة
الحق الدعاء الحق فانه الذي يحق ان يعبد ويدعى الى عبادته دون غيره او له الدعوة المجابة
فان من دعاه اجاب ويؤيده ما بعده والحق على الوجهين ما يناقض الباطل واضافة
الدعوة اليه لما بينهما من الملابسة او على تاويل دعوة المدعو الحق وقيل الحق هو الله
وكل دعاء اليه دعوة الحق والمراد بالجملتين ان كانت الاية في عامر واربد ان اهلاكهما
كهما من حيث لم يشعرا به محال من الله واجابة لدعوة رسوله صلعم او دلالة على انه الحق وان
كانت عامة فالمراد وعيد الكفرة على مجادلة رسول الله صلعم بحلول محاله بهم وتهديدهم باجابة
دعاء الرسول عليهم او بيان ضلالهم وفساد رايهم والذين يدعون اي الاصنام
الذين يدعوهم المشركون فحذف الراجع او والمشركون الذين يدعون الاصنام فحذف
المفعول لدلالة من دونه عليه لا يستجيبون لهم بشيء من الطلبات الا كباسط كفيه
الا استجابة كاستجابة من بسط كفيه الى الماء ليبلغ فاه يطلب منه ان يبلغه وما هو ببالغه
لانه جماد لا يشعر بدعائه فلا يقدر على اجابته والاتيان بغير ما جبل عليه وكذلك آلهتهم وقيل
شبهوا في قلة جدوى دعائهم لها بمن اراد ان يغترف الماء ليشربه فبسط كفيه ليشربه
وقرئ تدعون بالتاء وباسط بالتنوين وما دعاء الكافرين الا في ضلال الا في ضياع وخسار
وباطل ولله يسجد من في السموات والارض طوعا وكرها ويحتمل ان يكون السجود على حقيقته فانه
يسجد له الملائكة والمؤمنون من الثقلين طوعا حالتي الشدة والرخاء والكفرة له كرها

على صح

كرها

التقلص نقصان الظل محمد

حال الشدة والضرورة وظلالهم بالعرض وان يراد به انقيادهم لاحداث ما اراده
فيهم شاؤا او كرهوا وانقياد ظلالهم لتصريفه اياها بالمد والتقليص وانتصاب طوعا
وكرها بالحال او العلة وقوله بالغدو والآصال ظرف ليسجد والمراد بهما الدوام او حال
من الظلال وتخصيص الوقتين لان الامتداد والتقلص اظهر فيهما والغدو جمع غداة
كقنو وقناة والآصال جمع اصيل وهو ما بين العصر والمغرب وقيل الغدو مصدر ويؤيده
انه قد قرئ والايصال وهو الدخول في الاصيل قل من رب السموات والارض خالقهما ومتولي
امرهما قل الله اجب عنهم بذلك اذ لا جواب لهم سواه ولانه البين الذي لا يمكن المراء
فيه او لقنهم الجواب به قل افاتخذتم من دونه ثم الزمهم بذلك ان اتخاذهم منكر
بعيد عن مقتضى العقل اولياء لا يملكون لانفسهم نفعا ولا ضرا لا يقدرون ان يجلبوا
اليها نفعا او يدفعوا عنها ضرا فكيف يستطيعون انفاع الغير ودفع الضر عنه
وهو دليل ثان على ضلالهم وفساد رأيهم في اتخاذهم اولياء رجاء ان يشفعوا
لهم قل هل يستوي الاعمى والبصير المشرك الجاهل بحقيقة العبادة والموجب لها والموحد
العالم بذلك وقيل المعبود الغافل عنكم والمعبود المطلع على احوالكم ام هل تستوي
الظلمات والنور الشرك والتوحيد وقرأ حمزة والكسائي وابو بكر بالياء ام جعلوا لله
شركاء بل اجعلوا والهمزة للانكار خلقوا كخلقه صفة لشركاء داخلة في حكم
الانكار فتشابه الخلق عليهم خلق الله وخلقهم والمعنى انهم ما اتخذوا لله شركاء
خالقين مثله حتى يتشابه عليهم الخلق فيقولوا هؤلاء خلقوا كما خلق الله فاستحقوا
العبادة كما استحقها ولكنهم اتخذوا شركاء عاجزين لا يقدرون على ما يقدر عليه
الخلق فضلا عما يقدر عليه الخالق قل الله خالق كل شيء لا خالق غيره فيشاركه في العبادة
جعل الخلق موجب العبادة ولازم استحقاقها ثم نفاه عمن سواه ليدل عليه وهو
الواحد اي المتوحد بالالوهية القهار الغالب على كل شيء انزل من السماء ماء
من السحاب او من جانب السماء او من السماء نفسها فان المبادي منه فسالت اودية
انهار جمع واد وهو الموضع الذي يسيل الماء فيه بكثرة فاتسع فيه واستعمل للماء

كقنى

وقوله

على قوله

الجاري

الوخر الدرن والزهم محمد

الجاري فيه وتنكيرها لان المطر يأتي على تناوب بين البقاع بقدرها بمقدارها الذي
علم الله انه نافع غير ضار او بمقدارها في الصغر والكبر فاحتمل السيل زبدا رفعه والزبد
وضر الغليان رابيا عاليا ومما توقدون عليه في النار يعم الفلزات كالذهب والفضة
والحديد والنحاس على وجه التهاون بها اظهارا لكبريائه ابتغاء حلية طلب حلية او متاع
كالاواني وآلات الحرب والحرث والمقصود من ذلك بيان منافعها زبد مثله اي ومما
توقدون عليه زبد مثل زبد الماء هو خبثه ومن للابتداء او التبعيض وقرأ حمزة والكسائي
وحفص بالياء على ان الضمير للناس واضماره للعلم به كذلك يضرب الله الحق والباطل مثل الحق والباطل
فانه مثل الحق في افادته وثباته بالماء الذي ينزل من السماء ويسيل به الاودية على قدر الحاجة
والمصلحة فينتفع به انواع المنافع ويمكث في الارض بان يثبت بعضه في منابعه ويسلك
بعضه في عروق الارض الى العيون والقنى والآبار وبالفلز الذي ينتفع به في صوغ الحلي
واتخاذ الامتعة المختلفة ويدوم ذلك مدة متطاولة والباطل في قلة نفعه وسرعة زواله
بزبدهما وبين ذلك بقوله فاما الزبد فيذهب جفاء يجفأ به اي يرمي به السيل او الفلز المذاب
وانتصابه على الحال وقرئ جفالا والمعنى واحد واما ما ينفع الناس كالماء وخلاصة الفلز
فيمكث في الارض ينتفع بها اهلها كذلك يضرب الله الامثال لايضاح المشتبهات للذين
استجابوا للمؤمنين الذين استجابوا لربهم الحسنى الاستجابة الحسنى والذين لم يستجيبوا له
وهم الكفرة واللام متعلقة بيضرب على انه جعل ضرب المثل لشأن الفريقين ضرب المثل
لهما وقيل للذين استجابوا خبر الحسنى وهو المثوبة او الجنة والذين لم يستجيبوا مبتدأ
خبره لو ان لهم ما في الارض جميعا ومثله معه لافتدوا به وهو على الاول كلام مبتدأ لبيان مآل
غير المستجيبين اولئك لهم سوء الحساب وهو المناقشة فيه بان يحاسب الرجل بذنبه
لا يغفر منه شيء ومأواهم جهنم وبئس المهاد المستقر والمخصوص بالذم محذوف افمن يعلم انما
انزل اليك من ربك الحق فيستجيب كمن هو اعمى عمي القلب لا يستبصر فيستجيب والهمزة
لانكار ان يقع شبهة في تشابههما بعد ما ضرب من المثل انما يتذكر اولوا الالباب ذوو العقول
المبرأة عن مشايعة الالف ومعارضة الوهم الذين يوفون بعهد الله ما عقدوه على

الفلز بكسر الفاء واللام وتشديد الزاء ما ينفيه الكير مما يذاب من جواهر الارض كذا في الصحاح والمجمل ومراد المص به هنا المعدنيات التي يتخذ منها الحلي والآلات

المشتبهات

من جعهم

انفسهم

من الاعتراف بربوبيته حين قالوا بلى وما عهد الله عليهم في كتبه ولا ينقضون الميثاق
ما وثقوه من المواثيق بينهم وبين الله وبين العباد وهو تعميم بعد تخصيص والذين يصلون
ما امر الله ان يوصل من الرحم وموالاة المؤمنين والايمان بجميع الانبياء ويندرج في ذلك
مراعاة جميع حقوق الناس ويخشون ربهم وعيد عمومًا ويخافون سوء الحساب خصوصًا
فيحاسبون انفسهم قبل ان يحاسبوا والذين صبروا على ما يكرهه النفس ويخالف الهوى
ابتغاء وجه ربهم طلبًا لرضاه لا لجزاء وسمعة ونحوهما واقاموا الصلوة المفروضة وانفقوا
مما رزقناهم بعضه الذي وجب عليهم انفاقه سرًا لمن لم يعرف بالمال وعلانية لمن عرف
به ويدرؤن بالحسنة السيئة ويدفعونها بها فيجازون الاساءة بالاحسان او يتبعون
الحسنة السيئة فتمحوها اولئك لهم عقبى الدار عاقبة الدنيا وما ينبغي ان يكون ما آلاهلها
وهي الجنة والجملة خبر الموصولات ان رفعت بالابتداء وان جعلت صفات لاولي الالباب
او مبتدا خبره يدخلونها والعدن الاقامة اي جنات يقيمون فيها وقيل هو بطنان
الجنة ومن صلح من آبائهم وازواجهم وذرياتهم عطف على المرفوع في يدخلونها وانما ساغ
للفصل بالضمير الآخر ومفعول معه والمعنى انه يلحق بهم من صلح من اهلهم وان لم يبلغ
مبلغ فضلهم تبعًا لهم وتعظيمًا لشانهم وهو دليل على ان الدرجة تعلو بالشفاعة
وان الموصوفين بتلك الصفات يقرن بعضهم بعضا لما بينهم من القرابة والوصلة
في دخول الجنة زيادة في انسهم والتقييد بالصلاح دلالة على ان مجرد الانساب لا ينفع
والملائكة يدخلون عليهم من كل باب من ابواب المنازل او من ابواب الفتوح والتحف
قائلين سلام عليكم بشارة بدوام السلامة بما صبرتم متعلق بعليكم او بمحذوف
اي هذا بما صبرتم لا بسلام فان الخبر فاصل والباء للسببية او البدلية فنعم عقبى
الدار وقرئ فنعم بفتح النون والاصل نعم فسكن العين بنقل كسرتها الى الفاء وبغيرها
والذين ينقضون عهد الله يعني مقابلي الاولين من بعد ميثاقه من بعد ما اوثقوه
من الاقرار والقبول ويقطعون ما امر الله به ان يوصل ويفسدون في الارض بالظلم وتهييج الفتن

اولئك

اولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار عذاب جهنم او سوء عاقبة الدنيا لانه
في مقابلة عقبى الدار الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر يوسعه ويضيقه
وفرحوا اي اهل مكة بالحيوة الدنيا بما بسط لهم في الدنيا وما الحيوة الدنيا
في الآخرة في جنب الآخرة الا متاع الا متعة لا تدوم كبجاة الراكب وزاد الراعي
والمعنى انهم اشتروا بما نالوا من الدنيا ولم يصرفوه فيما يستوجبون به نعيم الآخرة
واغتروا بما هو في جنبه نزر قليل النفع سريع الزوال ويقول الذين كفروا لولا
لا انزل عليه آية من ربه قل ان الله يضل من يشاء باقتراح الآيات بعد
ظهور المعجزات ويهدي اليه من اناب اقبل الى الحق ورجع عن العناد
وهو جواب بجري مجرى التعجب من قولهم كانه قال قل لهم ما اعظم عنادكم ان الله
يضل من يشاء ممن كان على صفتكم فلا سبيل الى هدايتهم وان انزلت كل آية ويهدي
اليه من اناب بما جيئت به بل بادن منه من الآيات الذين آمنوا بدل من من
او خبر مبتدا محذوف وتطمئن قلوبهم بذكر الله انسا به واعتمادا عليه او
رجاء منه او بذكر رحمته بعد القلق من خشيته او بذكره له الدالة على
وجوده ووحدانيته او بكلامه يعني القرآن الذي هو اقوى المعجزات الا بذكر
الله تطمئن القلوب تسكن اليه الذين آمنوا وعملوا الصالحات مبتدا خبره
طوبى لهم وهو فعلى من الطيب قلبت ياءه واوا لضمة ما قبلها مصدر لطاب
كبشرى وزلفى ويجوز فيه الرفع والنصب ولذلك قرئ وحسن مآب بالنصب
كذلك مثل ذلك يعني ارسال الرسل قبلك ارسلناك في امة قد خلت من قبلها
قد تتقدمها امم ارسلوا اليهم فليس ببدع ارسالك اليها لتتلو عليهم الذي اوحينا
اليك لتقراء عليهم الكتاب الذي اوحيناه اليك وهم يكفرون بالرحمن وحالهم
انهم يكفرون بالبليغ الذي احاطت بهم نعمته ووسعت كل شيء رحمته فلم يشكروا
نعمه وخصوصا ما انعم الله عليهم بارسالك اليهم وانزال القرآن الذي هو مناط المنافع
الدينية والدنياوية عليهم وقيل نزلت في مشركي مكة حين قيل لهم اسجدوا

للرحمن قالوا وما الرحمن قل هو ربي اى الرحمن خالقي ومتولي امري لا اله الا هو
لا مستحق للعبادة سواه عليه توكلت في نصرتي عليكم واليه متاب مرجعي ومرجعكم
ولو ان قرآنا سيرت به الجبال شرط حذف جوابه والمراد منه تعظيم شان القرآن
او المبالغة في عناد الكفرة وتصميمهم اى ولو ان كتابا رُعزعت به الجبال عن مقارها
او قطعت به الارض تصدعت من خشية الله عند قراءته او شققت فجعلت
انهارا وعيونا او كلم به الموتى فيقرأوه فتسمع وتجيب عند قراءته لكان هذا
القرآن لغاية العاية في الاعجاز والنهاية في التذكير والانذار فما آمنوا به كقوله ولو اننا
نزلنا اليهم الملائكة الآية وقيل ان قريشا قالوا يا محمد ان سرك ان نتبعك فسير
بقرآنك الجبال عن مكة حتى تتسع لنا فنتخذ فيها بساتين وقطائع او سخر لنا به الريح
ان نركبها ونتجر الى الشام او ابعث لنا به قصي بن كلاب وغيره من آبائنا ليكلمونا
فيك فنزلت وعلى هذا فتقطيع الارض قطعها بالسير وقيل الجواب مقدم وهو
قوله وهم يكفرون بالرحمن وما بينهما اعتراض وتذكير كلم خاصة لاستماع الموتى
على المذكر الحقيقي بل لله الامر جميعا بل لله القدرة على كل شئ وهو اضراب عما تضمنه
لو من معنى النفي اى بل لله قادر على الاتيان بما اقترحوه من الآيات الا ان ارادته لم
تتعلق بذلك لعلمه بانه لا يلين له شكيمتهم ويؤيد ذلك قوله افلم ييأس الذين آمنوا
من ايمانهم مع ما رأوا من احوالهم وذهب اكثرهم الى ان معناه افلم يعلم ما روى ان عليا
وابن عباس وجماعة من الصحابة والتابعين قرأوا افلم تبين تفسيرا وانما استعمل اليأس
بمعنى العلم لانه مسبب عن العلم فان المأيوس عنه لا يكون الا معلوما ولذلك علقه بقوله
ان لو يشاء الله لهدى الناس جميعا فان معناه نفي هدى بعض الناس لعدم تعلق المشية بانتفائهم
وهو على الاول متعلق بمحذوف تقديره افلم ييأس الذين آمنوا من ايمانهم علما منهم
ان لو يشاء الله لهدى الناس جميعا او آمنوا ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا من الكفر
وسوء الاعمال قارعة داهية تقرعهم وتقلقهم او نحل قريبا من دارهم فيفزعون منها
ويتطاير اليهم شررها وقيل الآية في كفار مكة فانهم لا يزالون مصابين بما صنعوا

برسول الله فانه عليه السلم كان لا يزال يبعث السرايا فتغير حولهم وتختطف مواشيهم
وعلى هذا يجوز ان يكون نحل قريبا خطابا للرسول فانه جل بحيثه قريبا من دارهم عامئذ
الحديبية حتى يأتي وعد الله الموت او القيامة او فتح مكة ووعيد المستهزئين به
والمقترحين عليه والاملاء ان يترك ملاوة من الزمان في دعة وامن ان الله لا يخلف
الميعاد لامتناع الكذب في كلامه ولقد استهزئ برسل من قبلك فاملیت للذين كفروا
فكيف كان عقاب اى عقابي اياهم افمن هو قائم على كل نفس رقيب عليه من خير او شر
اعمالهم ولا يفوت عنده شئ من جزائهم والخبر محذوف تقديره كمن ليس كذلك وجعلوا لله
شركاء استيناف وعطف على كسبت ان جعل ما مصدرية او وجعلوا عطف عليه
ويكون الظاهر فيه موضع الضمير للتنبيه على انه المستحق للعبادة وقوله قل سموهم تنبيها
على ان هؤلاء الشركاء لا يستحقون لها والمعنى صفوهم فانظروا هل لهم ما يستحقون به العبادة
وليسا هلون الشركاء بل انبئونه وقرئ تنبئونه بالتخفيف بما لا يعلم في
الارض شركاء يستحقون العبادة لا يعلمهما او بصفات لهم يستحقون لها لا جلها لا يعلمها
وهو العالم بكل شئ ام بظاهر من القول ام تسمونهم شركاء بظاهر من القول بغير حقيقة
واعتبار معنى كتسمية الزنجي كافورا وهذا احتجاج بليغ على اسلوب عجيب ينادي على
نفسه بالاعجاز بل زين للذين كفروا مكرهم تمويههم فتخيلوا باطلا ثم خالوها
اوكيدهم للاسلام بشركهم وصدوا عن السبيل سبيل الحق وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو
وابن عامر صدوا بالفتح اى وصدوا الناس عن الايمان وقرئ بالكسر وصد بالتنوين
ومن يضلل الله فما له من هاد يوفقه للهدى لهم عذاب في الحيوة بالقتل والاسر
وسائر ما يصيبهم من المصيبات ولعذاب الآخرة اشق لشدته ودوامه وما لهم من الله
من عذابه او من رحمته من واق حافظ مثل الجنة التي وعد المتقون صفتها التي يسأل في الغرابة
وهو مبتدأ خبره محذوف عند سيبويه اى فيما قصصنا عليكم مثل الجنة وقيل خبره
تجري من تحتها الانهار على طريقة قولك صفة زيد اسمر وعلى حذف موصوف اى مثل الجنة
جنة تجري من تحتها الانهار وعلى زيادة المثل وهو على قول سيبويه حال من العائد

المحذوف من الصلة اكلها دائم لا ينقطع ثمرها وظلها اى وظلها كذلك لا ينسخ كما
ينسخ فى الدنيا بالشمس تلك اى الجنة الموصوفة عقبى الذين اتقوا مآلهم ومنتهى امرهم
وعقبى الكافرين النار لا غير وفى ترتيب النظمين اطماع للمتقين واقناط للكافرين
والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما انزل اليك يعنى المسلمين من اهل الكتاب كابن
سلام واصحابه ومن آمن من النصارى وهم ثمانون رجلا اربعون بنجران وثمانية باليمن
واثنان وثلثون بالحبشة او عامتهم فانهم كانوا يفرحون بما يوافق كتبهم ومن الاحزاب
يعنى كفرتهم الذين تحزبوا على رسول الله بالعداوة ككعب بن الاشرف واصحابه والسيد
والعاقب واشياعهما من ينكر بعضه وهو ما يخالف شرائعهم او ما يوافق ما حرفوه
منها قل انما امرت ان اعبد الله ولا اشرك به جواب للمنكرين اى قل لهم انى امرت فيما
انزل الى بان اعبد الله واوحده وهو العمدة فى الدين ولا سبيل لكم الى انكاره واما ما تنكرونه
لما يخالف شرايعكم فليس ببدع مخالفة الشرائع والكتب الالهية فى جزئيات الاحكام
وقرئ ولا اشرك بالرفع على الاستيناف اليه ادعو لا الى غيره واليه مآب واليه
مرجعى للجزاء لا الى غيره وهذا هو القدر المتفق عليه بين الانبياء فاما ما عدا ذلك من التفاريع
فمما يختلف بالاعصار والامم فلا معنى لانكاركم المخالفة فيه وكذلك ومثل هذا الانزال
المشتمل على اصول الديانات المجمع عليها انزلناه حكما يحكم فى القضايا والوقايع بما يقتضيه الحكمة
عربيا مترجما بلسان العرب ليسهل لهم فهمه وحفظه وانتصابه على الحال ولئن اتبعت
اهواءهم التى يدعونك اليها كتقرير دينهم والصلوة الى قبلتهم بعد ما حولت عنها
بعد ما جاءك من العلم بنسخ ذلك ما لك من الله من ولى ولا واق ينصرك ويمنع العقاب
عنك وهو حسم لاطماعهم وتهييج للمؤمنين على الثبات فى الدين ولقد ارسلنا رسلا من
قبلك بشرا مثلك وجعلنا لهم ازواجا وذرية نساء واولادا كما هى لك وما كان لرسول
وما صح له ولم يكن فى وسعه ان يأتى بآية تقترح عليه وحكم يلتمس منه الا باذن الله فانه
الملى بذلك لكل اجل كتاب لكل وقت وامد حكم يكتب على العباد على ما يقتضيه
استصلاحهم يمحو الله ما يشاء بنسخ ما يستصوب نسخه ويثبت ما يقتضيه حكمته وقيل

الملى الغنى

يمحو

يمحو سيئات التائب ويثبت الحسنات مكانها وقيل يمحو من كتاب الحفظة ما لا
يتعلق به جزاء ويترك غيره مثبتا او يثبت ما رآه وحده فى صميم قلبه وقيل يمحو قرنا ويثبت
آخرين وقيل يمحو الفاسدات ويثبت الكائنات وقرأ نافع وابن عامر وحمزة والكسائى
ويثبت بالتشديد وعنده ام الكتاب اصل الكتب وهو اللوح المحفوظ اذ ما من كائن
الا وهو مكتوب فيه واما نرينك بعض الذى نعدهم او نتوفينك وكيف ما دارت الحال
ارينا بعض ما اوعدناهم او توفينا قبله فانما عليك البلاغ لا غير وعلينا الحساب
للمجازاة لا عليك فلا تحتفل باعراضهم ولا تستعجل بعذابهم فانا فاعلون له وهذا طلايعه
اولم يروا انا نأتى الارض ارض الكفرة ننقصها من اطرافها بما نفتحه على المسلمين منها
والله يحكم لا معقب لحكمه لا راد له وحقيقته الذى يعقب الشئ بالابطال ومنه
قيل لصاحب الحق معقب لانه يقفو غريمه بالاقتضاء والمعنى انه حكم للاسلام بالاقبال وعلى
الكفر بالادبار وذلك كائن لا يمكن تغييره ومحل لا مع المنفى النصب على الحال اى يحكم نافذا
حكمه وهو سريع الحساب فيحاسبهم عما قليل فى الآخرة بعد ما عذبهم بالقتل والاجلاء
فى الدنيا وقد مكر الذين من قبلهم بانبيائهم والمؤمنين منهم فلله المكر جميعا اذ لا يؤبه
بمكر دون مكره فانه القادر على ما هو المقصود منه دون غيره يعلم ما تكسب كل نفس فيعد
جزاءه وسيعلم الكفار لمن عقبى الدار من الحزبين حيثما يأتيهم العذاب المعد لهم
وهم فى غفلة منه وهذا كالتفسير لمكر الله بهم واللام تدل على ان المراد بالعقبى
العاقبة المحمودة مع ما فى الاضافة الى الدار كما عرفت وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو
الكافر على ارادة الجنس وقرئ الكافرون والذين كفروا والكفر اى اهله وسيعلم من
اعلمه اذا اخبره ويقول الذين كفروا لست مرسلا قيل المراد بهم رؤساء اليهود قل كفى بالله
شهيدا بينى وبينكم فانه اظهر من الادلة على رسالتى ما يغنى عن شاهد يشهد
عليها ومن عنده علم الكتاب علم القرآن وما الف عليه من النظم المعجز او علم التورية
وهو ابن سلام واضرابه او علم اللوح المحفوظ وهو الله اى وكفى بالذى يستحق العبادة
وبالذى لا يعلم ما فى اللوح الا هو شهيدا بيننا فيجزى الكاذب منا ويؤيده قراءة من قرأ

ومن عنده بالكسر وعلم الكتاب على الاول مرتفع بالظرف فانه معتمد على الموصول وجوز
ان يكون مبتدأ والظرف خبره وهو متعين للثانية وقرئ ومن عنده علم على الحرف
والبناء للمفعول عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الرعد اعطى من
الاجر عشر حسنات بعدد كل سحاب مضى وكل سحاب يكون الى يوم القيامة وبعث
يوم القيامة من الموفين بعهد الله سورة ابرهيم مكية وهي احدى وخمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم الر كتاب

اى هو كتاب انزلناه اليك لتخرج الناس بدعائك اياهم الى ما تتضمنه من الظلمات
من انواع الضلال الى النور الى الهدى باذن ربهم بتوفيقه وتسهيله مستعار
من الاذن الذى هو تسهيل الحجاب وهو صلة لتخرج او حال من فاعله او مفعوله الى صراط
العزيز الحميد بدل من قوله الى النور بتكرير العامل او استيناف على انه جواب لمن يسأل عنه
واضافة الصراط الى الله اما لانه مقصده او المظهر له وتخصيص الوصفين للتنبيه على انه
لا يذل سائله ولا يخيب سائله الله الذى له ما فى السموات وما فى الارض على قراءة نافع
وابن عامر مبتدأ وخبرا والله خبر محذوف والذى صفته وعلى قراءة الباقين عطف
بيان للعزيز لانه كالعلم لاختصاصه بالمعبود بالحق وويل للكافرين من عذاب شديد
وعيد لمن كفر بالكتاب ولم يخرج به من الظلمات الى النور والويل تقبيض الوأل وهو النجاة
واصله النصب لانه مصدر الا انه لم يشتق منه لكنه رفع لافادة الثبات الذين يستحبون
الحيوة الدنيا على الآخرة يختارونها عليها فان المختار للشئ يطلب من نفسه ان يكون
احب اليها من غيره ويصدون عن سبيل الله بتعويق الناس عن الايمان وقرئ ويصدوا
من اصده وهو منقول من صد صدودا اذا تنكب وليس فصيحا لان فصده منه وحده
عن تكلف التعدية ويبغونها عوجا ويبغون لها زيغا وتكوبا عن الحق ليقدحوا فيه
فحذف الجار واوصل الفعل الى الضمير والموصول بصلته بمحتمل الجر صفة للكافرين والنصب على الذم
والرفع عليه او على انه مبتدأ خبره اولئك فى ضلال بعيد اى ضلوا عن الحق ووقعوا
عنه بمراحل والبعد فى الحقيقة للضال فوصف به فعله للمبالغة او للامر الذى به الضلال

فوصف به لملابسته وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه الا بلغة قومه
الذى هو منهم وبعث فيهم ليبين لهم ما امر به فيفقهوه عنه ييسر وشرعه
ثم ينقلوه ويتجوزوه لغيرهم فانهم اولى الناس بان يدعوهم واحق بان ينذرهم ولذلك
امر النبى صلى الله عليه وسلم بانذار عشيرته اولا ولو نزل على من بعث الى الامم مختلفة
كتب على السنتهم استقل ذلك بوع من الاعجاز ولكن ادى الى اختلاف الكلمة واضاعة
فضل الاجتهاد فى تعلم الالفاظ ومعانيها والعلوم المتشعبة منها وما فى اتعاب
القراح وكد النفس من القرب المقتضية لجزيل الثواب وقرئ بلسن وهو لغة فيه
كريش ورياش ولسن بضمتين وضمة وسكون على الجمع كعمد وعمد وقيل الضمير فى قومه
لمحمد عليه السلم وانه تعالى انزل الكتب كلها بالعربية ثم ترجمها جبريل او كل نبى بلغة المنزل
عليهم وذلك يرده قوله ليبين لهم فانه ضمير القوم والتوراة والانجيل ونحوهما لم تبين للعرب
فيضل الله من يشاء فيخذله عن الايمان ويهدى من يشاء بالتوفيق له وهو
العزيز فلا يغلب على مشيته الحكيم الذى لا يضل ولا يهدى الا لحكمة ولقد ارسلنا
موسى بآياتنا يعنى اليد والعصا وسائر معجزاته ان اخرج قومك من الظلمات بمعنى اى اخرج
لان فى الارسال معنى القول او بان اخرج فان صيغ الافعال سواء فى الدلالة على المصدر
فيصح ان يوصل بها أن الناصبة وذكرهم بايام الله بوقايعه التى وقعت على
الامم الدارجة وايام العرب حروبها وقيل بنعمائه وبلائه ان فى ذلك لآيات لكل صبار
شكور يصبر على بلائه ويشكر لنعمائه فانه اذا سمع بما نزل على من قبله من البلاء وافيض
عليهم من النعماء اعتبر وتنبه لما يجب عليه من الصبر والشكر وقيل اراد لكل مؤمن
وانما عبر عنهم بذلك تنبيها على ان الصبر والشكر عنوان المؤمن واذ قال موسى لقومه
اذكروا نعمة الله عليكم اذ انجاكم من آل فرعون اى اذكروا نعمته وقت انجائه
اياكم ويجوز ان ينتصب بعليكم ان جعلت مستقرة غير صلة للنعمة وذلك اذا
اريدت بها العطية دون الانعام ويجوز ان يكون بدلا من نعمة بدل الاشتمال يسومونكم
سوء العذاب ويذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم احوالا من آل فرعون او من ضمير

المخاطبين والمراد بالعذاب ههنا غير المراد به في سورة البقرة والاعراف لانه مفسر
بالتذبيح والقتل ثم ومعطوف عليه التذبيح ههنا وهو اما جنس العذاب او
استعبادهم واستعمالهم بالاعمال الشاقة وفي ذلكم من حيث انه باقدار الله ايا هم و
امهالهم فيه بلاء من ربكم عظيم ابتلاء منه ويجوز ان يكون الاشارة الى الانجاء والمراد
بالبلاء النعمة واذ تاذن ربكم ايضا من كلام موسى وتاذن بمعنى آذن كتوعد و
اوعد غير انه ابلغ لما في التفعل من معنى التكلف والمبالغة لئن شكرتم يا بني اسرائيل ما
انعمت عليكم من الانجاء وغيره من الايمان والعمل الصالح لازيدنكم نعمة الى نعمة ولئن كفرتم
ان عذابي لشديد فلعلي اعذبكم على الكفران عذابا شديدا ومن عادة الكرم الاكرم
ان يصرح بالوعد ويعرض بالوعيد والجملة مفعول قول مقدر تاذن على انه يجري مجرى
قال لانه ضرب منه او مفعوله وقال موسى ان تكفروا انتم ومن في الارض جميعا من الثقلين فان
الله لغني عن شكركم حميد مستحق للحمد في ذاته محمود يحمده الملائكة وينطق بنعمته ذرات
المخلوقات فما ضررتم بالكفران الا انفسكم حيث حرمتموها مزيد الانعام وعرضتموها
للعذاب الشديد الم يأتكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود ٥ -
من كلام موسى وكلام مبتدأ من الله والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله جملة
وقعت اعتراضا والذين من بعدهم عطف على ما قبله ولا يعلمهم اعتراض والمعنى
انهم لكثرتهم لا يعلم عددهم الا الله وكذلك قال ابن مسعود كذب النسابون جاءتهم
رسلهم بالبينات فردوا ايديهم في افواههم فعضوها غيظا مما جاءت به الرسل
كقولك عضوا عليكم الانامل من الغيظ اووضعوها عليها تعجبا منه واستهزاء عليه
كمن غلبه الضحك او اسكاتا للانبياء وامرا لهم بالطباق الافواه او اشاروا بها الى السنتهم
وما نطقت به من قولهم انا كفرنا تنبيها على ان لا جواب لهم سواه او ردوها في افواه الانبياء
ليمنعوهم من التكلم وعلى هذا يحتمل ان يكون تمثيلا وقيل الايدي بمعنى الايادي
اي ردوا ايادي الانبياء التي هي مواعظهم والوحي اليهم من الحكم والشرايع في افواههم
لانهم اذا كذبوها ولم يقبلوها فكانهم ردوها الى حيث جاءت منه وقالوا انا كفرنا

بما ارسلتم به على زعمكم وانا لفي شك مما تدعونا اليه من الايمان وقرئ تدعوننا
بالادغام مريب موقع في الريبة او ذي ريبة وهي قلق النفس وان لا تطمئن الى الشئ
قالت رسلهم افي الله شك ادخلت همزة الانكار على الظرف لان الكلام في المشكوك فيه
لا في الشك اي انما ندعوكم الى الله وهو لا يحتمل الشك لكثرة الادلة وظهور دلالتها عليه
واشاروا الى ذلك بقوله فاطر السموات والارض وهو صفة او بدل وشك مرتفع بالظرف
يدعوكم الى الايمان ببعثه ايانا ليغفر لكم او يدعوكم الى المغفرة كقولك دعوته لينصرني
على اقامة المفعول له مقام المفعول به من ذنوبكم بعض ذنوبكم وهو ما بينكم وبين الله فان
الاسلام يجبه دون المظالم وقيل جئ عن في خطاب الكفرة دون المؤمنين في جميع
القرآن تفرقة بين الخطابين ولعل المعنى فيه ان المغفرة حيث جاءت في خطاب
المؤمنين مشفوعة بالطاعة والتجنب عن المعاصي وبخوذلك فيتناول الخروج عن المظالم
ويؤخركم الى اجل مسمى الى وقت سماه الله وجعله آخر اعماركم قالوا ان انتم الا بشر مثلنا
لا فضل لكم علينا فلم تخصون بالنبوة دوننا ولو شاء الله ان يبعث الى البشر رسلا
لبعث من جنس افضل تريدون ان تصدونا عما كان يعبد آباؤنا بهذا الدعوى فاتونا
بسلطان مبين يدل على فضلكم واستحقاقكم لهذه المزية او على صحة ادعائكم النبوة كانهم
لم يعتبروا ما جاؤا به من البينات والحجج واقترحوا عليهم آية اخرى تعنتا ولجاجا قالت
لهم رسلهم ان نحن الا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده بالنبوة سلموا
مشاركتهم في الجنس وجعلوا الموجب لاختصاصهم بالنبوة فضل الله ومنه عليهم وفيه
دليل على ان النبوة عطائية وان ترجيح بعض الجائزات على بعض بمشيته تعالى وما كان لنا
ان نأتيكم بسلطان الا باذن الله اي ليس الينا الاتيان بالآيات ولا يستبد به استطاعتنا
حتى نأتي بما اقترحتموه وانما هو امر يتعلق بمشيته الله فيخص كل نبي بنوع من الآيات وعلى
الله فليتوكل المؤمنون فليتوكلوا عليه في الصبر على معاداتكم ومعاداتكم عموما الامر للاستعداد
بما يوجب التوكل وقصدوا به انفسهم قصدا اوليا الا ترى قوله وما لنا ان لا نتوكل على الله
اي اي عذر لنا في ان لا نتوكل وقد هدانا سبلنا التي نعرفه ونعلم ان الامور كلها

بيده وقرأ ابو عمرو بالتخفيف ههنا وفي العنكبوت ولنصبرن على ما آذيتمونا جواب قسم
محذوف اكدوا به توكلهم وعدم مبالاتهم بما يجري من الكفار عليهم وعلى الله فليتوكل
المتوكلون فليثبت المتوكلون على ما استحدثوه من توكلهم المسبب عن ايمانهم وقال الذين
كفروا لرسلهم لنخرجنكم من ارضنا او حلفوا على ان يكون احد الامرين اما اخراجهم للرسل
او عودهم الى ملتهم وهو بمعنى الصيرورة لانهم لم يكونوا على ملتهم قط ويجوز ان يكون
الخطاب لكل رسول ولمن آمن معه فغلبوا الجماعة على الواحد فاوحى اليهم ربهم اي الى الرسل
لنهلكن الظالمين على اضمار القول او اجراء الايحاء مجراه لانه نوع منه ولنسكننكم الارض
من بعدهم اي ارضهم وديارهم كقوله واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق
الارض ومغاربها وقرئ ليهلكن وليسكننكم بالياء اعتبارا لاوحى كقولك اقسم زيد ليخرجن
ذلك اشارة الى الموحى به وهو اهلاك الظالمين واسكان المؤمنين لمن خاف مقامي موقفي
وهو الموقف الذي يقيم فيه العباد للحكومة يوم القيامة او قيامي عليه وحفظي لاعماله
وقيل المقام مقحم وخاف وعيد اي وعيدي بالعذاب او عذابي الموعود للكفار واستفتحوا
سألوا من الله الفتح على اعدائهم او القضاء بينهم وبين اعاديهم من الفتاحة كقوله ربنا
افتح بيننا وبين قومنا بالحق وهو معطوف على فاوحى والضمير للانبياء وقيل للكفرة وقيل
للفريقين فان كلهم سألوه ان ينصر المحق ويهلك المبطل وقرئ بلفظ الامر عطفا على لنهلكن وخاب
كل جبار عنيد اي ففتح لهم فافلح المؤمنون وخاب كل جبار عات متكبر على الله معاند
للحق فلم يفلح ومعنى الخيبة اذا كان الاستفتاح من الكفرة او من القبيلين كان اوقع
من ورائه جهنم اي من بين يديه فانه مرصد بها واقف على شفيرها في الدنيا مبعوث اليها في الآخرة
وقيل من وراء حيوته وحقيقته ما يوارى عنك ويسقى من ماء عطف على محذوف تقديره
من ورائه جهنم يلقى فيها ما يلقى ويسقى من ماء صديد عطف بيان لماء وهو ما يسيل
من جلود اهل النار يتجرعه يتكلف جرعه وهو صفة لماء او حال من الضمير في يسقى ولا
يكاد يسيغه ولا يقارب ان يسيغه فكيف يسيغه بل يغص به فيطول عذابه والسوغ جواز
جواز الشراب على الحلق بسهولة وقبول نفس ويأتيه الموت من كل مكان اي اسبابه من

لتعودن في ملتنا

الشدايد

الشدايد فيحيط به من جميع الجهات وقيل من كل مكان من جسده حتى من اصول شعره وابهام رجله
وما هو بميت فيستريح ومن ورائه ومن بين يديه عذاب غليظ اي يستقبل في كل وقت عذابا
اشد مما هو عليه وقيل هو الخلود في النار وقيل حبس الانفاس وقيل الآية منقطعة
عن قصة الرسل نازلة في اهل مكة طلبوا الفتح الذي هو المطر في سنيهم التي ارسل الله عليهم
بدعوة رسوله فخيب رجاءهم فلم يسقهم ووعد لهم ان يسقيهم في جهنم بدل سقياهم
صديد اهل النار صديد اهل النار مثل الذين كفروا بربهم مبتدأ خبره محذوف اي
فيما يتلى عليكم صفتهم التي هي مثل في الغرابة او قوله اعمالهم كرماد وهي على الاول جملة مستانفة
لبيان مثلهم وقيل اعمالهم بدل من المثل والخبر كرماد اشتدت به الريح حملته واسرعت في
الذهاب به وقرأ نافع الرياح في يوم عاصف العصف اشتداد الريح وصف به زمانه للمبالغة
كقولهم نهاره صائم وليله قائم شبه صنايعهم من الصدقة وصلة الرحم واغاثة الملهوف
وعتق الرقاب ونحو ذلك من مكارمهم في حبوطها لبنائها على غير اساس من معرفة الله
والتوجه بها اليه او اعمالهم للاصنام برماد طيرته الريح العاصفة لا يقدرون يوم
القيامة مما كسبوا من اعمالهم على شيء لحبوطه فلا يرون له اثرا من الثواب وهو فذلكة
التمثيل ذلك اشارة الى ضلالهم مع حسبانهم انهم محسنون هو الضلال البعيد فانه الغاية
في البعد عن طريق الحق الم تر خطاب للنبي والمراد به امته وقيل لكل واحد من الكفرة
على التلوين ان الله خلق السموات والارض بالحكمة والوجه الذي يحق ان يخلق عليه وقرأ حمزة
والكسائي خالق السموات ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد يعدمكم ويخلق خلقا آخر مكانكم
رتب ذلك على كونه خالقا للسموات والارض استدلالا به عليه فان من خلق اصولهم
وما توقف عليه تخليقهم ثم كونهم بتبديل الصور وتغيير الطبايع قدر ان يبدلهم
بخلق آخر ولم يمتنع عليه ذلك كما قال وما ذلك على الله بعزيز بمتعذر او متعسر فانه قادر
لذاته لا اختصاص له بمقدور دون مقدور ومن هذا شانه كان حقيقا بان يعبد ويؤمن به
رجاء لثوابه وخوفا من عقابه يوم الجزاء وبرزوا لله جميعا اي يبرزون من قبورهم يوم
القيامة لامر الله ومحاسبته او لله على ظنهم فانهم كانوا يخفون ارتكاب الفواحش

بالحق

المراد من التلوين الالتفات

335

ويظنون انها تخفى على الله فاذا كان يوم القيامة انكشفوا لله عند انفسهم وانما ذكر
بلفظ الماضى لتحقق وقوعه فقال الضعفؤا الاتباع جمع ضعيف يريد به ضعاف الرأى
وانما كتب بالواو على لفظ من يفخم الالف قبل الهمزة فيميلها الى الواو للذين استكبروا لرؤسائهم
الذين استتبعوهم واستغووهم انا كنا لكم تبعا فى تكذيب الرسل والاعراض عن
نصائحهم وهو جمع تابع كغائب وغيب او مصدر نعت به للمبالغة او على اضمار مضاف
فهل انتم مغنون عنا دافعون عنا من عذاب الله من شئ من الاولى للبيان واقعة
موقع الحال والثانية للتبعيض واقعة موقع المفعول اى بعض شئ هو بعض عذاب الله
والاعراب ما سبق ويحتمل ان يكون الاولى مفعولا والثانية مصدرا اى فهل انتم مغنون
بعض العذاب بعض الاغناء قالوا اى الذين استكبروا جوابا عن معاتبة الاتباع
واعتذارا عما فعلوا بهم لو هدينا الله للايمان ووفقنا له لهديناكم ولكن ضللنا
فاضللناكم اى اخترناه لانفسنا ولو هدانا الله طريق النجاة من العذاب
لهديناكم واغنيناه عنكم كما عرضنا كم له لكن سددونا طرق الخلاص سواء علينا اجزعنا
ام صبرنا مستويان علينا الجزع والصبر ما لنا من محيص منجى ومهرب من العذاب
من الحيص وهو العدول على جهة الفرار وهو يحتمل ان يكون مكانا كالمبيت ومصدرا
كالمغيب ويجوز ان يكون قوله سواء علينا من كلام الفريقين وتؤيده ما روى انهم يقولون تعالوا
نجزع فيجزعون خمسمائة عام فلا ينفعهم فيقولون تعالوا نصبر فيصبرون كذلك ثم يقولون
سواء علينا وقال الشيطان لما قضى الامر اى حكم وفرغ منه ودخل اهل الجنة الجنة واهل النار
النار خطيبا فى الاشقياء من الثقلين ان الله وعدكم وعد الحق وعدا من حقه ان ينجز
او وعدا انجزه وهو الوعد بالبعث والجزاء ووعدتكم وعد الباطل وهو انه لا بعث ولا
حساب وان كانا فالاصنام تشفع لكم فاخلفتكم جعل تبين خلف وعدهم كالاخلاف فيه
وما كان لى عليكم من سلطان تسلط فالجئكم الى الكفر والمعاصى الا ان دعوتكم الادعاء
اياكم اليها بتسويل وهو ليس من جنس السلطان ولكنه على طريقة قولهم تحية بينهم
ضرب وجيع ويجوز ان يكون الاستثناء منقطعا فاستجبتم لى استرعتم اجابتى فلا

الضعفاء

اى بعض الشئ الذى هو عذاب الله
ويجوز ان يكون للتبعيض

بتسويلى

فلا

فلا تلوموني بوسوستى فان من صرح العداوة لا يلام بامثال ذلك ولوموا انفسكم
حيث اطلعتموني اذ دعوتكم ولم تطيعوا ربكم لما دعاكم واحتجت المعتزلة بامثال ذلك
على استقلال العبد بافعاله وليس فيها ما يدل عليه اذ يكفى لصحتها ان يكون لقدرة العبد
مدخل ما فى فعله وهو الكسب الذى يقوله اصحابنا ما انا بمصرخكم بمغيثكم من العذاب وما
انتم بمصرخى بمغيثى وقراء حمزة بكسر الياء على الاصل فى التقاء الساكنين وهو اصل
مرفوض فى مثله لما فيه من اجتماع يايين وتلك كسرات مع ان حركة ياء الاضافة الفتح فاذا
لم تكسر وقبلها الف فبالحرى ان لا تكسر وقبلها ياء او على لغة من يزيد ياء على ياء الاضافة
اجراها مجرى الهاء والكاف فى ضربته واعطيتكاه وحذف الياء اكتفاء بالكسرة انى
كفرت بما اشركتمونى من قبل ما مصدرية ومن متعلقة باشركتمونى اى كفرت اليوم
باشراكم اياى من قبل هذا اليوم اى فى الدنيا بمعنى تبرأت منه واستكثرته كقولهم يوم القيامة
يكفرون بشركهم وموصولة بمعنى من نحو ما فى قولهم سبحان ما سخركن لنا ومن متعلقة
بكفرت اى كفرت بالذى اشركتمونيه وهو الله بطاعتكم اياى فيما دعوتكم اليه من عبادة
الاصنام وغيرها من قبل اشراكم حين رددت امره بالتجود لآدم واشرك منقول من ركبت
زيدا للتعدية الى مفعول ثان ان الظالمين لهم عذاب اليم تتمة كلامه او ابتداء كلام من الله مع
وفى حكاية امثال ذلك لطف للسامعين وايقاظ لهم حتى حاسبوا انفسهم وتدبروا
عواقبهم وادخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الانهار
خالدين فيها باذن ربهم باذن الله وامره والمدخلون هم الملائكة وقرئ ادخل على
التكلم فيكون قوله باذن ربهم متعلقا بقوله تحيتهم فيها سلام اى تحيتهم الملائكة
بالسلام باذن ربهم الم تر كيف ضرب الله مثلا كيف اعتمد ووضعه كلمة طيبة كشجرة طيبة
اى جعل كلمة طيبة كشجرة طيبة وهو تفسير لقوله ضرب الله مثلا ويجوز ان يكون كلمة بدلا
من مثلا وكشجرة صفتها او خبر مبتدأ محذوف اى هى كشجرة وان يكون اول مفعولى ضرب
اجراها مجرى جعل وقد قرئت بالرفع على الابتداء اصلها ثابت فى الارض ضارب بعروقه
فيها وفرعها واعلاها فى السماء ويجوز ان يريد وفروعها اى افنانها على الاكتفاء بالفظ

من قبل

الجنس لا كتسابه الاستغراق من الاضافة وقرئ ثابت اصلها والاولى على اصله ولذلك
قيل انه اقوى ولعل الثانى ابلغ توتى اكلها تعطى ثمرها كل حين اقته الله لانها رها
باذن ربها بارادة خالقها وتكوينه ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون كان فى
ضرب المثل زيادة افهام وتذكير فانه تصوير للمعانى وادناؤها من الحس ومثل كلمة خبيثة كشجرة
كمثل شجرة خبيثة اجتثت استوصلت واخذت جثتها بالكلية من فوق الارض كان عروقها
قريبة منه مالها من قرار استقرار واختلف فى الكلمة والشجرة ففسرت الكلمة
الطيبة بكلمة التوحيد ودعوة الاسلام والقرآن والكلمة الخبيثة بالاشراك بالله والدعاء
الى الكفر وتكذيب الحق ولعل المراد بهما ما يعم ذلك وفسرت الشجرة الطيبة بالنخلة
وروى ذلك مرفوعا وبشجرة فى الجنة والخبيثة بالحنظل والكشوث ولعل المراد
بهما ايضا ما يعم ذلك يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت الذى ثبت بالحجة عندهم
وتمكن فى قلوبهم فى الحيوة الدنيا فلا يزلون اذا افتتنوا فى دينهم كزكريا ويحيى وحزقيل
وتمسكون والذين فتنتهم اصحاب الاخدود وفى الآخرة فلا يتلعثمون اذا سئلوا عن معتقدهم
فى الموقف ولا يدهشهم اهوال القيامة روى انه عليه السلم ذكر قبض روح المؤمن
فقال ثم يعاد روحه فى جسده فيأتيه ملكان فيجلسانه فى قبره ويقولان له من ربك
وما دينك ومن نبيك فيقول ربى الله ودينى الاسلام ونبيى محمد فينادى مناد من السماء
ان صدق عبدى فذلك قوله يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت ويضل الله
الظالمين الذين ظلموا انفسهم بالاقصار على التقليد فلا يهتدون الى الحق ولا يثبتون
فى مواقف الفتن ويفعل الله ما يشاء من تثبيت بعض واضلال آخرين من غير اعتراض عليه
الم تر الى الذين بدلوا نعمة الله اى شكر نعمته كفرا بان وضعوه مكانه او بدلوا نفس
النعمة كفرا فانهم لما كفروها سلبت منهم فصاروا تاركين لها محصلين الكفر بدلها
كاهل مكة خلقهم الله واسكنهم حرمه وجعلهم قوام بيته ووسع عليهم ابواب رزقهم
وشرفهم بمحمد صلوات الله عليه فكفروا ذلك فقحطوا سبع سنين واسروا وقتلوا يوم
بدر وصاروا اذلاء فبقوا مسلوبى النعمة موصوفين بالكفر وعن عمر وعلى رضى الله عنهما الافجران

فالكلمة الطيبة ما اعرب عن حق او دعا الى اصلاح والكلمة الخبيثة ما كان على خلاف ذلك ص

من قريش

من قريش بنو المغيرة وبنو امية فاما بنو المغيرة فكفيتموهم يوم بدر واما بنو امية
فمتعوا حتى حين واحلوا قومهم قومهم الذين تابعوهم فى الكفر دار البوار دار
الهلاك بحملهم على الكفر جهنم عطف بيان لها يصلونها حال منها او من القوم
اى داخلين فيها مقاسين لحرها او مفسر لفعل مقدر ناصب لجهنم وبئس القرار اى وبئس
المقر جهنم وجعلوا لله انداد ا ليضلوا عن سبيله الذى هو التوحيد وقرأ ابن كثير وابو عمرو ويعقوب
عن سبيله بفتح الياء وليس الضلال ولا الاضلال غرضهم فى اتخاذ الانداد ولكن لما كان نتيجته
جعل كالغرض قل تمتعوا بشهواتكم وبعبادة الاوثان فانها من قبيل الشهوات التى يتمتع
بها وفى التهديد بصيغة الامر ايذان بان المهدد عليه كالمطلوب لافضائه الى المهدد به
وان الامرين كائنان لا محالة ولذلك علله بقوله فان مصيركم الى النار وان المخاطب لانها كله
فيه كالمأمور به من امر مطاع قل لعبادى الذين آمنوا خصهم بالاضافة تنويها وتنبيها
على انهم المقيمون لحقوق العبودية ومفعول قل محذوف يدل عليه جوابه اى قل لعبادى
الذين آمنوا اقيموا الصلوة وانفقوا يقيموا الصلوة وينفقوا امرا ليكون ايذانا بانهم لفرط
مطاوعتهم الرسول بحيث لا يتوقف فعلهم عن امره وانه كالسبب الموجب له ويجوز ان يقدر
بلام الامر ليصح تعلق القول بهما وانما حسن ذلك ههنا ولم يحسن قوله محمد تفد نفسك
كل نفس اذا ما خفت من امر تبالا لدلالة قل عليه وقيل هما جوابا اقيموا وانفقوا مقامين
مقامهما وهو ضعيف كما لا بد من مخالفة ما بين الشرط وجوابه ولان امر المواجهة لا يجاب
بلفظ الغيبة اذا كان الفاعل واحدا سرا وعلانية منتصبان على المصدر اى انفاق سر وعلانية
او على الحال اى ذوى سر وعلانية او على الظرف اى وقتى سر وعلانية والاحب اعلان الواجب
واخفاء المتطوع به من قبل ان يأتى يوم لا بيع فيه فيبتاع المقصر ما يتدارك به تقصيره اى يفدى
نفسه ولا خلال ولا محالة فيتسفع لك خليل او من قبل ان يأتى يوم لا انتفاع فيه بعبادة ولا محالة
وانما ينتفع فيه بالانفاق لوجه الله وقرأ ابن كثير وابو عمرو ويعقوب بالفتح فيهما على النفى العام
الله الذى خلق السموات والارض مبتدأ وخبر وانزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم
تعيشون به ويحتمل عكس ذلك ويجوز ان يراد به المصدر فينتصب بالعلة او المصدر لان اخرج

وهو يشتمل المطعوم والملبوس مفعول
لاخرج ومن الثمرات بيان له حال منه ص

337

وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بامره بمشيته الى حيث توجهتم

في معنى رزق وسخر لكم الانهار فجعلها معدة لانتفاعكم وتصرفكم وقيل تسخير هذه الاشياء
تعليم كيفية اتخاذها وسخر لكم الشمس والقمر دائبين يدأبان في سيرهما وانارتهما واصلاح
ما يصلحانه من المكونات وسخر لكم الليل والنهار يتعاقبان لسباتكم ومعاشكم وآتاكم من كل
ما سألتموه اي بعض جميع ما سألتموه يعني من كل شيء سألتموه شيئا فان الموجود من كل صنف
بعض ما في قدرة الله تعالى ولعل المراد بما سألتموه ما كان حقيقا بان يسأل لاحتياج الناس اليه
سئل او لم يسأل وما يحتمل ان تكون موصولة وموصوفة ومصدرية ويكون المصدر بمعنى المفعول
وقرئ من كل بالتنوين اي وآتاكم من كل شيء ما احتجتم اليه وسألتموه بلسان الحال ويجوز ان تكون
ما نافية في موضع الحال اي وآتاكم من كل شيء غير سائليه وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها لا تحصروها
ولا تطيقوا عد انواعها فضلا من افرادها فانها غير متناهية وفيه دليل على ان المفرد يفيد
الاستغراق بالاضافة ان الانسان لظلوم يظلم النعمة باغفال شكرها او يظلم نفسه بان يعرضها
للحرمان كفار شديد الكفران وقيل ظلوم في الشدة يشكو ويجزع كفار في النعمة يجمع ويمنع
واذ قال ابرهيم رب اجعل هذا البلد بلد مكة آمنا ذا امن لمن فيها والفرق بينه وبين قوله
اجعل هذا بلدا آمنا ان المسئول في الاول ازالة الخوف عنه وتصييره آمنا وفي الثاني جعله
من البلاد الآمنة واجنبني وبني بعدني واياهم ان نعبد الاصنام واجعلنا منه في جانب وقرئ
واجنبني وهما على لغة نجد واما اهل الحجاز فيقولون جنبني شره وفيه دليل على ان عصمة الانبياء
بتوفيق الله وحفظه اياهم وهو بظاهره لا يتناول احفاده وجميع ذريته وزعم ابن عيينة
ان اولاد اسمعيل لم يعبدوا الصنم محتجا به وانما كانت لهم حجارة يدورون بها ويسمونها
الدوار ويقولون البيت حجر فحيث ما نصبنا حجرا فهو بمنزلته رب انهن اضللن كثيرا من الناس
فلذلك سألت منك العصمة واستعذت بك من اضلالهن واسناد الاضلال اليهن باعتبار السببية
كقوله وغرتهم الحيوة الدنيا فمن تبعني على ديني فانه مني اي بعضي لا ينفك عني في امر ديني ومن
عصاني فانك غفور رحيم تقدر ان تغفر له وترحمه ابتداء او بعد التوفيق للتوبة وفيه دليل
على ان كل ذنب فلله ان يغفره حتى الشرك الا ان الوعد فرق بينه وبين غيره ربنا اني اسكنت
من ذريتي اي بعض ذريتي او ذرية من ذريتي فحذف المفعول وهم اسمعيل ومن ولد منه فان اسكانه

متضمن

متضمن لاسكانه بواد غير ذي زرع يعني وادي مكة فانها حجرية لا تنبت عند بيتك
المحرم الذي حرمت التعرض له والتهاون به اذ لم يزل معظما ممتنعا يهابه الجبابرة او منع
منه الطوفان فلم يستول عليه ولذلك سمي عتيقا اي اعتق منه ولو دعا بهذا الدعاء اول ما قدم
فلعله قال ذلك باعتبار ما كان او ما سيؤول اليه روي ان هاجر كانت لسارة فوهبتها من ابرهيم
عليه السلم فولدت منه اسمعيل فغارت عليهما فناشدته ان يخرجهما من عندها فاخرجهما
الى ارض مكة فاظهر الله عين زمزم ثم ان جرهم راوا ثم طيورا فقالوا لا طير الا على الماء فقصدوه
فراوهما وعندهما عين فقالوا اشركينا في مائك نشركك في البانا ففعلت ربنا ليقيموا
الصلوة اللام لام كي وهي متعلقة باسكنت اي ما اسكنتهم بهذا الوادي البلقع من كل مرتفق
ومرتزق الا لاقامة الصلوة عند بيتك المحرم وتكرير النداء وتوسيطه للاشعار بانها
المقصودة بالذات من اسكانهم ثم والمقصود من الدعاء توفيقهم لها وقيل لام الامر والمراد
هو الدعاء لهم باقامة الصلوة كانه طلب منهم الاقامة وسأل من الله تعالى ان يوفقهم لها فاجعل
افئدة من الناس اي افئدة من افئدة الناس ومن للتبعيض ولذلك قيل لو قال افئدة
الناس لازدحمت عليهم فارس والروم ولحجت اليهود والنصارى او للابتداء كقولك القلب
مني سقيم اي افئدة ناس وقرأ هشام افئيدة بخلف عنه بياء بعد الهمزة وقرئ آفدة وهو
يحتمل ان يكون مقلوب افئدة كآدر في ادؤر وان يكون اسم الفاعل من افدت الرحلة اذا عجلت
يعجلون نحوهم وافدة بطرح الهمزة للتخفيف وان كان الوجه فيه اخراجها بين بين ويجوز
ان يكون من افد تهوي اليهم تسرع اليهم شوقا ووداد وقرئ تهوى على البناء للمفعول
من اهوى اليه غيره وتهوى من هوي يهوى اذا احب وتعديته بالى لتضمين معنى النزوع
وارزقهم من الثمرات مع سكناهم واديا لا نبات فيه لعلهم يشكرون تلك النعمة
فاجاب الله دعوته فجعله حرما آمنا يجبى اليه ثمرات كل شيء حتى يوجد فيه الفواكه الربيعية
والصيفية والخريفية في يوم واحد ربنا انك تعلم ما نخفي وما نعلن تعلم سرنا كما تعلم علننا
والمعنى انك اعلم باحوالنا ومصالحنا وارحم بنا منا بانفسنا فلا حاجة لنا الى الطلب لكنا
ندعوك اظهارا لعبوديتك وافتقارا الى رحمتك واستعجالا لنيل ما عندك وقيل ما نخفي

من وجد الفرقة وما نعلن من التضرع اليك والتوكل عليك وتكرير النداء للمبالغة
في التضرع والالحاح الى الله تعالى وما يخفى على الله من شيء في الارض ولا في السماء لانه العالم بعلم
ذاتي يستوي نسبته الى الكل معلوم ومن للاستغراق الحمد لله الذي وهب لي على الكبر
لي وانا كبير آيس عن الولد قيد الهبة بحال الكبر استعظاما للنعمة واظهارا لما فيها من الآية
اسمعيل واسحق روي انه ولد له اسمعيل لتسع وتسعين سنة واسحق لمائة وثنتي عشرة سنة
ان ربي لسميع الدعاء اي لمجيبه من قولك سمع الملك كلامي اذا اعتد به وهو من ابنية المبالغة
العاملة عمل الفعل اضيف الى مفعوله او فاعله على اسناد السماع الى دعاء الله على المجاز
وفيه اشعار بانه دعاء تيقن وسأل منه الولد فاجابه ووهب له سؤله حين ما وقع اليأس
منه ليكون من اجل النعم واجلاها رب اجعلني مقيم الصلوة مع اعلالها مواظبا عليها ومن
ذريتي عطف على المنصوب في اجعلني والتبعيض لعلمه باعلام الله او استقراء عادته في الامم
الماضية في ذريته كفار ربنا وتقبل دعاء واستجب دعائي او تقبل عبادتي
ربنا اغفر لي ولوالدي ولد بحذف التاء وقرئ لابوي وقد تقدم عذر استغفاره لهما وقيل اراد
بهما آدم وحواء وللمؤمنين يوم يقوم الحساب يثبت مستعار من القيام على الرجل كقولهم
قامت الحرب على ساق او يقوم اليه اهله فحذف المضاف واسند اليه فيما مهم مجازا
ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم
والمراد به تثبيته على ما عليه من انه مطلع على احوالهم وافعالهم لا يخفى عليه خافية
والوعيد بانه معاقبهم على قليله وكثيره لا محالة او لكل من توهم غفلته جهلا
بصفاته واغترارا بامهاله وقيل انه تسلية للمظلوم وتهديد للظالم انما يؤخرهم
ليوم تشخص فيه الابصار اي تشخص ابصارهم
فلا تقر في اماكنها من هول ما ترى مهطعين مسرعين الى الداعي او مقبلين با
بصارهم فلا يطرفون هيبة وخوفا واصل الكلمة هو الاقبال على الشيء مقنعي رؤوسهم
رافعيها لا يرتد اليهم طرفهم بل بقيت عيونهم شاخصة لا تطرف ولا يرجع اليهم نظرهم
فينظروا الى انفسهم وافئدتهم هواء خلاء اي خالية عن الفهم كفؤاد ذي الحيرة والدهشة

ومنه

ومنه يقال للاحمق وللجبان قلبه هواء لا رأي فيه ولا قوة قال زهير من الظلمان جؤجؤ هواء
وقيل خالية عن الخير خاوية عن الحق وانذر الناس يا محمد يوم يأتيهم العذاب
يعني يوم القيامة او يوم الموت فانه اول ايام عذابهم وهو مفعول ثان لانذر فيقول
الذين ظلموا بالشرك والتكذيب ربنا اخرنا الى اجل قريب اخر العذاب عنا ورددنا
الى الدنيا وامهلنا الى حد من الزمان قريب او اخر آجالنا وابقنا مقدار ما نؤمن بك
ونجيب دعوتك نجب دعوتك ونتبع الرسل جواب للامر ونظيره لولا اخرتني الى اجل قريب
فاصدق واكن من الصالحين اولم تكونوا اقسمتم من قبل ما لكم من زوال على ارادة القول وما لكم
جواب القسم جاء بلفظ الخطاب على المطابقة دون الحكاية والمعنى اقسمتم انكم باقون
في الدنيا لا تزالون بالموت ولعلهم اقسموا بطرا وغرورا اد عليه حالهم حيث بنوا شديدا
وامّلوا بعيدا وقيل اقسموا انهم لا ينتقلون الى دار اخرى وانهم اذا ماتوا لا يزالون
عن تلك الحالة الى حالة اخرى كقولهم واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت
وسكنتم في مساكن الذين ظلموا انفسهم بالكفر والمعاصي كعاد وثمود واصل سكن ان يعدى
بفي كقر وغنى واقام وقد يستعمل بمعنى التبوء فيجري مجراه كقولك سكنت الدار
وتبين لكم كيف فعلنا بهم بما تشاهدون في منازلهم من آثار ما نزل بهم وما تواتر
عندكم من اخبارهم وضربنا لكم الامثال من احوالهم اي بينا لكم انكم مثلهم
في الكفر واستحقاق العذاب اوصفات ما فعلوا وفعل بهم التي هي في الغرابة كالامثال
المضروبة وقد مكروا مكرهم المستفرغ فيه جهدهم لابطال الحق وتقرير الباطل وعند
الله مكرهم ومكتوب عنده فعلهم فهو مجازيهم عليه وعنده ما يمكرهم به جزاء
لمكرهم وابطال له وان كان مكرهم في العظم والشدة لتزول منه الجبال مستوى كان الجبال
الجبال وقيل ان نافية واللام موكدة لها كقوله وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم على ان
الجبال مثل لامر النبي ونحوه وقيل مخففة من الثقيلة والمعنى انهم مكروا اليزيلوا ما هو
كالجبال الراسية ثباتا وتمكنا من آيات الله وشرايعه وقراءة الكسائي لتزول بالفتح والرفع
على انها المخففة واللام هي الفاصلة ومعناه تعظيم مكرهم وقرئ بالفتح والنصب على لغة

من يفتح كاف كي وقرئ وان كاد مكرهم فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله مثل قوله انا لننصر رسلنا
كتب الله لاغلبن انا ورسلي واصله مخلف رسله وعده فقدم المفعول الثاني ايذانا بانه
لا يخلف الوعد اصلا لقوله ان الله لا يخلف الميعاد واذا لم يخلف وعده احدا كيف يخلف
رسله ان الله عزيز غالب لا يمانع قادر لا يدافع ذو انتقام لاوليائه من اعدائه يوم تبدل الارض
غير الارض بدل من يوم يأتيهم او ظرف للانتقام او مقدر بأذكر ولا يخلف وعده ولا يجوز ان
ينتصب بمخلف لان ما قبل ان لا يعمل فيما بعده والسموات عطف على الارض وتغيرهن
غير السموات والتبديل يكون في الذات كقولك بدلت الدراهم بالدنانير وعليه قوله تبدلنا
جلودا غيرها وفي الصفة كقولك بدلت الحلقة خاتما اذا اذبتها وغيرت شكلها وعليه
قوله يبدل الله سيئاتهم حسنات والآية يحتملهما فعن علي رضي الله عنه تبدل ارضا من فضة
وسماوات من ذهب وعن ابن مسعود وانس يحشر الناس على ارض بيضاء لم يخطئ عليها
احد خطيئة وعن ابن عباس هي تلك الارض واما تغير صفاتها ويدل عليه ما روى ابي
هريرة انه عليه السلم قال تبدل الارض غير الارض فتبسط وتمد مد الاديم العكاظي لا يرى فيها
عوجا ولا امتا واعلم انه لا يلزم على الوجه الاول ان يكون الحاصل بالتبديل ارضا وسماء على الحقيقة
ولا يبعد على الثاني ان يجعل الله الارض جهنم والسموات الجنة على ما اشعر به قوله تعالى
كلا ان كتاب الابرار لفي عليين وقوله ان كتاب الفجار لفي سجين وبرزوا من اجداثهم
لله الواحد القهار لمحاسبته ومجازاته وتوصيفه بوصفين للدلالة على ان الامر في غاية
الصعوبة كقوله لمن الملك اليوم لله الواحد القهار فان الامر اذا كان لواحد غلاب لا يغالب
فلا مستغاث لاحد الى غيره ولا مستجار وترى المجرمين يومئذ مقرنين قرن بعضهم مع بعض
بحسب مشاركتهم في العقايد والاعمال كقوله واذا النفوس زوجت او قرنوا مع الشياطين
او مع ما اكتسبوا من العقايد الزائغة والملكات الباطلة او قرنت ايديهم وارجلهم الى
رقابهم بالاغلال وهو محتمل ان يكون تمثيلا لمواخذتهم على ما اقترفته ايديهم وارجلهم
في الاصفاد متعلق بمقرنين او حال من ضمير والصفد القيد وقيل الغل قال سلامة
بن جندل ورئيد الخيل قلا قي صفادا يعض ساعده وبعظم ساق واصل الشد سرابيلهم

قمصانهم من قطران وجاء قطران لغتين فيه وهو ما يتحلب من الابهل فيطبخ فيهنأ به
الجرب الابل فيحرق الجرب بحدته وهو اسود منتن تشتعل فيه النار بسرعة يطلى به جلود اهل النار حتى
يكون طلاؤه لهم كالقمص ليجتمع عليهم لذع القطران ووحشة لونه ونتن ريحه مع اسراع النار
في جلودهم على ان التفاوت بين القطرانين كالتفاوت بين النارين ويحتمل ان يكون تمثيلا
لما يحيط بجوهر النفس من الملكات الردية والهيآت الوحشية فتجلب اليها انواعا من
الغموم والآلام وعن يعقوب قطرآن والقطر النحاس والصفر المذاب والآني المتناهي حره
والجملة حال ثانية او حال من الضمير في مقرنين وتغشى وجوههم النار اي وتغشاها
لانهم لم يتوجهوا بها الى الحق ولم يستعملوا في تدبر مشاعرهم وحواسهم التي خلقت فيها
لاجله كما تطلع على افئدتهم لانها فارغة عن المعرفة مملوة بالجهالات ونظير قوله افمن يتقي بوجهه
سوء العذاب يوم القيامة وقوله يوم يسحبون في النار على وجوههم ليجزي الله كل نفس اي يفعل
بهم ذلك ليجزي كل نفس مجرمة ما كسبت او كل نفس من مجرمة او مطيعة لانه اذا بين ان المجرمين
يعاقبون لاجرامهم علم ان المطيعين يثابون لطاعتهم ويتعين ذلك ان علق اللام
ببرزوا ان الله سريع الحساب لانه لا يشغله حساب عن حساب هذا اشارة الى القرآن او السورة
او ما فيه من العظة والتذكير او ما وصف من قوله ولا تحسبن الله بلاغ للناس كفاية لهم
في الموعظة ولينذروا به عطف على محذوف اي ليتعظوا ولينذروا بهذا البلاغ فيكون
اللام متعلقة بالبلاغ ويجوز ان يتعلق بمحذوف تقديره ولينذروا به انزل او تلي وقرئ
بفتح الياء من نذر به اذا علم واستعد له وليعلموا انما هو الله بالنظر والتأمل فيه من الآيات
الدالة عليه او المنبهة على ما يدل عليه وليذكر اولوا الالباب فيرتدعوا عما يردي بهم ويتدرعوا
بما يحظيهم واعلم انه سبحانه ذكر هذا البلاغ ثلث فوائد هي الغاية والحكمة في انزال
الكتب كمال الرسل للناس واستكمالهم القوة النظرية التي منتهى كمالها التوحيد واستصلاح
القوة العملية التي هو التدرع بلباس التقوى جعلنا الله من الفائزين بهما وعن النبي
صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة ابرهيم اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من عبد
الاصنام وعدد من لم يعبد

سورة الحجر مكية وهي تسع وتسعون آية

340

واذا كان المراد من الكتاب وقرآن مبين السورة فالعطف هنا من قبيل الى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتيبة في المزدحم

بسم الله الرحمن الرحيم الر تلك آيات الكتاب
وقرآن مبين الاشارة الى آيات السورة والكتاب هو السورة وكذا القرآن وتنكيره للتفخيم
اى آيات الجامع لكونه كتابا كاملا وقرآنا يبين الرشد من الغى بيانا عربيا ربما يود الذين كفروا
لو كانوا مسلمين حين عاينوا حال المسلمين عند نزول النصر او حلول الموت او يوم القيامة
وقرأ نافع وعاصم ربما بالتخفيف وقرئ ربما بالفتح والتخفيف وفيه ثمان لغات ضم الراء
وفتحه مع التشديد والتخفيف وبتاء التانيث ودونها وما كافة تكفه عن الجر فيجوز دخوله
على الفعل وحقه ان يدخل الماضى لكن لما كان المترقب فى اخبار الله تعالى كالماضى فى تحققه اجرى
مجراه وقيل ما نكرة موصوفة كقوله ربما تكره النفوس من الامر له فرجة كحل العقال ومعنى التقليل
فيه الايذان بانهم لو كانوا يودون الاسلام مرة فبالحرى ان يسارعوا اليه فكيف وهم يودونه
كل ساعة وقيل تدهشهم اهوال القيامة فان حانت منهم افاقة فى بعض الاوقات
تمنوا ذلك والغيبة فى حكاية ودادتهم كالغيبة فى قولك حلف بالله ليفعلن ذرهم دعهم
ياكلوا ويتمتعوا بدنياهم ويلههم الامل ويشغلهم توقعهم لطول الاعمار واستقامة الاحوال
عن الاستعداد للمعاد فسوف يعلمون سوء صنيعهم اذا عاينوا جزاءه والغرض اقناط الرسول صلعم
من ارعوائهم وايذانه بانهم من اهل الخذلان وان نصحهم بعد اشتغال بما لا طائل تحته
وفيه الزام للحجة وتحذير عن ايثار التنعم وما يؤدى اليه طول الامل وما اهلكنا من قرية الا
ولها كتاب معلوم اجل مقدر كتب فى اللوح المحفوظ والمستثنى جملة واقعة صفة لقرية والاصل ان لا يدخلها
الواو كقوله الا لها منذرون لكن لما شابهت صورتها صورة الحال ادخلت عليها تاكيدا
للصوقها بالموصوف ما تسبق من امة اجلها وما يستاخرون اى وما يستاخرون عنه وتذكير ضمير امة
فيه للحمل على المعنى وقالوا يا ايها الذى نزل عليه الذكر نادوا به النبى عليه السلم على التهكم الا ترى
الى ما نادوه له وهو قوله انك لمجنون ونظير ذلك قول فرعون ان رسولكم الذى ارسل اليكم لمجنون والمعنى
انك لتقول قول المجانين حتى تدعى ان الله نزل عليك الذكر اى القرآن لو ما تاتينا ركب لو مع ما
كما ركب مع لا لمعنيين امتناع الشئ لوجود غيره والتحضيض بالملائكة ليصدقوك ويعضدوك على الدعوة
كقوله لولا انزل اليه ملك فيكون معه نذيرا او للعقاب على تكذيبنا لك كما اتت الامم المكذبة

قبل

قبل ان كنت من الصادقين فى دعواك ما ننزل الملائكة وقرأ حمزة والكسائى وحفص
بالنون وابو بكر بالتاء والبناء للمفعول ورفع الملائكة وقرئ ما تنزل بمعنى ما تتنزل الا بالحق الا
تنزيلا ملتبسا بالحق اى بالوجه الذى قدره واقتضته حكمته ولا حكمة فى ان تاتيكم بصور تشاهدونها
فانه لا يزيدكم الا لبسا ولا فى معالجتكم بالعقوبة فان منكم ومن ذراريكم من سبقت كلمتنا له
بالايمان وقيل الحق الوحى والعذاب وما كانوا اذا منظرين اذا جواب لهم وجزاء لشرط مقدر
اى ولو نزلنا الملائكة ما كانوا منظرين انا نحن نزلنا الذكر رد لانكارهم واستهزائهم ولذلك
اكده من وجوه وقرره بقوله وانا له لحافظون اى من التحريف والزيادة والنقص بان جعلناه
معجزا مباينا لكلام البشر بحيث لا يخفى تغيير نظمه على اهل الدين او نفى تطرق الخلل اليه فى الدوام
بضمان الحفظ له كما نفى ان يطعن فيه بانه المنزل له وقيل الضمير فى له للنبى عليه السلم ولقد ارسلنا من قبلك
فى شيع الاولين فى فرقهم جمع شيعة وهى الفرقة المتفقة على طريق ومذهب من شاعه اذا تبعه
واصله الشياع وهو الحطب الصغار يوقد به الكبار والمعنى نبأنا رجالا فيهم وجعلناهم رسلا
فيما بينهم وما ياتيهم من رسول الا كانوا به يستهزؤن كما يفعل هؤلاء وهو تسلية للنبى عليه السلام
وما للحال لا يدخل الا مضارعا بمعناه او ماضيا قريبا منه وهذا على حكاية الحال الماضية كذلك
نسلكه ندخله فى قلوب المجرمين والسلك ادخال الشئ فى الشئ كالخيط فى المخيط والرمح فى المطعون
والضمير للاستهزاء وفيه دليل على انه تعالى يوجد الباطل فى قلوبهم وقيل للذكر فان الضمير الآخر
فى قوله تعالى لا يؤمنون به له وهو حال من هذا الضمير والمعنى مثل ذلك السلك نسلك الذكر
فى قلوب المجرمين مكذبا غير مؤمن به او بيان للجملة المتضمنة له وهذا الاحتجاج ضعيف اذ لا يلزم
من تعاقب الضمائر توافقها فى المرجوع اليه ولا يتعين ان تكون الجملة حالا من المجرمين ولا ينافى كونها
كونها مفسرة للمعنى الاول بل يقويه وقد خلت سنة الاولين اى سنة الله فيهم بان خذلهم
وسلك الكفر فى قلوبهم او باهلاك من كذب الرسل منهم فيكون وعيدا لاهل مكة ولو فتحنا عليهم
على هؤلاء المقترحين بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون يصعدون اليها ويرون عجايبها طول نهارهم مستوضحين
لما يرون او يصعد الملائكة وهم يشاهدونهم لقالوا من غلوهم فى العناد وتشكيكهم فى الحق
انما سكرت ابصارنا سدت من الابصار بالسحر من السكر ويدل عليه قراءة ابن كثير بالتخفيف او حيرت

بالياء مسند الى ضمير اسم الله

اللسان

من الضمير لجواز ان تكون حالا

مستفاد من الظلول

من السكر ويدل عليه قراءة من قرأ سكرت بل نحن قوم مسحورون قد سحرنا محمد بذلك
كما قالوه عند ظهور غيره من الآيات وفي كلمتي الحصر والاضراب دلالة على البت بان ما يرونه
لا حقيقة له بل هو باطل خيل اليهم بنوع من السحر ولقد جعلنا في السماء بروجا اثنى عشر مختلفة الهيئات
والخواص على ما دل عليه الرصد والتجربة مع بساطة السماء وزيناها بالاشكال والهيئات البهية
وظهور الروح في المركب فاذا وجد في البسيط فهو ابدع
للناظرين المعتبرين المستدلين بها على قدرة مبدعها وتوحيد صانعها وحفظناها من كل
شيطان رجيم فلا يقدر ان يصعد اليها ويوسوس اهلها ويتصرف في امرها ويطلع على احوالها
الا من استرق السمع بدل من كل شيطان واستراق السمع اختلاسه سرا شبه به خطفتهم اليسيرة
من قطان السموات بما بينهم من المناسبة في الجوهر او بالاستدلال من اوضاع الكواكب و
حركاتها وعن ابن عباس انهم كانوا لا يحجبون عن السموات فلما ولد عيسى منعوا من ثلث سموات
فلما ولد محمد صلعم منعوا من كلها بالشهب ولا يقدح فيه تكونها قبل المولد لجواز ان يكون لها
اسباب اخر وقيل الاستثناء منقطع اي ولكن من استرق السمع فاتبعه فتبعه ولحقه شهاب
مبين ظاهر للمبصرين والشهاب شعلة نار ساطعة وقد يطلق للكوكب والسنان لما فيهما
من البريق والارض مددناها بسطناها والقينا فيها رواسي جبالا ثوابت وانبتنا فيها في الارض
او فيها وفي الجبال من كل شيء موزون مقدر بمقدار معين تقتضيه حكمته او مستحسن متناسب
من قولهم كلام موزون او ما يوزن او له وزن في ابواب النعم والمنفعة وجعلنا لكم فيها معايش
تعيشون بها من المطاعم والملابس وقرئ بالهمز على التشبيه بشمائل ومن لستم له برازقين
عطف على معايش او على محل لكم والمراد به العيال والخدم والمماليك وسائر ما يظنون انهم
من الانعام والدواب
يرزقونهم ظنا كاذبا فان الله يرزقهم واياهم وفذلكة الآية الاستدلال بجعل الارض
ممدودة بمقدار وشكل معينين مختلفة الاجزاء في الوضع محدثة فيها انواع النبات والحيوان
المختلفة خلقة وطبيعة مع جواز ان لا يكون كذلك على كمال قدرته وتناهي حكمته والتفرد في الوهيته
والامتنان على العباد بما انعم عليهم ليوحدوه ويعبدوه ثم بالغ في ذلك وقال وان من شيء الا
عندنا خزائنه اي وما من شيء الا ونحن قادرون على ايجاده وتكوينه اضعاف ما وجد منه فضرب
الخزائن مثلا لاقتداره او شبه مقدوراته بالاشياء المخزونة التي لا يحوج اخراجها الى كلفة واجتهاد

ماخيل

ويقدر

في ذلك

وما ننزله

وما ننزله من بقاع القدرة الا بقدر معلوم حده الحكمة وتعلقت به المشية فان تخصيص
بعضها بالايجاد في بعض الاوقات مشتملا على بعض الصفات والحالات لا بد له من مخصص
حكيم وارسلنا الرياح لواقح حوامل شبه الريح التي جاءت بخير من انشاء سحاب ماطر بالحامل
كما شبه ما لا يكون كذلك بالعقيم او ملقحات للشجر ونظيره الطوائح بمعنى المطيحات في قوله
ومختبط مما تطيح الطوائح وقرئ وارسلنا الريح على تأويل الجنس وانزلنا من السماء ماء فاسقيناكموه
فجعلناه لكم سقيا وما انتم له بخازنين قادرين متمكنين اخراجه نفى عنهم ما اثبته
لنفسه او حافظين في الغدران والعيون والآبار وذلك ايضا يدل على المدبر الحكيم
كما يدل حركة الهواء في بعض الاوقات من بعض الجهات على وجه ينتفع به الناس فان
طبيعة الماء يقتضي الغور فوقوفه دون حد لا بد له من سبب مخصص وانا لنحن نحيي بايجاد
الحيوة في بعض الاجسام القابلة لها ونميت بازالتها وقد اول الحيوة بما يعم الحيوان والنبات
وتكرير الضمير للدلالة على الحصر ونحن الوارثون الباقون اذا مات الخلايق كلها ولقد علمنا
المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين من استقدم ولادة وموتا ومن استأخر او من
خرج من اصلاب الرجال ومن لم يخرج بعد او من تقدم في الاسلام والجهاد وسبق الى الطاعة
او تأخر لا يخفى علينا شيء من احوالكم وهو بيان لكمال علمه بعد الاحتجاج على كمال قدرته فان ما يدل
على قدرته دليل على علمه وقيل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصف الاول فازدحموا عليه
فنزلت وقيل ان امرأة حسناء كانت تصلي خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فتقدم بعض
القوم ليلا ينظر اليها وتأخر بعض ليبصرها فنزلت وان ربك هو يحشرهم لا محالة للجزاء وتوسيط
الضمير للدلالة على ان ما سبق من الدلالة على كمال قدرته وعلمه بتفاصيل الاشياء يدل على صحة الحكم
كما صرح به بقوله انه حكيم باهر الحكمة متقن في افعاله عليم وسع علمه كل شيء ولقد خلقنا الانسان من صلصال
من طين يابس يصلصل اي يصوت اذا نقر وقيل هو من صلصل اذا انتن تضعيف صل من حماء
طين تغير واسود من طول مجاورة الماء وهو صفة صلصال اي كائن من حماء مسنون مصور
من سنة الوجه او مصبوب شيء ليبس ويتصور كالجواهر المذابة تصب في القوالب من السن
اي صورة الوجه
وهو الصب كانه افرغ الحماء فصور منها تمثال انسان اجوف فيبس حتى اذا نقر صلصل ثم غير

والسحاب

قوله وان من شيء الا عندنا خزائنه

رغب

على انه القادر والمتولي لحشرهم لا غير وتصدير الجملة بان لتحقق الوعد والتنبيه

ذلك طورا بعد طور حتى سواه ونفخ فيه من روحه او منتن من سنّت الحجر على الجراذ
حككته به فان ما يسيل بينهما يكون منتنا ويسمى سنينا والجان ابا الجن وقيل ابليس
ويجوز ان يراد به الجنس كما هو الظاهر من الانسان لان شعب الجنس لما كان من شخص واحد
خلق من مادة كان الجنس باسره مخلوقا منها واشتقاقه بعد ليفسره خلقناه من قبل من قبل
خلق الانسان من نار السموم من نار الحر الشديد النافذ في المسام ولا يمتنع خلق الحيوان في
الاجرام البسيطة كما لا يمتنع خلقها في الجواهر المجردة فضلا عن الاجساد المؤلفة التي الغالب
فيها الجرو النار فانها اقبل من التي الغالب فيها الجزء الارضي وقوله من نار يا عتبار الغالب
كقوله خلقكم من تراب وسياق الآية للدلالة على كمال قدرة الله وبيان بدو خلق الثقلين فهو للتنبيه
على المقدمة الثانية التي يتوقف عليها امكان الحشر وهو قبول المواد للجمع والاحياء واذ قال
ربك واذكر وقت قوله للملائكة اني خالق بشرا من صلصال من حمإ مسنون فاذا سويته عدلت خلقته
وهيأته لنفخ الروح فيه ونفخت فيه من روحي حتى جرى اثاني في تجاويف اعضائه مجرى
النفخ إجراء الريح في تجويف جسم آخر ولما كان الروح يتعلق اولا بالبخار اللطيف المنبعث من القلب
ويفيض عليه القوة الحيوانية فيسري حاملا لها في تجاويف الشرايين الى اعماق البدن جعل
تعليقه بالبدن نفخا واضافة الروح الى نفسه كما مر في النساء فقعوا له فاسقطوا له ساجدين
امر من وقع يقع وفيه تكريم لآدم وتعظيم لشأنه فسجد الملائكة كلهم اجمعون اكد بتأكيدين للمبالغة في التعميم ومنع التخصيص
وقيل اكد بالكل للاحاطة وباجمعين للدلالة على انهم سجدوا مجتمعين دفعة وفيه نظر اذ لو كان
الامر كذلك كان الثاني حالا لا تاكيدا الا ابليس ان جعل منقطعا اتصل به قوله ابى ان يكون
مع الساجدين اى ولكن ابليس ابى واستكبر وان جعل متصلا كان استثنا فاعلا على انه جواب سائل
قال هلا سجد قال يا ابليس ما لك الا تكون اى غرض لك في ان لا تكون مع الساجدين لآدم قال لم
اكن لاسجد اللام تاكيد للنفي اى لا يصح مني وبنا في حالي ان اسجد لبشر جسماني كثيف وانا
ملك روحاني خلقته من صلصال من حمإ مسنون وهو اخس العناصر وخلقتني من نار وهي اشرفها
استنقص آدم باعتبار النوع والاصل وقد سبق الجواب عنه في سورة الاعراف قال فاخرج منها
اى من السماء او الجنة او زمرة الملائكة فانك رجيم مطرود من الخير والكرامة فان من يطرد

واحد ه

كما هو ه

لطيف ه

باعتبار المفهوم منه

الصمد الاول وهو الذي لم يلد ولم يولد لعدم خلفا الانسان الآية

يرجم بالحجارة وشيطان يرجم بالشهب وهو وعيد يتضمن الجواب عن شبهته وان عليك اللعنة
هذا الطرد والابعاد الى يوم الدين فانه منتهى امد اللعن فاذا بلغه انسب ايام التكليف ومنع زمان
الجزاء وما في قوله فاذن مؤذن بينهم ان لعنة الله على الظالمين بمعنى آخر تنسى عنده هذه وقيل
وقيل انما حد اللعن به لانه بعد غاية يضن بها الانسان اولانه يعذب فيه بما ينسى اللعن معه فيصير
كالزائل قال رب فانظرني فاخرني والفاء متعلقة بمحذوف دل عليه فانك رجيم فاخرج منها
الى يوم يبعثون اراد ان يجد نسمة في الاعواد ونجاة عن الموت اذ لا موت بعد وقت البعث
فاجابه الى الاول دون الثاني قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم المستمر فيه آجالك عند الله
او انقراض الناس كلهم وهو النفخة الاولى عند الجمهور ويجوز ان يكون المراد بالايام الثلثة يوم القيامة
واختلاف العبارات لاختلاف الاعتبارات فعبر عنه اولا بيوم الجزاء لما عرفت وثانيا بيوم البعث
اذ به يحصل العلم بانقطاع التكليف واليأس عن التضليل وثالثا بالمعلوم لوقوعه في الكلامين ولا يلزم من
ذلك ان لا يموت فلعله يموت اولا اليوم ويبعث الخلائق في تضاعيفه وهذه المخاطبة
وان لم تكن بواسطة لم تدل على منصب ابليس لان خطاب الله له على سبيل الاهانة والاذلال قال رب
بما اغويتني الباء للقسم وما مصدرية وجوابه لازينن لهم في الارض والمعنى اقسم باغوائك اياي لازينن
لهم المعاصي في الدنيا التي هي دار الغرور كقوله تعالى اخلد الى الارض وفي انعقاد القسم بافعال الله
خلاف وقيل للسببية والمعتزلة اولوا الاغواء بالنسبة الى الغي او التسبب له باجرائه اياه بالسجود
لآدم عليه السلام وبالاضلال عن طريق الجنة واعتذروا عن امهاله له وهو سبب لزيادة غيه
وتسليطه على اغواء بني آدم بان الله تعالى علم منه ومن تبعه انهم يموتون على الكفر ويصيرون
الى النار فامهل ولم يهمل وان في امهاله تعريضا بمن خالفه لاستحقاق مزيد العقاب وضعف ذلك
لا يخفى على ذوي الالباب ولاغوينهم اجمعين ولاحملنهم اجمعين على الغواية الا عبادك منهم المخلصين
اخلصتهم لطاعتك وطهرتهم من الشوائب فلا يعمل فيهم كيدي وقراء ابن كثير وابو
عمرو بالكسر في كل القرآن اى الذين اخلصوا نفوسهم لله قال هذا صراط علي حق علي ان اراعيه
مستقيم لا انحراف عنه والاشارة الى ما تضمنه الاستثناء وهو تخلص المخلصين من اغوائه على معنى انه
طريق علي يؤدي الى الوصول الي من غير اعوجاج وضلال وقرئ علي من علو الشرف ان عبادي

ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين تصديق لا ليس فيما استثناه
وتغيير الوضع لتعظيم المخلصين ولان المقصود بيان عصمتهم وانقطاع مخالب الشيطان عنهم
او تكذيب له فيما أوهم ان له سلطانا على من ليس مخلص من عباده فان منتهى تزيينه
التحريض والتدليس كما قاله وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي وعلى
هذا يكون الاستثناء منقطعا وعلى الاول يدفع قول من شرط ان يكون المستثنى اقل من الباقي
لافضائه الى تناقض الاستثنائين وان جهنم لموعدهم لموعد الغاوين والمتبعين اجمعين
تاكيد لا يعلم لها سبعة ابواب يدخلون فيها لكثرتهم او طبقات ينزلونها بحسب مراتبهم
في المتابعة وسمي جهنم ثم لظى ثم الحطمة ثم السعير ثم سقر ثم الجحيم ثم الهاوية ولعل تخصيص
العدد لانحصار مجامع المهلكات في الركون الى المحسوسات ومتابعة القوة الشهوية والغضبية
اولان اهلها سبع فرق لكل باب منهم من الاتباع جزء مقسوم افرز له فاعلاها للموحدين
العصاة والثاني لليهود والثالث للنصارى والرابع للصابئين والخامس للمجوس والسادس
للمشركين والسابع للمنافقين وقراء ابو بكر جزء بالتثقيل وقرئ جزء على حذف الهمزة
والقاء حركته على الزاء ثم الوقف عليه بالتشديد ثم اجراء الوصل مجرى الوقف ومنهم حال
منه او من المستكن في الظرف لا في مقسوم لان الصفة لا تعمل فيما تقدم موصوفها ان المتقين
من اتباعه في الكفر والفواحش فان غيرها مكفرة في جنات وعيون لكل واحد جنة وعين
او لكل عدة منهم كقوله ولمن خاف مقام ربه جنتان ثم قوله ومن دونهما جنتان وقوله
مثل الجنة التي وعد المتقون فيها انهار من ماء غير آسن الآية وقراء نافع وابو عمر وحفص
وهشام وعيون والعيون بضم العين حيث وقع والباقون بكسر العين ادخلوها على ارادة
القول وقرئ بقطع الهمزة وكسر الخاء على انه ماض فلا يكسر التنوين بسلام سالمين او مسلما
عليكم آمنين من الآفة والزوال ونزعنا في الدنيا بما ألف بين قلوبهم وفي الجنة بتطييب
نفوسهم ما في صدورهم من غل من حقد كان في الدنيا وعن علي رضي الله عنه ارجو ان اكون
انا وعثمان وطلحة والزبير منهم او من التحاسد على درجات الجنة ومراتب القرب
اخوانا حال من ضمير في جنات او فاعل ادخلوها او الضمير في آمنين او الضمير المضاف اليه في الغل

التعظيم مستفاد من الاضافة

للضمير وحاله والعامل فيها المؤكد
ان جعلته مصدرا على تقدير
مضاف ومعنى الاضافة ان جعلته
اسم مكان فانه

ان جزء مقسوم من الاتباع
لكل باب

واحدهم

فيها

فيها معنى الاضافة وكذا على سرر متقابلين ويجوز ان يكونا صفتين لاخوانا او حالين من ضمير
لانه بمعنى متصافين وان يكون متقابلين حالا من المستتر في على سرر لا يمسهم فيها نصب استئناف
او حالا بعد حال وحال من الضمير في متقابلين وما هم منها بمخرجين فان تمام النعمة
بالخلود نبئ عبادي اني انا الغفور الرحيم وان عذابي هو العذاب الاليم فذلكة ما سبق من الوعد
والوعيد وتقرير له وفي ذكر المغفرة دليل على انه لم يرد بالمتقين من يتقي الذنوب باسرها
كبيرها وصغيرها وفي توصيف ذاته بالغفران والرحمة دون التعذيب ترجيح الوعد وتاكيده
وفي عطف ونبئهم عن ضيف ابرهيم على ونبئ عبادي تحقيق لهما بما يعتبرون به اذ دخلوا
عليه ففالوا سلاما اي نسلم عليك سلاما او سلمنا سلاما قال انا منكم وجلون خائفون
وذلك انهم دخلوا بغير اذن وبغير وقت ولانهم امتنعوا من الاكل والوجل اضطراب النفس
لتوقع ما تكره قالوا لا توجل وقرئ لا تاجل ولا توجل من اوجله ولا تواجل من واجله بمعنى
اوجله انا نبشرك استيناف في معنى التعليل للنهي عن الوجل فان المبشر لا يخاف منه وقرئ
حمزة تبشرك من البشر بغلام هو اسحق لقوله فبشرناها باسحق عليم اذا بلغ قال ابشرتموني
على ان مسني الكبر تعجب من ان يولد له مع مس الكبر اياه او انكار لان يبشر به في مثل هذه
الحالة وكذا قوله فبم تبشرون اي فباي امر عجيب تبشروني او فباي شيء تبشروني فان البشارة
بما لا يتصور وقوعه عادة بشارة بغير شيء وقراء ابن كثير بكسر النون مشددة فكالقرآن على
ادغام نون الجمع في نون الوقاية ونافع بكسرها مخففة على حذف نون الجمع استثقالا لاجتماع
المثلين ودلالة بابقاء نون الوقاية على الياء قالوا بشرناك بالحق بما يكون لا محالة او باليقين الذي
لا لبس فيه او بطريقة حي حق وهو قول الله تعالى وامره فلا تكن من القانطين من الآيسين
من ذلك فانه تعالى قادر على ان يخلق بشرا من غير ابوين فكيف من شيخ فان وعجوز عاقر
وكان استعجاب ابرهيم باعتبار العادة دون القدرة ولذلك قال ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون
اي المخطئون طريق المعرفة فلا يعرفون سعة رحمة الله وكمال علمه وقدرته كما قاله بيأس من روح
الله الا القوم الكافرون وقراء ابو عمرو والكسائي يقنط بالكسر وقرئ بالضم وماضيهما
قنط بالفتح قال فما خطبكم ايها المرسلون اي فما شانكم الذي ارسلتم لاجله سوى البشارة ولعله

ولذلك قال

علم ان كمال المقصود ليس البشارة لانهم كانوا عددا والبشارة لا تحتاج الى العدد ولذلك
اكتفى بالواحد في بشارة زكريا ومريم ولانهم بشروه في تضاعيف الحال لازالة الوجل ولو
كانت تمام المقصود لابتدؤا بها قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين يعني قوم لوط الا آل لوط ان كان
استثناء من قوم كان منقطعا اذ القوم مقيد بالاجرام وان كان استثناء من الضمير في مجرمين
كان متصلا والقوم والارسال شاملين للمجرمين وآل لوط للمؤمنين به وكان المعنى انا ارسلنا
الى قوم اجرم كلهم الا آل لوط منهم لنهلك المجرمين وننجي آل لوط ويدل عليه قوله انا لمنجوهم
اجمعين اي مما نعذب به القوم وهو استيناف اذا اتصل الاستثناء بآل لوط جار مجرى ومتصل
خبر لكن اذا انقطع وعلى هذا جاز ان يكون قوله الا امرأته استثناء من آل لوط او من ضميرهم وعلى
الاول لا يكون الا من ضميرهم لاختلاف الحكمين اللهم الا ان يجعل انا لمنجوهم اعتراضا وقرأ
حمزة والكسائي منجوهم مخففا قدرنا انها لمن الغابرين الباقين مع الكفرة لنهلك معهم
وقرأ ابو بكر قدرنا هنا وفي النمل بالتخفيف وانما علق والتعليق من خواص افعال القلوب
لتضمنه معنى العلم ويجوز ان يكون قدرنا يجري مجرى قلنا لان التقدير بمعنى القضاء قول
واصله جعل الشيء على مقدار غيره واسنادهم اياه الى انفسهم وهو فعل الله تعالى لما لهم
من القرب والاختصاص به فلما جاء آل لوط المرسلون قال انكم قوم منكرون تنكركم نفسي
وتنفر عنكم مخافة ان تطرقوني بشر قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون اي ما جئناك بما
تنكرنا لاجله بل جئناك بما يسرك ويشفي لك من عدوك وهو العذاب الذي توعدتهم
فيمترون فيه واتيناك بالحق باليقين من عذابهم وانا لصادقون فيما اخبرناك به
فاسر باهلك فاذهب بهم في الليل وقرأ الحجازيان بوصل الالف من السرى وهما بمعنى وقرئ
سر من السير بقطع من الليل في طائفة من الليل وقيل في آخره قال افتحي الباب وانظري
في النجوم كم علينا من قطع ليل بهيم واتبع ادبارهم وكن على اثرهم تذودهم وتسرع بهم وتطلع
على حالهم ولا يلتفت منكم احد لينظر ما وراءه فيرى من الهول ما لا يطيقه او فيصيبه ما اصابهم
او ولا ينصرف احدكم ولا يتخلف لغرض فيصيبه العذاب وقيل نهوا عن الالتفات ليوطنوا
نفوسهم على المهاجرة وامضوا حيث تؤمرون الى حيث امركم الله بالمضي اليه وهو الشام

اومصر

اومصر فعدي الى حيث وتؤمرون الى ضميره المحذوف على الاتساع وقضينا اليه اي واو
حينا اليه مقضيا ولذلك عدي بالى ذلك الامر مبهم يفسره ان دابر هؤلاء مقطوع ومحله
النصب على البدل منه وفي ذلك تفخيم للامر وتعظيم له وقرئ بالكسر على الاستيناف والمعنى
انهم يستأصلون عن آخرهم حتى لا يبقى منهم احد مصبحين داخلين في الصبح وهو حال من هؤلاء
او من الضمير في مقطوع وجمعه للحمل على المعنى فان دابر هؤلاء في معنى مدبري هؤلاء وجاء
اهل المدينة سدوم يستبشرون باضياف لوط طمعا فيهم قال ان هؤلاء ضيفي فلا
تفضحون بفضيحة ضيفي فان من اسيء الى ضيفه فقد اسيء اليه واتقوا الله في ركوب الفاحشة
ولا تخزون ولا تذلوني بسببهم من الخزي وهو الهوان او لا تخجلون فيهم من الخزاية وهو الحياء
قالوا اولم ننهك عن العالمين عن ان تجير منهم احدا وتمنع بيننا وبينهم فانهم كانوا يتعرضون لكل
واحد وكان لوط يمنعهم عنه بقدر وسعه او عن ضيافة الناس وانزالهم قال هؤلاء
بناتي يعني نساء القوم فان نبي كل امة بمنزلة ابيهم وفيه وجوه ذكرت في هود ان كنتم
فاعلين قضاء الوطر او ما اقول لكم لعمرك قسم بحيوة المخاطب وهو النبي عليه السلم وقيل
لوط عليه السلم قالت الملائكة له ذلك والتقدير لعمرك قسمي وهو لغة في العمر يختص به القسم لايثار الاخف
فيه لانه كثير الدور على السنتهم انهم لفي سكرتهم لفي غوايتهم او شدة غلمتهم التي ازالت
عقولهم وتميزهم بين خطائهم والصواب الذي يشار به اليهم يعمهون يتحيرون فكيف يسمعون
نصحك وقيل الضمير لقريش والجملة اعتراض فاخذتهم الصيحة يعني صيحة هائلة مهلكة وقيل
صيحة جبرئيل مشرقين داخلين في وقت شروق الشمس فجعلنا عاليها عالي المدينة او عالي
قراهم سافلها وصارت منقلبة بهم وامطرنا عليهم حجارة من سجيل من طين متحجر او طين عليه
كتاب من السجل وقد سبق مزيد بيان لهذه القصة في سورة هود ان في ذلك لآيات للمتوسمين
المتفكرين المتفرسين الذين يتثبتون في نظرهم حتى يعرفوا حقيقة الشيء بسمته وانها
وان المدينة او القرى لبسبيل مقيم ثابت يسلكه الناس ويرون آثارها ان في ذلك لآية للمؤمنين
بالله ورسوله وان كان اصحاب الايكة لظالمين هم قوم شعيب كانوا يسكنون الغيضة
فبعثه الله اليهم فكذبوه فاهلكوا بالظلة والايكة الشجرة المتكاثفة فانتقمنا منهم بالاهلاك

والعمر والعمر واحد الا انهم خصوا القسم بالمفتوح لايثار الاخف فيه

وصوابهم

ومن كذب واحدا من الرسل فكانما كذب الجميع ويجوز ان يراد بالمرسلين صالحا

وانهما يعنى سدوم والايكة وقيل الايكة ومدين فان كان مبعوثا اليهما فكان ذكر احدهما منبها على الآخر لبامام مبين لبطريق واضح والامام اسم ما يؤتم به فسمى به اللوح ومطمر البناء لانهما مما يؤتم به ولقد كذب اصحاب الحجر المرسلين يعنى ثمود كذبوا صالحا ومن معه من المؤمنين والحجر واد بين المدينة والشام يسكنونها واتيناهم آياتنا فكانوا عنها معرضين يعنى آيات الكتاب المنزل على نبيهم او معجزاته كالناقة وسقيها وشربها ودرها او ما نصب لهم من الادلة وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا آمنين من الانهدام ونقب اللصوص وتخريب الاعداء لوثاقتها او من العذاب لغرة غفلتهم او حسبانهم ان الجبال تحميهم منه فاخذتهم الصيحة مصبحين وما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون من بناء البيوت الوثيقة واستكثار الاموال والعدد وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق الا خلقا ملتبسا بالحق لا بلاعبين استمرار الفساد ودوام الشرور فلذلك اقتضت الحكمة اهلاك امثاله هؤلاء وازاحة فسادهم من الارض وان الساعة لآتية فينتقم الله لك فيها ممن كذبك فاصفح الصفح الجميل ولا تعجل بالانتقام منهم وعاملهم معاملة الصفوح الحليم وقيل هو منسوخ بآية السيف ان ربك هو الخلاق الذى خلقك وخلقهم وبيده امرك وامرهم العليم بحالك وحالهم فهو حقيق بان تكل اليه ليحكم بينكم او هو الذى خلقكم وعلم الاصلح لكم وقد علم ان الصفح اليوم اصلح وفى مصحف عثمان وابى هو الخالق وهو يصح للقليل والكثير والخلاق يختص بالكثير ولقد آتيناك سبعا من المثانى سبع آيات وهى الفاتحة وقيل سبع سور وهى الطوال وسابعتها الانفال والتوبة وقيل يونس والحواميم السبع وقيل سبع صحايف وهى الاسباع من المثانى بيان للسبع والمثانى من التثنية او الثناء فان كلا من ذلك مثنى يكرر قراءته او الفاظه او قصصه ومواعظه ومثنى عليه بالبلاغة والاعجاز او مثنى على الله بما هو اهله من صفاته العظمى واسمائه الحسنى ويجوز ان يراد بالمثانى القرآن او كتب الله كلها فيكون من للتبعيض والقرآن العظيم ان اريد بالسبع الآيات والسور فمن عطف الكل على البعض او العام على الخاص وان اريد به الاسباع فمن عطف احد الوصفين على الآخر لا تمدن عينيك لا تطمح ببصرك طموح راغب الى ما متعنا به ازواجا منهم اصنافا من الكفار فانه مستحقر بالاضافة الى ما اوتيته فانه كالمطلوب بالذات مفض الى دوام اللذات

وفى حديث

ممتعون

تمدن

اجزاء

فعلة

خبر

وفى حديث ابى بكر رضى الله عنه من اوتى القرآن فرأى ان احدا اوتى من الدنيا افضل مما اوتى فقد صغر عظيما وعظم صغيرا وروى انه لما وافى باذرعات سبع قوافل لليهود بنى قريظة والنضير وفيها انواع البز والطيب والجواهر وسائر الامتعة فقال المسلمون لو كانت هذه الاموال لنا لتقوينا بها ولانفقناها فى سبيل الله فقال لهم لقد اعطيتم سبع آيات هى خير من هذه القوافل السبع ولا تحزن عليهم انهم لم يؤمنوا وقيل انهم ممتعون به واخفض جناحك للمؤمنين وتواضع لهم وارفق بهم وقل انى انا النذير المبين انذركم بيان وبرهان ان عذاب الله نازل بكم ان لم تؤمنوا كما انزلنا على المقتسمين مثل العذاب الذى انزلنا عليهم فهو وصف لفعول النذير اقيم مقامه والمقتسمون هم الاثنا عشر الذين اقتسموا مداخل مكة ايام الموسم لينفروا الناس عن الايمان بالرسول فاهلكهم الله يوم بدر او الرهط الذين اقتسموا اى تقاسموا على ان يبيتوا صالحا عليه السلم وقيل هو صفة مصدر محذوف لقوله ولقد آتيناك فانه بمعنى انزلنا اليك والمقتسمون هم الذين جعلوا القرآن عضين حيث قالوا بعضه حق موافق للتوراة والانجيل وبعضه باطل مخالف لهما او قسموه الى سحر وكهانة واساطير الاولين او اهل الكتاب آمنوا ببعض كتبهم وكفروا ببعض على ان القرآن من جملة ما يقرؤنه من كتبهم فيكون ذلك تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله ولا الى آخره اعتراض ممد لها الذين جعلوا القرآن عضين اجزاء جمع عضة واصلها عضوة من عضى الشاة اذا جعلها اعضاء وقيل اسحارا من عضهته اذا بهته وفى الحديث لعن رسول الله صلى الله العاضهة والمستعضهة وانما جمع جمع السلامة جبرا لما حذف منه والموصول بصلته صفة المقتسمين او مبتدأ فوربك لنسألنهم اجمعين عما كانوا يعملون من التقسيم او النسبة الى السحر فيجازيهم عليه وقيل عام فى كل ما فعلوا من الكفر والمعاصى فاصدع بما تؤمر فاجهر به من صدع بالحجة اذا تكلم بها جهارا او فافرق به بين الحق والباطل واصله الابانة والتمييز وما مصدرية او موصولة والراجع محذوف اى بما تؤمر به من التبليغ واعرض عن المشركين فلا تلتفت الى ما يقولون انا كفيناك المستهزئين بقمعهم واهلاكهم

1346

وقيل كانوا خمسة من اشراف قريش الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل وعدي بن قيس والاسود بن عبد يغوث المطلب يبالغون في ايذاء النبي والاستهزاء به فقال جبريل لرسول الله عليهما السلام امرت ان اكفيهم فاومى الى ساق الوليد فمر بنبال فتعلق بثوبه سهم فلم ينعطف تعظما لاخذه فاصاب عرقا في عقبه فقطعه فمات واومى الى العاص فدخلت فيها شوكة فانتفخت رجله حتى صارت كالرحى ومات واشار الى انف الحارث فامتخط قيحا فمات والى الاسود بن عبد يغوث وهو قاعد في اصل شجرة فجعل ينطح رأسه بالشجرة ويضرب وجهه بالشوك حتى مات والى عينتي الاسود بن المطلب فعمي فذلك قوله الذين يجعلون مع الله الها آخر فسوف يعلمون عاقبة امرهم في الدارين ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون من الشرك والطعن في القرآن والاستهزاء بك فسبح بحمد ربك فافزع الى الله فيما نابك بالتسبيح والتحميد يكفك ويكشف الغم عنك وفسره عما يقولون حامدا له على ان هداك للحق وكن من الساجدين من المصلين وعنه عليه السلام انه كان اذا حزبه امر فزع الى الصلوة واعبد ربك حتى يأتيك اليقين اى الموت فانه متيقن لحاقه كل حي مخلوق والمعنى فاعبده ما دمت حيا ولا تخل بالعبادة لحظة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الحجر كان له من الاجر عشر حسنات بعدد المهاجرين والانصار والمستهزئين بمحمد عليه

سورة النحل مكية غير ثلث آيات في آخرها وهي مائة وثمان وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم اتى امر الله فلا تستعجلوه كانوا يستعجلون ما اوعدهم الرسول من قيام الساعة او هلاك الله اياهم كما فعل يوم بدر استهزاء وتكذيبا ويقولون ان صح ما يقوله فالاصنام تشفع لنا وتخلصنا فنزلت والمعنى ان الامر الموعود به بمنزلة الآتي المتحقق من حيث انه واجب الوقوع فلا تستعجلوا وقوعه فانه لا خير لكم فيه ولا اخلاص لكم عنده سبحانه وتعالى عما يشركون تبرأ وجل عز ان يكون له شريك فيدفع ما اراد بهم وقرأ حمزة والكسائي بالتاء على وفق قوله فلا تستعجلوه والباقون بالياء على تلوين الخطاب وعلى ان الخطاب

للمؤمنين

للمؤمنين او لهم ولغيرهم لما روي انه نزلت اتى امر الله فوثب النبي عليه السلم ورفع الناس رؤسهم فنزلت فلا تستعجلوه ينزل الملائكة بالروح بالوحي والقرآن فانه يحيي به القلوب الميتة بالجهل او يقوم في الدين مقام الروح في الجسد وذكر عقيب ذلك اشارة الى الطريق الذي به علم الرسول ما تحقق موعدهم به ودنوه وازاحة استبعادهم اختصاصه بالعلم به وقرأ ابن كثير وابو عمرو وينزل من انزل وعن يعقوب مثله وعنه تنزل بمعنى تتنزل وقرأ ابو بكر ينزل على المضارع المبني للمفعول من التنزيل من امره بامره ومن اجله على من يشاء من عباده ان يتخذه رسولا ان انذروا بان انذروا او اعلموا من انذرت بكذا اذا علمته انه لا اله الا انا فاتقون ان الشأن لا اله الا انا فاتقون او خوفوا اهل الكفر والمعاصي بانه لا اله الا انا وقوله فاتقون رجوع الى مخاطبتهم بما هو المقصود وان مفسرة لان الروح بمعنى الوحي الدال على القول او مصدرية في موضع الجر بدلا من الروح او النصب بنزع الخافض وتخفيفة من الثقيلة والاية تدل على ان نزول الوحي بواسطة الملائكة وان حاصله التنبيه على التوحيد الذي هو منتهى كمال القوة العلمية والامر بالتقوى الذي هو اقصى كمال القوة العملية وان النبوة عطائية والآيات التي بعدها دليل وحدانيته من حيث انها تدل على انه تعالى هو الموجد لاصول العالم وفروعه على وفق الحكمة والمصلحة ولو كان له شريك لقدر على ذلك فيلزم التمانع خلق السموات والارض بالحق ايجادهما على مقدار وشكل واوضاع وصفات مختلفة قدرها وخصصها بحكمته تعالى عما يشركون منها او مما يفتقر في وجوده او بقائه اليهما ومما لا يقدر على خلقهما وفيه دليل على انه تعالى ليس من قبيل الاجرام خلق الانسان من نطفة جماد لا حس بها ولا حراك سيالة لا تحفظ الوضع والشكل فاذا هو خصيم منطيق مناظر مجادل مبين للحجة او خصيم بكاف في الخالقية قائل من يحيي العظام وهي رميم روي ان ابي بن خلف اتى النبي صلعم بعظم رميم وقال يا محمد اترى الله يحيي هذا بعد ما قد رم فنزلت والانعام الابل والبقر والغنم وانتصابها بمضمر يفسره خلقها لكم او بالعطف على الانسان وخلقها لكم

فاتقون

الروح

الانسان

الانعام

بيان ما خلق لاجله وما بعده تفصيل له فيها دِفْءٌ ما يُدفأ به فيتقى البرد ومنافع نسلها
ودرّها وظهورها وانما عبّر عنها بالمنافع ليتناول عوضها ومنها تأكلون اى تاكلون
ما يؤكل منها من اللحوم والشحوم والالبان وتقديم الظرف للمحافظة على رؤس الآى
اولان الاكل منها هو المعتاد المعتمد عليه فى المعاش واما الاكل من سائر الحيوانات
المأكولة فعلى سبيل التداوى او التفكه ولكم فيها جمال زينة حين تريحون تردّونها
من مراعيها الى مراحها بالعشى وحين تسرحون تخرجونها بالغداة الى المرعى فان
الأفئية تتزين بها فى الوقتين ويجلّ اهلها فى اعين الناظرين اليها وتقديم الاراحة
لان الجمال فيها اظهر فانها تُقبِل ملاء البطون حافلة الضرع ثم تأوى الى الحظائر حاضرة
لاهلها وقرئ حينا على ان تريحون وتسرحون وصف له بمعنى تريحون فيه وتسرحون فيه
وتحمل اثقالكم اى اجمالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه ان لم تكن الانعام ولم تخلق فضلا
من ان تحملوها على ظهوركم اليه الا بشق الانفس الا بكلفة ومشقة وقرئ
بالفتح وهو لغة فيه وقيل المفتوح مصدر شق الامر عليه واصله الصدع والمكسور
النصف كانه ذهب نصف قوته بالتعب ان ربكم لرؤف رحيم حيث رحكم بخلقها
لانفاعكم وتيسير الامر عليكم والخيل والبغال والحمير عطف على الانعام لتركبوها
وزينة اى لتركبوها وتتزينوا بها زينة وقيل هى معطوفة على محل لتركبوها وتغيير
النظم لان الزينة بفعل الخالق والركوب ليس بفعله ولان المقصود من خلقها الركوب
واما التزين بها فحاصل بالعرض وقرئ بغير واو وعلى هذا يحتمل ان يكون علة لتركبوها
او مصدرا فى موقع الحال من احد الضميرين اى متزينين او متزينا بها واستدل
على حرمة لحومها ولا دليل فيه اذ لا يلزم من تعليل الفعل بما يقصد منه غالبا ان لا يقصد
منه غيره اصلا ويدل عليه ان الآية مكية وعامة المفسرين والمحدثين على ان الحمر الاهلية
انما حرمت عام خيبر ويخلق ما لا تعلمون لما فصل الحيوانات التى يحتاج اليها غالبا احتياجا
ضروريا او غير ضرورى اجمل غيرها ويجوز ان يكون اخبارا بان له من الخلائق ما لا علم

لنا به وان يراد به ما خلق فى الجنة والنار مما لم يخطر على قلب بشر وعلى الله قصد السبيل
بيان مستقيم الطريق الموصل الى الحق واقامة السبيل وتعديلها رحمة وفضلا وعليه
قصد السبيل يصل اليه من يسلكه لا محالة يقال سبيل قصد وقاصد اى مستقيم كانه
يقصد الوجه الذى يقصد السالك لا يميل عنه والمراد بالسبيل الجنس ولذلك اضاف
اليه القصد وقال ومنها جائر مائل عن المقصد او عن الله تعالى وتغيير الاسلوب لانه
ليس بحق على الله ان يبين طرق الضلالة اولان المقصود بيان سبيله وتقسيم السبيل الى
القصد والجائر انما جاء بالعرض وقرئ ومنكم جائر اى عن القصد ولو شاء لهديكم اجمعين
اى ولو شاء هدايتكم اجمعين لهداكم الى قصد السبيل هداية مستلزمة للاهتداء هو الذى انزل
من السماء ماء لكم منه شراب ما تشربونه ولكم صلة انزل او خبر
شراب ومن تبعيضية متعلقة به وتقديمها ليوهم حصر المشروب فيه ولا بأس به لان مياه
العيون والآبار منه لقوله فسلكه ينابيع وقوله فاسكناه فى الارض ومنه شجر ومنه يكون
شجر يعنى الشجر الذى يرعاه المواشى وقيل كل ما نبت على الارض من مرعى سمى شجرا قال تعلفها اللحم اذا عتر
الشجر والخيل فى اطعامها اللحم ضرر فيه تسيمون ترعون من سامت الماشية واسامها
صاحبها واصلها السومة وهى العلامة لانها تؤثر بالرعى علامات ينبت لكم به الزرع
وقراء ابو بكر بالنون على التعظيم والزيتون والنخيل والاعناب ومن كل الثمرات وبعض كلها اذ لم
ينبت فى الارض كل ما يمكن من الثمار ولعل تقديم ما يسام فيه على ما يؤكل منه لانه سبب
غذا حيوانيا هو اشرف الاغذية ومن هنا تقديم الزرع والتصريح بالاجناس الثلثة
وترتيبها ان فى ذلك لآية لقوم يتفكرون على وجود الصانع وحكمته فان من تامل
ان الحبة تقع فى الارض ويصل اليها نداوة تنفذ فيها فينتشق اعلاها ويخرج منه الشجر
ويتشقق اسفلها فيخرج منه عروقها ثم ينمو ويخرج منه الاوراق والازهار والاكمام
والثمار ويشتمل كل منها على اجسام مختلفة الاشكال والطبائع مع اتحاد المواد
ونسبة الطبايع السفلية والتاثيرات الفلكية الى الكل علم ان ذلك ليس الا
بفعل فاعل مختار مقتدر عن منازعة الاضداد والانداد ولعل فصل الآية لذلك

وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم بان هيأها لمنافعكم
مسخرات بأمره حال من الجميع اى لنفعكم بها حال كونها مسخرات لله خلقها ودبرها
كيف شاء او الما خلقن له بايجاده وتقديره او بحكمه وفيه ايذان بالجواب عما عسى يقال
ان المؤثر فى تكوين النبات حركات الكواكب واوضاعها فان ذلك ان سلم فلاريب
فى انها ايضا ممكنة الذات والصفات واقعة على بعض الوجوه المحتملة فلا بد لها
من موجد مخصص مختار واجب الوجود دفعا للدور والتسلسل او مصدر جميع الاختلاف
النوع وقرأ حفص والنجوم مسخرات على الابتداء والخبر فيكون تعميما للحكم بعد تخصيصه
ورفع ابن عامر الشمس والقمر ايضا ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون جمع الآية وذكر
العقل لانها تدل انواعا من الدلالة ظاهرة لذوى العقول السليمة غير محوجة الى
استيفاء فكر كاحوال النبات وما ذرأ لكم فى الارض عطف على الليل اى سخر لكم
ما خلق لكم فيها من حيوان ونبات مختلفا الوانه اصنافه فانها تتخالف باللون غالبا
ان فى ذلك لآية لقوم يذكرون ان اختلافها فى الطباع والهيئات والمناظر ليس الا
بصنع صانع حكيم وهو الذى سخر البحر جعله بحيث تتمكنون من الانتفاع به بالركوب
والاصطياد والغوص لتاكلوا منه لحما طريا هو السمك ووصفه بالطراوة لانه ارطب
اللحوم فيسرع اليه الفساد فيسارع الى اكله ولاظهار قدرته فى خلقه عذبا
طريا فى ماء زعاق وتمسك به مالك والثورى على ان من حلف لا ياكل لحما حنث باكل
السمك واجيب عنه بان مبنى الايمان على العرف وهو لا يفهم منه عند الاطلاق
الا ترى ان الله سمى الكافر دابة ولا يحنث الحالف على ان لا يركب دابة بركوبه
وتستخرجوا منه حلية تلبسونها كاللؤلؤ والمرجان اى تلبس نساءكم فاسند اليهم لانهن
من جملتهم ولانهن يتزين بها لاجلهم وترى الفلك السفن مواخر فيه جوارى فيه
تشقه بحيرومها من المخر وهو شق الماء وقيل صوت جرى الفلك ولتبتغوا من
فضله من سعة رزقه بركوبها للتجارة ولعلكم تشكرون اى تعرفون نعم الله
فتقومون بحقها ولعل تخصيصه بتعقيب الشكر لانه اقوى فى باب الانعام من حيث انه

الظاهرة

جعل المهالك

جعل المهالك سببا للانتفاع وتحصيل المعاش والقى فى الارض رواسى جبالا رواسى ان
تميد بكم كراهة ان تميد بكم وتضطرب وذلك لان الارض قبل ان يخلق فيها الجبال
كانت كرة حقيقته بسيطة الطبع وكان من حقها ان يتحرك بالاستدارة كالافلاك
وان يتحرك باد نى سبب للتحريك فلما خلقت الجبال على وجهها تفاوتت جوانبها و
توجهت الجبال بثقلها نحو المركز فصارت كالاوتاد التى تمنعها عن الحركة وقيل لما خلق
الله الارض جعلت تمور فقالت الملائكة ما هى على ظهرها احد فاصبحت وارساها قد
بالجبال وانهارا وجعل فيها انهارا الا القى فيه معناه وسبلا لعلكم تهتدون لمقاصدكم
او الى معرفة الله تعالى وعلامات ومعالم يستدل بها السابلة من جبل وسهل
وريح ونحو ذلك وبالنجم هم يهتدون بالليل فى البرارى والبحار والمراد بالنجم الجنس
ويدل عليه قراءة وبالنجم بضمتين وضمة وسكون على الجمع وقيل الثريا والفرقدان
وبنات نعش والجدى ولعل الضمير لقريش لانهم كانوا اكثر الاسفار للتجارة مشهورين
بالاهتداء فى مسايرهم بالنجوم واخراج الكلام عن سنن الخطاب وتقديم
النجم واقحام الضمير للتخصيص كانه قيل وبالنجم خصوصا هؤلاء خصوصا يهتدون
فالاعتبار بذلك والشكر عليه ألزمهم واوجب عليهم افمن يخلق كمن
لا يخلق انكار بعد اقامة الدلائل المتكاثرة على كمال قدرته وتناهى حكمته
والتفرد بخلق ما عدد من مبدعاته لان يساويه ويستحق مشاركته ما لا يقدر
على خلق شئ من ذلك بل على ايجاد شئ ما وكان حق الكلام افمن لا يخلق كمن يخلق
لكنه عكس تنبيها على انهم بالاشراك بالله جعلوه من جنس المخلوقات والعجزة
سيما بها والمراد بمن لا يخلق كل ما عبد من دون الله مغلبا فيه اولوا العلم
منهم والاصنام واجراؤها مجراهم لانهم سموها آلهة ومن حق الآله
ان يعلم وللمشاكلة بينه وبين من يخلق وللمبالغة وكانه قيل انه من يخلق
ليس كمن لا يخلق من اولى العلم فكيف بما لا علم عنده افلا تذكرون
فتعرفوا فساد ذلك فانه لجلائه كالحاصل للعقل الذى يحضر عنده باذنى تذكر

والتفات وان تعدوا نعمت الله لا تحصوها لا تضبطوا عددها فضلا ان تطيقوا
القيام بشكرها اتبع ذلك تعداد النعم والزام الحجة على تفرده باستحقاق العبادة
تنبيها على ان وراء ما عدد نعما لا تنحصر وان حق عبادته غير مقدور ان الله لغفور حيث
يتجاوز عن تقصيركم في اداء شكرها رحيم لا يقطعها لتفريطكم فيه ولا يعاجلكم
بالعقوبة على كفرانها والله يعلم ما تسرون وما تعلنون من عقايدكم واعمالكم وهو وعيد و
تزييف للشرك باعتبار العلم والذين تدعون من دون الله اي والآلهة الذين تعبدونهم من دونه
وقرأ عاصم ويعقوب يدعون بالياء ولا يخلقون شيئا لما نفى المشاركة بين من يخلق ومن لا يخلق
بين انهم لا يخلقون شيئا لينتج انهم لا يشاركونه ثم اكد ذلك بان اثبت لهم صفات
تنافي الالوهية فقال وهم يخلقون لانها ذوات ممكنة مفتقرة الوجود الى التخليق
والآلهة ينبغي ان يكون واجب الوجود اموات هم اموات لا يعتريهم الحيوة او اموات
حالا او مآلا غير احياء بالذات ليتناول كل معبود والآلهة ينبغي ان يكون حيا بالذات لا يعتريه
الممات وما يشعرون ايان يبعثون ولا يعلمون وقت بعثهم او بعث عبدتهم فكيف يكون لهم
وقت جزاء على عبادتهم والآلهة ينبغي ان يكون عالما بالغيوب مقدرا للثواب والعقاب
وفيه تنبيه على ان البعث من توابع التكليف الهكم اله واحد تكرير للمدعى بعد اقامة
الحجج فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون بيان لما اقتضى اصرارهم بعد وضوح
الحق وذلك عدم ايمانهم بالآخرة فان المؤمن بها يكون طالبا للدلائل متأملا فيما يسمع
فينتفع به والكافر بها يكون حاله بالعكس وانكار قلوبهم ما لا يعرف الا بالبرهان
اتباعا للاسلاف وركونا الى المألوف فانه ينافي النظر والاستكبار عن اتباع الرسول
وتصديقه والالتفات الى قوله والاول هو العمدة في الباب ولذلك رتب عليه ثبوت الآخرين
لا جرم حقا ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون فيجازيهم وهو في موضع الرفع بجرم لانه مصدر او
فعل انه لا يحب المستكبرين فضلا عن الذين استكبروا عن توحيده او اتباع رسوله واذا قيل لهم
ماذا انزل ربكم القائل بعضهم على التهكم او الوافدون عليهم او المسلمون قالوا اساطير
الاولين اي ما تدعون نزوله او المنزل اساطير الاولين وانما سموه منزلا على التهكم او على الفرض

والاستدلال صح

اي على

اي على تقدير انه منزل فهو اساطير لا تحقيق فيه والقائلون له قيل هم المقتسمون
ليحملوا اوزارهم كاملة يوم القيامة اي قالوا ذلك اضلالا للناس فحملوا اوزار ضلالهم
كاملة فان اضلالهم نتيجة رسوخهم في الضلال ومن اوزار الذين يضلونهم وبعض اوزار
ضلال من يضلونهم وهو حصة التسبب بغير علم حال من المفعول اي يضلون من لا يعلم
انهم ضلال وفائدتها الدلالة على ان جهلهم لا يعذرهم اذ كان عليهم ان يبحثوا ويميزوا
بين المحق والمبطل الا ساء ما يزرون بئس شيئا يزرونه فعلهم قد مكر الذين من قبلهم
اي سووا منصوبات ليمكروا بها رسل الله فاتى الله بنيانهم من القواعد فاتيها امره من جهة
العمد التي بنوا عليها بان ضعضعت فخر عليهم السقف من فوقهم وصار سبب هلاكهم
وآتيهم العذاب من حيث لا يشعرون لا يحتسبون ولا يتوقعون وهو على سبيل
التمثيل وقيل المراد به نمروذ بن كنعان بنى الصرح ببابل سمكه خمسة آلاف ذراع ليترصد امر
السماء فاهب الله الريح فخر عليه وعلى قومه فهلكوا ثم يوم القيامة يخزيهم يذلهم او
يعذبهم بالنار لقوله ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته ويقول اين شركائي
اضاف الله الى نفسه استهزاء او حكاية لاضافتهم زيادة في توبيخهم وقرأ البزي بخلاف عنه
اين شركائي بغير همز والباقون بالهمز الذين كنتم تشاقون فيهم تعادون المؤمنين
في شانهم وقرأ نافع بكسر النون بمعنى تشاقونني فان مشاقة المؤمنين كمشاقة الله
قال الذين اوتوا العلم اي الانبياء والعلماء الذين كانوا يدعونهم الى التوحيد فيشاقونهم
ويتكبرون عليهم او الملائكة ان الخزي اليوم والسوء الذلة والعذاب على الكافرين
وفائدة قولهم اظهار الشماتة وزيادة الاهانة وحكايته لان يكون لطفا لمن سمعه الذين
تتوفيهم الملائكة وقرأ حمزة بالياء بادغام التاء في التاء وموضع الموصول يحتمل الاوجه
الثلثة ظالمي انفسهم بان عرضوها للعذاب المخلد فالقوا السلم فسالموا واخبتوا حين
عاينوا الموت ما كنا نعمل من سوء قائلين ما كنا نعمل من سوء كفر وعدوان ويجوز ان
يكون تفسيرا للسلم على ان المراد به القول الدال على الاستسلام بلى اي فيجيبهم الملائكة بلى
ان الله عليم بما كنتم تعملون فهو يجازيكم عليه وقيل قوله فالقوا السلم الى آخر الآية استيناف

رجل ضعضاع اي ضعيف

وقرئ صح

ورجوع الى شرح حالهم يوم القيامة وعلى هذا اوّل من لم يجوز الكذب يومئذ ما كانوا عليه
من سوء بانا لم نكن في زعمنا واعتقادنا عاملين سوءً واحتمل ان يكون المراد عليهم هو
الله او اولوا العلم فادخلوا ابواب جهنم كل صنف بابها المعدّ له وقيل ابواب جهنم اصناف
عذابها خالدين فيها فلبئس مثوى المتكبرين جهنم وقيل للذين اتقوا يعني المومنين ما
ذا انزل ربكم قالوا خيرا اى انزل خيرا ونصبه دليل على انهم لم يتلعثموا في الجواب وقد
اطبقوا على السؤال معترفين بالانزال على خلاف الكفرة روى ان احياء العرب كانوا يعتنون
ايام الموسم من ياتيهم بخبر النبي صلى الله عليه وسلم فاذا جاء الوافد المقتسمين قالوا له ما قالوا
واذا جاء المؤمنين قالوا له ذلك للذين احسنوا في هذه الدنيا حسنة مكافات في الدنيا
ولدار الآخرة خيرا اى ولثوابهم في الآخرة خير منها وهو عدة للذين اتقوا على قولهم ويجوز
ان يكون بما بعده حكاية لقولهم بدلا وتفسيرا للخير على انه منتصب بقالوا ولنعم دار المتقين
دار الآخرة فحذف لتقدم ذكرها وقوله جنات عدن خبر مبتداء محذوف ويجوز ان يكون
المخصوص بالمدح يدخلونها تجري من تحتها الانهار لهم فيها ما يشاءون فيها من انواع المشتهيات
وفي تقديم الظرف تنبيه على ان الانسان لا يجد جميع ما يريده الا في الجنة كذلك يجزي الله
المتقين مثل هذا الجزاء يجزيهم وهو يؤيد الوجه الاوّل الذين تتوفيهم الملائكة طيبين
طاهرين من ظلم انفسهم بالكفر والمعاصي كانه في مقابلة ظالمي انفسهم وقيل فرحين بشارة
الملائكة آياهم بالجنة او طيبين بقبض ارواحهم لتوجه نفوسهم بالكلية الى حضرة
القدس يقولون سلام عليكم لا يحيقكم بعد مكروه ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون
حين تبعثون فانها معدّة لكم على اعمالكم وقيل هذا التوفي وفاة الحشر لان الامر بالدخول
حينئذ هل ينظرون ما ينتظر الكفار المار ذكرهم الا ان تاتيهم الملائكة لقبض
ارواحهم وقراء حمزة والكسائي بالياء او يأتي امر ربك القيامة او العذاب المستأصل
كذلك مثل ذلك الفعل من الشرك والتكذيب فعل الذين من قبلهم فاصابهم ما اصابوا
وما ظلمهم الله بتدميرهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون بكفرهم ومعاصيهم المؤدية
اليه فاصابهم سيئات ما عملوا اى جزاء سيئات اعمالهم على حذف المضاف وتسمية

الجزاء باسمها وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن واحاط بهم جزاء والحيق لا يستعمل الا
في الشر وقال الذين اشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا آباؤنا ولا حرمنا
من دونه من شيء انما قالوا ذلك استهزاءً ومنعًا للبعثة والتكليف متمسكين بان ما شاء الله
يجب وما لم يشأ يمتنع فما الفائدة فيها او انكارًا للقبح ما انكر عليهم من الشرك وتحريم البحائر
ونحوها محتجين بانها لو كانت مستقبحة لما شاء الله صدورها عنهم ولشاء خلافه مُلجِئًا اليه
او اعتذارًا اذ لم يعتقدوا قبح اعمالهم وبنا بعد تنبيه على الجواب من الشبهتين كذلك
فعل الذين من قبلهم فاشركوا بالله وحرموا حلله وردوا رسله فهل على الرسل الا البلاغ
المبين الا الابلاغ الموضح للحق وهو ان لم يؤثر في هدى من شاء الله هداه لكنه مؤدٍّ اليه
على سبيل التوسط وما شاء الله وقوعه انما يجب وقوعه لا مطلقا بل بأسباب قدرها له ثم بين
ان البعثة امرجرت به السنة الآلهية في الامم كلها سببًا للهدى من اراد هداه وزيادة
الضلال لمن اراد اضلاله كالغذاء الصالح فانه ينفع المزاج السوي ويقويه ويضر المنحرف ويفنيه
بقوله ولقد بعثنا في كل امة رسولا منهم ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت يأمر
بعبادة الله واجتناب الطاغوت فمنهم من هدى الله وفقهم للاخذ بما دهم ومنهم
من حقت عليه الضلالة اذ لم يوفقهم ولم يرد هداهم وفيه تنبيه على فساد
الشبهة الثانية لما فيه من الدلالة على ان تحقق الضلال وثباته بفعل الله تعالى وارادته من حيث
انه قسيم من هدى الله وقد صرح به في الاية الاخرى فسيروا في الارض يا معشر قريش وانظروا
كيف كان عاقبة المكذبين من عاد وثمود وغيرهم لعلكم تعتبرون ان تحرص
يا محمد على هداهم فان الله لا يهدي من يضل من يريد ضلاله وهو المعنى من حقت
عليه الضلالة وقراء غير الكوفيين لا يهدي على البناء للمفعول وهو ابلغ وما لهم من ناصرين
من يمنعهم بدفع العذاب عنهم واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت
عطف على وقال الذين اشركوا ابلغ انا بانهم كما انكروا البعث مقسمين عليه زيادة في البت
على فساده وقد رد الله عليهم ابلغ رد فقال بلى يبعثهم الله وعدا مصدر مؤكد لنفسه
وهو ما دل عليه بلى فان يبعث موعد من الله عليه انجاز لامتناع الخلف في وعده

اولان البعث مقتضى حكمته حقا صفة اخرى للوعد ولكن اكثر الناس لا يعلمون انهم يبعثون
اما لعدم علمهم بانه من مواجب الحكمة التي جرت عادته بمراعاتها واما لقصور نظرهم بالمالوف
فيتوهمون امتناعه ثم انه تعالى بين الامرين فقال ليبين لهم اى يبعثهم ليبين لهم
الذي يختلفون فيه وهو الحق وليعلم الذين كفروا انهم كانوا كاذبين فيما كانوا يزعمون وهو اشارة
الى السبب الداعي الى البعث المقتضي له من حيث الحكمة وهو المميز بين الحق والباطل والمحق والمبطل
بالثواب والعقاب ثم قال انما قولنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون وهو بيان امكانه
وتقريره ان تكوين الله تعالى بمحض قدرته ومشيته لا توقف له على سبق المواد والمدد والا
لزم التسلسل فكما امكن له تكوين الاشياء ابتداء بلا سبق مادة ومثال امكن له تكوينها اعادة
بعده ونصب ابن عامر والكسائي هنا وفي يس عطفا على نقول او جوابا للامر والذين
هاجروا في الله من بعد ما ظلموا هم رسول الله واصحابه المهاجرون ظلمهم قريش فهاجر
بعضهم الى الحبشة ثم الى المدينة وبعضهم الى المدينة او المحبوسون المعذبون بمكة بعد
هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم بلال وصهيب وخباب وعمار وعابس وابو جندل
وسهيل وقوله في الله اى في حقه ولوجهه لنبوئنهم في الدنيا حسنة مباءة حسنة وهي
المدينة او تبوئة حسنة ولاجر الآخرة اكبر مما يعجل لهم في الدنيا وعن عمر انه كان اذا اعطى
رجلا من المهاجرين عطاء قال له خذ بارك الله لك فيه هذا ما وعدك الله في الدنيا وما
ادخره لك في الآخرة افضل لو كانوا يعلمون الضمير للكفار اى لو علموا ان الله يجمع لهؤلاء المهاجرين
خير الدارين لوافقوهم او للمهاجرين اى لو علموا ذلك لزادوا في اجتهادهم وصبرهم الذين
صبروا على الشدايد كاذى الكفرة ومفارقة الوطن ومحله النصب او الرفع على المدح وعلى ربهم
يتوكلون منقطعين الى الله مفوضين اليه الامر كله وما ارسلنا من قبلك الا رجالا يوحى اليهم
رد لقول قريش الله اعظم من ان يكون رسوله بشرا اى جرت السنة الالهية بان لا يبعث
للدعوة العامة واما قوله جاعل الملائكة رسلا معناه رسلا الى الملائكة او الى الانبياء وقيل
لم يبعثوا الى الانبياء الا متمثلين بصورة الرجال ورد بما روى انه عليه السلم راى جبرئيل على صورته
التي هو عليها مرتين وعلى وجوب المراجعة الى العلماء فيما لا يعلم بالبينات والزبر اى ارسلناهم

فيكون صح
مفعول نصب

الا بشرا يوحى اليه على السنة الملائكة
والحكمة في ذلك قد ذكرت في سورة الانعام
فان شككتم فيه فاسئلوا اهل الذكر
اهل الكتاب او علماء الاخبار ليعلموكم
ان كنتم لا تعلمون ففي الآية دليل على انه
لم يرسل امراة ولا ملكا للدعوة العامة صح

بالبينات

بالبينات والزبر اى المعجزات والكتب كانه جواب قائل بم ارسلوا ويجوز ان يتعلق بما ارسلنا
داخلا في الاستثناء مع رجالا اى وما ارسلنا الا رجالا بالبينات كقولك ما ضربت الا
زيدا بالسوط او صفة لهم اى رجالا ملتبسين بالبينات او بيوحى على المفعولية او الحال
من القائم مقام فاعله على ان قوله فاسئلوا اعتراض او بلا تعلمون على ان الشرط للتبكيت والالزام
وانزلنا اليك الذكر اى القران وانما سمي ذكرا لانه موعظة وتنبيه لتبين للناس ما نزل اليهم
في الذكر بتوسط انزاله اليك مما امروا به ونهوا عنه او مما تشابه عليهم والتبيين اعم من ان ينص
بالمقصود او يرشد الى ما يدل عليه كالقياس ودليل العقل ولعلهم يتفكرون وارادة ان يتاملوا فيه فينتبهوا للحقايق افامن الذين مكروا السيئات اى المكرات السيئات وهم الذين
احتالوا لهلاك الانبياء او الذين مكروا رسول الله وراموا صد اصحابه عن الايمان ان يخسف
الله بهم الارض كما خسف بقارون او ياتيهم العذاب من حيث لا يشعرون بغتة من جانب السماء
كما فعل بقوم لوط او ياخذهم في تقلبهم اى متقلبين في مسايرهم ومتاجرهم فما هم
بمعجزين او ياخذهم على تخوف على مخافة بان يهلك قوما قبلهم فيتخوفوا فياتيهم العذاب
وهم متخوفون او على ان ينقص شيئا بعد شيء في انفسهم واموالهم حتى يهلكوا من تخوفته
اذا تنقصته روى ان عمر رضي الله عنه قال على المنبر ما تقولون فيها فسكتوا فقام شيخ من هذيل
فقال هذه لغتنا التخوف التنقص فقال هل تعرف العرب ذلك في اشعارها قال نعم قال
شاعرنا ابو كبير يصف ناقته تخوف الرحل منها تامكا قردا كما تخوف عود النبعة السفن
وقال عمر عليكم بديوانكم لا تضلوا قالوا وما ديواننا قال شعر الجاهلية فان فيه تفسير كتابكم
ومعاني كلامكم فان ربكم لرؤف رحيم حيث لا يعاجلكم بالعقوبة اولم يروا الى ما خلق الله من شيء استفهام
انكار اى قد راوا امثال هذه الصنايع فما بالهم لم يتفكروا فيه ليظهر لهم كمال قدرته وقهره
فيخافوا منه وما موصولة مبهمة بيانها يتفيأ ظلاله اى اولم ينظروا الى المخلوقات التي
لها ظلال متفيئة وقرا حمزة والكسائي تروا بالتاء وابو عمرو تتفيأوا بالتاء عن اليمين والشمائل
عن ايمانها وشمائلها اى عن جانب كل واحد منها استعارة عن يمين الانسان وشماله ولعل
توحيد اليمين وجمع الشمائل لاعتبار اللفظ والمعنى كتوحيد الضمير في ظلاله وجمعه في قوله سجدا

لله وهم داخرون وهما حالان من الضمير في ظلاله والمراد من السجود الاستسلام سواء
كان بالطبع او الاختيار يقال سجدت النخلة اذا مالت لكثرة الحمل وسجد البعير اذا طاطأ رأسه
ليركب وتسجد حالا من الظلال وهم داخرون حال من الضمير والمعنى يرجع الظلال بارتفاع
الشمس وانحدارها او باختلاف مشارقها ومغاربها بتقدير الله تعالى من جانب الى جانب
منقادة لما قدر لها من التفيؤ وواقعة على الارض ملتصقة بها على هيئة الساجد والاجرام
في انفسها ايضا داخرة اى صاغرة منقادة لافعال الله فيها وجمع داخرون بالواو والنون من حملها
من يعقل او لان الدخور من اوصاف العقلاء وقيل المراد باليمين والشمائل يمين الفلك وهو
جانبه الشرقي لان الكواكب تظهر منه آخذة في الارتفاع والتطوع وشماله وهو الجانب الغربي
المقابل له فان الظلال في اول النهار يبتدأ من المشرق واقعة على الربع الغربي من الارض وعند
الزوال يبتدأ من المغرب واقعة على الربع الشرقي من الارض ولله يسجد ما في السموات وما
في الارض اى ينقاد انقيادا بينا لانقياد لارادته وتاثير طبعا والانقياد لتكليفه واثر طوعا
ليصح اسناده الى عامة اهل السموات والارض وقوله من دابة بيان لهما لان التبيين في الحركة
الجسمانية سواء كان في ارض او سماء والملائكة عطف على المبتدأ به عطف جبريل على الملائكة للتعظيم
او عطف المجردات على الجسمانيات وبه احتج من قال ان الملائكة ارواح مجردة او بيان لما في الارض
والملائكة تكرير لمائ السموات وتعيين له اجلالا وتعظيما والمراد بها ملائكتها من الحفظة وغيرهم
وما في لما استعمل للعقلاء كما استعمل لغيرهم كان استعماله حيث اجتمع القبيلان او لي من اطلاق
من تغليبا للعقلاء وهم لا يستكبرون عن عبادته يخافون ربهم من فوقهم يخافونه ان يرسل عذابا من
فوقهم او يخافونه وهو فوقهم بالقهر كقوله وهو القاهر فوق عباده والجملة حال من الضمير في لا
يستكبرون او بيان له وتقرير لان من خاف الله لم يستكبر عن عبادته ويفعلون ما يؤمرون
من الطاعة والتدبير وفيه دليل على ان الملائكة مكلفون مداورون بين الخوف والرجاء وقال
الله لا تتخذوا الهين اثنين ذكر العدد مع ان المعدود يدل عليه دلالة على ان مساق النهي اليه
او ايماء بان الاثنينية تنافي الالهية كما ذكر الواحد في قوله انما هو اله واحد للدلالة على ان المقصود
اثبات الوحدانية دون الالهية او للتنبيه على ان الوحدة من لوازم الالهية فاياي فارهبون

تقل من

تقل من الغيبة الى التكلم مبالغة في الترهيب وتصريحا بالمقصود كانه قال فانا ذلك الاله
الواحد فاياي فارهبون لا غير وله ما في السموات والارض خلقا وملكا وله الدين
الطاعة واصبا لازما لما تقرر من انه الاله وحده والحقيق بان يرهب منه وقيل واصبا من الوصب
اى وله الدين ذا كلفة وقيل الدين الجزاء اى وله الجزاء دائما لا ينقطع ثوابه لمن آمن وعقابه لمن كفر
افغير الله تتقون ولاصنا تسواه كالا نافع غيره كما قال وما بكم من نعمة فمن الله واى شيء اتصل بكم من نعمة
فهو من الله وما شرطية او موصولة متضمنة معنى الشرط باعتبار الاخبار دون الحصول فان
استقرار النعمة بهم يكون سببا للاخبار بانها من الله لا لحصولها منه ثم اذا مسكم الضر فاليه
تجارون فما تتضرعون الا اليه والجؤار رفع الصوت في الدعاء والاستغاثة ثم اذا كشف الضر
عنكم اذا فريق منكم بربهم يشركون وهم كفاركم ليكفروا بعبادة غيره هذا اذا كان الخطاب عاما
فان كان خاصا بالمشركين كان من للبيان كانه قال فاذا فريق منهم وهم انتم ويجوز ان يكون للتبعيض
على ان يعتبر بعضهم كقوله فلما نجيهم الى البر فمنهم مقتصد بما آتيناهم من نعمة الكشف عنهم
كانهم قصدوا بشركهم كفران النعمة وانكار كونها من الله فتمتعوا امر تهديد فسوف تعلمون
اغلظ وعيد وقرئ فيتمتعوا مبنيا للمفعول عطف على ليكفروا وعلى هذا جاز ان يكون اللام
لام الامر الوارد للتهديد والجواب ويجعلون لما لا يعلمون اى لآلهتهم التي لا علم لها لانها جماد
فيكون الضمير لما والتي لا يعلمونها فيعتقدون فيها جهالات مثل انها تنفعهم وتشفع لهم
على ان العائد اليها محذوف والجهل بهم على ان ما مصدرية والمجعول له محذوف للعلم به نصيبا
مما رزقناهم من الزروع والانعام تالله لتسئلن عما كنتم تفترون من انها آلهة حقيقة بالتقرب
اليها وهو وعيد لهم عليه ويجعلون لله البنات كانت خزاعة وكنانة يقولون الملائكة بنات
الله سبحانه تنزيها له من قولهم وتعجب منه ولهم ما يشتهون يعني البنين ويجوز فيما يشتهون
الرفع على الابتداء والنصب بالعطف على البنات على ان الجعل بمعنى الاختيار وهو ان افضى
الى ان يكون ضمير الفاعل والمفعول لشيء واحد لكنه لا يبعد تحوين في المعطوف واذا ان احدهم
بالانثى اخبر بولادتها ظل وجهه صار او دام النهار كله مسودا من الكآبة والحياء من الناس
واسوداد الوجه كناية عن الاغتمام والتنوين يشير الى ان هذا ليس بشيء وهو كظيم مملوء غيظا من المرارة يتوارى من القوم

سجدة

يستخفى منهم من سوء ما بشر به من سوء المبشر به عرفا امسكه محدثا نفسه
متفكرا فى ان يتركه على هون ذل ام يدسه فى التراب يخفيه فيه ويئده وتذكير
الضمير للفظ ما وقرئ بالتانيث فيهما الا ساء ما يحكمون حيث يجعلون لمن تعالى عن الولد
ما هذا محله عندهم للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء صفة السوء وهى الحاجة الى الولد
المنادية بالموت واشتهاء الذكور استظهارا بهم وكراهة الاناث ووأدهن خشية
الاملاق ولله المثل الاعلى وهو الوجوب الذاتى والغنى المطلق والجود الفائق والنزاهة
عن صفات المخلوقين وهو العزيز الحكيم المتفرد بكمال القدرة والحكمة ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم
بكفرهم ومعاصيهم ما ترك عليها على الارض وانما اضمرها من غير ذكر لدلالة الناس او
الدابة عليها من دابة قط بشوم ظلمهم وعن ابن مسعود كاد الجعل يهلك فى جحره
بذنب ابن آدم او من دابة ظالمة وقيل لو اهلك الآباء بكفرهم لم يكن الابناء ولكن يؤخرهم
الى اجل مسمى سماه لاعمارهم او لعذابهم كى يتوالدوا فاذا جاء اجلهم لا يستاخرون ساعة
ولا يستقدمون بل هلكوا وعذبوا حينئذ لا محالة ولا يلزم من عموم الناس واضافة
الظلم اليهم ان يكون كلهم ظالمين حتى الانبياء عليهم السلم لجواز ان يضاف اليهم ما
شاع فيهم وصدر عن اكثرهم ويجعلون لله ما يكرهون اى ما يكرهونه لانفسهم من البنات
والشركاء فى الرياسة والاستخفاف بالرسل وايثار الاموال وتصف السنتهم الكذب
مع ذلك وهو ان لهم الحسنى اى عند الله كقوله ولئن رجعت الى ربى ان لى عنده للحسنى
وقرئ الكذب جمع كذوب صفة للالسنة لا جرم ان لهم النار رد لكلامهم وانبات لضده
وانهم مفرطون مقدمون الى النار من افرطه فى طلب الماء اذا قدمته وقراءة نافع
بكسر الراء على انه من الافراط فى المعاصى وقرئ بالتشديد مفتوحا من فرطته فى طلب الماء
ومكسورا من التفريط فى الطاعات تالله لقد ارسلنا الى امم من قبلك فزين لهم الشيطان
فاصروا على قبايحها وكفروا بالمرسلين فهو وليهم اليوم اى فى الدنيا وعبر باليوم عن زمانها
او فهو وليهم حين كان يزين لهم او يوم القيامة على انه حكاية حال ماضية او آتية ويجوز
ان يكون الضمير لقرين اى زين الشيطان للكفرة المتقدمين اعمالهم وهو ولى هؤلاء

اليوم

اليوم يغريهم ويغويهم وان يقدر مضاف اى فهو ولى امثالهم والولى القرين
او الناصر فيكون نفيا للناصر لهم على ابلغ الوجوه ولهم عذاب اليم فى القيامة وما انزلنا
عليك الكتاب الا لتبين لهم للناس الذى اختلفوا فيه من التوحيد والقدر واحوال
المعاد واحكام الافعال وهدى ورحمة لقوم يؤمنون معطوفان على محل لتبين فانهما فعلا
المنزل بخلاف التبيين والله انزل من السماء ماء فاحيا به الارض بعد موتها
يتسمعون سماع تدبر وانصاف وان لكم فى الانعام لعبرة دلالة
يعبر بها من الجهل الى العلم نسقيكم مما فى بطونه استيناف لبيان العبرة وانما ذكر الضمير
هاهنا للفظ واتنثه فى سورة المؤمنين للمعنى فان الانعام اسم جمع ولذلك عده
سيبويه من المفردات المبنية على افعال كاخلاق واكياش ومن قال انه جمع نعم
جعل الضمير للبعض فان اللبن لبعضها دون جميعها او لواحد اوله على المعنى
فان المراد به الجنس وقرا نافع وابن عامر وابو بكر ويعقوب نسقيكم بالفتح هنا وفى
المؤمنين من بين فرث ودم لبنا فانه يخلق من بعض اجزاء الدم المتولد من الاجزاء اللطيفة
التى فى الفرث وهو الاشياء المأكولة المنهضمة بعض الانهضام فى الكرش وعن ابن عباس
ان البهيمة اذا اعتلفت وانطبخ العلف فى كرشها كان اسفله فرثا واوسطه لبنا
واعلاه دما ولعله ان صح فالمراد اوسطه يكون مادة اللبن واعلاه مادة الدم الذى يغذى
البدن لانهما لا يتكونان فى الكرش بل الكبد يجذب صفوة الطعام المنهضم فى الكرش
ويبقى ثفله وهو الفرث ثم يمسكها ريثما يهضمها هضما ثانيا فيحدث اخلاط اربعة معها
مائية فيميز القوة المميزة لكل مائية بما زاد على قدر الحاجة من المرتين وترفعها
الى الكلية والمرارة والطحال ثم توزع الباقى على الاعضاء بحسبها فيجرى الى كل حقه
على ما يليق به بتقدير الحكيم العليم ثم ان كان الحيوان انثى زاد اخلاطها على قدر غذائها
لاستيلاء البرد والرطوبة على مزاجها فيندفع الزائد اولا الى الرحم لاجل الجنين فاذا انفصل
انصب ذلك الزائد او بعضه الى الضروع فيبيض مجاورة لحومها الغدوية البيض
فيصير لبنا ومن تدبر صنع الله فى احداث الاخلاط والالبان واعداد مقارها

354

ومجاريها والاسباب الموادة لها والقوى المتصرفة فيها كل وقت على ما هو لايق به
اضطر الى الاقرار بكمال حكمته وتناهى رحمته ومن الاولى تبعيضية كان اللبن بعض مايتخذ من
بطونها والثانية ابتدائية كقولك سقيت من الحوض كان بين الفرث والدم المحل الذى يبتدأ
منه الاسقاء وهى متعلقة بنسقيكم او حال من لبنا قدمت عليه لتنكيره وللتنبيه على انه
موضع العبرة خالصا صافيا لا يستصحب لون الدم ولا رائحة الفرث او مصفى عما يصحبه من الاجزاء
الكثيفة بتضييق مخرجه سائغا للشاربين سهل المرور فى حلقهم وقرئ سيغا بالتشديد والتخفيف
تتخذون منه سكرا استيناف لبيان الاسقاء او تتخذون ومنه تكرير للظرف تاكيدا او
خبر لمحذوف صفته تتخذون اى ومن ثمرات النخيل والاعناب ثم تتخذون منه ونذكير الضمير على
الوجهين الاولين كانه للمضاف المحذوف الذى هو العصير او كان الثمرات بمعنى الثمر والسكر مصدر
سمى به الخمر ورزقا حسنا كالتمر والزبيب والدبس والخل والآية ان كانت سابقة على تحريم الخمر
فدالة على كراهتها والا فجامعة بين العتاب والمنة وقيل السكر النبيذ وقيل الطعم قال
جعلت اعراض الكرام سكرا اى تنقلت باعراضهم وقيل ما يسد الجوع من السكر فيكون
الرزق ما يحصل من اثماره ان فى ذلك لآية لقوم يستعملون عقولهم بالنظر والتامل فى الآيات يعقلون
واوحى ربك الى النحل الهمها وقذف فى قلوبها وقرئ الى النحل بفتحتين ان اتخذى بان اتخذى
ويجوز ان يكون ان مفسرة لان فى الايحاء معنى القول وتانيث الضمير على المعنى فان النحل مذكر
من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون ذكر بحرف التبعيض لانها لا تبنى فى كل جبل وكل شجر
وكل ما يعرشون من كرم او سقف ولا فى كل مكان منها وانما سمى ما تبنيه لتتعسل فيه
بيتا تشبيها ببيت الانسان لما فيه من حسن الصنعة وصحة القسمة التى لا يقوى عليها
حذاق المهندسين الا بآيات وانظار دقيقة ولعل ذكر للتنبيه على ذلك وقرئ بيوتا
بكسر الباء للياء وقرا ابن عامر وابو بكر يعرشون بكسر الراء ثم كلى من كل الثمرات
ثمرها وحلوها فاسلكى ما اكلت سبل ربك فى مسالكه التى يحيل فيها بقدرته النور المنبث
عسلا من اجوافك فاسلكى الطرق التى الهمك فى عمل العسل او فاسلكى راجعة الى
بيوتك سبل ربك ولا تتوعر عليك ولا تلتبس ذللا جمع ذلول وهى حال من السبل

اى مذللة

اى مذللة ذللها الله وسهلها لك او من الضمير فى اسلكى اى وانت ذلل منقادة
لما امرت به يخرج من بطونها كانه عدل به عن خطاب النحل الى خطاب الناس لانه
محل الانعام عليهم والمقصود من خلق النحل والهامه لاجلهم شراب يعنى العسل
لانه مما يشرب واحتج به من زعم ان النحل تاكل الازهار والاوراق العطرة فيستحيل
فى بطانها عسلا ثم تقيا داخل الشتاء ومن زعم انها تلتقط بافواهها اجزاء طلية
حلوة صغيرة متفرقة على الاوراق والازهار وتضعها فى بيوتها ادخارا واذا اجتمع فى
بيوتها شئ كثير منها كان العسل فشراب البطون بالافواه مختلف الوانه ابيض واصفر
واحمر واسود بسبب اختلاف سن النحل او الفصل فيه شفاء للناس اما بنفسه كما
فى الامراض البلغمية او مع غيره كما فى سائر الامراض اذ قلما يكون معجون الا والعسل جزء منه
مع ان التنكير فيه مشعر بالتبعيض ويجوز ان يكون للتبعيض وعن قتادة ان رجلا جاء الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان اخى يشتكى بطنه فقال اسقه العسل فذهب
ثم رجع فقال قد سقيته فما نفع فقال اذهب واسقه عسلا فقد صدق الله وكذب
بطن اخيك فسقاه فشفاه الله فبرا فكانما نشط من عقال وقيل الضمير للقرآن او لما بين
الله من احوال النحل ان فى ذلك لآية لقوم يتفكرون فان من تدبر اختصاص النحل بتلك
العلوم الدقيقة والافعال العجيبة حق التدبر علم قطعا انه لا بد له من قادر حكيم يلهمها
ذلك ويحملها والله خلقكم ثم يتوفيكم باجال مختلفة ومنكم من يرد يعاد الى ارذل العمر اخسه
يعنى الهرم الذى يتاخر الطفولية فى نقصان القوة والعقل وقيل هو خمس وتسعون
سنة وقيل خمس وسبعون لكيلا يعلم بعد علم شيئا ليصير الى حالة شبيهة
بحال الطفولية فى النسيان وسوء الفهم ان الله عليم بمقادير اعمارهم قدير يميت
النبات النشيط ويبقى الهرم الفاني وفيه تنبيه على ان تفاوت آجال الناس ليس الا
بتقدير قادر حكيم ركب ابنيتهم وعدل مزجتهم على قدر معلوم ولو كان ذلك مقتضى الطباع
لم يبلغ التفاوت هذا المبلغ والله فضل بعضكم على بعض فى الرزق فمنكم غنى ومنكم فقير
ومنكم موال يتولون رزقهم ورزق غيرهم ومنكم مماليك حالهم على خلاف ذلك فما

355

الذين فضلوا برادى رزقهم بمعطى رزقهم على ما ملكت ايمانهم على مما
ليكهم فان ما يدرون عليهم رزقهم الذى جعله الله فى ايديهم فهم فيه سواء
فالموالى والمماليك سواء فى ان الله رزقهم فالجملة لازمة للجملة المنفية او مقررة لها
ويجوز ان يكون واقعة موقع الجواب كانه قيل فما الذين فضلوا برادى رزقهم على ما
ملكت ايمانهم فيستووا فى الرزق على انه رد وانكار على المشركين فانهم يشركون بالله بعض
مخلوقاته فى الالوهية ولا يرضون ان يشاركهم غيرهم عبيدهم فيما انعم الله عليهم فيساويهم فيه
افبنعمة الله يجحدون تتخذون له شركاء فانه يقتضى ان يضاف اليهم بعض ما انعم الله عليهم
ويجحدوا انه من عند الله او حيث انكروا امثال هذه الحجج بعد ما انعم الله عليهم بايضا
حها والباء لتضمن الجحود معنى الكفر وقرا ابو بكر تجحدون بالتاء لقوله خلقكم وفضل بعضكم
والله جعل لكم من انفسكم ازواجا اى من جنسكم لتستانسوا بها وليكون اولادكم مثلكم وقيل
هو خلق حوا من آدم وجعل لكم من ازواجكم بنين وحفدة واولاد اولاد او بنات فان الحافد هو
المسرع فى الخدمة والبنات يخدمن فى البيوت اتم خدمة وقيل هم الاختان على البنات
وقيل الربايب ويجوز ان يراد بها البنون انفسهم والعطف لتغاير الوصفين ورزقكم
من الطيبات من اللذائذ والحلالات ومن للتبعيض فان المرزوق فى الدنيا انموذج
منها افبالباطل يؤمنون وهو ان الاصنام تنفعهم او ان من الطيبات ما يحرم عليهم
كالبحائر والسوايب وبنعمة الله اما للاهتمام او لايهام التخصيص مبالغة او للمحافظة
على الفواصل ويعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقا من السموات والا
رض شيئا من مطر ونبات ورزقا ان جعلته مصدرا فشيئا منصوب به والا فبدل
عنه ولا يستطيعون ان يتملكوه او لا استطاعة لهم اصلا وجمع الضمير فيه وتوحيده
فى لا يملك لان ما مفرد فى معنى الآلهة ويجوز ان يعود الى الكفار اى ولا يستطيع هؤلاء
مع انهم احياء متصرفون شيئا من ذلك فكيف بالجماد فلا تضربوا لله الامثال
فلا تجعلوا له مثلا تشركون به او تقيسونه عليه فان ضرب المثل تشبيه حال بحال
ان الله يعلم فساد ما تقولون عليه من القياس على ان عبادة عبيد الملك ادخل

حيث صح

حوا من صح

فى التعظيم

فى التعظيم من عبادته وعظم جرمكم فيما تفعلون وانتم لا تعلمون ذلك ولو علمتموه
لما جرأتم عليه فهو تعليل للنهى او انه يعلم كنه الاشياء وانتم لا تعلمونه فدعوا رايكم
دون نصه ويجوز ان يراد فلا تضربوا لله الامثال وانتم لا تعلمونه ثم علمهم كيف يضرب
فضرب مثلا لنفسه ولمن عبد دونه فقال ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر
على شىء ومن رزقناه منا رزقا حسنا فهو ينفق منه سرا وجهرا هل يستوون
مثل ما يشرك به بالمملوك العاجز عن التصرف راسا ومثل نفسه بالحر المالك الذى
رزقه الله مالا كثيرا فهو يتصرف فيه وينفق منه كيف شاء واحتج بامتناع الاشراك
والتسوية بينهما مع تشاركهما فى الجنسية والمخلوقية على امتناع التسوية بين الا
صنام التى هى اعجز المخلوقات وبين الله الغنى القادر على الاطلاق وقيل هو تمثيل للكافر
المخذول والمؤمن الموفق وتقييد العبد بالمملوك للتميز من الحر فانه ايضا عبد الله وسلب
القدرة للتميز عن المكاتب والماذون وجعله قسيما للمالك المتصرف يدل على ان المملوك
لا يملك والاظهر ان من موصوفة ليطابق عبدا وجمع الضمير فى يستوون لانه للجنس
فان المعنى هل يستوى الاحرار والعبيد الحمد لله كل الحمد له لا يستحقه غيره فضلا
عن العبادة لانه مولى النعم كلها بل اكثرهم لا يعلمون فيضيفون نعمه الى غيره ويعبدونه
لاجلها وضرب الله مثلا رجلين احدهما ابكم ولد اخرس لا يفهم ولا يفهم لا يقدر على شىء من الصنايع
والتدابير لنقصان عقله وهو كل على مولاه عيال وثقل على من يلى امره اينما يوجهه
حيثما يرسله مولاه فى امر وقرئ يوجه على البناء للمفعول ويوجه بمعنى يتوجه كقوله
اينما اوجه الق سعدا وتوجه بلفظ الماضى لا يات بخير بنجح وكفاية مهم هل
يستوى هو ومن يامر بالعدل ومن هو فهم منطيق ذو كفاية ورشد ينفع الناس ويحثهم
على العدل الشامل لجامع الفضائل فهو على صراط مستقيم وهو فى نفسه على صراط مستقيم
لا يتوجه الى مطلب الا ويبلغه باقرب سعى وانما قابل تلك الصفات بهذين الوصفين
لانهما كمال ما يقابلهما وهذا تمثيل ثان ضربه الله لنفسه وللاصنام لابطال المشاركة بينه
وبينها او للمؤمن والكافر ولله غيب السموات والارض يختص به علمه غيره وهو ما غاب

فانه يعلم كيف يضرب الامثال صح

لا يعلمه صح

فيهما عن العباد بان لم يكن محسوسا ولم يدل عليه محسوس وقيل يوم القيامة
فان علمه غائب عن اهل السموات والارض وما امر الساعة وما امر قيام القيامة
في سرعته وسهولته الا كلمح البصر الا كرجع الطرف من اعلى الحدقة الى اسفلها
او هو اقرب او امرها اقرب منه بان يكون في زمان نصف تلك الحركة بل في
الآن الذي يبتدأ فيه فانه تعالى يحيي الخلائق دفعة وما يوجد دفعة كان في آن واو
للتخيير او بمعنى بل وقيل معناه ان قيام الساعة وان تراخى فهو عند الله
كالشيء الذي يقولون فيه هو كلمح البصر او هو اقرب مبالغة في استقرائه
ان الله على كل شيء قدير فيقدر ان يحيي الخلائق دفعة كما ان قدر ان احياهم متدرجا
ثم دل على قدرته فقال والله اخرجكم من بطون امهاتكم وقرأ الكسائي بكسر الهمزة على انه
لغة او اتباع لما قبلها وحمزة بكسرها وكسر الميم والهاء مزيدة مثلها في اهراق
لا تعلمون شيئا جهالا مستصحبين جهل الجمادية وجعل لكم السمع والابصار والافئدة
اداة تتعلمون بها فتحسون بمشاعركم جزئيات الاشياء فتدركونها ثم تتنبهون بقلوبكم
بمشاركات ومباينات بينها بتكرر الاحساس حتى يتحصل لكم العلوم البديهية
وتتمكنوا من تحصيل المعالم الكسبية بالنظر فيها لعلكم تشكرون كي يعرفوا ما انعم عليكم
طورا بعد طور فتشكرونه اولم يروا الى الطير قراءة ابن عامر وحمزة ويعقوب
بالتاء على انه خطاب العامة مسخرات مذللات للطيران بما خلق لها من الاجنحة والا
والاسباب المواتية له في جو السماء في الهواء المتباعد من الارض ما يمسكهن فيه الا الله
فان ثقل جسدها يقتضي سقوطا ولا علاقة فوقها ولا دعامة تحتها تمسكها
ان في ذلك لآيات لتسخير الطير للطيران بان خلقها خلقة يمكن معها الطيران
وخلق الجو بحيث يمكن الطيران فيها وامساكها في الهواء على خلاف طبعها لقوم يؤمنون
لانهم هم المنتفعون بها والله جعل لكم من بيوتكم سكنا موضعا تسكنون فيه وقت اقامتكم
كالبيوت المتخذة من الحجر والمدر فعل بمعنى مفعول وجعل لكم من جلود هي القباب المتخذة
من الادم ويجوز ان يتناول المتخذة من الوبر والصوف والشعر فانها من حيث نابتة

على جلودها

على جلودها يصدق عليها انها من جلودها تستخفونها تجدونها خفيفة يخف عليكم
حملها ونقلها يوم ظعنكم وقت ترحالكم واقامتكم ووضعها او ضربها وقت الحضر
او النزول وقرأ الحجازيان والبصريان يوم ظعنكم بالفتح وهو لغة ومن اصوافها واوبارها
الصوف للضائنة والوبر للابل والشعر للمعز واضافتها الى ضمير الانعام لانها من جملتها
اثاثا ما يلبس ويفرش ومتاعا ما يتجر به الى حين الى مدة من الزمان فانها لصلابتها
تبقى مدة مديدة او الى حين مماتكم او الى ان تقضوا منه اوطاركم والله جعل لكم مما خلق من الشجر
والجبل والابنية وغيرها ظلالا تتقون به حر الشمس وجعل لكم من الجبال اكنانا مواضع
تسكنون بها من الكهوف والبيوت المنحوتة فيها جمع كن وجعل لكم سرابيل ثيابا من الصوف
والكتان والقطن وغيرها تقيكم الحر خصه بالذكر اكتفاء باحد الضدين او لان وقاية
الحر كانت اهم عندهم وسرابيل تقيكم بأسكم يعني الدروع والجواشن والسربال يعم
كل ما يلبس كذلك كاتمام النعمة التي تقدمت يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون اي تنظرون
في نعمه فتؤمنون به او تنقادون لحكمه وقرئ تسلمون من السلامة اي تشكرون فتسلمون من
العذاب او تنظرون فيها فتسلمون من الشرك وقيل تسلمون من الجراح بلبس الدروع
فان تولوا اعرضوا ولم يقبلوا منك فانما عليك البلاغ المبين فلا يضرك فانما عليك
البلاغ وقد بلغت وهذا من اقامة السبب مقام المسبب يعرفون نعمة الله اي يعرف
المشركون نعمه التي عددها عليهم وغيرها حيث يعترفون بها وبانها من الله ثم ينكرونها
بعبادتهم غير المنعم بها وقولهم انها بشفاعة آلهتنا او بسبب كذا او باعراضهم عن اداء
حقوقها وقيل نعمة الله نبوة محمد صلعم عرفوها بالمعجزات ثم انكروها عنادا ثم استبعاد
الانكار بعد المعرفة واكثرهم الكافرون الجاحدون عنادا وذكر الاكثر اما لان بعضهم لم يعرف
الحق لنقصان العقل او التفريط في النظر او لم يقم عليه الحجة لانه لم يبلغ حد التكليف
واما لانه يقام مقام الكل كما في قوله بل اكثرهم لا يعلمون ويوم نبعث من كل امة شهيدا
وهو نبيها شهد لهم وعليهم بالايمان والكفر ثم لا يؤذن للذين كفروا في الاعتذار اذ لا
عذر لهم وقيل في الرجوع الى الدنيا وثم لزيادة ما يحيق بهم من شدة المنع عن الاعتذار

واشعارها

ومعنى

لما فيه من الاقناط الكلى على ما يمنون به من شهادة الانبياء عليهم السلام ولا هم يستعتبون ولا هم يسترضون من العتبى وهى الرضا وانتصاب يوم بمحذوف تقديره اذكر اوخوفهم او يحق بهم ما يحيق وكذا قوله واذا راى الذين ظلموا العذاب عذاب جهنم فلا يخفف عنهم اى العذاب ولا هم ينظرون يمهلون واذا راى الذين اشركوا شركاءهم اوثانهم التى دعوها شركاء والشياطين الذين شاركوهم فى الكفر بالحمل عليه قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعو من دونك نعبدهم او نطيعهم وهو اعتراف بانهم كانوا مخطئين فى ذلك والتماس بان ينتزع عذابهم فالقوا اليهم القول انكم لكاذبون اى اجابوهم بالتكذيب فى انهم شركاء الله او انهم ما عبدوهم حقيقة وانما عبدوا اهواءهم لقوله كلا سيكفرون بعبادتهم ولا يمتنع انطاق الله الاصنام يومئذ او فى انهم حملوهم على الكفر والزموهم آياهم لقوله وما كان لى عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لى والقوا والقى الذين ظلموا الى الله يومئذ السلم الاستسلام لحكمه بعد الاستكبار فى الدنيا وضل عنهم وضاع عنهم وبطل ما كانوا يفترون من ان آلهتهم ينصرونهم ويشفعون لهم حين كذبوهم وتبرأوا منهم الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله بالمنع عن الاسلام والحمل على الكفر زدناهم عذابا لصدهم فوق العذاب المستحق بكفرهم بما كانوا يفسدون بكونهم مفسدين بصدهم ويوم نبعث فى كل امة شهيدا عليهم من انفسهم يعنى نبيهم فان نبى كل امة بعث منهم وجئنا بك يا محمد شهيدا على هؤلاء على امتك ونزلنا عليك الكتاب استيناف وحال باضمار قد تبيانا بيانا بليغا لكل شئ من امور الدين على التفصيل او الاجمال بالاحالة الى السنة او القياس وهدى ورحمة للجميع وبشرى للمسلمين خاصة ان الله يامركم بالعدل بالتوسط فى الامور اعتقادا كالتوحيد المتوسط بين التعطيل والتشريك والقولا بالكسب المتوسط بين محض الجبر والقدر وعملا كالتعبد باداء الواجبات المتوسط بين البطالة والترهب وخلقا كالجود المتوسط بين البخل والتبذير والاحسان احسان الطاعات وهو اما بحسب الكمية كالتطوع بالنوافل او بحسب الكيفية كما قال عليه السلام الاحسان ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك وايتاء ذى القربى واعطاء الاقارب

ما يحتاجون اليه وهو تخصيص بعد تعميم للمبالغة وينهى عن الفحشاء عن الافراط فى مشايعة القوة الشهوية كالزنا فانه اقبح احوال الانسان واشنعها والمنكر ما ينكر على متعاطيه فى اثناء القوة الغضبية والبغى والاستعلاء والاستيلاء على الناس والتجبر عليهم فانها الشيطنة التى هى مقتضى القوة الوهمية ولا يوجد من الانسان شر وآفة وهو مندرج فى هذه الاقسام صادر بتوسط احدى القوى الثلث ولذلك قال ابن مسعود رض جمع آية فى القرآن للخير والشر وصارت سبب اسلام عثمان بن مظعون ولو لم يكن فى القرآن غير هذه الآية لصدق عليه انه تبيان لكل شئ وهدى ورحمة للعالمين ولعل ايرادها عقيب قوله ونزلنا عليك الكتاب للتنبيه عليه يعظكم بالامر والنهى والميز بين الخير والشر لعلكم تذكرون تتعطفون واوفوا بعهد الله يعنى البيعة لرسول الله على الاسلام لقوله ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله وقيل كل امر يجب الوفاء به ولا يلائمه قوله اذا عاهدتم وقيل النذر وقيل الايمان بالله ولا تنقضوا الايمان ايمان البيعة او مطلق الايمان بعد توكيدها توثيقها بذكر الله ومنه اكد بقلب الواو ميما وقد جعلتم الله عليكم كفيلا شاهدا بتلك البيعة فان الكفيل مراع لحال المكفول به رقيب عليه ان الله يعلم ما تفعلون فى نقض الايمان والعهود ولا تكونوا كالتى نقضت غزلها ما غزلته مصدر بمعنى المفعول من بعد قوة من متعلق بنقضت اى نقضت غزلها من بعد ابرام واحكام انكاثا طاقات نكث فتلها وانتصابها على الحال من غزلها او المفعول الثانى لنقضت فانه بمعنى صيرت والمراد به تشبيه الناقض بمن هذا شانه وقيل ريطة بنت سعد بن تيم القرشية فانها كانت خرقاء تفعل ذلك تتخذون ايمانكم دخلا بينكم حال من الضمير فى ولا تكونوا او فى الجار الواقع موقع الخبر اى لا تكونوا مشبهين بامرأة هذا شانها متخذين ايمانكم مفسدة ودخلا بينكم واصل الدخل ما يدخل الشئ ولم يكن منه ان تكون امة هى اربى من امة بان يكون جماعة ازيد عددا واوفر مالا من جماعة والمعنى لا تغدروا بقوم لكثرتكم وقلتهم او لكثرة منابذيهم وفوقتهم كقريش فانهم كانوا اذا راوا مستوكة فى اعادى حلفائهم نقضوا عهدهم وخالفوا اعداءهم انما يبلوكم الله به الضمير لان تكون امة لانه بمعنى المصدر اى يختبركم بكونهم اربى لينظر اتتمسكون بحبل الوفاء

بعهد الله وبيعة رسوله ام تغدرون بكثرة قريش وشوكتهم وقلة المؤمنين وضعفهم
وقيل الضمير للأئمة وقيل للامر بالوفاء وليبينن لكم يوم القيامة ما كنتم اذا جازاكم على اعمالكم
بالثواب والعقاب ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة متفقة على الاسلام ولكن يضل من يشاء
بالخذلان ويهدي من يشاء بالتوفيق ولتسئلن عما كنتم تعملون سؤال تبكيت ومجازاة ولا
تتخذوا ايمانكم دخلا بينكم تصريح بالنهي عنه بعد التضمين تاكيدا ومبالغة في قبح المنهي فتزل قدم
اي عن محجة الاسلام بعد ثبوتها عليها والمراد اقدامهم وانما وحد ونكر للدلالة ان زللا قليلا
واحدا عظيم فكيف باقدام كثيرة وتذوقوا السوء العذاب في الدنيا بما صددتم عن سبيل الله
بسبب صدودكم عن الوفاء او صدكم غيركم عنه فان من نقض البيعة وارتد جعل ذلك
سنة لغيره ولكم عذاب عظيم في الآخرة ولا تشتروا بعهد الله ثمنا قليلا عرضا يسيرا وهو ما كانت قريش يعدون لضعاف المسلمين ويشرطون لهم على الارتداد
وتكاد ان ما عند الله من النصر والتغنيم في الدنيا والثواب في الآخرة هو خير لكم مما يعدون لكم
ان كنتم تعلمون ان كنتم من اهل العلم والتمييز ما عندكم من عراض الدنيا ينفد ينقضي وينقطع
وما عند الله من خزائن رحمته باق لا ينفد وهو تعليل الحكم السابق ودليل على ان نعيم
اهل الجنة باق ولنجزين الذين صبروا اجرهم على الفاقة واذى الكفار وعلى مشاق التكليف
وقراء ابن كثير وعاصم بالنون باحسن ما كانوا يعملون بما ترجح فعله من اعمالهم كالواجبات
والمندوبات او بجزاء احسن من اعمالهم من عمل صالحا من ذكر او انثى تبيينه بالنوعين دفعا
للتخصيص وهو مؤمن اذ لا اعتداد باعمال الكفرة في استحقاق الثواب وانما المتوقع عليها
تخفيف العذاب فلنحيينه حياة طيبة في الدنيا بعيش عيشا طيبا فانه ان كان موسرا فظاهر
وان كان معسرا كان يطيب عيشه بالقناعة والرضا بالقسمة وتوقع الاجر العظيم في الآخرة
بخلاف الكافر فانه ان كان معسرا فظاهر وان كان موسرا لم يدع الحرص وخوف الفوات
ان يتهنياه بعيشه وقيل في الآخرة ولنجزينهم اجرهم باحسن ما كانوا يعملون من الطاعة وساوسه
للملا يوسوسك في القراءة والجمهور على انه للاستحباب وفيه دليل على ان المصلي يستعيذ في
كل ركعة لان الحكم المرتب على شرط يتكرر بتكرره قياسا وتعقيبه لذكر العمل الصالح والوعد عليه

ايذان بان الاستعاذة عند القراءة من هذا القبيل وعن ابن مسعود قرات على رسول الله
فقلت اعوذ بالسميع العليم من الشيطان الرجيم فقال قل اعوذ بالله من الشيطان الرجيم
هكذا اقرانيه جبريل عن القلم عن اللوح المحفوظ انه ليس له سلطان تسلط وولاية
على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون على اوليائه المؤمنين به والمتوكلين عليه فانهم لا يطيعون
اوامره ولا يقبلون وساوسه الا فيما يحتقرون على ندور وغفلة ولذلك امروا بالاستعاذة
فذكر السلطنة بعد الامر بالاستعاذة لتلا يتوهم منه ان له سلطانا انما سلطانه على الذين
يتولونه يحبونه ويطيعونه والذين هم به بالله او بسبب الشيطان مشركون واذا بدلنا
آية مكان آية بالنسخ فجعلنا الآية الناسخة مكان المنسوخة لفظا او حكما والله اعلم بما ينزل
من المصالح فلعل ما يكون مصلحة يصير مفسدة بعد فينسخه وما لا يكون مصلحة حينئذ
يكون مصلحة الآن فيثبته مكانه وقراء ابن كثير وابو عمرو وينزل بالتخفيف قالوا اي الكفرة
انما انت مفتر متقول على الله تامر بشيء ثم تريد ولك فتنهى عنه وهو جواب اذا والله اعلم
بما ينزل وهو اعتراض لتوبيخ الكفار على قولهم والتنبيه على فساد سندهم ويجوز ان يكون
حالا بل اكثرهم لا يعلمون حكمة الاحكام ولا يميزون الخطاء من الصواب قل نزله روح القدس يعني جبريل
واضافة الروح الى القدس وهو الطهر كقولهم حاتم الجود وقراء ابن كثير روح القدس بالتخفيف
وفي ينزل وتنزيله تنبيه على انه تعالى مدرجا على حسب المصالح مما يقتضي التبديل من ربك
بالحق ملتبسا بالحكمة ليثبت الذين آمنوا على الايمان بانه كلامه فانهم اذا سمعوا الناسخ
وتدبروا ما فيه من رعاية الصلاح والحكمة رسخت عقايدهم واطمانت قلوبهم وهدى
وبشرى للمسلمين المنقادين لحكمه وهما معطوفان على محل ليثبت اي تثبيتا وهداية
وبشارة وفيه تعرض بحصول اضداد ذلك لغيرهم وقرئ لينبت بالتخفيف ولقد نعلم
انهم يقولون انما يعلمه بشر يعنون جبرا الرومي غلام عامر بن الحضرمي وقيل جبرا ويسارا
كانا يصنعان السيوف بمكة ويقرآن التوراة والانجيل وكان الرسول يمر عليهما ويسمع ما يقرآنه
وقيل عايشا غلام حويطب بن عبد العزى قد اسلم وكان صاحب كتب وقيل سلمان الفارسي
لسان الذي يلحدون اليه اعجمي لغة الرجل الذي يميلون قولهم عن الاستقامة اليه وما خود

من لحد القبر وقراء حمزة والكسائي يلحدون بفتح الياء اللسان اعجمي غير بين وهذا
وهذا القرآن لسان عربي مبين ذو بيان وفصاحة والجملتان مستانفتان لابطال طعنهم
وتقريرين يحتمل وجهين احدهما ان ما يسمعه منه كلام اعجمي لا يفهمه هو ولا
عربي تفهمونه بادنى تامل فكيف يكون ما تلقفه منه وثانيهما هب انه يعلم منه
المعنى باستماع كلامه ولكن لم يتلقف منه اللفظ لان ذلك عجمي وهذا عربي والقرآن
كما هو معجز باعتبار المعنى فهو معجز من حيث اللفظ مع ان العلوم الكثيرة التي في القرآن
لا يمكن تعلمها الا بملازمة معلم فائق في تلك العلوم مدة متطاولة فكيف يعلم من غلامين
سوقيين سمع منهما بعض اوقات مرورهما عليهما كلمات اعجمية لعلهما لم يعرفا معناها
فطعنهم في القرآن بامثال هذه الكلمات الركيكة دليل على غاية عجزهم ان الذين لا يؤمنون بآيات الله
لا يصدقون انها من عند الله لا يهديهم الله الى الحق والى سبيل النجاة وقيل الى الجنة
ولهم عذاب اليم في الآخرة هددهم على كفرهم بالقرآن بعد ما طاطة شبهتهم ورد طعنهم فيه
ثم قلب الامر عليهم فقال انما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله لانهم لا يخافون عقابا يردعهم
عنه واولئك اشارة الى الذين كفروا والى قريش هم الكاذبون اي الكاذبون على الحقيقة
او الكاملون في الكذب لان تكذيب آيات الله والطعن فيها بهذه الخرافات اعظم الكذب
او الذين عادتهم الكذب لا يصدر فيهم عنه دين ولا مروة او الكاذبون في قولهم انما انت مفتر
انما يعلم بشر من كفر بالله من بعد ايمانه ثم استدرك من الذين لا يؤمنون وما بينهما اعتراض ومن اولئك
او من الكاذبون او مبتدأ خبره محذوف دلت عليه قوله فعليهم غضب ويجوز ان ينتصب
بالذم وان يكون من شرطية محذوفة الجواب لا من اكره على الافتراء وكلمة الكفر استثناء
متصل لان الكفر لغة يعم القول والعقد كالايمان وقلبه مطمئن بالايمان لم يتغير عقيدته وفيه
دليل على ان الايمان هو التصديق بالقلب ولكن من شرح بالكفر صدرا اعتقده وطاب به نفسا فعليهم
غضب من الله ولهم عذاب عظيم اذ لا اعظم من جرمه روي ان قريشا اكرهوا عمارا وابويه ياسرا
وسمية على الارتداد فربطوا سمية بين بعيرين ووجئ بحربة في قبلها وقالوا انك اسلمت
من اجل الرجال فقتلت وقتلوا ياسرا وهما اول قتيلين في الاسلام واعطاهم عمار ما

ما ارادوا

ما اراد وامكرها فقيل يا رسول الله ان عمارا كفر فقال كلا ان عمارا ملئ ايمانا من قرنه
الى قدمه واختلط الايمان بلحمه ودمه فاتى عمار رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبكي
فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسح عينيه وقال ما لك ان عادوا لك فعد لهم بما قلت
وهو دليل على جواز التكلم بالكفر عند الاكراه وان كان الافضل ان يتجنب عنه اعزازا للدين كما فعله
ابواه لما روي ان مسيلمة اخذ رجلين فقال لاحدهما ما تقول في محمد قال رسول الله قال فما تقول
في قال انت ايضا فخلاه وقال للآخر ما تقول في محمد قال رسول الله قال فما تقول في قال انا
اصم فاعاد عليه ثلثا فاعاد جوابه فقتله فبلغ رسول الله فقال اما الاول فقد اخذ برخصة
الله واما الثاني فقد صدع بالحق فهنيئا له ذلك اشارة الى الكفر بعد الايمان او الوعيد
بانهم استحبوا الحيوة الدنيا على الآخرة بسبب انهم آثروها عليها وان الله لا يهدي القوم الكافرين
اي الكافرين في علمه الى ما يوجب ثبات الايمان ولا يعصمهم عن الزيغ اولئك الذين طبع الله على قلوبهم
وسمعهم وابصارهم فابت عن ادراك الحق والتامل فيه واولئك هم الغافلون الكاملون في الغفلة
اذ اغفلتهم الحالة الراهنة عن تدبر العواقب لا جرم انهم في الآخرة هم الخاسرون اذ ضيعوا
اعمارهم وصرفوها فيما افضى بهم الى العذاب المخلد ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا
اي عذبوا اكتفاء بالولاية والنصرة لتناسب حاله هؤلاء حال اولئك وقراء ابن عامر فتنوا
بالفتح اي بعد ما عذبوا المؤمنين كالحضرمي اكره مولاه جبرا حتى ارتد ثم اسلما وهاجرا ثم
جاهدوا وصبروا على الجهاد وما اصابهم من المشاق ان ربك من بعدها من بعد الهجرة
والجهاد والصبر لغفور لما فعلوا قبل رحيم ينعم عليهم مجازاة على ما صنعوا بعد يوم تاتي كل
نفس منصوب برحيم او باذكر تجادل عن نفسها تجادل عن ذاتها ويسعى في خلاصها لا يهمها
شان غيرها فتقول نفسي نفسي وتوفى كل نفس ما عملت جزاء ما عملت وهم لا يظلمون لا ينقصون
اجورهم وضرب الله مثلا قرية اي جعلها مثلا لكل قوم انعم الله عليهم فابطرتهم النعمة
فكفروا فانزل الله بهم نقمته اولكة كانت آمنة مطمئنة لا يزعج اهلها خوف ياتيها رزقها
اقواتها رغدا واسعا من كل مكان من نواحيها فكفرت بانعم الله بنعمه جمع نعمة على ترك
الاعتداد بالتاء كالدرع واذرع او جمع نعيم كبوس وابؤس فاذاقها الله لباس الجوع والخوف

استعار الذوق لادراك اثر الضرر والتباس لما غشيهم واشتمل عليهم من الجوع والخوف
واوقع الاذاقة عليه بالنظر الى المستعار له كقوله كثير غمر الرداء اذا تبسم ضاحكا علقت
بضحكته رقاب المال فانه استعار الرداء للمعروف لانه يصون عرض صاحبه صون الرداء
لما يلقى عليه واضاف اليه الغمر الذى هو وصف المعروف وقد ينظر الى المستعار كقوله
ينازعنى ردائى عبد عمرو رويدك يا اخا عمرو بن بكر لى الشطر الذى ملكت يمينى ودونك
فاعتجر منه بشطر استعار الرداء لسيفه ثم قال فاعتجر نظرا الى المستعار مما كانوا يصنعون
بصنيعهم ولقد جاءهم رسول منهم يعنى محمدا صلوات الله عليه والضمير لاهل مكة
عاد الى ذكرهم بعد ما ذكر مثلهم فكذبوه فاخذهم العذاب وهم ظالمون اى حال التباسهم
بالظلم والعذاب ما اصابهم من الحرب الشديد او وقعة بدر فكلوا مما رزقكم الله حلالا
طيبا امرهم باكل ما احل الله لهم وشكر ما انعم الله عليهم بعد ما نزجرهم عن الكفر
وهددهم عليه بما ذكر من القتيل والعذاب الذى حل بهم صدا لهم عن صنيع الجاهلية
ومذاهبهم الفاسدة واشكروا نعمة الله ان كنتم اياه تعبدون تطيعون او ان صح زعمكم
انكم تقصدون بعبادة الآلهة عبادته انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل
لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فان الله غفور لما امرهم بتبنا ولما احل لهم عدد عليهم
محرماته ليعلم ان ما عداها حل لهم ثم اكد ذلك بالنهى عن التحريم والتحليل بما هو انهم
فقال ولا تقولوا لما تصف السنتكم الكذب هذا حلال الآية كما قالوا ما فى بطون هذه الانعام خالصة
لذكورنا الآية ويقتضى سياق الكلام وتصدير الجملة بانما حصر المحرمات فى الاجناس الاربعة
الا ما ضم اليها دليل كالسباع والحمر الاهلية وانتصاب الكذب بلا تقولوا وهذا حلال
وهذا حرام بدل منه او متعلق بتصف على ارادة القول اى ولا تقولوا الكذب لما تصف السنتكم
فتقول هذا حلال وهذا حرام او مفعول لا تقولوا والكذب منتصب بتصف وما مصدرية
اى ولا تقولوا هذا حلال وهذا حرام لوصف السنتكم الكذب مبالغة فى وصف كلامهم
بالكذب كان حقيقة الكذب كالمجهولة والسنتهم تصفها وتعرفها بكلامهم هذا ولذلك
عد من فصيح الكلام كقولهم وجهها يصف الجمال وعينها تصف السحر وقرئ الكذب بالجر

وحاصله ان محل ما الموصولة نصب بالاستعارة بالكناية

ثما

والنوالدم

وهذا حرام

اى لا تحرموا ولا تحللوا لمجرد قول يسطره السنتكم من غير دليل ووصف السنتهم الكذب

بجهالة

ما او الكذب جمع كذوب او كذاب بالرفع صفة للالسنة وبالنصب على الذم او بمعنى الكلم
الكواذب لتفتروا على الله الكذب تعليل لا يتضمن الغرض ان الذين يفترون على الله الكذب
لا يفلحون لما كان المفترى يفترى لتحصيل مطلوب نفى عنهم الفلاح وبينه بقوله متاع
قليل اى ما يفترون لاجله او ما هم فيه منفعة قليلة تنقطع عن قريب ولهم عذاب اليم
فى الآخرة وعلى الذين هادوا حرمنا ما قصصنا عليك آى فى سورة الانعام فى قوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل
ذى ظفر من قبل متعلق بقصصنا او بحرمنا وما ظلمناهم بالتحريم ولكن كانوا انفسهم يظلمون حيث
فعلوا ما عوقبوا به عليه وفيه تنبيه على الفرق بينهم وبين غيرهم فى التحريم وانه كما تكون
للمضرة تكون للعقوبة ثم ان ربك للذين عملوا السوء بسببها او ملتبسين بها ليعم الجهل بالله وبعقابه
وعلم التدبر فى العواقب لغلبة الشهوة والسوء يعم الافتراء على الله وغيره ثم تابوا من بعد ذلك
واصلحوا ان ربك من بعدها من بعد التوبة لغفور لذلك السوء رحيم يثيب على الانابة ان ابرهيم كان امة
لكماله واستجماعه فضائل لا تكاد توجد الا مفرقة فى اشخاص كثيرة كقوله وليس من الله بمستنكر
ان يجمع العالم فى واحد وهو رئيس الموحدين وقدوة المحققين الذى جادل فرق المشركين وابطل
مذاهبهم النائغة بالجح الدامغة ولذلك عقب ذكره بتزييف مذاهب المشركين من العرب
والطعن فى النبوة وتحريم ما احل وانه كان وحده مؤمنا وكان سائر الناس كفارا وقيل
سمى فعلة بمعنى مفعول كالرحلة والنخبة من امه اذا قصد واقتدى به وان الناس كانوا
يؤمونه للاستفادة ويقتدون بسيرته كقوله انى جاعلك للناس اماما قانتا لله مطيعا له
قائما بما وجب عليه حنيفا مائلا عن الباطل ولم يك من المشركين كما زعموا فان قريشا كانوا
يزعمون انهم كانوا على ملة ابرهيم شاكرا لانعمه ذكر بلفظ القلة للتنبيه على انه كان لا يخل
بشكر النعم القليلة فكيف بالكثيرة اجتباه للنبوة وهداه الى صراط مستقيم فى الدعوة الى الله
وآتيناه فى الدنيا حسنة بان حببه الى الناس حتى ان ارباب الملل يتولونه ويثنون عليه
ورزقه اولادا طيبة وعمرا طويلا فى السعة والطاعة وانه فى الآخرة لمن الصالحين
لمن اهل الجنة لما سأله بقوله والحقنى بالصالحين ثم اوحينا اليك يا محمد وثم اما لتعظيمه
او التنبيه على ان اجل ما اوتى ابرهيم اتباع الرسول ملته او لتراخى ايامه ان اتبع ملة

وللمخ ما مانع ذلك من التنوية
بشان رسول الله صلعم يا
اشارة الى استحقاقه بالملاطفة
عن اخذ عهد ابرهيم وكرمه

عن
وكونه من رؤساء المرسلين
لانه يقتدى به الناس فى اتباع رضاه
الصالحين وكرامته

361

ابرهيم حنيفًا فى التوحيد والدعوة اليه بالرفق وايراد الدلائل مرة بعد اخرى والمجادلة
مع كل احد على حسب فهمه وما كان من المشركين لا قدوة الموحدين انما جعل السبت تعظيم السبت
والتخلى فيه للعبادة على الذين اختلفوا فيه اى على نبيهم وهم اليهود امرهم موسى
عليه السلم ان يتفرغوا للعبادة يوم الجمعة فابوا الا طائفة منهم وقالوا نريد يوم السبت
لانه تعالى فرغ فيه من خلق السموات والارض فالزمهم الله السبت وشدد الامر عليهم
وقيل معناه انما جعل وبال السبت وهو المسخ على الذين اختلفوا فيه فاحلوا الصيد
فيه تارة وحرموا اخرى واحتالوا له الحيل وذكرهم ههنا لتهديد المشركين كذا القرية
التى كفرت بانعم الله وان ربك ليحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون بالمجازاة
على الاختلاف او بمجازاة كل فريق من الامرين والمعطفين بما يستحقه ادع
الى سبيل ربك الى الاسلام بالحكمة بالمقالة المحكمة وهو الدليل الموضح للحق المزيح للشبهة
والموعظة الحسنة الخطابات المقنعة والعبر النافعة والاولى لدعوة خواص الامة
العالمين للحقايق والثانية لدعوة عوامهم وجادلهم وجادل معانديهم بالتى هى احسن
بالطريقة التى هى احسن طرق المجادلة من الرفق واللين وايثار الوجه الايسر والمقدمات
التى هى الاشهر فان ذلك انفع فى تسكين لهبهم وتبيين شغبهم ان ربك هو اعلم بمن ضل عن
سبيله وهو اعلم اى انا عليك البلاغ والدعوة واما حصول الهداية والضلال والمجازاة عليها
فلا اليك بل الله اعلم بالضالين والمهتدين وهو المجازى لهم وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به
لما امر بالدعوة وبين طرقها اشار اليه والى من يتابعه بالمخالفة ومراعاة العدل
مع من يناصبهم فان الدعوة لا تنفك عنه من حيث انها تتضمن رفض العادات
وترك الشهوات والقدح فى دين الاسلاف والحكم عليهم بالكفر والضلال وقيل
انه عليه السلم لما راى حمزة وقد مثل به فقال والله لئن اظفرنى الله بهم لامثلن
بسبعين مكانك فنزلت فكفر عن يمينه وفيه دليل على ان للمقتص ان يماثل الجانى
وليس له ان يجاوز وحث على العفو تعريضا بقوله وان عاقبتم وتصريحا على الوجه
الاكد بقوله ولئن صبرتم هو اى الصبر خير للصابرين من الانتقام للمنتقمين ثم صرح بالامر

لرسوله لانه اولى الناس به لزيادة علمه بالله ووثوقه عليه فقال واصبر وما صبرك الا بالله
الا بتوفيقه وتثبيته ولا تحزن عليهم على الكافرين او على المؤمنين وما فعل بهم ولا تك فى
ضيق مما يمكرون فى ضيق صدر من مكرهم وقراءة ابن كثير فى ضيق هنا وفى النمل وهما لغتان
كالقول والقيل ويجوز ان يكون الضيق تخفيف ضيق ان الله مع الذين اتقوا المعاصى
والذين هم محسنون فى اعمالهم بالولاية والفضل ومع الذين اتقوا الله بتعظيم امره والذين
هم محسنون بالشفقة على خلقه عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرا سورة النحل
لم يحاسبه الله بما انعم عليه فى دار الدنيا وان مات فى يوم تلاها او ليلة كان له من الاجر كما
لذى مات واحسن الوصية سورة بنى اسرائيل مكية وقيل الا قوله وان كادوا
ليفتنونك الى آخر ثمان آيات وهى مائة وعشر آيها بسم الله الرحمن الرحيم
سبحان الذى اسرى بعبده ليلا سبحان اسم بمعنى التسبيح الذى هو التنزيه وقد
يستعمل علما له فيقطع عن الاضافة ويمنع الصرف قال قد قلت لما جانى فخره سبحان من علقمة
الفاخر وانتصابه بفعل متروك اظهاره وتصدير الكلام به للتنزيه عن العجز عما ذكروه بعده
واسرى وسرى بمعنى وليلا نصب على الظرف وفائدة الدلالة بتنكيره على تقليل مدة الاسراء
ولذلك قرئ من الليل اى بعضه كقوله ومن الليل فتهجد من المسجد الحرام بعينه لما روى انه
عليه السلم قال بينا انا فى المسجد الحرام فى الحجر عند البيت بين النائم واليقظان اذا اتانى جبرائيل
بالبراق او من الحرم وسماه مسجدا الحرام لان كله مسجد او لانه محيط به ليطابق المبدأ المنتهى الى ما روى
انه كان نائما فى بيت ام هانى بعد صلوة العشاء فاسرى به ورجع من ليلته وقص القصة
عليها وقال مثل الى النبيون فصليت بهم ثم خرج الى المسجد واخبر به قريشا فتعجبوا منه استحالة
وارتد ناس ممن آمن به وسعى رجال الى ابى بكر فقال ان كان قال لقد صدق قالوا اتصدقه
على ذلك قال انى لاصدقه على ابعد من ذلك فسمى الصديق واستثنى طائفة سافروا الى
بيت المقدس فجلى له فطفق ينظر اليه وينعته لهم فقالوا اما النعت فقد اصاب فقالوا اخبرنا
عن عيرنا فاخبرهم بعدد جمالها واحوالها وقال تقدم يوم كذا مع طلوع الشمس يقدمها جمل
اورق فجاءوا يشتدون الى الثنية فصادفوا العير كما اخبر ثم لم يؤمنوا وقالوا ما هذا

فاذا جاء وعد اولاهما وعد عاقبة اولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا بخت نصر
عامل لهراسف على بابل وجنوده وقيل جالوت الجزري وقيل سنحاريب من اهل نينوى
اولي بأس شديد ذوي قوة وبطش في الحرب شديد فجاسوا تردد والطلب كم وقرئ
بالحاء وهما اخوان خلال الديار وسطها للقتل والغارة قتلوا كبارهم وسبوا صغارهم
وحرقوا التوراة وخربوا المسجد والمعتزلة لما منعوا تسليط الله الكافر على ذلك
اولوا البعث بالتخلية وعدم المنع وكان وعدا مفعولا وكان وعدهم لا بد ان يفعل
ثم رددنا لكم الكرة اي الدولة والغلبة عليهم على الذين بعثوا عليكم وذلك بان
القى الله في قلب بهمن بن اسفنديار لما ورث الملك من جده كشتاسف بن لهراسف
شفقة عليهم فردّ اسراءهم الى الشام وملّك دانيال عليهم فاستولوا على من كان فيها
من اتباع بخت نصر وبان سلط داود على جالوت فقتله وامددناكم باموال وبنين
وجعلناكم اكثر نفيرا تمام كنتم والنفير من ينفر مع الرجل من قومه وقيل جمع نفر وهم المجتمعون
للذهاب الى العدو ان احسنتم احسنتم لانفسكم لان ثوابه لها وان اسأتم فلها
فان وبالها عليها وانما ذكر بالام ازدواجا فاذا جاء وعد الآخرة وعد عقوبة المرة الآخرة
ليسوءوا وجوهكم اي بعثناهم ليسوءوا وجوهكم ليجعلوها بادية آثار المساءة فيها فحذف
لدلالة ذكر اولا عليه وقرأ ابن عامر وحمزة وابو بكر ليسوء على التوحيد والضمير فيه
للوعد او البعث او الله ويعضده قراءة الكسائي لنسوء بالنون والياء والنون المخففة والمثقلة
وليسوءن بفتح اللام على الاوجه الاربعة على انه جواب اذا واللام في قوله وليدخلوا المسجد متعلق
بمحذوف هو بعثناهم كما دخلوه اول مرة وليتبروا وليهلكوا ما غلبوه واستولوا عليه
ومدة علوهم تتبيرا وذلك بان سلط الله عليهم الفرس مرة اخرى فغزاهم ملك
بابل من ملوك الطوائف اسمه جودرز وقيل خردوس فدخل صاحب الجيش مذبح قربانهم
فوجد دما يغلي فسألهم عنه فقالوا دم قربان لم يقبل منا فقال ما صدقوني فقتل عليه
الوفا منهم فلم يهدأ الدم ثم قال ان لم تصدقوني ما تركت منكم احدا فقالوا انه دم نبي
فقال لملك هذا ينتقم ربكم منكم ثم قال اي يحيى قد علم ربي وربك ما اصاب قومك من اجلك

سنحاريب

وقرئ ليسوءن بالنون

الاسحر بين وكان ذلك قبل الهجرة بسنة واختلف فيه انه كان في المنام او في اليقظة
بروحه او بجسده والاكثر على انه اسري بجسده الى بيت المقدس ثم عرج به الى السموات
حتى انتهى الى سدرة المنتهى ولذلك تعجب قريش واستحالوه والاستحالة مدفوعة بما ثبت في الهندسة
ان ما بين طرفي قرص الشمس ضعف ما بين طرفي كرة الارض مائة ونيفا وستين مرة تقريبا فان طرفها
الاسفل يصل موضع طرفها الاعلى في اقل من ثانية وقد برهن في الكلام ان الاجسام متساوية
في قبول الاعراض وان الله قادر على كل الممكنات فيقدر على ان يخلق مثل هذه الحركة السريعة في بدن
النبي او فيما يحله والتعجب من لوازم المعجزات الى المسجد الاقصى بيت المقدس لانه لم يكن حينئذ
وراءه مسجد الذي باركنا حوله بركات الدين والدنيا لانه مهبط الوحي ومتعبد الانبياء
من لدن موسى ومحفوف بالانهار والاشجار لنريه من آياتنا كذهابه في برهة من الليل
مسيرة شهر ومشاهدته بيت المقدس وتمثل الانبياء له ووقوفه على مقاماتهم وصرف
الكلام من الغيبة الى التكلم لتعظيم تلك البركات والآيات وقرئ ليريه بالياء انه هو السميع
لاقواله محمد البصير بافعاله فيكرمه ويقربه على حسب ذلك وآتينا موسى الكتاب وجعلناه
لبني اسرائيل ان لا على ان لا تتخذوا كقولك كتبت اليه ان افعل وقرأ ابو عمرو بالياء على الاصل
تتخذوا من دوني وكيلا ربا تكلون اليه امركم غيري ذرية من حملنا مع نوح نصب على الاختصاص
او النداء ان قرئ لا تتخذوا بالتاء وعلى انه احد مفعولي لا تتخذوا ومن دوني حال من وكيلا
فيكون كقوله ولا يأمركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا وقرئ بالرفع على انه خبر محذوف
او بدل من واو تتخذوا وذرية بكسر الذال وفيه تذكير بانعام الله عليهم في انجاء آبائهم من الغرق
بحملهم مع نوح في السفينة انه ان نوحا عليه السلم كان عبدا شكورا يحمد الله تعالى على مجامع حالاته
وفيه ايماء بان انجاءه ومن معه كان بيركة شكره وحث للذرية على الاقتداء به وقيل الضمير
لموسى عليه السلم وقضينا الى بني اسرائيل واوحينا اليهم وحيا مقضيا مبتوتا في الكتاب
لتفسدن في الارض جواب قسم محذوف او قضينا على اجراء القضاء المبتوت مجرى القسم مرتين
افسادتين اوليهما مخالفة احكام التوراة وقتل شعيا وثانيتهما قتل زكريا ويحيى وقصد
قتل عيسى عليهم السلم ولتعلن علوا كبيرا ولتستكبرن عن طاعة الله او لتظلمن الناس

فاذا

فاهدأ باذن الله قبل ان لا ابقي احدا منهم فهداه عسى ربكم ان يرحمكم بعد المرة الاخرة
وان عدتم نوبة اخرى عدنا مرة ثالثة الى عقوبتكم وقد عادوا بتكذيب محمد صلى الله عليه وسلم
وقصد قتله فعاد الله بتسليطه عليهم فقتل قريظة واجلى بني النضير وضرب الجزية على
الباقين هذا لهم في الدنيا وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا محبسا لا يقدرون الخروج منها
ابدا الآباد وقيل بساطا كما يبسط الحصير ان هذا القرآن يهدي للتي هي للحالة او الطريقة التي
هي اقوم الحالات والطرق ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم اجرا كبيرا
وقراء حمزة والكسائي ويبشر بالتخفيف وان الذين لا يؤمنون بالآخرة اعتدنا لهم عذابا اليما
عطف على ان لهم اجرا كبيرا والمعنى انه يبشر المؤمنين ببشارتين ثوابهم وعقابهم
او على يبشر باضمار يخبر ويدع الانسان بالشر ويدعو الله عند غضبه بالشر على نفسه
واهله وماله او يدعو لما يحسبه خيرا وهو شر دعاءه بالخير مثل دعاءه بالخير وكان
الانسان عجولا يسارع الى كل ما يخطر بباله لا ينظر عاقبته وقيل المراد آدم فانه لما انتهى الروح
الى سرته ذهب لينهض فسقط روي انه عليه السلام دفع اسيرا الى سودة بنت زمعة
فرحمته لانينه فارخت اكتافه فهرب فدعا عليها بقطع اليد ثم ندم فقال اللهم
انما انا بشر فمن دعوت عليه فاجعل دعائي رحمة له فنزلت ويجوز ان يريد بالانسان
الكافر وبالدعاء استعجاله بالعذاب استهزاء كقول النضر بن الحارث اللهم انصر خير
الحزبين اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فاجب له فضرب عنقه يوم بدر صبرا
وجعلنا الليل والنهار آيتين تدلان على القادر الحكيم بتعاقبهما على نسق
واحد بامكان غيره فمحونا آية الليل اي الآية التي هي الليل بالاسراق والاضافة فيها
للتبيين كاضافة العدد الى المعدود وجعلنا آية النهار مبصرة مضيئة او مبصرة للناس
من ابصر فبصر او مبصرا اهله كقولهم اجبن الرجل اذا كان اهله جبناء وقيل الآيتان
القمر والشمس وتقدير الكلام وجعلنا نير الليل والنهار آيتين وجعلنا الليل والنهار
ذوي آيتين ومحو آية الليل هي القمر جعلها مظلمة في نفسها مطموسة النور او نقص نورها
شيئا فشيئا الى المحاق وجعل آية النهار التي هي الشمس مبصرة جعلها ذات شعاع تبصر

فامطرعلينا حجارة الآية

التي

الاشياء بضوئها لتبتغوا فضلا من ربكم لتطلبوا في بياض النهار اسباب معاشكم
وتتوصلوا به الى استبانة اعمالكم ولتعلموا باختلافهما او بحركاتهما عدد السنين
والحساب وجنس الحساب وكل شيء تفتقرون اليه في امر الدين والدنيا فصلناه
تفصيلا تبيانا بينا غير ملتبس وكل انسان الزمناه طائره عمله وما قدر له كانه طير اليه
من عش الغيب وكل القدر لما كانوا يتيمنون ويتشاءمون بسنوح الطير وبروحه
استعير لما هو سبب الخير والشر من قدر الله وعمل العبد في عنقه لزوم الطوق في
ويخرج له يوم القيامة كتابا هي صحيفة عمله او نفسه المنتقشة باثار اعماله
فان الاعمال الاختيارية تحدث في النفس احوالا ولذا كيفيد تكريرها لها ملكات ونصبه
بانه مفعول او حال من مفعول محذوف وهو ضمير الطائر او يعضده قراءة يعقوب
ويخرج من خرج وغيره يخرج وقرئ نخرج اي الله يلقاه منشورا كاشف الغطاء
وهما صفتان للكتاب ويلقاه صفته ومنشورا حال من مفعوله وقرأ ابن عامر
يلقاه على البناء للمفعول من لقيته كذا اقرأ كتابك على ارادة القول كفى بنفسك
اليوم عليك حسيبا اي كفى نفسك والباء مزيدة وحسيبا تمييز وعلى صلته لانه
بمعنى الحاسب كالصريم بمعنى الصارم وضريب القداح بمعنى ضاربها من حسب عليه
كذا او بمعنى الكافي في موضع الشهيد لانه يكفي المدعى بما اهمه وتذكير على
ان الحساب والشهادة مما يتولاه الرجال او على تاويل النفس بالشخص من اهتدى فانما
يهتدي لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها لا ينجي اهتداءه غيره ولا يرد ضلاله
سواه ولا تزر وازرة وزر اخرى ولا تحمل نفس حاملة وزرا او وزر نفس اخرى بل انما تحمل
وزرها وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا يبين الحجج ويمهد الشرايع فيلزم بها الحجة وفيه دليل
على ان لا وجوب قبل الشرع واذا اردنا ان نهلك قرية واذا تعلقت ارادتنا
باهلاك قوم لانفاذ قضائنا السابق او دنا وقته المقدر كقولهم اذا اراد المريض
ان يموت ازداد مرضه شدة امرنا مترفيها متنعميها بالطاعة على لسان رسول
بعثناه اليهم ويدل على ذلك ما قبله وما بعده فان الفسق هو الخروج عن الطاعة

والتمرد في العصيان فيدل على الطاعة من طريق المقابلة وقيل امرناهم بالفسق لقوله
ففسقوا فيها كقولك امرته فقراء فانه لا يفهم منه الا الامر بالقراءة على ان
الامر مجاز من الحمل عليه او التسبب له بان صب عليهم من النعم ما ابطرهم وافضى بهم
الى الفسوق ويحتمل ان لا يكون له مفعول منوى كقولهم امرته فعصانى وقيل معناه
كثرنا يقال امرت الشئ وامرته فامر اذا كثرته وفى الحديث خير المال سكة مأبورة
ومهرة مأمورة اى كثير النتاج وهو ايضا مجاز من معنى الطلب ويؤيده قراءة يعقوب
آمرنا ورواية امرنا عن ابى عمرو ويحتمل ان يكون منقولا من آمرنا بالضم امارة اى جعلنا مسم
أمراء وتخصيص المترفين لان غيرهم يتبعهم ولانهم اسرع الى الحماقة واقدر على الفجور
فحق عليها القول يعنى كلمة السابقة بالعذاب بحلوله او بظهور معاصيهم او بانهماكهم فى
المعاصى **فدمرناها تدميرا** اهلكناها باهلال اهلها وتخريب ديارها **وكم اهلكنا**
وكثيرا اهلكنا **من القرون** بيان لكم وتمييز له **من بعد نوح** كعاد وثمود **وكفى بربك بذنوب عباده**
خبيرا بصيرا يدرك بواطنها وظواهرها فيعاقب عليها وتقديم الخبير لتقدم متعلقه
من كان يريد العاجلة مقصورا عليها همته **عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد** قيدا المعجل
والمعجل له بالمشية والارادة لانه لا يجد كل متمن ما يتمناه ولا كل واحد ما يتمناه وليعلم ان الامر
بالمشية والهم فضل ولكن نريد بدل من له بدل البعض وقرئ يشاء والضمير فيه لله حتى
يطابق المشهور وقيل لمن فيكون مخصوصا بمن اراد الله به ذلك وقيل الآية فى المنافقين
كانوا يراؤون المسلمين ويغزون معهم ولم يكن غرضهم الا مساهمتهم فى الغنايم ونحوها
ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموما مدحورا مطرودا من رحمة الله **ومن اراد الآخرة وسعى لها**
سعيها حقها من السعى وهو الاتيان بما امر وله وانتهاء عما نهى عنه لا التقرب بما يخترعون بآرائهم
وفائدة اللام اعتبار النية والاخلاص **وهو مؤمن** ايمانا صحيحا لاشرك معه ولا تكذيب فانه
العمدة **فاولئك** الجامعون للشرايط الثلثة **كان سعيهم مشكورا** من الله مقبولا عنده
مثابا عليه فان شكر الله الثواب على الطاعة **كلا** كل واحد من الفريقين والتنوين بدل من المضاف
اليه **نمد** بالعطاء مرة بعد اخرى ونجعل آنفه مدد السالفه **هؤلاء وهؤلاء** بدل من كلا

واخفض لهما جناح الذل تذلل لهما وتواضع فيهما جعل للذل جناحا كما جعل لبيد
في قوله وغداة ريح قد كشفت وقرة اذا صبحت بيد الشمال زمامها للشمال يدا وللقرة
زماما وامر بخفضها مبالغة او اراد جناحه كقوله واخفض جناحك للمومنين وفي
اضافته الى الذل للبيان والمبالغة كما اضيف حاتم الى الجود والمعنى واخفض لهما جناحك
الذليل وقرئ الذل بالكسر وهو الانقياد والنعت منه ذلول من الرحمة من فرط رحمتك
عليهما لافتقارهما الى من كان افقر خلق الله اليهما وقل رب ارحمهما وادع الله ان يرحمهما
برحمته الباقية ولا تكتف برحمتك الفانية وان كانا كافرين لان من الرحمة ان يهديهما
كما ربياني صغيرا رحمة مثل رحمتهما علي وتربيتهما وارشادهما الى في صغري ووفاء بعهدك
للراحمين روي ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان ابوي بلغا من الكبر اني ألي
منهما ما وليا مني في الصغر فهل قضيتهما قال لا فانهما كانا يفعلان ذلك وهما يحبان
بقاءك وانت تفعل ذلك وانت تريد موتهما ربكم اعلم بما في نفوسكم من قصد البر اليهما
واعتقاد ما يجب لهما من التوقير وكانه تهديد على ان يضمر لهما كراهة واستثقالا ان
تكونوا صالحين قاصدين الصلاح فانه كان للاوابين للتوابين غفورا مما فرط منهم
عند حرج الصدر من اذية او تقصير وفيه تشديد عظيم ويجوز ان يكون عاما لكل تائب
ويندرج فيه الجاني على ابويه جناية اولية لورود على اثره وآت ذا القربى حقه من صلة الرحم
وحسن المعاشرة والبر عليهم وقال ابو حنيفة حقهم اذا كانوا محارم فقراء ان ينفق
عليهم وقيل المراد بذا القربى اقارب الرسول عليه السلم والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا
بصرف المال فيما لا ينبغي وانفاقه على وجه الاسراف واصل التبذير التفريق وعن النبي صلعم
انه قال لسعد وهو يتوضا ما هذا السرف قال أفي الوضوء سرف قال نعم وان كنت على
نهر جار المبذرين كانوا اخوان الشياطين امثالهم في الشرارة فان التضييع والاتلاف شرة
او اصدقاءهم واتباعهم لانهم يطيعونهم في الاسراف والصرف في المعاصي روي
انهم كانوا ينحرون الابل ويتياسرون عليها ويتبذرون اموالهم في التمعة فنهاهم الله عن ذلك وامرهم بالانفاق في القربات وكان الشيطان لربه كفورا مبالغا في الكفر به فما

ينبغي ان لا يطاع وامّا تعرضن عنهم وان اعرضت عن ذي القربى والمسكين وابن السبيل
حياء من الرد ويجوز ان يراد بالاعراض عنهم ان لا ينفعهم على سبيل الكناية ابتغاء رحمة
من ربك ترجوها لانتظار رزق من الله ترجوه ان ياتيك فتعطيه او منتظرا له وقيل
معناه لفقد رزق من ربك ترجوه ان يفتح لك فوضع الابتغاء موضعه لانه مسبب عنه
ويجوز ان يتعلق بالجواب الذي هو قوله فقل لهم قولا ميسورا اي فقل لهم قولا لينا
ابتغاء رحمة الله برحمتك عليهم باجمال القول لهم والميسور من يسر الامر مثل سعد
الرجل ونحس وقيل القول الميسور الدعاء لهم بالميسور وهو اليسر مثل اغناكم الله
ورزقنا الله واياكم ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك تمثيلان لمنع التجهم واسراف المبذر
نهى عنهما امرا بالاقتصاد بينهما الذي هو الكرم فتقعد ملوما فتصير ملوما عند الله وعند
الناس بالاسراف وسوء التدبير محسورا نادما ومنقطعا بلا شيء عندك من حسر
السفر اذا بلغ منه والمرض عن جابر بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم اتاه صبي فقال ان امي
تستكسيك درعا فقال من ساعة الى ساعة فعد الينا فذهب الى امه فقالت قل له
ان امي تستكسيك الدرع الذي عليك فدخل دارا ونزع قميصه واعطاه وقعد عريانا
واذن بلال وانتظر والصلوة فلم يخرج فانزل الله ذلك ثم سلاه بقوله ان ربك يبسط
الرزق لمن يشاء ويقدر يوسعه ويضيقه بمشيته البالغة الحكمة فلبين ما يرهقك من الاضاقة
الا لمصلحتك انه كان بعباده خبيرا بصيرا يعلم سرهم وعلنهم فيعلم من مصالحهم ما يخفى
عليهم ويجوز ان يريد ان البسط والقبض من امر الله تعالى العالم بالسرائر والظواهر واما
العباد فعليهم ان يقتصدوا وانه تعالى يبسط تارة ويقبض اخرى فاستنوا بسنته ولا تقبضوا
كل القبض ولا تبسطوا كل البسط وان يكون تمهيدا لقوله ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق
مخافة الفاقة وقتلهم اولادهم هو وأدهم بناتهم مخافة الفقر فنهاهم عنه وضمن
لهم ارزاقهم فقال نحن نرزقهم وإياكم ان قتلهم كان خطأ كبيرا ذنبا كبيرا لما فيه من قطع التناسل
وانقطاع النوع والخطاء الاثم يقال خطئ خطأ كاثم اثما وقراء ابن عامر برواية ابن ذكوان
خطاء وهو اسم من اخطاء يضاد الصواب وقيل لغة فيه كمثل ومثل وحذر وحذر وقراء

ابن كثير خطاء بالكسر وهو اما لغة او مصدر خاطاء وهو وان لم يسمع لكنه جاء تخاطاء
في قوله تخاطاه القناص حتى وجدته وخرطومه في منقع الماء راسب وهو مبني عليه وقرئ
خطاء بالمد والفتح وخطا بحذف الهمزة مفتوحا ومكسورا ولا تقربوا الزنا بالعزم والاتيان
بالمقدمات فضلا ان تباشروه انه كان فاحشة فعلة ظاهرة القبح زائدته وساء سبيلا
وبئس طريقا طريقه وهو الغصب على الابضاع المؤدي الى قطع الانساب وهيج الفتن ولا
تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق الا باحدى ثلث كفر بعد ايمان وزنا بعد احصان وقتل
مؤمن معصوم عمدا ومن قتل مظلوما غير مستوجب للقتل فقد جعلنا لوليه للذي يلي امره
بعد وفاته وهو الوارث سلطانا تسلطا بالمواخذة بمقتضى القتل على من عليه او القصاص
على القاتل فان قوله مظلوما يدل على ان القتل عمد عدوان فان الخطاء لا يسمى ظلما فلا
يسرف اي القاتل في القتل بان يقتل من لا يحق قتله فان العاقل لا يفعل ما يعود عليه بالهلاك
او الولي بالمثلة وقتل غير القاتل ويؤيد الاول قراءة ابي فلا تسرفوا وقرا حمزة والكسائي
فلا تسرف على خطاب احدهما انه كان منصورا علة النهي على الاستيناف والضمير اما للمقتول
فانه منصور في الدنيا بثبوت القصاص بقتله وفي الآخرة بالثواب واما لوليه فان الله نصره
حيث اوجب القصاص له وامر الولاة بمعونته واما للذي يقتله الولي اسرافا بايجاب القصاص
او التعزير والوزر على المسرف ولا تقربوا مال اليتيم فضلا ان تتصرفوا فيه الا بالتي هي
احسن الا بالطريقة التي هي احسن حتى يبلغ اشده غاية لجواز التصرف الذي دل عليه الاستثناء
واوفوا بالعهد بما عاهدكم الله من تكاليفه او ما عاهدتموه وغيره ان العهد كان مسئولا
مطلوبا يطلب من العاهد ان لا يضيعه ويفي به او مسئولا عنه يسال الناكث ويعاتب عليه
او يسال العهد لم نكثت تبكيتا للناكث كما يقال للمودة باي ذنب قتلت فيكون تخييلا ويجوز
ان يراد ان صاحب العهد كان مسئولا واوفوا الكيل اذا كلتم ولا تبخسوا فيه وزنوا با
لقسطاس المستقيم بالميزان السوي وهو رومي عرب ولا يقدح ذلك في عربية القرآن لان
العجمي اذا استعملته العرب واجرته مجرى كلامهم في الاعراب والتعريف والتنكير ونحوها
صار عربيا وقرا حمزة والكسائي وحفص بكسر القاف هنا وفي الشعراء ذلك خير واحسن

تاويلا

تاويلا واحسن عاقبة تفعيل من آل اذا رجع ولا تقف ولا تتبع وقرئ ولا تقف من قاف
اثره اذا قفاه ومنه القافية ما ليس لك به علم ما لم يتعلق به علمك تقليدا او رجما بالغيب واحتج
به من منع اتباع الظن وجوابه ان المراد بالعلم هو الاعتقاد الراجح المستفاد من سند سواء
كان قطعا او ظنا واستعماله بهذا المعنى شائع وقيل انه مخصوص بالعقايد وقيل بالرمي وشهادة
الزور ياتي بالمخرج وكقول الكميت ولا ارمي البرئ بغير ذنب ولا اقفو الحواصن ان قفينا ان السمع والبصر
والفواد كل اولئك اي كل هذه الاعضا فاجريها مجرى العقلاء لما كانت مسئولة عن احوالها
شاهدة على صاحبها هذا وان اولاء وان غلب في العقلاء لكنه من حيث انه اسم جمع لذا وهو
يعم القبيلتين جاء لغيرهم كقوله ذم المنازل بعد منزلة اللوى والعيش بعد اولئك الايام
كان عنه مسئولا في ثلثتها ضمير كل اي كان كل واحد منها مسئولا عن نفسه يعني عما فعل به
صاحبه ويجوز ان يكون الضمير في عنه لمصدر لا تقف او لصاحب السمع والبصر وقيل مسئولا مسند
الى عنه كقوله غير المغضوب عليهم والمعنى يسال صاحبه عنه وهو خطاء لان الفاعل وما يقوم
مقامه لا يتقدم وفيه دليل على ان العبد مواخذ بعزمه على المعصية وقرئ والفواد بقلب
الهمزة واوا بعد الضمة ثم ابدالها بالفتح ولا تمش في الارض مرحا اي ذا مرح وهو الاختيال
وقرئ مرحا وهو باعتبار الحكم ابلغ وان كان المصدر اكد من صريح انك لن تخرق الارض لن تجعل فيها
خرقا بشدة وطاتك ولن تبلغ الجبال طولا بتطاول وهو تهكم بالمختال وتعليل للنهي
بان الاختيال حماقة مجردة لا تعود بجدوى ليس في التذلل كل ذلك اشارة الى الخصال الخمسة
والعشرين المذكورة من قوله لا تجعل مع الله الها آخر وعن ابن عباس رضي الله عنهما انها المكتوبة
في الواح موسى كان سيئه يعني المنهي عنه فان المذكورة مامورات ومناهي وقرا الحجازيان
والبصريان سيئة على انها خبر كان والاسم ضمير كل وذلك اشارة الى ما نهي عنه خاصة وعلى هذا قوله
عند ربك مكروها بدل من سيئة او صفة لها محمولة على المعنى فانه بمعنى سيئا وقد قرئ به ويجوز
ان ينتصب مكروها على الحال من المستكن في كان او في الظرف على انه صفة سيئة والمراد به
المبغوض المقابل للمرضي لا ما يقابل المراد لقيام القاطع على ان الحوادث كلها واقعة بارادته
تعالى ذلك اشارة الى الاحكام المتقدمة مما اوحى اليك ربك من الحكمة التي هي معرفة الحق

ويؤيده قوله عليه السلم من قفا مؤمنا بما ليس فيه حبسه الله في ردغة الخبال حتى صح

الردغة ما يقطر من اهل النار والمراد بالمخرج العذر اي في دخل النار حتى ياتي بالعذر

ومنع تقديم الفاعل وما يقوم مقامه لخوف اللبس بالمبتدا ولا لبس هنا

والفرح الشديد وفي النعت صح

روي ان رسول الله صلعم يوم احد ناول ابا دجانة سيفا كان بيده فاخرج عصابة حمراء وشدها في راسه وكان يسميها عصابة الموت ومشى مرحا مختالا حتى انفرد فقال رسول الله هذه مشية لا يحبها الله الا في هذا الموطن كوراني

وكون الفعل مكروها لا ينافي الارادة كتناول المريض الدواء

بعض ما اوحى

لذاته والخير للعمل به ولا تجعل مع الله الها آخر كرره للتنبيه على ان التوحيد مبدأ الامر ومنتهاه
فان من لا قصد له بطل عمله ومن قصد بفعله او تركه غيره ضاع سعيه وانه راس الحكمة
وملاكها ورتب عليه اولا ما هو عائدة الشرك في الدنيا وثانيا ما هو نتيجته في العقبى فقال
فتلقى في جهنم ملوما تلوم نفسك مدحورا مبعدا من رحمة الله افاصفيكم ربكم بالبنين خطاب لمن
قالوا الملائكة بنات الله والهمزة للانكار والمعنى ايخصكم ربكم بافضل الاولاد وهم البنون
واتخذ من الملائكة اناثا بناتا لنفسه هذا خلاف ما عليه عقولكم وعادتكم انكم لتقولون
قولا عظيما باضافة الاولاد اليه وهي خاصة بعض الاجسام لسرعة زوالها ثم بتفضيل
انفسكم عليه حيث تجعلون له ما تكرهون ثم بجعل الملائكة الذين هم من اشرف خلق الله
ادونهم ولقد صرفنا كررنا هذا المعنى بوجوه من التقرير في هذا القرآن في مواضع منه
ويجوز ان يراد بهذا القرآن ابطال اضافة البنات اليه بتقدير ولقد صرفنا القول في
هذا المعنى او اوقعنا التصريف فيه وقرئ صرفنا بالتخفيف ليذكروا ليتذكروا وقرأ
حمزة والكسائي هنا وفي الفرقان ليذكروا من الذكر الذي هو معنى التذكير وما يزيدهم الا نفورا
عن الحق وقلة طمانينة اليه قل لو كان معه آلهة كما تقولون ايها المشركون وقرأ ابن كثير وحفص
بالياء فيه وفيما بعده على ان الكلام مع الرسول ووافقهما نافع وابن عامر وابو بكر ويعقوب
في الثانية على ان الاولى مما امر الرسول ان يخاطب به المشركين والثانية بما نزه به نفسه
عن مقالهم اذا لابتغوا الى ذي العرش سبيلا جواب عن قولهم وجزاء للو والمعنى لطلبوا الى من هو
مالك الملك سبيلا بالمعازة كما يفعل الملوك بعضهم مع بعض او بالتقرب اليه والطاعة
لعلمهم بقدرته وعجزهم كقوله اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة سبحانه
تنزه تنزيها وتعالى عما يقولون علوا تعاليا كبيرا متباعدا غاية البعد عما يقولون فانه في اعلى
مراتب الوجود وهو كونه واجب الوجود والبقاء لذاته واتخاذ الولد من ادنى مراتبه فانه من
خواص ما يمتنع بقاؤه تسبح له السموات السبع والارض ومن فيهن وان تنزهه عما هو من لوازم
الامكان وتوابع الحدوث بلسان الحال حيث يدل بامكانها وحدوثها على الصانع القديم
الواجب لذاته ولكن لا تفقهون تسبيحهم ايها المشركون لاخلالكم بالنظر الصحيح الذي هو به يفهم

تسبيحهم

تسبيحهم ويجوز ان يحمل التسبيح على المشترك بين اللفظ والدلالة لاسناده الى ما يتصور
منه اللفظ والى ما لا يتصور منه وعليهما عند من جوز اطلاق اللفظ على معنييه وقرأ
ابن كثير ونافع وابن عامر وابو بكر تسبح بالتاء انه كان حليما حين لم يعاجلكم بالعقوبة على غفلتكم
وشرككم غفورا لمن تاب منكم واذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة
حجابا مستورا يحجبهم عن فهم ما تقرأه عليهم مستورا ذا ستر كقوله وعده ماتيا وقولهم سيل مفعم
او مستورا عن الحس او بحجاب آخر لا يفهمون ولا يفهمون انهم لا يفهمون نفى عنهم ان يفهموا
ما انزل عليهم من الآيات بعد ما نفى عنهم التفقه للدلالات المنصوبة في الانفس والآفاق
تقريرا له وبيانا لكونهم مطبوعين على الضلالة كما صرح به بقوله وجعلنا على قلوبهم اكنة تكنها
وتحول دونها عن ادراك الحق وقبوله ان يفقهوه كراهة ان يفقهوه ويجوز ان يكون مفعولا
لما دل عليه قوله وجعلنا على قلوبهم اكنة اي منعناهم ان يفقهوه وفي آذانهم وقرا يمنعهم
عن استماعه ولما كان القرآن معجزا من حيث اللفظ والمعنى اثبت لمنكريه ما يمنع عن فهم المعنى
وادراك اللفظ واذا ذكرت ربك في القرآن وحده واحدا غير مشفوع به آلهتهم مصدر وقع موقع الحال
واصله يحد وحده ولوا على ادبارهم نفورا هربا من استماع التوحيد ونفرة او تولية ويجوز
ان يكون جمع نافر كقاعد وقعود نحن اعلم بما يستمعون به بسببه ولاجله من الهزء بك وبالقرآن
اذ يستمعون اليك ظرف لاعلم وكذا واذ هم نجوى اي نحن اعلم بغرضهم من الاستماع حين هم مستمعون
اليك مضمرون له وحين هم ذوو نجوى يتناجون به ونجوى مصدر ويحتمل ان يكون جمع نجي
اذ يقولون الظالمون ان تتبعون الا رجلا مسحورا مقدر باذكر او بدل من اذ هم نجوى على وضع الظالمين
موضع الضمير للدلالة على ان تناجيهم بقولهم هذا والمسحور هو الذي سحر به فزال عقله وقيل الذي
له سحر وهو الرية اي الا رجلا يتنفس ويأكل ويشرب مثلكم انظر كيف ضربوا لك الامثال مثلوك بالشاعر
والساحر والكاهن والمجنون فضلوا عن الحق في جميع ذلك فلا يستطيعون سبيلا الى طعن بوجه
فيتهافتون ويخبطون كالمتحير في امره لا يدري ما يصنع او الى الرشاد وقالوا اذا كنا عظاما ورفاتا
وحطاما ائنا لمبعوثون خلقا جديدا على الانكار والاستبعاد لما بين غضاضة الحي ويبوسة
الرميم من المباعدة والمنافاة والعامل في اذا ما دل عليه مبعوثون لا نفسه لان ما بعد ان

لتصدر الاستفهام

لا يعلم فيما قبلها وخلقًا مصدر وحال قل جوابا لهم كونوا حجارة او حديدا او خلقا آخر مما يكبر في صدوركم
اى مما يكبر عندكم عن قبول الحيوة لكونه ابعد شئ منها فان قدرته تعالى لا تقصر عن احيائكم
لاشتراك الاجسام في قبول الاعراض فكيف اذا كنتم عظاما ومن قوة وقد كانت عضة موصوفة
بالحيوة قبل والشئ اقبل لما عهد فيه مما لم يعهد فسيقولون من يعيدنا قل الذي فطركم اول مرة
وكنتم ترابا ومما هو ابعد منه من الحيوة فسينغضون اليك رؤسهم فيحركونها نحوك تعجبا
واستهزاء ويقولون متى هو قل عسى ان يكون قريبا فان كل ما هو آت قريب وانتصابه على الخبر والظرف
اى يكون في زمان قريب وان يكون اسم عسى وخبره والاسم مضمر يوم يدعوكم فتستجيبون
اى يوم يبعثكم فتبعثون استعار لهما الدعاء والاستجابة للتنبيه على سرعتهما وتيسيرهما
فان المقصود منهما الاحضار للمحاسبة والجزاء بحمده حالمين منهما اى حامدين لله على كمال قدرته
كما قيل انهم ينفضون التراب عن رؤسهم ويقولون سبحانك اللهم وبحمدك او منقادين
لبعثه انقياد الحامدين لم وتظنون ان لبثتم الا قليلا وتستقصرون مدة لبثكم في القبور كالذي مر
على قرية او مدة حيوتكم لما ترون من الهول وقل لعبادي يعني المؤمنين يقولوا التي هي احسن الكلمة التي
هي احسن ولا تخاشنوا المشركين ان الشيطان ينزغ يهيج بينهم المراء والشر فلعل الخاشنة بهم
تفضي الى العناد وازدياد الفساد ان الشيطان كان للانسان عدوا مبينا ظاهر العداوة ربكم اعلم بكم ان يشأ
يرحمكم او ان يشأ يعذبكم تفسير للتي هي احسن وما بينهما اعتراض اى قولوا لهم هذه الكلمة
ونحوها ولا تقترحوا بانهم من اهل النار فانه يتجهم على المتربع ان ختام امرهم غيب لا يعلمه
الا الله وما ارسلناك عليهم وكيلا موكولا اليك امرهم تقسرهم على الايمان وانما ارسلناك
مبشرا ونذيرا فدارهم ومر اصحابك بالاحتمال عنهم روى ان المشركين افرطوا في ايذائهم
فشكوا الى رسول الله فنزلت وقيل شتم عمر رجل فهم به فامره الله بالعفو وربك اعلم بمن
في السموات والارض وباحوالهم فيختار منهم لنبوته وولايته من يشاء وهو رد لاستبعاد قريش
ان يكون يتيم ابي طالب نبيا وان يكون لعراة الجوع اصحابه ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض
بالفضائل النفسانية والتبري عن العلائق الجسمانية لا بكثرة الاموال والاتباع حتى فان شرفه
بما اوحي اليه من الكتاب لا بما اوتي من الملك قيل هو اشارة الى تفضيل رسول الله وقوله

وآتينا داود زبورا تنبيه على وجه تفضيله وهو انه خاتم الانبياء وامته خير الامم
المدلول عليه بما كتب في الزبور من ان الارض يرثها عبادي الصالحون وتنكير ههنا
وتعريفه في قوله ولقد كتبنا في الزبور لانه في الاصل فعول للمفعول كالحلوب والمصدر كالقبول
ويؤيده قراءة حمزة بالضم فهو كالعتاس والفضل والمراد بايتاء داود بعض الزبور او
بعضا من الزبور فيه ذكر الرسول قل ادعوا الذين زعمتم انها آلهة من دونه كالملائكة
والمسيح وعزير فلا يملكون كشف الضر عنكم كالمرض والفقر والقحط
ولا تحويلا ولا تحويل ذلك منكم الى غيركم اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة
هؤلاء الآلهة يبتغون الى الله القربة بالطاعة ايهم اقرب بدل من واو يبتغون اى يبتغي
من هو اقرب منهما الى الله الوسيلة فكيف بغير الاقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه
كسائر العباد فكيف تزعمون انهم آلهة ان عذاب ربك كان محذورا حقيقا بان يحذره
كل احد حتى الرسل والملائكة وان من قرية الا نحن مهلكوها قبل يوم القيمة بالموت والاستيصال
او معذبوها عذابا شديدا بالقتل وانواع البلية كان ذلك في الكتاب في اللوح المحفوظ مسطورا
مكتوبا وما منعنا ان نرسل بالآيات وما صرفنا عن ارسال الآيات التي اقترحتها قريش الا ان كذب
بها الاولون الا تكذيب الاولين الذين هم امثالهم في الطبع كعاد وثمود وانها لو
ارسلت لكذبوا بها تكذيب اولئك واستوجبوا الاستيصال على ما مضت به سنتنا
وقد قضينا ان لا نستأصلهم لان فيهم من يؤمن او يلد من يؤمن ثم ذكر بعض الامم الهالكة
بتكذيب الآيات المقترحة فقال وآتينا ثمود الناقة بسؤالهم مبصرة بينة ذات ابصار
او بصائر او جاء عليهم ذوي بصائر وقرئ بالفتح فظلموا بها فكفروا بها او فظلموا انفسهم
بسبب عقرها وما نرسل بالآيات اى الآيات المقترحة الا تخويفا من نزول العذاب المستأصل
فان لم تخافوا فانزل او بغير المقترحة كالمعجزات وآيات القرآن الا تخويفا بعذاب الآخرة فان امر
من بعثت اليهم مؤخر الى يوم القيامة والباء مزيدة او في موقع الحال والمفعول محذوف
واذ قلنا لك واذكر اذ اوحينا اليك ان ربك احاط بالناس فهم في قبضة
قدرته او احاط بقريش بمعنى اهلكهم من احاط بهم العدو فهو بشارة بوقعة بدر والتعبير

بلفظ الماضى لتحقق وقوعه **وما جعلنا الرؤيا التى اريناك** ليلة المعراج وتعلق به من قال انه كان فى المنام ومن قال انه كان فى اليقظة فسّر الرؤيا بالرؤية او عام الحديبية حين رأى انه دخل مكة وفيه ما ينافى ان الآية مكية الا ان يقال اراها بمكة وحكاها حينئذ ولعله الرؤيا آراها فى وقعة بدر لقوله اذ يريكهم الله فى منامك قليلا ولما روى انه لما ورد ماء بدر قال لكانى انظر الى مصارع القوم هذا مصرع فلان هذا مصرع فلان فتسامعت به قريش واستخر وا منه وقيل رأى قوما من بنى امية يرقون منبره وينزون عليه نز والقرد فقال هو حظهم من الدنيا يعطونهم باسلامهم وعلى هذا كان المراد بقوله **الا فتنة للناس** ما حدث فى ايامهم **والشجرة الملعونة فى القرآن** عطف على الرؤيا وهى شجرة الزقوم لما سمع المشركون ذكرها قالوا ان محمدا يزعم ان الجحيم تحرق الحجارة ثم يقول ينبت فيها الشجر ولم يعلموا ان من قدر ان يجعل فى النار التى هى اشد حرا من نار الدنيا كالها النار واحناء النعامة من اذى الجمر وقطع الحديد المحماة الحمر التى تبتلعها قدر ان يخلق فى النار شجرة لا تحرقها ولعنها فى القرآن لعن طاعميها وصفت به على المجاز للمبالغة او وصفها بانها فى اصل الجحيم فانه ابعد مكان من الرحمة او بانها مكروهة موذية من قولهم طعام ملعون لما كان ضارا وقد اوتيت بالشيطان وابا جهل والحكم بن ابى العاص وقرئت بالرفع على الابتداء والخبر محذوف اى والشجرة الملعونة فى القرآن كذلك **ونخوفهم** بانواع التخويف **فما يزيدهم الا طغيانا كبيرا** الا عتوا متجاوزا الحد **واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس قال ءاسجد لمن خلقت طينا** من طين فنصب بنزع الخافض ويجوز ان يكون حالا من الراجع الى الموصول اى خلقته وهو طين او منه اى اسجد له واصله طين وفيه على الوجوه ايماء بعلة الانكار **قال ارءيتك هذا الذى كرمت على** الكاف لتاكيد الخطاب لا محل له من الاعراب وهذا مفعول اول والذى صفته والمفعول الثانى محذوف لدلالة صلته عليه والمعنى اخبرنى عن هذا الذى كرمته على لم كرمته على **لئن اخرتن الى يوم القيامة** كلام مبتدا والام موطئة للقسم وجوابه **لاحتنكن ذريته الا قليلا** لاستاصلنهم بالاغواء الا قليلا لا قدرن اقاوم كينتهم من احتنك الجراد الارض اذا جرد ما عليها اكلا ماخوذا من الحنك

وانما

وفيه ان الاية مدنية

التى

وانما علم ان ذلك يتسهل له استنباطا من قول الملائكة اتجعل فيها من يفسد فيها مع التقرير او تفرسا من خلقه ذا شهوة ووهم وغضب **قال اذهب** امض لما قصدته وهو طرد وتخلية بينه وبين ما سولت له نفسه **فمن تبعك منهم فان جهنم جزاؤكم** جزاءك وجزاءهم فغلب المخاطب على الغائب ويجوز ان يكون الخطاب للتابعين على الالتفات **جزاء موفورا** اكملا من قولهم فر لصاحبك عرضه وانتصاب جزاء على المصدر باضمار فعله او على انه حال موطئة لقوله موفورا **واستفزز** واستخف **من استطعت منهم** ان تستفزه والفز الخفيف **بصوتك** بدعائك الى الفساد **واجلب عليهم** وصح عليهم من الجلبة وهى الصياح **بخيلك ورجلك** باعوانك من راكب وراجل والخيل الخيالة ومنه قوله عليه السلم يا خيل الله اركبى والرجل اسم جمع للراجل كالصحب والركب ويجوز ان يكون تمثيلا لتسلطه على من يغويه بمغاوير صوت على قوم فاستفزهم من اماكنهم واجلب عليهم بجنده حتى استاصلهم وقرأ حفص رجلك بالكسر وقرئ بالضم وهما لغتان كنديس وندس ومعناه وجمعك الرجل **وشاركهم فى الاموال** بحملهم على كسبها وجمعها من الحرام والتصرف فيها على ما لا ينبغى **والاولاد** بالحث على التوصل الى الولد بالسبب المحرم والاشراك فيه بالتسمية عبد العزى والتضليل على الاديان الزائغة والحرف الذميمة والافعال القبيحة **وعدهم** المواعيد الباطلة كشفاعة الآلهة والاتكال على كرامة الآباء وتاخير التوبة لطول الامل **وما يعدهم الشيطان الا غرورا** اعتراض لبيان مواعيده والغرور تزيين الخطاء بما يوهم انه صواب **ان عبادى** يعنى المخلصين وتعظيم الاضافة والتقييد فى قوله الا عبادك منهم المخلصين يخصصهم **ليس لك عليهم سلطان** اى على اغوائهم قدرة **وكفى بربك وكيلا** يتوكلون به فى الاستعاذة منك على الحقيقة **ربكم الذى يزجى** هو الذى يزجى **لكم الفلك فى البحر لتبتغوا من فضله** الربح وانواع الامتعة التى لا تكون عندكم **انه كان بكم رحيما** حيث هياء لكم ما تحتاجون اليه وسهل عليكم ما يعسر من اسبابه **واذا مسكم الضر فى البحر** خوف الغرق **ضل من تدعون** ذهب عن خواطركم كل من تدعونه فى حوادثكم **الا اياه** وحده فانكم حينئذ لا يخطر ببالكم

عاد الى وصف المشركين وما فعلوه من الشرك بعد ما عدد عليهم انواع النعم وانواع الدلائل التى توجب عليهم الاقبال على التوحيد والاخلاص

سواه ولا تدعون لكشفه الا اياه او ضل كل من يعبدونه عن اغاثتكم الا الله فلما نجيكم
من الغرق الى البر اعرضتم عن التوحيد وقيل اتسعتم في كفران النعمة كقول ذي الرمة
عطاء فتى تمكن في المعالي فاعرض في المكارم واستطالا وكان الانسان كفورا كالتعليل للاعراض
افامنتم الهمزة فيه للانكار والفاء للعطف على محذوف تقديره انجوتم فامنتم فحملكم
ذلك على الاعراض فان من قدر ان يهلككم في البحر بالغرق قدر ان يهلكم في البر بالخسف
وغيره ان يخسف بكم جانب البر ان يقلبه الله وانتم عليه او ان يقلبه بسببكم وبكم حال او صلة للخسف
وقرا ابن كثير وابو عمرو بالنون فيه وفي الاربعة التي بعده وفي ذكر الجانب تنبيه على
انهم كما وصلوا الساحل كفروا واعرضوا وان الجوانب والجهات في قدرته سواء لا معقل
يؤمن فيه من اسباب الهلاك او يرسل عليكم حاصبا ريحا تحصب اي ترمي بالحصباء ثم لا
تجدوا لكم وكيلا يحفظكم من ذلك فانه لا راد لفعله ام امنتم ان يعيدكم فيه في البحر تارة
اخرى بخلق دواعي تلجئكم الى ان ترجعوا فتركبوه فيرسل عليكم قاصفا من الريح لا تمر بشيء الا قصفته
اي كسرته فيغرقكم وعن يعقوب بالتاء على اسناده الى ضمير الريح بما كفرتم بسبب اشراككم
او كفرانكم نعمة الانجاء ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا مطالبا يتبعنا بانتصار او صرف ولقد
كرمنا بني آدم بحسن الصورة والمزاج الاعدل واعتدال القامة والتميز بالعقل والافهام
بالنطق والاشارة والخط والتهدي الى اسباب المعاشرة والمعاد والتسلط على ما في الارض
والتمكين من الصناعات وانسياق الاسباب والمسببات العلوية والسفلية الى ما يعود
عليهم بالمنافع الى غير ذلك مما يقف الحصر دون احصائه ومن ذلك ما ذكره ابن عباس
وهو ان كل حيوان يتناول طعامه بفيه الا الانسان فانه يرفعه اليه بيده وحملناهم
في البر والبحر على الدواب والسفن من حملته حملا اذا جعلت له ما يركبه او حملناهم
فيهما حتى لم يخسف بهم الارض ولم يغرقهم الماء ورزقناهم من الطيبات المستلذات
مما يحصل بفعلهم وبغير فعلهم وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا بالغلبة والاستيلاء او
بالشرف والكرامة والمستثنى جنس الملائكة او الخواص منهم ولا يلزم من عدم تفضيل
الجنس عدم تفضيل بعض افراده والمسئلة موضع نظر وقد اول الكثير بالكل وفيه تعسف

يوم

يوم ندعو نصب باضمار اذكر او ظرف لما دل عليه ولا يظلمون وقرئ يدعو ويدعى ويدعو
على قلب الالف واوا في لغة من يقول افعوا وعلى ان الواو علامة الجمع كما في قوله واسروا
النجوى الذين ظلموا او ضميره وكل بدل منه والنون محذوفة لقلة المبالات بها فانها
ليست الا علامة الرفع وهو قد يقدر كما في يدعى كل اناس بامامهم بمن ائتموا به من نبي
او مقدم في الدين او كتاب او دين وقيل بكتاب اعمالهم التي قدموها فيقال يا صاحب كتاب
كذا اي ينقطع علقة الانساب ويبقى نسبة الاعمال وقيل بالقوى الحاملة لهم على عقائدهم
وافعالهم وقيل بامهاتهم جمع ام كخف وخفاف والحكمة في ذلك اجلال عيسى عليه السلام
واظهار شرف الحسن والحسين رضي الله عنهما وان لا يفتضح اولاد الزنا فمن اوتي من المدعوين كتابه
بيمينه اي كتاب عمله فاولئك يقرؤن كتابهم ابتهاجا وتبجحا بما يرون فيه ولا يظلمون فتيلا ولا ينقصون
من اجورهم ادنى شيء وجمع اسم الاشارة والضمير لان من اوتي في معنى الجمع وتعليق القراءة
بايتاء الكتاب باليمين يدل على ان من اوتي كتابه بشماله اذا اطلع على ما فيه غشيهم من الخجل والحيرة
ما يحبس السنتهم عن القراءة ولذلك لم يذكرهم مع ان قوله ومن كان في هذه اعمى فهو في الآخرة اعمى
ايضا مشعر بذلك فان الاعمى لا يقرأ الكتاب والمعنى ومن كان في هذه الدنيا عمي القلب
لا يبصر رشده كان في الآخرة اعمى لا يرى طريق النجاة واضل سبيلا منه في الدنيا لزوال
الاستعداد وفقدان الآلة والمهلة وقيل لان الاهتداء بعد لا ينفعه والاعمى مستعار
من فاقد الحاسة وقيل الثاني للتفضيل من عمي بقلبه كالاجهل والابله ولذلك لم يمله
ابو عمرو ويعقوب فان افعل التفضيل تمامه بمن فكانت الفه في حكم المتوسط في اعمالكم
بخلاف النعت فان الفه واقعة في الطرف لفظا وحكما وكانت معرضة للامالة من حيث انها
تصير ياء في التثنية وقد امالهما حمزة والكسائي وابو بكر وقرأ ورش بين بين فيهما
وان كادوا ليفتنونك نزلت في ثقيف قالوا لا ندخل في امرك حتى تعطينا خصالا نفتخر
بها على العرب لا نعشر ولا نحشر ولا نجبي في صلوتنا وكل ربوا لنا فهو لنا وكل ربوا
علينا فهو موضوع عنا وان تمتعنا باللات سنة وان تحرم وادينا كما حرمت مكة فان قالت
العرب لم فعلت ذلك فقل ان الله امرني وقيل في قريش قالوا لا نمكنك من استلام الحجر

التجبية بالجيم الانحناء

حتى تلم بآلهتنا وتمسها بيدك وان هي المخففة واللام هي الفارقة والمعنى ان الشأن
قاربوا بمبالغتهم ان يوقعوك في الفتنة بالاستنزال عن الذي اوحينا اليك من الاحكام
لتفتري علينا غيره غير ما اوحينا اليك واذا لاتخذوك خليلا ولو اتبعت مرادهم
لاتخذوك بافتتانك وليا لهم بريا من ولايتي ولولا ان ثبتناك بالعصمة ولولا تثبيتنا اياك
لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا لقاربت ان تميل الى اتباع مرادهم والمعنى انك
كنت على صدد الركون اليهم لقوة خدعهم وشدة احتيالهم لكن ادركتك عصمتنا
فمنعت ان تقرب من الركون فضلا من ان تركن اليه وهو صريح في انه عليه السلم ما هم
باجابتهم مع قوة الداعي اليها ودليل على ان العصمة بتوفيق الله وحفظه اذا لاذقناك
اي لو قاربت لاذقناك ضعف الحيوة وضعف الممات اي عذاب الدنيا وعذاب الآخرة
ضعف ما نعذب به في الدارين بمثل هذا الفعل غيرك لان خطأ الخطير اخطر وكان اصل الكلام
عذابا ضعفا في الحيوة وعذابا ضعفا في المماة بمعنى مضاعفا ثم حذف الموصوف واقيمت
الصفة مقامه ثم اضيفت كما يضاف موصوفها وقيل الضعف من اسماء العذاب
وقيل المراد بضعف الحيوة عذاب الآخرة وبضعف المماة عذاب القبر ثم لا تجد لك
علينا نصيرا يدفع العذاب عنك وان كادوا وان كاد اهل مكة ليستفزونك ليزعجونك
بمعاداتهم من الارض ارض مكة ليخرجوك منها واذا لا يلبثون خلفك ولو خرجت لا
يبقون بعد خروجك الا قليلا الا زمانا قليلا وقد كان كذلك فانهم اهلكوا
ببدر بعد هجرته وقيل الآية نزلت في اليهود حسدوا مقام النبي بالمدينة فقالوا
الشام مقام الانبياء فان كنت نبيا فالحق بها حتى نؤمن بك فوقع ذلك في قلبه فخرج
مرحلة فنزلت فرجع ثم قتل منهم بنو قريظة واجلى بنو النضير بقليل وقرئ لا يلبثوا
منصوبا باذن على انه معطوف على جملة قوله وان كادوا ليستفزونك لا على خبر كاد فان اذن
لا تعمل اذا كان معتمدا ما بعدها على ما قبلها وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي ويعقوب
وحفص خلافك وهو لغة فيه قال عفت الديار خلافهم فكانما بسط الشواطب
بينهن حصيرا سنة من قد ارسلنا قبلك من رسلنا نصب على المصدر اي سن الله ذلك سنة

الشواطب جمع شاطبة وهي التي تشق الجريد للحصير

وهوان

وهو ان يهلك كل امة اخرجوا رسولهم من بين اظهرهم فالسنة لله واضافتها
الى الرسل لانها من اجلهم ويدل عليه ولا تجد لسنتنا تحويلا اي تغييرا اقم الصلوة
لدلوك الشمس لزوالها ويدل عليه قوله عليه السلم اتاني جبرئيل لدلوك الشمس حين
زالت فصلى بي الظهر وقيل لغروبها واصل التركيب للانتقال ومنه الدلك فان الدالك
لا يستقر يده وكذا ما تركب من الدال واللام كدلج ودلج ودلع ودلف ودله وقيل
الدلوك من الدلك لان الناظر اليها يدلك عينه ليدفع شعاعها واللام للتاقيت
مثلها في لثلث خلون الى غسق الليل الى ظلمته وهو وقت صلوة العشاء الاخيرة
وقرآن الفجر وصلوة الصبح سميت قرانا لانه ركنه كما سميت ركوعا وسجودا واستدل به
على وجوب القراءة فيها ولا دليل فيه لجواز ان يكون التجوز لكونها مندوبة فيها نعم
لو فسر بالقراءة في صلوة الفجر دل الامر باقامتها على الوجوب فيها نصا وفي غيرها قياسا
ان قرآن الفجر كان مشهودا يشهده ملائكة الليل وملائكة النهار او شواهد القدرة من
تبدل الظلمة بالضياء والنوم الذي هو اخ الموت بالانتباه او كثير من المصلين او من حقه
ان يشهده الجم الغفير والآية جامعة للصلوات الخمس ان فسر الدلوك بالزوال ولصلوات
الليل وحدها ان فسر بالغروب وقيل المراد بالصلوة صلوة المغرب وقوله لدلوك الشمس
الى غسق الليل بيان لمبدا الوقت ومنتهاه واستدل به على ان الوقت يمتد الى غروب
الشفق ومن الليل فتهجد به وبعض الليل فاترك الهجود للصلوة والضمير
للقرآن نافلة لك فريضة زائدة على الصلوات المفروضة او فضيلة لك لا
اختصاص وجوبه بك عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا مقاما يحمده القائم فيه وكل من عرفه
وهو مطلق في كل مقام يتضمن كرامة والمشهور انه مقام الشفاعة لما روي عن
ابي هريرة انه عليه السلم قال هو المقام الذي اشفع فيه لامتي ولاشعاره بان الناس
يحمدونه لقيامه فيه وما ذاك الا مقام الشفاعة وانتصابه على الظرف باضمار فعله اي
فيقيمك مقاما او بتضمين يبعثك معناه او الحال بمعنى ان يبعثك ذا مقام وقل
رب ادخلني اي في القبر مدخل صدق ادخالا مرضيا واخرجني اي منه عند البعث

والاختصاص لكون القراءة فيها اطول

ينزل هولاء ويصعد هولاء فهو في اخر ديوان الليل واول ديوان النهار

محمودا

لامتي

مخرج صدق اخراجا ملقى بالكرامة وقيل المراد ادخالى المدينة والاخراج من مكة
وقيل ادخاله مكة ظاهرا عليها واخراجه منها آمنا من المشركين وقيل ادخالى الغار
واخراجه منه سالما وقيل ادخال فيما حمله من اعباء الرسالة واخراجه مؤديا حقه
وقيل ادخاله فى كل ما يلابسه من مكان او امر واخراجه منه وقرئ مدخل ومخرج
بالفتح على معنى ادخلنى فادخل دخولا واخرجنى فاخرج خروجا واجعل لى من لدنك سلطانا
نصيرا حجة تنصرنى على من خالفنى وملكا يضر الاسلام على الكفر فاستجاب الله له
بقوله فان حزب الله هم الغالبون ليظهره على الدين كله ليستخلفنهم فى الارض وقل
جاء الحق الاسلام وزهق الباطل وذهب وهلك الشرك من زهق روحه اذا خرج
ان الباطل كان زهوقا مضمحلا غير ثابت عن ابن مسعود دخل عليه السلم مكة
يوم الفتح وفيها ثلثمائة وستون صنما فجعل ينكت بمخصرة فى عين واحد واحد منها
فيقول جاء الحق وزهق الباطل فينكبت لوجهه حتى القى جميعها وبقى صنم خزاعة
فوق الكعبة وكان من صفر فقال يا على ارم به فصعد فرمى به فكسره وننزل من
القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ما هو فى تقويم دينهم واستصلاح نفوسهم كالدواء
الناجع فى المرض ومن للبيان فان كله كذلك وقيل انه للتبعيض والمعنى ان منه ما
يشفى من المرض كالفاتحة وآيات الشفاء وقرأ البصريان ننزل بالتخفيف ولا يزيد الظالمين
الا خسارا لتكذيبهم وكفرهم به واذا انعمنا على الانسان بالصحة والسعة اعرض
عن ذكر الله ونأى بجانبه لوى عطفه وبعد بنفسه عنه كانه مستغن مستبد
بامره ويجوز ان يكون كناية عن الاستكبار لانه من عادة المستكبرين وقرأ ابن عامر برواية
ابن ذكوان هنا وفى فصلت وناء على القلب او على انه بمعنى نهض وأما الكسائى فخلف
فتحة النون والهمزة هنا واخلص فتحها هناك وورش على اصله فى ذوات الياء
واذا مسه الشر من مرض وفقر كان يؤسا شديد اليأس من روح الله قل كل
يعمل على شاكلته قل كل احد يعمل على طريقته التى تشاكل حاله فى الهدى والضلالة او جوهر
روحه واحواله التابعة لمزاج بدنه فربكم اعلم بمن هو اهدى سبيلا اسد طريقا وابين منهجا

وقد فسرت

وقد فترت الشاكلة بالطبيعة والعادة والدين ويسئلونك عن الروح الذى يحيى به بدن
الانسان ويدبر قل الروح من امر ربى من ابداعيات الكائنة بكن من غير مادة وتولد
من اصل كاعضاء جسده او وجد بامر ربى وحدث بتكوينه على السؤال من قدمه وحدوثه
وقيل مما استأثر الله بعلمه لما روى ان اليهود قالوا لقريش سلوه عن اصحاب الكهف وعن ذى
القرنين وعن الروح فان اجاب عنها او سكت فليس بنبى وان اجاب عن بعض وسكت
عن بعض فهو نبى فبين لهم قصتين وأنبأهم عما سألوا عنه وهو منهم فى التوراة وقيل الروح
جبريل وقيل خلق اعظم من الملك وقيل القرآن ومن امر ربى معناه من وحيه
وما اوتيتم من العلم الا قليلا تستفيدونه بتوسط حواسكم فان اكتساب العقل للمعارف
النظرية انما هو من الضروريات المستفادة من احساس الجزئيات ولذلك قيل من فقد
حسا فقد علما ولعل اكثر الاشياء لا يدركه الحس ولا شيا من احواله المعرفة لذاته وهو
اشارة الى ان الروح مما لا يمكن معرفة ذاته الا بعوارض تميزه عما يلتبس به فلذلك اقتصر على
هذا الجواب كما اقتصر موسى فى جواب ومارب العالمين بذكر بعض صفاته روى انه عليه السلم
لما قال لهم ذلك قالوا انحن نختصون بهذا الخطاب فقال بل انحن وانتم فقالوا وما اعجب
شانك ساعة تقول ومن يؤت الحكمة فقد اوتى خيرا كثيرا وساعة تقول هذا فنزلت
ولو ان ما فى الارض من شجرة اقلام وما قالوه لسوء فهمهم لان الحكمة الانسانية ان يعلم
من الحق والخير ما يسعه القوة البشرية بل ما ينتظم به معاشه ومعاده وهو بالاضافة
الى معلومات الله التى لا نهاية لها قليل ينال به خير الدارين وهو بالاضافة اليه كثير ولئن شئنا
لنذهبن بالذى اوحينا اليك اللام الاولى موطئة للقسم ولنذهبن جوابه النائب
مناب جزاء الشرط والمعنى ان شئنا ذهبنا بالقرآن ومحوناه عن المصاحف والصدور
ثم لا تجد لك به علينا وكيلا من يتوكل علينا استرداده مسطورا محفوظا الا رحمة من ربك
فانها ان ما لانك فلعلها تسترده عليك ويجوز ان يكون استثناء منقطعا بمعنى ولكن رحمة
من ربك تركته غير مذهوب به فيكون امتنانا بابقائه بعد المنة فى تنزيله ان فضله كان
عليك كبيرا كارساله وانزال الكتاب عليه وابقائه فى حفظه قل لئن اجتمعت الانس والجن

الاستئناف ببيان وكمال الفضل الكبير لله

وما قبل للغائب المبهوت كلما تعاد ترك وليوان ما فى الارض من شجرة اقلام
فليس بملسم بل ان سورة لقمان مكية وسورة البقرة مدنية
من آخر القرآن نزولا كما مر

على ان يأتوا بمثل هذا القرآن في البلاغة وحسن النظم وكمال المعنى لا يأتون بمثله
وفيهم العرب العرباء وارباب البيان واهل التحقيق وهو جواب قسم محذوف دل عليه
اللام الموطئة ولولا هي لكان جواب الشرط بلا جزم لكون الشرط ماضيا كقول زهير وان
اتاه خليل يوم مسئلة يقول لا غائب مالي ولا حرم ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ولو تظاهروا
على الاتيان به ولعله لم يذكر الملائكة لان اتيانهم بمثله لا يخرجه عن كونه معجزا ولانهم
كانوا وسايط في اتيانه ويجوز ان تكون الآية تقريرا لقوله ثم لا تجد لك به علينا وكيلا
ولقد صرفنا كررنا بوجوه مختلفة زيادة في التقرير والبيان للناس في هذا القرآن من
كل مثل من كل معنى هو كالمثل في غرابته ووقوعه موقعا في الانفس فابى اكثر الناس الا
كفورا الا جحودا وانما جاز ذلك ولم يجز ضربت الا زيدا لانه متأول بالنفي وقالوا لن نؤمن
لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا تعنتا واقتراحا بعد ما لزمتهم الحجة ببيان اعجاز القرآن
وانضمام غيره من المعجزات اليه وقرأ الكوفيون ويعقوب تفجر بالتخفيف والارض ارض مكة
والينبوع عين لا ينضب ماؤها يفعول من نبع الماء كيعبوب من عب الماء اذا زخر
او يكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الانهار خلالها تفجيرا او يكون لك بستان تشتمل
على ذلك او تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا يعنون قوله تعالى او نسقط عليهم كسفا من السماء
وهو كقطع لفظا ومعنى وقد سكنه ابن كثير وابو عمرو وحمزة والكسائي ويعقوب في
جميع القرآن الا في الروم وابن عامر الا في هذه السورة ونافع وابو بكر في غيرهما وحفص
فيما عدا الطور وهو اما مخفف من المفتوح كسدر وسدر او فعل بمعنى مفعول
كالطحن او تأتي بالله والملائكة قبيلا كفيلا بما تدعيه اي شاهدا على صحته ضامنا لدركه او مقابلا
كالعشير بمعنى المعاشر وهو حال من الله وحال الملائكة محذوفة لدلالتها عليها
كما حذف الخبر في قوله ومن بك امسى بالمدينة رحله فاني وقيار بها لغريب او جماعة
فيكون حالا من الملائكة او يكون لك بيت من زخرف من ذهب وقد روي به واصله
الزينة او ترقى في السماء في معارجها ولن نؤمن لرقيك وحده حتى تنزل علينا كتابا
نقرؤه وكان فيه تصديقك قل سبحان ربي تعجبا من اقتراحاتهم او تنزيها لله

مسغبة

من ان ياتي

من ان ياتي او يتحكم عليه او يشاركه احد في القدرة وقرأ ابن كثير وابن عامر قال سبحان
اي قال الرسول هل كنت الا بشرا كسائر الناس رسولا كسائر الرسل وكانوا لا يأتون قومهم
الا بما يظهر الله عليهم على ما يلائم حال قومهم ولم يكن امر الآيات اليهم ولا لهم ان يتحكموا على
الله حتى يتخيروها على هذا هو الجواب المجمل واما التفصيل فقد ذكر في آيات اخر كقوله ولو
نزلنا عليك كتابا في قرطاس ولو فتحنا عليهم بابا وما منع الناس ان يؤمنوا اذ جاءهم الهدى
اي وما منعهم الايمان بعد نزول الوحي وظهور الحق الا ان قالوا ابعث الله بشرا رسولا
الا قولهم هذا والمعنى انه لم يبق لهم شبهة تمنعهم عن الايمان بمحمد والقرآن الا انكارهم
ان يرسل الله بشرا قل جوابا لشبهتهم لو كان في الارض ملائكة يمشون كما يمشي بنو آدم مطمئنين
ساكنين فيها لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا لتمكنهم من الاجتماع به والتلقي منه واما الانس
فعامتهم عماة عن ادراك الملك والتلقف منه فان ذلك مشروط بنوع من التناسب والتجانس
وملكا يحتمل ان يكون حالا من رسولا وان يكون موصوفا به وكذلك بشرا والاول اوفق قل كفى
بالله شهيدا بيني وبينكم على اني رسول الله اليكم باظهاره المعجز على وفق دعواي او
على اني بلغت ما ارسلت به اليكم وانكم عاندتم وشهيدا نصب على الحال او التمييز انه كان
بعباده خبيرا بصيرا يعلم احوالهم الباطنة منها والظاهرة فيجازيهم عليه وفيه تسلية
للرسول وتهديد للكفار ومن يهد الله فهو المهتدي ومن يضلل يهدونه ونحشرهم يوم القيامة
على وجوههم يسحبون عليها او يمشون بها روي انه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم
كيف يمشون على وجوههم قال ان الذي امشاهم على اقدامهم قادر على ان يمشيهم
على وجوههم عميا وبكما وصما لا يبصرون ما يقر اعينهم ولا يسمعون ما يلذ مسامعهم
ولا ينطقون بما يقبل منهم لانهم في دنياهم لم يستبصروا بالآيات والعبر وتصاموا
عن استماع الحق وابوا ان ينطقوا بالصدق ويجوز ان يحشروا بعد الحساب من الموقف
الى النار مؤوفي القوى والحواس مأويهم جهنم كلما خبت سكن لهبها بان اكلت جلودهم
ولحومهم زدناهم سعيرا توقدا بان يبدل جلودهم ولحومهم فتعود ملتهبة مستعرة
بهم كانهم لما كذبوا بالاعادة بعد الافناء جزاهم الله بان لا يزالوا على الاعادة والافناء واليه

فلن تجد لهم اولياء من دونه

هم

كساق متلهبة

الآفة العاهة وقد انف الزرع على ما لم يسم فاعله اي اصابته آفة فهو مؤوف مثل معوف به

اشار بقوله ذلك جزاؤهم بانهم كفروا بآياتنا وقالوا ائذا كنا عظاما ورفاتا ائنا
لمبعوثون خلقا جديدا لان الاشارة الى ما تقدمه من عذابهم اولم يروا اولم يعلموا
ان الله الذى خلق السموات والارض قادر على ان يخلق مثلهم فانهم ليسوا اشد خلقا
منهن ولا الاعادة اصعب عليه من الابداء وجعل لهم اجلا لا ريب فيه هو الموت او القيامة
فابى الظالمون مع وضوح الحق الا كفورا الا جحودا قل لو انتم تملكون خزاين رحمة ربى
خزائن رزقه وسائر نعمه وانتم مرفوع بفعل يفسره ما بعده كقول حاتم لو ذات سوار لطمتنى
وفائدة هذا الحذف والتفسير المبالغة مع الايجاز والدلالة على الاختصاص اذا لامسكتم
خشية الانفاق لبخلتم مخافة النفاد بالانفاق اذ لا احد الا ويختار النفع لنفسه ولو آثر
غيره بشئ فانما يؤثره لعوض يفوقه فهو اذن بخيل بالاضافة الى جود الله تعالى وكرمه هذا
وان البخلاء اغلب فيهم وكان الانسان قتورا بخيلا لان بناء امره على الحاجة والضنة
بما يحتاج اليه وملاحظة العوض فيما يبذل ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات
هى العصا واليد والجراد والقمل والضفادع والدم وانفجار الماء من الحجر وانفلاق البحر ونتق
الطور على بنى اسرائيل وقيل الطوفان والسنون ونقص الثمرات مكان الثلاث الاخيرة
وعن صفوان ان يهوديا سأل النبى عليه السلم عنها فقال ان لا تشركوا بالله شيئا ولا تسرقوا
ولا تزنوا ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق ولا تسحروا ولا تأكلوا الربوا ولا تمشوا
ببرئ الى ذى سلطان ليقتله ولا تقذفوا محصنة ولا تفروا من الزحف وعليكم خاصة
اليهود ان لا تعدوا يوم السبت فقبل اليهودى يده ورجله فعلى هذا المراد بالآيات الاحكام
العامة للملل الثابتة فى كل الشرايع سميت بذلك لانها تدل على حال من يتعاطى متعلقها
فى الآخرة من السعادة والشقاوة وقوله وعليكم اليهود خاصة ان لا تعتدوا حكم مستأنف
زائد على الجواب ولذلك غير فيه سياق الكلام فسئل بنى اسرائيل اذ جاءهم فقلنا له سلهم
من فرعون ليرسلهم معك او سلهم من حال دينهم ويؤيده قراءة رسول الله صلى الله
عليه وسلم فسأل على لفظ الماضى بغير همز وهو لغة قريش واذ متعلق بقلنا او سأل
على هذه القراءة او فسئل يا محمد بنى اسرائيل عما جرى بين موسى وفرعون اذ جاءهم

احوال

اوعن

او عن الآيات ليظهر للمشركين صدقك او لتتسلى نفسك او لتعلم انه تعالى لو اتى
بما اقترحوا لاصروا على العناد والمكابرة كمن قبلهم او ليزداد يقينك لان تظاهر الادلة
يوجب قوة اليقين وطمانينة القلب وعلى هذا كان اذ نصبا بآتينا او باضمار يخبروك
على انه جواب الامر او باضمار اذكر على الاستيناف فقال له فرعون انى لاظنك يا موسى مسحورا
سحرت فتخبط عقلك قال لقد علمت يا فرعون وقرأ الكسائى بالضم على اخباره
عن نفسه ما انزل هؤلاء يعنى الآيات الا رب السموات والارض بصائر بينات تبصرك
صدقى ولكنك تعاند وانتصابه على الحال وانى لاظنك يا فرعون مثبورا مصروفا
عن الخير مطبوعا على الشر من قولهم ما ثبرك عن هذا اى ما صرفك او هالكا قارع ظنه
بظنه وشتان ما بين الظنين فان ظن فرعون كذب بحت وظن موسى يحوم حول اليقين
من تظاهر اماراته وقرئ وان اخالك يا فرعون لمثبورا على ان المخففة واللام الفارقة
فاراد فرعون ان يستفزهم ان يستخف موسى وقومه وينفيهم من الارض ارض مصر
او الارض مطلقا بالقتل والاستيصال فاغرقناه ومن معه جميعا فعكسنا عليه مكره
فاستفززناه وقومه بالاغراق وقلنا من بعده من بعد فرعون واغراقه لبنى اسرائيل
اسكنوا الارض التى اراد ان يستفزكم منها فاذا جاء وعد الآخرة الكرة او الحيوة
او الساعة او الدار الآخرة يعنى قيام القيامة جئنا بكم لفيفا مختلطين اياكم واياهم
ثم نحكم بينكم ونميز سعداءكم من اشقيائكم واللفيف الجماعات من قبائل شتى وبالحق
انزلناه وبالحق نزل اى وما انزلنا القرآن الا ملتبسا بالحق المقتضى لانزاله وما نزل الا ملتبسا
بالحق الذى اشتمل عليه وقيل وما انزلناه من السماء الا محفوظا بالرصد من الملائكة
وما نزل على الرسول الا محفوظا بهم من تخليط الشياطين ولعله اراد به نفى اعتراء البطلان
له اول الامر وآخره وما ارسلناك الا مبشرا للمطيع بالثواب ونذيرا للعاصى من العقاب
فلا عليك الا التبشير والانذار وقرآنا فرقناه نزلناه مفرقا منجما وقيل فرقنا
فيه الحق من الباطل فحذف الجار كما فى قوله ويوما شهدناه وقرئ بالتشديد لكثرة نجومه
فانه نزل فى تضاعيف عشرين سنة لتقرأه على الناس على مكث على مهل وتؤدة فانه ايسر

للحفظ واعون في الفهم وقرئ بالفتح وهو لغة فيه ونزلناه تنزيلا على حسب الحوادث
قل آمنوا به او لا تؤمنوا فان ايمانكم بالقرآن لا يزيده كمالا وامتناعكم عنه لا يورثه نقصانا
وقوله ان الذين اوتوا العلم من قبله تعليل له اي ان لم تؤمنوا به فقد آمن به من هو خير منكم
وهم العلماء الذين قرؤا الكتب السابقة وعرفوا حقيقة الوحي وامارات النبوة وتمكنوا
من الميز بين المحق والمبطل او راوا نعتك وصفة ما انزل اليك في تلك الكتب ويجوز ان
يكون تعليلا لقل على سبيل التسلية كانه قيل تسل بايمان العلماء عن ايمان الجهلة ولا تكترث
بايمانهم واعراضهم اذا يتلى عليهم القرآن يخرون للاذقان سجدا يسقطون على وجوههم
تعظيما لامر الله او شكرا لانجازه وعده في تلك الكتب ببعثة محمد عليه السلم على فترة
من الرسل وانزال القرآن عليه ويقولون سبحان ربنا عن خلف الموعد ان كان وعد ربنا لمفعولا
انه كان وعده كائنا لا محالة ويخرون للاذقان يبكون كرره لاختلاف الحال او السبب فان الاول
للشكر وعند انجاز الوعد والثاني فيهم من مواعظ القرآن حال كونهم باكين من خشية الله
وذكر الذقن لانه اول ما يلقى الارض من وجه الساجد واللام فيه لاختصاص الخرور به
ويزيدهم سماع القرآن خشوعا كما يزيدهم علما ويقينا بالله قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن نزلت
حين سمع المشركون رسول الله يقول يا الله يا رحمن فقالوا انه ينهانا ان نعبد الهين وهو يدعو
الها آخر وقالت اليهود انك لتقل ذكر الرحمن وقد اكثره الله في التورية فالمراد على الاول
هو التسوية بين اللفظين بانهما مطلقان على ذات واحد وان اختلف اعتبار اطلاقهما
والتوحيد انما هو باعتبار الذات الذي هو المعبود وعلى الثاني انهما سيان في حسن الاطلاق
والافضاء الى المقصود وهذا جواب اي ما تدعو فله الاسماء الحسنى والدعاء في الآية بمعنى التسمية
وهو يتعدى الى مفعولين حذف اولهما استغناء عنه واو للتخيير والتنوين في ايا عوض
عن المضاف اليه وما صلة لتاكيد ما في اي من الابهام والضمير في له للمسمى لان التسمية له لا
للاسم وكان اصل الكلام ايا ما تدعو فهو حسن فوضع موضعه فله الاسماء الحسنى للمبالغة
والدلالة على ما هو الدليل عليه وكونها حسنى لدلالتها على صفات الجلال والاكرام ولا
تجهر بصلوتك بقراءة صلوتك حتى تسمع المشركين فان ذلك يحملهم على السب واللغو فيها

ولا

ولا تخافت بها بحيث لا تسمع من خلفك من المؤمنين وابتغ بين ذلك سبيلا بين الجهر
والمخافتة سبيلا وسطا فان الاقتصاد في جميع الامور محبوب روي ان ابا بكر كان يخفت
ويقول اناجي ربي وقد علم حاجتي وعمر كان يجهر ويقول اطرد الشيطان واوقظ الوسنان
فلما نزلت امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ابا بكر ان يرفع قليلا وعمر ان يخفض قليلا وقيل
معناه لا تجهر بصلاتك كلها ولا تخافت بها باسرها وابتغ بين ذلك سبيلا بالاخفات
نهارا والجهر ليلا وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك في الالوهية
ولم يكن له ولي من الذل ولي يواليه من اجل مذلة به ليدفعها بموالاته نفى عنه ان يكون له
ما يشاركه من جنسه ومن غير جنسه اختيارا او اضطرارا وما يعاونه ويقويه ورتب الحمد عليه
للدلالة على انه الذي يستحق جنس الحمد لانه كامل الذات المتفرد بالايجاد المنعم على الاطلاق وما
عداه ناقص مملوك نعمة او منعم عليه ولذلك عطف عليه قوله وكبره تكبيرا وفيه تنبيه
على ان العبد وان بالغ في التنزيه والتحميد واجتهد في العبادة والتمجيد ينبغي ان يعترف
بالقصور عن حقه في ذلك روي انه عليه السلام كان اذا افصح الغلام من بني عبد المطلب علمه
هذه الآية وعنه عليه السلم من قرأ سورة بني اسرائيل فرق قلبه عن ذكر الوالدين
كان له قنطار في الجنة والقنطار الف اوقية ومائتا اوقية

سورة الكهف

مكية وهي آيها مائة وعشرة آية بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب يعني القرآن رتب استحقاق الحمد على انزاله تنبيها
على انه اعظم نعمائه وذلك لانه الهادي الى ما فيه كمال العباد والداعي الى ما به ينتظم صلاح المعاش
والمعاد ولم يجعل له عوجا شيئا من العوج باختلال في اللفظ وتناف في المعنى او انحراف
من الدعوة الى جناب الحق وهو في المعاني كالعوج في الاعيان قيما مستقيما معتدلا لا افراط
فيه ولا تفريط او قيما بمصالح العباد فيكون وصفا له بالتكميل بعد وصفه بالكمال او على الكتب
السابقة تشهد بصحتها وانتصابه بمضمر تقديره جعله قيما او على الحال من الضمير في له
او من الكتاب على ان الواو في ولم يجعل للحال دون العطف اذ لو كان للعطف كان المعطوف
فاصلا بين ابعاض المعطوف عليه ولذلك قيل فيه تقديم وتاخير وقرئ قيما لينذر

وهو القطع والمعنى انا لنعيد ما عليها من الزينة ترابا مستويا بالارض ونجعله
صعيدا املس لا نبات فيه ام حسبت بل احسبت ان اصحاب الكهف والرقيم
في ابقاء حيوتهم مدة مديدة كانوا من آياتنا عجبا وقصتهم بالاضافة الى خلق ما على
الارض من الاجناس والانواع الفائتة للحصر على طبايع متباعدة وهيئات متخالفة تعجب
الناظرين من مادة واحدة لم ترد ها اليها ليست بعجيب مع انه من آيات الله كالنزر الحقير
والكهف الغار الواسع في الجبل والرقيم اسم الجبل او الوادي الذي فيه كهفهم او اسم قريتهم
او كلبهم قال امية بن ابي الصلت وليس بها الا الرقيم مجاورا وراعي صيدهم والقوم في الكهف هجد
او لوح رصاصي او حجر رقمت فيه اسماؤهم وجعلت على باب الكهف وقيل اصحاب
الرقيم قوم آخرون كانوا ثلثة خرجوا يرتادون لاهلهم فاخذتهم السماء فاووا الى الكهف
فانحطت صخرة وسدت بابه فقال احدهم اذكروا ايكم عمل حسنة لعل الله يرحمنا ببركته
فقال واحد استعملت اجراء ذات يوم فجاء رجل وسط النهار وعمل في بقيته مثل عملهم
فاعطيته مثل اجرهم فغضب احدهم وترك اجره فوضعته في جانب البيت ثم تزلى
بقرة فاشتريت به فصيله فبلغت ما شاء الله فرجع الى بعد حين شيخا ضعيفا لا اعرفه
وقال لي ان لي عندك حقا وذكر حتى عرفته فدفعتها اليه جميعا اللهم ان كنت
فعلت ذلك لوجهك ففرج عنا فانصدع الجبل حتى راوا الضوء وقال الآخر كان في فضل
فاصابت الناس سنة فجاءتني امراة فطلبت مني معروفا فقلت والله ما هو دون نفسك
فابت وعادت ثم رجعت ثلثا ثم ذكرت لزوجها فقال اجيبي له واعيني عيالك فاتت
وسلمت نفسها فلما تكشفتها وهممت بها ارتعدت فقلت ما لك قالت اخاف الله
فقلت لها خفته في الشدة ولم اخفه في الرخاء فزكتها واعطيتها ملتمسها اللهم ان فعلته
لوجهك ففرج عنا فانصدع حتى تعارفوا وقال الثالث كان لي اجيران هما ان وكان لي غنم وكنت
اطعمهما واسقيهما ثم ارجع الى غنمي فجئتني ذات يوم غيث فلم ارح حتى امسيت فاتيت
اهلي واخذت محلبي فحلبت فيه ومضيت اليهما فوجدتهما نائمين فشق علي ان اوقظهما
فوقفت جالسا ومحلبي على يدي حتى ايقظهما الصبح فسقيتهما اللهم ان فعلته لوجهك

أسفا شديدا اى لينذر الذين كفروا عذابا شديدا فحذف المفعول الاول والاكتفاء
بدلالة القرينة واقتصارا على الغرض المسوق اليه من لدنه صادرا من عنده وقرأ ابو بكر
باسكان الدال واسكان الباء من سبع مع الاشمام ليدل على اصله وكسر النون لالتقاء
الساكنين وكسر الهاء للاتباع ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم اجرا
حسنا هو الجنة ماكثين فيه في الاجر ابدا بلا انقطاع وينذر الذين قالوا اتخذ الله
ولدا خصهم بالذكر وكرر الانذار متعلقا بهم استعظاما لكفرهم واعلاما بذكر المنذر به
استغناء بتقدم ذكره ما لهم به من علم اى بالولد وباتخاذه او بالقول والمعنى انهم يقولون
عن جهل مفرط وتوهم كاذب او تقليد لما سمعوه من اسلافهم الذين اراد ان يطفئ
فانهم كانوا يطلقون الاب والابن بمعنى المؤثر والاثر وبالله اذ لو علموه لما جوزوا
نسبة الاتخاذ اليه ولا لآبائهم الذين تقولوه يعني التبني كبرت كلمة عظمت
مقالتهم هذه في الكفر لما فيها من التشبيه والتشريك وايهام احتياجه تعالى الى ولد يعينه
ويخلفه الى غير ذلك من الزيغ وكلمة نصب على التمييز وقرئ بالرفع على الفاعلية والاول
ابلغ واد تخرج من افواههم صفة لها تفيد استعظام اجترائهم على انحرافها من افواههم
والخارج بالذات هو الحامل لها وقيل صفة محذوف هو المخصوص بالذم لان كبر
ههنا بمعنى بئس وقرئ كبرت بالسكون مع الاشمام ان يقولون الا كذبا فلعلك باخع
نفسك قاتلها على آثارهم اذ ولوا عن الايمان شبهه لما تداخله من الوجد على توليهم
عن فارقته اعزته فهو يتحسر على آثارهم ويبخع نفسه وجدا عليهم وقرئ باخع نفسك
على الاضافة ان لم يؤمنوا بهذا الحديث بهذا القرآن اسفا للتأسف عليهم او متأسفا
عليهم والاسف فرط الحزن والغضب وقرئ ان بالفتح على لان فلا يجوز اعمال الا اذا جعل
حكاية حال ماضية انا جعلنا ما على الارض من الحيوان والنبات والمعادن زينة لها
ولاهلها لنبلوهم ايهم احسن عملا في تعاطيه وهو من زهد فيه ولم يغتر به وقنع
منه بما ينجي به آيامه وصرفه على ما ينبغي وفيه تسكين لرسول الله صلى الله عليه وسلم
وانا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا ترهيد فيه والجرز الارض التي قطع نباتها من الجرز

وهو القطع

فافرج عنا ففرج الله عنهم فخرجوا وقد رفع ذلك نعمان بن بشير اذ اوى الفتية
الى الكهف يعني فتية من اشراف الروم ارادهم دقيانوس على الشرك فابوا وهربوا
الى الكهف فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة توجب لنا المغفرة والرزق والامن من العدو
وهيئ لنا من امرنا من الامر الذي نحن عليه من مفارقة الكفار رشدا نصير بسببه
راشدين مهتدين او اجعل امرنا كله رشدا كقولك رايت منك اسدا واصل التهيئة احداث
هيئة الشيء فضربنا على آذانهم اي ضربنا عليها حجابا يمنع السماع بمعنى انمناهم انامة
لا ينبههم فيها الاصوات فحذف المفعول كما حذف في قولهم بنى على امراته في الكهف سنين
ظرفان لضربنا عددا اي ذوات عدد ووصف السنين به يحتمل التكثير والتقليل فان مدة
لبثهم كبعض يوم عنده ثم بعثناهم ايقظناهم لنعلم ليتعلق علمنا تعلقا حاليا مطابقا
لتعلقه اولا تعلقا استقباليا اي الحزبين المختلفين منهم او من غيرهم في مدة لبثهم
احصى لما لبثوا امدا ضبط امدا لزمان لبثهم وما في اي من معنى الاستفهام علق عنه
لنعلم فهو مبتدا واحصى خبره وهو فعل ماض وامدا مفعوله ولما لبثوا حال منه او مفعول له
وقيل انه المفعول واللام مزيدة وما موصولة وامدا تمييز وقيل احصى اسم تفضيل من الاحصاء
بحذف الزوايد كقولهم هو احصى للمال وافلس من ابن المذلق وامدا نصب بفعل دل عليه
كقوله واضرب منا بالسيوف القوانسا نحن نقص عليك نبأهم بالحق بالصدق انهم
فتية شبان جمع فتى كصبي وصبية آمنوا بربهم وزدناهم هدى بالتثبت وربطنا
على قلوبهم وقويناها بالصبر على هجر الوطن والاهل والمال والجراة على اظهار الحق والرد
الى دقيانوس الجبار اذ قاموا بين يديه فقالوا ربنا رب السموات والارض لن ندعو
من دونه الها لقد قلنا اذا شططا والله لقد قلنا قولا ذا شطط اي ذا بعد عن الحق
مفرط في الظلم هؤلاء مبتدا قومنا عطف بيانه اتخذوا من دونه آلهة خبره وهو اخبار
في معنى انكار لولا يأتون هلا يأتون عليهم على عبادتهم بسلطان بين ببرهان ظاهر
فان الدين لا يؤخذ الا به وفيه دليل على ان ما لا دليل عليه من الديانات مردود وان
التقليد فيه غير جائز فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا بنسبة الشريك اليه واذ

اعتزلتموهم

واذ اعتزلتموهم خطاب بعضهم لبعض وما يعبدون الا الله عطف على الضمير
المنصوب اي واذ اعتزلتم القوم ومعبوديهم الا الله فانهم كانوا يعبدون الله ويعبدون
الاصنام كسائر المشركين ويجوز ان تكون ما مصدرية على تقدير واذ اعتزلتموهم وعبادتهم
الا عبادة الله وان تكون نافية على انه اخبار من الله تعالى عن الفتية بالتوحيد
معترض بين اذ وجوابه لتحقيق اعتزالهم فأووا الى الكهف ينشر لكم يبسط لكم
ويوسع عليكم ربكم من رحمته في الدارين ويهيئ لكم من امركم مرفقا
ما ترتفقون به اي تنتفعون وجزمهم بذلك لنصوع يقينهم وقوة وثوقهم بفضل الله
وقرا نافع وابن عامر مرفقا بفتح الميم وكسر الفاء وهو مصدر جاء شاذا كالمرجع
والمحيض فان قياسه بالفتح وترى الشمس لو رايتهم والخطاب لرسول الله او لكل احد
اذا طلعت تزاور عن كهفهم تميل عنه ولا يقع شعاعها عليهم فيؤذيهم لان الكهف
كان جنوبيا او لان الله تعالى زورها عنهم واصله تتزاور فادغمت التاء في الزاي وقرا الكوفيون
بحذفها وابن عامر ويعقوب تزور كتحمر وقرئ تزوار كتحمار وكلها من الزور بمعنى الميل
ذات اليمين جهة اليمين وحقيقتها الجهة ذات اسم اليمين واذا غربت تقرضهم تقطعهم
وتصرم عنهم ذات الشمال يعني يمين الكهف وشماله لقوله وهم في فجوة منه وهم
في متسع من الكهف يعني في وسطه بحيث ينالهم روح الهواء ولا يؤذيهم كرب الغار
ولا حر الشمس وذلك لان باب الكهف في مقابلة بنات النعش واقرب المشارق والمغارب
الى محاذاته مشرق راس السرطان ومغربه والشمس اذا كان مدارها مداره تطلع مائلة
عنه مقابلة لجانبه الايمن وهو الذي يلي المغرب وتغرب محاذية لجانبه الايسر فيقع شعاعها
على جنبتيه ويحلل عفونته ويعدل هواه ولا يقع عليهم فيؤذي اجسادهم ويبلي ثيابهم
ذلك من آيات الله اي شانهم او ايواؤهم الى كهف كذلك او اخبارك قصتهم او ازورار الشمس
وقرضها طالعة وغاربة من آياته من يهد الله بالتوفيق فهو المهتد اي الذي اصاب
الفلاح والمراد به اما الثناء عليهم او التنبيه على ان امثال هذه الآيات كثيرة ولكن المنتفع بها
من وفقه الله للتامل فيها والاستبصار بها ومن يضلل ومن يخذله فلن تجد له وليا

رشدا من يليه ويرشده وتحسبهم ايقاظا لانفتاح عيونهم او لكثرة تقلبهم وهم
رقود نيام وتقلبهم في رقدتهم ذات اليمين وذات الشمال كيلا تاكل الارض ما يليها
من ابدانهم على طول الزمان وقرئ وتقلبهم بالتاء والضمير لله تعالى وتقليبهم على المصدر
منصوبا بفعل يدل عليه وتحسبهم اى وترى تقلبهم وكلبهم هو كلب مروا به فتبعهم
فطردوه فانطلق الله تعالى فقال انا احب احباء الله فناموا وانا احرسكم او كلب راع
مروا به فتبعهم وتبعه الكلب ويؤيده قراءة من قرأ وكالبهم اى وصاحب كلبهم باسط
ذراعيه حكاية حال ماضية ولذلك اعمل اسم الفاعل بالوصيد بفناء الكهف وقيل
الوصيد الباب وقيل العتبة لو اطلعت عليهم فنظرت اليهم وقرئ لو اطلعت
بضم الواو لوليت منهم فرارا طردت منهم وفرارا يحتمل المصدر لانه نوع من التولية
والعلة والحال ولملئت منهم رعبا خوفا يملاء صدرك لما البسهم الله تعالى من الهيبة
او لعظم اجرامهم وانفتاح عيونهم وقيل لوحشة مكانهم وعن معاوية انه غزا
الروم فمر بالكهف فقال لو كشف لنا عن هؤلاء فنظرنا اليهم فقال له ابن عباس رض
ليس لك ذلك قد منع الله تعالى من هو خير منك فقال لو اطلعت عليهم لوليت منهم
فرارا فلم يسمع وبعثناهم ناسا فلما دخلوا جاءت ريح فاحمت فمهم وقراء الحجازيان لملئت
بالتشديد للمبالغة وابن عامر والكسائي رعبا بالتثقيل وكذلك بعثناهم
وكما انمناهم آية بعثناهم آية على كمال قدرتنا ليتساءلوا بينهم ليسال بعضهم بعضا
فيتعرفوا حالهم وما صنع الله بهم فيزدادوا يقينا على كمال قدرة الله ويستبصروا به امر البعث
ويتذكروا ما انعم به عليهم قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوما او بعض يوم بناء على غالب
ظنهم لان النائم لا يحس مدة نومه ولذلك احالوا العلم الى الله تعالى قالوا ربكم اعلم بما لبثتم
ويجوز ان يكون ذلك قول بعضهم وهذا اكثار الآخرين عليهم وقيل انهم دخلوا الكهف
غدوة وانتبهوا ظهيرة وظنوا انهم في يومهم او اليوم الذي بعده قالوا ذلك فلما نظروا الى
طول اظفارهم واشعارهم قالوا هذا ثم لما علموا ان الامر ملتبس لاطريق لهم الى علمه اخذوا فيما
يهمهم فقالوا فابعثوا احدكم بورقكم هذه الى المدينة الورق الفضة مضروبة كانت

ويعقوب

واقصى ما ينام الانسان يوم كامل

اوغيرها

اوغيرها وقرأ ابو عمرو وحمزة وابو بكر وروح عن يعقوب بالتخفيف وقرئ بالتثقيل
وادغام القاف في الكاف وبالتخفيف مكسور الواو ومدغما وغير مدغم وردا لمدغم
لالتقاء الساكنين على غير حده وحكمهم ادليل على ان التزود راى المتوكلين والمبينة
طرسوس فلينظر ايتها ازكى طعاما احل واطيب او اكثر وارخص وليا تكم
برزق منه وليتلطف وليتكلف اللطف في المعاملة حتى لا يغبن او في التخفي حتى لا يعرف
ولا يشعرن بكم احدا ولا يفعلن ما يؤدي الى الشعور انهم ان يظهروا عليكم ان يطلعوا
عليكم او يظفروا بكم والضمير للاهل المقدر في اتيها يرجموكم يقتلوكم بالرجم او يعيدوكم
في ملتهم او يصيروكم اليها كرها من العود بمعنى الصيرورة وقيل كانوا اولا على دينهم فآمنوا
ولن تفلحوا اذا ابدا ان دخلتم في ملتهم وكذلك اعثرنا عليهم واكما انمناهم
وبعثناهم ليزداد بصيرتهم اطلعنا عليهم ليعلموا ليعلم الذين اطلعنا هم على حالهم
ان وعد الله بالبعث والموعود الذي هو البعث حق لان نومهم وانتباههم
كحال من يموت ثم يبعث وان الساعة لا ريب فيها وان القيامة لا ريب في امكانها
فان من توفى نفوسهم وامسكها ثلثمائة سنين حافظا ابدانها عن التحلل والتفتت ثم
ارسلها اليها قدر ان يتوفى نفوس جميع الناس ممسكا اياها الى ان يحشر ابدانهم فيرد
عليها اذ يتنازعون ظرف لاعثرنا اى اعثرنا عليهم حين يتنازعون بينهم امر دينهم
وكان بعضهم يقول يبعث الارواح مجردة وبعضهم يقول يبعثان معا ليرتفع الخلاف
ويتبين انهما يبعثان معا او امر الفتية حين اماتهم الله بالموت فقال بعضهم ماتوا
وقال آخرون ناموا نومهم اول مرة او قالت طائفة نبني عليهم بنيانا يسكنه الناس
ويتخذونه قرية وقال آخرون لنتخذن عليهم مسجدا يصلى فيه كما قال الله تعالى فقالوا
ابنوا عليهم بنيانا ربهم اعلم بهم قال الذين غلبوا على امرهم لنتخذن عليهم
مسجدا وقوله ربهم اعلم بهم اعتراض اتى من الله ردا على الخائضين في امرهم من اولئك
المتنازعين او من المتنازعين فيهم على عهد الرسول ص او من المتنازعين للرد الى الله تعالى
بعد ما تذاكروا امرهم وتناقلوا الكلام في انسابهم واحوالهم فلم يتحقق لهم ذلك حكى

ثانيا

379

ان المبعوث لما دخل السوق واخرج الدرهم وكان على اسم دقيانوس اتهموه بانه وجد
كنزا فذهبوا به الى ملك المدينة وكان نصرانيا موحدا فقص عليهم القصص فقال
بعضهم ان آباءنا اخبرونا ان فتية فروا بدينهم من دقيانوس فلعلهم هؤلاء فانطلق
الملك واهل المدينة من مؤمن وكافر وابصروهم وكلموهم ثم قالت الفتية للملك
نستودعك الله ونعيذك به من شر الجن والانس ثم رجعوا الى مضاجعهم فماتوا
فدفنهم الملك في الكهف وبنى عليهم مسجدا وقيل لما انتهوا الى الكهف قال لهم
الفتى مكانكم حتى ادخل اولا لئلا يفزعوا فدخل فعمى عليهم المدخل فبنوا ثم مسجدا
سيقولون اى الخائضون في قصتهم في عهد الرسول عليه السلام من اهل الكتاب
والمؤمنين ثلثة رابعهم كلبهم اى هم ثلثة رجال يربعهم كلبهم بانضمامه اليهم
قيل هو قول اليهود وقيل قول السيد من نصارى نجران وكان يعقوبيا ويقولون
خمسة سادسهم كلبهم قاله النصارى العاقب منهم وكان نسطوريا رجما بالغيب
يرمون رميا بالخبر الخفي الذي لا مطلع لهم عليه واتيانا به اوظنا بالغيب من قولهم
رجم بالظن اذا ظن وانما لم يذكر بالتين اكتفاء بعطفه على ما هو فيه ويقولون
سبعة وثامنهم كلبهم انما قاله المسلمون باخبار الرسول لهم عن جبريل وايماء الله
اليه بان اتبعه قوله قل ربي اعلم بعدتهم ما يعلمهم الا قليل واتبع الاولين قوله
رجما بالغيب وبان اثبت العلم بهم لطائفة بعدها حصرا قول الطوائف في الثلثة
المذكورة فان علم ايراد رابع في نحو هذا المحل دليل العدم مع ان الاصل نفيه ثم رد
الاولين بان اتبعهما قوله رجما بالغيب ليتعين الثالث وبان ادخل فيه الواو على
الجملة الواقعة صفة للنكرة تنبيها لها بالواقعة حالا عن المعرفة لتاكيد
لصوق الصفة بالموصوف والدلالة على اتصافه بها امر ثابت وعن علي رضي الله عنه
هم سبعة وثامنهم كلبهم اسماؤهم يمليخا ومكشلينيا ومشلينيا هؤلاء اصحاب
يمين الملك ومرنوش ودبرنوش وشاذنوش اصحاب يسار وكان يستشيرهم
والسابع الراعي الذي وافقهم واسم كلبهم قطمير واسم مدينتهم افسوس وقيل

الاقوال الثلثة

الاقوال الثلثة لاهل الكتاب والقليل منهم فلا تمار فيهم الا مراء ظاهرا فلا تجادل
في شان الفتية الا جدالا ظاهرا غير متعمق فيه وهو ان تقص عليهم ما في القرآن
من غير تجهيل لهم والرد عليهم ولا تستفت فيهم منهم احدا ولا تسئل احدا منهم
عن قصتهم سوال مسترشد فان فيما اوحي اليك لمندوحة عن غيره مع انه لا علم لهم
بها ولا سوال متعنت تريد تفضيح المسؤل عنه وتزييف ما عنده فانه يخل بمكارم الاخلاق
ولا تقولن لشئ اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله نهي تاديب من الله لنبيه عليه السلام حين قالت
اليهود لقريش سلوه عن الروح واصحاب الكهف وذي القرنين فسالوه فقال ائتوني
غدا اخبركم ولم يستثن فابطأ عليه الوحي بضعة عشر يوما حتى شق عليه وكذبته
قريش والاستثناء من النهي اي ولا تقولن لاجل شئ تعزم عليه اني فاعله فيما يستقبل
الا بان يشاء الله اي الا ملتبسا بمشيته قائلا ان شاء الله او الا وقت ان يشاء
الله ان تقوله بمعنى ان ياذن لك فيه ولا يجوز تعليقه بفعل لان استثناء افتعال
المشية بالفعل غير سديد واعتراضها دونه لا يناسب النهي واذكر ربك مشية ربك
وقال ان شاء الله كما روي انه لما نزل قال عليه السلام ان شاء الله اذا فرط منك
نسيان لذلك ثم تذكرته وعن ابن عباس ولو بعد سنة ما لم يحنث ولذلك جوز
تاخير الاستثناء وعامة الفقهاء على خلافه لانه لو صح ذلك لم يتقرر اقرار ولا طلاق ولا عتاق
ولم يعلم صدق ولا كذب وليس في الاية والخبر ان الاستثناء المتدارك به من القول
السابق بل هو من مقدر مدلول عليه ويجوز ان يكون المعنى واذكر ربك بالتسبيح
والاستغفار اذا نسيت الاستثناء مبالغة في الحث عليه وعقابه اذا تركت بعض
ما امرك به ليبعثك على التدارك واذكره اذا اعتراك النسيان ليذكرك المنسي وقل
عسى ان يهديني ربي لاقرب من هذا رشدا لاقرب رشدا واظهر دلالة على انه نبي
من نباء اصحاب الكهف وقد هداه لاعظم قصص الانبياء المتباعدة عنه اياهم
والاخبار بالغيوب والحوادث النازلة في الاعصار المستقبلة الى قيام الساعة او لاقرب
رشدا واد في خيرا من المنسي ولبثوا في كهفهم ثلثمائة سنين وازدادوا تسعا

يعني لبثهم فيه احياء مضروبا على آذانهم وهو بيان لما اجمله قبل وقيل انه حكاية
كلام اهل الكتاب فانهم اختلفوا في مدة لبثهم كما اختلفوا في عدتهم فقال
بعضهم ثلثمائة وقال بعضهم ثلثمائة وتسع سنين وقرأ حمزة والكسائي ثلثمائة
سنين بالاضافة على وضع الجمع موضع الواحد ويحسنه ههنا ان علامة الجمع فيه
جبر لما حذف من الواحد وان الاصل في العدد اضافته الى الجمع ومن لم يضف أبدل السنين
من ثلث قل الله اعلم بما لبثوا له غيب السموات والارض له ما غاب فيها وخفي من احوال
اهلها فلا خلق يخفى عليه علما أبصر به واسمع ذكر بصيغة التعجب للدلالة على ان من
فالادراك خارج عما عليه ادراك السامعين والمبصرين اذ لا يجب به شيء ولا يتفاوت
دونه لطيف وكثيف وصغير وكبير وخفي وجلي والهاء يعود الى الله تعالى ومحله الرفع
على الفاعلية والباء مزيدة عند سيبويه وكان اصله ابصر اي صار ذا بصر ثم نقل
الى صيغة الامر بمعنى الانشاء فبرز الضمير لعدم لياقة الصيغة له او لزيادة الباء كما في قوله
وكفى به والنصب على المفعولية عند الاخفش والفاعل ضمير المأمور وهو كل احد والباء
مزيدة ان كانت الهمزة للتعدية ومعدية ان كانت للصيرورة ما لهم من دونه الضمير
لاهل السموات والارض من ولي من يتولى امورهم ولا يشرك في حكمه ومقضاه احدا
منهم ولا تجعل له فيه مدخلا وقرأ ابن عامر وقالون عن يعقوب بالتاء والجزم على
نهي كل احد من الاشراك لما دل اشتمال القرآن على قصة اصحاب الكهف من حيث
انها من المغيبات بالاضافة الى الرسول على انه وحي معجز امر بان يداوم دراسة ويلازم
اصحابه فقال واتل ما اوحي اليك من كتاب ربك من القرآن ولا تسمع لقولهم ائت بقرآن غير هذا
او بدله لا مبدل لكلماته لا احد يقدر على تبديلها وتغييرها غيره ولن تجد من دونه ملتحدا
ملتجأ تعدل اليه ان هممت به واصبر نفسك واحبسها وثبتها مع الذين يدعون ربهم
بالغداة والعشي في مجامع اوقاتهم او في طرفي النهار وقرأ ابن عامر بالغدوة وفيه
ان غدوة علم في الاكثر فيكون اللام فيه على تأويل التنكير يريدون وجهه رضا الله وطاعته
ولا تعد عيناك عنهم ولا تجاوزهم نظرك الى غيرهم وتعديته بعن لتضمينه معنى

وقرئ

وقرئ ولا تعد عيناك ولا تعدهم اعداه وعداه والمراد نهي الرسول ان يزدري بفقراء
المؤمنين ويعلو عينيه عن رثاثة زيهم طموحا الى طراوة زي الاغنياء تريد زينة الحيوة
الدنيا حال من الكاف في المشهورة ومن المستكن في الفعل في غيرها ولا تطع من اغفلنا
قلبه عن ذكرنا من جعلنا قلبه غافلا واتبع هواه كأمية بن خلف في دعائك الى طرد الفقراء
عن مجلسك لصناديد قريش وفيه تنبيه على ان الداعي الى هذا الاستدعاء غفلة قلبه
عن المعقولات وانهماكه في المحسوسات حتى خفي عليه ان الشرف تحلية النفس
لا تزيينة الجسد وانه لو اطاعه كان في الغباوة والمعتزلة لما غاظهم اسناد الاغفال
الى الله تعالى قالوا انه مثل اجبنته اذا وجدته كذلك ونسبته اليه او من اغفل ابله
اذا تركها بغير سمة اي لم نسمه بذكرنا كقلوب الذين كتبنا في قلوبهم الايمان واحتجوا
على ان المراد ليس ظاهره ما ذكرا ولا بقوله واتبع هواه وجوابه ما مر غير مرة وقرئ واغفلنا
باسناد الفعل الى القلب على معنى حسبنا قلبه غافلين عن ذكرنا اياه بالمواخذة وكان
أمره فرطا اي تقدما على الحق ونبذا له وراء ظهره يقال فرس فرط متقدم للخيل
ومنه الفرط وقل الحق من ربكم الحق ما يكون من جهة الله تعالى لا ما يقتضيه الهوى
ويجوز ان يكون الحق خبر محذوف ومن ربكم حالا فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر لا ابالي بايمان
من آمن وكفر من كفر وهو لا يقتضي استقلال العبد بفعله فانه وان كان بمشيته فمشيته
ليست بمشيئته انا اعتدنا للظالمين هيأنا نارا احاط بهم سرادقها فسطاطها شبه بما يحيط بهم
من النار وقيل السرادق الحجرة التي تكون حول الفسطاط وقيل سرادقها دخانها
وقيل حائط من النار وان يستغيثوا من العطش يغاثوا بماء كالمهل كالجسد المذاب وقيل
كدردي الزيت وهو على طريقة قوله فاعتبوا بالصيلم يشوي الوجوه اذا قدم ليشرب
من فرط حرارته وهو صفة ثانية لماء او حال من المهل والضمير في الكاف يئس الشراب المهل
وساءت النار مرتفقا متكأ واصل الارتفاق نصب المرفق تحت الخد وهو لقابلة
قوله وحسنت مرتفقا وآلا فلا ارتفاق لاهل النار ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات انا
لا نضيع اجر من احسن عملا خبر ان الاولى بما في حيزها والراجع محذوف تقديره

381

من احسن عملا منهما ومستغنى عنه لعموم من احسن عملا كما هو مستغنى عنه فى قولك
نعم الرجل زيدا وواقع موقعه الظاهر فان من احسن عملا على الحقيقة لا يحسن على الحقيقة
اطلاقه الا على الذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك لهم جنات عدن تجرى من تحتهم الانهار
ومابينهما اعتراض وعلى الاول استيناف لبيان الاجر وخبر ان يحلون فيها من اساور
من ذهب من الاولى للابتداء والثانية للبيان صفة لاساور وتنكيرها لتعظيم حسنها
من الاحاطة وهو جمع اسورة واسوار فى جمع سوار ويلبسون ثيابا خضرا لان الخضرة احسن
الالوان واكثرها طراوة من سندس واستبرق مما رق من الديباج وما غلظ منه جمع بين النوعين
للدلالة على ان فيها ما تشتهى الانفس وتلذ الاعين متكئين فيها على الارائك على السرر كما
هو هيئة المتنعمين نعم الثواب الجنة ونعيمها وحسنت الارائك مرتفقا متكأ واضرابهم
للكافر والمؤمن مثلا رجلين حالا رجلين مقدرين او موجودين قيلهما اخوان من بنى
اسرائيل كما قرأ سمعت قطرس ومؤمن اسمه يهوذا ورثا من ابيهما ثمانية آلاف دينار
فتشاطرا فاشترى الكافر بها ضياعا وعقارا وصرفها المؤمن فى وجوه الخير وآل
امرهما الى ما حكاه الله تعالى وقيل الممثل لهما اخوان من بنى مخزوم كافر وهو الاسود
بن عبد الاسد ومؤمن وهو ابو سلمة عبد الله زوج ام سلمة قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم
جعلنا لاحدهما جنتين بستانين من اعناب من الكروم والجملة بتمامها بيان الممثل
او صفة للرجلين وحففناهما بنخل وجعلنا النخل محيطة بهما موزرا بها كرومهما
يقال حفه القوم اذا طافوا به وحففته بهم اذا جعلتهم حافين حوله فيرتفع البلة ممنوعا
ثانيا كقولك غشيته به وجعلنا بينهما زرعا وسطهما ليكون كل منهما جامع الاقوات
والفواكه متواصلا العمارة على التكامل الحسن والترتيب الانيق كلتا الجنتين آتت اكلها
ثمرها وافراد الضمير لافراد كلتا وقرئ كل الجنتين آتى اكله ولم تظلم منه ولم تنقص من اكلها
شيئا يعهد فى سائر البساتين فان الثمار تتم فى عام وتنقص فى عام غالبا وفجرنا خلالهما
نهرا ليدوم سقيها فانه الاصل ويزيد بهاؤهما وعن يعقوب وفجرنا بالتخفيف
وكان له ثمر انواع من المال سوى الجنتين من ثمر ماله اذا كثر وقراءة عاصم بفتح الثاء

والميم وابو عمرو بضم الثاء واسكان الميم والباقون بضمهما وكذلك فى قوله واحيط بثمره
فقال لصاحبه وهو يحاوره انا اكثر منك مالا
واعز نفرا حشما واعوانا وقيل اولادا ذكورا لانهم الذين ينفرون معه ودخل جنته
بصاحبه يطوف به فيها ويفاخره بها وافراد الجنة لان المراد ما هو جنته وهو
ما متع به من الدنيا على انه لا جنة له غيرها ولا حظ له فى الجنة التى وعد المتقون
او لاتصال جنة كل واحدة من جنتيه بالاخرى او لان الدخول يكون فى واحدة واحدة
وهو ظالم لنفسه ضارها بعجبه وكفره وتمادى غفلته واغتراره بمهلته قال ما اظن ان تبيد
هذه ان تفنى هذه الجنة ابدا لطول امله وتمادى غفلته واغتراره بمهلته وما اظن الساعة
قائمة كائنة ولئن رددت الى ربى بالبعث كما زعمت لاجدن خيرا منها من جنته وقراءة
الحجازيين والشامى منهما اى من الجنتين منقلبا مرجعا وعاقبة لانها فانية وتلك
باقية وانما اقسم على ذلك لاعتقاده انه تعالى انما اولاه ما اولاه لاستيهاله واستحقاقه اياه لذاته
وهو معه اينما يلقاه قال له صاحبه وهو يحاوره اكفرت بالذى خلقك من تراب لانه اصل مادتك
او مادة اصلك ثم من نطفة فانها مادتك القريبة ثم سواك رجلا ثم عدلك وكملك انسانا
ذكرا بالغا مبلغ الرجال جعل كفره بالبعث كفرا بالله لان منشأه الشك فى كمال
قدرة الله ولذلك رتب الانكار على خلقه اياه من التراب فان من قدر على ابداء خلقه
منه قدر ان يعيده منه لكنا هو الله ربى ولا اشرك بربى احدا اصله لكن انا فحذفت الهمزة
بنقل الحركة اودونت فلاقت النونان فكان الادغام وقراءة ابن عامر ويعقوب فى رواية
بالالف فى الوصل لتعويضها من الهمزة او لاجراء الوصل مجرى الوقف وقد قرئ لكن انا على
الاصل وهو ضمير الشان وهو بالجملة الواقعة خبرا له خبرنا او ضمير الله والله بدله وربى
خبره والجملة خبر انا والاستدراك من كفرت كانه قال انت كافر بالله لكنى مؤمن به وقرئ
لكن هو الله ربى ولكن انا لا اله الا هو ربى ولولا اذ دخلت جنتك قلت وهلا قلت عند دخولها
ما شاء الله الامر ما شاء الله وما شاء الله كان على ان ما موصولة او اى شئ شاء الله كان
على انها شرطية والجواب محذوف اقرارا بانها وما فيها بمشيئة الله ان شاء ابقاها وان شاء ابادها

بعد التثنية

تنبيها

تثمر

راحد

اباد

382

لا قوة الا بالله وقلت لا قوة الا بالله اعترافا بالعجز على نفسك والقدرة لله وان ما تيسر لك
من عمارتها وتدبير امرها فبمعونته واقداره وعن النبي صلى الله عليه وسلم من راى شيئا
فاعجبه فقال ما شاء الله لا قوة الا بالله لم يضره ان ترن انا اقل منك مالا وولدا يحتمل ان يكون انا
فصلا وان يكون تاكيدا للمفعول الاول وقرئ اقل بالرفع على انه خبر انا والجملة مفعول ثان
لترن وفي قوله وولدا دليل لمن فسر النفر بالاولاد فعسى ربي ان يؤتين خيرا من جنتك في الدنيا
او في الاخرة لايماني وهو جواب الشرط ويرسل عليها على جنتك لكفرك حسبانا من
السماء مرامي جمع حسبانة وهو الصواعق وقيل هو مصدر بمعنى الحساب والمراد به
التقدير بتخريبها او عذاب حساب الاعمال السيئة فتصبح صعيدا زلقا ارضا ملساء
يزلق عليها باستيصال نباتها واشجارها او يصبح ماؤها غورا غائرا في الارض مصدر وصف
كالزلق فلن تستطيع له طلبا للماء الغائر ترددا في رده واحيط بثمره واهلك امواله
حسبما توقعه صاحبه وانذره منه وهو ماخوذ من احاط به العدو فانه اذا احاط به غلبه
واذا غلبه اهلكه ونظيره اتى عليه اذا اهلكه من اتى عليهم العدو اذا جاءهم مستعليا عليهم
فاصبح يقلب كفيه ظهرا لبطن تلهفا وتحسرا على ما انفق فيها في عمارتها وهو متعلق
بيقلب لان تقليب الكفين كناية عن الندم وكانه قيل فاصبح فندم او حال اي متحسرا على
ما انفق وهي خاوية اي ساقطة على عروشها بان سقطت عروشها على الارض وسقطت
الكروم فوقها ويقول عطف على يقلب او حال من ضميره يا ليتني لم اشرك بربي احدا
كانه تذكر موعظة اخيه وعلم انه اتى من قبل شركه فتمنى لو لم يكن مشركا فلم يهلك الله بستانه
ويحتمل ان يكون توبة من الشرك وندما على ما سبق منه ولم تكن له فئة وقرا حمزة والكسائي
بالياء لتقدمه ينصرونه يقدرون على نصره بدفع الاهلاك او رد المهلك والاتيان
بمثله من دون الله فانه القادر على ذلك وحده وما كان منتصرا وما كان ممتنعا بقوته
عن انتقام الله منه هنالك في ذلك المقام وتلك الحال الولاية لله الحق النصرة له وحده
لا يقدر عليها غيره تقرير لقوله ولم تكن له فئة ينصرونه او ينصر فيها اولياؤه المؤمنين
على الكفرة كما نصر فيما فعل بالكافر اخاه المؤمن ويعضده قوله هو خير ثوابا وخير عقبا

اي لاوليائه

اي لاوليائه وقرا حمزة والكسائي بالكسر ومعناها السلطان والملك اي هنالك
السلطان له لا يغلب ولا يمتنع منه او لا يعبد غيره كقوله واذا ركبوا في الفلك دعوا الله
مخلصين له الدين فيكون تنبيها على ان قوله يا ليتني لم اشرك كان عن اضطرار وجزع
عما دهاه وقيل هنالك اشارة الى الاخرة وقرا ابو عمرو والكسائي الحق بالرفع صفة
للولاية وقرئ بالنصب على المصدر المؤكد وقرا عاصم وحمزة عقبا بالسكون وقرئ
عقبى وكلها بمعنى العاقبة واضرب لهم مثل الحيوة الدنيا اذكر لهم ما يشبه الحيوة الدنيا
في زهرتها وسرعة زوالها او صفتها الغريبة كماء هو كماء ويجوز ان يكون مفعولا
ثانيا لاضرب على انه بمعنى صير انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض فالتف بسببه وخالط
بعضه بعضا من كثرته وتكاثفه او يجمع في النبات حتى روي ورف وعلى هذا كان حقه
فاختلط بنبات الارض لكن لما كان كل من المختلطين موصوفا بصفة صاحبه عكس للمبالغة
في كثرته فاصبح هشيما مهشوما مكسورا تذروه الرياح تفرقه وقرئ تذريه من اذرى والمشبه به
ليس الماء ولا حاله بل الكيفية المنتزعة من الجملة وهي حال النبات المنبت بالماء يكون اخضر
رافا ثم هشيما تطيره الرياح فتصير كان لم يكن وكان الله على كل شيء من الانشاء والافناء مقتدرا قادرا
المال والبنون زينة الحيوة الدنيا يتزين بها الانسان في دنياه وتفنى عنه عما قريب
والباقيات الصالحات واعمال الخيرات التي تبقى له ثمرتها ابد الاباد ويندرج فيها ما فسرت به
من الصلوات الخمس واعمال الحج وصيام رمضان وسبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر
والكلام الطيب خير عند ربك من المال والبنين ثوابا عائدة وخير املا لان صاحبه ينال به
في الاخرة ما كان يامل بها في الدنيا ويوم نسير الجبال واذكر يوم نقلعها ونسيرها في الجو وتذهب
بها فنجعلها هباء منبثا ويجوز عطفه على عند ربك اي الباقيات الصالحات خير من عند الله
ويوم القيامة وقرا ابن كثير وابو عمرو وابن عامر تسير بالتاء والبناء للمفعول وقرئ تسير من سارت
وترى الارض بارزة بادية برزت من تحت الجبال ليس عليها ما يسترها وقرئ ترى على بناء
المفعول وحشرناهم وجمعناهم الى الموقف ومجيئه ماضيا بعد نسير وترى لتحقيق الحشر
او للدلالة على ان حشرهم قبل التسيير ليعاينوا ويشاهدوا ما وعد لهم وعلى هذا يكون الواو للحال

كانه قيل وحشرناهم قبل ذلك

باضمار قد فلم نغادر فلم نترك منهم احدا يقال غادره واغدره اذا تركه ومنه الغدر
لترك الوفاء والغدير لما غادره السيل وقرئ بالياء وعرضوا على ربك تشبيه حالهم بحال
الجند المعروضين على السلطان لاليعرفهم بل ليامر فيهم صفا مصطفين لا يحجب احدا
لقد جئتمونا على اضمار القول على وجه يكون حالا او عاملا في يوم نسير كما خلقناكم
اول مرة عراة لا شئ معكم من المال والولد كقوله ولقد جئتمونا فرادى واحيا كخلقتكم
الاولى لقوله بل زعمتم ان لن نجعل لكم موعدا وقتا لانجاز الوعد بالبعث والنشور وان الانبياء
كذبوكم به وبل للخروج من قصة الى اخرى ووضع الكتاب صحائف الاعمال في الايمان
والشمائل او في الميزان وقيل هو كناية عن وضع الحساب فترى المجرمين مشفقين خائفين
مما فيه من الذنوب ويقولون يا ويلتنا يا دون هلكتهم التي هلكوها من بين الهلكات
مال هذا الكتاب تعجبا من شانه لا يغادر صغيرة هنة صغيرة ولا كبيرة الا احصيها الا عدها
واحاط بها ووجدوا ما عملوا حاضرا مكتوبا في الصحف ولا يظلم ربك احدا فيكتب عليه
مالم يفعل او يزيد في عقاب الملائم لعمله واذ قلنا للملائكة اسجدوا لادم فسجدوا الا كرر
في مواضع لكونه مقدمة للامور المقصود بيانها في تلك المحال وههنا لما شنع على المفتخرين
واستقبح صنيعتهم قرر ذلك بانه من سنن ابليس اولا بين حال المغرور بالدنيا والمعرض عنها
وكان سبب الاغترار حب الشهوات وتسويل الشيطان زهدهم اولا في زخارف الدنيا
بانها عرضة الزوال والاعمال الصالحة خير وابقى من انفسها واعلاها ثم نفرهم عن الشيطان
بتذكير ما بينهم من العداوة القديمة وهكذا مذهب كل تكرير في القرآن كان من الجن حال
باضمار قد او استيناف للتعليل كانه قيل ما باله لم يسجد فقيل كان من الجن ففسق عن امر ربه
فخرج عن امره بترك السجود والفاء للتسبب وفيه دليل على ان الملك لا يعصي البتة وانما
عصى ابليس لانه كان جنيا في اصله والكلام المستقصى فيه في سورة البقرة افتتخذونه
أعقيب ما وجد منه تتخذونه والهمزة للانكار والتعجيب وذريته اولاده واتباعه وسائر ما لهم
ذرية مجازا اولياء من دوني وتستبدلونهم اي فتطيعونهم بدل طاعتي وهم لكم عدو
بئس للظالمين بدلا من الله ابليس وذريته ما اشهدتهم خلق السموات والارض

ولا خلق انفسهم نفي احضار ابليس وذريته خلق السموات والارض واحضار بعضهم
خلق بعض ليدل على نفي الاعتضاد بهم في ذلك كما صرح به بقوله وما كنت متخذ المضلين
عضدا اي اعوانا رد الاتخاذهم اولياء من دون الله شركاء له في العبادة فان استحقاق العبا
من توابع الخالقية والاشتراك فيه يستلزم الاشتراك فيها فوضع المضلين موضع
الضمير دمائهم واستبعادا للاعتضاد بهم وقيل الضمير للمشركين والمعنى ما استشهدتهم
خلق ذلك وما خصصتهم بعلوم لا يعرفها غيرهم حتى لو آمنوا تبعهم الناس كما ينعمون
فلا تلتفت الى قولهم طمعا في نصرتهم للدين فانه لا ينبغي لي ان اعتضد بالمضلين
لديني ويعضده قراءة من قراء وما كنت على خطاب الرسول وقرئ متخذ المضلين على
الاصل وعضدا بالتخفيف وعضدا بالاتباع وعضدا كخدم جمع عاضد من عضده
اذا قواه ويوم يقول اي الله للكفار وقراء حمزة بالنون نادوا شركائي الذين زعتم
انهم شركائي او شفعاء كم لينعوكم من عذابي واضافة الشركاء على زعمهم للتوبيخ
والمراد ما عبد من دونه وقيل ابليس وذريته فدعوهم فنادوهم للاغاثة
فلم يستجيبوا لهم فلم يغيثوهم وجعلنا بينهم بين الكفار وآلهتهم موبقا مهلكا يشتركون
وهو النار او عداوة سمي في سنتها هلاكا كقول عمر رضي الله عنه لا يكن حبك كلفا
ولا بغضك تلفا اسم مكان او مصدر من وبق يوبق وبقا اذا هلك وقيل البين الوصل
اي وجعلنا تواصلهم في الدنيا هلاكا يوم القيامة ورأى المجرمون النار فظنوا انهم
فاقعوها مواقعوها مخالطوها واقعون فيها ولم يجدوا عنها مصرفا انصرافا او مكانا يصرفون
ولقد صرفنا في هذا القرآن للناس من كل مثل من كل جنس يحتاجون اليه وكان الانسان
اكثر شئ يتاتى منه الجدال جدلا خصومة بالباطل واتصابه على التمييز وما منع الناس ان
يؤمنوا من الايمان اذ جاءهم الهدى وهو الرسول الداعي والقرآن المبين ويستغفروا
ربهم ومن الاستغفار عن الذنوب الا ان تاتيهم سنة الاولين الا طلب ان تقدير ان تاتيهم سنة الاولين وهو الاستيصال فحذف المضاف واقيم المضاف اليه
مقامه او ياتيهم العذاب عذاب الآخرة قبلا عيانا وقراء الكوفيون قبلا بضمتين

وهو لغة فيه او جمع قبيل بمعنى انواع وقرئ بفتحتين وهو ايضا لغة يقال لقيته مقابلة
وقبلا وقبلا وقبلا وقبليا وانتصابه على الحال من الضمير او العذاب وما نرسل المرسلين الا
مبشرين ومنذرين للمؤمنين والكافرين ويجادل الذين كفروا بالباطل باقتراح الآيات
بعد ظهور المعجزات والسؤال عن قصة اصحاب الكهف ونحوها تعنتا ليدحضوا
به ليزيلوا بالجدال الحق عن مقره ويبطلوه من ادحاض القدم وهو ازلاقها وذلك
قولهم للرسل ما انتم الا بشر مثلنا لو شاء الله لانزل ملائكة ونحو ذلك ~~قولهم للرسل~~
~~ما انتم الا بشر مثلنا لو شاء الله لانزل ملائكة ونحو ذلك~~ واتخذوا آياتي يعني القرآن
وما انذروا وانذارهم او والذي انذروا به من العقاب هزوا استهزاء وقرئ
هزءا بالسكون وهو ما يستهزأ به ومن اظلم ممن ذكر بآيات ربه بالقرآن فاعرض عنها ولم يتدبر
ولم يتذكر بها ونسي ما قدمت يداه من الكفر والمعاصي فلم يتفكر في عاقبتها انا جعلنا
على قلوبهم اكنة تعليل لاعراضهم ونسيانهم بانهم مطبوع على قلوبهم ان يفقهوه
كراهة ان يفقهوه وتذكير الضمير وافراده للمعنى وفي آذانهم وقرا يمنعهم ان يسمعوه حق
استماعه وان تدعهم الى الهدى فلن يهتدوا اذا ابدا تحقيقا ولا تقليدا لانهم لا يفقهون
ولا يسمعون واذا كما عرفت جزاء وجواب للرسول على تقدير قوله ما لي لا ادعوهم
فان حرصه على اسلامهم يدل عليه وربك الغفور البليغ المغفرة ذو الرحمة الموصوف
بالرحمة لو يؤاخذهم بما كسبوا لعجل لهم العذاب استشهاد على ذلك بامهال قريش مع افراطهم
في عداوة رسول الله بل لهم موعد وهو يوم بدر او يوم القيامة لن يجدوا من دونه موئلا
منجيا يقال وأل اذا نجا ووأل اليه اذا لجأ اليه وتلك القرى يعني قرى عاد وثمود واضرابهم
وتلك مبتدأ خبره اهلكناهم او مفعول مضمر مفسر به والقرى صفته ولا بد من تقدير
مضاف في احدهما ليكون مرجع الضمائر لما ظلموا كقريش بالتكذيب والمراء وانواع
المعاصي وجعلنا لمهلكهم موعدا لاهلاكهم وقتا معلوما لا يستأخرون عنه ساعة
ولا يستقدمون فليعتبروا بهم ولا يغتروا بتأخير العذاب عنهم وقرأ ابو بكر لمهلكهم
بفتح الميم واللام اي لهلاكهم وحفص بكسر اللام حملا على ما شذ من مصادر يفعل كالمرجع

والمحيض

والمحيض واذ قال موسى لفتاه مقدر باذكر لفتاه يعني يوشع بن نون بن افرائيم بن يوسف عليه السلام
فانه كان يخدمه ويتبعه ولذلك سماه فتاه وقيل لعبده لا ابرح اي لا ازال اسير فحذف الخبر لدلالة
حاله وهو السفر وقوله حتى ابلغ مجمع البحرين من حيث انها تستدعي ذا غاية عليه ويجوز ان يكون
اصله لا يبرح مسيري حتى ابلغ على ان حتى ابلغ هو الخبر فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه
فانقلب الضمير والفعل وان يكون لا ابرح بمعنى لا ازول عما انا عليه من السير والطلب ولا افارقه
فلا يستدعي الخبر ومجمع البحرين ملتقى بحري فارس والروم مما يلي المشرق وعد لقاء الخضر فيه
وقيل البحران موسى وخضر عليهما السلام فان موسى كان بحر علم الظاهر وخضر كان بحر علم الباطن
وقرئ مجمع بكسر الميم على الشذوذ من يفعل كالمشرق والمطلع او امضي حقبا او اسير زمانا طويلا
والمعنى حتى يقع اما بلوغ المجمع او مضي الحقب او حتى ابلغ الا ان امضي زمانا اتيقن معه
فوات المجمع والحقب الدهر وقيل ثمانون سنة وقيل سبعون روي ان موسى عليه السلام
خطب الناس بعد هلاك القبط ودخوله مصر خطبة بليغة فاعجب بها فقيل له هل تعلم
احدا اعلم منك فقال لا فاوحى الله تعالى اليه بل عبدنا خضر وهو بمجمع البحرين وكان الخضر في
ايام افريدون وكان على مقدمة ذي القرنين الاكبر وبقي الى ايام موسى وقيل سأل موسى
ربه اي عبادك احب اليك قال الذي يذكرني ولا ينساني قال فاي عبادك اقضى قال الذي يقضي بالحق
ولا يتبع الهوى قال فاي عبادك اعلم مني فادللني عليه قال اعلم منك الخضر قال اين اطلبه قال
على الساحل عند الصخرة قال كيف لي به قال تأخذ حوتا في مكتل فحيث فقدته فهو هناك
فقال لفتاه اذا فقدت الحوت فاخبرني فذهبا يمشيان فلما بلغا مجمع بينهما اي مجمع البحرين وبينهما
ظرف اضيف اليه على الاتساع او بمعنى الوصل نسيا حوتهما نسي موسى ان يطلبه ويتعرف حاله
ويوشع ان يذكر له ما رأى من حيوته ووقوعه في البحر روي ان موسى عليه السلام رقد فاضطرب الحوت
المشوي ووثب في البحر معجزة لموسى او الخضر وقيل توضأ يوشع من عين الحيوة فانتضح الماء عليه
فعاش فوثب في الماء وقيل نسيا تفقد امره وما يكون منه امارة على الظفر بالمطلوب فاتخذ
سبيله في البحر سربا فاتخذ الحوت طريقه في البحر مسلكا من قوله وسارب بالنهار وقيل امسك الله
جرية الماء على الحوت فصار كالطاق عليه ونصبه على المفعول الثاني وفي البحر حال منه او من السبيل

انهما يستدعيان غاية

قال الذي يبتغي علم الناس الى علمه عسى ان يصيب كلمة تدله على الهدى او ترده عن الردى قال ان كان في عبادك اعلم

السرب الطريق وبيت في الارض

ويجوز تعلقه باتخذ فلما جاوزا مجمع البحرين قال لفتاه آتنا غداءنا ما نتغدى به لقد لقينا
من سفرنا هذا نصبا قيل لم ينصب حتى جاوزا الموعد فلما جاوزه وسارا لليلة والغد الى الظهر ألقى عليه الجوع والنصب وقيل لم يعن موسى في سفر غيره ويؤيد التقييد باسم الاشارة قال
أرأيت اذ أوينا أرايت ما دهاني اذ أوينا الى الصخرة يعني الصخرة التي رقد عندها موسى وقيل
هي الصخرة التي دون نهر الزيت فاني نسيت الحوت فقده او نسيت ذكره بما رايت منه وما
أنسانيه الا الشيطان ان أذكره اي وما انساني ذكره الا الشيطان فان أن أذكره بدل من الضمير وقرئ ان أذكره وهو اعتذار عن نسيانه بشغل الشيطان له بوساوسه والحال وان كانت عجيبة لا ينسى مثلها لكنه لما ضري بعناها هذه امثالها عند موسى وألفها قل اهتمامه بها ولعله نسي ذلك لاستغراقه في الاستبصار وانجذاب سره الى جناب القدس بما غاراه من مشاهد الآيات الباهرة وانما نسبه الى الشيطان هضما لنفسه او لان عدم احتمال القوى للجائبين واشتغالها باحدهما عن الآخر بعد عن نقصان واتخذ سبيله في البحر عجبا سبيلا عجبا وهو كونه كالسرب او اتخاذا عجبا والمفعول الثاني هو الظرف وقيل هو مصدر فعله المضمر اي قال في آخر كلامه او موسى في جوابه عجبا تعجبا من ذلك الحال وقيل الفعل لموسى اي اتخذ موسى سبيل الحوت في البحر عجبا قال ذلك اي امر الحوت ما كنا نبغي نطلب لانه امارة المطلوب فارتدا على آثارهما رجعا في الطريق الذي جاءا فيه قصصا يقصان قصصا اي يتبعان آثارهما اتباعا او مقتصين حتى اتيا الصخرة فوجدا عبدا من عبادنا الجمهور على انه الخضر واسمه بليا بن ملكان وقيل اليسع وقيل الياس آتيناه رحمة من عندنا نبوة او الوحي والنبوة وعلمناه من لدنا علما مما يختص بنا ولا يعلم الا بتوفيقنا وهو علم الغيوب قال له موسى هل أتبعك على ان تعلمني على شرط ان تعلمني وهو في موضع الحال من الكاف مما علمت رشدا علما ذا رشد وهو اصابة الخير وقرأ البصريان بفتحتين وهما لغتان كالبخل والبخل وهو مفعول تعلمني ومفعول علمت العائد المحذوف وكلاهما منقولان من علم الذي له مفعول واحد ويجوز ان يكونا من علة لاتبعك او مصدرا باضمار فعله ولا ينافي نبوته وكونه صاحب شريعة او يتعلم من غير ان لم يكن شرطا في ابواب الدين فان الرسول ينبغي ان يكون اعلم مما ارسل اليه فيما بعث به

من اصوله

مواصولا الدين وفروعه لا مطلقا وقد ادعى في ذلك غاية التواضع والادب فاستجهل نفسه واستاذن ان يكون تابعا وسأله منه ان يرشده وينعم عليه بتعليم بعض ما انعم الله عليه قال انك لن تستطيع معي صبرا نفى عنه استطاعة الصبر معه على وجوه من التاكيد كانها ما لا يصح ولا يستقيم وعلل ذلك واعتذر بقوله وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا اي كيف تصبر وانت نبي على ما اتولى من امور ظاهرها مناكير وبواطنها لم تحط خبرك وخبرا تمييز او مصدر لان لم تحط به بمعنى لم تخبره قال ستجدني ان شاء الله صابرا معك غير منكر عليك ولا اعصي لك امرا عطف على صابرا اي ستجدني صابرا وغير عاص ولا على ستجدني وتعليق الوعد بالمشية اما للتيمن وخلفه ناسيا لا يقدح في عصمته او لعلمه بصعوبة الامر فان مشاهدة الفساد والصبر على خلاف المعتاد شديد فلا خلف وفيه دليل على ان افعال العباد واقعة بمشية الله تعالى قال فان اتبعتني فلا تسألني عن شيء فلا تفاتحني بالسؤال عن شيء انكرته مني ولم تعلم وجهه حتى أحدث لك منه ذكرا حتى ابتدئك ببيانه وقرأ نافع وابن عامر فلا تسألني بالنون الثقيلة فانطلقا على الساحل يطلبان السفينة حتى اذا ركبا في السفينة خرقها اخذ الخضر فاسا فخرق السفينة بان قلع لوحين من ألواحها قال لتغرق اهلها فان خرقها سبب لدخول الماء فيها المفضي الى غرق اهلها وقرئ لتغرق بالتشديد للتكثير وقرأ حمزة والكسائي ليغرق اهلها على اسناده الى الاهل لقد جئت شيئا امرا عظيما من أسر الامر اذا عظم قال الم أقل لك انك لن تستطيع معي صبرا تذكير لما ذكر قبل قال لا تؤاخذني بما نسيت بالذي نسيته او بشيء نسيته يعني وصيته بان لا يعترض عليه او بنسياني آياها وهو اعتذار بالنسيان اخرجه في معرض النهي عن المؤاخذة مع قيام المانع لها وقيل اراد بالنسيان الترك اي لا تؤاخذني بما تركت من وصيتك اول مرة وقيل انه من معاريض الكلام والمراد شيء آخر نسيه ولا ترهقني من أمري عسرا ولا تغشني عسرا من اسري بالمضايقة والمؤاخذة على المنسي فان ذلك يعسر علي متابعتك وعسرا مفعول ثان لترهق فانه يقال رهقه اذا غشيه وارهقه اياه وقرئ عسرا بضمتين فانطلقا حتى اذا لقيا غلاما فقتله قيل قتل عنقه وقيل ضرب برأسه الحائط وقيل اضجعه

اخرقها

٣٨٦

فذبحه والفاء للدلالة على انه كما لقيه قتله من غير تروٍ واستكشافٍ حاله ولذلك قال أقتلت
نفسًا زكيّة بغير نفسٍ اى طاهرة من الذنوب وقرا ابن كثير ونافع وابو عمرو ورويس عن
يعقوب زاكية والاول ابلغ وقال ابو عمرو والزاكية التى لم تذنب قط والزكية التى اذنبت ثم
غفرت ولعله اختار الاول لذلك فانها كانت صغيرة لم تبلغ الحلم او انها لم يرها قد اذنبت
ذنبًا يقتضى قتلها او قتلت نفسًا فتقاد بها تبه به على ان القتل انما يباح حدًا او قصاصًا وكلا
الامرين منتف ولعل تغيير النظم بان جعل خرقها جزاء واعتراض موسى مستأنفًا وفى الثانية
قتله من جملة الشرط واعتراضه جزاء الان القتل اقبح والاعتراض عليه ادخل فكان جديرا بان يجعل
عمدة الكلام ولذلك فصله بقوله لقد جئت شيئًا نكرًا اى منكرا وقرا نافع فى رواية قالون
وورش وابن عامر ويعقوب وابو بكر نكرا بضمتين قال ألم أقل لك انك لن تستطيع معى صبرًا
زاد فيه لك مكالحة بالعتاب على رفض الوصية ورسمًا بقلة الثبات والصبر لما انكر منه
الاشمئزاز والاستنكار ولم يرعوا بالتذكير اولا مرة حتى زاد فى الاستنكار ثانى مرة قال
إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني وان سالت صحبتك وعن يعقوب فلا تصحبنى اى
فلا تجعلنى صاحبك قد بلغت من لدنى عذرًا قد وجدت عذرا من قبلى لما خالفتك تلك مرات
وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله اخى موسى لو استحى فقال ذلك لطال صحبته
لابصر عجب الاعاجيب وقرا نافع لدنى بتحريك النون والاكتفاء به عن نون الدعامة كقولهم
قدنى من نصر الخبيبين قدنى وابو بكر لدنى بتحريك النون واسكان الدال الاسكان الضاد من عضد
فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية قرية انطاكية وقيل ايلة بصر وقيل باجروان ارمنية
استطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما وقرئ يضيفوهما من اضافه يقال اضافه اذا نزل به ضيفا
واضافه وضيفه انزله واصل التركيب للميل يقال اضاف السهم عن الغرض اذا مال فوجدا فيها جدارا
يريد أن ينقض بدل ان يسقط فاستعيرت الارادة للمشارفة كما استعيرها الهم والعزم
قال يريد الرمح صدر دارع براه ويعدل عن دماء بنحوره وقالت ان دهرا يلف شملى بجمل
لزمان يهم بالاحسان وانقض انفعل من قضضته اذا كسرته ومنه انقضاض الطير والكواكب
لهويه او افعل من النقض وقرئ ان ينقض وان ينقاض بالصاد المهملة من انقاضت السن اذا

انشقت

انشقت طولًا فأقامه بعمارته او بمعمود عمده وقيل مسحه بيده فقام وقيل نقضه وبناه
قال لو شئت لاتخذت عليه أجرًا تحريضًا على اخذ الجعل ليتعيشا به او تعريضًا بانه
فضول لما فى قوم من التقى كانه لما رأى الحرمان ومساس الحاجة واشتعاله بما لا يعنيه لم يتمالك
نفسه واتخذ افتعل من تخذ كاتبع من تبع وليس من الاخذ عند البصريين وقرء ابن كثير والبصريان
لتخذت اى لاخذت واظهر ابن كثير ويعقوب وحفص الذال لوادعة البافون قال هذا فراق
بيني وبينك الاشارة الى الفراق الموعود بقوله فلا تصاحبنى او الى الاعتراض الثالث او الوقت
اى هذا اعتراض بسبب فراقنا او هذا الوقت وقته واضافة الفراق الى البين اضافة المصدر
الى الظرف على الاتساع وقد روى على الاصل سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا بالخبر الباطن
فيما لم تستطع الصبر عليه لكونه منكرًا من حيث الظاهر اما السفينة فكانت لمساكين يعملون
فى البحر لما روى وهو دليل على ان المسكين يطلق على من يملك اذا لم يكفه وقيل سموا مساكين
لعجزهم عن دفع الملك ولزمانتهم فانها كانت لعشرة اخوة خمسة زمنى وخمسة يعملون
فى البحر فاردت ان اعيبها اجعلها ذات عيب وكان وراءهم ملك قدامهم او خلفهم
وكان رجوعهم عليه واسم جلندى بن كركر وقيل منوار بن جليد الازدى يأخذ كل سفينة غصبًا
من اصحابها وكان حق النظم ان يتأخر قوله فاردت ان اعيبها عن قوله وكان وراءهم ملك لان
ارادة التعييب مسبب عن خوف الغصب وانما قدم للعناية او لان السبب لما كان مجموع الامرين
خوف الغصب ومسكنة الملاك رتبه على اقوى الجزئين وادغمها وعقبه بالآخر على سبيل
التقييد والتتميم وقرئ كل سفينة صالحة والمعنى عليها واما الغلام فكان ابواه مؤمنين
فخشينا ان يرهقهما طغيانًا وكفرًا ان يغشيهما اتعبهما بعقوقه فيلحقهما شرا ويقرن بايمانهما
طغيانه وكفره فيجتمع فى بيت واحد مؤمنان وطاغ كافر ويعديهما بعلته فيرتدا باضلاله او يحملا
على طغيانه وكفره حبًا له وانما خشى ذلك لان الله اعلمه وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان نجدة
الحرورى كتب اليه كيف قتله وقد نهى النبى عليه السلم عن قتل الولدان فكتب اليه ان علمت
من حال الولدان ما علمه عالم موسى فلك ان تقتل وقرئ فخاف ربك اى فكره كراهة من خاف
سوء عاقبته ويجوز ان يكون قوله فخشينا حكاية قول الله عز وجل فاردنا ان يبدلهما ربهما

جلندى بضم الجيم اسم ملك عمان
قوله لاتخذت عليه اجرا لاحياجنا وعدم اعتنائهم الاكرام بالتبع
الاولى لانه كان كافرا فيوجب حب الولدين والوقوف على الدخول فيما هو فيه كذا عن سعيد بن جبير وابن جريج وعن مقاتل ان الملك كان غلاما طاغيا يقتل ويسرق وكان ابواه فى عزو شرف فاذا طلب بجنايته يحلف ابواه انه لم يفعل ولا يكون كما يحلفان
٣٨٧

خيرا منه ان يرزقهما بدله ولدا خيرا منه زكوة طهارة من الذنوب والاخلاق الردية
واقرب رحما رحمة وعطفا على والديه قيل ولدت طهما جارية فتزوجها نبي فولدت نبيا
هدى الله به امة من الامم وقرا نافع وابو عمرو يثقلهما بالتشديد وابن عامر ويعقوب
رحما بالتخفيف وانتصابه على التمييز والعامل اسم التفضيل وكذلك زكوة واما الجدار فكان
لغلامين يتيمين في المدينة قيل اسمهما اصرم وصريم واسم المقتول حيسوم وكان تحته كنز
لهما من ذهب وفضة روى ذلك مرفوعا والله على كنزهما في قوله والذين يكنزون الذهب
والفضة لمن لا يؤدي زكوتهما وما تعلق بهما من الحقوق وقيل من كتب العلم وقيل كان لوح
من ذهب مكتوب فيه عجبت لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن وعجبت لمن يؤمن بالرزق كيف
يتعب وعجبت لمن يؤمن بالموت كيف يفرح وعجبت لمن يؤمن بالحساب كيف يغفل
وعجبت لمن يعرف الدنيا وتقلبها باهلها كيف يطمان اليها لا آله الا الله محمد رسول الله
وكان ابوهما صالحا تنبيه على ان سعيه في ذلك كان لصلاحه فيكان بينهما وبين الاب
الذي حفظا فيه سبعة آباء وكان سياحا واسمه كاشح فاراد ربك ان يبلغا اشدهما اي الحلم
وكمال الراي ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك مرحومين من ربك ويجوز ان يكون علة او مصدرا
لاراد فان ارادة الخير رحمة وقيل متعلق بمحذوف تقديره فعلت ما فعلت رحمة من ربك
ولعل اسناد الارادة اولا الى نفسه لانه المباشر للتعييب وثانيا الى الله وحده لانه لا مدخل له
في بلوغ الغلامين اولا في الاول في نفسه شر وفي الثاني خير والثاني ممتزج او لاختلاف حال
العارف في الالتفات الى الوسايط وما فعلته وما فعلت ما رايته عن امري عن راي وانما
فعلته بامر الله عز وجل ومبنى ذلك على انه متى تعارض ضرران يجب تحمل احدهما لدفع اعظمهما
وهو اصل مهد غيران الشرايع في تفاصيله مختلفة ذلك تاويل ما لم تسطع عليه صبرا اي حالم
تستطع فحذف التاء تخفيفا ومن فوايد هذه القصة ان لا يعجب المرء بعلمه ولا يبادر الى انكار
ما لا يستحسنه فلعل فيه سرا لا يعرفه وان يداوم على التعلم ويتذلل للمعلم ويراعي الادب في المقال
وان ينبه المجرم على جرمه ويعفو عنه حتى يتحقق اضرار ثم يهاجر عنه ويسالونك عن ذي
القرنين يعني اسكندر الرومي ملك فارس والروم وقيل المشرق والمغرب ولذلك سمي ذا القرنين

اولانه طاف

وعد الكشاف اسم المفعول من ابان م

حيسوم
حيسوم
حيسوم

والنفسه لان التبديل باهلاك الغلام وايجاد ابدله وثالثا الى الله ح ح ح

اولانه طاف قرني الدنيا شرقها وغربها وقيل لانه انقرض في ايامه قرنان من الناس وقيل
كان له قرنان اي ضفيران وقيل كان لتاجه قرنان ويحتمل انه لقب بذلك لشجاعته كما
يقال الكبش للشجاع كانه يطا اقرانه واختلف في نبوته مع الاتفاق على ايمانه وصلاحه
والسائلون هم اليهود سالوه امتحانا او مشركو مكة قل سا تلوا عليكم منه ذكرا خطاب
للسائلين والهاء لذي القرنين وقيل لله انا مكنا له في الارض اي مكنا له امرا من التصرف فيها
كيف شاء فحذف المفعول وآتيناه من كل شئ اراده وتوجه اليه سببا وصلة توصله اليه
من العلم والقدرة والآلة فاتبع سببا اي فاراد بلوغ المغرب فاتبع سببا يوصله اليه وقرا
الكوفيون وابن عامر بقطع الالف مخففة التاء حتى اذا بلغ مغرب الشمس وجدها
تغرب في عين حمئة ذات حمأة من حمئت البئر اذا صارت ذات حمأة وقرا ابن عامر وحمزة
والكسائي وابو بكر حامية اي حارة وكانتا في بينهما الجوار ان يكون العين جامعة للوصفين
او حمئة على ان اياها مقلوب عن الهمز لكثرة ما قلبها ولعله بلغ ساحل المحيط فراها كذلك
اذ لم يكن في مطمح بصره غير الماء ولذلك قال وجدها تغرب ولم يقل كانت تغرب وقيل ان ابن عباس
سمع معاوية يقرا حامية فقال لحميته فبعث معاوية الى كعب الاحبار كيف تجد الشمس تغرب
قال في ماء وطين كذلك تجده في التورية ووجد عندها عند تلك العين قوما قيل كان لباسهم
جلود الوحش وطعامهم ما لفظه البحر وكانوا كفارا فخيره الله بين ان يعذبهم او يدعوهم
الى الايمان كما حكى بقوله قلنا يا ذا القرنين اما ان تعذب اي بالقتل على كفرهم واما ان تتخذ
فيهم حسنا بالارشاد وتعليم الشرايع وقيل خيره بين القتل والاسر وشماه احسانا في مقابلة
القتل ويؤيد الاول قوله قال اما من ظلم فسوف نعذبه ثم يرد الى ربه فيعذبه عذابا نكرا
اي فاختار الدعوة وقال اما من دعوته فظلم نفسه بالاصرار على كفره واستمر على ظلمه الذي هو الشرك
فاعذبه انا ومن معي في الدنيا بالقتل ثم يعذبه الله في الآخرة عذابا منكرا لم يعهد مثله واما من
آمن وعمل صالحا وهو ما يقتضيه الايمان فله في الدارين جزاء الحسنى فعلته الحسنى
وقرا حمزة والكسائي ويعقوب وحفص جزاء منونا منصوبا على الحال اي فله المثوبة الحسنى
مجزيا بها والمصدر لفعله المقدر حالا اي يجزى بها جزاء والتمييز وقرئ منصوبا غير منون على ان

اي على المصدر

الفعلة ح

الزيادة به جميع ما تقدم وصله الواو المقحمة ٥ كتبه ف

ما علم او الواو زائدة ٥ كتبه ف

قال الشيخ ... رحمه الله ... ما ... ان ... ٥ كتبه ف

ح

تنوينه حذف لالتقاء الساكنين ومنتونا من فوعا على انه المبتداء والحسنى بدله ويجوز ان يكون
امّا واما للتقسيم دون التخيير اى ليكن شانك معهم اما التعذيب واما الاحسان فالاول لمن
اصر على الكفر والثانى لمن تاب عنه ونداء الله اياه ان كان نبيًا فوحى وان كان غيره فبالهام او على
لسان نبى وسنقول له من امرنا مما نأمر به يسرًا سهلا متيسرا غير شاق وتقدير ذا يسر وقرئ
بضمتين ثم اتبع سببًا ثم اتبع طريقًا يوصله الى المشرق وقراء الكوفيون وابن عامر بقطع
الالف مخففة التاء وكذلك ما بعده حتى اذا بلغ مطلع الشمس يعنى الموضع الذى تطلع الشمس
عليه اولا من معمورة الارض وقرئ بفتح اللام على اضمار مضاف اى مكان مطلع الشمس فانه
مصدر وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا من اللباس والبناء فان
ارضهم لا تمسك الابنية او انهم اتخذوا الاسراب بدل الابنية كذلك اى امر ذى القرنين
كما وصفناه فى رفعة المكان وبسطة الملك او امره فيهم كامره فى اهل المغرب من التخيير والاختيار
ويجوز ان يكون صفة مصدر محذوف لوجدا ونجعل وصفة قوم اى على قوم مثل ذلك القبيل
الذى يغرب عليهم الشمس فى الكفر والحكم وقد احطنا بما لديه من الجنود والآيات والعدد والاسباب
خبرا علما تعلق بظواهرهم وخفاياه والمراد ان كثرة ذلك بلغ مبلغا لا يحيط به الا علم اللطيف الخبير
ثم اتبع سببًا يعنى طريقا ثالثا معترضا بين المشرق والمغرب آخذا من الجنوب الى الشمال حتى
اذا بلغ بين السدين بين الجبلين المبنى بينهما سدّه وهما جبلا ارمينية وآذربيجان وقيل
جبلان فى اواخر الشمال فى منقطع ارض الترك من وراءهما ياجوج وماجوج وقراء نافع وابن عامر
وحمزة والكسائى وابو بكر ويعقوب بين السدين بالضم وهما لغتان وقيل المضموم لما
خلقه الله تعالى والمفتوح لما عمله الناس لانه فى الاصل مصدر سمّى به حدث يحدثه الناس
وقيل بالعكس وبين ههنا مفعوله وهو من الظروف المتصرفة وجد من دونهما قوما
لا يكادون يفقهون قولا لغرابة لغتهم وقلة فطنتهم وقراء حمزة والكسائى لا يفقهون
اى لا يفهمون السامع كلامهم ولا يتبينونه لتلعثمهم فيه قالوا يا ذا القرنين اى قالا ترجمانهم
وفى مصحف ابن مسعود قالا الذين من دونهم ان يأجوج وماجوج قبيلتان من ولد يافث
ابن نوح وقيل ياجوج من الترك وماجوج من الجيل وهما اسمان اعجميان بدليل منع الصرف

مشقان

لتلعثمهم

وقيل عربيان

وقيل عربيان من اجّ الظليم اذا اسرع واصلهما الهمز كما قرئ عاصم ومنع صرفهما للتعريف والتأنيث
مفسدون فى الارض اى فى ارضنا بالقتل والتخريب واتلاف الزروع قيل كانوا يخرجون فى الربيع فلا يتركون اخضرا الا اكلوه ولا يابسا الا احتملوه وقيل كانوا يأكلون الناس فهل نجعل لك
خرجًا جعلا نخرجه من اموالنا وقراءة حمزة والكسائى خراجا وكلاهما واحد كالنول والنوال
وقيل الخراج على الارض والمذة والخرج المصدر على ان تجعل بيننا وبينهم سدا نخرجون
خروجهم علينا وقد ضمه من ضم السدين غير حمزة والكسائى قال ما مكنى فيه ربى خير
ما جعلنى فيه مكينا من المال والملك خير مما تبذلون لى من الخراج ولا حاجة لى اليه وقراءة ابن كثير
مكننى على الاصل فاعينونى بقوة اى بقوّة فعلة او بما تقوى به من الآلات اجعل بينكم
وبينهم ردما حاجزا حصينا وهو اكبر من السدّ من قولهم ثوب مردّم اذا كان رقاعا فوق رقاع آتونى زبر الحديد قطعه والزبر القطعة الكبيرة وهو على انى فى ردّ الخراج والاقتصار
على المعونة لان الايتاء بمعنى المناولة ويدل عليه قراءة ابى بكر ردما ائتونى بكسر التنوين موصولة
الهمزة على معنى جيئونى بزبر الحديد والباء محذوفة حذفها فى امرتك الخير ولان اعطاء الآلة
من الاعانة بالقوة دون الخراج على العمل حتى اذا ساوى بين الصدفين بين جانبى الجبلين
بتنضيدها وقراءة ابن كثير وابن عامر والبصريان بضمتين وابو بكر بضم الصاد وسكون الدال وقرئ بفتح
الصاد وضم الدال وكلها لغات من الصدف وهو الميل لان كلا منهما منعدل عن الآخر ومنه
التصادف للتقابل قال انفخوا اى قال للعملة انفخوا فى الاكوار والحديد حتى اذا جعله
المنفوخ فيه نارا كالنار بالاحماء قال آتونى افرغ عليه قطرا اى نحاسا مذابا
افرغ عليه قطرا فحذف الاول لدلالة الثانى عليه وبه تمسك البصريون على ان اعمال الثانى من العاملين
المتوجهين نحو معمولى واحد اولى اذ لو كان قطرا مفعولا آتونى لاضمر مفعولا افرغ حذرا من الالباس
وقراءة حمزة وابو بكر قال ائتونى موصولة الالف فما اسطاعوا بحذف التاء حذرا من تلاقى متقاربين
وقراءة حمزة بالادغام جامعا بين ساكنين على غير حده وقرئ بقلب السين صادا أن يظهروه
ان يعلوه بالصعود لارتفاعه وانملاسه وما استطاعوا له نقبا لثخنه وصلابته وقيل حفر
للاساس حتى بلغ الماء وجعله من الصخر والنحاس المذاب والبنيان من زبر الحديد بينها الحطب

بالربيع

كثير

ربين

وقيل عربيان

والفحم حتى ساوى اعلى الجبلين ثم وضع المنافخ حتى صارت كالنار فصب النحاس المذاب عليها
فاختلط والتصق بعضه ببعض وصار جبلا صلدا وقيل بناه من الصخور مرتبطا بعضها ببعض
بكلاليب من حديد ونحاس مذاب في تجاويفها قال هذا هذا السد والاقدار على تسويته
رحمة من ربي على عباده فاذا جاء وعد ربي وقت وعده بخروج ياجوج وماجوج او بقيام
الساعة بان شارف يوم القيامة جعله دكا مدكوكا مبسوطا مستوى بالارض مصدر بمعنى
المفعول ومنه جمل ادك لمنبسط السنام وقرا الكوفيون دكاء بالمد اى ارضا مستوية وكان
وعد ربي حقا كائنا لا محالة وهو آخر حكاية قول ذى القرنين وتركنا بعضهم يومئذ
يموج في بعض وجعلنا بعض ياجوج وماجوج حين يخرجون مما وراء السد يموجون في بعض
مزدحمين في البلاد او يموج بعض الخلق في بعض فيضطربون ويختلطون انسهم وجنهم حيارى
ويؤيده ونفخ في الصور لقيام الساعة فجمعناهم جمعا للحساب والجزاء وعرضنا جهنم يومئذ
للكافرين وابرزناها واظهرناها لهم عرضا الذين كانت اعينهم في غطاء عن ذكرى عن آياتي
التي ينظر اليها فاذكر بالتوحيد والتعظيم وكانوا لا يستطيعون سمعا استماعا لذكرى وكلامي
لافراط صممهم عن الحق فان الاصم قد يستطيع السمع اذا صيح به وهؤلاء كانهم اصمت مسامعهم
بالكلية افحسب الذين كفروا افظنوا والاستفهام للانكار ان يتخذوا عبادي اتخاذهم
الملائكة والمسيح من دوني اولياء معبودين نافعهم او لا اعذبهم به فحذف المفعول الثاني
كما يحذف الخبر للقرينة او سد ان يتخذوا مسد مفعوليه وقرئ افحسب الذين كفروا اى افكافيهم
في النجاة وان بما في حيزه مرتفع بانه فاعل حسب فان النعت اذا اعتمد على الهمزة ساوى الفعل في
العمل او خبر له انا اعتدنا جهنم للكافرين نزلا ما يقام للنزيل وفيه تهكم وتنبيه على ان لهم
وراءها من العذاب ما تستحقر دونه قل هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا نصب على التمييز وجمع لانه
من اسماء الفاعلين او لتنوع اعمالهم الذين ضل سعيهم في الحيوة الدنيا ضاع وبطل لكفرهم
وعجبهم كالرهابنة فانهم خسروا دنياهم وآخرتهم ومحله الرفع على الخبر لمحذوف فانه جواب السؤال
او الجر على البدل او النصب على الذم وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا لعجبهم واعتقادهم
انهم على الحق اولئك الذين كفروا بآيات ربهم بالقرآن او بدلائله المنصوبة على التوحيد

والنبوة

والنبوة ولقائه بالبعث على ما هو عليه او لقاء عذابه فحبطت اعمالهم بكفرهم فلا يثابون
عليها فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا فنزدرى بهم ولا نجعل لهم مقدارا واعتبارا او لا نضع لهم
ميزانا يوزن به اعمالهم لانحباطها ذلك الامر ذلك وقوله جزاؤهم جهنم جملة مبينة له ويجوز
ان يكون ذلك مبتدا والجملة خبره والعائد محذوف اى جزاؤهم به او جزاؤهم بدله وجهنم خبره
او جزاؤهم خبره وجهنم عطف بيان للخبر بما كفروا واتخذوا آياتي ورسلي هزوا اى بسبب ذلك
ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا فيما سبق من حكم الله
ووعده والفردوس اعلى درجات الجنة واصله البستان الذى يجمع الكرم والنخل خالدين فيها
حال مقدرة لا يبغون عنها حولا تحولا اذ لا يجدون اطيب منها حتى ينازعهم اليه انفسهم
ويجوز ان يراد به تاكيد الخلود قل لو كان البحر مدادا ما يكتب به وهو اسم ما يمد به الشيء كالحبر
للدواة والسليط للسراج لكلمات ربي لكلمات علمه وحكمته لنفد البحر لنفد جنس البحر
باسره لان كل جسم متناه قبل ان تنفد كلمات ربي فانها غير متناهية لا تنفد كعلمه ولو جئنا
بمثله بمثل البحر الموجود مددا زيادة ومعونة لان مجموع المتناهيين متناه بل مجموع ما يدخل
في الوجود من الاجسام لا يكون الا متناهيا للدلائل القاطعة على تناهي الابعاد والمتناهي
ينفد قبل ان ينفد غير المتناهي لا محالة وقرئ ينفد بالياء ومددا بكسر الميم جمع مدة وهي
ما يستمده الكاتب ومدادا وسبب نزولها ان اليهود قالوا في كتابكم ومن يؤت الحكمة فقد
اوتي خيرا كثيرا ويقرؤن وما اوتيتم من العلم الا قليلا قل انما انا بشر مثلكم لا ادعى
الاحاطة على كلماته يوحى الي انما الهكم اله واحد وانما تميزت عنكم بذلك فمن كان
يرجو لقاء ربه يامل حسن لقائه فليعمل عملا صالحا يرتضيه الله ولا يشرك بعبادة ربه
احدا بان يرائيه او يطلب منه اجرا روى ان جندب بن زهير رض قال لرسول الله صلى الله
اني لاعمل العمل لله فاذا اطلع عليه احد سرني فقال صلى الله عليه وسلم ان الله لا يقبل ما شورك فيه
فنزلت تصديقا له وعنه عليه الصلوة والسلام اتقوا الشرك الاصغر قالوا وما
الشرك الاصغر قال الرياء والآية جامعة لخلاصتي العلم والعمل وهما التوحيد والاخلاص
في الطاعة وعن النبي صلى الله عليه وسلم من قراءها عند مضجعه كانت له نورا في مضجعه

السليط الزيت

وقرا حمزة والكسائي بالياء

عليه وسلم

يتلالؤ الى مكة حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى يقوم وان كان مضجعه بمكة
كان له نورا يتلالؤ من مضجعه الى البيت المعمور حشو ذلك النور ملائكة يصلون
عليه حتى يستيقظ وعنه عليه الصلوة والسلام من قراء سورة الكهف
من آخرها كانت له نورا من الارض الى السماء صدق رسول الله صلعم

قد وقع الفراغ بحمد الله وحسن توفيقه عن تحرير النصف الاول من الكتاب الشريف الموسوم
بانوار التنزيل واسرار التاويل على يدي العبد الفقير الراجي الى رحمة الله وغفرانه
اويس بن عمر بن جمال الدين عفى الله عنه وعنهما اجمعين في عشرين
ومن دعا لهم بالخير
من شهر الله المبارك رمضان سنة احدى وتسعين وثمانمائة
ويطلب من الله التوفيق لاتمام النصف الثاني وفق اللهم
عبده في جميع مبتغاه انك ولي التوفيق بمحمد
وآله الطيبين الطاهرين امين يارب
العالمين
م